# رؤى

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية

دورية علمية محكمة

تصدر عن جامعة طبرق

TOBRUK UNIVERSITY - LIBYA

العدد الحادي عشر - يوليو 2024م

السنة الرابعة

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

تصدر عن
جامعـــة طبـــرق - ليبيا
Tobruk University - Libya

رئيس التحرير
د. فـوزي عمـر الحـداد
Fawzi.hadad@tu.edu.ly

السنـة الرابعة
العدد الحادي عشر - يوليو 2024م

دلالات
مجلة دورية علمية محكمة متخصصة
تصدر عن جامعة طبرق - ليبيا
موقع الجامعة: www.tu.edu.ly
موقع المجلة: d.journal.tu.edu.ly
صفحة المجلة على الفيس بوك: www.facebook.com/dalalatt
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 52 / 2021
رقم الإيداع الدولي: ISSN: 2788 - 6956

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية النشر من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

تنشر المجلة الكترونيًا على المنصات الآتية:

AskZad | دار المنظومة DAR ALMANDUMAH

## هيئة التحرير

| | |
|---|---|
| د. حسن على حسن | المشرف العام |
| د. فوزي عمر الحداد | رئيس التحرير |
| د. علاء جابر الضراط | مدير التحرير |
| د. أحمد محمد الميداني | منسق التحرير |

## لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

| | |
|---|---|
| د. على ماضي العبودي | كلية التربية جامعة طبرق |
| د. فيصل عبدالله حيدر | كلية التربية المرج / جامعة بنغازي |
| د. فتحي حسن خطاب | كلية الآداب جامعة سبها |

## الاخراج الفني

محمد أحمد الحبوني

# اللجنة الاستشارية العلمية

| | |
|---|---|
| 1. أ د. أحمد الهادي رشراش | كلية اللغات - جامعة طرابلس |
| 2. أ د. أحمد عمران بن سليم | كلية الآداب - جامعة بنغازي |
| 3. أ د. أحمد عيسى فرج | كلية السياحة والآثار - جامعة عمر المختار |
| 4. أ د. إسماعيل فتحي حسين الباجور | كلية الآداب - جامعة الموصل |
| 5. أ د. أنور فتح الله عبدالقادر | كلية الآداب جامعة درنة |
| 6. أ د. خليفة صالح حواس | عميد كلية القانون - جامعة سرت |
| 7. أ د. سعدية حسين البرغثي | كلية التربية - جامعة بنغازي |
| 8. أ.د. سميرة محمد العياطي | كلية الآداب - جامعة طرابلس |
| 9. أ د. عادل عبدالعزيز غيث | كلية الآداب المرج جامعة بنغازي |
| 10. أ د. عبدالرحيم محمد البدري | كلية الآداب - جامعة بنغازي |
| 11. أ.د. عبدالسلام عبدالجليل سالم | كلية القانون جامعة سرت |
| 12. أ د. عبدالقادر لشقر | جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب |
| 13. أ د. عبدالله سالم مليطان | كلية الآداب - جامعة طرابلس |
| 14. أ.د. عمر عبدالله عمر أمبارك | كلية القانون جامعة سرت |
| 15. أ د. عياد أبوبكر هاشم | عميد كلية الفنون الجميلة والإعلام سابقاً - طرابلس |
| 16. أ د. فريدة الأمين المصري | كلية اللغات - جامعة طرابلس |
| 17. أ د. محمد أحمد الوليد | كلية الآداب - جامعة بنغازي |
| 18. أ د. محمد زعيمة | أكاديمية القانون - القاهرة |
| 19. أ.د مرفت صدقي عبدالوهاب | خبير دولي للتمكين والنوع الاجتماعي ببرنامج الغذاء العالمي |
| 20. أ.د. محمد سليمان محمد اكريم | كلية الاقتصاد جامعة عمر المختار البيضاء |
| 21. أ د. مسعود حسين التائب | كلية الآداب - جامعة الزاوية |
| 22. أ د. مهند سامي العلواني | كلية التربية - جامعة الزاوية |
| 23. أ د. هدى عطية عبدالغفار | كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة / مصر |
| 24. أ د. وليد شعيب آدم | كلية الآداب - جامعة طبرق |
| 25. أ.د. ماجدة حامد عبدالله عزو | كلية الآداب جامعة طرابلس |
| 26. د. أحمد مزهار | المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - فاس مكناس - المغرب |
| 27. د. الشريف امراجع حامد | كلية الآداب – جامعة عمر المختار |
| 28. د. جمعة ارحومة الجالي | كلية الآداب – جامعة طبرق |
| 29. د. خديجة زيدي | كلية الآداب - جامعة سيدي محمد بن عبدالله - المغرب |
| 30. د. زهرة عبدالعزيز الثابت | كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان - تونس |
| 31. د. سالم عبدالرسول المهدي | كلية الآداب – جامعة طبرق |
| 32. د. سليمة عمر التائب | كلية الآداب - جامعة مصراتة |
| 33. د. شعبان محمود الهواري | كلية القانون – جامعة خليج السدرة |
| 34. د. شوكت نبيل المصري | أكاديمية الفنون - القاهرة / مصر |
| 35. د. صفاء امحمد فنيخرة | كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية - الجامعة الأسمرية |
| 36. د. عادل إبراهيم المحروق | كلية الآداب - جامعة غريان |
| 37. د. عاصم زاهي العطروز | الجامعة الإسلامية - مينسوتا - أمريكا |
| 38. د. علي عبدالأمير عباس | كلية الفنون الجميلة - جامعة بابل - العراق |
| 39. د. فرحة مفتاح عبدالله | عميد كلية الآداب - جامعة سرت |
| 40. د. كريمة المبروك الرقيعي | كلية الآداب والعلوم - جامعة درنة |
| 41. د. محمد إدريس عبدالعزيز | كلية الاقتصاد - جامعة طبرق |
| 42. د. محمد شحاتة واصل | كلية التربية – جامعة طبرق |
| 43. د. نورالدين نصر صالح شلوف | عميد كلية الآداب جامعة طرابلس |
| 44. د. هاشم منصور مفتاح | كلية الآداب - جامعة درنة |
| 45. د. هنيء محلية الصحة | كلية الآداب - جامعة مالانج الحكومية / إندونيسيا |
| 46. د. وريدة علي المنقوش | كلية التربية - جامعة مصراتة |
| 47. د. يحيى عمر القويضي | كلية التربية - جامعة مصراتة |

# مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقًا للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

## تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الانسانية.

## رؤيتنا:

مجلة علمية عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

## رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة والمنهجية والتميز العلمي.

## أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

# شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين العربية، والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث، والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الالكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدّم للمجلة مطبوعًا بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4) ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربيّة هو (Simplifled Arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين، وبنط (12) في الهوامش، ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزية Times New Roman بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الالكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولا ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشر بحثه أو تقديمه بأية طريقة لأي جهة نشر أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جهة الإصدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الالكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

| ت | المحتويات | الصفحة |
|---|---|---|
| 1 | المَقاصِد الشّرعيّة العامّة للبُنوك الإسْلاميّة<br>د. خير الدين طالب | 13 |
| 2 | شعرية المرجعي في رواية مسك الليل لسعيد بن سعيد العلوي<br>سعيد البوبكري | 33 |
| 3 | التطبيقاتُ الأصوليّـةُ لدليـل المصلحـة المرسـلة عنـد ابـنِ العربيّ المالكـيّ (543هـ - 468هـ) - (1076م - 1148م)<br>إبراهيم محمد عبدالرازق حسين | 46 |
| 4 | الضوابط الشرعية والقانونية في القائمين على المصالحة الوطنية<br>د. محمد رافع سالم علي | 57 |
| 5 | رؤية الناقوري الجدلية وايديولوجيا «المضمون»<br>محسين بنغالب | 70 |
| 6 | الصفة كشرط لقبول الدعوى (دراسة تأصيلية)<br>أ. غادة أبو بكر صالح عبد العاطي | 81 |
| 7 | دعوى ضمان الاستحقاق في التشريع الليبي والفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)<br>د. محمد عبد الناصر الصداعي | 102 |
| 8 | المواجهة الجنائية لجرائم الاتجار بالبشر<br>أ د. شعبان محمود محمد الهواري | 118 |
| 9 | أهمية وسائل الاتصال في الحد من ظاهرة الطلاق<br>د. علي سالم عاشور | 144 |
| 10 | التربية الإعلامية المدرسية وبناء الهوية الثقافية للطالب<br>أ. عائشة صالح أدم حمد - أ د. فتوح محمود محمد فهيم | 165 |
| 11 | واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي لدى طلاب كلية الآداب بجامعة طبرق<br>أ. أحمد خالد محمد بوسميحة | 190 |
| 12 | السفارات والرسائل المتبادلة بين الفرنجة الميروفنجيين والدولة البيزنطة 'التحديات والاستجابة" (507-590م)<br>د. محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ | 216 |
| 13 | سياسة روما تجاه مملكتي رودس وبرجامون بعد موقعة بيدنا 168 ق.م «دراسة في الدوافع والأسباب»<br>د. أحميدة خيرالله الداره مسعود | 243 |
| 14 | السياسة الخارجية لكلوفس مؤسس المملكة الميروفنجية 481 - 511م<br>حنان إبراهيم محمد الورفلي | 255 |
| 15 | سلالة شيشنق «إعادة النظر في أصل الأسرة الثانية والعشرين المصرية بناء على أدلة لغوية - تاريخية جديدة»<br>د. عبدالمنعم المحجوب | 282 |

| ت | المحتويات | الصفحة |
|---|---|---|
| 16 | **مومياء الجغبوب بين النوايا الطيبة والشواهد التاريخية**<br>د. الصديق ابريك بودوارة - فريحة يوسف المصراتي | 314 |
| 17 | **عبادة بني إسرائيل العجل في التوراة والقرآن**<br>ثريا محمد عمار امساهل | 330 |
| 18 | **الفيلم التسجيلي وإنتاج المعنى «دراسة تطبيقية في نماذج مختارة»**<br>د. خالد الكندري | 349 |
| 19 | **دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التعليمية (دراسة ميدانية على عينة من العاملين في مؤسسات التعليم الخاص بمدينة البيضاء)**<br>د. المبروك عبدالجواد امبارك - عبدالله محمد مروان | 363 |
| 20 | **أنظمة إمدادات المياه في اقليم قورينائية خلال الفترتين اليونانية والرومانية: مدينة قورينى في السياق**<br>ترجمة: د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم | 392 |
| 21 | **أثر أنماط القيادة الإدارية على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة دراسة تطبيقية على المجتمع الليبي**<br>أ. حسام محمد عمر - أ.منصور عبدالونيس عبدالنبي بوكائش | 404 |
| 22 | **نظام المقاصة الإلكترونية وأثرها على الأداء المالي «دراسة تطبيقية على مصرف المتحد للتجارة والاستثمار للفترة من 2014م إلى 2021م»**<br>العجيلي ساسي زميم | 428 |

# الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله المنتجبين وصحبه أجمعين.

وبعد:

على بركة الله يصدر العدد الحادي عشر (يوليو 2024) من دلالات مجلة العلوم الإنسانية والتربوية، إصدار علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات الأصيلة، المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم الإنسانية كافة. في هذا العدد يستمر الاحتفاء بالقيم الأصيلة للبحث العلمي، إذ حوى هذا العدد أبحاثا ودراسات قيمة لباحثين من المؤسسات العلمية في ليبيا وخارجها، كما تم تحديث الهيئة الاستشارية لتحكيم البحوث، فشملت خبراء جدد من مؤسسات مرموقة عربية ودولية.

ونحن نضع بين أيديكم هذا العدد، نواصل التأكيد على أهدافنا المتمثلة في تقديم خدمة مميزة لإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، وتدعم الإبداع الفكري وتسعى في تطويره والارتقاء به، كما نؤكد التزامنا المطلق بالميثاق الأخلاقي الذي يحكم عملية النشر، وخصوصا تلك المسائل المتعلقة بالانتحال سعيا للارتقاء بمسؤوليتنا جميعا عن رفعة البحث العلمي الأصيل.

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير

د. فوزي عمر الحداد

رئيس التحرير

# المَقاصِد الشّرعيّة العامّة للبُنوك الإسْلاميّة

د. خير الدين طالب
الجامعة العربية الامريكية - فلسطين

الاستلام: 11.1.2024 القبول: 16.2.2024

**المستخلص:**

جاءت هذه الدراسة لبيان معنى المقاصد العامة، ودور البنوك الإسلامية بشكل عام في رعايتها من خلال إلقاء الضوء على بعض هذه المقاصد والحفاظ عليها. وعرضت الدراسة إلى بيان خصائص التمويل الإسلامي في الحفاظ عليها وبيان المسؤولية الدينية لهذه المصارف الإسلامية في هذا الجانب، فتناولت الدراسة في المبحث الأول بيان مفهوم المقاصد الشرعية العامة للشريعة الإسلامية وتعريفها وبيان مراتبها وأهميتها، وتناولت في المبحث الثاني التعريف بالبنوك الإسلامية، وبيان خصائصها وأهدافها، وركزت الدراسة على استعراض مدى رعاية البنوك الإسلامية للمقاصد العامة للشريعة الإسلامية والحفاظ عليها، من خلال الحديث عن مقصد العمارة، وتمكين الفكرة والتصور الإسلامي في إدارة المال، والحرية، والعدل، والرحمة.

**كلمات مفتاحية:** مقاصد، عمارة، تمكين، حرية، عدل، بنوك، إسلامية.

**Abstract:**

This study aims at showing the role of Islamic banks in achieving and keeping the goals of general Islamic Shari 'a law. Furthermore, the study sheds the light on practices of the Islamic banks where these goals are met. In addition, the study aims at showing the role of Islamic banks through their operations in preserving the public's goals and consolidating the Islamic responsibility in Islamic banks. In its first part, the study explores the meaning of the general legal goals of the Islamic Shari 'a Law concerning its definition, levels, and importance. As for the second part of the study, it explores the nature of Islamic banks and their characteristics and goals through discussing the goals of farming land and enabling the Islamic intellect as well as Islamic vision in the management of capitals, freedom, justice, and mercy.

**Keywords:** Islamic banks, freedom, justice, mercy.

## تمهيد:

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم سيد الانبياء والمرسلين:

أمّا بعد، فقد أصبح البحث في مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة ومَقاصد المال العامّة منها والخاصة محل اهتمام الباحثين، وذلك لتَعدد النوازل العملية التي تتعلَق بالوجود الإنساني،

ولكثرة الأسئلة المتعلقة فيها، فتنبه العلماء والباحثون إلى استثمار عقولهم في مجال التعليل وبيان الحكم والأسرار التشريعية التي تتحقق بها مصالح الإنسان في جانب الأموال وغيرها بهدف حفظ ضرورياته وحاجياته وكمالياته، فأخذوا في البحث في مجال التقصيد الشرعي والمصلحي للمال لتحقيق هذه المصالح التي عليها قوام حياته وبها تكون سعادته في الدّنيا والآخرة.

ولا شك أن انتشار البُنوك الإسْلاميّة في أغلب دول العالم، يعدّ دليلا على نجاح تجربتها في إدارة المال من حيث المبدأ، وهذا يتطلب منها السعي لتحقيق الأهداف النبيلة والغايات السامية الكبرى التي هي أصل وجودها ونشأتها وذلك بمراعاة مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة في جانب المال في جميع مجالات عملها، وأن لا يقتصر دورها على تقديم الخدمات البنكية والقروض المالية، وتنمية الدخول وغيرها من المَقاصد الجزئية، وأن عليها أن تتحمل المسؤولية الأخلاقية في الحفاظ على مقصود الشارع الحكيم التي جاء بها في جميع أحوال التشريع.

**أهمية الموضوع:**

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الفقه المَقاصدي للنصوص الشّرعيّة المتعلقة بإدارة المال بهدف إظهار محاسنها وأسرارها، ومدى مراعاتها في عمل البُنوك الإسْلاميّة باعتبارها فكرة تم تطبيق فقه المعاملات على أرض الواقع من خلالها، وحتى تتوافق في مَقاصدها وأهدافها مع مَقاصد الشارع؛ إذ على المكلّف أن يوافق قصده في جميع أحواله قصد الشارع الحكيم. ولأنّ البُنوك الإسْلاميّة تعد حلقة من حلقات نهضة الأمّة الإسْلاميّة، ولبنة من لبنات بناء المجتمع الإسْلاميّ الملتزم بأخلاقيات الإسلام وأحكامه. ونهدف من دراستنا هذه بشكل عام أن تمتلك المؤسسات والبُنوك الإسْلاميّة خاصة المهارات والقدرات التي تتناسب وطبيعة الأهداف التي تبنتها للارتقاء بالعمل نحو الأفضل وحرصا على المبادئ والأسس التي أعلنتها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: تظهر مشكلة الدراسة من واقع عمل البُنوك الإسْلاميّة ومدى اعتبارها ورعايتها لمَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة العامّة في إدارة الأموال أثناء ممارساتها العملية في المجلات المختلفة، ومن أجل توضيح ذلك يمكن إثارة المسائل التالية:

1. ما مفهوم المَقاصد العامّة الشّرعيّة؟
2. ما معنى بُنوك إسلامية؟
3. ما أهم مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة العامّة التي يمكن للبُنوك الإسْلاميّة مراعاتها؟
4. ما درجة اهتمام البُنوك الإسْلاميّة في رعاية مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة العامّة؟

**أهداف البحث:**

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- بيان معنى مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة العامّة.

2- تسليط الضوء على بعض المَقاصد العامّة وأثرها في النشاطات التي تمارسها البُنوك الإسْلاميّة.

3- بيان خصائص التعاملات الإسْلاميّة التي تمارسها البُنوك الإسْلاميّة ويظهر فيها الحفاظ على قصد الشارع.

4- إظهار مسؤولية البُنوك الإسْلاميّة الدينية أثناء ممارستها النشاطات الاستثمارية.

5- الكشف عن مدى اهتمام البُنوك الإسْلاميّة بالمَقاصِد الشّرعيّة في مجالاتها المختلفة.

**منهج البحث:**

سلك الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، اعتمادا على المصادر الموثقة من التقارير والدراسات الصادرة التي تناولت جوانب من موضوع الدراسة.

**خطة الدراسة:**

لتحقيق الأهداف وللإجابة على الأسئلة السابقة قسمنا الدراسة إلى مبحثين وعدة مطالب:

**المبحث الأول:** تعريف المَقاصِد الشّرعيّة وبيان مراتبها وضوابطها.

المطلب الأول: تعريف المَقاصِد الشّرعيّة وأقسامها.

المطلب الثاني: مراتب المَقاصِد الشّرعيّة.

المطلب الثالث: أهمية مَقاصِد الشّريعَة الإسْلاميّة.

**المبحث الثاني:** دور البُنوك الإسْلاميّة في حفظ المَقاصِد الشّرعيّة العامّة.

المطلب الأول: تعريف البُنوك الإسْلاميّة وأهدافها.

المطلب الثاني: دور البُنوك الإسْلاميّة في حفظ المَقاصِد الشّرعيّة العامّة.

اولا: مقصد العمارة

ثانيا: مقصد التمكين.

ثالثا: مقصد الحرية.

رابعا: مقصد العدل.

خامسا: مقصد الرحمة

**الدراسات السابقة:**

لم يقف الباحث في حدود اطلاعه على أي دراسة متخصصة ومستقلة تهتم بدور البُنوك الإسْلاميّة في تحقيق المَقاصِد العامّة للشرعية الإسْلاميّة كما تناولها الباحث، وأغلب ما كتب في المَقاصِد بشكل عام من غَير تخصيص، وإن وجد فهي شذرات موجودة في بعض الدراسات التي تحدثت المَقاصِد الجزئية في حفظ المال واستثماره من خلال البُنوك الإسْلاميّة. منها:

1- رسالة ماجستير وهي دراسة تأصيلية وتطبيقية للتوجيه المَقاصدي لاستثمارات البُنوك الإسْلاميّة بعنوان: التوجيه المَقاصدي لاستثمارات البُنوك الإسْلاميّة -دراسة تأصيلية تطبيقية- منصوري محمد، 2016، جامعة وهران الجزائر.

2- رسالة ماجستير بعنوان: الوسائل المطبقة في المصارف الإسْلاميّة لتحقيق مَقاصِد الشّريعَة: البنك الإسْلاميّ الماليزي المحدود **BIMB** (نموذجا)، للباحث بزيش آمال، جامعة ماليا، كوالالمبور، 2013م، هدفت هذه الدراسة إلى تحديد وتقييم الوسائل والآليات التي يوظفها البنك الإسْلاميّ الماليزي المحدود في تحقيق مَقاصِد الشّريعَة الإسْلاميّة الخاصة.

والدراسة التي نحن بصددها تتعرض للمَقاصِد العامّة للشريعة الإسْلاميّة ومدى مرعاة

البُنوك الإسْلاميّة بشكل عام لها من خلال الاطلاع على أثرها الاقتصاديّ المحليّ والعالميّ في تحقيق الأهداف العقائدية التي أعلنتها عند تأسيسها.

## المبحث الأول: تعريف المَقاصد الشّرعيّة وبيان مراتبها وضوابطها.

### المطلب الأول: تعريف المَقاصد الشّرعيّة.

المَقاصد في اللغة مشتقة من الفعل قصد، وهي جمع مقصد، ومن معانيها: استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ]النحل:9 [، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم-: «القصْدَ القصْدَ تَبْلُغُوا»[1]. ومنها العدل والوسط بين الطرفين: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ ]فاطر: 32[ [2].

المَقاصد اصطلاحا: لم يعثر في كتب المتقدمين من الأصوليين على تعريف واضح محدد للمَقاصد الشّرعيّة، ولعل أول من استعمل هذا المصطلح من الأصوليين؛ الإمام الجويني «ت:478ه « كما في البرهان بقوله:» ومن لم يتفطن لوقوع المَقاصد في الأوامر والنواهي، فليس على بصيرة في وضع الشّريعَة « [3].أي أن الفقيه الذي يبحث في استنباط الأحكام الشّرعيّة يجب ان يكون على دراية بمَقاصد الألفاظ ومراميها وأسرارها حتى يستطيع أن يقف على الفهم الصحيح الشّريعَة فهما سليما.

ومقصود الشرع من الخلق كما قال الغزالي خمسة وهو «أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[4].

وتعرض لها الشاطبي ببيان أقسامها هي الضرورية والحاجية والتحسينية:[5]. ولم يحرص على إعطائها تعريفا واضحا مع كثرة عنايته بها، ودقيق فهمه لها، وأرجع ذلك إلى أنه كتب كتابه للعلماء الراسخين في علوم الشّريعَة ويظهر هذا من قوله: « من هنا لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه مفيداً أو مستفيداً، حتى يكون ريان من علم الشّريعَة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مخلد إلى التقليد أو التعصب إلى المذاهب « [6] . ويظهر لنا أنّ علم المَقاصد لم يكن علما مستقلا بل كان مندرجا ضمن موضوعات علم أصول الفقه ومباحثه، وبدأت إشارته تتضح عندما شاع الحديث عن تعبدية أحكام العبادات، وتجاوز ذلك إلى مجال المعاملات وغيرها. يقول بن عاشور:» فباستقراء علل النصوص الشّرعيّة يحصل لنا العلم بمَقاصد الشّريعَة «[7]، وذلك يكون باستقرائنا لعلل كثيرة متماثلة تكون ضابطا لحكمة متحدة فنستخلص منها حكمة فتكون مقصود الشارع.

وعليه يبقى البحث في تعريف المَقاصد كمصطلح في كتب الفقهاء والأصوليين المتأخرين منهم علال الفاسي(1394هـ) الذي ذكرها بقوله: «مَقاصد التشريع هي الغاية منها والأسرار

(1) فتح الباري، كتاب الرقائق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم 6464، 83/13.
(2) ابن منظور، لسان العرب (3/ 96) المعجم الوسيط، (738/2) ، المصباح المنير، الفيومي (260).
(3) عبد الملك الجويني، البرهان، 1/ 295
(4) الغزالي، المستصفى (287/1)
(5) الشاطبي، الموافقات 2 / 17، 18، العالم، المقاصد العامة، ص160.
(6) الموافقات78/1.
(7) ابن عاشور، المقاصد العامة، ص20.

التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».[8] وهنا نرى أنه جمع بين المَقاصِد العامّة والمَقاصِد الخاصة.

**المَقاصِد العامّة للشريعة الإسْلاميّة:** هي الحكم المعاني التشريعية الملحوظة في جميع أحوال التّشريع أو معظمها، ومثل لها ابن عاشور(1393هـ) بحفظ النظام، وجلب المصالح، ودرء المفاسد،[9] وبيّن شروطها بان تكون ثابته محققة للمصلحة أو مظنون بتحقيقها،وأن تكون ظاهرة لا يختلف في تحديدها، وأن تكون منضبطة لها حد لا تتجاوزه ولا تقصر عنه، وأن تكون مطرده لا تختلف باختلاف الأقطار والأعصار[10] .

وعند الريسوني:»هي الغايات التي وضعت الشّريعَة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[11]. وإلى مثل هذا ذهب وهبة الزحيلي بقوله:»هي المعاني والأهداف الملحوظة للشرع في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشّريعَة الإسْلاميّة ...»[12]

**ومن خلال ما سبق يمكن القول إن المَقاصِد العامّة هي الغايات الكبرى الثابتة لقصد الشارع من التشريع، وتتحقق هذه الغايات بتحقق بالوسائل المؤدية إليها من مَقاصِد تبعية، ومن المَقاصِد العامّة عمارة الأرض وإصلاحها، وصلاح المجتمع بحسن التعايش بَين أفراده وتمكين التَصور الإسْلاميّ في إدارة المال بطرقه المشروعة.**

فالمقصد العام يتجلى من خلال تحقيق المصالح الإنسانية وسعادة الإنسان في الدّنيا والآخرة، وهي أهداف وغايات جاءت الشّريعَة بمراعاتها والحفاظ عليها.

وقد تستعمل بعض العبارات التي تحمل نفس مدلول المَقاصِد عند بعض العلماء مثل مصطلح الحكمة والعلة، والغرض[13] .

**المطلب الثاني: مراتب المَقاصِد الشّرعيّة.**

والمراتب جمع رُتبة، والرتبة والمرتبة، والمكانة، هي المنزلة عند الملوك، ولفلان مرتبة ومنزلة عند السلطان [14]. فالمراتب هنا هي الدرجات الرفيعة والمقامات العليا.

ومراتب المَقاصِد قد حصرها الشاطبي – رحمه الله – في ثلاثة أقسام[15]:

**القسم الأول: الضرورية:** وهي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدّنيا وإذا تخلفت عمّ الفساد في الدّنيا، والخسران المبين في الآخرة، ومجموعها خمسة، وهي حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.

**القسم الثاني:** أن تكون حاجيَّة، وإذا فقدت كان الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامّة.

(8) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص3.

(9) مقاصد الشريعة الإسلامية - ابن عاشور ص51، الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص 72، الخادمي، الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، ص 54.

(10) مقاصد الشريعة الإسلامية -، ص: 171.

(11) الريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي ص: 9.

(12) وهبة الزحيلي:أصول الفقه الاسلامي ص:1017.

(13) الحفاظ على مقاصد الشريعة وأثره في ترسيخ القيم المجتمعية، أدهم تمام فراج، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين- جامعة الازهر –القاهرة، عدد35، مجلد4، 2018م.

(14) لسان العرب 410/1، المعجم الوسيط 326/1، أساس البلاغة 219.

(15) الموافقات، 2/ 8-11، اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص181.

**القسم الثالث: أن تكون تحسينية: وهي الكماليات من مستحبات ومستحسنات العادات.**

**إذن هي ليست في رتبة واحدة؛ بل هي متدرجة، ويخدم بعضها بعضا، وقد جاءت الشّريعَة بأحكام كاملة لحفظها ويحقق وجودها في المجتمع، أو من حيث بقائها وحمايتها من أسباب الفساد والزوال.**

**فإن الشّريعَة مبناها على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يفوت منها شيئا، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت وإن لم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفوت البعض قدم أكملها وأهمها وأشدها طلباً للشارع. وإذا لم يمكن تحصيلها جميعاً ولا الجمع بينها فهناك طرق لمعرفة الراجح منها وهي[16]:**

**1. النظر إلى ذات المصلحة وقيمتها، فالضرورية مقدمة على الحاجية، والحاجية مقدمة على التحسينية، والمصلحة الدينية مقدمة على غيرها.**

**2. النظر إلى شمول المصلحة، اذ إن المصلحة العامّة كالتي تحصل لجمهرة من النّاس مقدمة على المصلحة الخاصة التي يتحقق فيها فائدة لشخص واحد أو فئة قليلة من النّاس. وهي ما يعبر عنها بالمصالح الكلية.**

**يمكن القول ان البُنوك الإسْلاميّة في أصل وجودها ونشأتها أعلنت أنها تعمل وفق المَقاصد الضرورية التي تقوم عليها مصالح العباد في الدين والدّنيا، بحيث إذا انعدمت هذه المَقاصد عم بالتبعية الفساد والإنحراف، وتعمل كذلك وفق المَقاصد الحاجية التي يحتاج اليها النّاس لرفع الضيق والمشقة عنهم عن طريق تخفيف أعباء التكاليف وتيسير طرق التعامل في حياتهم [17].**

**المطلب الثالث: أهمية مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة:**

**دراسة علم المَقاصد وتطبيقها على أرض الواقع له فوائد كبيرة؛ حيث أن المَقاصد هي روح النصوص الشّرعيّة، ومن لم يتفطن لوقوع المَقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشّريعَة كما يقول الإمام الجويني في برهانه. [18]**

**ويظهر أن المنهج المَقاصدي كان حاضرا في الفهم والاستنباط لدى عموم المجتهدين، وهو منهج يتحرى مَقاصد الأحكام المختلفة ويجعلها وسيلة من وسائل الاجتهاد لاستخراج الحكم الشرعي في النوازل المتنوعة، وينطلق من أن جميع ما وردت به الشّريعَة الغراء معقول المعنى وذو حكمة بالغة[19]. وتظهر أهمية دراسة مَقاصد الشّريعَة في التالية:[20]**

**1- إظهار علل التشريع وحكمه وأغراضه وغاياته الجزئية والكلية، العامّة والخاصة، وفي شتى مجالات الحياة.**

**2- تمكين العالم من البحث والاستنباط في ضوء المقصد الذي سيعينه على فهم الأحكام الشّرعيّة.**

**3- إثراء المباحث الأصولية والمَقاصدية، التي تبنى على المصالح والقياس، والذرائع وغيرها.**

(16) قواعد الأحكام، 71/1، 75/2)، الموافقات، 1/ 350، ضوابط المصلحة، ص248، 221.
(17) حسن السوسي، مقاصد الشريعة في البنوك التشاركية، مجلة المنارة للدراسات القانونية والادارية، 2020.
(18) البرهان 295/1
(19) العلواني، مقاصد الشريعة، ص125.
(20) علم المقاصد الشرعية ص 51-52.

4- التقليل من الاختلافات والفقهية، والتعصب المذهبي، وتنسيق الآراء المختلفة، ودرء التعارض بينها.

5- يعين للحاكم والقاضي والمفتي وغيرهم على أداء وظائفهم وأعمالهم وفق مقصود الأمر والنهي، لا وفق ظواهر النصوص، ومباني الألفاظ.

## المبحث الثاني: دور البُنوك الإسْلاميّة في حفظ المَقاصِد الشّرعيّة.

### المطلب الأول: تعريف البُنوك الإسْلاميّة وأهدافها.

تعددت أنظار الباحثين في تحديد مفهوم البُنوك الإسْلاميّة، ومجمل القول إنها مؤسسات مالية تعمل في إطار المنهج الإسْلاميّ، وتقوم بأداء خدمات مصرفية ومالية وتباشر أعمال الاستثمار في المجالات المختلفة وفق المنهج المعياري الشرعي، بهدف غرس القيم والأخلاق الإسْلاميّة في مجال المعاملات المالية، وكذلك تساعد في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق الحياة الكريمة للشعوب الإسْلاميّة[21].

فهي إذن مؤسسة نقدية مالية مصرفية، تلتزم بأحكام الشّريعَة الإسْلاميّة في معاملاتها وإداراتها وموظفيها، وتعمل على استثمار أموال المساهمين وتوظيفها توظيفا فعالاً بما يحقق مَقاصِدها ويخدم شعوب الأمة وتنمية اقتصادها.

**وهدفها:** إنّ من الأهداف الربانية للبُنوك الإسْلاميّة في المقام الأول أن يكون الاقتصاد الإسْلاميّ اقتصادا ربانيا خادما للعقيدة الإسْلاميّة، وذلك من خلال تقديم خدمات مصرفية مميزة تعمل على تحقيق العدالة ويحفظ التوازن الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ويساهم في تحقيق التنمية، والقيام بجميع الأعمال المصرفية والتّجاريّة والمالية وأعمال الاستثمارات، والمساهمة في مشروعات التصنيع والتنمية الاقتصادية والعمرانية والزراعية والتّجاريّة، وفق المنهج الرباني الذي يقوم على عدم التعامل بالربا وتحريم الغش والاحتكار، واحترام مبدأ الاستخلاف، ومبدأ السعي والكسب، ومبدأ التداول العادل للثروة في جميع تعاملاتها.

### المطلب الثاني: دور البُنوك الإسْلاميّة في حفظ المَقاصِد الشّرعيّة.

إن الشيء الذي تتميز به الشّريعَة الإسْلاميّة عن الشرائع الأخرى هو نظرتها الشّموليّة والواقعية والاهتمام بالقيم الأخلاقية نحو الكون والإنسان والحياة، وهذا التميز يجب أن يكون واضحا جليا في عمل البُنوك الإسْلاميّة من خلال الاهتمام بهذه القيم الشّرعيّة الخاصة والعامّة التي جاءت بها هذه الشّريعَة، وان كان حفظ أموال الأمّة واستثمارها ودورانها، وأساليب تداولها هو من التكاليف الشّرعيّة، فكذلك إظهار القيم الأخلاقية والمَقاصِد العامّة هو مبرر من مبررات وجودها، وليس من أهداف وجودها القيم الاقتصادية البحتة فقط، بل هنالك قيم يحسب الإسلام حسابها ويجعلها هي القيم الحقيقية لتحقيق قصد الشارع من خلالها والتي لابد من مراعاتها، ويمكن اجمال هذه المَقاصِد في النقاط التالية:

**أوّلا: مقصد العمارة:**

**العمارة في اللغة:** العمران: البنيان، وما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة

(21) الشعراوي، المصارف الإسلامية، ص 17، ابو شادي، البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ص4.

والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الاعمال[22].

**ويقصد بالعمارة:** عمارة الأرض، بإصلاحها وإحيائها وإشاعة الحياة والنماء فيها، حتى يكون فيها جنّات من نخيل وأعناب، وحدائق ذات بهجة، وثمر ينظر إلى ينعه، ويؤكل منه، ويؤخذ حقه يوم حصاده، وأنعام وخيل، وأنهار وديار، وصناعة وتجارة.. إلى آخر ما لابد للحياة منه[23].

قال تعالى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» [هود: 61] إن واجب التعمير يقع على الانسان باعتباره عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى امتثالا لقوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: 56]، وهذا يشمل كل ما يجعل الأرض مليئة بالبناء و النبَات و الحيوان والإنسان. وقد بين الشيخ علال الفاسي المَقاصد العامّة بقوله:هي عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع «[24].

والحضارة الإسْلاميّة في هذا الباب قد سبقت غيرها من الحضارات في بيان مسؤولية الولاة في عمارة الأرض وان الدولة الإسْلاميّة دولة رعاية بكل معنى الكلمة، وليست دولة جباية ففي رسالة الامام علي- رضي الله عنه - إلى واليه في مصر الأشتر النخعي يقول له: « وليكن نظرُك في إعمار الأرض أبلَغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك يُدَركُ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً...» [25] .

وهذا المعنى يحمل معنى القيام بالاستخلاف في الأرض بالقدر الممكن من تحقيق عمارة الأرض وإصلاحها وهو من الأسس العقدية والفكرية لعمل البُنوك الإسْلاميّة بأركأنه وشروطه[26].

وفي قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً» (البقرة: 30) وقد يكون للخلافة في الأرض مقام أسمى من عمارة الأرض؛ إذ إن الخلافة بمثابة القيام مقام المستخلف، وإجراء مَقاصد المستخلف وأحكامه، أما عمارة الأرض فهي تخضع لسنن الكون ونواميسه التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى، حتى ولو مع الكفر بالله وعصيان أوامره [27].

وقد ذكر الإمام الراغب الأصفهاني: أن الله تعالى شرّف الإنسان بأنه يوجد كاملًا في المعنى الذي أوجد لأجله، أن هذه المَقاصد تتمثل في ثلاثة[28]:

**الأول:** العبادة لله، وإليها يشير تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنّ والإنس إلا لِيَعْبُدُونِ»[الذاريات: 56].

**الثاني:** الخلافة عن الله. واليها يشير قوله: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً»[ البقرة: 30].

**والثالث:** العمارة للأرض، وإليها يشير قوله:«هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» [هود: 61].

(22) المعجم الوسيط 627/2.

(23) القرضاوي، التوكل ص 58.

(24) مقاصد الشريعة ومكارمها: ص 3

(25) الصلابي، أسمي المطالب، ص484/1

(26) السبهاني، الوجيز في المصارف الإسلامية ص70، اللسبهاني الوجيز في مبادئ الاقتصاد الاسلامي، ص18-20.

(27) محمد أبو بكر المصلح، مقاصد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل – دراسة في ضوء القرآن الكريم»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسامية، المجلد 38، العدد 2، 2021، https://islamonline.net

(28) الاصفهاني الذريعة إلى مكارم الشريعة ص82، القرضاوي، دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الاسلامي ص 149.

وعليه فإن السلوك الاقتصادي أو الاستخلاف الاقتصادي مؤطر بضوابط التشريع الإسْلاميّ، لتحقيق الكفاية الخاصة والعامّة،فهو ليس دعوة للنفع والكسب فقط، ولأن كانت الصبغة الدينية لهذه البُنوك أعطت طابعا شرعيا في التعامل مع المال إلا أن المتابع لإسهامات البُنوك الإسْلاميّة في عمران الأرض ضعيف جدًا لا أثر له على واقع العالم العربي والإسْلاميّ، وهذا يتطلب منها وضع الخطط الاقتصادية لتقوية الاستثمار لتحقيق قوة اقتصادية كبرى لها أثرها على واقع الاقتصاد العالمي، فهي بذلك مدعوة لتراجع خططها الاقتصادية كي تحقق هذا المقصد العام ورعايته في هذا الجانب.

**ثانيا: مقصد التمكين:**

التمكين: مصدر للفعل «مكن»، وقد ورد الجذر «مكّن» بمعان متعددة، منها مكّن الشيء؛ أي تم تقويته وتمتينه وترسيخه ليصبح ماكناً؛ أي جعل له عليه سلطاناً وقدرة، واستمكن منه؛ أي قدر عليه وظفر به[29].

**وفي الاصطلاح:** وقد ورد مصطلح التمكين في القرآن الكريم بدلالات متعددة، تشير إلى تعدد غاياته فهو مفهوم شامل، يشمل إقامة الدين، وتسخير الأرض لبنى أدم، وحيازة الثروات وامتلاك الأموال الوصول إلى موقع ذو نفوذ لتحقيق الاستخلاف، وهذا التفسير يتسق مع دلالات القرآن الكريم في هذا الجانب، ومع تفسير السلف وعلماء أهل السنة للمفهوم، فضلا عن أنه يتسق مع مَقاصِد وضوابط الشرع، وطبقا لذلك فالتمكين هو تمكين الدين والقوة والسلطة والمال.

والله عز وجل، هو وحده من يمكّن الإنسانَ لما يشاء، كما في قوله عز وجل: ﴿انّا مَكّنّا لَهُ فِي الْأَرضِ وَءاتَيْنَاهُ من كُلّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ [ الكهف: 82 ]وقوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا من قَبْلِهم مّن قَرْنٍ مّكّنَاهُمْ فِي الأَرضِ مَا لَمْ نُمَكّن لّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السّمَاء عَلَيْهِم مّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأنهارَ تَجْرِي من تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا من بَعْدِهِمْ قَرْناً اخَرِينَ﴾ [الانعام: 6 ].

التمكين للمؤمنين ليس فقط بأن يُقيموا العقائد والشعائر والشرائع التي أمر الله ـ تعالى ـ بها ورسوله في جميع مجالات الحياة دون خوف، بل تمكين للفكرة والتصور في إدارة الكون وتسخره لخدمة الإنسانية، والقدرة في السيطرة والإمساك بزمام قيادة العالم وتوظيف الموارد، وتوزيعها، وهذا متصل اتصالا وثيقا بعمران الأرض واستخلاف الله عز وجل للإنسان فيها و إقامة العبودية لله -تعالى- بمعناها الشامل الصحيح وفي كل مناحي الحياة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُم فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [ الحج: 41].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ]النور. 55]. فهذا وعد الله بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة النّاس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد،[30]وعلى اثر ذلك تظهر آثار التمكين من خلال إقامة العدالة ونشر القيم الإنسانية التي دعا لها الإسلام في تشريعاته.

(29) لسان العرب، 11/458-466، المعجم الوسيط، ص 881

(30) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ، ص: 1342، 1343 .

ويضرب لنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- صورة حية للتمكين الاقتصادي لبناء الإنسان وحماية المجتمع، فحينما سأل أحد ولاته:» مإذا تفعل لو جاءك سارق، فقال الوالي: أقطع يده، قال عمر: وإذن فإن جاءني منهم جائع أو متعطل، فسوف أقطع يدك، إن الله سبحانه وتعالى استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها، يا هذا، إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فأشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية» [31].

فالإسلام ينظر إلى المال ويعتبره وسيلة هامَّة لتحقيق المَقاصد الشّرعيّة من وجوده، فردية واجتماعية. فبه يأكل، وبه يشرب، وبه يلبس، وبه يبني مسكنه، وبه يصنع سلاحه الذي يدافع به عن نفسه وحرماته، وبه يطوِّر حياته ويرقّيها، وبه تتحقق حريته وكفايته، إذ أن أساس الإيمان الحرية، فالإسلام يرفض الدكتاتورية الاقتصادية المتحكمة في الأرزاق، ولقد خلق الله الإنسان وجهزه بالقوى المادية والمعنوية اللازمة للقيام بحق الخلافة والعمارة والتمكين على اساس الصلة بالله [32].

فاستعمال المال في العمل والحركة في التصور الإسْلاميّ يعد من المَقاصد الشّرعيّة، فإن النقود لم تُخلق لتُحبس وتُكتنز، إنما خلقت لتتداول، وتنتقل من يد إلى يد: ليكون العمران، وهذا مع الاسف ما لا تجده في البُنوك الإسْلاميّة اذ أنها تتساوق مع البُنوك الأخرى في إدارة المال وتوظيفه لمصلحة المساهمين ولا تجد من مَقاصد وجوده التمكين للمنهج والفكرة والتصور الإسْلاميّ في الأرض، بل تراها قد وقع فيها خللاً في الالتزام بأساسيات النموذج الاقتصادي الإسْلاميّ.

وقد تراها تحولت من فكرة للتنمية إلى المطالبة بالتعايش مع النظام الربوي ومد جسور التعاون ولم تشارك بالتنمية كما ينبغي لها [33]. وبعضها قد أغفل المقصد الذي من أجله وجدت واتجهت نحو الاهتمام بمشاريع ترفيهية وسياحية والمتاجرة بالذهب والفضة، وتعمل لتحقيق مصالح مالية ضيقة لعدد من المساهمين.

**ثالثا: مقصد الحرية:**

«الحُّر بالضم: نقيض العبد، والجمع أحرار وحرار، والحُرُّ من النّاس: أخيارهم وأفضالهم، وحرية العرب: أشرافهم، والحرة: الكريمة من النساء»[34].

وفي الاصطلاح: يعرفها وهبة الزحيلي: بأنها ما يميز الإنسان عن غيره ويتمكن بها من الممارسة والاختيار دون إكراه ضمن حدود معينة[35].

وليس حديثنا هنا عن الحرية بمعناها الليبراليّ الغربيّ وهي التّحرر المطلق، وإنّما حديثنا عن الحرية المتعلقة بحقوق الفرد الماديّة والمعنويّة التي يجب أن تحترم وبضمان سلامتها تحقق سلامة الفرد في نفسه وعرضه وماله، وهي حرية منضبطة مقيدة بالعدل وعدم الظلم.

ولأنها فطرة الله التي فطر النّاس عليها تعد الحرية من أهم القيم الإسْلاميّة، ويتميز

(31) فريدة، مفهوم التمكين في القرآن الكريم، https://www.maghress.com/almithaq/3000 شوهد بتاريخ 2023/1/17.
(32) القرضاوي، دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الاسلامي ا، ص 320 وما بعدها.
(33) عايد الشعراوي، المصارف الإسلامية، ص 526.
(34) لسان العرب ج4 / ص181.
(35) الزحيلي، حق الحرية في العالم، ص 39.

الإنسان بها على سائر الكائنات الحية الأخرى، وبوبها تتحقق إرادته ويشعر بالسكينة والراحة النفسية.

ونادى الإسلام منذ زمن بتأمين حرية الرأي حتى تتوفر حرية الرزق والكسب، وقد حرص الإسلام على تحرير لقمة العيش من سلطة الجهاز الحاكم ومن سلطة الطبقة الغنية[36].

ومن صفات النفس الإنسانية في الإسلام أنها تتمتع بحرية الإرادة والقدرة والمشيئة، فلا يجوز تقيدها بأعمال وظائف صناعية وتجارية محدده وغيرها يكون حكرا على بعض الأفراد الشركات والطبقات. فممارسة الحريات المتاحة شرعاً في أسمى صورها وأرقى تطبيقاتها في جميع جوانب الحياة التعبدية والاقتصادية والأسرية والثقافية.

وإذا كانت الحرية هي ضد العبودية في المعنى الحقيقي فإنا نراها قد أخذت طابعا معنويا قد يطلق عليه مصطلح الحرية المقنعة التي تقيد الفرد في سلوكه المعيشي ويظهر ذلك في أن أغلب علاقة البُنوك مع الأفراد تقوم على التمويل الذي يعجز الفرد بعد ذلك عن سداده، وهذه الصورة كانت سابقا حيث كان المرابون في الجاهلية يسترقون المدين إذا عجز عن سداد دينه، وهذا ما نراه بصوره غير مباشرة لعمل البُنوك الربوية في استخدام النّاس وعدم مراعات حاجاتهم أو إنظارهم أو التخفيف عنهم عند عجزهم سداد قروضهم فهم يعملون ليل نهار لتوفير ما يلزم لسدادها، وهذا ما أطلق عليه بعبودية الدين والتي تعد أكثر أشكال الرق المعاصر شيوعاً، وذلك وفقاً للجمعية الدولية لمكافحة الرق، وهي منظمة غير حكومية تتخذ من لندن مقراً لها، حيث تقول إن «الشخص يصبح عامل سخرة عندما يُطالب بالعمل كوسيلة لسداد قرض حصل عليه. ثم يخدع الشخص أو يضطر للعمل مقابل مبلغ زهيد جداً من المال أو من دون أجرة، وغالباً ما يكون ذلك لمدة سبعة أيام في الأسبوع [37] .

فالبُنوك الإسْلاميّة التي لديها التزام بأساسيات النموذج الاقتصادي الإسْلاميّ لم تأت لشقاء الإنسانية وتسخير الإنسان لسداد قروضه التمويلية طويلة الأمد، بل جاءت باحترام حقوق الأفراد والحفاظ على كرامتهم، وإنظار المدين المعسر والتجاوز عنه والإقالة وتحريم المعاملات الربوية من تداعيات خطيرة وآثار مدمرة على المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا، وتحريم الاحتكار والغَش والغرور، وغيرها من المعاملات المحرمة، فعلى البُنوك الإسْلاميّة أن تتجلى فيها هذه القيم في تعاملاتها، وخصوصا أنها تتخذ من الشّريعَة الإسْلاميّة منهجا لها في حياتها .

**رابعا: مقصد العدل:**

العدل وهو المساواة بين النّاس وإعطاء كل ذي حق حقه، وتعتبر العدالة من أجمل الفضائل الإنسانية، ومن أبرز أهداف الإسلام، ومَقاصد الشّريعَة – ويظهر ذلك فيما يتعلَّق بتوزيع المال أو الثروة بين أبناء المجتمع الواحد – الحرص على تحقيق العدل والمساوة في توزيعه بين الفئات والأفراد، فلا يستأثر أحد بالخير دون غيره. بل تتاح فرص متكافئة للجميع، اذ إن العدل هو أساس العمران، وبه تقوم الحياة، وهو الطريق إلى الأمن والأمان، والظّلم -كما يقول ابن

(36) احمد الفنجري، الحرية السياسية في الاسلام، ص123وما بعدها .

(37) أشكال الرق في العصر الحديث https://:www.thenewhumanitarian.org/ar/khbr/18/10/2013/shkl-lrq-fy-lsr-lhdyth شوهد بتاريخ 2023/1/17

خلدون-[38]: مؤذن بخراب العمران

وقد حثّ القرآن الكريم على تحقيق العدل في الأرض، فكان العدل مقصدا أساسيا فيه، وفي كل الشرائع وهو هدف الرسالات الإلهية جميعا، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ .[ الحديد:25]، والقسط هو العدل.

والقرآن قد أمر بالعدل والقسط بصيَغ شتى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾، [النحل:90]﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء:58]،( قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ، الأعراف:29.

وكما أمر القرآن بالقسط، فقد نهى عن الظلم، وحرَّمه أشدَّ التحريم، وذمَّ أصحابه، وتوعَّد عليه بأشدِّ العقوبات في الدّنيا والآخرة: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، آل عمران:57، ﴿أنه لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، [الأنعام:21]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51]﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾، الكهف:59، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل:52.]

والقرآن ينهى المسلم أن يكون ظالما، كما ينهاه أن يكون عونا لظالم، أو يركن إليه، فيشاركه في الإثم والعقوبة، قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾، [هود:113]، والركون هو الميل، فحرَّم مجرَّد الميل إلى الظلمة، ورتَّب عليه أن تمسَّهم النار، ويفقدوا ولاية الله لهم[39].

**وكان من أول مظاهر العدل وثمراته:** أن فرض الله في أموال الأغنياء زكاة التي من مَقاصدها الشّرعيّة أن يتحول الفقير من عاجز إلى قوة فاعلة في المجتمع، والتقريب بين الفوارق والحدِّ من طغيان الأغنياء وتقرير قاعدة لزوم التكافل الاجتماعي المعيشي في ظلِّ المجتمع المسلم، بحيث لا يجوز أن يبقى فيه جائع، وإلى جواره شبعان، وبحيث يتلاحم أفراده تلاحم الإخوة أو أفراد الأسرة الواحدة، بعضهم مع بعض، باعتبار ان (الأخوَّة) الإيمانية هي التي تربط بين الجميع بحبل متين لا تنفصم عُراه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾،[ الحجرات: 10] وقال عليه السلام: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»[40].

ولقد كانت الدولة الإسْلاميّة أول دولة في التاريخ تجيِّش الجيوش، وتعلن الحرب من أجل حقوق الفقراء، قال أبو بكر الصديق: والله لأقاتلن مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقا – عنزة صغيرة – وفي رواية: عقالا – حبل بعير – كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[41].

وبهذا اعتنى الإسلام عناية خاصة بالطبقات الضعيفة في المجتمع، وهي التي نوَّه بها الحديث الشريف، وأشار إلى أهميتها في المجتمع في السلم والحرب، فقال عليه والسلام: (إنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم)[42]، فالرزق والنصر ليس بمجرَّد البركة والإخلاص عند هؤلاء، ولكن إشارة إلى قضية اجتماعية كبيرة: أن هؤلاء هم عمدة الإنتاج في السلم، وعدَّة النصر في

(38) مقدمة بن خلدون، 355/1، المقاصد العامة، ص525.
(39) القرضاوي، دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الاسلامي، ص350 وما بعدها.
(40) فتح الباري، برقم: ٢٤٤٢، 5/386، المظالم، لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.
(41) المصدر السابق، كتاب الزكاة، برقم 1399، 4/4.
(42) المستدرك على الصحيحين برقم: 2677: صحيح الإسناد.

الحرب[43].

وأكّد الإسلام على قوانين التكافل الاجتماعي التي تتجلى فيها كل معاني العدل في العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد وتتحقق بها العدالة الاجتماعية للفئات الضعيفة من إيجاب الحض على طعام المسكين، والحث على الصدقات، والإنفاق والصدقة الجارية، والوقف الخيري، والكفارات و النذور وغيرها[44] .

والناظر يرى أن المصارف التّجاريّة تتقاضى عمولة على جميع أوجه نشاط التعامل معها أما المصارف الإسْلاميّة فتكون عمولتها مطابقة للجهد المبذول، ولكن وللأسف الشديد أصبحت بعض المصارف الإسْلاميّة تأخذ من الفقراء لتعطي الأغنياء، وتتعامل مع القادرين وتهتم في الأغلب بكبار المستثمرين وعدم المبالاة بغيرهم. وهذا السلوك يجافي مقصد العدل في التعامل مع عموم النّاس الذي هو مقصد الشّريعَة الإسْلاميّة، والتصرف الذي يخالف هذا المقصد يعد تصرفا نفعيا مصلحيا يخدم فئة من النّاس على حساب فئة أخرى، ولا يخدم روح الشّريعَة الإسْلاميّة ويحقق الهدف الذي وجدت المصارف الإسْلاميّة من أجلها.

**خامسا: مقصد الرحمة.**

الرحمة لغة: مشتقة من فعل (رَحِمَ) -بفتح الراء وكسر الحاء، والرّحم: علاقة القرابة، ثم سُمّيت رَحِمُ الأنثى رَحِماً لأن منها يكون ما يُرحم ويُرقّ له من ولد[45].

أما الرحمة في الاصطلاح، فهي بالنسبة للمخلوقين: عبارة عن حالة وجدانية لمن به رقّة القلب، وانعطافا نفسيا باعثا على الإحسان إلى الغير[46].

ثبت بالنص والاستقراء أن جلب الرحمة، وتحقيقها، ونشرها، والتعامل بمقتضاها مع كل الخلائق، هو المقصود الأول والأسمى من إنزال الشرائع وبعث الرسل، فالرحمة هي أساس الرسالة المحمدية الخاتمة وهي مقصدا كليا، حيث أنها ملحوظة ومبثوثة في كل مجالات الشّريعَة وتصرفاتها المالية التي تقوم على مقصد الرحمة والتسامح مع الغير[47]. والرحمة ترجمة لخلق محمد عليه السلام (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) الانبياء:107).

قال ابن القيم:(...الشّريعَة رحمة كلها، وأن كل مسألة خرجت عن الرحمة إلى ضدها، فليست من الشّريعَة...)[48].

وجاءت الأحاديث النبوية تدعو لها، وتأكد عليها، قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى)[49].

وعّى الإسلام العظيم في تعليماته وتشريعاته إلى السماحة واليسر ورفع الحرج ,والتعاون

(43) دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الاسلامي، ص 350.
(44) السباعي، لتكافل الاجتماعي 173 وما بعدها.
(45) لسان العرب، ص112/9.
(46) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص 347.
(47) علم المقاصد الشرعية، ص175 وما بعدها.
(48) ابن القيم، إعلام الموقعين، 11/3.
(49) فتح الباري الأدب، رقم: 6011، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، رقم: 2586، )وقال عليه السلام:(**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**)، فتح الباري رقم: 7376، 307/15، ومسلم في كتاب الفضائل رقم: 2319.

وتجنب الربا والاحتكار والغش، وكل المعاملات المحرمة.

قال ابن عباس في تعليل رسالة محمد - عليه السلام - وأنه رحمة للعالمين:(هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدّنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدّنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم )[50].

والناظر في سلوك بعض المصارف الإسْلاميّة يرى أنها تلجأ إلى الحيل ولم تحل مشكلة الفائدة التي هي عمدة عمل المصارف الربوية والتي فيها شقاء الإنسان وعدم مراعاة جوانب الرحمة والرأفة في العلاقة معه، بل وللأسف تتعاطى بعضها الفائدة باسم العمولة ومسميات أخرى مختلفة لا تخلو من الشبهات وإنّ الكثير من العلماء يشككون في شرعية بعض هذه السلوكيات وهي ممارسات خاطئة تسيء للفكر الاقتصادي الإسْلاميّ ولا تحقق مَقاصِدها[51].

## الخاتمة:

لقد رسمت مبادئ البُنوك الإسْلاميّة وأهدافها في أذهان النّاس صورة مثالية لما يجب أن تكون عليه باعتبارها المنقذ والمخلص من جشع البُنوك الربوية، ومشروعا هادفا لعمارة الأرض، وتمكين للتصور الإسْلاميّ الصحيح في إدارة المال بما يحقق مبدأ العدل والتمكين والعمارة وغيرها من مَقاصد الشارع؛ إلا أنه شاب التحريف بعض معاملاتها مما أعطى انطباعا أنها تتساوى إلى حد كَبير في أدواتها ومعاملاتها مع البُنوك التقليدية، فأرى أنه إذا أردنا تصحيح مسارها، وتطوير إدارتها، وتسويغ وجودها كبديل حقيقي عن المؤسسات الربوية ما يساهم في إشباع حاجات الأفراد، ويشارك في حفظ نظام الأمة وقوتها بالعمل على التميز وتطوير نظام اقتصادي إسلامي ينطلق من جوهر الإسلام القائم على مراعاة قواعد وأصول المَقاصد الشّرعيّة مع ضرورة التحديث والمتابعة المستمرة للعمل المصرفي بما يتوافق ورح الشّريعَة الإسْلاميّة وذلك حتى يكون الاقتصاد ربانيا خادما للعقيدة وليس هدفا بحد ذاته فبصلاحه ينصلح المجتمع .يقول ابن عاشور: «وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ...»[52] .

وعليه يجب الانطلاق من عالمية الخطاب القرآني في الاصلاح، ويجب أن تخضع جميع الجوانب المتعلقة بالمصرفية الإسْلاميّة للمنهج الذي رسمه الإسلام كما قال الشاطبي:» كل من ابتغى في تكاليف الشّريعَة غير ما شرعت له، فقد ناقض الشّريعَة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل» [53] .

**وبعد هذا خلص الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات التي يوصي بها وهي:**

1- المَقاصد العامّة هي الغايات الكبرى الثابتة لقصد الشارع من التشريع، وتتحقق بعمارة الأرض وإصلاحها، وذلك بتمكين التصور الإسْلاميّ لتحقيق المصالح الإنسانية وسعادة الإنسان في الدّنيا والآخرة.

2- البُنوك الإسْلاميّة لا تعمل بما فيه الكفاية لتفعيل منظومة القيم التي حثّ عليها الإسلام، والتي أعلنتها في أهدافها بتحقيق قصد الشارع من وجودها.

(50) تفسير البغوي، 95/5

(51) عايد، المصارف الإسلامية ، ص 510

(52) بن عاشور، التحرير والتنوير، 38/1

(53) الموافقات، ج2، ص495.

3- تحتاج البُنوك الإسْلاميّة إلى تحديد المَقاصد العامّة والخاصة في معاملاتها وتعمل على الربط بينهما في تطبيقات المالية الإسْلاميّة المَعاصرة بما يحقق المَقاصد العامّة.

4- توصي الدراسة البُنوك الإسْلاميّة بمراعاة مَقاصد الشّريعَة الإسْلاميّة في التعليمات والإرشادات والنظم الداخلية الصادرة عن المؤسسات المالية الإسْلاميّة وأن تضع نظرية في المَقاصد المالية متفق عليها، كي تخرج من الممارسات الخاطئة التي تسيء للفكر الاقتصادي الإسْلَاميّ.

5- توصي الدراسة البُنوك الإسْلاميّة إلى تبني أهداف التنمية المستدامة وفق القواعد المَقاصدية العامّة للشريعة الإسْلاميّة ليكون لها دور في حل المشاكل التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسْلَاميّة وأن تنتقل من طور المحاكاة والتقليد إلى مرحلة الإبداع والتطوير.

6- وتوصي الدراسة برفد هيئة الرقابة الشّرعيّة بكوادر تمتلك المزيد من العلم والمعرفة في المَقاصد الشّرعيّة لدورها الهامّ في عمل البُنوك الإسْلاميّة.

## المراجع:


1. – المصلح. محمد أبو بكر،2021م، مَقاصِد الخلق الخمسة وجوهر التربية الأصيل – دراسة في ضوء القرآن الكريم، مجلة كلية الشّريعَة والدراسات الإسْلاميّة، المجلد 38، العدد 2، شوهد 2023/1/11م https://islamonline.net
2. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت 808هـ)، 1408هـ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية.
3. ابن منظور. محمد بن مكرم) ت 711هـ (. (د. ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
4. أبو شادي. محمد ابراهيم،1420هـ- 2000م، البُنوك الإسْلاميّة بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية.
5. أشكال الرق في العصر الحديث، 2013/10/18 مقال نشرته شبكة الأنباء الإنسانية (إيرين) شوهد 2023/1/17م على موقع:

https://www.thenewhumanitarian.org/ar/khbr/201318/10//shkl-lrq-fy-lsr-lhdyth

6. الأصفهانى. حسين بن محمد المعروف بالراغب (ت 502هـ)، 1428 هـ - 2007م، الذريعة إلى مكارم الشّريعَة تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام - القاهرة .
7. الأصفهاني. حسين بن محمد الراغب (ت 502هـ)، 1412، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت.
8. أنيس. إبراهيم واخرون،(د.ت) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، دار المعارف مصر.
9. البغوي. حسين بن مسعود البغوي، (ت٥١٠هـ)، 1417 هـ -1997، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.
10. ابن عاشور: محمد الطاهر ت(1393هـ)، (ت.ن)،1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس.
11. البوطي: محمد سعيد رمضان، (د.ت) ضوابط المصلحة، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة.

12. الجويني. عبد الملك، ط4. 1418هـ، البرهان، تحقيق عبد العظيم الديب، الوفاء، المنصورة، مصر.
13. الحسن. نذير،2010 م، أثر مَقاصِد الشّريعَة الإسْلاميّة في المعاملات المالية، رسالة ماجستير، جامعة ام درمان الإسْلاميّة، السودان.
14. الخادمي. نور الدين،1419هـ – 1998م، الاجتهاد المَقاصِدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، سلسلة كتاب الأمة، العددين 65و 66، الطبعة الأولى.
15. الخادمي. نور الدين،1421هـ- 2001م، علم المَقاصِد الشّرعيّة، مكتبة العبيكان الطبعة الأولى.
16. الرازي. لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر،( ت 691هـ )،سنة الطبع 1996م، مختار الصحاح، مكتبة البنان.
17. الريسوني. احمد،1995م، نظرية المَقاصِد عند الامام الشاطبي، الطبعة الرابعة، المعهد العالمي للفكر الإسْلاميّ.
18. الزحيلي: وهبة، 2000م، حق الحرية في العالم، دار الفكر، دمشق، ط1.
19. الزحيلي. وهبة، أصول الفقه الإسْلاميّ، الطبعة الأولى 1986-1406هـ، دار الفكر، دمشق.
20. الزمخشري.جار الله محمود بن عمر( ت 537هـ)،طبعة 1979م، أساس البلاغة، دار صادر بيروت.
21. زمرد. فريدة، أكتوبر 9, 2021م، مفهوم التمكين في القرآن الكريم، شوهد 2023/1/11م، https://maa-allah.com/.
22. السبهاني. عبد الجبار، 1433هـ- 2013م.، الوجيز في مبادئ الاقتصاد الإسْلاميّ، الطبعة الأولى، مطبعة حلاوة، اربد.
23. السبهاني. عبد الجبار،1435هـ- 2014م، الوجيز في المصارف الإسْلاميّة، الطبعة الأولى، مطبعة حلاوة، اربد.
24. السلمي. عز الدين بن عبد السلام (ت 660هـ)، 1980م، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تعليق طه عبد الرؤوف سعيد، مكتبة الكليات الأزهرية، وطبعة دار الجيل، الثانية.
25. السوسي. حسن، 2020م، مَقاصِد الشّريعَة في البُنوك التشاركية التجربة المغربية نموذجا، مجلة المنارة للدراسات القانونية والادارية، العدد (31 مايو/أيار 2020) ص. 92-109، 18صفحة.
26. الشاطبي: إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت: 790هـ) ط 2006م، الموافقات، دار الحديث، القاهرة.
27. الشعراوي. عايد فضل، (د.ن) المصارف الإسْلاميّة، دار البشائر الإسْلاميّة، بدون رقم طبعة.
28. الصلابي. علي، 1425هـ-2004م، اسمى المطالب في سيرة الامام علي بن ابي طالب، مكتبة الصحابة، الامارات.
29. العالم: يوسف، 1412هـ-1991م، المَقاصِد العامّة للشريعة الإسْلاميّة.، المعهد العالمي للفكر الإسْلاميّ، الطبعة الأولى.
30. العسقلاني. أحمد بن علي بن محمد بن حجر، 1993م، فتح الباري شرح صحيح، تعليق عبد العزيز بن باز، دار الفكر، لبنان، بيروت.
31. العلواني. طه جابر، 1421هـ- 2001م، مَقاصِد الشّريعَة، دار الهدى، بيروت، طبعة الأولى.
32. الغزالي: ابي حامد محمد بن محمد، (ت 505هـ)، (د.ت) المستصفى، دار الفكر.

33. الفاسي: علال، (د.ت)، مَقاصِد الشّريعَة الإسْلاميّة ومكارمه، دار الغرب الإسْلاميّ، الدار البيضاء،1993م.

34. فراج. أدهم تمام،2018م، الحفاظ على مَقاصِد الشّريعَة أثره في ترسيخ القيم المجتمعية، مجلة كلية الدراسات الإسْلاميّة والعربية للبنين- جامعة الازهر -القاهرة، عدد35، مجلد4.

35. الفنجري. احمد شوقي، 1403هـ-1983م، الحرية السياسية في الإسلام، دار القلم، الطبعة الثانية.

36. الفيومي. احمد بن محمد بن علي (ت 770هـ)، (د.ت) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار القلم، بيروت.

37. القرضاوي. يوسف،1415هـ-1995م، دور القيم والاخلاق في الاقتصاد الإسْلاميّ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى.

38. القرضاوي. يوسف،1417هـ - 1996م، التوكل، طبعة الفرقان الأولى، العبدلي، عمان.

39. المنذري. زكي الدين ابن عبد القوي،2000م، مختصر صحيح مسلم، عصام الصبابطي؛ دار الحديث، القاهرة.

40. اليوبي: محمد سعيد بن أحمد، (ت. ن) 1418- 1998م، مَقاصِد الشّريعَة الإسْلاميّة وعلاقتها بالأدلة الشّرعيّة، دار الهجرة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية.

41. Ibn Manzoor. Muhammad bin Makram in the year 711 AH. (no date),( Lisan Al-Arab, ) (In Arabic) Dar Sader, Beirut.

42. Al-Hassan. Nazir, 2010 AD, The Impact of the Purposes of Islamic Sharia in Financial Transactions, (In Arabic) , Master Thesis, Omdurman Islamic University, Sudan.

43. Al-Zamakhshari. Jarallah Mahmoud bin Omar (d. 537), 1979 edition, Asas al-Balaghah, (In Arabic) , Dar Sader, Beirut.

44. Ben Ashour. Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher (d. 1393 AH), Date 1984, Liberation and Enlightenment, (In Arabic), Al-Dar Al-Tunisia, Tunisia.

45. Al-Yubi. Muhammad Saad bin Ahmed, (date,1998 AD) the purposes of Islamic law and its relationship to legal evidence: (In Arabic) , Dar Al-Hijrah, first edition, Kingdom of Saudi Arabia.

46. Al-Bouti, Muhammad Saeed Ramadan, (no date) Controls of Interest, (In Arabic) , Sixth Edition, Al-Risala Foundation.

47. Al-Sallabi Ali, 2004 AD, The Name of the Claimant in the Biography of Imam Ali bin Abi Talib, (In Arabic) , Companions Library, Emirates.

48. Al-Shaarawi, Ayed Fadl, Islamic Banks, (In Arabic) , Dar Al-Bashir Al-Islamiyyah, without edition number.

49. Al-Sabhani. Abdul-Jabbar, 1433 AH - 2013 AD., Al-Wajeez in the Principles of Islamic Economics, (In Arabic) , first edition, Halawa Press, Irbid.

50. Anis. Ibrahim et al., (on date) The Intermediate Lexicon, (In Arabic) , Arabic Language Academy, second edition, Dar al-Ma›arif, Egypt.

51. Al-Qaradawi. Yusuf, 1417 AH - 1996 AD, Al-Tawakkul, (In Arabic) , Al-Furqan first edition, Al-Abdali, Amman.

52. Al-Razi: By Muhammad bin Abi in the (d. 691), the year of printing 1996 AD, Mukhtar Al-Sahih, ) (In Arabic )Banan Library.

53. AL mosleh. Muhammad Abu Bakr, 2021 AD, The Five Purposes of Creation and the Essential Essence of Education(In Arabic) , - A Study in the Light of the Holy Qur'an, Journal of the College of Sharia and Islamic Studies, Volume 38, Issue 2, seen 12023/11/ AD https://islamonline.net

54. Al-Isfahani. Hussein bin Muhammad, known as al-Raghib (d. 502 AH), 1428 AH - 2007 AD, The Pretext to Makarim Al-Sharia, (In Arabic) , investigation: Abu Al-Yazid Abu Zaid Al-Ajami, Dar Al-Salam - Cairo.

55. ALkhadme. Noureddine Bin Mukhtar,1421 AH -2001 AD,The Science of Islamic Purposes,(In Arabic),Obeikan Library,first edition.

56. - Zomerald. Farida, October 9, 2021 AD, The concept of empowerment in the Holy Qur'an, (In Arabic) , seen 12023/11/ AD, https://maa-allah.com/.

57. Al-Sabhani. Abdul-Jabbar, 1435 AH - 2014 AD, Al-Wajeez in Islamic Banks, (In Arabic) , first edition, Halawa Press, Irbid.

58. Al-Fangari. Ahmad Shawqi, 1403 A.H.-1983 A.D., Political Freedom in Islam, (In Arabic) , Dar Al-Qalam, second edition.

59. Al-Soussi. Hassan, 2020 AD, Purposes of Sharia in Participatory Banking: The Moroccan Experience as a Model, (In Arabic) , Al-Manara Journal for Legal and Administrative Studies, Issue (31 May 2020), p. 9218 ,109- pp.

60. Al-Qaradawi. Yusuf, 1415 AH - 1995 AD, The Role of Values and Ethics in the Islamic Economy, (In Arabic) , Wahba Library, first edition.

61. Al-Baghawi Hussein bin Masoud Al-Baghawi, (d. 510 AH), 1417 AH - 1997,(Milestones of Revelation in the Interpretation of the Qur'an,) (In Arabic) , achieved by Muhammad Abdullah Al-Nimr, Othman Jumaa Dumayriah, Suleiman Muslim Al-Harsh, Taibah for Publishing and Distribution, fourth edition.

62. ALalem. Yusuf, 1412 A.H.-1991 A.D., The General Purposes of Islamic Law, (In Arabic) , The Global Institute for Islamic Thought, first edition.

63. Fayoumi. Ahmed bin Muhammad bin Ali (d. 770), (no date) Al-Misbah Al-Munir in Gharib Al-Sharh Al-Kabir, (In Arabic) Dar Al-Qalam, Beirut.

64. Alwani. Taha Jaber, 1421 AH - 2001 AD, Maqasid al-Sharia, (In Arabic) , Dar Al-Huda, Beirut, first edition.

65. Al-Salami. Ezz El-Din Abdel-Aziz bin Abdel-Salam (d. 660 AH), 1980 AD, (Rules of Rulings in the Interests of People), (In Arabic) , commented by Taha Abdel-Raouf Saeed, Al-Azhar Colleges Library, Dar Al-Jeel Edition, second.

66. Forms of slavery in the modern era, (In Arabic) , 102013/18/, an article published by the Humanitarian News Network (IRIN), seen on 112023/1/ AD on the website:

67. Al-Asqalani. Ahmad bin Ali bin Muhammad bin Hajar, 1993 AD, Fath Al-Bari, an Bukhari explanation, (In Arabic) , commentary by Abdul Aziz bin Baz, Dar Al-Fikr, Lebanon, Beirut.

68. Al-Munziri. Zaki Al-Din Ibn Abdul-Qawi, 2000 AD, Sahih Muslim Abridged, (In Arabic) , graduated by Issam Al-Sabati; Dar Al-Hadith, Cairo.

69. Al-Isfahani. Hussein bin Muhammad, known as Al-Ragheb (d. 502 AH), 1412, Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an, (In Arabic) , investigation: Safwan Adnan Al-Dawudi, first edition, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut.

70. Abu Shadi. Muhammad Ibrahim, 1420 AH - 2000 AD, Islamic banks between theory and practice, (In Arabic) , Arab Renaissance House.

71. Al-Zuhaili. Wahba, 2000 AD, (The Right to Freedom in the World), Dar Al-Fikr, Damascus, 1st Edition.

72. - Faraj. Adham Tammam, 2018 AD, Preserving the purposes of Sharia and its impact on the consolidation of societal values, (In Arabic) , Journal of the Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys - Al-Azhar University - Cairo, No. 35, Volume 4.

73. Ibn Khaldun. Abd al-Rahman bin Muhammad bin Muhammad, (d. 808 AH), 1408 AH, Divan al-Mubtada wa al-Khabar fi Tarekh al-Arab al-Berbar and their contemporaries of great importance, (In Arabic) , investigation by Khalil Shehadeh, Dar al-Fikr, Beirut Edition: second.

74. Al-Juwayni, Abd al-Malik, 4th edition. 1418 AH, Al-Burhan, (In Arabic) investigation by Abdul-Azim Mahmoud Al-Deeb, Al-Wafaa, Mansoura, Egypt.

75. ALkhadme. Nur al-Din, 1419 AH - 1998 AD, al-Ijtihad al-Maqasid, its authoritativeness, its controls, its fields, (In Arabic) , The Ummah Book Series, Issues 65, 66, first edition.

76. Al-Ghazali. Abi Hamid Muhammad bin Muhammad (d. 505 AH), (Dr. T), Al-Mustafa, (In Arabic) , Dar Al-Fikr.

77. Al-Shatby. Ibrahim bin Al-Lakhmi Al-Gharnati (d. 790 AH) edition 2006 AD, Al-Muwafaqat, (In Arabic) , Dar Al-Hadith, Cairo.

78. Al-Fasi. Allal, (no date.) The Purposes and Honors of Islamic Sharia, (In Arabic) , Dar Al-Gharb Al-Islami, Casablanca, 1993.

79. Al-Raysouni. Ahmed, 1995 AD, Theory of the Purposes of Imam Al-Shatibi, (In Arabic) , Fourth Edition, International Institute of Islamic Thought.

80. Al-Zuhaili. Wahba, first edition 14061986- AH, Fundamentals of Islamic Jurisprudence, (In Arabic) , Dar Al-Fikr, Damascus.

# شعرية المرجعي في رواية مسك الليل لسعيد بن سعيد العلوي

إعداد:
سعيد البوبكري
كلية الآداب بن مسيك -جامعة الحسن الثاني/ المغرب

الاستلام: 1.3.2024 القبول: 12.4.2024

**المستخلص:**

تعد الكتابة الروائية إبداعا سرديا مناط به أن يستعين بمجموعة من الميكانزمات والآليات في الكتابة، وهو بذلك لا يقدم دلالات ثابتة ومطلقة، وهذا ما يحتم على القارئ محاولة كشف مدلولات النص، من خلال اعتباره عملا إبداعيا يتوسل بسلطة الرمز وجمالية التعبير دلاليا وفنيا. وهذا ما يفسح لنا المجال لقراءة رواية «مسك الليل» لسعيد بنسعيد العلوي، من منطلق الإمكانيات التي يقدمها علم السرد، لتقديم أجوبة عن الأسئلة التي يطرحها النص، وخاصة الاشتغال التراثي والتاريخي في الحكاية، وبما أن النص الروائي يقبل بتعدد القراءات في إطار التأويل المنفتح، تبقى القراءة التي تحترم نفسها، هي تلك التي تؤمن بأهمية ومكانة القراءات الأخرى، وتنفتح عليها وتناقشها وتحاورها.

**Summary:**

Fiction writing is a narrative creativity that relies on a variety of mechanisms and techniques in writing, thus not offering fixed and absolute meanings. This requires the reader to attempt to uncover the meanings of the text by considering it as a creative work that appeals to the authority of symbolism and the aesthetic of expression semantically and artistically. This allows us to read the novel «Musk of the Night» by Saeed bin Saeed Al Alawi, based on the possibilities offered by the science of narration, to provide answers to the questions posed by the text, especially the heritage and historical engagement in the story. Since the narrative text allows for multiple readings within an open framework of interpretation, a respectful reading is one that acknowledges the importance and position of other readings, and engages in discussion and dialogue with them.

## 1. مقدمة:

تحيل العديد من الدراسات النقدية إلى كون الخطاب السردي الروائي يعتبر أكثر الأشكال تعبيرا وتبليغا وتشخيصا، لمظاهر التحول في المشهد المجتمعي الإنساني، ومنه فالرواية لا ينبغي أن تبتعد عن الحياة، كما تنادي بذلك فيرجينيا وولف، وذلك انسجاما مع منطق الجنس الروائي المؤهل في كليته إلى احتواء مجموعة من القضايا الإنسانية، سواء ارتبطت بالماضي أو ارتطمت بالراهن من خلال تنويع أساليبها السردية وأشكالها الحكائية.

فالكتابة الروائية تضل إبداعا سرديا مناط به أن يستعين بمجموعة من الميكانزمات والآليات

في الكتابة، وهو بذلك لا يقدم دلالات ثابتة ومطلقة، وهذا ما يحتم على القارئ محاولة كشف مدلولات النص، من خلال اعتباره عملا إبداعيا يتوسل بسلطة الرمز وجمالية التعبير دلاليا وفنيا. وهذا ما يفسح لنا المجال لقراءة رواية «مسك الليل» لسعيد بنسعيد العلوي، من منطلق الإمكانيات التي نتوفر عليها، لتقديم أجوبة عن الأسئلة التي يطرحها النص، وبما أن النص الروائي يقبل بتعدد القراءات في إطار التأويل المنفتح، تبقى القراءة التي تحترم نفسها، هي تلك التي تؤمن بأهمية ومكانة القراءات الأخرى.

وانطلاقا من ذلك فإن هذا البحث لا يخلو من أهمية وتتعلق في مقاربة أول عمل روائي لرجل أكاديمي ومؤرخ، حيث تعتبر رواية مسك الليل المحطة الأولى التي يدخلها الكاتب سعيد بنسعيد العلوي، بعد انتقاله من حقل الفكر والفلسفة إلى حقل التخييل السردي الروائي، الذي دخل مغامرة التجريب بانفتاحه على أسئلة الكتابة التي أصبحت استراتيجية سردية، وموضوعا تشخيصيا لحالات الوعي الممكنة، وبالتالي محاولة الكشف عن الكيفية التي ينتقل من خلالها الكاتب من كتابة التاريخ إلى كتابة الرواية، وهل يقدم معرفة تاريخية من خلال الرواية، وبناء عليه فإن هذه الدراسة تهدف إلى البحث في أشكال وطرق اشتغال التراث العناصر المرجعية والتاريخية في رواية مسك الليل، وتسعى إلى البحث في الشعرية أي الأسلوب الذي تقوم عليه ومن خلاله الرواية، وذلك عن طريق إبراز حدود التخييل وحدود التاريخ في الرواية، معتمدين في ذلك علة منهجية مفتوحة وخاصة الاعتماد على ما يقدمه علم السرد من مفاهيم وتقنيات سردية، كل ذلك من أجل التحقق من فرضيتين أساسيتين وهما: أن النص الروائي مبني أساسا على المكون التاريخي والتراثي؛ والفرضية الثانية كون هاذين المكونين ساهما في خلق أسلوب ماتع، حيث يصعب على القارئ أن يعي انتقال الكاتب من الواقعي التاريخي أو المرجعي إلى الخيالي، وبالتالي قدرة عالية يتملكها الكاتب على الإيهام بواقعية الأحداث بالرغم من كونها خيالية، أو العكس.

## 2. تأمل النصوص الموازية:

انطلاقا من إطلالتنا على عنوان الرواية «مسك الليل» يشد انتباهنا هذا المكون الرئيس، إذ يعتبر نصا موازيا لا يسعنا أن نغفله لما له من أهمية في تأطير النص وتكثيف دلالاته النصية المتعددة، وبذلك تذهب الباحثة كارلا كاربوني في مقالتها «عناصر تحليل النص الروائي»، إلى القول: «إن موازيات النص هي المكان الذي يربط فيه عقد القراءة بين الكاتب والقارئ، وهذا العقد هو الذي يوجه القارئ إلى تكوين أفق انتظار معين حول النص، أي إلى حقل من الإمكانيات التي ترسم للقارئ قبل أن يشرع في عملية القراءة»[1].

وهذا معناه أن الاهتمام بالنصوص الموازية باعتبارها نصوصا خدومة للنص الأساسي يجب أن ينطلق من زاوية « الحرص على وضعها الدائم في مكانها الصحيح، باعتبارها نصوصا موازية للنصوص الفعلية، وأنها تدخل معها في علاقة دينامية متبادلة، وأنه ليس من الضروري دائما أن ننظر إلى التفاعل من زاوية هيمنة جهة، بل من زاوية قيام كل بنية بدورها في عملية الاستقبال والتلقي والتأويل».[2]

لذلك فإن المقاربات النقدية يجب أن تولي اهتمامها إلى النص في شموليته، باعتباره يشكل

(1) carla cariboni kilander, Element pou l'analyse du Roman, 2013, p :02

(2) نقلا عن عبد الرحمان تمارة، السرد ودلالة، دراسة في تأويل النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب. ط1 2018، ص:28

نسقا دالا في كليته.

**أ) دلالة الموقع الطبولوجي لاسم المؤلف:**

يحتل اسم المؤلف موقعا طوبولوجيا بارزا (سعيد بنسعيد العلوي) بحيث يشرف على غلاف الرواية، وهذا ليس فعلا اعتباطيا، بل يشكل فعل منهجي ذو دلالات قوية، فالنظام التلفظي، لا يكتسب نصيته من بنيته الداخلية فحسب كما يرى بذلك أحمد فرشوخ، بل يتدخل فيها كذلك منتجه ليضيء بدوره النص، وذلك بغية تثبيت شرعية النص حتى لا يوسم بالمجهول، إذ القارئ لا يستسيغ نصا مفارقا لمؤلفه، حتى لا يظل معناه مرهنا، إلى جانب اعتبار المؤلف قيمة متعالية على النص، فهو الذي يملك ناصيته ودليله.

**ب) التجنيس:** يعلن النص من خلال غلاف الكتاب عن انتمائه إلى جنس الرواية، وهو مظهر من مظاهر التعاقد بين المؤلف والقارئ، والذي يساهم في توجيه عملية القراءة وتحديد إطارها النوعي، فهل سيفي النص بهذا الميثاق؟ من خلا محافظته على انتمائه إلى موطنه الأصلي؟ أم أنه سيخترق صفاء النوع الروائي؟

**ج) تشييد دلالة العنوان:**

يشكل العنوان إحدى العتبات الأساسية التي لابد للباحث من الوقوف عندها قبل الولوج إلى عالم النص. ومنه فالعنوان يندرج ضمن المتعاليات النصية، إذ يشير إلى بنية كبرى تختزل النص عبر علاقة توليدية تنهض بالتحفيز الدلالي، وتشهد على عناصر انسجام الخطاب محققة عبر اشتغالها النصي لوظائف عدة تشمل الوظيفة المرجعية المبئرة للموضوع والوظيفة الإفهامية المستهدفة للمتلقي وكذا الوظيفة الشعرية المحيلة على الرسالة ذاتها»[3]. وبذلك فهو نص مؤطر للنص الروائي بل الأكثر من ذلك أنه « يسمي النص ويضيء العتمات ويهدي القارئ باعتباره مرشدا، والنص يسهم في خلق مزايا متعددة للعنوان بحيث يتحول إلى فضاء تتلاقى عنده العديد من أنماط القول، كما يشكل العنوان جزءا لا يتجزأ من الجهاز النصي الملحق ولتدقيق أكثر يتم إدراجه ضمن خانة النص الملحق المباشر. ونظرا لأن العنوان يحدد النص برمته ويعوضه فإنه حسب ليو هوك **Leo h-hook** هو الأثر»[4].

من هنا ضرورة استهلال دراسة النص بدراسة عنوانه لما للعنوان من أولوية على كل العناصر الأخرى المكونة للنص، (فهو يشغل موقعا طوبولوجيا قويا)، إذ ليس العنوان مجرد ذلك العنصر (من عناصر النص) الذي يدرك للوهلة الأولى، كما أنه عنصر سلطوي يمنهج عملية القراءة.

تتميز هندسة العنوان «مسك الليل» في اكتسابها لموقع طوبولوجي بارز، ناهيك عن كتابته بخط عربي كلاسيكي بلون أسود غامق ومضغوط، مما يفتحنا على قراءة ممكنة تستنطق اللون الأسود من زاويتين:

أولا باعتباره لون كلاسيكي يكني على عبق التاريخ وألق الماضي، والتساؤل حول الأفق

ثانيا تجعل من اللون الأسود إحالة على التعقيد والتأزم وإعادة البحث عن الحقيقة الغابرة من منطلقات عقلية.

(3) أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، مقاربة تحليلية لرواية "لعبة النسيان"، دار الأمان، الرباط، 1996، ص: 22

(4) عبد النبي ذاكر، إسبانيا والمغرب نظرات متقاطعة، منشورات الزمن، سلسلة 44، 2014، ص: 15

يتميز هذا العنوان «مسك الليل» بتوليد العديد من القراءات فهو ذو طبيعة موضوعاتية مجازية كما يلعب على عنصر الإحالة، حيث يحيل مسك الليل هنا على موضوعة بارزة يحاول النص أن يلامسها إلى جانب العديد من الموضوعات الأخرى، إنها موضوعة الوطن الذي كلما ابتعدنا عنه إلا وتتأهب عواطفنا بروائحه، سواء أكان غاصبا أو مغصوبا.

فمسك الليل تعبير عن النبتة المتميزة التي ترتفع نفاذا قويا كلما ازددنا منها ابتعاد، فريحها لا يفوح متى كنا شديدي القرب منها، في ضوء الشمس وطيلة اليوم، إن مساره التوليدي في تشييد معناه لا يبدأ إلا بسطوع الليل.

إن العنوان يوحي بسيرورة السرد المندرج ضمن التفكير في زمن الما قبل، الزمن الذي يعود إلى الارتماء في كنف الماضي، بيد أن بعض المتتاليات السردية تجعل بنية العنوان مزدوجة زمنيا: يشكلها عمل الذاكرة المرتبط بالاسترجاع والتذكر، كطرف للمعادلة القائمة على استشراف زمن يمتاز بالتحول والتطور. جاء في الحركة الأولى من الرواية: « تعبت في اليومين الماضيين تعبا شديدا فيما كنت أصر على نقل الخطو صعودا ونزولا في شارع الجمهورية، أتفحص الوجوه، أفكر في الثياب العتيقة العربية والبربرية وفي أدوات الطبيخ والغزل والحياكة وفي الطبخ أتذكر وجه أمي وأناس قريتي...»[5] .

عموما تعد عملية تحليل هذا النص الروائي «مسك الليل» عملية قد تكون شاقة، نظرا لما يخلقه من دهشة عند قراءته باعتباره يحفل بنوع من التداخل بين الروائي والرحلي، والمحكي الذاتي من جهة أخرى، كما نلاحظ أن عبور الروائي من المحكي الذاتي إلى الر حلي إلى الروائي، يتم عبر مراحل انتقالية لا يكاد يحس بها القارئ، وهو ما يشير إلى حضور قوة تخييلية تدفع السارد أن يحتفظ بكل الحوادث والتجارب الحياتية من أجل تشييد نموذج متبنين.

إن استحضار المكونات السردية السابقة وتفاعلها وانسجامها داخل النص الروائي هو ما نقل النص من الانغماس في التاريخ إلى مستوى الإبداع الروائي.

فما هي الميكانزمات الفنية التي يتموضع من خلالها الخيال في المشهد السردي؟

### 3) بناء النص:

استند البناء النصي للرواية إلى الشكل الموسيقي الحركي المقطعي، حيث جاءت الرواية في إطار خمسة حركات تحاول أن تشكل سمفونية موسيقية تنبني على الشكل المقطعي، معتمدا في ذلك الكاتب على مجموعة من الميكانزمات تعد بمثابة آلات موسيقية يعزف عليها المبدع بطريقته الخاصة.

إن البناء الحركي المقطعي سيشكل البنية السطحية للرواية فحسب، في حين سيشكل المكون الرحلي البنية العميقة للرواية منذ بدايتها حتى النهاية.

فالحركات الخمس ستشكل مفاتيح نصية انطوت خلفها مجموعة من الرحلات توزعت عبر محطات جزئية بين فعل السفر المادي، وبين السفر الذهني من خلال حركة الذاكرة الموشومة بتداعياتها المختلفة.

لقد ظل المكون الرحلي حاضرا على طول الرواية، فكان بذلك محددا للرؤية السردية

(5) الرواية، ص: 26

والموقف الفكري والبعد الدلالي، وبذلك أصبح هذا المكون مولدا للحكي بل وضامنا لديناميته. إلى جانب ذلك شغلت الإحالات المرجعية التي يستند إليها المكون الرحلي عنصرا أساسيا في طرح العديد من القضايا الكبرى التي تمس قضية الوطن والهوية، ثم مسألة الخصوصية، إلى جانب علاقة الأنا بالآخر، وهذا ما يدل على إطلالة النص على التاريخ دون أن يكون نصا تاريخيا، وذلك باستحضار فضاءات مرجعية وشخصيات لها وجود فعلي واقعي في التاريخ.

تسهم القراءة الفاحصة والمتأملة في الخطاب الروائي لسعيد بنسعيد العلوي وخاصة في رواية «مسك الليل» في الكشف عن حضور بارز للواقع والتاريخ، بمختلف تجلياته من خلال الإحالات المتعددة لأحداث ولشخصيات ومواقف سياسية وفكرية عرفها المغرب المعاصر، إلى جانب هذا المعطى فإن عناصر أخرى تسجل حضورها من قبيل مكون الانشطار والتنسيب، ثم التدويت ... بل هي المكونات البنائية التي منحت الرواية خصوصيتها على مستوى الرؤية والتعبير.

إن القارئ العربي الذي يعرف سعيد بنسعيد العلوي في أعماله الفكرية التي تطرح أسئلة جوهرية على الواقع العربي، من خلال تحليل بنياته السياسية والأيديولوجية في محاولة زحزحت الثوابت الماضوية التقليدية، من خلال ضرب فكرة تمركز الإشكالات. يطرح سؤالا حول سعيد بنسعيد العلوي في ما جادت به مخيلته على مستوى الرواية، «فبعد أن كان المضمون الوطني السياسي مهيمنا وملهما، في آن واحد، لجل الروائيين، أصبح الشكل هو نقطة الارتكاز التي دونها لا يأتي ولوج فضاء الرواية بمختلف أبعادها الإيديولوجية والرمزية»[6].

ومنه فإذا كانت الموضوعات التي تقاربها رواية مسك الليل مستهلكة في روايات سابقة عليها من طرف مجموعة من الروائيين، فمن أين تستمد حداثتها الروائية.

«حقا إن الحداثة في الرواية العربية المعاصرة تتحلى في الدرجة الأولى في عنايتها بالمعمار العام، وبالسرد على مستوى الأدوار والشخوص، والنماذج اللغات والصيغ...»[7]

تشهد رواية مسك الليل تنوعا في التقنيات المستعملة من لدن سعيد بنسعيد العلوي، وعلى رأسها الانشطار **la mise en abyme**، حيث «مسك الليل» محكي رئيسي يتكون من عدة مقاطع يتناول كل منها طورا من أطوار العلاقة بين جرار لومارشان وزيارته الأولى إلى الرباط، وإلى شمال إفريقيا ككل، وتوجهه إلى مكتب ديوان السيد المدير العام، طلاندي، ويعرض من خلال المقطع الأول من الحركة الأولى عن الخلاصة التي انتابت عن ذلك اللقاء بتكليف السيد جيرار لومارشان بالتدريس للغة الفرنسية في كوليج مولاي ادريس زرهون بمكناس الذي كان اختياره الأول والآخر، بعدما قرأ عن سحر المكان من خلال الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المغرب، إذ نقرأ في الرواية «عفوا سيدي، أعتذر عن الوقت الكثير الثمين الذي أخذته من سيادتكم ... أود أن أسأل، بشكل مباشر، ما إذا كان في الإمكان الحصول على منصب مدرس للتاريخ والحضارة، أو اللغة الفرنسية أو ربما بالترجمة في كوليج مولاي إدريس زررهون»[8].

وتتفرع عن طريق الانشطار عن هذا المحور الأساسي محكيات صغرى تدور في فلكه، إذ نجد محكي الكموندان غاسطون أوليفي، الشخصية التي تخلق في النص لتفتح لجيرار لومارشان

(6) أحمد اليابوري، دينامية النص الروائي، منشورات أتحاد كتاب المغرب، ط1، 1993، ص: 44
(7) نفسه.
(8) الرواية، ص: 17

ما ستغلق عليه في مدينة مكناس العصمة الإسماعيلية.

«شكرا جزيلا يا ... غاسطون...كما ترى دون ألقاب ولا مجاملة سخيفة كما تقول، أرحب بالدعوة وأفرح لها.

-حسنا إذن سآخذك في سيارتي (سيارتي المدنية من طبيعة الحال) ... سنجول في منطقة أدعوك لا كتشافها».[9]

إلى جانب محكي ديبون التاجر الخبير الذي ينتمي إلى نفس المدينة التي تنتمي إليها والدة جيرار لومارشان، يعرف منطقة كولمار حق المعرفة، ديبون سيقترح صفقة على السيد جيرار لوماراشان، إن كان يفكر في بيع مطعم الجد في كولمار،

إلى جانب قصة مسيو كوزان مدير الكوليج الذي استطاعت زوجه في وقت وجيز أن تجد له حلا لمسألة السكن.

إلى جانب محكي الجنرال الذي يحكم مدينة مكناس وزوجته.

في مستهل الحركة الثانية تظهر محكيات أخرى من قبيل قصة سيدي جعفر وزوجته لالة رقية، ثم محكي ابنه حمزة وزوجته حبيبة التي ستغدر به وستهرب مع عشيقها، تاركة الولد محمود يتيما يتما غير مكتمل.

ثم محكي رحيمو في علاقتها بسلام الذي سيقتلها لأنه شك في أنها تخونه

محكي محجوبة الجنية التي تعرف كل شيء عن مولاي ادريس زرهون

محكي مسعودة في علاقتها بسيدي محمود ولالة رقية ولالة أم هاني

الحركة الثالثة تتضمن في ثناياها العديد من المحكيات الخاصة بطفولة محمود وتربيته في بيت جده سيدي جعفر، وبعلاقته بالجد والجدة، ولالة مسعودة وصديقه عبد الوهاب. ثم بصديقه عبد الرحمان في ما بعد في إطار رحلتهما إلى مدريد.

الحركة الرابعة تركز على محكي حمزة ابن سيدي جعفر الشاب الظريف الذي عشقته الجنية كما يرد على لسان الأهالي، الذي خانته زوجته وابنة خالته فهربت مع عشيقها.

ثم محكي لالة أم هاني، ومحكي مسعودة، ومحكي لالة الباثول.

الحركة الخامسة: ستعود إلى المحكي الرئيس، محكي جيرار لومارشان وعلاقته بالمدينة المقدسة وبأهالي المدينة، ثم عن علاقته بمونييك، إلى جانب حضور مستوى الحكي الذي تمثله أسطورة الضريح، ضريح مولاي إدريس زرهون أو الحرم كما يسميه سيدي جعفر والحاج العربي، الضريح الذي يحرس المدينة.

في مستوى أخر من الحكي يوظف الحلم كمنطلق نحو فضاء أرحب وأوسع « عيناك وحدهما يا مونييك تنتشلاني من وحدتي. أهرب من لهيب النار مستجيرا بهما فتلقيان بي في لجة الموج، أغرق في البحر، تتقاذفني الأمواج بعيدا .. عيناك مونيك مرفأ وسفينة. سكون وإعصار. ثلج ونار. طوق نجاة وقيد حديد. يسحبني، مشدودا إلى صخرة سيزيف، إلى أعمق أعماق المحيط.. هل كان حلما؟ كان وهما؟[10] ومنه ما هي وظيفة هذه المحكيات الصغرى التي تتشعب

(9) الرواية، ص: 37

(10) الرواية، ص: 262/263

وتنشطر عن محور الحكي الرئيس مشتغلة وفق قوانين التكرار والتكثيف والاستشراف بصفة عامة؟

من خلال طرحه لهذا السؤال يجيب أحمد اليابوري بقوله:»إذا ما تجاوزنا وظيفة الإنارة التي تشير إليها بعض الدراسات النظرية، مركوة على الطابع الأطروحي للنص، فإن التفسير، وفق الوظيفة الجمالية، يطرح مسألة تلوين البنيات الحكائية وتنويعها، بينما تعتبر الوظيفة التكوينبية أن المحكيات المنشطرة، داخل الرواية بمثابة رحم لتكون النص، ويرى آخرون من زاوية مغايرة أن المحكي المتفرع عن الرحم الرائي الأصلي، صوت نبوئي يحكي عن المستقبل في صيغة الماضي، عن طريق الاستشراف».[11]

تشتغل تقنية الانشطار التي تصبح سمة للمحكي الذاتي المونولوجي في أفق خلق تعددية ضمائرية في تنوع الخطاب وفي تركيبة اللغة وتخلق حوارية داخلية من جهة (حالة انشطار الذات وحوارية ملفوظية، فانشطار الذات إلى ذاتين سمح بتفعيل ضمير المخاطب الذي يأتي بألوان متعددة، إذ يعبر عن الذات الأخرى للسارد الذي يتوجه إلى ذاته لمحاورتها ومسائلتها.

ونقرأ في الرواية: « هل أحببت البيت نشأت فيه أم كرهته؟

لست أدري، لست متأكدا من شيء، طفولتي غصة في حلقي...

ما أزال حتى اليوم، دون نجاح في ذلك أسعى إلى الهرب من ذكرياتي القريبة، حيث وعي الأشياء ينهشني، إلى الذكريات البعيدة حيث تحضر الروائح المختلفة...[12]

«هجم وعي الأشياء المدمرة دفعة واحدة وعي ينهشني مثل الأفعى القاتلة، أمي ليست ميتة، أمي موجودة

أبي ليس مسافرا في بلاد الله البعيدة (لم يقل لي أحد، في طفولتي الأولى أين توجد بلاد الله البعيدة) أبي موجود حي، في الفلاة تائه، أمي أمي، نعم أمي هربت ... مع عشيقها».[13]

هذا المعطى يشكل حقيقة الواقع الأسري لمحمود الطفل الذي عاش يتيما وأمه وأبوه على قيد الحياة، الواقع المهشم والمضمحل هو الذي سيلعب دورا حاسما في تشكيل شخصية محمود المضطربة وهذا كله سيجعله يكره ذكرياته القريبة.

يقول النص: « الذكريات القريبة، تلك أكرهها حتى الموت، تلفها قتامة تدفعها، في كل الاتجاهات، ريح قوية.»[14]

«إن هذه المحكيات المتشعبة تصبح نتيجة لذلك، وفق تعبير كولن أشبه ما تكون بعدسات التصوير المقربة والمكبرة التي تساعد القارئ على استجلاء جزئيات الأحداث وأدق ملامح الشخصيات والغوص في الفضاء العام للرواية للإلمام بأبعادها الأسطورية».[15]

إن البناء الروائي في رواية مسك الليل «القائم على الانشطار يعرض المقاطع السردية للتوقف تارة والخلخلة تارة، بحيث تبدو الشذرات المتناثرة عن فقرات متقطعة، شبه حلقات متداخلة لا

(11) أحمد اليابوري، دينامية النص الروائي، منشورات أتحاد كتاب المغرب، ط1، 1993، ص: 47
(12) الرواية، ص: 118/117
(13) الرواية، ص: 118
(14) الرواية، ص: 119
(15) - أحمد اليابوري، دينامية النص الروائي، منشورات أتحاد كتاب المغرب، ط1، 1993، ص:48

تعكس حقيقة تاريخية، بقدر ما تقدم صورة عن التاريخ من خلال أسطرة الواقع».[16]

وبذلك نلاحظ أن السرد في الرواية يأخذ مسارا أفقيا يواكب الحدث المتصل بالمحكي الرئيس والمحكيات المتشعبة عنه.

إلى جانب الانشطار تسجل أيضا تقنية التنسيب حضورا لها في النص خاصة على مستوى الأصوات السردية، حيث تتداخل الأصوات السردية بدرجات تكاد تكون متجانسة، وهو ما يتيح تناسب على مستوى وجهات النظر، مما يعطي للنص من الوجهة الاستطيقية بعدا بلاغيا يجعل من الجمل السردية زئبقية ومرنة، لا تعكس الواقع بشكل حرفي، بقدر ما تحاول أن تقدمه في قالب إشكالي.

على مستوى مجموعة من المقاطع السردية من الرواية، وخاصة المقطع الأول من الحركة الأولى، والمقطع الثاني من الحركة الخامسة الخ نسجل حضور لأساليب الحوار والمونولوج الداخلي والسرد، ترسم شكلا دائريا يلتبس أحيانا وينفرج في فقرات أخرى.

وأحيانا يتداخل لحوار والمونولوج في بعض الفقرات محدثا بذلك تواشجا يجعل لحوار داخليا والمونولوج حواريا.

«توقف لحظة قبل أن يضيف ضاحكا ويده تمتد لرفع سماعة التيلفون فقط يا سيد لومارشان هناك شيء. قد ينقلب الحلم في بعض الأحوال إلى كابوس كما تعلم.

همهمت بالانصراف لكنه استوقفني كانت المكالمة قصيرة وأجوبة مقتضبة ملغزة، أعاد سماعة التيلفون إلى مكانها ثم هب واقفا، وقفت بدوري مغمغما بسيل عبارات الشكر. أنتزع طلانديي ابتسامة من وجهه الذي أخذ في التجهم، مستعيدا نبرته العسكرية». [17]

على مستوى عنصر الزمن يبرز عدم تقيد الكاتب بزمن أحادي واضح المعالم، وبالتالي فإن تداخل الأزمنة في فقرات سردية، يفسح المجال لتأمل الماضي في صيغة الحاضر وصورة الحاضر في الماضي.

هناك زمان أساسي يؤطر الرواية، وهو ما قبل الاستقلال، أي مرحلة الاستعمار الفرنسي على المغرب، وهي المرحلة التاريخية التي تميزت بالعديد، من الأحداث التي يحاول الكاتب أن يعرضها. وهذا الزمن هو الذي يؤطر الرواية في كليتها. ومن هنا يحضر الماقبل لركيزة تعتمد عليها الرواية.

« أخبار الانفجاريات والاغتيالات تسود صفحات لوبوتي ماروكان لا فيجي «ليكو». تشغل «راديو ماروك» الصفحات الداخلية في «لوموند» و«فيغارو» تنضح بأنباء العنف والإرهاب.

إرهاب أم مقاومة؟ (استعمار أم مهمة تحضيرية).

وعلى مستوى اللغة فإن رائحة المسك تنبع منها، فهي لغة ثابتة المرجعية والمعجم، حيث تتغدى اللغة السردية في النص من لغة فصيحة. وبالرغم من ذلك يتدخل العامي المحلي والفلسفي، والشعبي، والسوقي... وتبدو لغة التصوف كجسر يربط شتات اللغات الأخرى. وينحتها بطابعه الخاص.

من هنا نسجل حضور موازنة جزئية بين لغة التراث ولغة السياسة، وللتدقيق أكثر فإن اللغة

(16) نفسه.
(17) الرواية، ص: 19

السردية تتغذى كإيقاع الحالة، التي تعيشها الذات (جيرار لومارشان، الشخصية السارد) في النص علاقتها بماضيها وذاكرتها. ونفس الشيء يصدق على الذات (محمود، الشخصية السارد أيضا)، باعتبار تأثر الشخصيتين بمختلف الوضعيات النفسية التي تكون عليها الذات في لحظة البوح/ الاعتراف، إنها تأخذ طابع الحالة أو الوضعية. وتعبر عنها بمواصفات ذات علاقة بالحوار والمونولوج الداخلي والتذكر، والاسترجاع، والمحكيات النفسية والاستهامات والتساؤلات والحوارات المستعادة، والعجائبي والتصوفي، مما يبعد عن هذه اللغة طابع التقريرية، ويجعلها تنخرط في تعددية الإيحاء، الذي يتولد عن شكل العلاقة بين الذات وبين هذه الحوارات لحظة الحكي، وتأخذ اللغة السردية من هذه الخطابات عناصرها التكوينية والإنبنائية.

وذلك ما ذهب إليه جان كلود مارتان بقوله «ربما ننتهي بالإنصات إلى ما كتبه جان هيتيه خلال عام 1928، أي قبل خمسة وأربعين سنة: «إذا كانت الرواية تهدف إلى الحياة، فلا ينبغي أن تكتب على شكل تقرير، بل يجب أن تدير ظهرها عن القانون المدني، وسيكون لها بذلك فضائل أخرى... إننا نفضل اللوحة السمفونية التي تنتج عن التوازن والتعديل المثير للإعجاب.»[18]

ذلك ما سعى حوله سعيد بنسعيد العلوي في «مسك الليل» من خلال بناء سمفونية ناتجة عن التوازن المثير للإعجاب الذي خلقته اللغة بمعاييرها البلاغية التي استطاعت أن تسمو بالمرجعي الواقعي إلى درجة الإبداع الفني الجمالي، فخلق بذلك شعرية لها خصوصياتها المميزة.

### 4) تيمة الغرب:

يمكن أن نقول مع أحمد اليابوري « إن تيمة الغرب تكاد تكون مستهلكة في الرواية العربية، إلا أن كل نص روائي يتناول ذلك الغرب، تحت ضغط أسئلة خاصة، يطرحها الواقع، خارج دائرة الأجوبة الجاهزة التي يقدمها تراث الماضي».[19] وتحضر هنا في مسك الليل نقطة طوبولوجية تلتقي عندها الذات والتراث والغير، وكل الشخصيات على تعددها تتحرك في حوار أو جدل، في انسجام أو توتر، مع اللحظة الحضارية المتفردة الناتجة عن ذلك اللقاء.

مع قراءة الرواية تطلع لنا صورة عن الغرب في (الاستعمار أو الحماية أو المهمة التحضيرية) وكلها مسميات لغاية واحدة، هذا الجزء من الصورة يشكل خلفية للتاريخ وللنص المتخيل.

الاستعمار في الرواية يعادل الشماتة والنصب والاستغلال على جميع المستويات، ويتجلى ذلك من خلال هذه الفقرة. « ديبون تاجر أولا وأخيرا، قدم إلى المغرب، مثلما قدم إليه الكثير من الفرنسيين في العشرينيات والثلاثينات. الكثير منهم اشتغل بالتجارة أو امتهن حرفة تفيد الأوروبيين، فيما الساكنة الأصلية للبلد تجهل تلك الحرفة أو لا تقدر أهميتها حق قدرها. إلا ما كان من اليهود طبعا. حسهم التجاري عال جدا، خطير جدا».[20]

ومن جهة أخرى يعادل القهر والاستعباد واحتقار الآخر وذلك من خلال الصورة التي تقدمها الفقر التالية:

«طالعتني صورة كبيرة لأحد الطالبين في صفحة « مكناس والنواحي» في جريدة لوبوتي

(18) Martin Jean-Claude. Les narrateurs du nouveau roman. In: Cahiers de l'Association internationale des études francaises,1984 , n°36. p. 83.

(19) أحمد اليابوري، مرجع سابق، ص: 51

(20) الرواية، ص: 59

ماروكان، تعليق بأحرف بارزة ثم إلقاء القبض على المدعو ...متلبسا بجناية إهانة وضرب ضابط سام في جيش الجمهورية الفرنسية، حدثت الجريمة على مرمى ومسمع من المواطنين في المدينة الجديدة. تمت إحالة الجاني على المحكمة العسكرية في الدار البيضاء.

جان وضابط سام وإهانة. ومحاكمة عسكرية. إقبار في السجن ونهاية حياة. في مساء اليوم نفسه...

طفر الدمع إلى عيني ساخنا، احتقنت وجنتي. داهمني الشعور بالغثيان والاختناق. هاجمتني صورة أنطوان روكانطان مرة أخرى. استدرت على عقبيّ، اجتزت الردهة الواسعة جهة الباب. رائحة المكر السيئ تزكم الأنوف مثل سفح ممتلئ بالقمامة. محاكمة عسكرية؟ مجرمان ... كذب ومكر ... زور وبهتان. يحاصرني الخجل من كل جانب. يطوقني الشعور بالعار والهزيمة. تخنقني العبرات. تشتد القبضة حول قلبي تعتصره اعتصارا[21].

إذا كان جيرار لومالرشان السارد الشخصية يمثل الإنسان الشيوعي المعارض للسياسة الفرنسية من خلال مواقفه الحاسمة التي يحتفظ بها لذاته، فإن هناك من يزكي الوجود الفرنسي في المغرب من الداخل نفسه من منطلقات عدمية: « حيث الوجود الفرنسي في المغرب قضاء وقدر وابتلاء من الله».[22]

وفي العموم فإن الغرب حاضر في هذا النص بتعدد صور حضوره المختلفة يلخصها حضوره باعتباره مستعمر دخيل غازي لبلاد ليست لا متخلفة ولا صحراء قاحلة، وبذلك يتجلى معنى النص في رفضه الغرب في صورة الاستعمار ونبذ الماضي وإدانة الواقع.

## 5) بنية الفضاء والشخصيات:

إذا انتقلنا إلى مستوى بناء الشخصيات فسنجد أنها تدرس على مستوى القصة كما ترى بذلك الباحثة كارلا كاربوني إذ يمكن أن تعالج كمثال انطلاقا من عملها وهويتها، وقد أوردت الباحثة التمييز الذي جاء به غريماص بين الشخوص على أساس عملها ووظائفها إذ ينظر إليها كقوى فاعلة ولا يمكن أن نتصور متنا بدونها. كما قدمت تصور فليب همون الذي ينظر إلى الشخصيات ككائن من ورق له اسم ووصف يتضمن جوانب جسدية وعقلية. إذ أن وصف الشخصية يمكن أن يكون وصفا نفسيا، كما أشارت الباحثة إلى وجود دراسات لما يسمى بتأثير الشخصية **l'effet_personnage** [23] أي العواطف التي تثيرها والتي تحدد بشكل واسع الطريقة التي تقدم بها وتقيم وتوضع في المشهد السردي من طرف السارد[24].

ومن جهته يرى فينسون جوف **Vincent Jouve** أن الشخصية تعتبر اليوم من أهم المفاهيم الأكثر إشكالية في التحليل الأدبي فهذا المفهوم قد أثار دائما اهتمام الباحثين، كما يمكن اعتبار الديكور، والأفكار ... بمثابة شخصيات في المحكي، كما أن العامل، الوظيفة، أو

(21) الرواية، ص: 254

(22) الرواية،ص: 221

(23) نشير هنا إلى الدراسة التي قدمها على سبيل المثال فانسون جوفVincent Jeuve في مقاله من أجل تحلي أثر الشخصية.
-Jouve Vincent. Pour une analyse de l'effet-personnage. In: Littérature, n°85, 1992. Forme, difforme, in-forme. pp. 103-111
وقد تناول فيه الباحث مجموعة من المواضيع التي تهم الشخصية مستعينا بمجموعة من الدارسين اللذين تناولوا عنصر الشخصية واهتموا به أمثال بوب وبارث وكريماص وفليب هامون وغيرهم.

(24) carla cariboni kilander, 2013, Element pou l'analyse du Roman, p : 05

الدور التيماتيكي ككلها مفاهيم متنافسة في الاستعمال غالبا ما تكون أكثر دقة.[25] عموما فإن الباحث يرى أن الشخصية يجب أن تدرس كعنصر من المعنى (في إطار وظيفة السرد ومؤشر التأويل).[26]

من الشخصيات البارزة في النص الروائي (جيرار لومارشان) السارد الشخصية المشارك الذي يهيمن بحضوره منذ بداية النص حيث نقرأ «سيدي جيرار لومارشان، السيد رئيس الديوان في انتظاركم»[27] «رحلتي المغربية: فرار من كلوديت؟ تعبير عن الفشل؟ حلم رومانسي صننعته ندوات وأحاديث ليلية في سان ميشيل وفي مقرات المركزية النقابية والحزب الشيوعي الفرنسي وطلبة شمال إفريقيا المسلمون؟ رفع لتحد مجهول بإيجاز بحث غريب في الألبسة والأطعمة؟ إثنولوجيا وعلم، أم سراب وضياع؟ هروب من الذات بحث عنها؟

«شيء أحمله من طبعي المتوسطي ومن انتمائي إلى تلك المنطقة من الجنوب الغربي من فرنسا حيث القوم يميلون إلى الثرثرة والتعبير عن الأحاسيس بالحركات وبالأصوات المرتفعة. شيء لم أجده في باريز ، ما عرفته خارج نقاشات السياسة والثقافة في أوساط ليست بالضروري باريزية.»[28] وبهذا تتكفل اللغة بتقديم جيرار لومارشان عبر شريط من أعماله وأفكاره ومشارعه مع تقدم دينامية السرد وتطوره.

فإذا كان ججيرار لومارشان في رحلته إلى المغرب يسعى إلى تطهير ذاته من الفشل الذي طاله في فرنسا فإنه

سيسحر بمولاي إدريس زرهون المدينة المقدسة في نظره من خلال ما قرأه عنها عن طريق الرحال الفرنسيين وغيرهم «من الناحية الإثنولوجية، يبدوا أن الإقامة في المدرسة التي تضم ضريح ادريس الأول تناسبني تماما..

إن بناء هذه الشخصية سيعمل على تقديمها في إطارها قالب معرفي سياسي إديولوجي، بالتالي فهي شخصية وإن كانت تهرب من الفشل فإنها تحاول أن تتقدم خطوات إلى الأمام، من خلال رغبتها في إنجاز بحث في الأطعمة والألبسة بناء على ما تقمه الإثنونوجيا، الشيء الذي يعسر في بلد يختلف كليا عن أدغال وأحراش البرازيل.

وبالرغم مما يقوم به جيرار لومرشان فقد عاوده الفشل وفقد ما لم يمتلكه يوما وهي المدينة المقدسة من خلال افتقاده لشخصية سيدي جعفر مؤرخ مولاي إدريس زرهون.

سيضيع في المدينة المقدسة لكونه النصراني أو الأوربي الأجنبي.

إن ولع هذه الشخصية بالمدينة المقدسة وعدم تمكنه من فهم معالمها الأسطورية العصية على الضبط والتحديد والمنفلتة من عين الرحالة المستكشف، تفصح عن وجود قصة موازية تأطر المحكي الرئيسي والمحكيات التي تدور في فلكه، تشتغل وفق إيقاع مخالف، وضمن ما يمن أن يسمى بالمحكي المكاني الذي لا تكتمل دلالته إلا بتحديد رمزية مكوناته»[29]

وبذلك يتم بناء فضاء مولاي ادريس زرهون برموزه وأسراره المستعصية، بمختلف معانيه،

(25) Jouve Vincent. Pour une analyse de l'effet-personnage,.P02 :
(26) Ibid, 10

(27) الرواية، ص10
(28) الرواية، ص27
(29) أحمد اليابوري، مرجع سابق، ص: 53

يحكي الأحداث بطريقته الخاصة، حيث يصعب الحصول على أي معرفة في الموضوع دون الاستئناس بفضاء مولاي ادريس زرهون المدينة المقدسة التي تقع في مقرب من مدينة مكناس التي شيدها السلطان مولاي إسماعيل في الوقت الذي كان لويس الرابع عشر يبني مدينة فيرساي.

يتم بناء المدينة المقدسة كفضاء روحاني ينبع منه الصفاء بالنسبة للآخر شفاء للروح في بداية دخوله، وضياع وتيه واستغراب في الأخر: « ضائع أنت في المدينة المقدسة ياجرار. ضائع أنت في حضرة السلطان الأعظم. غريب بين المواطنين، منبوذ من مدينة الإثنولوجيا. ملعون أنت من الأرض ومن السماء[30].

«في النفس شيء من المدينة المقدسة»[31]

« أضعت المدينة المقدسة أم أضاعتنبي»[32]

## 6) خاتمة:

يتبين من خلال ما سبق أن رواية مسك الليل تحيل بالفعل علة عنوانها، حيث هي عمل مبني على سحر المدينة المقدسة بمكوناتها وأهاليها والتي تحيل على قضايا جوهرية في مقدمتها الهوية والخصوصية، فالمدينة أو القرية لا تسلم روحها لكل أجنبي غاز مستعمر، بالرغم من كون جرار لومارشان لا يتفق من السياسة الفرنسية، إلا أن الفضاء المقدس لا يؤمن بالنوايا بقدر ما يدعو إلى الفعل والإفصاح عن المبادئ الرنانة التي تبقى حبر على ورق، في المقابل نجد شخصية محمود السارد الثاني للرواية على طول الحركة الثانية والثالثة والرابعة، هذه الشخصية يتم بناءها في إطار قالب أسري ولئن ظهر متماسكا للوهلة الأولى فسرعان ما تنكشف حقيقته كون محمود سيشهد تحولا في حياته جراء مجموعة من الأحداث، التي لم يعاينها بل ظلت مرسخة في ذاكرته القريبة، لقد عاش محمود يتيما يتما غير مكتمل البناء، وهو ما سيشكل البناء المضطرب لهذه الشخصية التي تكره ذكرياتها القريبة، بل الأكثر من ذلك أصبحت لا تعرف السكر بسبب هذه الذكريات الأليمة. ولئن كان مولاي إدريس زرهون يعتبر مكان لإعادة تشكيل الذات من قبل جيرار لومارشان الأجنبي الذي يحاول أن يتذوق شعرية الفضاء الأخاذ بكل مكوناته، فإن الفضاء نفسه بالنسبة لمحمود يشكل عائق أساسي في تكسير هذه الشخصية وتحطيمها من خلال الشماتة وإلحاق العار الأبدي « هل أحببت البيت الذي نشأت فيه أم كرهته؟ لست أدري. لست متأكدا من شيء. طفولتي غصة في حلقي.»[33]

إن البناء الروائي في نص مسك الليل يستند إلى تعدد السشخصيات الروائية، إلى جانب تعدد الفضاءات أيضا وهذا التعدد يفصح عن وجود خلل في البنية المجتمعية، ويعقد من البنية السردية، ما يمكن تأويله بوجود عقد يعيشها المغرب في فترة الوجود الفرنسي الاستعماري، وهي كذلك رواية التفاصيل بامتياز، وقد شكل كل من التاريخ والتراث الحجر الأساس لبناء هذه الرواية، سواء ارتبط الأمر باستحضار شخصيات تاريخية أو أحداثا واقعية مرة في التاريخ المغربي.

(30) الرواية، ص:256
(31) الرواية، ص 128
(32) الرواية، 256
(33) الرواية، ص: 117

لا زال الشيء الكثير يفوح من مسك الليل ولكن بطريقة معكوسة، فالنبتة وإن كانت لا تعطي مفعولها إلا في الليل وكلما ابتعدنا عنها، فرائحة المسك تفوح من النص كلما اقتربنا منه وحاولنا تذوقه والتفاعل معه.

عموما إن الدلالة العامة التي تنقلها الرواية، لا يمكن أن تتحدد إلا وفق الاشتغال المدروس دراسة دقيقة لمختلف مكوناتها اللغوية والسردية والأسطورية، التي تركز على الكشف والاستكشاف من منطلقات معرفية. تفصح عن قضايا الوطنية والهوية والخصوصية عبر تقديم جل أحداثها في فضاء تحيط به القداسة.

## لائحة المصادر والمراجع:


### باللغة العربية:

- سعيد بنسعيد العلوي، مسك الليل، (رواية)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010
- عبد الرحمان تمارة، السرد ودلالة، دراسة في تأويل النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب. ط1 2018
- أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، مقاربة تحليلية لرواية «لعبة النسيان»، دار الأمان، الرباط، 1996
- عبد النبي ذاكر، إسبانيا والمغرب نظرات متقاطعة، منشورات الزمن، سلسلة 44، 2014
- أحمد اليابوري، دينامية النص الروائي، منشورات أتحاد كتاب المغرب، ط1، 1993

### باللغة الفرنسية:

- carla cariboni kilander, Element pou l'analyse du Roman, 2013
- Martin Jean-Claude. Les narrateurs du nouveau roman.In: Cahiers de l'Association internationale des études francaises,1984 , n°36.
- Jouve Vincent. Pour une analyse de l›effet-personnage. In: Littérature, n°85, 1992. Forme, difforme, informe. pp. 103111-

# التطبيقاتُ الأصوليَّةُ لدليل المصلحة المرسلة عند ابنِ العربيِّ المالكيِّ

## (543هـ- 468هـ) - (1076م- 1148م)

إعداد:

**إبراهيم محمد عبدالرازق حسين**

قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية جامعة عمر المختار

**الاستلام:** 2.5.2024 **القبول:** 15.6.2024

**المستخلص:**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فمن خلال هذه الدراسة يودُّ الباحثُ التنبيهَ على أنها جاءت ضمن تتابع سلسلة للدراسات التطبيقية لمصادر الاستدلال عند ابن العربي، وفي هذا الأنموذج التطبيقي لدليل المصلحة عند ابن العربي، والذي اتبع فيه الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي تكشف للباحث عدة تساؤلات:

هل المصلحة المرسلة حجة على الأحكام كدليل قائم بذاته عند ابن العربي المالكي؟ وإذا كانت كذلك فما أبرز تطبيقاتها الأصولية عنده؟ وقد أجابت الدراسة عن كل ما تقدم وتوصلت للنتائج التالية:

1. أن المصالح المرسلة دليل يصح الاستدلال به عند ابن العربي المالكي، فمن خلال استنطاقه لنصوص شيخه مالك نراه يجزم بتفرد مالك بدليل المصلحة دون غيره من الفقهاء والعلماء.

2. أن معرفة التطبيقات الأصولية لمصادر الاستدلال، والتي من بينها دليل المصلحة، يسهم في معالجة الأحكام والوقائع المستجدة، وإيجاد الأحكام الشرعية لها.

3. أن ابن العربي يرى أن العمل بدليل المصلحة غير العمومات والأقيسة، بل يراه أكثر سعة في تحصيل الأحكام والوقائع المستجدة، بل يقدم القياس والمصالح على العموم.

4. من خلال التنوع الاستدلالي عند ابن العربي في نماذج التطبيق التي تناولتها الدراسة تبين مدى نضجه المنهجي، وتتداخل العملية الاجتهادية في فكر ابن العربي.

وختاماً توصي الدراسة بالتشجيع والتحفيز على قيام دراسات علمية تُعنى بالجوانب التطبيقية لعلوم الشريعة؛ كونها ستفتح مجالًا رحبًا فسيحًا وأُفقًا بعيدًا أمام الدارسين والباحثين؛ لسبر أغوار تلك العلوم واستخراج مخبوءاتها الثمينة، وقراءتها قراءةً نقدية تحليلية.

**كلمات مفتاحية:** (ابن العربي – المصلحة – المصالح – التطبيقات – الأصولية)

**Research Summary:**

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may God's blessings and peace be upon our Master Muhammad and his family and companions until the Day of Judgment. And then: Through this study, the researcher would like to point out that it came within a series of applied studies of the sources of reasoning according to Ibn al-Arabi, and in this applied model of the evidence of interest according to Ibn al-Arabi, in which the researcher followed the inductive and analytical method, several questions are revealed to the researcher: Is the transmitted interest an argument for rulings as a stand-alone evidence according to Ibn al-Arabi al-Maliki?If it is an argument, what are its most prominent fundamentalist applications according to him?The study answered all of the above and reached the following results:

1. That the mursal interests are evidence that can be used as evidence according to Ibn al-Arabi al-Maliki. Indeed, through his interrogation of Malik's texts, he confirms that Malik is unique in the evidence of the interests, to the exclusion of other jurists and scholars.

2. Knowing the fundamental applications of sources of inference, including the evidence of interest, contributes to dealing with emerging rulings and facts and finding legal rulings on them.

3. That Ibn al-Arabi sees that acting with evidence of interest is different from generalities and analogies, but rather he sees it as more extensive in collecting new rulings and facts? Rather, it presents analogy and interests in general.

4. Through Ibn al-Arabi's inferential diversity in the application models that the study dealt with, the extent of his methodological maturity is revealed and the jurisprudential process overlaps in Ibn al-Arabi's thought. In conclusion, the study recommends encouraging and motivating the establishment of scientific studies concerned with the applied aspects of Sharia sciences. Because it will open a wide field and a far horizon for scholars and researchers to explore the depths of these sciences, extract their precious hidden things, and read them critically and analytically.

**Keywords:** (Ibn al-Arabi - interest - interests - applications - fundamentalism)

**مقدمة:**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:**

**فإن اعتبار مصالح الخلق في التشريع من أولويات شريعة الإسلام، فقد تكفل الله عز وجل بالخلائق جميعا قال جل في علاه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[1]، وكفل سبحانه وتعالى للإنسان سعادة الدارين، وهذه المصالح على**

(1) الذاريات:57.

ثلاثة أقسام عند أهل العلم: **القسم الأول**: ما يطلق عليها أهل الأصول المصالح المعتبرة شرعاً فلا خلاف فيها، وهي في أبواب الضروريات، وهي: المال، والنسل، والعقل، والنفس، والدين.

**القسم الثاني**: ما يطلق عليه الأصوليون المصالح الملغاة: كالربا، وشرب الخمر، والذبح على القبور لإطعام الفقراء والمحتاجين.

**القسم الثالث**: مصالح مرسلة التي لم يرد نص يلغيها أو يعتبرها: كاتخاذ الدواوين، وإقامة السجون، وما يستجد من الوقائع والحوادث، ونحوه، وهي محل خلاف عند بعض العلماء، وهي ضمن مصادر الاستدلال عند ابن العربي، بل نص عليها صراحة في بعض مصنفاته أنها أصل تفرد به مالك.

وقد استخرت الله تعالى في أن أقدم سلسلة حول مصادر الاستدلال عند ابن العربي المالكي، يستفاد بها؛ وذلك بإفراد نماذج لتطبيقاته عبر سلسلة بحوث أحاول فيها تناول تلك المصادر الاستدلالية عنده مصدراً تلو الآخر، خاصة تلك التي تحتاج مزيد بحث ودراسة، فلما كان للباحث دراسة سابقة عنت بالتطبيق الأصولي عند ابن العربي في مباحث العرف والعادة؛ كانت التطبيقات الأصولية عنده في مبحث المصالح منطلقاً لهذه الدراسة، وتتمة لتلك السلسة التي بدأها، وقد قسمها على مقدمة شاملة لأسباب الدراسة ومشكلتها وأهميتها، وثلاثة مطالب: الأول منها في معنى المصلحة لغةً واصطلاحاً، والثاني يتناول فقه المصلحة في فكر ابن العربي، والثالث يتضمن التطبيقات الأصولية في مباحث المصلحة، وخاتمة تضمنت نتائج الدراسة وتوصياتها، حيث اتبع الباحث في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل؛ وذلك بتتبع أقوال ابن العربي المالكي، وتحليل آرائه، ودراستها من خلال المادة الموجودة في مصنفاته التي بين يديه.

**الدراسات السابقة:**

1. الدرس الأصولي عند ابن العربي (543ه ـ 468ه) ـ (1076م ـ 1148م)، إبراهيم محمد عبد الرازق، مجلة العلوم الإنسانية بكلية التربية جامعة عمر المختار، العدد(19)، سنة 2019م. ولم يتعرض الباحث فيه إلى التعمق في مصادر الاستدلال عن دليل المصلحة الذي يقول به ابن العربي المالكي؛ لطبيعة بعض المجلات العلمية التي تشترط كماً معيناً من الوريقات، فجاء الحديث عن دليل المصلحة كمصدر من مصادر الاستدلال عند ابن العربي في مساحة يسيرة كغيره من مصادر الاستدلال الأخرى التي شملتها محتويات ذلك البحث، فكان موضوع هذه الدراسة وهو التطبيق الأصولي في مبحث المصالح لدى ابن العربي؛ لإفراده بمزيد بحث ودراسة، ولكون الباحث لم يجد دراسة تناولت هذا العنوان مما جعله مادة لهذا البحث.

**أسباب الدراسة ومشكلاتها:**

1. إن فهم مباحث المصلحة ومعرفة أهميتها في الاستدلال على أحكام الشريعة سواء عند ابن العربي المالكي، أو غيره من العلماء ممن سبقه، أو عاصره، أو جاء بعده، أو من يقول بحجيتها، أو يردها، أمرٌ بالغُ الأهمية إذا ما تبادر لنا التساؤل التالي:

هل المصالح المرسلة حجة عند ابن العربي المالكي؟ وإذا كانت حجة فما أبرز تطبيقاتها الأصولية عنده؟ وهذا التساؤل يبين أحد مشكلات الدراسة الرئيسة، وهو ما يحاول أن يجيب عنها الباحث في هذه الدراسة بحول الله تعالى.

2. محاولة التجديد في الصنعة البحثية في الدراسات الإسلامية بوجه عام، والأصولية بوجه

خاص؛ حيث أن التطبيق العملي للدليل يبين سلامة الاستدلال وحذق المجتهد.

**أهمية الدراسة:**

تتضح قيمتها كونها تبين التطبيق الأصولي عند ابن العربي في مبحث المصالح المرسلة، وتكشف ذلك النضج المنهجي عنده، كذلك تمثل رؤية لتجديد المصطلح الأصولي إضافةً إلى أنها تعدُّ تكملة لسلسلة التطبيقات الأصولية لمصادر الاستدلال عند ابن العربي المالكي، وإثراء للدرس الأصولي بوجه عام.

**المنهج المتبع في الدراسة:**

اتبع الباحث منهج الاستقراء والتحليل، إذ هو المنهج المناسب لهذه الدراسة؛ وذلك بتتبع آراء ابن العربي في مباحث المصالح من خلال بعض مصنفاته، وجمعها ودراستها، وتحليلها، وعرض نماذج تطبيقية لها بعد ذلك.

**المطلب الأول: في معنى المصالح:**

**أولاً: في اللغة:**

المصلحة: من صَلَحَ، وهي مصدر بمعنى الصلاح والجمع مصالح، والاسْتِصْلاح ضد الاسْتِفْسَاد، ومرسلة: مطلقة[2].

**ثانياً: في الاصطلاح:**

مصلحة لم يرد نص من الشريعة على حكم لها، ولم يرد دليل على اعتبارها أو إلغائها، كاتخاذ السجون والدواوين ونحوها[3]، والمصلحة عند أهل العلم على أقسام ثلاثة، معتبرة: وهذه جاءت الشريعة الغراء لتحقيقها للعباد وفق مقاصدها في درء المفاسد وجلب المصالح كحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال وما تعلق بها من حدود، وهذا لا خلاف فيه اتفاقًا. ومنها مصالح ملغاة، وهي تلك التي وردت أحكام الشريعة بإلغائها؛ لما فيها من مظاهر المصالح الآنية المفضية للضرر والمفسدة بين العباد في الدين والدنيا: كالربا، وشرب الخمر، والذبح على القبور والأضرحة لإطعام الفقراء والمساكين، ونحوه. والمصالح المعتبرة والمصالح الملغاة محل اتفاق بين الفقهاء والعلماء، بيد أن الخلاف جاء بينهم في النوع الثالث، وهو المصلحة المرسلة، وهي التي لم يرد دليل من الشريعة على اعتبارها أو إلغائها كما أسلف الباحث.

**المطلب الثاني: فقه المصالح في فكر ابن العربي:**

إن الحديث عن فقه المصلحة في فكر ابن العربي المالكي يبدو جلياً من خلال مطالعة مصنفاته، ولعله من الإنصاف القول بأن ابن العربي تخطى الإشارة إلى التقرير فيما يخص المصلحة كأصل من أصول مالك، فقد جاء في مصنفه المسالك: «... وهذا باب فساد يدخل على الناس إشارة إلى ما يقع بينهم من التقاطع والشحناء التي فيها فساد ذات البين، فخصص مالك هذا العموم وحمله على بعض محتملاته بالمصلحة، وهو أصل تفرد به مالك على سائر

(2) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن على، الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (711هـ)،لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 517/2.

(3) الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2،دار الخير، دمشق، سوريا، 1427هـ - 2006م،253/1.

العلماء»[4]، وعباراته تدور بذكر المصلحة نصاً كلما وجد إلى ذلك سبيلاً؛ لتقرير أنها أصل من أصول شيخه مالك، فتارة يقرر القول بأن المصلحة أحد أركان أصول الفقه، وأنها الأصل الخامس، بل ويحث على اعتبارها إن وجدت، وقد صرح بذلك في القبس[5]، وفي الأحكام، يذهب في تقريرها إلى أبعد من ذلك، حتى قال بتخصيص العموم بالمصلحة، ويقرر أن المصلحة من أقوى أنواع القياس، ويرى الاستثناء من المنع بالمصالح، وأن المصلحة مقابلة للأمر، كما يقرر اختصاص شيخه مالك بالالتفات إلى المصالح واعتبار المقاصد[6]، وغير هذا كثير مما يقرره ابن العربي وفق دليل المصلحة في غير ما موضع، ففي (المسالك)نراه يقرر في كتاب الزكاة في باب زكاة العروض وجوبَ الزكاة في العين حيث يقول: «ونجد من الناس خلقاً كثيراً يكتسبون الأموال ويصرفونها في أنواع المعاملات، وتنمى لهم بأنواع التجارات، فلو سقطت الزكاة عنهم لكان خلق كثير من الأغنياء يخرجون عن هذه العبادة، وتذهب حقوق الفقراء في تلك الجملة»[7] ويرى ابن العربي أن ذلك قد يتخذ ذريعة لإسقاط الزكاة والاستئثار بالأموال، فرأى من المصلحة في حفظ أركان الشريعة أن تؤخذ الزكاة من هذه الأموال إذا كان القصد بها التجارة، وهنا ينجلي تفطن ابن العربي المالكي إلى فقه المصلحة لحفظ الدين[8].

وإذا تتبعنا تقريرات ابن العربي وإشارته لفقهه للمصلحة والتعليل بها نجدها كثيرة جداً مبثوثة في مصنفاته، فنجدها في المحصول في الباب الثاني منه في جواز النسخ ذكر أن اليهود أنكرته فيما نقله من زعم اليهود أن نبي الله موسى عليه السلام في التوراة ذكر أنها شريعة مؤبدة إلى يوم القيامة، فيقول:» وأما تعلقهم بالنظر فمسلكه لائح لنا ولا حجة لهم فيما ذكروه من البداء، لأن نسخ الله تعالى ليس بما بدا له وإنما هو مما علمه وأحكمه فاقتضت المصلحة أن يقع التكليف به في وقت ولا يقع في آخر فإلزامه المكلف ظاهرا ولم يطلع على ما في الباطن ثم اطلع فعلم أن الحكمة في إخفائه أولا والمصلحة في تبديله «[9] .

وفي المسالك في شرح موطأ مالك[10] ، نجدها في:(5/610، 6/18، 6/31 ـ 39، 6/121، 6/126، 6/256 ـ 257، 6/313، 6/337، 6/421، 6/427، 7/152، 1/70، 3/472، 4/48، 5/425)، وغيرها كثير. وفي القبس[11] نجدها هذه الإشارات في:(1/465، 2/606، 2/749، 2/779، 2/799، 2/832 ـ 833، 2/833، 2/844، 2/852، 2/882 ـ 883، 2/896، 2/903، 2/908، 2/932، 2/935، 2/1030). وفي أحكام القرآن[12] نجدها في: (1/155، 1/212، 1/275، 1/541، 2/447 ـ 448، 2/589، 3/220،

(4) ابن العربي، أبوبكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)،المسالك في شرح مُوَطَّأ مالك، ط1،تح: محمد بن الحسين السُّليماني، وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: د.يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، 1428هـ - 2007م،5/436.

(5) ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ابن العربي، ط2، تح: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، 1992م، 3 / 1030، 2/ 749، 2/ 683، 3/ 1085

(6) ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)،أحكام القرآن، ط3، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م، (1/ 109، 1/204-206، 2/623، 2/ 689،القبس، ابن العربي، مرجع سابق،2/ 460، 2/ 606، 2/ 683.

(7) المسالك، ابن العربي، مرجع سابق،4/48.

(8) المرجع السابق، 4/48.

(9) المرجع نفسه،145..

(10) مرجع سابق، ابن العربي.

(11) مرجع سابق، ابن العربي.

(12) مرجع سابق، ابن العربي.

267/4، 393/3، 3/ 458، 90/4، 118/4، 152/4، 231/4)، وفي قانون التأويل[13] : (247)، وفي الناسخ والمنسوخ[14] :(63/2).

ومن خلال ما سبق يتضح فقه الرجل الغزير بالمصلحة وعلو كعبه في الاستدلال بها مثبتاً ومقرراً لها، وأنها من أصول شيخه مالك ومدرسته المالكية، وهذا ما سنلمحه من خلال نماذج من تطبيقاته الأصولية.

## المطلب الثالث: نماذج من التطبيقات الأصولية على دليل المصلحة عند ابن العربي المالكي:

يورد الباحث في هذا المطلب بضعة نماذج للتطبيقات الأصولية لابن العربي على دليل المصلحة المرسلة في أربع مسائل، وهي:

### المسألة الأولى: المصالح المرسلة أصل من أصول المدرسة المالكية:

ذكر ابن العربي المصلحة في مواضع كثيرة من مصنفاته أوردها الباحث في المطلب الثاني، وقبل الحديث عن التطبيق الأصولي لدليل المصلحة عنده وجب التنويه على كونها أصل ومصدر من مصادر الاستدلال عنده كمالكي، ويكتفي الباحث بذكر النموذجين التاليين:

### النموذج التطبيقي الأول: طلاق المريض:

في هذه المسألة يثبت ابن العربي ويقرر أن المصلحة أصلٌ من أصول الاستدلال، وطلاق المريض لا يراد به عند أهل العلم مطلق المرض، بل يراد به المرض الذي يظن أنه مرض الموت، وهذا محل النزاع، حيث يرى ابن العربي في هذه المسألة أنها من المصالح التي انفرد بها مالك ورد طلاق المريض، ويذهب لتأييد مالك في هذه المسألة على الرغم من مخالفة بعض الفقهاء والعلماء لمالك - ولا مجال لبسط هذا الخلاف هنا لعدم الإطالة ولشهرته وشيوعه في كتب الفقه - معللاً الرأي الذي ذهب إليه مالك بالمصلحة؛ لأنه يرى أن قطع الحقوق لا يكون بالظنون واستدل بفعل الصحابة في طلاق عبد الرحمن بن عوف في مرض موته لزوجه تماضر واتفاق عثمان وعلي – رضوان الله عليهم – على توريثها، وصولحت عن ربع الثُمنِ بثمانين ألفاً، وكان له أربع زوجات[15].

### النموذج التطبيقي الثاني: قتل السارق:

حيث نقل ابن العربي قول مالك بقتل السارق إذا سرق في الخامسة، وضعف رواية المدنيين للحديث وهو عند النسائي وابن عبد البر[16]، وأن تعويل مالك لا على هذه الرواية لضعفها،

(13) ابن العربي،أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)،قانون التأويل، محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت،ط1، 1406 هـ - 1986 م،247.

(14) ابن العربي،أبوبكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)،الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1413 هـ - 1992 م،63/2.

(15) المسالك، ابن العربي، مرجع سابق،610/5.

(16) النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (303هـ)، المجتبى من السنن، السنن الصغرى، ط2، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406ه – 1986م، والحديث عن جابر بن عبد الله قال: جيء بسارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله، إنما سرق، قال: اقطعوه، فقطع. ثم جيء به الثانية، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله، إنما سرق قال: اقطعوه، فقطع. فأتي به الثالثة فقال: «اقتلوه» قالوا: يا رسول الله إنما سرق، فقال: اقطعوه، ثم أتي به الرابعة، فقال: اقتلوه، قالوا: يا رسول الله، إنما سرق، قال: اقطعوه، فأتي به الخامسة قال: اقتلوه، قال جابر: فانطلقنا به إلى مربد النعم، وحملناه فاستلقى على ظهره، ثم كشر بيديه ورجليه، فانصدعت الإبل، ثم حملوا عليه الثانية، ففعل مثل ذلك، ثم حملوا عليه الثالثة،

وإنما عوَّل مالك على المصلحة، وقال ابن العربي أنها أحد أركان أصول الفقه، ويرى أن المصلحة تقضي أن السارق إذا سرق قطعت يمينه تنقيصًا لبطشه، فإذا عاد الثانية قضت المصلحة أن ينقص سعيه، فإذا سرق الثالثة تبين أن بطشه فسد بتعديه، فإذا عاد الرابعة تبين أن سعيه فسد بتعديه، فإذا سرق الخامسة تبين كونها نفس خبيثة يجب إتلافها[17].

**المسألة الثانية: تخصيص عموم الحديث بالمصالح المرسلة:**

**النموذج التطبيقي: حديث الخِطبة:**

وفي هذه المسالة يؤيد ابن العربي شيخه مالكاً في القول بتخصيص العموم بالمصلحة حيث يورد ما ذهب إليه الإمام مالك فيها[18]، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها»[19].

حيث يقول ابن العربي: «والحديث عام بإطلاقه في كل حالة من أحوال الخطبة، خصصه في عمومه، وحمله على بعض محتملاته حسب ما فسره مالك، إذا ركنا وتقاربا على الصداق، وهما يحاولان العقد ويتناولانه»[20]. والذي يذهب إليه ابنُ العربي من المذهب الذي ذهب إليه مالكٌ في تخصيص عموم الحديث بالمصلحة علله بأمرين:

الأول: حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفاطمة بنت قيس: « ... فإذا حللت فآذنيني، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيرا، واغتبطت به»[21].

الثاني: ما أشار إليه مالك من قوله: «وهذا باب فساد يدخل على الناس، إشارة إلى ما يقع بينهم من التقاطع والشحناء التي فيها فساد ذات البين، فخصص مالك هذا العموم وحمله على بعض محتملاته بالمصلحة، وهو أصل تفرد به مالك على سائر العلماء»[22].

فالذي يذهب إليه ابن العربي المالكي في دعوى تخصيص شيخه مالك – رحمه الله – للعموم كون النهي يختص بما تم الركون إليه وتناوله والحديث فيه، ولا يخصُّ عموم الخطبة أو البيع أو السوم ونحوه التي لا تفيد قرائن أحوالها وقوعها قطعاً والركون عليها، وهي محالٌ تعاملات

---

فرميناه بالحجارة فقتلناه، ثم ألقيناه في بئر، ثم رمينا عليه بالحجارة قال أبو عبد الرحمن النسائي: وهذا حديث منكر ومصعب بن ثابت ليس بالقوي في الحديث، والله تعالى أعلم، كتاب قطع السارق، باب قطع اليدين والرجلين من السارق، برقم:4978؛ وابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (463هـ)،الاستذكار، ط1، تح: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421ه – 2000م،548/7.

(17) القبس، ابن العربي، مرجع سابق،1029/1-1030.

(18) المسالك، ابن العربي، مرجع سابق،436/5.

(19) البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي، (256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، صحيح البخاري، ط1، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه، برقم:2140.

(20) المسالك، ابن العربي، مرجع سابق،436/5.

(21) مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، صحيح مسلم، ب. ط، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب. ت، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً، برقم:1480.

(22) المسالك، ابن العربي، مرجع سابق، 5/ 436).

تجري بين الناس شائعة في حياتهم الاجتماعية، فهذا الذي نقل فيه ابن العربي قول مالك بأنه يُدْخِلُ باب فساد وشحناء وتباغض بين الناس؛ لذا كان اختيار مالك، والذي هو مذهب ابن العربي، تخصيص العموم بالمصلحة.

ويرى الباحث أن هذا الالتفات للمصلحة قريب من الصواب؛ وذلك أنه لو أُلزم كلُّ من تكلم في خطبة على سبيل الإخبار فقط، أو على بيع أو سوم ونحوه، ولم تكن قرائنه في المقال والحال بينة، لكان في جميعها مشقة على كل طرف من أطراف هذه المعاملات، وإذا ثبت القصد والنية في النكاح وتناولا شيئًا فيه وركنا إليه، فهذا متعلق النهي في الحديث، وأما إن لم تثبت نيةٌ ولا قصدٌ ولا تناولا فيه شيئًا أو ركنا إليه – أي الولي والمخبر- فهذا لا تعلق للنهي به، وهذا فيه من دفع المفاسد ما فيه إذا لم يكن فيه تناجز ومناولة في موضوع الخطبة، وينضوي تحته البيع والسوم وما في حكمها، فمن جهة قد يحدث عدول عن النكاح والبيع والسوم ونحوه إذا لم يكن التناول والركون في جميعها، فلو أن رجلاً تكلم أنه ينوي النكاح مع ولي امرأة ما، وهذا الولي له إماء، فهل يُعَدُّ خاطباً لإحداهن منه أم لا؟ أم هو تعريض له فقط؟ وهل هذا التعريض يجعله ينصب في الخطبة أم لا؟ فقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾[23]، وقد ذكر الطبري في تفسير التعريض في هذه الآية أن لا ينصب لها خاطباً ما دامت في عدتها طلاقًا بائنًا أم وفاةً، وإنما جاز له بالمعروف التعريض بنحو: إني أريد التزويج أو أحب امرأة من أمرها وأمرها... أولو وددت وجدت امرأة صالحة وما شاكله[24]، ولعل ما يسري من حكم التعريض في حق المعتدّة، وإن كان ذلك سبب ورود الآية، إلا أنه عامٌ فيلحق به التعريض بالبكر، وكلُّهُ من باب القول بالمعروف، وفي الحالين فرقٌ بيِّنٌ، فالمعتدّة لا يمكن بحال أن ينصبَ نفسَهُ خاطبًا لها، حتى تنقضي عدتُها، فلا تعلق للنهي الوارد في الحديث به، وأما البكر فيمكن أن ينصب نفسه لها خاطبًا، ولكن هل يُكتفى بالتعريض أو الإخبار في البكر، فهنا جاء تخصيص عموم الحديث بالمصلحة الذي استنطقه ابن العربي من نصوص شيخه مالك – رحمه الله – وعلى ذلك لا بد من أن يكون فيه تناول، وأنْ يركنا إليه، ويكون فيه تناجز ومناولة، كما أن فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في قصة فاطمة بنت قيس وتزويجها من أسامة بن زيد – رضي الله عنه- مبني على تخصيص العموم في الحديث بالمصلحة، ففي نكاح أسامة بن زيد لفاطمة بنت قيس مع خطبة كلٍّ من أبي الجهم ومعاوية لها، بَيَّنَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيارًا ثالثًا ظهر لمصلحة، وهو نكاحها من أسامة، وكانت فاطمة قد ذكرت في الحديث لفظة (خطباني) في الحديث، أي: أبو الجهم ومعاوية، وهي معتدة، فأمرها - صلى الله عليه وسلم - أن تؤذنه إذا انقضت عدتُها، فما كان من معاوية وأبي الجهم فهو يعد تعريضًا للمعتدة فقط، ولا يمكن لكليهما أن ينصب نفسه لخطبتها حتى انقضاء عدتها، فلما انقضت وآذنته - صلى الله عليه وسلم - بذلك أرشدها لنكاح أسامة لكونه رأى مصلحتها في ذلك.

ومن العلماء المحدثين من يرى أن المصالح المرسلة لا تخصص العموم، وأن التخصيص والتقييد متفرعٌ عن صحة الدليل المخصص أو المقيد، وفي ذلك إبطال لها، وأن المصالح تقع موقع البيان، أي بيان المجمل عندما تحتمل الوجوب وغيره، وأجاب عن ذلك بعضهم بقوله: فإن كان مالك قد خص العموم بالمصلحة أو جعلها بيانًا، فهي قد حُمِلَتْ على بعض محتملاتها،

(23) البقرة:235.

(24) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،(310هـ)،جامع البيان في تأويل القرآن، ط2، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م، 95/5، 96.

والمصلحة أحد هذه المحتملات[25].

**المسألة الثالثة: مقابلة المصالح المرسلة للأمر:**

أوردها ابن العربي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[26]، حيث يذهب إلى القول بأن الله جعل الغاية عدم الكفر، وقد نصَّ عليها وبين فيها سبب الأمر بالقتل حتى يكون الدين لله، وردَّ ابنُ العربي على أصحاب أبي حنيفة عندما قالوا أن سبب القتل المبيح لقتال الكفر هو الخربة، أي الخراب[27]. فتخرب أرضهم ودورهم، وتكسر شوكتهم، وتعلقوا بقوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[28].

حيث يقول ابن العربي: «وهذه الآية تقضي عليها التي بعدها؛ لأنه أمر أولاً بقتال من قاتل، ثم بيَّنَ أن سبب قتاله وقتله كفرُهُ الباعثُ له على القتال، وأمر بقتاله مطلقاً من غير تخصيص بابتداء قتال منه، فإن قيل: لو كان المبيح للقتل هو الكفر لقُتِلَ كلُّ كافر، وأنت تترك منهم النساء والرهبان ومن تقدم ذكره معهم، فالجواب: أنَّا إنما تركناهم مع قيام المبيح بهم؛ لأجل ما عارض الأمر من منفعة أو مصلحة»[29]، حيث رأى المنفعة في الاسترقاق لهم فيُصَيَّرُوا خدمًا ومالًا، وهي من الغنائم التي أحلَّها الله للأمة، والمصلحة في بقاء الرهبان باعثًا لتخلي محاربيهم على القتال، فتضعف حربهم ويُسْتَوْلَى عليهم[30].

**المسألة الرابعة: الاستثناء من العموم بالمصلحة:**

في تفسيره لآية: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[31]، نقل ابنُ العربي أن مالكًا استثنى الحسيبة من الآية بالمصلحة، وقال: لا يلزمها إرضاع ولدها، فأخرجها من الآية[32].

ووافقه الزحيلي في كتابه القواعد الفقهية[33]، ويرى ابن العربي أن هذا فنٌّ لم يتفطن له إلا مالكٌي، ثم يضيف:«والأصل البديع فيه هو أن هذا أمر كان في الجاهلية في ذوي الحسب، وجاء الإسلام عليه فلم يغيره؛ وتمادى ذوو الثروة والأحساب على تفريغ الأمهات للمتعة بدفع الرضعاء إلى المراضع إلى زمانه فقال به، وإلى زماننا فحققناه شرعا»[34].

**الخاتمة:**

بهذه القراءة لجملة من التطبيقات الأصولية عند ابن العربي المالكي على دليل المصلحة تتضح النتائج والتوصيات التالية:

---

(25) الجوادي، رياض، مقاصدية التشريع الإسلامي (آراء القاضي أبي بكر بن العربي نموذجاً)، ط1، دار كنوز أشبيليا الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430ه – 2009م. (الجوادي، 104).

(26) البقرة:193.

(27) لسان العرب، ابن مظور،347/1.

(28) البقرة: 190.

(29) القبس، ابن العربي، مرجع سابق، 155/1.

(30) المرجع نفسه.

(31) البقرة:223.

(32) أحكام القرآن، ابن العربي،278/1.

(33) الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ط1، دار الفكر، دمشق،1427هـ - 2006م. 1/ 657.

(34) أحكام القرآن، ابن العربي،1/ 278.

.

## أولًا: النتائج:

1. أن المصالح المرسلة دليلٌ يصح الاستدلال به عند ابن العربي المالكي، فمن خلال استنطاقه لنصوص مالك يُجْزِمُ بتفرد مالكٍ بدليل المصلحة دون غيره من الفقهاء والعلماء.

2. أن معرفة التطبيقات الأصولية لمصادر الاستدلال والتي من بينها دليل المصلحة يسهم في معالجة الأحكام والوقائع المستجدة وإيجاد الأحكام الشرعية لها.

3. أن ابن العربي يرى أن العمل بدليل المصلحة غير العمومات والأقيسة، بل يراه أكثر سعة في تحصيل الأحكام والوقائع المستجدة، بل يقدِّمُ القياس والمصالح على العموم، وينقله مذهبًا لشيخه مالك.

4. من خلال التنوع الاستدلالي عند ابن العربي في النماذج التطبيقية التي مرت في هذه الدراسة تبين مدى النضج المنهجي وتتداخل العملية الاجتهادية في فكره.

## ثانيًا: التوصيات:

توصي الدراسة بالتشجيع والتحفيز على قيام دراسات علمية تُعنى بالجوانب التطبيقية لعلوم الشريعة؛ كونها ستفتح مجالًا رحبًا فسيحًا وأُفقًا بعيدًا أمام الدارسين والباحثين؛ لسبر أغوار تلك العلوم واستخراج مخبوءاتها الثمينة، وقراءتها قراءةً نقدية تحليلية.

## المصادر والمراجع:


1. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي، (256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، صحيح البخاري، ط1، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.
2. الجوادي، رياض، مقاصدية التشريع الإسلامي (آراء القاضي أبي بكر بن العربي نموذجاً)، ط1، دار كنوز أشبيليا الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430ه – 2009م.
3. الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ط1، دار الفكر، دمشق،1427هـ - 2006م.
4. الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير، دمشق، سوريا، 1427هـ - 2006م.
5. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط2، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
6. القرافي، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير، (684هـ)، شرح تنقيح الفصول، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393هـ - 1973م.
7. ابن عبد البر،أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (463هـ)،الاستذكار، ط1، تح: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421ه – 2000م.
8. ابن العربي،أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي،(543هـ)،أحكام القرآن، ط3، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م.

9. ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (543هـ)،قانون التأويل، محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت،ط1، 1406 هـ - 1986 م.

10. ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (543هـ)،القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ابن العربي،ط2،تح: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

11. ابن العربي، أبوبكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، المالكي، (543هـ)، المحصول في أصول الفقه، ط1، تح: حسين علي اليدري، وسعيد فودة، دار البيارق، عمان، الأردن، 1420هـ - 1999م.

12. ابن العربي، أبوبكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (543هـ)، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، ط1، تح: محمد بن الحسين السُّليماني، وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: د.يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، 1428هـ - 2007م.

13. ابن العربي، أبوبكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (543هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية

14. ط1، 1413 هـ - 1992 م.

15. مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، صحيح مسلم، ب. ط، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب. ت.

16. ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن على، الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

17. النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (303هـ)، المجتبى من السنن، السنن الصغرى، ط2، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ - 1986م.

# الضوابط الشرعية والقانونية في القائمين على المصالحة الوطنية

إعداد:
د/ محمد رافع سالم علي
أستاذ مساعد
قسم الشريعة، بكلية القانون، بجامعة عمر المختار

الاستلام: 15.4.2024 القبول: 17.5.2024

**المستخلص:**

تناول البحث بيان الضوابط الشرعية والقانونية للقائمين على المصالحة الوطنية، وقد اُستعمل في سبيل ذلك منهج يجمع بين منهجي الاستقراء والتحليل، وقد تبيَّن بأنه يراعى في القائمين على المصالحة الوطنية جملة من الضوابط، بعضها شرعي، وبعضها الآخر قانوني، فأمَّا الضوابط الشرعية: فتنقسم إلى قسمين: الأول: ضوابط عامة، وهي: العقل والبلوغ، والعدالة، والإسلام، والثاني: ضوابط خاصة، وهي: العلم، والذكورة، وعدم أخذ الأجرة، وفي كل من الثلاثة الأخيرة تفصيل في أحكامها. أما الضوابط القانونية فهي أيضا منقسمة إلى قسمين: الأول: ضوابط أدبية، وهي المتعلقة بالخلو مما يمس الشرف، والثانية: ضوابط مالية، وهي المتعلقة مما يمس الأمانة.

**الكلمات المفتاحية:** (ضوابط – مصالحة – وطنية).

**Summary:**

The research dealt with the statement of the controls in force in those in charge of national reconciliation, and for this purpose, an approach that combines the methods of induction and analysis was used, and it appeared that a number of controls were taken into account in those in charge of national reconciliation, some of which are legal, while others are legal. As for the legal controls: they are divided into two parts. The first: general controls, which are: reason, puberty, justice, and Islam, and the second: special controls, which are: knowledge, masculinity, and taking wages. In each of the last three, there is detail in its rulings. As for the legal controls, they are also divided into two parts: the first: moral controls, which are related to freedom from what affects honor, and the second: financial controls, which relate to what affects the trust.

**Keywords:** (controls - reconciliation – national).

**المقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

لا يخفى ما للمصالحة الوطنية من أهمية كبيرة في إرساء قواعد الإخاء، ودعم جهود الإصلاح المجتمعي، وانتشال الأمم من براثن الحروب والدمار والفقر، فلا يمكن لدولة ما أن تنهض من عوز أو ضعف، في ظل وجود شرخ اجتماعي وسياسي بين مكونات شعبها؛ لذلك كانت الحاجة ماسة، لإقامة مصالحة وطنية جادة؛ تُقرَّب فيها وجهات النظر، وتُلملم بها جراحات الوطن.

ولا شك أنّ عملاً كبيرًا كهذا؛ يحتاج لكبار يقومون عليه، تتوفر فيهم المعاني اللائقة بحامل لواء المصالحة الوطنية الحقيقية، معانٍ يُضمن بوجودها نجاعة المصالحة الوطنية.

**أهمية البحث:**

تظهر أهمية بيان هذه الضوابط، في مُكنة اصطفاء الأصلح بالقيام على أهم شاغل يشغل الليبيين وغيرهم، ألا وهو مصالحة وطنية جادة، يُلملم بها شتات الوطن، وتُحقن بها دماء الناس، وتصان بها أعراضهم وأموالهم، ولا نُبالغ إن قلت إنّ قيام مصالحة وطنية حقيقية اليوم في ليبيا، مرهون بمدى توافر هذه الضوابط، الشرعية والقانونية.

**سبب اختياره:**

لا يخفى ما لشاغل المصالحة الوطنية في العالم عامة، وليبيا خاصة، من أهمية قصوى على كافة الأصعدة، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا، مما يستدعي تضافر الجهود العلمية والأدبية والاجتماعية وغيرها، لتوجيه بوصلة الوطن نحو أول أساس لبناء الدول، ألا وهو إرساء قواعد المصالحة الوطنية، لوضعها موضع التنفيذ، ليحل بها السلم المجتمعي، ولهذا وغيره؛ جاءت هذه الدراسة لتضرب بسهم في جهود وطنية وعلمية كثيرة، علّها تُسهم في دفع عجلة المصالحة الوطنية المنشودة.

**صعوبات البحث:**

لعلَّ أصعب صعاب هذا البحث يتمثل في عدم وجود دراسة سابقة في موضوعه، مما استدعى مزيد اهتمام وجهد في تأصيل مسائله وتحقيقها، من خلال تتبع نصوص الفقهاء والقانون الليبي؛ لإظهار مظان موضوع البحث في تلك النصوص، ثم بيان الضوابط المرعية فيه.

**إشكالية البحث:**

يأتي هذا البحث إجابة لسؤال يتوقف على وضع إجابته موضع التنفيذ؛ نجاعة أي مصالحة وطنية، ألا وهو: ما هي الضوابط الشرعية والقانونية المطلوب توافرها فيمن يقوم على عمل المصالحة الوطنية؟

**منهج البحث:**

سيعتمد هذا البحث على منهجي الاستقراء والتحليل، واللذين يظهرا فيما يأتي:

- تتبع نصوص فقهاء الشريعة الإسلامية ذات العلاقة بمحل البحث، خاصة تلك التي اهتمت

بالسياسة الشرعية والولايات العامة، وكذلك تتبع نصوص القانون الليبي، للوقوف على ضوابط تولي مهمة المصالحة الوطنية.

- تحليل بعض الإشكاليات التي قد تُثار حول بعض تلك الضوابط، كاشتراط الذكورة والعلم في القائمين على المصالحة الوطنية، ثم توجيهها توجيهًا علميًا.

**خطة البحث:**

سينقسم البحث على مبحثين، كالتالي:

المبحث الأول: في بيان الضوابط الشرعية للقائمين على المصالحة الوطنية، وهذا بدوره سينقسم إلى مطلبين، الأول: في بيان الضوابط العامة. والثاني: في بيان الضوابط الخاصة.

أما المبحث الثاني: ففي بيان الضوابط القانونية للقائمين على المصالحة الوطنية، وهو أيضًا سينقسم إلى مطلبين، الأول: في بيان الضوابط الأدبية. أما الثاني: في بيان الضوابط المالية.

ثم سيُختم البحث بخاتمة يُذكر فيها أهم نتائج البحث، وما يظهر من خلاله من توصيات. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أُنيب.

## المبحث الأول: الضوابط الشرعية للقائمين على المصالحة الوطنية.

وهي تنقسم إلى ضوابط عامة، وأخرى خاصة، ويأتي بيانها في المطلبين التاليين:

### المطلب الأول: الضوابط العامة:

وهي ضوابط يُطلب توافرها في كلّ متولٍّ لولاية عامة، وهي: العقل والبلوغ، والعدالة، والإسلام، وبيانها فيما يأتي:

### أولا: العقل والبلوغ[1]:

لا شك أنّ العقل والبلوغ يُطلبان في كل ولاية مطلقًا، سواء كانت خاصة أو عامة، حيث إنّ تصرفات المرء لا تُنتج آثارها الصحيحة إلا إذا كان متمتعًا بهما، لقول النبي ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النَّائم حتى يستيقظ، وعن الصَّبيِّ حتى يَحتَلِمَ، وعن المجنون حتى يَعقِلَ»[2]، والعقل: غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب، أو هو القوة المتهيئة لقبول العلم[3]، فالإنسان لا يُكلَف إلا إذا كانت عنده هذه الغريزة أو القوة. أما البلوغ: فهو ظهور علامة من علاماته الطبيعية في الإنسان، كالاحتلام، ولمَّا كانت هذه العلامات تختلف من شخص لآخر؛ حُدِّد لها سِن معينة، كثمان عشرة سنة[4].

وعليه لا يجوز أن يكون القائم على المصالحة الوطنية، صبيا أو مجنونا، كونها من الولايات

(1) ويُسمى أهلية الأداء، وهي عبارة عن صلاحية الشخص لصدور الفعل عنه على وجه يعتد به شرعا، والآثار الشرعية تترتب على هذه الأهلية. التفتازاني: شرح التلويح على التوضيح، 321/2.

(2) أخرجه ابن ماجه: أبواب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، برقم 2041. وأبو داود: كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، برقم 4403. والترمذي: أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، برقم 1423. والنسائي: كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، برقم 5596.

(3) الفيومي: المصباح المنير، ص423، مادة عقل. الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص341 مادة عقل.

(4) اختلف الفقهاء في سن البلوغ، فقيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة. انظر: ابن رشد الجد: البيان والتحصيل، ج10، ص236. وبالقول الأول أخذ القانون الليبي. انظر: نص الفقرة السادسة من المادة (128) من القانون رقم 12 لسنة 2010م بشأن علاقات العمل.

العامة، التي يُرام بها نفع عام، بل لا بد أن يكون متمتعًا بكمال العقل والبلوغ، اللذين يُعيناه على القيام بمهمة خطيرة، كالمصالحة الوطنية.

**ثانيًا: الإسلام:**

لا بد أن يكون القائم على المصالحة الوطنية بين المسلمين مسلمًا؛ لأدلة كثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[5] ومعلوم أنَّ القيام على المصالحة الوطنية فيها ولاية على المسلمين، حيث يكون فيها حكم بين المتنازعين في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وهذه لا تكون إلا لمسلم، فلا ولاية لكافر على مسلم.

2- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾[6] فقد نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم[7].

3- ما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنَّه قيل له: إنَّ هَهُنا غُلامًا من أهل الحيرة، لم يُرَ قطُّ أحفظ منه، ولا أكتب منه، فإن رأيت أن تتخذه كاتبا بين يديك، إذا كانت لك الحاجة شهدك، فقال عمر: « قد اتخذت إذن بطانةً من دون المؤمنين»[8]، كما روي عنه أيضا أنه نهى أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن اتخاذ ذمّي كاتبًا له[9]، ففي هذه الآثار مع الآية السابقة دليل على أنَّ أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين، وإطلاع على دواخل أمورهم، التي يُخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾[10].

4- الكافر ليس أهلا للقيام على المصالحة الوطنية؛ لأنه لا يؤمن بالأسس الإسلامية التي تقوم عليها عملية المصالحة الوطنية، كوحدة العقيدة، وتعظيم حرمات الله عز وجل.

5- من شروط القائم على المصالحة الوطنية - كما سيظهر في الشرط التالي- العدالة، فالمسلم الفاسق لا يولَّى هذه الولاية، فمن باب أولى أن لا يولَّى كافرٌ عليها.

6- الكافر لا يؤمَن غالبًا على القيام بمهمة المصالحة الوطنية بين المسلمين، وإتمامها على الوجه الصحيح.

7- القائمون على المصالحة الوطنية آمرون بمعروف وناهون عن منكر، وهذا عمل ديني حقيقٌ بأن يكون القائمُ عليه مسلمًا.

وإن قيل: أنّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- استعمل أهل الذمة على دواوين الدولة، وكذلك فعل من جاء بعده من الخلفاء الراشدين[11]. قلت: لا مانع من استشارة الكفار في الأمور العادية الدنيوية، كالطب والهندسة ونحوها، وكذلك في شؤون قومه، إذ لا خطر في ذلك على

(5) النساء: آية 141.
(6) آل عمران: آية 118.
(7) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 178/4.
(8) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف، كتاب الأدب، في اتخاذ كاتب نصراني، برقم 25872.
(9) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ كاتبا ذميا ولا يضع الذمي في موضع يتفضل فيه مسلما، برقم 20409.
(10) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 92/2، بتصرف يسير.
(11) الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية، ص 324.

كيان الدولة ومصالحها العامة[12]، أما استعمال الخلفاء الراشدين للذميين في بعض وظائف الدولة، فإنما هذا كان فيما ليس له خطر يمس كيان الدولة ومصالحها العليا.

**ثالثًا: العدالة:**

العدالة لغةً: الاستقامة[13]. واصطلاحًا: (اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر)[14]. وهي – أي العدالة- شرط في كل ولاية[15]، فلا يجوز تولية الفاسق؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[16] ولا شك أن ولاية المصالحة الوطنية أعظم من ولاية الشهادة على الطلاق، ثم إنَّ الفاسق لا يُؤمَن جانبُه في حق نفسه، فمن باب أولى أن لا يُؤمَن في حق العامة، خاصةً فيما يتعلق بعمل المصالحة الوطنية، وهو عمل خطير يحتاج لضبط نفسٍ، ورجاحةِ عقلٍ، ومروءةٍ ظاهرةٍ.

**المطلب الثاني: الضوابط الخاصة.**

وهي ضوابط يجب توافرها في القائمين على بعض الأعمال العامة، على رأسها عمل المصالحة الوطنية، وهي تتمثل في: العلم، والذكورة، وعدم أخذ الأجرة، وبيانها فيما يأتي:

**أولًا: العلم:**

الْعِلْمُ لغةً: يطلق على المعرفة والشعور والإتقان واليقين[17]. واصطلاحًا هو: (إدراك الشيء بحقيقته)[18].

ولا شك أنّه يُشترط في القائمين على المصالحة الوطنية أن تتوفر فيهم جملةً من العلوم، تُعينهم على القيام بهذه المهمة، وهذه العلوم منها ما يُشترط توافرها في جميع القائمين على المصالحة: وهي العلم بالضروريات الشرعية، المتمثلة في الحد الأدنى للعلم، والذي لا يُعذر المسلم بجهلها، كوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الفواحش والظلم، وأيضا العلم بحقيقة النزاع محل المصالحة الوطنية وأطرافه، حيث يستحيل إقامة مصالحة دون وضع اليد على موضع الشرخ فيها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ومنها علوم يُشترط توافرها في جملة القائمين على المصالحة الوطنية لا بعينهم، حيث يجب أن يكون منهم عالم في المجال الشرعي[19]؛ ليُبين لهم حكم ما يُعرض عليهم من وقائع، وسبل الخروج منها بشكل مُرضٍ. وعالم بالمجال القانوني والقضائي؛ ليكونوا عونًا في إحقاق الحقوق، ومنع التظالم.

وأن يكون على رأس هؤلاء عالمٌ أو علماء بالمجال التجريبي، كأعيان القبائل، ممن لهم خبرة طويلة في مجال المصالحة الاجتماعية، مع اشتهار دماثة أخلاقهم، وصدق أقوالهم.

فهؤلاء هم العناصر الأساسية المكونة لفريق المصالحة الوطنية الجادة، وهذا لا يمنع

(12) الطريقي: أهل الحل والعقد، ص57.
(13) الفيروزآبادى: القاموس المحيط، ص 1030، مادة عدل.
(14) البركتي: التعريفات الفقهية، ص 151.
(15) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 66.
(16) الطلاق: آية 2.
(17) الفيومي: المصباح المنير، 290/30، مادة علم.
(18) الجرجاني: التعريفات، ص155.
(19) النووي: روضة الطالبين، 43/10.

من وجود عناصر علمية أخرى، قد يحتاجها فريق المصالحة الوطنية؛ لإنجاح مهمتهم، كالإعلاميين، والاقتصاديين، والسياسيين، والعسكريين، وغيرهم من الخبراء[20].

**ثانيًا: الذكورة:**

في شرط الذكورة يجب التفريق بين حالتين، الأولى: ما إذا كان القائمون على المصالحة الوطنية لهم سلطة إلزامية على أطراف النزاع، بأن يكونوا مُعينين من قبل الدولة لغرض المصالحة، مع منحهم سلطات قضائية، والثانية: ما إذا اقتصر دورهم على المصالحة الوطنية، ورأب الصدع، دون إلزام منهم على أطراف النزاع، فيكون عملهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيما يأتي بيان هاتين الحالتين:

**الحالة الأولى: أن يكون للقائمين على المصالحة الوطنية سلطة إلزامية:**

إذا كان للقائمين على المصالحة الوطنية سلطة إصدار الأحكام القضائية على أطراف النزاع محل المصالحة؛ صار عملهم كعمل القاضي، وحينئذ يكون حكم تولي المرأة للمصالحة الوطنية، كحكم توليها القضاء. وقد اتفق الفقهاء على عدم جواز تولي المرأة القضاء[21]؛ لجملةٍ من الأدلة، منها ما يأتي:

1- قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[22] فهذه في ولاية الأسرة، وهي أصغر الولايات، فإذا مُنعت المرأة من تولي هذه الولاية؛ كان منعها مما هو أكبر، كالقضاء، أولى[23].

2- قول النبي ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»[24]، فلفظة (قومٌ): نَكرةٌ في سياقِ نَفيٍ، فتَعُمُّ كُلَّ قوم، وأيضا لفظة (أمْرَهم): يعُمُّ كُلَّ أمرٍ؛ وذلك لأنَّها نَكِرةٌ أُضيفَت إلى معرفةٍ، كما أنَّ تجَنُّب الأمرِ الموجِب لعدم الفلاح واجبٌ[25].

3- ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: اثْنَان فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ»[26]، وهذا فيه دليل على اشتراط كون القاضي رجلا[27].

4- لم يولِّ النبي ﷺ ولا أحدٌ من خلفائه ولا من بعدهم امرأةً قضاءً، ولو جاز ذلك؛ لم يخلُ منه جميع الزمان غالبًا، وقد كان في نساءِ الصَّدرِ الأوَّلِ مُثَقَّفاتُ فُضْلَياتٌ، وفيهن من تَفضُلُ كثيرًا

(20) قريب من هذا الشرط، ما تشترطه القوانين الوضعية فيمن يتولى بعض الوظائف العامة في الدولة من الحصول على نوع خاص من العلم، وذلك بأن يكون المتقدم حاملا لمؤهل علمي معين، من ذلك نص المادة (128) من القانون رقم 12 لسنة 2010م بشأن علاقات العمل، الخاصة بشروط التوظيف، حيث نصت في فقرتها السابعة على أنه: (أن يكون لديه المؤهل العلمي اللازم لشغل الوظيفة، واستثناء من هذا الشرط يجوز تعيين الفنيين المهرة من ذوي الخبرة الذين تتطلبهم حاجة العمل، وفقا للشروط والأوضاع التي تبينها اللائحة التنفيذية)، غير أن هذا النص لا ينطبق على من يتولى مهمة المصالحة الوطنية، حيث لا يمكن اشتراط أن يكون القائم عليها حاملا لمؤهل جامعي أو مهني، فالعبرة بمن يخدم أهداف المصالحة، من جمع للكلمة، ورأبٍ للصدع، سواء كان للقائم عليها علم مكتسب من تجارب الحياة، أو علم مكتسب من دراسته الأكاديمية، وبالتالي يظهر بأن اشتراط العلم من المنظور الشرعي أدق وأشمل وأنجع من المنظور الوضعي.

(21) شيخي زاده: مجمع الأنهر، 168/2. القرافي: الذخيرة، 10/ 22. الماوردي: الحاوي الكبير، 156/16. ابن قدامة: المغني، 36/10.

(22) النساء: آية 34.

(23) ابن قدامة: المغني، 36/10.

(24) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، برقم 4425.

(25) الشوكاني: نيل الأوطار، 304/8.

(26) أخرجه ابن ماجه: أبواب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، برقم 2315. وأبو داود: كتاب الأقضية، باب القاضي يخطئ، برقم 3572. والترمذي: أبواب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، برقم 1322. والنسائي: كتاب القضاء، باب ذكر ما أعد الله تعالى للحاكم الجاهل، برقم 5891.

(27) ابن تيمية الجد: منتقى الأخبار، 303/8.

من الرِّجال، كأمَّهات المؤمنين، مع أنَّ الدواعيَ لاشتراك النِّساء مع الرِّجال في الشُّؤون العامَّة كانت متوافرةً[28].

والملاحظ أنَّه قد ورد عن أبي حنيفة إجازة قضاء المرأة في غير الحُدود؛ لأنَّه يجوزُ أن تكونَ شاهدةً فيه[29]، والحقيقة أن مذهَب الحنفية كمذهب الجمهور، أي عدم جواز توليتها للقضاء، إلَّا أنَّها لو وُلِّيَت جاز حكمُها ونفذ عند الحنفية خلافًا للجمهور، وهذا ما أشار إليه المحقِّقون من أئمَّة الحنفيَّة أنفُسُهم، من ذلك قول صاحب مجمَع الأنهر بأنه: (يجوزُ قضاءُ المرأة في جميع الحُقوق؛ لكَونها من أهل الشَّهادة، لكن أثِمَ المولِّيَ لها؛ للحديث: «لن يُفلحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهم امرأةً»)[30]. وبالتالي يظهر اتِّفاق الأئمَّة الأربعة على القَول بعَدَم جواز تولِّي المرأة مَنصبَ القضاء[31].

**الحالة الثانية: أن لا يكون للقائمين على المصالحة الوطنية سلطة إلزامية:**

أغلب المصالحات الوطنية اليوم تقوم على جمع صف المتخاصمين، وتقريب وجهات النظر بينهم، دون أن يكون للقائمين على تلك المصالحة سلطة قضائية أو إلزامية على المتخاصمين، وفي هذه الحال يكون عملهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحينئذ لا تُشترط الذكورة في القائمين على المصالحة الوطنية، فيجوز للمرأة أن تكون من بين القائمين على المصالحة، بشرط مراعاة ضوابط معينة أهمها: أن يكون في خروجها للمصالحة مصلحةٌ حقيقية معتبرة، وأن تكون من أهل الهيئات، ممن عُرفت بالصلاح والعفة والإصلاح بين الناس، وأن لا يُخشى من خروجها فتنة[32].

ودليل ذلك خروج عائشة - رضي الله عنها - للصلح بين جيشي علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما - بناءً على طلب الصحابيين طلحة والزبير[33]- رضي الله عنهما - فهي - رضوان الله عليها - لم يكن خروجها قط متولية لشؤون المسلمين، ومُلزمة لهم - وهي بلا شك أهل للقيادة والإلزام - وإنما كان خروجها جمعًا للكلمة، لمَّا طُلب منها ذلك؛ لمنزلتها ومكانتها بين الناس.

**ثالثًا: عدم أخذ الأُجرة:**

لا شك أنّ المصالحة الوطنية إن كانت ولاية عامة، وهي التي تكون بالإنابة عن ولي الأمر أو

(28) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 110. ابن قدامة: المغني، 36/10.

(29) شيخي زاده: مجمع الأنهر، 168/2. وأجيب على هذا: بأن الشهادة أخفض رتبة من القضاء؛ لأنها تصح شهادتها دون الإمامة العظمى، والعدل يصح منه الأمران. كما أنّها ممنوعة من إمامة الصلوات مع جواز إمامة الفاسق، كان المنع من القضاء الذي لا يصح من الفاسق أولى. القرافي: الذخيرة، 22/10. الماوردي: الحاوي الكبير، 156/16.

(30) شيخي زاده: مجمع الأنهر، 168/2. والحديث تقدم تخريجه.

(31) وقد حُكِيَ عن الإمامِ ابنِ جريرٍ الطَّبريِّ أنَّه يجيزُ أن تكونَ المرأة قاضيًا على الإطلاقِ في جميعِ الأحكامِ. ولكنَّ هذا القول لم يثْبُتْ عن ابنِ جريرٍ بنقلٍ صحيحٍ، ولم ينص هو على هذا في شيءٍ من كُتُبه، ومذهب الطبري مندثر لم يُكتب له البقاء، ولم يدونه عنه تلاميذه، وفي تفسيره المتواجد بين أيدينا لا يوجد قوله هذا المنسوب إليه، كما أن كتبه في الفقه لم يُعثر عليها، كما أن صاحب الرأي دائماً ينافح عنه ويقدم عليه الأدلة كلّما ناسبته الفرصة لذلك، وقد ناسب ذلك ابن جرير -رحمه الله- العديد من الفرص، سواء في تفسيره، أو في تاريخه لمَّا تكلَّم عن قصة سليمان ﷺ، وعن تولية ابنة كسرى لمَّا مات أبوها، ولما ذكر حديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، ورغم ذلك لم يشر لولاية المرأة القضاء أو عدمه، كما هي عادة العلماء، ثمَّ لو قُلنا بثبوته عن ابن جريرٍ أو غيره، فلا عِبْرةَ به؛ لأنَّه شاذٌّ مخالِفٌ للإجماع، كما تقدم ذكره قريبًا. انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 110. ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد، 243/4. ابن قدامة: المغني، 36/10.

(32) العدوي: حاشية على شرح كفاية الطالب الرباني، 457/2.

(33) ابن كثير: البداية والنهاية، 267/7.

الرئيس؛ كانت كغيرها من الولايات، كالقضاء والوزارة ونحوها مما يستحق القائم عليها أجرًا على عمله، وهذا يكون في المصالحة التي يستمد القائمون عليها سلطتهم من ولي الأمر، ويكون لهم ولاية على أطراف النزاع أشبه بولاية القضاء.

أما إذا لم يكن للقائمين على المصالحة الوطنية ولاية على أطراف النزاع، بأن كان عملهم تطوعيًا، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كان في أخذهم الأجرة على عملهم هذا خلاف بين الفقهاء.

فمنع الحنفية والحنابلة في إحدى الروايتين أخذ الأجرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كونهما طاعات، كالأذان والحج والجهاد وتعليم القرآن، فالأصل في الطاعات أن لا يجوز الاستئجار عليها[34]، لما روي عن عثمان بن أبي العاص – رضي الله عنه- أنه قال: كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ «أَنْ لَا أَتَّخِذَ مُؤَذِّنًا يَأْخُذُ عَلَى الْأَذَانِ أَجْرًا»[35]، وما رواه عبادة بن الصامت – رضي الله عنه- قال: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا، فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا»[36].

بينما أجاز المالكية والشافعية ومتأخرو الحنفية والحنابلة في إحدى الروايتين أخذ الأجرة على ذلك[37]؛ لقول النبي ﷺ: «أَحَقُّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[38]. وهو الراجح؛ لحاجة الناس اليوم لذلك، فلو مُنع اليوم أخذ الأجرة على مثل هذه الأعمال؛ لكاد أن لا يوجد من يقوم بها.

## المبحث الثاني: الضوابط القانونية للقائمين على المصالحة الوطنية.

تضع القوانين الوضعية ضوابط خاصة فيمن يتولى أحد الأعمال العامة في الدولة، يُرام من خلالها استخلاص الأكفأ على القيام بعمل ما، فهي من حيث الهدف لا تخرج عن هدف الضوابط الشرعية في القائمين على المصالحة الوطنية، وهذه الضوابط القانونية بعضها لضمان كفاءة الموظف العلمية، كاشتراط حصوله على شهادة أو خبرة معينة، وبعضها الآخر لضمان أمانة الموظف ومصداقيته وحسن خُلقه، كاشتراط حسن سيرته وسلوكه.

وما يهمنا في هذا الصدد هو النوع الأخير من الضوابط، وهي المتعلقة بمصداقية الشخص وأمانته؛ لأن النوع الأول لا يمكن تطبيقه على المصالحة الوطنية، حيث لم يُنظم القانون مسائل المصالحة الوطنية، فضلا عن بيان نوع الشهادة أو الخبرة التي يجب أن يتحصل عليها القائم على تلك المصالحة، بينما النوع الأخير هو ما يؤثر في كل قائم بعمل عام، خاصة عمل المصالحة الوطنية؛ لأن المصالحة الوطنية قائمة على أشخاص القائمين بها، ومصداقيتهم

(34) الكاساني: بدائع الصنائع، 191/4. ابن قدامة: المغني، 410/5.

(35) أخرجه ابن ماجه: أبواب الطلاق، باب السنة في الأذان، برقم 714. والترمذي: أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يأخذ المؤذن على الأذان أجرًا، برقم 209.

(36) أخرجه ابن ماجه: أبواب الأذان والسنة فيها، باب الأجر في تعليم القرآن، برقم 2157. وأبو داود: كتاب البيوع، باب في كسب المعلم، برقم 3415.

(37) ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، 199/2القرافي: الذخيرة، 400/5. الرملي: نهاية المحتاج، 291/5. ابن قدامة: المغني، 411/5.

(38) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، برقم 2276.

وحسن مكانتهم في أنفس أطراف النزاع؛ فوجب أن يكون القائم بها حَسن السيرة والسلوك[39].

ويُقصد بحسن السيرة والسلوك: عدم الإتيان بكل ما يُشين المرء قانونًا، من أعمال مُخلة بالشرف أو الأمانة، كالزنا والرشوة والسرقة والتزوير ونحوها.

ويُقصد بالجرائم المخلة بالشرف والأمانة: (تلك الجرائم التي تُخل باعتبار وسمعة مرتكبها في الهيئة الاجتماعية، وتجعله منبوذًا من مواطنيه)[40]، فهي جرائم تُسقط الشخص وتُشكك في نزاهته وأمانته، حيث إنها جرائم ترجع إلى ضعف الخُلُق، وانحراف الطبع، وخضوع للشهوات، فلا يكون مرتكبها أهلا للثقة[41]، ويلاحظ أن هذه الجرائم، المخلة بالشرف وبالأمانة، يتعلق الأول منها بالآداب، بينما يتعلق الآخر بالمال[42]؛ ولذلك يمكن تقسيم ضوابط القائمين على المصالحة الوطنية المتعلقة بحسن سيرتهم وسلوكهم إلى ضوابط أدبية، وأخرى مالية، وبيانها في المطلبين الآتيين:

**المطلب الأول: الضوابط الأدبية:**

ويُقصد بها تلك المتعلقة بشرف الإنسان، فيجب ألا يكون القائم على المصالحة الوطنية ممن ارتكب جرائم مخلة بالشرف.

ولم يورد المشرع الليبي تعريف الجرائم المخلة بالشرف كاصطلاح، وإنما اكتفى ببيان أنواعها، حيث نص القانون رقم (10) لسنة 1985م بشأن بتقرير بعض الأحكام الخاصة بجرائم الآداب العامة في مادته الأولى على الجرائم المخلة بالشرف بأنها:

1- الجرائم ضد الحرية والعرض والأخلاق، المنصوص عليها في الباب الثالث، من الكتاب الثالث، من قانون العقوبات.

2- الجرائم الماسة بالشرف، أو المتعلقة بالآداب العامة، أو النظام العام، المنصوص عليها في المواد: 439، 472، 492، 493، 496، 500، 501، من قانون العقوبات.

3- جريمة الزنا المنصوص عليها في القانون رقم (70) لسنة 1973م.

وتفصيل ذلك فيما يأتي:

**أولًا: الجرائم ضد الحرية والعرض والأخلاق:**

وقد جاءت المادة (424) في بيان أحوال سقوط هذه الجرائم، أو وقف تنفيذ عقوباتها، فنصت على أنَّه: ( إذا عقد الفاعل زواجه على المعتدى عليها؛ تسقط الجريمة والعقوبة، وتنتهي الآثار الجنائية، سواء بالنسبة للفاعل أو للشركاء، وذلك ما دام قانون الأحوال الشخصية للجاني لا يخول الطلاق أو التطليق. فإذا كان القانون المذكور يخول الطلاق أو التطليق؛ فلا يترتب على الزواج المعقود إلا إيقاف الإجراءات الجنائية، أو إيقاف تنفيذ الحكم لمدة ثلاث سنين. ويزول الإيقاف قبل مضي ثلاث سنوات من تاريخ الجريمة، بتطليق الزوجة المعتدى عليها، دون سبب معقول، أو بصدور حكم بالطلاق لصالح الزوجة المعتدى عليها).

(39) انظر: المادة (128) من القانون رقم 12 لسنة 2010م بشأن علاقات العمل.
(40) القيسي، ص 149.
(41) العتيبي، ص 156.
(42) حيث إن المشرع الليبي في قانون العقوبات العام ذكر الجرائم المخلة بالأمانة في باب الجرائم ضد الأموال.

**ثانيًا: الجرائم الماسة بالشرف أو المتعلقة بالآداب العامة، أو النظام العام، وهي: التشهير، ومضايقة الناس أو إقلاقهم في محل عام، أو مفتوح، أو معروض للجمهور، أو مضايقتهم، أو إقلاقهم باستعمال التليفون، أو استعماله لأي سبب ذميم آخر، وإعداد العدة لألعاب القمار في محل عام، أو مفتوح للجمهور، ولعب القمار في مكان عام، أو مفتوح للجمهور، وألعاب النصيب «اللوتريا» دون إذن، وعرض الأشياء المنافية للحياء، والإتجار بها في محل عام، أو مفتوح للجمهور، والأفعال المنافية للحياء، والكلام الفاحش في محل عام، أو مفتوح، أو معروض للجمهور[43].**

**ثالثًا: جريمة الزنا المنصوص عليها في القانون رقم (07) لسنة 3791م، في شأن إقامة حد الزنا، وتعديل بعض أحكام قانون العقوبات، وهي: (أن يأتي رجل وامرأة فعل الجماع، بغير أن تكون بينهما علاقة الزوجية المشروعة)[44].**

**وقد رتبت المادة الثالثة من القانون رقم (10) لسنة 1985م، على الإدانة بإحدى الجرائم السابقة ما يأتي:**

**1- الحرمان من التصعيد لأمانات المؤتمرات الشعبية، واللجان الشعبية، والاتحادات والنقابات والروابط المهنية.**

**2- عدم الصلاحية لتولي شؤون الوصاية والقوامة.**

**3- عدم قبول الشهادة أمام الجهات ذات الاختصاص القضائي، في غير المسائل الجنائية.**

**4- الحرمان من الحصول على شهادة حسن السيرة والسلوك.**

**5- عدم الصلاحية لتولي وظيفة مأمور الضبط القضائي، ولو كان قد رُد إلى المحكوم عليه اعتباره، وعلى المحكمة أن تأمر بنشر منطوق الحكم على نفقة المحكوم عليه).**

**كما نص القانون رقم (12) لسنة 2010م بشأن علاقات العمل، في مادته الثانية والأربعين الخاصة بانتهاء خدمة العامل أو الموظف، في فقرتها الرابعة، على أنه: (الحكم عليه بعقوبة جناية أو في إحدى الجنايات أو الجنح المخلة بالشرف أو الأمانة أو الأمن...)؛ فأضاف جرائم أخرى على القانون السابق، منها ما يتعلق بنوع الجرائم التي يرتكبها الشخص، وهي: الجنايات، ومنها ما يتعلق بأمانة الشخص، كالسرقة والنصب والخيانة وشهادة الزور والغش، ومنها ما يتعلق بالأمن العام، كالجرائم الماسة بالدولة أو الدين أو الأمن الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي.**

**المطلب الثاني: الضوابط المالية:**

**ويُقصد بها تلك المتعلقة بأمانة الإنسان، حيث يجب ألا يكون القائم على المصالحة الوطنية ممن ارتكب جرائم مخلة بالأمانة.**

**وقد أورد المشرع الليبي في قانون العقوبات الجرائم المخلة بالأمانة في باب الجرائم الماسة بالأموال، وبالتالي يظهر بأن المقصود بالأمانة هنا: الأمانة المالية للشخص، حيث نص في المادة (465) منه، والخاصة بخيانة الأمانة، على أنه: ( كل من كان في حيازته على أي وجه نقداً أو أي منقول آخر مملوك للغير، فاستحوذ عليه للحصول على نفع غير مشروع لنفسه، أو لغيره؛ يعاقب بالحبس...وإذا وقع الفعل على أشياء تستند حيازتها على وديعة اضطرارية،**

(43) انظر المواد: (439- 472- 492- 493- 496- 500- 501) من قانون العقوبات الليبي.

(44) المادة الأولى من القانون رقم (70) لسنة 1973م، في شأن إقامة حد الزنا.

أو ارتكب الفعل إساءة لاستعمال السلطة، أو العلاقات العائلية، أو علاقات الوظيفة، أو العمل، أو المساكنة، أو الضيافة؛ فتزاد العقوبة بما لا يجاوز النصف، ولا تتوقف الدعوى على شكوى الطرف المتضرر)، وبالتالي يظهر بأن المقصود بخيانة الأمانة: انتفاع الشخص على وجه غير مشروع بمال جُعل عليه أمينًا.

وإذا كان تعدي من له يد صحيحة على الأموال التي جُعلت أمانةً عنده يُعد قادحا في أمانته المالية؛ فيُعد كذلك الاعتداء على أموال الغير ممن ليس له يد صحيحة، كالسرقة، والاختلاس، والنصب، وإعطاء صك دون مقابل الوفاء مع سوء النية[45]، من باب أولى؛ بجامع أنَّ هذه الجرائم جميعها تخرم أمانة فاعلها، فلا يكون أهلا لتولي ولايات عامة، وعلى رأسها المصالحة الوطنية، ثم إن المصالحة الوطنية الناجعة تقوم على ثقة الناس فيمن تقوم عليه من صالحيهم، فلا يمكن أن يكون من بين هؤلاء مرتكب لمثل هذه الجرائم، التي ينفر منها الناس ومن فاعليها.

ويؤكد هذا المسلك ما جاء في المادة 42 من القانون رقم (12) لسنة 2010م بشأن علاقات العمل، من النص على بعض الجرائم التي تمنع مرتكبيها من تولي وظائف عامة، حيث نصت في فقرتها الرابعة على أنه: (الحكم عليه بعقوبة جناية أو في إحدى الجنايات أو الجنح المخلة بالشرف أو الأمانة أو الأمن...).

## الخاتمة:

نستنتج مما تقدم في البحث الآتي:

أنّه يُشترط في القائمين على المصالحة الوطنية جملة من الضوابط، التي يُرام منها ضمان نجاعة المصالحة الوطنية في كف النزاع ورأب الصدع، وهي ضوابط شرعية وأخرى قانونية، تدور جميعها على استخلاص نخبة مجتمعية وعلمية لها مصداقية ونزاهة وقدرة على القيام بمهام المصالحة الوطنية، فاختلاف التنظيم الشرعي عن القانوني هنا، لا يعني افتراقهما، حيث إن هدفهما من هذه الضوابط واحد.

فأما الضوابط الشرعية فظهر أنها على قسمين، الأول: ضوابط عامة، وهي: العقل والبلوغ، والعدالة، والإسلام، والثاني: ضوابط خاصة، وهي: العلم، والذكورة، وعدم أخذ الأجرة، وفي كل من الثلاثة الأخيرة تفصيل في أحكامها.

أما عن الضوابط القانونية: فقد ظهر أنها تدور حول اشتراط أن يكون المرء حسن السيرة والسلوك، بأن لا يُدان في جرائم مخلة بالشرف ولا بالأمانة، وقد سُميت الأولى بالضوابط الأدبية، والثانية بالضوابط المالية.

وقد ظهر ما للتنظيم الشرعي لضوابط القائمين على المصالحة الوطنية من دقة وشمول ونجاعة يفتقر إليها التنظيم الوضعي، حيث إنّ ما احتواه التنظيم الوضعي من ضوابط يظهر وجودها أيضا في التنظيم الشرعي وزيادة، بما يضمن للمصالحة الوطنية نجاعتها.

وأخيرًا يوصي الباحث بمراعاة هذه الضوابط فيمن يقوم على المصالحة الوطنية؛ لأهميتها الكبيرة في إنجاح المصالحة الوطنية، خاصة إذا علمنا أنَّ المصالحة بين طرفي نزاع، قائمة على ثقة طرفيه بالمصلحين بينهما، وهذه الثقة لا تتأتى إلا إذا توافرت في هؤلاء المصلحين الضوابط

(45) انظر المواد: (444- 449- 461- 462) من قانون العقوبات الليبي.

المرعية فيهم على نحو ما ظهر في البحث.

## المصادر والمراجع:


1. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: المصنف في الأحاديث والآثار، ط1، ١٤٠٩ه، مكتبة الرشد، الرياض.
2. ابن العربي، محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، ط3، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
3. ابن تيمية الجد، عبد السلام بن عبد الله: منتقى الأخبار (مطبوع مع كتاب: نيل الأوطار للشوكاني)، ط1، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار الحديث، مصر.
4. ابن رشد الجد، محمد بن أحمد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة، ط2، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
5. ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دط، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م، دار الحديث، القاهرة.
6. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر: رد المحتار على الدر المختار، ط2، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
7. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد: المغني، ط1، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، مكتبة القاهرة، مصر.
8. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ط1، 1408 هـ / 1988م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ط1، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
10. ابن ماجه، محمد بن يزيد: السنن، ط1،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، بيروت.
11. أبو داود، سليمان بن الأشعث: السنن، ط1، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، بيروت.
12. الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ط1، ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت.
13. الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل: الشورى وأثرها في الديمقراطية، ط3، دت، المكتبة العصرية، بيروت.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، السلطانية، دط، ١٣١١هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر.
15. البركتي، محمد عميم الإحسان: التعريفات الفقهية، ط1، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
16. البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، ط3، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
17. الترمذي، محمد بن عيسى: السنن، ط2، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
18. التفتازاني، مسعود بن عمر: شرح التلويح على التوضيح، دط، دت، مكتبة صبيح، مصر.
19. الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، ط1، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت.
20. الرملي، محمد بن أبي العباس: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط أخيرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت.
21. الشوكاني، محمد بن علي: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ط1، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار

الحديث، مصر.
22. الطريقي، عبد الله بن إبراهيم: أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم، العدد 185، عام 1417ه، السنة السابعة عشرة، مجلة دعوة الحق، السعودية.
23. العتيبي، صالح ناصر: انتهاء خدمة الموظف العام بسبب الحكم الجزائي، العدد1، لعام 2005م، مجلة الحقوق، الكويت.
24. العدوي، علي بن أحمد: حاشية على شرح كفاية الطالب الرباني، دط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت.
25. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ط8، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
26. الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دط، دت، المكتبة العلمية، بيروت.
27. القانون رقم (70) لسنة 1973م، في
28. القانون رقم 12 لسنة 2010م بشأن علاقات العمل الليبي.
29. القرافي، أحمد بن إدريس: الذخيرة، ط1، ١٩٩٤م، دار الغرب الإسلام، بيروت.
30. القرافي، أحمد بن إدريس: أنوار البروق في أنواء الفروق- الفروق-، دط، دت، عالم الكتب، بيروت.
31. القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط2، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة.
32. القيسي، عبد القادر محمد: أثر الفعل الجنائي للموظف في إنهاء علاقته الوظيفية، دط، 2016، دار السنهوري، بيروت.
33. الكاساني، أبو بكر بن مسعود: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
34. الماوردي، علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دط، دت، دار الحديث، القاهرة.
35. الماوردي، علي بن محمد: الحاوي الكبير، ط1، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
36. النسائي، أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، ط1، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
37. النووي، يحيى بن شرف: روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط3، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان.
38. شيخي زاده، عبد الرحمن بن محمد: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دط، دت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
39. قانون العقوبات الليبي، سنة 1953م.
40. مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دط، دت، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

# رؤية الناقوري الجدلية وإيديولوجيا «المضمون»

إعداد:
**محسين بنغالب**
باحث دكتوراه الأدب والمناهج النقدية الحديثة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة مولاي إسماعيل – مكناس / المغرب

الاستلام: 3.2.2024 القبول: 14.3.2024

**المستخلص:**

بغض النظر عن طبيعة النقد الأدبي المغربي الذي عرف بقسوة خطابه في حق الأعمال الإبداعية الروائية، التي برزت مطلع ستينيات القرن الماضي، وبغض النظر عن«الجهاز» المفاهيمي الذي كان موظفا آنذاك ، فقد كانت الوسيلة التي تتيح لنقاد الواقعية الاشتراكية سبر أغوار النصوص، هي استخلاص المضامين الروائية، قصد البحث عن الإشكالية الاجتماعية والسياسية فيها، وإصدار الأحكام في حقها، وتصنيفها وفق الرؤية الجدلية التي يؤطر النقد الواقعي الاشتراكي، فقد كان «المضمون» بمثابة الإيديولوجية النقدية والآلية الفعالة التي يستند الناقد في مجمل ممارسته النقدية.

**الكلمات المفتاحية:** المصطلح – إيديولوجيا – الرؤية – المضمون – الواقعية – الرواية – الإشكالية.

**Abstract:**

Regardless of the nature of Moroccan literary criticism, which was known for its harsh rhetoric against the creative works of fiction that emerged at the beginning of the sixties of the last century, and regardless of the conceptual "apparatus" that was employed at that time, the means that allowed critics of socialist realism to explore the depths of texts was to extract The content of the novel, with the aim of searching for the social and political problem in it, issuing judgments about it, and classifying it according to the dialectical vision that frames socialist realist criticism. The "content" was the critical ideology and the effective mechanism upon which the critic relies in his overall critical practice.

**Keywords:** term - ideology - vision - content - realism - novel - problematic.

## تقديم:

يعتبر «المضمون» من أكثر المفاهيم والمصطلحات شيوعا في النقد الواقعي الاشتراكي، بحيث يعتبر أكثر الأدوات إجرائيةً بالنسبة لنقاد هذا المنهج، الذين غالبا ما ينطلقون، «على أساس مبدأ الاستنباط، من البحث في الاجتماعي ثم البحث عن أصدائه وعن انعكاسه أو تحققه في الاجتماعي»[1]، ومنذ بروز الواقعية الاشتراكية وتسلل المادية الجدلية إلى الخطاب النقدي،

(1) بول آرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة 1، 2013 الصفحتان 91 - 92

أخذ الناقد الجدلي على عاتقه توجيه الأدب ودعوته إلى الإخلاص «في تبني القضايا المرتبطة بمصائر الطبقة العاملة»[2]، إن «المضمون» باعتباره مصطلحا عاما ومشتركا، فهو يفي بالغرض بالنسبة للناقد الواقعي ويحقق رغبته في الوصول السريع إلى الحكم النقدي من خلال الوصف والتفسير والشرح، وبذلك نجد له حيزا مهما في دراسات النقاد الواقعيين، والناقوري من هؤلاء النقاد الذين انتهجوا هذا الأسلوب في ممارستهم النقدية، «قصد تحديد موقف المبدع من الصراع الاجتماعي.»[3] وفي هذا الشأن لا يمكن اعتبار «المضمون» مجرد مرحلة عابرة من خطوات النقد الجدلي، فعلى العكس تماما، يمكن اعتبار الخطوات الإجرائية الأخرى خادمة لـ«لمضمون» وتصب في مصلحته لدرجة يمكننا فيها اعتبار هذا «المضمون» إيديولوجيا نقدية يتبناها الناقد الواقعي الاشتراكي، قصد بلوغ هدفه المنشود، المتمثل في «اكتشاف الرؤية الإيديولوجية للكاتب [بحيث] هي أول شيء -في نظرهم- ينبغي أن يقوم به الناقد، وتبقى المهمة الثانية، هي تقييم الجانب الجمالي»[4]، أو بالأحرى تهميشه، أوإهماله على حساب استخلاص «المضامين الإيديولوجية» حتما سـ«يؤدي إلى جهل تام بحقيقة النقد الأدبي، وإلى تحريف وجهة النظر النقدية المادية نفسها»[5]،التي يؤمن بها رواد النقد الجدلي.

يعد إدريس الناقوري من أبرز النقاد الذي اعتمدوا بشكل كبير على «المضمون» في مقاربتهم النقدية للنصوص الروائية، لأنه الوسيلة الأنسب لطبيعة ممارسته النقدية، «إنه يعتبر «المضمون» قضية «يكثر حولها الجدل وتثار باستمرار كلما تعلق الأمر بدراسة وتحليل الأعمال الفنية، وعلى الرغم من أهميتها لم تصبح بعد مادة استقصاء خاص في أدبنا الحديث ولم تكرس لها الدراسات الحديثة المستقلة ما خلا استثناءات قليلة جدا..، -ويرى أن- الطرح السليم لهذه القضية لا يتحقق إلا بالنظرة الشمولية والتفكير الجدلي الذي يعتبر العمل الأدبي وحدة مترابطة الأجزاء متكاملة العناصر في الوقت الذي يربطه بكلية عامة هي الظاهرة الاجتماعية أو الواقع الموضوعي فمن الضروري -في نظره- رسم الإطار النظري الواضح لهذه المشكلة التي تعتبر كغيرها من قضايا الإبداع الفني مجالا خصبا وفسيحا يحتد فيه الصراع بوضوح بين المادية والمثالية»[6]، وفي هذا التحديد الذي قام به الناقوري، تنتصب المادية الجدلية، كعمود فقري «للمضمون» الذي كان يقصده، فهو في نظره ليس كبقية «المضامين» الأخرى غير المخلصة للواقع المادي؛ والناقوري في طرحه هذا، يبدو شبيها، نوعا ما، بالطرح الذي قدمه حسين مروة عن مشكلة «المضمون» في الأدب العربي المعاصر، رغم بعض الاختلافات الجزئية، بحيث يرى حسين مروة، هو الآخر، أن قضية «المضمون» في علاقته بالشكل، «من عقد الفن الكبرى، بوجه عام. وهي لفرط تعقدها كثيرا ما تستدرج كلا من الناقد الأدبي ومبدع العمل الأدبي: إما إلى خطر الشكلية، وإما إلى خطر الواقعية المبتذلة، إن لم يكن يمتلك القدرة على ترويض هذه العقدة. ولا تكفي الموهبة الفنية -حسب رأيه- في امتلاك هذه القدرة إن

(2) فيصل دراج، الواقع والمثال، مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 1989، الصفحة 98.
(3) حميد الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الطبعة 1، سنة 1990، الصفحة 56.
(4) جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة 1، 1977، الصفحتان 59 – 60.
(5) نفس المرجع، الصفحة 50.
(6) إدريس الناقوري، مشكلة المضمون في الرواية المغربية، مجلة الفكر، تونس، العدد 6، 1 مارس 1978، الصفحتان 68 – 69.

لم ترفدها المعرفة بمعناها الشمولي»[7]، وهذه المعرفة الشمولية التي يدعو لها حسين مروة هي نفسها التي يسميها الناقوري «النظرة الشمولية والتفكير الجدلي»[8]، وهي، في عقيدتهما النقدية، تحدد طبيعة «المضمون» المطلوب استخلاصه في العمل الأدبي. وهذا «المضمون» في رأي جورج لوكاش هو الذي «يحدد الشكل وليس هناك مضمون إلا وكان الإنسان ذاته نقطة البؤرة فيه، وإن المضمون هو الذي يجدد الشكل، وذلك على اعتبار أن هذا المضمون يضع في مركزه الإنسان الذي هو أساس هذه الحياة»[9]، والذي يحدد هذا «المضمون» في العمل الروائي «هو المستوى الثقافي الذي وصلت إليه المجتمعات التي ينتمي إليها الفنان، فالمضمون اجتماعي وتاريخي كما أن المضمون يعتبر حاملا للإيديولوجيا، لذا ف كل سلطة سياسية تفضل دائما النظرة النفعية للفن وهذا مفهوم ليس من مصلحتها توجيه سائر الإيديولوجيات نحو خدمة القضية التي تراها في خدمتها.»[10] والناقوري يرى أن «مضمون الأدب هو إدراك الكاتب للحقيقة الموضوعية التي لا تدخل في الرواية.. كحقيقة معكوسة خارجة عن نطاق العمل الأدبي عديمة الصلة به، وإنما تدخل فيه كحقيقة عاكسة موجودة داخلة كشكل ذاتي للعالم الموضوعي. وهذا معناه أن مضمون الأدب لا يتحدد كحقيقة وإنما كرؤية لها ما دامت الحقيقة الموضوعية هي إدراك الفنان المحدد لظواهر الواقع وتقييمه لها بوصفه ممثلا طبقيا لإحدى القوى الاجتماعية»[11]، والناقوري هنا لم يقصد بـ«الشكل الذاتي»، بنيوية «المضمون» وإنما كان يقصد، على وجه التحديد، أن العالم الموضوعي لا ينفصل عن «مضمون» الإبداع، وهذا الأخير لا ينفصل عن العالم الموضوعي، بحيث أن «أي عمل أدبي لا يكتسب حجمه الحقيقي إلا بعد موضعته في إطار البنية الاجتماعية والواقع التاريخي المتواجد، كما يرى لوكاتشوجولدمان. بيد أن تحديد الأثر الأدبي في هذه الدائرة يكشف في العمق موضوعية الطرح، ودرجة وعي المبدع بما يتفاعل أمامه من واقع متناقض في الأساس، من ثم يتحدد مستوى الرؤية الواقعية للأشياء المتنامية حوله»[12]. ولا جدال أن هذه الرؤية تبقى حبيسة الطرح النظري، لأنها لا تنطلق فعلا من الواقع الموضوعي وأصحابها لم يدركوا بعد، آنذاك، خصوصية الإبداع الروائي المغربي الحديث النشأة، وبمجرد محاولة تنزيلها وتطبيقها على النصوص الروائية، تتغير الأساليب بتغير طبيعة تلك النصوص الإبداعية المدروسة، والناقوري، في هذا الصدد، أثناء تطبيقه لهذه الرؤية، وجه بؤرته نحو نوع محدد من الروايات، واقتصر على النموذج المغربي معللا رأيه بأنه «على صلة مباشرة به..، وأن الرواية المغربية هي جزء من هذا التراث الحضاري وامتداد وتطوير له في بعض الوجوه»[13]، لكن هذا الاختيار سيخيب آماله كلما توجه نحو مقاربة تلك الروايات، لأن تصوره سيتناقض معها، تمام التناقض، كلما حاول البحث عن شكل محدد من «المضامين»، ما يوضح الأحكام القاسية في حق تلك الروايات وأصحابها، وذلك ليس لمجرد أن تلك الروايات لم تخلص في «مضامينها» للواقع المادي، وإنما ذلك بفعل عدم قبول

(7) حسين مروة، ماذا تعني مشكلة"المضمون" في الأدب العربي المعاصر، مجلة الآداب، بيروت-لبنان، العدد 10، 1 أكتوبر 1977، الصفحة 12.

(8) إدريس الناقوري، مشكلة المضمون في الرواية المغربية، الصفحة 68.

(9) جورج لوكاش، معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة أمين العويطي، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة 1، 1971، الصفحة 17.

(10) غ أ يغوروف، المحتوى والشكل في الفن ضمن أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ترجمة يوسف حلاق، دار الفارابي- دار الجماهير، بيروت - دمشق، الطبعة 2، 1978، الصفحة 39.

(11) إدريس الناقوري، مشكلة المضمون في الرواية المغربية، الصفحتان 69 – 70.

(12) صدوق نور الدين، المضمون في الشجرة المقدسة، مجلة الآداب، العددان 5 - 6، 1 ماي 1981، الصفحة 72.

(13) إدريس الناقوري، مشكلة المضمون في الرواية المغربية، الصفحتان 71 – 72.

إيديولوجية أصحاب تلك الروايات من الأساس.

كما يمكن اعتبار اللجوء إلى «المضمون» كأداة إجرائية فعالة، الوسيلة المناسبة في استخلاص الأفكار والمواقف التي عادة ما يتم ربطها بمؤلف الرواية، كما عبر الناقوري عن ذلك في مقاربته لرواية «إكسير الحياة» للروائي «محمد عزيز الحبابي» الذي حاول ربط «مضمون» روايته بفلسفته، تلك الفلسفة التي ربط مدلولها بمفهوم «الصراع الطبقي»، الذي يراه الناقوري في فلسفة «الحبابي» مثاليا، أي محصورا في الفكر المجرد وغير قابل لأن يكون واقعيا، فهو يرى روايته «تحفل بكثير من الأوصاف والمقارنات [التي] تبين اتساع الهوة بين الطبقات الفقيرة والغنية. وكأن الحبابي -في نظره- عندما عالج مشكلة الموت، وما بعده، وجد نفسه مضطرا، وبكيفية تلقائية إلى طرح النقيض الجدلي لمسألة الموت: الحياة. وهذا يعني أنه انساق- عن وعي أو عن غير وعي – إلى إثارة مشكلة الصراع الطبقي داخل جدلية الحياة والموت»[14]، الشيء الذي اعتبره الناقوري «يشغل الجانب الإيجابي في الرواية كلها»[15]، بحيث كان الحبابي يتغيى «تحليل آمال وتطلعات شريحتين اجتماعيتين متناقضتين، تتمثلان في فئتين، دنيا ومترفة»[16]، غير أن الناقوري يعتبر ذلك «مثاليا»، ويتغافل البعد التخييلي للرواية، ويتناسى البون الشاسع بين الرواية والفلسفة، واعتبر «مضمون الرواية» «مضمونا فلسفيا»، أي أنه «مضمونا» غير تخييلي، وهنا يجدد الناقوري الخلط على مستويين، المستوى الأول يتمثل في الربط بين المؤلف ونصه، والمستوى الثاني يتمثل في عدم التميز بين النص الفلسفي والنص التخييلي، على أساس أن الرواية هي نوع من أنواع الإيديولوجيا التي وجب مقاربتها كما باقي النصوص الأخرى ومحاسبتها، وهذا ليس بجديد على الناقوري والمنهج الذي يدين به،فقد اتخذ [ذلك] المنهج الجدلي في النقد صورة إيديولوجية صريحة. وكان من شأن هذا الوضع أن يبعد الأحكامالصادرة عن الطابع النقدي الأدبي بحكم أن المادة التي كان يتناولها هذا النقد لم تكن مجرد إيديولوجيا فحسب، ولكنها كانت إلى جانب ذلك أيضا صياغة جمالية تعتمد المجاز للتعبير عن مضمونها الإيديولوجي، ويمكن اعتبار الأحكام النقدية التي قدمها بعض المنظرين [النقاد] الاشتراكيين مثلا تدخل في نطاق التقويم السياسي المباشر، وليست أحكاما نقدية بالمعنى الصحيح»[17]، وهذا ما التبس على الناقوري في ممارسته النقدية، لكن التباسه هذا كان متعمدا، وعن سبق إصرار وترصد، وهو ما دعاه حتما في مقاربة «مضمون» رواية «إكسير الحياة» إلى استعارة مفهوم «الصراع الطبقي «الذي يراه ينسجم مع رؤيته النقدية، فهو يرى «الحبابي»«أثار مشكلة الصراع برؤية مثالية، وأخلاقية انحاز فيها إلى الطرف الرجعي المحافظ»[18]، الشيء الذي لم يرقه في رواية الحبابي، واعتبرها امتداد لفلسفته «الشخصانية الواقعية» التي يراها من خلال الرواية «قد بالغت في الاهتمام بالإنسان إلى درجة التقديس والتأليه، وجعلت منه فكرة مطلقة فوق كل شيء»[19]، فالفلسفة الشخصانية عموما، تؤكد

(14) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك دراسات في الأدب المغربي المعاصر، دار النشر المغربية، الطبعة الرابعة 2010. الصفحة 104.

(15) نفس المرجع، الصفحة 104.

(16) العربي بنجلون، أبعاد النص، قراءات في الأدب المغربي الحديث، مطبعة الرسالة، ط 1، الرباط، 1986، الصفحة 14.

(17) حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة 1، 1985.الصفحة 10.

(18) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحتان 104-105.

(19) نفس المرجع السابق، الصفحة 105.

«بشعابها المختلفة على مركزية الشخص ليكون الموضع الأساسي للبحث والتقصي في الدراسات الفلسفية واللاهوتية و الإنسانية. فهي منهج أو نظام فكري يعتبر أو يميل لاعتبار الشخص المبدأ التوضيحي والمعرفي والأنطولوجي والأكسيولوجي المطلق لجميع الحقائق»[20]، «وتذهب الشخصانية، إلى أن المهمة الاجتماعية الرئيسية ليست تغيير العالم، وإنما تغيير الفرد، أي دعم كماله الذاتي الروحي»[21]، والفرد باعتباره شخصا عند «الحبابي» هو «كيان مستقل وشخصي: إنه -في نظره- انبثاق للأنا وسط النحن (بين الآخرين)»[22]، ومن المعلوم أن الشخصانية الواقعية قد كانت تتطلع إلى تحرير الإنسان من الإذلال، والهوان المتواصل»[23]، والناقوري في إقحامه هذا لفلسفة «الحبابي»، كان يقصد نفي الواقعية عن روايته وفلسفته في نفس الوقت، فهو يراه «لا يهتم بقضية الصراع الطبقي التي تفجرت على إثر انتشار خبر الإكسير، بقدر ما يهتم بالفوضى التي أشاعها الاكتشاف الباهر في حياة الناس، وهو حين يشجب الإكسير..، فما ذلك -في نظر الناقوري- إلا لأنه يعكر اطمئنان الإنسان ويعوق حريته، متناسيا أن تاريخ الإنسان هو تاريخ الصراع الطبقي»[24]، بزعم أن «الرواية ليست تجسيدا للواقع فحسب، ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع. وهذا الموقف لا يمكن أن يتخذ إلا بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي والإيديولوجي في النص.»[25] وهذا الموقف يؤكد أن إيديولوجية الناقوري النقدية، ما دامت أحادية الرؤية والموقفلن تتصالح لا مع رواية «الحبابي» ولا مع فلسفته الشخصانية، ولو جزئيا، ومنه فمفهوم«الصراع الطبقي»الذي أقحمه الناقوري في ممارسته النقدية، ينسجم مع التصور الجدليالذي يدين به، بالمعنى الحرفي للكلمة، وهو في تناوله ومقاربة رواية «الحبابي لم يراع الفرق بين النص الأدبي والنص الفلسفي، إن طبيعة نقدههذه لا تميز بين ما هو فلسفي أو سياسي وبين ما هو أدبي صرف، فهو يضع كل هذه المجالات في كفة واحدة، ما دام صاحبها يحمل إيديولوجيا يراها موضوعا نقديا، الشيء الذي يجعل الممارسة النقديةتسقط في عموميات الخطاب، ويؤدي ذلك إلى تبني أحكام جاهزة متسرعة لا تتسم بالدقة. ومن باب الإنصاف إن فلسفة «الحبابي»، عكس ما كان يروج له الناقوري، فهي فلسفة منطقية تقوم على أساس الوعي وبناء الإنسان، فالشخصانية الواقعية لها، «من حيث المنطلقات والتصورات، صدى لتحولات فكرية، وسياسية، وفكرولوجية حاصلة في المجتمع المغربي والعربي-الاسلامي. وهذا شاهد على أن مشروع الحبابي مشروع يتأسس على وعي تاريخي عميق، عن طريق تحقق التحرر؛ الذي لا يضحي فعالا إلا حينما يتحصل لنا الوعي بالذات وتحويل فكرة التحرر إلى حقيقة حية»[26]، غير أن الناقوري يرى هذه الفلسفة مثالية غير واقعية وذلك ليس لأنها تضل منحصرة في الفكر وغير قابلة للتطبيق، بل لأنها في نظره لا تجسد الواقعية الجدلية التي يؤمن بها، وما الربط بين «مضمون» الرواية وفلسفة «الحبابي» إلا تأكيد على هذا الموقف،

(20) جون بريستون، وبول فيبرابند، الشخصانية، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة ناصر وضاح، مجلة حكمة الالكترونية، 12 شتنبر 2021، الصفحة 2. رابط المقالة (https://hekmah.org/)

(21) أبو يعرب المرزوقي، وطيب تيزيني، آفاق فلسفية عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق -سوريا، 1991الطبعة 1، الصفحة 310

(22) MohamedAZIZ LAHBABI, De l'être à la personne, Société nationaled'édition et de diffusion, Alger, 2 éméédition, 1972, Page 33.

(23) يوسف بن عدي، محمد عزيز الحبابي وتأسيس الفلسفة الشخصانية الواقعية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2016، الصفحة 157

(24) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 105.

(25) حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، الصفحة 51.

(26) يوسف بن عدي، محمد عزيز الحبابي، وتأسيس الفلسفة الشخصانية الواقعية، الصفحة 137.

و«المضمون» الفلسفي في رواية «الحبابي» يتجلى، كما يعتقد الناقوري، في تغليف «المضامين» الإيديولوجية بمجموعة من الحيل التي لا تسلم فحواها بسهولة، فهو يرى أن «جميع الحيل المستعملة في الرواية، فكرة الموت، الإكسير الإطار الحيالي، ما هي إلا أدوات فنية تهدف إلى تغطية الطابع السياسي، والمضامين الإيديولوجية للنص. واهتمام ذ.الحبابي بالسياسة -في نظر الناقوري- ليس مجهولا ولا غريبا لأنه هو ذاته يشبه السياسة بالموت»[27]، لكن موقف «الحبابي» من السياسة الذي يقول: أن«القضية ليست في محاربة السياسة بل في تنوير سلوكها، وإعانتها حتى تصير الأعمال السياسية أقل ضررا ممكنا»[28]، جعل الناقوري يؤاخذه ويحمله تهمة ثقيلة يزعم فيها أنه لم يقدم سوى «حل إصلاحي ينكر الصراع الطبقي والعنف الثوري.. ويعمل على إبقاء الواقع الاجتماعي مع محاولة ترميمه وإعادته»[29]، وهذا الذي قام به الناقوري خرق لقواعد النقد الأدبي، وتجاوز لحدوده، بحيث انزاح الموضوع بشكل كلي، عن الممارسة النقدية نحو ممارسة سياسية صرفة، تعلن فيها المواقف الإيديولوجية بلا رقيب ولا حسيب، وتتبدد المزاعم التي كان يدعيها في السابق التي يحاول بها إيهامنا «بأن خطابه خطاب علمي، حيث يتبنى القيام بأفعال مثل الدراسة والتحليل ويصف هذه الأفعال بالموضوعية والعلمية..، وكأنه بذلك يلغي كل ما هو شخصي، ويؤكد بأن الأمر في كل الأحوال، يرجع إلى سلطة هي سلطة العلم والمنهج والحقيقة الموضوعية.. لكن الناقد الواقعي-الاشتراكي- لم يتمكن دائما من إخفاء صوته ومن منع ضمير المتكلم، وكشف حضوره كناقد معني بالموضوع»[30]، بل ينكشف وينفضح وتتبدى سوءته الإيديولوجية أمام مختلف المواقف النقدية، وما الخلط الذي تعمده في مقاربة رواية «إكسير الحياة» بين «مضمون» الرواية وبين الفلسفة «الشخصانية» ليخلص إلى حكم كان يضمره في قرارة نفسه منذ البداية، سوى نموذج واحد من بين الكثير من النماذج التي تثبت هذا الخرق النقدي.

ومن جهة أخرى نؤاخذ على الناقوري ونسجل عنه تناقضا صريحا بين طرحه النظري الذي قدمه في مختلف المواطن وبين ممارسته النقدية، بحيث كان يدعي في تنظيره لـ«لمضمون» الروائي، أنه لا يستطيع «أن يتصور المضمون مفصولا عن الشكل»[31]، في إشارة منه إلى أن هيجل والمادية الجدلية بعده كشف «عن ضعف وخطر النظرية الشكلية [التي ترى] عناصر الجمال إلا في الشكل وتلقي بالمضمون خارج نطاق لجمال»[32]، والحقيقة أسوء من ذلك بكثير، بحيث أن الناقوري وقع، هو الآخر، في نفس الخرق بطريقة معكوسة، وحصر الفنية في «المضمون وحده دون الإشارة إلى الشكل في شيء، وهو بهذه الممارسة كما يقول جورج بليخانوف: «أثبت أنه لا يفهم وجهة النظر التي يريد لأن يعمل انطلاقا منها.»[33]

إن تركيز الناقوري على «المضمون» في دراسة رواية «الحبابي» كان الهدف منه هو، إبراز المواقف الفلسفية والسياسية المعبر عنها في رواية «إكسير الحياة»، ففي البداية حاول تلخيص «مضمون»

(27) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 106.
(28) محمد عزيز الحبابي، من الحريات إلى التحرر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة 1، 1972، الصفحة 34.
(29) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 106.
(30) محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، مرحلة التأسيس، المدارس، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة 1، 2006، الصفحة 306.
(31) إدريس الناقوري، مشكلة المضمون في الرواية المغربية، الصفحة 61.
(32) نفس المرجع، الصفحة 61.
(33) جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، الصفحة 60.

الرواية من خلال إبراز مواقف الشخصيات، وإبراز الصراع الطبقي الذي اعتبره يمثل ثنائيات فلسفة «الحبابي»، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فقد ركز على المدلولات المخفية خلف مفهوم الموت، والإكسير..، ليحدد موقف «الحبابي» السياسي، مستشهدا بمواقفه الفلسفية، إن استخلاص «المضمون» الروائي لـ«إكسير الحياة»، جعل الناقوري يعتبر الرواية مجرد مطية يمرر الحبابي من خلالها مواقفه وأفكاره، فالحبابي في نظره «استعار الشكل الروائي ليصب فيه مجموعة من تأملاته الفلسفية وشطحاته الخيالية. وذلك مثل صنيعه في روايته الأولى (جيل الظمأ).[ويجزم]»أن الروايتين لا تمتان بصلة إلى الفن الروائي وإن حملتا اسم رواية.»[34]

هذا الحكم الأحادي الذي استخلصه الناقوري بعد عناء طويل واستغراق في الوصف والشرح والتفسير، كان بإمكانه إعلانه قبل القيام بهذه العملية في مجملها، لأن ما قام به غيرمقنع البتة، وهذا الحكم انطباعي أكثر مما هو موضوعي وعلمي دقيق، كما كان يدعي في تنظيراته، فآلية التلخيص التي اعتمدها «لا تأتي، لتنتج معنى مطابقا لمعنى للنص، من حيث هو مادة حكائية أو معنى مصرح به فقط بل من حيث هو حامل لإيديولوجيا النص، لذا يصبح التلخيص تعليقا تبرز فيه صورة النص، كما هو، وكما يراه الناقد، فهو وصف شبيه إلى حد ما بوصف الناقد الانطباعي الذي كان يخفي «إيديولوجيته»؛ إنه تلخيص موجه إلى إعطاء الصورة الرغوب فيها»[35]، التي قد توقع الناقد في المحظور، المتمثل في«جريمة الانتحال والملاءمة»[36]، لكن هذا التلخيص لن يعلل موقف الناقوري ولن يزكي مسوغاته، فالتعليل الذي قدمه ليس كافيا لنفي الفنية عن الرواية، وليس في العلمية والموضوعية من شيء، فقوله بأن «الحدث لا ينمو ولا يتطور، والشخصية.. لا تساعد على اكتشاف أبعاده ودخائلها»[37]، إن هدفهالحقيقي ليس هو نفي الفنية عن الرواية، بقدر ما هو تحميل المؤلف مسؤولية ما كتب، ومحاكمته ورقيا كما يحاكم المتهم في قفص الاتهام، بل الأكثر من ذلك،منح نفسه الحق في التدخل والخوض في حياته الشخصية، دون إذن منه، وتحليل حركاته وسكناته، وكأن الناقد يشخص حالته النفسية دون دراية بالتخصص ودون امتلاك آليات ذلك، إن هذه الممارسة المسماة زورا بأنها عملية نقدية، «لا تتم عادة إلا في ضوء الرجوع الدائم إلى الواقع العياني، لمقارنة الشخصيات الروائية مثلا بشخصيات موجودة في الواقع الخارجي..، إلى غير ذلك من المقارنات التي لا تفيد غالبا في فهم الأعمال المدروسة، وإنما تشعب الدراسة في متاهات لا قرار لها»[38]، وتقلل من مصداقية تلك الممارسة النقدية، ويغدو الخطاب النقدي الواقعي الاشتراكي، خطابا يملأ الفراغات ويسد الذرائع بزعم الواقع والواقعية، التي سرعان ما تتبدد بمجرد ما يتوغل الناقد في ممارسته النقدية.

والواضح في هذا كله، أن الخطاب النقدي الواقعي الاشتراكي كما مارسه الناقوري يعتمد التحليل والتلخيص بنوع من الذاتية غير الموضوعية التي لا تقبل الاختلاف، وتحوره إلى خلاف شخصي بعيد كل البعد عن النقد الأدبي، والقبض على المفاهيم بطريقة سطحية

(34) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 106.
(35) محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، الصفحة 218.
(36) تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان – الأردن، الطبعة 1، 1992، الصفحة 22.
(37) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 107.
(38) حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، الصفحة 57.

كان حتما سيؤدي إلى هذه النتائج، غير الموفقة، ولا دليل للناقوري على زعمه بأن «الحدث.. والشخصية.. سخرا لخدمة هدف واحد هو التعبير عن أفكار المؤلف..، فلا وجود لبطل روائي حقيقي ومتطور -في نظره- هناك فقط بطل واحد هو المؤلف مزدوج، ومتردد، ومنقبض، ومنطلق، ومتفائل، يعيش أزمة حادة، ويعاني من تمزق كبير، إنه ذلك المثقف البورجوازي الذي رحل ذات يوم إلى أوروبا، وعاد بقلب ملؤه الحماس والتفاؤل، وعقل مترع بالأفكار والمفاهيم، فلم يجد أمامه سوى الخواء والتخلف والبؤس، فأصابته صدمة فاجعة، وبلغت حد النكسة، تمخضت عنها إبداعات تعكس الجو النفسي والتوتر الحاد والاضطراب العاصف الذي يختلج قراره»[39]، فلا دليل على هذه الأحكام سوى تلك المطابقة الساذجة والمقابلة بين مكونات الرواية التخييلية، وبين الواقع المادي، فمهما حاول الناقوري تسويغ سعيه نحو هذه النتائج التي سلمها له استخلاص «المضامين»،فإنالنتائج غير محسوبة العواقب، والخطاب النقدي في هذا السياق سيتجه نحو خطاب سجالي وصدامي، عواقبه غير محمودة، ما دامت تلك النظرة الجدلية السابقة تعتبر الرواية شكلا عاديا من أشكال الإيديولوجيا»[40]، وذلك لا يعد كونه سوى اجترار لـ«لروح العامة لنقد الثلاثينات -في أوروبا-، المؤلفة من النقد الماركسي الفظ والخشن.»[41]

وتكمن خطورة هذه المسألة في المواقف المعبر عنها بأسلوب لا يرقى أحيانا إلى مستوى الخطاب النقدي الأدبي، فـ«المضمون»، هنا، ليس غاية في ذاته، مهما حاول الناقد الواقعي الاشتراكي تسويغ غايته من هذه الخطوة النقدية في قراءة الرواية، إن سلمنا وقلنا عنها قراءة، وإنما هو مجرد مطية لتصفية الحسابات السياسية، والركوب على تسمية النقد من أجل النقض ولا شيء غير ذلك، فلا محاولة من أجل البناء وإعادة الإعمار النقدي، فقط نجد أمامنا التشكيك والرد والنفي، بل والهجوم على الخصوم، والناقوري ضمن هذه الدوامة، «ليس في وسعه أن يظل موضوعيا ومحايدا ، أو أن يتخلى عن موقعه وهو في إمكانه أن يمارس النفي والرفض، والدفاع عن العقد الثقافي التأسيسي الذي يمنحه الشرعية، لذا يمارس السجال ويناقش ما يتعارض مع مبادئ «العلم» التي حملته على: رفض [ما يزعم أنه] المضمون المثالي للأعمال الأدبية»[42]، أي أن النص الروائي لا يعدو كونه سوى «نمط مثالي في مضمونه وشكله، إذ يعمل على حمل طبيعة التركيب الاجتماعي»[43]، بطريقة مثالية. هذا الرفض الذي حاول الناقوري تسويغه بكل الوسائل المتاحة، لم يمل منه ولم يبرح أن يعلن فشل «الحبابي» «في إيجاد شكل فني ملائم لتأملاته وتصريف مكنوناته. [وحاول إثبات] أن الرواية.. بعيدة أن تكون واعدة. والسبب -في رأيه- ليس في أفكار الحبابي ولا في ثقافته، سبب ذلك -يراه في- الإخفاق [الذي] يكمن في أن الحبابي يصر على أن يكون روائيا وأنوف الجميع في الرغام»[44]، وينتقد المتلقي الذي يراه يقبل كل شيء، ..ويستقبل كل الأفكار بكل النظريات حتى الفلسفات الخاوية والمتهافتة التي تحتمي

(39) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 107.
(40) حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، الصفحة 58.
(41) تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، الصفحة 33.
(42) محمد الدغموي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، الصفحة 309.
(43) أحمد ياسين العروض، مناهج النقد الأدبي في الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 2004، الصفحة 276.
(44) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 107.

بالإنسانية»[45]، وهذا حكم قاصر في حق معرفة القارئ، ومحاولة لتقييد حرية اختياره، إن الاستجابة لنص روائي عادة ما «تتم بدوافع منبعها الاستعدادات الداخلية للمتلقي بما فيها مستوى الثقافة والتعلم والمحيط والبيئة، وكذلك اكتساب العمل الفني الشروط الأساسية للقبول أو الرفض»[46]، لكن النقد الجدلي يصر على ممارسة السلطة النقدية على كل الأصعدة، لا سيما أنه يتأسس على توجيه الإبداع الروائي، بيد أن الذي يحدث في القراءة النقدية المغرضة هو اتساع فضاء التوجيه الإيديولوجي..، وسيطرة الافتراضات والتخمينات.»[47] إن نقد الرواية من هذا المنظور يحيلنا على القالب «المضموني» الجاهز الذي يحبذه الناقد الجدلي، والمتمثل في الوظيفة التغييرية، التي غالبا ما تغيب في النصوص الروائية التي تعرض لها الناقوري بالنقد، ما نتج عنه خطاب انتقادي أكثر مما هو نقدي، وفي مقابل ذلك كله، نجد الناقوري يشيد برواية «العين والليل» لـ«عبد اللطيف اللعبي» التي تعد في نظره عملا جيدا «لأنه يطرح جملة مضامين ذات صلة حميمية بوجودنا وكينونتها، وبماضينا وحاضرنا، بتاريخنا وحضارتنا، وإيجابي لأنه حاول أن يعالج المعضلات المطروحة برؤية جذرية وفعالية أي بروح انتقادية واعية. وجديد لكون الطريقة الفنية المتبعة فيه أصيلة ومتفردة»[48]، ويرى أن الرواية إيجابية لعدة «أسباب منها: تعدد وأهمية وتشابك المضامين المطروقة، طريقة التناول الفنية المعتمدة في معالجة تلك القضايا الحيوية»[49]، والناقوري في استحسانه هذا لـ«مضمون» رواية «اللعبي» تكمن أسباب إيديولوجية، انحاز بها إلى الرواية، أكثر مما هي أسباب موضوعية، والسبب الأول يرتبط بـ«اللعبي» نفسه، الذي يعد من أبرز مؤسسي منظمة إلى الأمام اليسارية، والتي اعتقل في سبيل الدفاع عن مبادئها، مدة تزيد عن ثمان سنوات، قبل أن يكون أديبا وروائيا، الشيء الذي دعا الناقوري إلى ملاطفة ومجاملة روايته، رغم قصورها، والسبب الثاني يرتبط بوجهة النظر التي يحملها «مضمون» الرواية، والتي لا تخرج عن الرأي الذي يقول فيه «اللعبي»: نحن لا نكتب في حالة سلم وحرية وتشييد. ونحن لا نكتب أيضا بلذة في حالة عنفوان واكتمال. إننا نرسم كلماتنا فوق خطوط زلزالية، نكتبها بالدم الأسود للجراح والكوابيس واللعنة. نحن نكتب بعطش وجوه الروح. بالسقم والعاهات، باحتضار الكرامة والدهشة اللامحدودة أمام الدمار الشامل من حولنا وحتى فينا»[50]، هذه الرؤية هي التي تؤطر كتابات «اللعبي»، لا سيما روايته «العين والليل» التي دغدغت مشاعر الناقوري، وأخرجته عن طوعه، وأمال خطابه الانطباعي المغلف بالإيديولوجيا، نحو عبارات المديح والمغازلة، بحيث يرى «مضمون» الرواية التي يعتبرها «عملا أدبيا جادا وناضجا يأتي [بمبرراته] من الخارج، من الواقع الموضوعي، ولكن ليس أيضا خارج الوعي الذاتي. والمبرر في هذا العمل هو العنف، هو الجريمة والعدوان. وهو عنف مزدوج. مادي مسلط على الجسم ومعنوي يصيب الذاكرة ويستهدف الوعي»[51]، هذه المبررات التي يراها الناقوري تحيل على «مضمون» إيجابي ليست وحدها كافية كي يتم تصنيف الرواية، بأنها

(45) نفس المرجع، الصفحة 107.

(46) حسن ماضي، الفن وجدلية التلقي، دار الفتح للطباعة والنشر،بغداد - العراق، الطبعة 1، 2020، الصفحة 45.

(47) عصام شرتح، النقد الجمالي، سلطة النص وسلطة المتلقي، دار الخليج، عمان – الأردن، الطبعة 2، 2017، الصفحة 17.

(48) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 109.

(49) نفس المرجع، الصفحة 109.

(50) عبد اللطيف اللعبي، عن مفهوم الوطنية في الكتابة الأدبية- وطن الكتابة، التبيين الجزائرية، العدد 1، 1 يناير 1990، الصفحتان82 - 83.

(51) إدريس الناقوري، المصطلح المشترك، الصفحة 111.

إيجابية، ثمة مبررات أخرى مضمرة ترتبط بإيديولوجية المؤلف، كما لاحظنا ذلك في المواقف السابقة، وهي مبررات تجعل من الممارسة النقدية تقوم على التصنيف غير الموضوعي، ولا تعدو تكون هذه الممارسة سوى معيارية ساذجة مكشوفة ومفضوحة، بل هي انتقائية تنم على «اهتزاز في المحصول المعرفي»[52]، بالأساس، وما يزكي هذا الطرح أيضا، هو تغليب الجانب الإيديولوجي من الدراسة وحصره في مقاربة «المضامين»، لاسيما «أن التأويل والأيديولوجيا يستطيعان أن يقررا ممارسة نشاطهما في نطاق يقع بكامله داخل إطار العمل الأدبي»[53]، لأنه الفضاء الأرحب لبث تلك الممارسات الإيديولوجية المسماة زورا نقدا، وهو ما «يجعل أولئك النقاد في الغالب يصدرون أحكاما مباشرة على الأعمال الروائية دون أن تكون هذه الأحكام مسبوقة في الغالب بدراسة متأنية.»[54]

إن التركيز على «المضمون» باعتباره حركة تكتيكية قام بها الناقوري لإبراز موقفه الشخصي من الحبابي نفسه، ومن فلسفته، وأخيرا روايتيه، لم يكن سليما بالشكل الموضوعي للدراسة إن سلمنا به كمصطلح وكإجراء من إجراءات النقد الواقعي، لأن الناقوري وقع في الخلط بين نقد الإبداع الروائي وبين نقد المؤلف وحياته الشخصية، ربما لأنه لم يكن يعلم الأسس التي تنبني عليها الرواية، أو يتجاهل ذلك، لكن اليقين، في ذلك، هو أنه تحامل على الرواية المغربية، والأكثر من ذلك، لم يقدم بديلا ولم يجد نموذجا التزم بالشروط القاسية التي يضعهافيما يسميه النقد الواقعي الجدلي، سوى نموذج وحيد لم يخرج للعلن ولم يطبع بعد، ببساطة لأن الرواية والنقد الواقعي الجدلي خطان متوازيان لن يلتقيا أبدا ما دام ذلك النقد يصر على تقييد الإبداع، وما دامت الرواية (في كل أنواعها) متحررة من كل القيود التي تحيط بها وتحاول الحد من سيرورتها الإبداعية.

## قائمة المصادر والمراجع:

### المراجع العربية:


1. أبو يعرب المرزوقي، وطيب تيزيني، آفاق فلسفية عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق -سوريا، 1991الطبعة 1.
2. أحمد ياسين العروض، مناهج النقد الأدبي في الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 2004.
3. إدريس الناقوري، المصطلح المشترك دراسات في الأدب المغربي المعاصر، دار النشر المغربية، الطبعة الرابعة 2010.
4. حسن ماضي، الفن وجدلية التلقي، دار الفتح للطباعة والنشر،بغداد - العراق، الطبعة 1، 2020.
5. حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة 1، 1985.
6. حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الطبعة 1، سنة 1990.
7. العربي بنجلون، أبعاد النص، قراءات في الأدب المغربي الحديث، مطبعة الرسالة، الطبعة 1،


(52) محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب،الصفحة 195.
(53) جوناثان كولر، رولان بارت، مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، الصفحة 56.
(54) حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، الصفحة 10.

الرباط، 1986.

8. عصام شرتح، النقد الجمالي، سلطة النص وسلطة المتلقي، دار الخليج، عمان – الأردن، الطبعة 2، 2017.

9. فيصل دراج، الواقع والمثال، مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 1989.

10. محمد الدغمومي، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب، مرحلة التأسيس، المدارس، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة 1، 2006.

11. محمد عزيز الحبابي، من الحريات إلى التحرر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة 1، 1972.

12. يوسف بن عدي، محمد عزيز الحبابي وتأسيس الفلسفة الشخصانية الواقعية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2016.

**المراجع المترجمة:**

1. بول آرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة 1، 2013

2. تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان – الأردن، الطبعة 1، 1992.

3. جورج بليخانوف، الفن والتصور المادي للتاريخ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة 1، 1977.

4. جورج لوكاش، معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة أمين العويطي،دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة 1، 1971.

5. جوناثان كولر، رولان بارت، مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر.

6. غ أ يغوروف، المحتوى والشكل في الفن ضمن أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ترجمة يوسف حلاق، دار الفارابي- دار الجماهير، بيروت - دمشق، الطبعة 2، 1978.

**المراجع باللغات الأجنبية:**

1. MohamedAZIZ LAHBABI, De l'être à la personne, Société nationaled'édition et de diffusion, Alger, 2 éme édition, 1972.

**الجرائد والمجلات:**

1. مجلة الآداب، بيروت – لبنان، العدد 10، 1 أكتوبر 1977، والعددان 5 - 6، 1 ماي 1981

2. مجلة حكمة الالكترونية، 12 شتنبر 2021، رابط المقالة (https://hekmah.org/)

3. مجلة الفكر، تونس، العدد 6، 1 مارس 1978.

4. مجلة التبيين الجزائرية، العدد 1، 1 يناير 1990.

# الصفة كشرط لقبول الدعوى

## (دراسة تأصيلية)

إعداد:

أ. غادة أبو بكر صالح عبد العاطي

كلية القانون – جامعة عمر المختار

الاستلام: 4.4.2024 القبول: 20.5.2024

**المستخلص:**

وقوع الاعتداء على الحق أو المركز القانوني ينشئ الحق في الدعوى لصاحب ذلك الحق أو مركز الحق القانوني المعتدى عليه، وتكمن أهمية موضوع الصفة في الدفاع أمام القضاء، فهي الطريقة أو الوسيلة التي يتمكن بها القضاء من معرفة من له الحق، فيعطي حقه، ومن عليه الحق فيلزمه برده إلى صاحبه، لم تحظ نظرية الدعوى بالعناية اللازمة من المشرع الفرنسي والمصري، ومن بعدها المشرع الليبي، فلم يستجيبوا إلى من نادى بوجوب تعريف الدعوى، وتفصيل شروط قبولها بصورة وافية، معتقدين أن هذه المسائل من اختصاص الفقه، اعتمد في البحث التقسيم الثنائي، فقسم إلى مبحثين، الأول لماهية الصفة، والثاني لأحكام الصفة.

**كلمات مفتاحية:** حق – الاعتداء – مركز قانوني – شروط – أنواع.

**Summary of Study:**

The occurrence of an assault on the right or legal status right in the lawsuit arises for the owner of that right or position of the legal right against him, and the importance of the topic of the capacity lies in the defense in front of the casting of great importance. The necessary requirements of the French and Egyptian legislators, and after them the Libyan legislator, did not respond to those who called for the necessity of defining the lawsuit and activating the conditions for its acceptance in an adequate manner, believing that these issues are within the competence of jurisprudence. In this research, we discuss the binary division, the first explained what the adjective and the second section: types of adjective. Finally this study talked about the most important results and recommendations of which the researcher has arrived to.

**Key-words:** right - an assault - legal status – conditions – types.

**مقدمة:**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وبعد:

كانت الدعوى في القانون الروماني مسماة؛ بحيث لا تكون مقبولة إلا إذا كانت تدخل ضمن القائمة المعدة سلفاً، أما التشريعات الحديثة فلم تحدد الدعاوى التي يجوز عرضها أمام القضاء، إنما تقبل أية دعوى طالما توفرت فيها شروط القبول التي يحددها القانون، دون الحاجة إلى وجود نص صريح يقرر حق الدعوى.

استنادًا إلى ما سبق، وبمجرد وقوع الاعتداء على الحق أو المركز القانوني ينشأ الحق في الدعوى لصاحب ذلك الحق، أو مركز الحق القانوني المعتدى عليه، يثبت هذا الحق لكل شخص يتمتع بأهلية الاختصام، بغض النظر عن أهلية التقاضي، وقد اختلف الفقه في حصر شروط قبول الدعوى؛ فذهب البعض إلى اعتبارها شرط وحيد هو المصلحة، مثل: منهج التشريع الليبي والمصري واللبناني، فيما جعلها البعض الآخر شرطين اثنين؛ هما: المصلحة والصفة، مع إضافة شرط ثالث، هو: استيفاء القيد المقرر قانونًا.

إذا كانت المصلحة في الدعوى هي الفائدة أو المنفعة أو الميزة التي يسعى المدعي لتحقيقها جراء الحكم له بما طلب، فإن الشرط المتعلق باستيفاء القيد المقرر قانونًا هو جملة القيود التي وضعها المشرع على المتقاضي قبل اللجوء إلى القضاء.

**أهمية البحث:**

تكمن أهمية موضوع الصفة في الدفاع أمام القضاء أهمية كبيرة؛ فهي الطريقة أو الوسيلة التي يتمكن بها القضاء في معرفة من له الحق فيعطي حقه، ومن عليه الحق فيلزمه برده إلى صاحبه.

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

أ - لم تحظى نظرية الدعوى بالعناية اللازمة من المشروع الفرنسي والمصري ومن بعدهما المشرع الليبي، فلم يستجيبوا إلى من نادى بوجوب تعريف الدعوى وتفصيل شروط قبولها بصورة وافية، معتقدين أن هذه المسائل من اختصاص الفقه.

ب- ترتبط الصفة في الدعوى بعديد من المشاكل التي تتعلق أساساً بوضع شروط قبول الدعوى برمتها، فهل تناقش الدفوع بشأنها في الشكل، أو الموضوع، أم أنها ذات طبيعة خاصة.

**مشكلة البحث:**

إن المشكلة التي سيتم معالجتها في البحث هي:

أ - إلزام القضاة بتطبيق وتحقيق مبدأ الصفة القانونية في نظر الدعوى.

ب- إيجاد رؤية مفصلة ومتكاملة للصفة في الدفاع أمام القضاء بموجب قانون المرافعات الليبي، وكذلك لدى فقهاء القانون الليبي والمقارن.

**المنهج المتبع في البحث:**

سأتناول هذا البحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، لوصف موضوع الصفة القانونية من خلال المراجع القانونية المتوفرة.

**خطة البحث:**

سأتناول في هذا البحث التقسيم الثنائي اللاتيني، مع بعض التفرعات المتنوعة؛ وذلك في مبحثين كما يلي:

- الأول: ماهية الصفة.

- الثاني: أحكام الصفة.

## المبحث الأول: ماهية الصفة:

لما كانت الدعوى هي الوسيلة المقررة قانوناً لطلب الحماية القضائية، فإن استعمالها يكون مرهوناً بصاحب الحق أو المركز القانوني الذي تم الاعتداء عليه أو المساس به، سواء كان صاحب هذا الحق شخصًا طبيعيًا أم اعتباريًا.

وبهذه المثابة تثبت الصفة في الدعوى للشخص الطبيعي، ولو كان ناقص الأهلية، إذا أقيمت الدعوى باسمه عن طريق وليه أو القيم عليه أو الوصي عنه، كما تثبت الصفة في الدعوى بالنسبة للشخص الاعتباري بإقامتها عن طريق ممثله القانوني، أي الشخص الذي أناط به سند إنشائه النيابة عنه وتمثيله في التقاضي[1] ، ولمزيد من التوضيح سنتناول هذا المبحث في مطلبين:

الأول - تعريف الصفة، والفرق بينها وبين الشروط المقاربة لها في الدعوى

الثاني - أنواع الصفة.

### المطلب الأول: تعريف الصفة، والفرق بينها وبين الشروط المقاربة لها:

لمعرفة مفهوم الصفة فإنه لابد من معرفة تعريف الصفة على النحو الآتي:

**أولاً- تعريف الصفة:**

1- **تعريف الصفة في اللغة:** وردت في اللغة بمعانٍ متعددة؛ منها:

أ - **تحلية الشيء**[2] ، **وهي مصدر من وصف الشيء وصفاً، وصفه حلاه نعته، ويقول به فارس: وصف الواو والصاد والفاء: أحيل واحد وهو تحلية الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[3] ، **يقول العلماء أي ما تصفونه من الكذب.**

ب - **الأمارة اللازمة للشيء، والحالة التي يكون عليها؛ كالعلم والجهل، والسواد والبياض، ووصف الشيء: أي صار منعوتة متواصفاً فأمكن وصفه، ومنه بيع المواصفة.**

2- **تعريف الصفة لدى فقهاء القانون:**

لتحديد التعريف المناسب والدقيق للصفة لدى فقهاء القانون، واختلافهم في ذلك، فإنه لابد من التطرق إلى ما يلي:

---

(1) جاء في حكم المحكمة العليا الصادر بتاريخ 2008/12/01 في الطعن المدني رقم53/898ق بأنه: "يجب اختصام الممثل القانوني للشخص المعنوي فيما يرفع منه أو عليه من قضايا؛ لأنه الوحيد ذو الصفة والأهلية الذي خوله القانون حق تمثيل الشخص المعنوي في علاقاته مع الغير وأمام القضاء. حكم غير منشور، د. خليفة سالم الجهمي، الوجيز في شرح قانون المرافعات، دار الفضيل للنشر والتوزيع، ط2، 2021م، ص203.

(2) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة: (وصف)، ت: عبدالسلام هارون، دار الكتب، ط2، 1389هـ، 115/6.

(3) الأنبياء: 112.

ذهب البعض من الفقه القانوني المقارن إلى تعريف الصفة بأنها: «أن تنسب الدعوى إيجاباً لصاحب الحق في الدعوى، وسلباً لمن يوجد الحق في الدعوى في مواجهته»[4] ، وذهب بعضهم إلى تعريفها بأنها: «أن يدعي المدعي كونه صاحب الحق للمدعى عليه، وأن يكون المدعى عليه هو المعتدي، أو المنازع له في هذا الحق»[5] .

نجد أن التعريف الواضح هو أن المقصود بشرط الصفة في الدعوى. من الناحية الإيجابية . أن يكون رافع الدعوى هو صاحب الحق أو المركز القانوني المراد حمايته، أو من ينوب عنه، وهو ما عبرت عنه محكمتنا العليا بقولها: «إنه من المقرر أن الدعوى يشترط لقبولها أن ترفع من صاحب الحق ذاته أو ممن ينوب عنه، بقصد حماية حقه، إن أقامه عن نفسه، أو حماية حق المشمول بنيابته إن أقامها باسم غيره، فإذا رفعت الدعوى من غير صاحب الحق موضوع النزاع أو نائبه، فإن رافعها لا تكون له صفة في رفعها، ولو كانت له مصلحة خاصة في النزاع»[6] ، ومن الناحية السلبية أن توجه الدعوى إلى من اعتدى على هذا المركز أو من يمثله، فشرط الصفة ليس قاصرًا على المدعي فحسب، وإنما يجب توافره أيضًا في المدعى عليه، بحسبان أن الصفة تعبر عن الجانب الشخصي في الدعوى، مما يقتضي وجود علاقة بين أطراف الدعوى وموضوعها[7] .

عرّفها الدكتور أبو جعفر الصفة بأنها ولاية مباشرة الدعوى لمن له الحق في رفع الدعوى، فهي صلاحية الشخص لرد أي اعتداء أو للمحافظة على الحق، إذ يلزم لقبول الدعوى بحسبانها وسيلة لطلب الحماية القضائية توافر الصفة في طرفيها، ويجب أن تتوافر الصفة بالمعنى المتقدم وقت رفع الدعوى، وتستمر قائمة حتى الفصل فيها، فإذا كانت الصفة قد توافرت وقت رفع الدعوى، ولكنها زالت قبل قفل باب المرافعة فيها، فإن الخصومة في الدعوى تكون قد انقطعت، وجاز بالتالي الحكم بانقطاع سير الخصومة في الدعوى إعمالاً بنص المادة(249) من قانون المرافعات الليبي، أما إذا رفعت الدعوى ابتداءً دون توافر شرط الصفة، فإنها تغدو غير مقبولة؛ لفقدها أحد شروطها اللازم توفرها لقبولها، إلا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناءات، إذ يجيز القضاء تصحيح العيب الذي يشوب الصفة، أثناء نظر الدعوى، على أن يتم ذلك خلال المدة المقررة قانوناً لرفع الدعوى، إذ كانت مما يخضع في رفعه لمواعيد محددة، وهذا ما أكدته محكمتنا العليا بقولها: «والمحكمة تلتزم بأن تتحقق من توافر هذا الشرط، وأن تكلف الخصم بتقديم ما يثبت صفته فإن لم تفعل، فإنها تكون قد خالفت القانون، وأخطأت في تطبيقه»[8] ، وكذلك نص المادة(250) مرافعات.

هكذا فإن شرط الصفة في الدعوى ينصرف إلى أصحاب الحماية القانونية المطلوبة، سواء هموا بأنفسهم إلى رفع المطالبة القضائية في الأحوال التي يجوز لهم فيها ذلك، أم تم ذلك عن طريق من أنيط بهم قضاءً أو اتفاقاً أو قانوناً، النيابة عنهم وتمثيلهم أمام القضاء، مما يلزم معه توافر شرط الصفة في الدعوى بحسبانه تجسيداً لحق اللجوء إلى القضاء، ومنح الحماية

(4) فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001م، ص85.
(5) محمد علي راتب- محمد فارق راتب، ومحمد نصر الدين كامل: قضاء الأمور المستعجلة، عالم الكتب، ط5، ص56.
(6) الحكم الصادر في 1984/02/20 في الطعن المدني رقم28/49ق. مجلة المحكمة العليا س21، ع3، ص71.
(7) خليفة سالم الجهمي، مرجع سابق، ص203.
(8) أبوجعفر المنصوري، فكرة النظام العام والآداب العامة في القانون والفقه مع التطبيقات القضائية، دار الجامعة الجديدة، 2010م، ص630.

القانونية المطلوبة لأصحاب الشأن، فهل شرط الصفة مستقل بذاته، أو يندمج تحت غيره من الشروط؟ حتى لا نقع في الخلط بين شرط الصفة والاشتراطات الأخرى المقاربة له في هذا الشأن لابد أن نعرض فيما يأتي لما يمكن أن يلتبس بالصفة من اشتراطات أخرى.

**ثانياً- الفرق بين شرط الصفة، والشروط المقاربة له:**

لإزالة الالتباس بين شرط الصفة والشروط الأخرى المقاربة له في الدعوى لابد من التطرق للآتي:

**1- الصفة وأهلية التقاضي:**

لكي يكون الشخص أهلاً لمباشرة الدعوى يتعين أن تكون لديه أهلية التقاضي إذا كان هو صاحب الحق أو المركز المدعي به، أما إذا كان نائبًا عن صاحب الحق أو المركز المدعي به فيجب أن يكون مخولاً برفع الدعوى نيابة عنه اتفاقًا أو قضاءً أو قانونًا، وتقتصر صلاحيات هذا الأخير على القيام بالأعمال الإجرائية في الخصومة، وتلقي ما يوجه إليه منها، دون أن تمتد إلى الرابطة القانونية محل الخصومة، ومن ثم فلا يعد هو صاحب الصفة في الدعوى، وإنما مجرد ممثل له، فالدعوى المقامة مباشرةً من ناقص الأهلية أو فاقدها تعد باطلة من الناحية الإجرائية لافتقاده أهلية التقاضي باسمه، رغم توفر شرط الصفة لديه في طلب الحماية القضائية، فيما لو تم رفع هذه الدعوى بواسطة وليه أو القيم عليه أو الوصي عنه، وهنا يبرز الفارق بين الصفة كشرط لقبول الدعوى، وبين أهلية التقاضي كشرط لصحة إجراءات الخصومة، ويتخذ ذلك في العمل إحدى الصور التالية:

أ - بالنسبة للشخص الطبيعي كامل الأهلية القانونية، يكون هو صاحب الصفة الأصيل في التداعي أمام القضاء، فيما يتعلق بما يمس مركزه القانوني، سواء هم هو نفسه برفع الدعوى أو أناب غيره في ذلك، لتمتعه بأهلية التقاضي عن نفسه.

ب- بالنسبة للشخص الطبيعي عديم أو ناقص الأهلية القانونية، فإنه رغم كونه صاحب صفة في التداعي فيما يمس حقوقه أو مركزه القانوني، غير أن الدعوى التي ترفع منه أو ضده لا تستقيم إجراءاتها إلا إذ تمت عن طريق من ينوب عنه أو يمثله أمام القضاء، أي ممن يجعله القانون النائب عنه في التقاضي، كالولي والوصي والقيم.

ج- بالنسبة للشخص الاعتباري، سواء كان خاصًا أو عامًا، فإن الصفة فيما يرفع منه أو عليه من دعاوى تثبت لممثله القانوني حسب سند إنشائه، رغم أن القانون قد يوجب أن تتخذ الإجراءات القضائية الخاصة به عن طريق الوكالة بالخصومة، كما هو الشأن بالنسبة للأشخاص الاعتبارية العامة؛ حيث أناط القانون رقم1971/87 بإدارة القضايا الإنابة عنها فيما يرفع منها أو عليها من دعاوى أمام مختلف المحاكم، مع ملاحظة أن القضاء قد توسع في شرط الصفة بالنسبة للمصالح والإدارات العامة، إذ بالرغم من عدم تمتعها بالشخصية الاعتبارية المستقلة، فقد اعتبر أن صاحب الصفة في تمثيلها أمام القضاء هو مديرها أو رئيسها، مثلما هو الحال فيما يتعلق بمصلحة الضرائب[9] .

(9) على سبيل المثال حكم المحكمة العليا الليبية بتاريخ 1970/12/20 في الطعن الإداري رقم16/27ق، والطعن الإداري رقم17/1ق. المجموعة المفهرسة، ج1، ص184، رقم154.

**2- الصفة والوكالة بالخصومة:**

**تخول الوكالة بالخصومة للقائم بها صلاحية اتخاذ الأعمال والإجراءات اللازمة لرفع الدعوى ومتابعتها والدفاع فيها، وما يستتبع ذلك من إجراءات تحفظية إلى أن يصدر حكم في موضوعها بدرجة التقاضي المقررة، وإعلان هذا الحكم، وبصفة عامة كل ما يتعلق بإجراءات التقاضي نيابةً عن صاحب الحق المدعى به، والتي لا تتطلب تفويضًا خاصًا للقيام بها، على النحو المنصوص عليه بالمادة(731) من قانون المرافعات الليبي، والأصل في الوكالة بالخصومة هو الجواز، ومع ذلك فقد يوجبها القانون في أحوال معينة، كما هو الشأن بالنسبة للأشخاص الاعتبارية العامة في الدولة؛ حيث أوكل القانون رقم1971/87 إلى إدارة القضايا بواسطة أعضائها حق الإنابة عنها، وتمثيلها أمام مختلف المحاكم والجهات القضائية الأخرى، فيما يرفع منها أو عليها من دعاوى وطعون، بحيث إذا باشر الشخص الاعتباري العام إجراءات التقاضي أمام تلك المحاكم والجهات بنفسه، أو عن طريق ممثله القانوني، كان عمله مشوبًا بالبطلان المطلق، حتى ولو استعان في ذلك بمحام خاص؛ لتعلق هذا الأمر بالنظام العام، وهو ما قررته المحكمة العليا الليبية في حكمها الصادرً بتاريخ 1994/2/12 في الطعن الإداري رقم39/47ق[10] .**

**تستمد إدارة القضايا هذه الإنابة أو الوكالة بالخصومة عن الأشخاص الاعتبارية العامة من القانون مباشرةً، دون اشتراط صدور تفويض منها بذلك، وهذا ما أكدته المحكمة العليا الليبية في حكمها الصادر في الطعن الإداري رقم39/47ق، الذي سلفت الإشارة إليه، وإذا كانت القاعدة العامة انعقاد الوكالة بالخصومة للمحامين، إلا أن القانون قد أجاز انعقادها لغيرهم ممن يختارهم ذوي الشأن من الأقارب أو الأصهار إلى الدرجة الثالثة، على سبيل الاستثناء، وفقا للمادة(92) من قانون المرافعات الليبي؛ وذلك غير الحالات التي يوجب فيها القانون توكيل محام، والوكيل بالخصومة، أيا كان، ليس هو صاحب الصفة في الدعوى، وإنما هو مجرد ممثل لصاحب الصفة في مباشرة إجراءات الخصومة نيابةً عنه أمام القضاء، أي الترافع، وإبداء الطلبات والدفوع، إذ أن أصحاب الصفة في الدعوى هم أطرافها، ويترتب على اتخاذ الإجراء من غير الممثل الإجرائي أو في غير مواجهته بطلان إجراءات الدعوى، وليس عدم قبولها لعدم تعلق ذلك بشرط الصفة في الدعوى، مما يتبين معه استقلال الوكالة بالخصومة عن شرط الصفة، ولهذا فإنه يتعين لصحة الإجراء الذي يباشر عن طريق الوكالة بالخصومة أن يتم باسم صاحب الحق، أو المركز القانوني المراد حمايته باعتباره هو صاحب الصفة في الدعوى، وليس باسم الوكيل بالخصومة، وهذا ما أوضحته المحكمة الإدارية العليا المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 1988/3/12 في الطعن رقم29/2268ق، بقولها: إن «الأصل في الاختصام في الدعوى الإدارية أن توجه إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار، فهي الأدرى بمضمون القرار والأسباب التي أدت إليه، والصفة في تمثيل الجهة الإدارية أمر مستقل عن نيابة هيئة قضايا الدولة عن الجهات الإدارية فيما يرفع منها أو عليها من قضايا وطعون، ولا يكفي لصحة الإجراء أن تباشره هيئة قضايا الدولة، بل يتعين لصحة الإجراء أن تكون مباشرته باسم صاحب الصفة، وهو الوزير بالنسبة إلى شئون وزارته»، وهو ما رددته المحكمة العليا الليبية في حكمها الصادر بتاريخ 2003/4/27 في الطعن الإداري رقم47/2ق، الذي جاء فيه: «إن الصفة في تمثيل الجهة الإدارية مستقلة عن نيابة إدارة القضايا للجهات الإدارية فيما يرفع منها أو عليها من دعاوى،**

(10) مجلة المحكمة العليا، س29، ع4،3، ص58.

فلا يكفي لصحة الإجراء أن تباشره إدارة القضايا، بل يتعين أن تباشره باسم من له أهلية التقاضي (أي صاحب الصفة)»[11] .

3- الصفة والمصلحة:

يذهب جانب من الفقه القانوني مؤيداً ببعض أحكام القضاء، إلى أن الصفة في الدعوى تندمج في شرط المصلحة، بمعنى أن المصلحة تعتبر . بحسب هذا الرأي . هي الشرط الوحيد لقبول الدعوى، أما الصفة فإنها تعتبر أحد شروط المصلحة، وهي كونها شخصية ومباشرة، وذلك بأن يكون رافع الدعوى هو صاحب الحق أو المركز القانوني المراد حمايته، أو من ينوب عنه، كالوصي بالنسبة للقاصر والوكيل[12] ، ويتزعم هذا المبدأ الدكتور أحمد أبو الوفا ومحمد عبد السلام مخلص والدكتور عبد المنعم الشرقاوي ...، وكذلك هذا ما عبرت عنه المحكمة العليا الليبية في حكمها الصادر بتاريخ 1976/6/24 في الطعن الإداري رقم22/16ق بقولها: «إن المصلحة والصفة تندمجان في مجال دعوى الإلغاء، وتصبح الصفة شرطاً من شروط المصلحة، وتعتبر الصفة متوافرة كلما كانت هناك مصلحة شخصية مباشرة مادية أو أدبية لرافع الدعوى في طلب إلغاء القرار»[13] .

جسدته كذلك المحكمة الإدارية العليا المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 1987/3/10 في الطعن رقم29/1117ق، الذي جاء فيه: إنه «ولئن كان المشرع قد أشترط لقبول دعوى الإلغاء أن يكون لرافعها مصلحة شخصية ومباشرة، إلا أن القضاء الإداري قد استقر على توافر هذا الشرط إذا ما كان صاحب الشأن في حالة قانونية مسها القرار المطعون فيه، وأن قيام شرط المصلحة يعني توافر الصفة في رافع الدعوى، حيث يندمج الشرطان في دعوى الإلغاء»[14] .

يقوم هذا الاتجاه الفقهي والقضائي على ما مؤداه: أن المشرع حين نصّ على وجوب توافر المصلحة الشخصية المباشرة في رفع الدعوى . كما جاء في نص المادة السادسة من القانون رقم1971/88 في شأن القضاء الإداري الليبي، والتي تقابلها المادة(12/أ) من القانون رقم1972/47 بشأن مجلس الدولة المصري . فقد دلّ بذلك على اندراج الصفة ضمن شرط المصلحة، فالصفة على ضوء هذا الاتجاه لا تعدو كونها مجرد وصف من أوصاف المصلحة، وليست شرطاً قائماً بذاته في الدعوى، ويؤخذ على هذا الرأي الخلط ما بين الصفة والتمثيل القانوني، وعدم التمييز بينهما، مع أن كل منهما تختلف عن الأخرى، وكذلك هذا الاتجاه يخلط بين شرطين من شروط الدعوى ويدمجهما في شرط واحد، رغم عدم وجود رابطة حتمية بينهما واستقلال كل منهما عن الأخرى، دون أن يعني ذلك انتفاء أية صلة بينهما، وليس أدل على ذلك من أن شرط الصفة يكون مداراً للبحث دائما بالنسبة للمدعي والمدعي عليه، بينما لا محل للبحث في شرط المصلحة إلا بالنسبة للمدعي فقط، وفضلاً على ذلك فإنه قد يتوافر في الدعوى شرط الصفة دون شرط المصلحة أو العكس، كما إذا رفعت الدعوى من الممثل القانوني للشخص الاعتباري، وهو صاحب الصفة في النيابة عنه قانوناً، ولكن يتبين أنه لا مصلحة له في رفعها، فتقضي المحكمة بعدم قبول الدعوى لانتفاء المصلحة رغم توافر الصفة في رفعها، أو أن يكون

(11) مجلة المحكمة العليا، س38،37، ص95 وما بعدها.

(12) محمود محمد هاشم، قانون القضاء المدني، 1990م، ص30.

(13) مجلة المحكمة العليا، س13، ع2، ص44.، ينظر أيضًا في نفس المعنى تقريبًا: الحكم الصادر في الطعن الإداري رقم11/8ق بتاريخ 1970/2/8. المجموعة المفهرسة، ج1، ص179، رقم147.

(14) مجموعة المبادئ في خمسة عشر عاماً 1980/65، س32، ج2، ص914، رقم138.

للشخص مصلحة في رفع الدعوى، ولكن يتم رفعها ممن لا صفة له في تمثيله قانوناً أو قضاءً، أو اتفاقاً أمام القضاء[15] .

**ذهب جانب آخر من الفقه القانوني** على نقيض المذهب الأول، ويرى أنصار هذا المذهب أن الصفة في الدعوى هي شرط مستقل تماماً عن المصلحة الشخصية المباشرة؛ لأن المصلحة الشخصية هي الفائدة التي تعود على الشخص من مباشرة الدعوى، أما الصفة فهي سلطة مباشرة تلك الدعوى[16] .

قد لا يعترف القانون لصاحب المصلحة الشخصية المباشرة بالصفة في مباشرة الدعوى، فعلى سبيل المثال لا تقبل دعوى إبطال العقد إلا من الشخص الذي تقرر البطلان لمصلحته، فلا يحق للطرف الآخر أن يرفع دعوى إبطال العقد، بالرغم من أنه قد تكون له مصلحة شخصية مباشرة من إبطال العقد[17] .

كما لا يجيز المشرع لغير أطراف العقد رفع دعوى البطلان، رغم توافر المصلحة الشخصية والمباشرة لمن يدعى ببطلان العقد، وهو ليس طرفاً فيه، فعلى سبيل المثال: ليس لتاجر أن يطلب ببطلان عقد تأسيس شركة تنافسه في تجارته، بالرغم من أنه صاحب مصلحة شخصية ومباشرة في بطلان هذه الشركة[18] .

لعل هذا ما جعل المحكمة العليا الليبية تتدارك حقيقة التفرقة بين شرطي الصفة والمصلحة في أحكامها الحديثة؛ حيث قضت بأنه: «من المقرر أن الدعوى يشترط لقبولها أن ترفع من صاحب الحق ذاته أو ممن ينوب عنه، بقصد حماية حقه إن أقامها عن نفسه أو حماية حق المشمول بنيابته إن أقامها باسم غيره، فإذا رفعت الدعوى من غير صاحب الحق موضوع النزاع أو نائبه، فإن رافعها لا تكون له صفة في رفعها، ولو كانت له مصلحة خاصة في النزاع»[19] .

البادي من سياسة المشرع المصري أنه قد اعتبر الصفة شرطاً قائمًا بذاته، يتعين توافره في جميع الدعاوى، وذلك بما نص عليه في المادة(115) من قانون المرافعات، وتعديلاته التي تقضي بعدم قبول الدعوى إذا انتفت صفة المدعي عليه، على أن يمنح المدعي أجلاً كي يصحح الصفة في هذه الحالة مع تعرضه للغرامة المالية، وهو ما يمكن أن يستفاد أيضًا مما نص عليه المشرع الليبي في المادتين(249)، (250) من قانون المرافعات، المتعلقتين بانقطاع سير الخصومة بزوال صفة من كان يباشرها، والمادة(304) من نفس القانون، المتعلقة بوقف ميعاد الطعن بوفاة المحكوم عليه، وكذلك القانون الجزائري قام بالفصل والتمييز بين شرطي الصفة والمصلحة؛ حيث نص في المادة(94) من قانون الإجراءات المدنية الجزائري على: «تقبل طلبات التدخل في أي مرحلة كانت عليها الدعوى ممن لهم مصلحة في النزاع»؛ حيث تعرضت للمصلحة دون الصفة، فيما نصت المادة(459) من نفس القانون على أن الصفة شرط منفصل عن المصلحة في قبول الدعوى، مما يؤكد أن المشرع الجزائري قد فصل صراحةً بين الصفة والمصلحة الشخصية المباشرة في الدعوى، ولا ينال من ذلك ورود هذه النصوص في قانون المرافعات المدنية والتجارية؛

(15) علي مسعود محمد بلقاسم، شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، الطبعة الثانية، 2018م، دار ومكتبة حمودة للنشر والتوزيع زليتن-ليبيا، ص296.

(16) عبد الباسط جميعي، مبادئ المرافعات، 1980م، ص355.

(17) علي مسعود محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص296.

(18) عبد الحكيم شرف، دراسة في قانون المرافعات، الطبعة الأولى، 1998م، ص313.

(19) الحكم الصادر في الطعن المدني رقم28/49ق بتاريخ 1984/2/20. مجلة المحكمة العليا، س21، ع3، ص71.

إذ إن هذا القانون يعتبر الشريعة العامة في الإجراءات، مما يتعين معه سريانها على جميع الدعاوى، طالما خلت أحكام القانون من نص خاص يقضي بخلاف ذلك.

**يرى بعض من الفقه (الجانب ثالث) ضرورة التمييز بين فرضيتين:**

**الأولى:** حين يكون رافع الدعوى هو نفس صاحب الحق القانوني المعتدى عليه، هنا تتحد الصفة في الدعوى بالمصلحة الشخصية المباشرة.

**الثانية:** حين يكون رافع الدعوى شخص آخر غير صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه، غير إنه يرفع الدعوى باعتباره نائباً عن صاحب الحق أو المركز القانوني، هنا تتميز الصفة عن المصلحة الشخصية المباشرة، وتكون شرطاً قائماً بذاته إلى جانب المصلحة[20] .

هذا، وينبغي التمييز بين الصفة في الدعوى والصفة في التقاضي، وهي صلاحية الشخص لمباشرة الإجراءات القضائية في الدعوى باسم غيره، فقد يستحيل على صاحب الصفة في الدعوى مباشرة الدعوى، وفي هذه الحالة يسمح القانون لشخص آخر بتمثيله في الإجراءات ومباشرة الدعوى، ومثال ذلك تمثيل الولي والوصي للقاصر، وتمثيل الحارس العام لمن وضعت الأموال تحت حراسته، وتمثيل رئيس مجلس إدارة الشركة للشركة، والممثل الإجرائي في هذه الحالة لا تكون له الصفة في الدعوى، وإنما تكون له فقط صفة في مباشرة إجراءات الدعوى، ممثلاً لصاحب الصفة في الدعوى؛ لذا لا يعد الممثل القانوني هو المدعي أو المدعى عليه، وإنما يظل المدعي أو المدعى عليه في الدعوى هو صاحب الصفة الأصلية، والواقع أن أصحاب الصفة في الدعوى هم أطراف الدعوى، أما أصحاب الصفة في التقاضي فهم أطراف الخصومة فحسب، دون أن يكونوا أطرافاً في الدعوى[21] .

تبدو أهمية التفرقة بين الصفة في الدعوى والصفة في التقاضي فيما يلي:

أ - إن وسيلة التمسك بعدم توافر الصفة في الدعوى هو الدفع بعدم القبول، أما تخلف الصفة الإجرائية فيتم التمسك به عن طريق بطلان الإجراءات.

ب - يؤدي تخلف الصفة في الدعوى إلى الحكم بعدم القبول، بينما يؤدي تخلف الصفة الإجرائية للممثل القانوني أثناء سير الخصومة إلى انقطاعها[22] .

لمزيد من إيضاح شرط الصفة في الدعوى لابد أن نتعرف على أنواعه.

## المطلب الثاني: أنواع الصفة:

للصفة أوصاف وأشكال متعددة، وقد عمد الفقه القانوني إلى تقسيم الصفة إلى نوعين: الصفة الموضوعية، والصفة الإجرائية، والصفة الاستثنائية، وسنتناول ذلك في الآتي:

### أولاً- الصفة الموضوعية:

يمكن تقسيمها إلى:

1- الصفة العادية:

على الرغم من أن القانون كفل لصاحب الحق أو المركز القانوني حقه أو عن مركزه القانوني

(20) محمود محمد هاشم، مرجع سابق، ص650.

(21) علي مسعود محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص297.

(22) طعن مدني رقم38/19ق، جلسة 1993/02/07م. مجلة المحكمة العليا، س29، ع3،4، ص105.

بواسطة الحق في الدعوى الذي يمثل الحماية القضائية، فإن هذه الحماية لا تستمر إلى الأبد، إذ تتوفر لمدة معينة، فإن لم يمارس الحق في الدعوى خلال تلك الفترة سقط بالتقادم على أساس أن الحقوق الشخصية تسقط بالتقادم، والحق في الدعوى من الحقوق الشخصية، وفي حال سقوط هذا الحق فقد صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه الصفة في الدعوى، غير أن القانون جعل هذه الفترة تختلف حسب طبيعة الدعوى، وموضوعها و... إلخ، كما تحتسب ابتداء من تاريخ وقوع الاعتداء على الحق أو المركز القانوني؛ أي من تاريخ نشأة الحق في الدعوى، هذا كأصل عام، وأحياناً يحدد القانون تاريخ مختلف لاحتسابها؛ مثل: دعوى الشفعة، إذ يفقد صاحب الحق في الشفعة حقه في رفع دعواه، إذا لم يمارس ذلك الحق خلال مدة أقصاها خمسة عشر يوماً ابتداء من تاريخ الإنذار الرسمي الذي يوجهه البائع للمشتري إلى صاحب الحق في الشفعة المادة(944) من القانون المدني.

الصفة العادية في الدعوى لصيقة بالشخص، فهي من جهة المدعي لا تثبت إلا لصاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه، ومن جهة المدعى عليه هي لا تتوفر إلا فيمن يثبت ضده اعتدائه على حق المدعي أو مركزه القانوني، غير أن هذه الخاصية في الصفة لا يجب أن تخلط مع الحق في الدعوى الذي يقبل التنازل، كما أنه قابل للتصرف فيه عن طريق حوالة الحق، وحوالة الدين، ومفاد ذلك أن الشخص المحال إليه يكتسب صلاحية ممارسة الحق في الدعوى، واستلام التعويضات، وغير ذلك، وكذلك فإن الصفة العادية في الدعوى قابلة للإثبات عبر وسائل الإثبات المنصوص عنها في القانون المدني، وقانون الإجراءات المدنية، وهي البينة، الكتابة الرسمية أو العرفية، المعاينة، الخبرة، القرائن القانونية أو القضائية، كما يمكن ثبوتها من خلال الوسائل المعفية من الإثبات، والتي هي الإقرار، اليمين ... إلخ.

ففي دعوى الدين مثلاً: «على القاضي أن يتحقق من أن المدعي دائن، وأن المدعى عليه مدين، فإن عجز المدعي على إثبات أنه دائن، وأن مدينه هو الطرف السلبي في الدعوى، قضى القاضي بعدم قبول الدعوى؛ لغياب صفة الدائن لدى المدعي من جهة، وصفة المدين لدى المدعى عليه من جهة أخرى، وهذا خلاف الصفة الإجرائية والاستثنائية، كما سيرد شرحه لاحقاً، التي تثبت بنفس الأحوال المنوه عليها أعلاه، على الرغم من أن الصفة العادية في الدعوى، وعلى خلفية كونها تثبت لصاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه تتقارب إلى حد بعيد مع المصلحة الشخصية المباشرة، فإن القانون فرض. في أحيانٍ عدة. ضوابط تتعلق بتوافرها؛ حيث ألزم الزوج الذي يرغب في انحلال الرابطة الزوجية بواسطة الطلاق، أن يثبت صفته كزوج في الدعوى، بمستخرج من سجل الحالة المدنية، وفي حالة عدم تسجيله يثبت بحكم قضائي حسب قانون الأحوال الشخصية، الصفة العادية في الدعوى تتحد في غالب الأحيان مع موضوع الدعوى برمته، فالقاضي حين يتفحص توافر الصفة العادية، هو في الحقيقة يبحث وجود الحق المدعى به من عدمه، ومنه فإن نهاية الدعوى بالرفض لعدم التأسيس لا يعدو أن يكون عدم قبول الدعوى لغياب الصفة، سواء تعلق الأمر بالمدعي أو المدعى عليه، غير أن هذا الغياب قد يكون سببه أن الصفة سبق وأن توافرت، ثم انقضت بفعل عامل ما، مثل مالك العقار الذي يعتدى على حقه في الملكية، حيث يحوز المعتدي العقار لمدة تفوق خمس عشرة سنة، هنا إن رفع المالك الأصلي دعوى الملكية حكم بعدم قبول الدعوى لغياب الصفة، وبالمقابل فإن غياب الصفة قد يعود إلى عجز المدعي عن إثبات ادعائه، كالدائن الذي لا يقوى على إثبات الدين المستحق

له في ذمة المدعى عليه، أي الدائن[23] .

2- الصفة الغير عادية:

وهي الحالة التي يعطيها المشرع لشخص لم يكن صاحب حق في الأساس، ولا تربطه بالدين أي علاقة مع الشخص المرفوعة ضده الدعوى (المدعى عليه).

الدعوى الغير مباشرة هي التي يستعملها الدائن للمطالبة بحق مدينه، ولحساب هذا المدين فقد فرض القانون المدني الليبي في المادة(238) التي تجيز للدائن « ... أن يستعمل باسم مدينه جميع حقوق هذا المدين، إلا ما كان منها متصلاً بشخص خاصاً أو غير قابل للحجز ...»، وهو أيضاً ما نصت عليه المادتين189 و190 من القانون المدني الجزائري، التي تجيز للدائن أن يستعمل باسم مدينه حقوق هذا المدين، بما في ذلك دعاوى المطالبة بحقوقه، وذلك على أساس النيابة القانونية المفروضة لمصلحة الدائن الذي يستعمل حقوق المدين بغية المحافظة على الضمان العام[24] ، وهذا ما فعله المشرع المصري حينما نص في المواد (235، 236) من القانون المدني مراعاةً لمصلحة الدائن ضد مدينه، إن الصفة الاستثنائية، أو الصفة غير العادية، يعترف بها للشخص بسبب مركزه القانوني، الذي يكون مرتبط بالمركز القانوني للمدعي في الدعوى[25] .

ثانياً- الصفة الإجرائية:

الأصل أن صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه يستعمل دون غيره حقه في الدعوى أمام القضاء، سواء كان ذلك بنفسه أو بواسطة شخص ينوب عنه نيابة قانونية أو اتفاقية، غير أنه، وفي بعض الأحوال، تتواجد استحالة قانونية أو مادية تمنع صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه من استعمال حقه بنفسه،وهو ما يعبر عنه بالصفة الإجرائية[26] .

إن الدعاوى القضائية لا تكون مقبولة إلا من صاحب الحق أو المركز القانوني، أو من ينوب عنه، وقد تكون هذه النيابة قانونية، أو اتفاقية كما سلفت الإشارة إليه، وحسب تعبير الفقه الإيطالي في رفع الدعاوى القضائية، فإن الشخص الذي يباشر الدعاوى في هذا الموضع باسم من يمثله وليس باسمه الخاص؛ ذلك أنه لا يحوز الحق في الدعوى أصلاً[27] ، ومنه فالصفة الإجرائية تثبت للشخص الذي ينوب عن صاحب الحق في الدعوى الأصلية، أي من تثبت له الصفة العادية، وعلى هذا الأساس فإن الصفة الإجرائية لا تعدو أن تكون التمثيل القانوني[28] ، وقد عبر عنها الفقه القانوني المصري بالحلول الإجرائي[29] .

الصفة الإجرائية هي صلاحية الشخص لمباشرة الإجراءات (إجراءات المطالبة القضائية)[30] ، وقد يكون صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه يتوافر على تلك الصلاحية بموجب

(23) محمود سيد التحيوي، الصفة غير العادية وآثارها في رفع الدعوى القضائية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002م، ص162.
(24) بوشير محمد أمقران، قانون الإجراءات المدنية (نظرية الدعوى، نظرية الخصومة، الإجراءات الاستثنائية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص69.
(25) محمود سيد التحيوي، مرجع سابق، ص164.
(26) زودة عمر، محاضرات ألقيت على طلبة القضاة، السنة الأولى، السنة البيداغوجية (2005-2006).
(27) زودة عمر، مرجع سابق.
(28) محمود سيد التحيوي، مرجع سابق، ص164، 165.
(29) زودة عمر، مرجع سابق.
(30) محمود سيد التحيوي، مرجع سابق، ص165.

القانون، فنكون هنا أمام حالة يحوز فيها نفس الشخص الصفة العادية في الدعوى والصفة الإجرائية، غير أن صاحب الصفة العادية في الدعوى قد تعتريه استحالة مادية أو قانونية تحول دون اكتسابه صلاحية مباشرة إجراءات المطالبة القضائي، فيخول القانون تلك الصلاحية لشخص آخر، وهذا يدفع للحديث عن الاستحالة المادية، والاستحالة القانونية خلال الآتي:

**1- الاستحالة المادية:**

هي عدم القدرة على مباشرة إجراءات المطالبة القضائية؛ بسبب الطبيعة أو وجود عائق مادي، ومن أمثلة ذلك:

أ – الغائب.

ب – الشخص الاعتباري (المعنوي) العام والخاص.

**2- الاستحالة القانونية:**

هي عدم القدرة على مباشرة إجراءات المطالبة القضائية بسبب مانع قانوني يحول دون اضطلاع صاحب الصفحة العادية في الدعوى بمباشرة إجراءات التقاضي، وقد أورد المشرع العديد من الحالات التي يمنع فيها صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه من مباشرة إجراءات المطالبة القضائية، وذلك إما حمايةً له، مثل ناقص أو عديم الأهلية، كالمحجور عليه والمجنون والسفيه وذا الغفلة والصغير المميز وغير المميز، وأما حماية للغير مثل المفلس والمحجور عليه حجر قانوني ... إلخ، ويؤدي زوال الصفة الإجرائية أثناء نظر الدعوى إلى انقطاعها، كما سيرد لاحقًا.

**ثالثاً- الصفة الاستثنائية:**

هي مسألة يتولاها شخص نيابةً عن مجموعة منتمين إلى هذه الوظيفة، مثل: دعاوى النقابات والجمعيات، يعني في بعض الدعاوى التي ترفعها النقابة أو الجمعية للدفاع عن مصلحة خاصة بأحد أعضائها من ضمن الاستثناءات، وأيضاً الدعاوى التي ترفعها الجمعية والنقابة للدفاع عن المصالح المشتركة لأرباب المهنة، وهذا ما استقر عليه القضاء أيضاً في فرنسا، وأيد المشرع المصري هذا الاتجاه؛ حيث نص في م16 من القانون رقم(85) لسنة42، الخاص بالنقابات العمالية على منح النقابات العمالية حق التقاضي، وبالأخص مباشرة جميع الدعاوى الناشئة عن عقد العمل المشترك، والادعاء بالحقوق المدنية المترتبة على الجرائم التي تلحق ضرراً بالمصلحة المشتركة، وأرباب المهنة التي تمثلها.

**رابعًا - صفة الدفاع عن المصالح العامة:**

هذه الصفة يوجد فيها صور؛ وهي:

**1- النيابة العامة:**

أباح المشرع للنيابة العامة في بعض الحالات الحق في رفع الدعوى أو التدخل فيها حمايةً للمصلحة العامة، وحفاظاً على النظام العام والآداب في المجتمع، كحقها في تحريك دعوى التفاليس والصلح الواقي ... إلخ، كما هو منصوص عليها في قانون المرافعات الليبي، وكذلك القانون التجاري المصري.

2- صفة إدارة القضايا:

هذه الجهة. بموجب قانون إنشائها. تتولى الدفاع عن الجهات العامة؛ من أجل صون حقوق هذه المصالح خاصةً بما يتعلق بالدعوى المرفوعة عليها.

3- المحاماة العامة:

مثال ذلك: في حالة الجنايات؛ فإن المحكمة لا تقترب من الدعاوى المتعلقة بالجنايات ضد الشخص المعسر إلى أن تأمر أو تطلب من إدارة المحاماة بتكليف محامي بالحضور أمامها؛ للدفاع عن هذا الشخص.

4- دعاوى الحسبة:

هي دعوى معروفة في الفقه الإسلامي، فهي الدعوى التي ترفع للدفاع عن حق من حقوق الله تعالي، مثال ذلك: «قضية كتاب المفكر المصري نصر حامد أبو زيد الأكاديمي، متخصص بالفقه واللغة العربية، وألف بعض الكتب في التأويل والتفسير، وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ونقد الفكر الديني، فأتهم بالكفر، وتم رفع دعوى طلاق عليه، وقضت المحكمة بالتفريق بين الزوجين، وأيدت محكمة النقض المصرية هذا الطلاق، وقد اعتمد القانون المصري رقم3 لسنة 1996 الذي لا يشترط الصفة والمصلحة لرفع دعوى الحسبة، وأوكل الأمر للنيابة العامة»، والقضية الثانية قاما ليبيان برفع دعوى ضد الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام بصفتها، والنيابة العامة بصفتها متدخلة في الدعوى بموجب نص المادة107، 113، وذلك بوقف تداول لهذا الكتاب، وسحبه من المكاتب، والتحفظ عليه.

## المبحث الثاني: أحكام الصفة:

تضبط الصفة في الدعوى جملة من الأحكام والضوابط، لعل أهمها مسألة ارتباطها بالشكل أو الموضوع، وعلاقتها بالنظام العام.

هناك تشريعات تعتبر الصفة من النظام العام، وهناك البعض الآخر لم يعتبرها من النظام العام، ثم عدل عن ذلك واعتبرها من النظام العام، وهناك من لم يعدل ولم يعتبرها من النظام العام، غير أنها قد تثبت لصاحبها أثناء نظر الدعوى، أو تزول عنه بعد أن كان يحوزها حين رفع دعواه، فما الحل في مثل هذه الحالات، أيضاً ما هي أهم مميزات الحكم القاضي بعدم قبول الدعوى لغياب الصفة، سواء في الجانب المدعي باعتباره صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه، أو في جانب المدعى عليه بوصفه المعتدي على الحق أو المركز القانوني المدعي، من أجل معالجة أحكام الصفة رأينا تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

الأول - الصفة بين الشكل والموضوع، وكذا علاقتها بالنظام العام.

الثاني - عوارض الصفة أثناء نظر الدعوى، وشرح مميزات أحكام عدم قبول الدعوى لانتفاء الصفة.

### المطلب الأول: الصفة بين الشكل والموضوع في الدعوى، وعلاقتها بالنظام العام:

إن الدفع هو ما يجيب به الخصم على طلب خصمه، بقصد تفادي الحكم له به، فهو إذن وسيلة دفاع سلبية محضة، وإذا كانت الدفوع الموضوعية هي تلك التي توجه إلى ذات الحق المدعى به، فإن الدفوع الشكلية توجه إلى ذات الخصومة أو إلى بعض إجراءاتها دون التعرض

لذات الحق المدعى به[31] ، وتبعاً لذلك يثور التساؤل حول: الدفع بعدم القبول لغياب الصفة؛ أهو دفع شكلي أم دفع موضوعي، أم أنه ذو طبيعة خاصة؟ من أجل معالجة هذين العنصرين بنوع من التفصيل قسمنا هذا المطلب إلى:

- الصفة بين الشكل والموضوع في الدعوى.
- علاقة الصفة في الدعوى بالنظام العام.

**أولاً- الصفة بين الشكل والموضوع في الدعوى:**

الدفع هو ما يجيب به الخصم على طلب خصمه قصد تفادي الحكم به أو تأخير هذا الحكم، ويعتبر كقاعدة عامة. وسيلة في يد المدعى عليه للرد على دعوى المدعي، وتمكينه من الاعتراض عليها أو على إجراءاتها، وما يهمنا في هذه الدفوع هو الدفع بعدم القبول لانتفاء الصفة، إن دفوع عدم القبول لا توجه إلى ذات الحق المدعى به، فلا تعد دفوعًا موضوعية، ولا توجه إلى إجراءات الخصومة فلا تعد دفوعًا شكلية، وإنما ترمي إلى إنكار وجود الحق في الدعوى لعدم توافر أحد الشروط التي يتطلبها القانون لقبولها[32] ، ويتميز الدفع بعدم القبول عن عدم القبول المادي، كرفض أمين الضبط استلام العريضة الافتتاحية للدعوى لسببٍ ما[33] .

إذا صدر حكم بعدم قبول الدعوى، على أساس عدم توافر الصفة، واستأنف هذا الحكم، فألغاه المجلس القضائي، هل يفصل المجلس في الدعوى، أم يحيل القضية إلى المحكمة؟ اعتبرت المحكمة العليا الحكم الصادر بعدم قبول الدعوى لانتفاء الصفة حكماً موضوعياً تستنفذ به المحكمة ولايتها بنظر الدعوى، أي إنه ينصب على الدعوى برمتها، ويترتب على القضاء به عدم جواز تجديدها إلا بطريق الطعن على الحكم الصادر فيها، ويطرح الاستئناف المرفوع عن هذا الحكم الدعوى بما احتوته من طلبات وأوجه دفاع على محكمة الاستئناف التي يمتنع عليها في حالة إلغاء الحكم وقبول الدعوى أن تعيدها إلى محكمة أول درجة لنظر موضوعها لاستنفاذها ولايتها بنظرها، وهذا ما قررته المحكمة العليا في حكمها الصادر بتاريخ 1993/02/07م، في الطعن المدني رقم19/[34]38 .

لذلك لا يجوز الدفع بالصفة لأول مرة أمام المحكمة العليا، ما لم تسبق إثارته أمام محكمة الموضوع[35] ، بخلاف ما قضت به محكمة النقض المصرية بـ»الصفة في الدعوى شرط لازم وضروري لقبولها، والاستمرار في موضوعها، فإذا انعدمت فإنها تكون غير مقبولة ويمتنع على المحكمة الاستمرار في نظرها، والتصدي لها، وفحص موضوعها، وإصدار حكم فيها بالقبول أو الرفض، بما لازمه أن ترفع الدعوى ممن وعلى من له صفة فيها»[36] ، ونجد أن المشرع الجزائري ميّز بين حالتين:

الأولى- حين تكون القضية غير مهيأة للفصل فيها، يلتزم المجلس القضائي بإحالة القضية إلى المحكمة للفصل في موضوعها.

(31) أحمد أبو الوفا، المرافعات المدنية والتجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الخامسة عشر، 1990م، ص222،223.
(32) أحمد أبو الوفا، مرجع سابق ص128.
(33) بو بشير محمد أمقران، مرجع سابق، ص151.
(34) خليفة سالم الجهمي، مرجع سابق، ص205.
(35) علي مسعود محمد بلقاسم مرجع سابق، ص298.
(36) المرجع نفسه، ص299.

الثانية- حين تكون القضية مهيأة للفصل فيها، يكون المجلس القضائي مختاراً بين أن يحيل الدعوى إلى المحكمة أو أن يتصدى لها.

إن الدفع بعدم القبول لانتفاء الصفة في الدعوى يوجه في الحقيقة إلى الصفة العادية، والصفة الاستثنائية دون الصفة الإجرائية التي يعد الدفع بشأنها من الدفوع الإجرائية، كما أن البحث في الصفة قد يتعد مع مناقشة الموضوع، ومنه فإن الدفع بعدم قبول الدعوى لغياب الصفة هنا هو نفسه رفض الدعوى لعدم التأسيس، مثل الدائن الذي يرفع دعوى ضد مدينه، غير أنه لا يقوى على إثبات علاقة الدائن، وبالمقابل قد تنفصل الصفة العادية في الدعوى عن الحق الموضوعي، فيكون هنا الدفع بعدم القبول لغياب الصفة يختلف عن الرفض لعدم التأسيس، ولعل خير مثال على ذلك: الدعاوى المحددة بأجل، ثم يرفع المدعي دعواه خارج ذلك الأجل، هنا يكون الحكم: عدم القبول لانتفاء الصفة، هذا الحكم إذا ألغاه المجلس يعود الملف إلى المحكمة التي تفصل في هذا الوقت في الموضوع.

أخيرًا، إن الدفع بعدم القبول لغياب الصفة قد يتخذ صورة الدفع الإجرائي البحت، مثل الدفع بعدم وجود الصفة الإجرائية ...، وقد يكون دفعاً موضوعياً صرفاً مثل دعاوى الدين الذي لا يقوى الدائن على إثبات علاقة الدائن، وقد يكون بين هذا وذاك، أي دفع ذو طبيعة خاصة. وهي الحالة الغالبة. ومن أمثلة ذلك دعوى مالك العقار التي يرفعها بعد انقضاء مدة 15سنة كاملة من حيازة المدعي عليه للعقار، ويعود توصيف الدفع بعدم القبول لانتفاء الصفة بوصف خاص إلى كونه يجمع بعض خصائص الدفع الإجرائي، وبعض خصائص الدفع الموضوعي.

**ثانياً- علاقة الصفة في الدعوى بالنظام العام:**

لتفادي الخوض في الآراء القانونية للتعرف على التعريف الجامع للنظام العام، كون ذلك ليس موضوع هذا البحث، ولتفادي الخلاف الفقهي والجدل الواسع بين فقهاء القانون، فيكفي دراسة النظام العام كمصطلح، وهو يعني: «القواعد القانونية التي لا يمكن للأفراد مخالفتها، وإن خالفوها كان جزاء تصرفاتهم البطلان»[37] ، وما يهمنا في هذا البحث هو هل شرط الصفة متعلق بالنظام العام أم لا ؟

يعد شرط الصفة في الدعوى من النظام العام؛ لأنه يستهدف قصر طلب اللجوء إلى القضاء على أصحاب الحماية القانونية، وهو اعتبار يتعلق بصالح الجماعة، مما يتعين معه على المحكمة التحقق من توافره، والقضاء بعدم قبول الدعوى في حالة انتفائه من تلقاء نفسها، ولو لم يدفع بذلك الخصوم.

نجد في ليبيا أحكام المحاكم مختلفة؛ أحياناً تعتبر شرط الصفة من النظام العام، وتارةً تعتبره ليس من النظام العام، ونجد أن المشرع في البداية اعتبره من النظام العام، ثم في سنة76 صدر حكم من المحكمة العليا، وأشارت فيه بأن الصفة ليست من النظام العام، وأخيراً رجعت للمبدأ الأول، واعتبرت شرط الصفة من النظام العام، وفي هذا قررت المحكمة العليا الليبية في الطعن المدني رقم38 سنة1971م، ما يلي: «يشترط لسماع الدعوى وجود حق ومصلحة وصفة، وتفريعاً على ذلك يجب أن يكون المدعى عليه خصماً ...، وقد عرف الفقهاء الخصم بأنه المطلوب منه الحق، بحيث يكون جوابه عليه إما بالإقرار أو بالإنكار، فإذا ادعى أحد شيئاً، وكان

(37) أبو جعفر المنصوري، مرجع سابق، ص126.

يترتب على إقرار المدعى عليه حكم بتقدير إقراره، فيكون بإنكار خصماً في الدعوى، وتقوم عليه البينة، ولذا كان لا يترتب حكم على إقرار المدعى عليه إذا أقر لك، يكن خصماً بإنكاره»[38] .

في حكم آخر قديم للمحكمة العليا الليبية في الطعن المدني رقم5/11 أشارت إلى: «أن الدفع بعدم القبول إذا كان مبناه إنكار الصفة، فإنه يتعلق بالنظام العام، وذلك على اعتبار أن المحكمة يتعين عليها قبل تناول الموضوع أن تتحقق من صفات الخصوم، وتتحقق أيضاً من وكالة من ينوب عنهم قبلها، ومن تلقاء نفسها أن تطالبهم بما يثبت وكالتهم عن صاحب المصلحة في الدعوى؛ ذلك أن الحكم الصادر في موضوع الدعوى قد يصدر على الخصم الذي لم يمثل تمثيلاً قانونياً سليماً، وتمسك بعدم جواز الاحتجاج في مواجهته، على اعتبار أنه لم يكن طرفاً في الخصومة التي صدر فيها، وقد يصدر عليه إذا رفعت الدعوى باسمه فيثبت حقه في التنصل عما قام به من تولى السير في الخصومة، فيبطل الحكم الصادر فيها، وليس من النظام العام شغل المحاكم بدعاوى مبناها إجراءات قد يهددها الزوال»[39] ، ولكن مازالت بعض الدوائر تختلف في هذه المسألة، فالعيب هنا في النص التشريعي.

بالرجع للقوانين المقارنة نجد أن القانون المصري نص في المادة(3) من قانون المرافعات بعد تعديلها بالقانون رقم(81) لسنة1996م على: «أن بطلان الإجراءات المبنية على انعدام صفة أحد الخصوم في الدعوى يعتبر من النظام العام مما يجوز الدفع به لأول مرة أمام محكمة النقض ولو لم يسبق إثارته أمام محكمة الموضوع ...»[40].

أما قانون المسطرة المغربي، فقد اعتبر شرط الصفة من النظام العام، فالفقرة الثانية من الفصل الأول من قانون المسطرة المدنية ينص على أن: القاضي يثير تلقائياً انعدام الصفة والأهلية والمصلحة أو الإذن بالتقاضي إن كان ضرورياً، وينذر الطرف بتصحيح المسطرة داخل أجل معين، وأن المشرع قد اعتبر إجراء المسطرة المتعلق بتوجيه إنذار شرطاً أساسياً قبل التصريح بعدم القبول، وأنه لا يمكن بالتالي أن يبني عن الإجراء المذكور مجرد تبليغ الطرف بمذكرة الخصم الذي يتمسك فيها بانعدام الصفة، يعني اعتبر الصفة والمصلحة والأهلية والإذن من النظام العام، وغفل عن شيء، وهو الاجتهاد في النص[41] .

نص المشرع الجزائري المادة 459 من قانون الإجراءات المدنية أنه لا يجوز لأحد أن يرفع دعوى أمام القضاء ما لم يكن حائز لصفة ... ويقرر القاضي من تلقاء نفسه انعدام الصفة، واضح من النص السالف الذكر أن الصفة في الدعوى تتعلق بالنظام العام، ويترتب على اعتبار الصفة من النظام العام آثار هامة؛ هي:

1- لا يجوز لجميع أطراف الدعوى الاتفاق على عدم منازعة بعضهم البعض في الصفة، كما هو الشأن في الاتفاق حول الاختصاص المحلي.

2- يجوز إبداء الدفع بعدم القبول لانعدام الصفة في أي مرحلة تكون عليها الدعوى، إذا يمكن تقديم الدفع أمام ذات المحكمة الناظرة في الدعوى، وعند إعادة السير فيها إذا ما انتهت قبل الفصل في الموضوع، وأمام جهة الاستئناف ولو لأول مرة، وأمام المحكمة العليا.

(38) أبو جعفر المنصوري، مرجع سابق، ص633.
(39) أبو جعفر المنصوري، مرجع سابق، ص632
(40) علي مسعود محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص298.
(41) عبد الوهاب بوضرسة، الشروط العامة والخاصة لقبول الدعوى بين النظري والتطبيق، دار هومة، الجزائر،2005م، ص214.

3- يتعين على النيابة العامة إذا كانت طرف أصلي في الدعوى، أو منضمة فيها أن تتمسك بانعدام الصفة ولو لم يدفع به أحد الخصوم، كما لها أن تطعن بذلك لصالح القانون طبقاً لنص المادة297 من قانون الإجراءات المدنية والمواد 125، 159، 166، 170 من قانون الولاية.

4- على المحكمة أن تقضي بعدم قبول الدعوى لانعدام الصفة من تلقاء نفسها، ولو لم يدفع بها أحد الخصوم أو النيابة العامة حين تكون طرف في الدعوى.

غير أن هذا المبدأ وضع له استثناء، إذ تنص المادة85 من قانون الإجراءات المدنية على أنه: إذا لم تكن القضية مهيأة للفصل فيها، فإن القاضي بمجرد إعلامه بوفاة أحد الخصوم أو تغير أهليته يكلف شفوياً أو بتبليغ يتم طبقاً للأوضاع ... كل ذي صفة لإعادة السير في الدعوى.

إن القراءة الأولى للنص السالف الذكر. تفيد أنه إذا توفي أحد الأطراف أو تغيرت أهليته، كان لازمًا على المحكمة أن تتبع الإجراء المطلوب في المادة، مما يعني أنه خروج عن المبدأ القاضي بالتصريح تلقائيًا بعدم القبول، وأن مثل هذا النص يجعل الصفة في هذه الحالة لا تتعلق بالنظام العام، إن ما يعزز هذا الرأي هو الموقف الذي اتخذته المحكمة العليا في قرارها رقم73514 الصادر في 1991/06/12 المنشور بالمجلة القضائية رقم01/95 ص32، والذي جاء فيه: أن المجلس القضائي بامتناعه عن القيام بالتدابير المنصوص عليها بالمادة85 من قانون الإجراءات المدنية بإبطاله الإجراءات المتبعة بعد وفاة أحد الخصوم، وصرف هؤلاء لما يبدو لهم، فيكونوا قد انتهكوا أحكام المادة أعلاه، مما يعرض قرارهم للنقض.

## المطلب الثاني: عوارض الصفة أثناء نظر الدعوى:

يتعين على الخصم في الدعوى أن يتتبع ما يطرأ على صفة خصمه من تغيير، حتى يوجه الخصومة إلى من يجب أن توجه إليه قانوناً، فإذا فقد أحد طرفي الخصومة صفته في الدعوى أثناء سيرها، بالوفاة أو زوال الأهلية القانونية أو الدمج، وكانت الدعوى لم تتهيأ للحكم في موضوعها، فإن ذلك يكون موجباً للحكم بانقطاع سير الخصومة عند آخر إجراء تم فيها قبل قيام سبب الانقطاع، ولا يجوز اتخاذ أي إجراء في الدعوى إلا بعد استئناف الخصومة سيرها بمخاصمة صاحب الصفة الذي حل محل من زالت صفته، أما إذا كان سبب الانقطاع قد حدث بعد أن تهيأت الدعوى للحكم في موضوعها، وهي لا تكون كذلك إلا إذا كان الخصوم قد أبدوا أقوالهم وطلباتهم الختامية في جلسة المرافعة قبل حدوث سبب الانقطاع، فإنه يسوغ الحكم في الدعوى على موجب تلك الأقوال والطلبات أو تأجيلها بناء على طلب من قام مقام الطرف الذي زالت صفته، أو بناء على طلب الطرف الآخر، وذلك كله وفقاً لنصوص المواد249 و250 و251 من قانون المرافعات الليبي.

لا يعد زوالاً للصفة في الدعوى مجرد تغيير اسم الممثل القانوني للشخص الاعتباري من رئيس مجلس إدارة إلى أمين لجنة شعبية مثلاً، باعتبار أن الشخص الاعتباري الممثل في الدعوى هو المقصود بذاته في الخصومة، وأن شخصيته القانونية قائمة ومستقلة عن شخصية ممثله القانوني[42]، كما أنه إذا رفعت دعوى على أكثر من جهة إدارية، وزالت صفة إحداها أثناء سير الخصومة، فإن ذلك لا يؤثر على سير الخصومة في مواجهة الباقين، طالما كان من بينهم

(42) قد نصت المادة(3/115) من قانون المرافعات المصري على ذلك صراحةً بأنه: "إذا تعلق الأمر بإحدى الوزارات أو الهيئات العامة أو مصلحة من المصالح أو بشخص اعتباري عام أو خاص، يكفي في تحديد الصفة أن يذكر اسم الجهة المدعي عليها في صحيفة الدعوى"، وهو تقنين لما استقر عليه القضاء.

من له صلة بموضوع النزاع فيها[43] .

ولتوافر الصفة في الدعوى يجب أن يخاصم القرار المطعون عليه في مواجهة الجهة الإدارية التي أصدرت القرار أو صدر القرار في مواجهتها أو لصالحها بالنسبة للقرارات الصادرة من اللجان الإدارية ذات الاختصاص القضائي أو مجالس التأديب، وهو ما عبرت عنه المحكمة العليا الليبية في حكمها الصادر بتاريخ 1973/11/29 في الطعن الإداري رقم19/1ق الذي جاء فيه أن: «القرار الإداري لا يخاصم إلا في مواجهة الجهة الإدارية التي أصدرت القرار أو تلك التي صدر القرار لصالحها؛ ذلك لأن الخصومة في الدعوى الإدارية إنما تتحدد بين الجهة التي صدر عنها القرار الإداري أو صدر لصالحها بوصفها مسؤولة عنه، ويخاصم القرار في مواجهتها، وبين ذوي الشأن ممن تكون لهم مصلحة حالة أو محتملة يمسها القرار الإداري المطعون فيه»[44] .

بالنظر إلى أن الدعوى توجه دائماً ضد الجهات الإدارية في الدولة، وكانت هذه الجهات متعددة ومتشابكة، ويمكن أن يحدث نوع من التداخل بين اختصاصات بعضها البعض، مما يتعذر معه على ذوى الشأن تحديد الجهة الإدارية صاحبة الصفة في الاختصام في بعض الحالات، فقد حاول القضاء الإداري المقارن التيسير على المتقاضين، حيث أجاز تصحيح شكل الدعوى أثناء سيرها وقبل الحكم فيها، وذلك باختصام الجهة صاحبة الصفة الحقيقية فيها حتى بعد فوات ميعاد الطعن بالإلغاء، طالما كانت الدعوى قد أقيمت ابتداء خلال الميعاد المقرر، وما دامت الجهة التي وجهت إليها الدعوى في الأصل لها علاقة بموضوعها.

ترجمت المحكمة الإدارية العليا المصرية ذلك في حكمها الصادر بتاريخ 1973/11/10 في الطعن رقم14/1366ق بقولها: «إذا ما نشط المدعي في الميعاد القانوني إلى اختصام القرار الإداري أمام القضاء الإداري، ولكنه تنكب السبيل فوجهها إلى جهة إدارية غير ذات صفة في التداعي قانوناً فإن إقامة الدعوى على هذا النحو تقطع ميعاد رفعها بالنسبة لصاحب الصفة فيها إلى أن يتم الفصل فيها، وذلك طالما كانت الجهة الإدارية المختصمة لها ثمة اتصال بموضوع الدعوى، ويحق للمدعي - والأمر كذلك - تصحيح شكل دعواه باختصام صاحب الصفة قانوناً إلى ما قبل الحكم فيها من محكمة الموضوع»[45] .

يبدو أن المحكمة العليا الليبية تسير في ذات الاتجاه، بل إنها قد ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ حيث اكتفت بمخاصمة اللجنة الشعبية العامة كشرط لقبول الدعوى ضد الجهات الإدارية (اللجان الشعبية بمختلف مستوياتها) بحكم اختصاصها الإشرافي على جميع مؤسسات الدولة ومسئوليتها التضامنية مع بقية القطاعات العامة، أمام مؤتمر الشعب العام، وأن جميع الأمانات الأخرى للقطاعات المختلفة تشكل هيكلها العام[46] .

يعتبر في حكم تصحيح شكل الدعوى أثناء سيرها باختصام صاحب الصفة فيها حتى بعد فوات مواعيد الطعن، مثول الخصم من تلقاء نفسه بالجلسة المحددة لنظر الدعوى وإبداء دفاعه فيها، رغم عدم اختصامه أساسًا بصحيفتها، وتطبيقًا لذلك قضت المحكمة الإدارية

(43) المحكمة العليا في الطعن المدني 16/38ق في 1970/11/24، المجلة، س26، ع4،3، ص27.

(44) المجموعة المفهرسة، ج1، المبادئ الإدارية والدستورية، ص61 وما بعدها، بند رقم49.

(45) مجموعة المبادئ في خمسة عشر عاماً، مرجع سابق، ج2، ص993، رقم46. ويلاحظ أن قانون المرافعات المصري رقم1968/13 المعدل بالقانون رقم1992/23 ينص في المادة(115) منه على أنه: "إذا رأت المحكمة أن الدفع بعدم قبول الدعوى لانتفاء صفة المدعى عليه قائم على أساس، أجلت الدعوى لإعلان ذي الصفة، ويجوز لها في هذه الحالة الحكم على المدعي بغرامة لا تجاوز خمسين جنيها ... ".

(46) المحكمة العليا في الطعن الإداري 36/21ق، 23م 1990/12. المجلة، س26، ع4،3، ص27.

العليا المصرية في حكمها الصادر بتاريخ 1989/11/28 في الطعن رقم 34/904 ق بأنه: «استقر قضاء هذه المحكمة على أن صاحب الصفة الذي لم يختصم أصلاً في الدعوى إذا ما مثل فيها أمام المحكمة من تلقاء نفسه، أو أبدى دفاعاً موضوعياً فيها، فلا يقبل منه بعد ذلك الدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها على غير ذي صفة، ولو تم هذا الإجراء بعد انقضاء مواعيد الطعن بالإلغاء، وذلك رغماً عن أن هذا الدفع من النظام العام الذي يجوز لصاحب الشأن أن يثيره في أية مرحلة كانت عليها الدعوى، كما يجوز للمحكمة أن تتصدى له من تلقاء نفسها، وليس من شك في وجوب التسوية في الحكم بين حالة صاحب الصفة الذي لم يختصم في الدعوى، ومثل فيها من تلقاء نفسه بعد انقضاء مواعيد الطعن بالإلغاء، وبين صاحب الصفة الذي توجه إليه الخصومة بعد إقامتها في الميعاد القانوني إذا تم هذا التوجيه بعد فوات مواعيد الطعن بالإلغاء، وذلك لاتحاد العلة بينهما وهو مثول صاحب الصفة في الدعوى إلى ما قبل الفصل فيها»[47] .

لكن ذهب المشرع الجزائري عكس ذلك، حيث يفهم من نص المادة459 من قانون الإجراءات المدنية أنها حسمت الأمر؛ إذ صرحت أنه لا يجوز لأحد أن يرفع دعوى أمام القضاء ما لم يكن حائز الصفة، ويقرر القاضي من تلقاء نفسه انعدام الصفة، وهذا ما نصت عليه الفقرة الثانية من نفس المادة459 بقولها: على أن القاضي يقرر من تلقاء نفسه انعدام الصفة، مما يفيد أنه كلما تبين للقاضي انعدام الصفة أمكن له الحكم بذلك دون ما حاجة لانتظار دفع من الأطراف، وفي أية مرحلة كانت عليها الدعوى، فإذا ما زالت صفة المدعي أثناء نظر الدعوى يقرر القاضي من تلقاء نفسه انعدام الصفة، وعليه فإنه إذا تحققت الصفة بعد رفع الدعوى أو زالت بعد إن وجدت، فإن القاضي يحكم بعدم القبول لانعدام الصفة.

## الخاتمة:

إن موضوع الصفة باعتبارها شرط من شروط قبول الدعوى من أهم المواضيع في قانون الإجراءات المدنية، ولعل التطرق إليها من شأنه كشف النقاب عن عديد الخبايا المرتبطة به، إن عملنا هذا لا يعدو أن يكون قطره من فيض، علاوة على أنه أثار جملة من التساؤلات.

## النتائج:

خلصنا عقب هذا البحث المتواضع إلى بعض النتائج التي نعتقد أنها أساسية، والتي من أهمها:

1- إن الصفة العادية في الدعوى تقتضي أن يكون المدعي هو صاحب الحق أو المركز القانوني المعتدى عليه، والمدعى عليه هو المعتدي على الحق أو المركز القانوني للمدعي، وهو ما يعبر عنه بأن الدعوى يجب أن ترفع من ذي صفة على ذي صفة.

2- ثمة اختلاف عضوي بين الصفة العادية في الدعوى والصفة الإجرائية، إذ تعبر هذه الأخيرة عن صلاحية الشخص لمباشرة إجراءات التقاضي مع احتفاظ المدعي الأصلي بصفته العادية.

3- الصفة الاستثنائية في الدعوى تحل محل الصفة العادية، وهي وفق تسميتها استثناء عن القاعدة العامة، ولا يعتد بها إلا بنص من القانون.

4- إن الصفة في الدعوى التي تثبت للجمعية دفاعاً عن مصلحة لا علاقة لها بالأفراد المكونين

(47) نعيم عطية-الأستاذ حسن الفكهاني، الموسوعة الإدارية الحديثة من عام85 حتى عام1993، 1995/1994، ص172.

لها، إنما تكون مرجعيتها الهدف الذي تأسست الجمعية لأجله هي صفة استثنائية بطبيعتها، وعليه لا تثبت إلا بنص خاص.

5- الصفة التي تثبت للنيابة العامة في الدعاوى العامة هي الأخرى استثنائية، ولا يعتد بها إلا بنص قانوني صريح.

6- الدفوع الموجهة ضد طرف في الدعوى، والتي تنصب حول الصفة الإجرائية هي دفوع إجرائية صرفة، أما الدفوع الموجهة إلى الصفة العادية أو الاستثنائية فقد تكون دفوع موضوعية، كما قد تكون دفوع ذات طبيعة خاصة.

7- حين يستلم القاضي الملف فإنه يفحص أولاً اختصاصه، ثم يتطرق إلى الشكل، ثم إلى شروط قبول الدعوى، ثم إلى الموضوع، وإذا كانت الأحكام القضائية لا تورد التصريح بالاختصاص وشروط القبول وتتطرق مباشرة إلى الموضوع، فإن ذلك يعد من قبيل القضاء الضمني.

8- الصفة في الدعوى من النظام العام.

9- موضوع الصفة كشرط لقبول الدعوى بحاجة إلى شرح مستفيض من قبل فقهاء القانون من أجل تصحيح المفاهيم، وإيمانا منا أن التغيير إلى الصواب إنما يكون عبر الفهم الصحيح للقانون وليس الممارسة القضائية غير الصحيحة، والتي وإن استمرت لفترة طويلة لن تتحول إلى قانون، بل على العكس من ذلك سوف تكون عقبة تصنع الاختلاف بين النصوص التشريعية والواقع القضائي على خلفية الفهم السيئ، والمبني على منطق أعوج للنصوص القانونية.

## التوصيات:

نوصي مجلس القضاء الأعلى بإيجاد رؤية قانونية موحدة ومتكاملة وواضحة لموضوع الصفة في القانون الليبي، من خلال جمع النصوص القانونية المتناثرة في أكثر من قانون والتأكيد على تطبيقها في إجراءات نظر الدعاوى أمام القضاء بشكل عام.

وأخيراً، نرجو أن يكون هذا العمل البسيط قد نال حظه من التوفيق، وإن تضمن أخطاء وهفوات فجلّ من لا يخطئ. والله المستعان.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. أبو جعفر المنصوري، فكرة النظام العام والآداب العامة في القانون والفقه مع التطبيقات القضائية، دار الجامعة الجديدة، 2010م.
2. أحمد أبو الوفا، المرافعات المدنية والتجارية، منشاة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الخامسة عشر، 1990م.
3. أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة: (وصف)، ت: عبدالسلام هارون، ط2، دار الكتب، 1389هـ.
4. بوشير محمد أمقرن، قانون الإجراءات المدنية (نظرية الدعوى، نظرية الخصومة، الإجراءات الاستثنائية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.
5. خليفة سالم الجهمي، الوجيز في شرح قانون المرافعات، دار الفضيل للنشر والتوزيع، ط2، 2021م.
6. زودة عمر، محاضرات ألقيت على طلبة القضاة، السنة الأولى، السنة البيداغوجية (2005-

2006م).
7. عبد الباسط جميعي، مبادئ المرافعات، 1980م.
8. عبد الحكيم شرف، دراسة في قانون المرافعات، الطبعة الأولى، 1998م.
9. عبد الوهاب بو ضرسة، الشروط العامة والخاصة لقبول الدعوى بين النظري والتطبيق، دار هومة، الجزائر،2005م.
10. علي مسعود محمد بلقاسم، شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، الطبعة الثانية، 2018م، دار ومكتبة حمودة للنشر والتوزيع زليتن-ليبيا.
11. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001م.
12. مجلة المحكمة العليا، س13، ع2.، س21، ع3.، س26، ع3، 4.، س29، ع3،4.، س37،38.
13. مجموعة المبادئ في خمسة عشر عاماً 1980/65، س32، ج2.
14. المجموعة المفهرسة، ج1، المبادئ الإدارية والدستورية.
15. محمد علي راتب- محمد فارق راتب، ومحمد نصر الدين كامل، قضاء الأمور المستعجلة، عالم الكتب، ط5.
16. محمود سيد التحيوي، الصفة غير العادية وآثارها في رفع الدعوى القضائية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002م.
17. محمود محمد هاشم، قانون القضاء المدني، 1990م.
18. نعيم عطية- الأستاذ حسن الفكهاني، الموسوعة الإدارية الحديثة من عام85 حتى عام 1993، 1995/1994م.

# دعوى ضمان الاستحقاق في التشريع الليبي والفقه الإسلامي
## (دراسة مقارنة)

إعداد:
د. محمد عبد الناصر الصداعي
كلية القانون – جامعة سرت
رئيس قسم القانون الخاص

الاستلام: 12.2.2024 القبول: 15.3.2024

**المستخلص:**

تعد الأحكام الخاصة بالضمان والتي نظمها المشرع الليبي في القانون المدني لعقد البيع بمثابة القواعد العامة في الضمان ، وذلك لأن عقد البيع هو العقد الذي يغلب فيه استعمال الضمان ، والدعاوى التي تحمي هذا الضمان في القانون المدني الليبي هي دعوى الضمان التعرض ودعوى ضمان الاستحقاق ودعوى ضمان العيوب الخفية ، والدعاوى الثلاث إما أن ترفع بالطرق العادية في رفع الدعاوى وتسمى دعوى الضمان الأصلية، أو ترفع بإدخال الضامن في الخصومة الأصلية بدعوى متفرعة عنها وفي موعد معين وإجراءات معينة وتسمى دعوى الضمان الفرعية ، وهذه الدعوى اهتم بها المشرع الليبي ونظمها في أكثر من مادة من نصوص قانون المرافعات الليبي وذلك لكثرة استخدامها في العمل، نظراً للمزايا العديدة التي تحققها لصاحب الحق في الضمان للحصول على ضمانات وتعويضات افضل من الالتجاء للدعاوى المقررة طبقا للقواعد العامة.

**كلمات مفتاحية:** دعوى – ضمان الاستحقاق – عقد البيع – القواعد العامة.

**Research Summary:**

The provisions of the guarantee organized by the Libyan legislator in the Civil Code of the contract of sale are considered as the general rules in the guarantee, because the contract of sale is the contract in which the use of the guarantee prevails, and the lawsuits that protect this guarantee in the Libyan Civil Code are the guarantee lawsuit exposure, the claim of guarantee of entitlement and the claim of guarantee of hidden defects, and the three lawsuits are either filed by ordinary methods in filing lawsuits and are called the original guarantee lawsuit, or filed by introducing the guarantor into the original litigation with a subsidiary lawsuit about it and at a certain date and certain procedures and is called a sub-warranty lawsuit.

**Opening word:** Claim - Entitlement Guarantee - Sales Contract - General Rules

**مقدمة:**

يعد اصطلاح الضمان اصطلاحاً قديماً في لغة القانون، لأنَّ الإنسان دائماً يبحث عن الأمان عند إجراء أي تعامل مع الغير، ووجود الالتزام بالضمان يحقِّق له هذا الأمان، ومفهوم

الضمان في القانون المدني ينحصر في ضمان التعرُّض وضمان الاستحقاق وضمان العيوب الخفيَّة، لذلك فدعاوى الضمان في القانون المدني ثلاث دعاوى ضمان التعرُّض ودعوى ضمان الاستحقاق ودعوى ضمان العيوب الخفيَّة. وهذه الدعاوى مستقلَّة تماماً عن الدعاوى المستمدَّة مباشرة من القواعد العامة، كدعوى الفسخ ودعوى الإبطال، والسبب في ذلك يرجع لاعتبارات تاريخيَّة ترجع إلى القانون الروماني والقانون الفرنسي القديم، وقد تلقى التقنين المدني الفرنسي الحال هذه التقاليد، فجعل ضمان التعرُّض والاستحقاق لا يرتبط بنقل الملكيَّة وإنما يرتبط بنقل الحيازة، فلا يقوم الضمان إلَّا إذا وقع تعرُّض يعكِّر من هدوء هذه الحيازة، لا مجرَّد الإحلال بالالتزام بنقل الملكيَّة، وإذا ما قام الضمان فله قواعده الخاصة التي يستقل بها عن الدعاوى المتفرِّعة عن الالتزام بنقل الملكيَّة، كدعوى الفسخ والإبطال، وانتقلت هذه الخصوصيَّات إلى التقنين المدني المصري ومنه إلى المدني الليبي.

وسيقتصر موضوع البحث على «دعوى ضمان الاستحقاق في القانون المدني الليبي والفقه الإسلامي» دراسة السبب في اختيار موضوع البحث: يرجع مقارنة ذلك للأهمية الكبيرة من الناحيتين النظريَّة والعمليَّة، فمن الناحية النظريَّة يعتبر الضمان من المباحث المهمَّة في العقود المختلفة ولا سيما في عقد البيع، حيث اعتبر المشرِّع الليبي الأحكام الخاصة بالضمان التي نظمها في عقد البيع، بمثابة القواعد العامة في الضمان وذلك على أساس أنَّ عقد البيع هو العقد الذي يغلب فيه استعمال الضمان، وهذا مجال خُصِّص للدراسة.

**أمَّا من الناحية العمليَّة:** فإنَّ أغلب المنازعات التي تثار أمام المحاكم إنَّما تنشأ بسبب المنازعة في الملكيَّة، وادِّعاء الغير بأحقيته في الشيء المملوك، لذلك نظم الشرع دعوى ضمان الاستحقاق في قانون المرافعات المدنيَّة والتجاريَّة الليبي وذلك لحماية الحق في الرجوع بالضمان.

**مشكلة البحث:**

يثير البحث العديد من التساؤلات:

**أولاً:** ماهيَّة دعوى الضمان؟ وماهي أنواعها؟

**ثانياً:** ماهي إجراءات رفع الدعوى؟ وهل تختلف إجراءات رفعها عن الإجراءات المعتادة لرفع الدعوى من عدمه؟

**ثالثاً:** ما هي مزايا اللجوء لمثل هذه الدعوى؟

**رابعاً:** هل لدعوى ضمان الاستحقاق شروط خاصة لقبولها علاوةً على الشروط العامة المتطلبة في سائر الدعاوي؟

المنهج المتَّبع في البحث: اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي وذلك لاتفاقها مع موضوع الدراسة، حيث قمتُ باستقراء النصوص القانونيَّة الخاصة بالأحكام الموضوعيَّة للضمان، وكذلك النصوص الخاصة بالأحكام الإجرائيَّة لدعوى الضمان، وكذا ما ورد بكتب التراث الإسلامي، استقراءً جيداً، بقصد تحليل هذه الأحكام تحليلاً منطقيَّاً للوصول إلى حلول واقعيَّة ومنضبطة للتساؤلات التي يطرحها موضوع البحث.

## المبحث الأول: الاختصاص بالدعوى وتقادمها:

### تمهيد وتقسيم:

الضمان عبارة عن سلطة تخوِّل شخصاً الرجوع على آخر بسبب منازعة مرفوعة عليه، فالأول يسمَّى صاحب الحق في الضمان، والآخر يسمَّى ضامناً، والدعوى التي يرجع بها صاحب الحق في الضمان على الضامن تسمَّى دعوى الضمان، وفيها يُلزم الضامن بحماية صاحب الحق في الضمان من المنازعة الموجَّهة إليه من الغير، أو أنْ يعوِّضه إذا ما فشل في الدفاع عنه.

ودعوى الضمان قد تكون دعوى أصليَّة أو فرعيَّة، وقد اهتم المشرِّع الفرنسي بمعالجة دعوى الضمان الفرعيَّة، معالجة تفصيليَّة لم تحظى بها أي دعوى فرعيَّة أخرى وذلك في المواد من رقم 334 إلى رقم 338 مرافعات.

وفي قانون المرافعات المصري في المواد 119 إلى 122 مرافعات مصري، أمَّا قانون المرافعات الليبي فقد نظَّمها في نصوص متفرِّقة في المادة 48، 64،70 مرافعات ليبي.[1]

**لذلك سيتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:**

المطلب الأول: نوعا دعوى الضمان وتقادمها

المطلب الثاني: المحكمة المختصَّة بنظر الدعوى وإجراءاتها

### المطلب الأول: نوعا دعوى الضمان وتقادمها:

**وسيتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين:**

#### الفرع الأول: نوعا دعوى الضمان.

ذكرنا فيما سبق أنَّ دعوى الضمان قد تكون أصليَّة أو فرعيَّة. وكلاهما تختلف عن الأخرى من حيث المزايا والإجراءات والاختصاص بالدعوى وهذا ما سنبيِّنه فيما يلي:

**أولاً: دعوى الضمان الأصليَّة:**

وذلك عن طريق رفع صاحب الحق في الضمان بالطرق المعتادة في رفع الدعاوى، وأمام المحكمة المختصَّة طبقاً لقواعد الاختصاص المعتادة في رفع الدعوى وأمام المحكمة المختصَّة طبقاً لقواعد الاختصاص العامة، وذلك بعد الفصل نهائيًّاً في الخصومة التي تنشأ عنها الضمان.[2]

مثال ذلك، إذا ما رفع شخص أجنبي دعوى على المشتري يدَّعي فيها أنَّه مالك للمبيع، فلو انتظر المشتري حتى يحكم عليه لصالح ذلك الشخص الأجنبي مدَّعي الملكيَّة، فيمكن للمشتري أن يرفع على البائع بوصفه ملتزماً بالضمان، بدعوى ضمان الاستحقاق الأصليَّة لمطالبته بالتضمينات التي نصَّ عليها المشرِّع في حالة استحقاق – كل أو بعض- المبيع تحت يده للغير.

(1) د. إبراهيم نجيب سعد: القانون القضائي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة طبعة 1998 ج 1، ص 610.
(2) د. محمد محمود إبراهيم: النظرية العامة للطلبات العارضة: دار الفكر العربي القاهرة طبعة 1985 ص 471.

**ثانياً: دعوى الضمان الفرعيَّة:**

وتكون بإدخال الضامن في الخصومة الأصليَّة بدعوى متفرِّعة عنها وفي موعد معيَّن وبإجراءات خاصة، ودعوى الضمان الفرعيَّة ترفع بصدد خصومة قائمة بالفعل، ويشترط في هذه الخصومة الأصليَّة شروطاً معيَّنة حتى يحكم الاعتداد بها وأعمال أثرها في ترتيب حق الرجوع بالضمان بطريقة الدعوى الفرعيَّة، من هذه الشروط أن تكون الدعوى الأصليَّة قائمة بالفعل، وأن يكون الخصم فيها صاحب الحق في الضمان والغير، سواء كان أحدهما مدعيَّاً والآخر مدَّعَي عليه أو العكس، وأن يتعلَّق موضوع الخصومة بمجمل الالتزام بالضمان، وذلك لكي يتوافر صفة الارتباط بين الدعوى الفرعيَّة والخصومة الأصليَّة.[3]

مثال ذلك، ففي المثال السابق ذكره لا ينتظر المشتري حتى يحكم باستحقاق المبيع للغير، بل يدخل البائع بوصفه ملتزماً بضمان الاستحقاق في الخصومة القائمة بينه وبين الغير الذي ينازعه في ملكيَّة المبيع بدعوى فرعيَّة.

**ثالثاً: مزايا الالتجاء إلى دعوى الضمان الفرعيَّة:**

لدعوى الضمان الفرعية مزايا عديدة، تجعل صاحب الحق في الضمان يلجأ إليها بدلاً عن الدعوى الأصليَّة التي ترفع بعد الفصل في الخصومة الأصليَّة وذلك للأسباب الآتية:

1- أنَّها تؤدِّي إلى الاقتصاد في الوقت وتيسير الإجراءات، لأنَّ صاحب الحق في الضمان سوف يحصل على حكم على الضامن في الوقت نفسه الذي يحصل فيه على الحكم في الخصومة الأصليَّة لمصلحة الغير، وكذلك يتفادى تعقيد الإجراءات ومضاعفة النفقات، وتأخير الفصل النهائي في الموضوع الناجم عن رفعه دعوى ضمان أصليَّة، ويتفادى كذلك تناقض الأحكام في الدعويين (دعوى الضمان الأصليَّة والدعوى الأصليَّة المقامة بينه وبين الغير).[4]

2- إدخال الضامن في الدعوى الأصليَّة مع الغير يجعل صاحب الحق في الضمان مستفيداً من أوجه الدفاع التي تكون لدى الضامن، وهذا يساعده في الحصول على حكم لمصلحته في المنازعة الأصليَّة بينه وبين الغير.[5]

3- دعوى الضمان الفرعيَّة تجعل صاحب الحق في الضمان يتوقَّى خطر سقوط حقِّه في الضمان، فإذا لم يختصم الضامن في الدعوى الأصليَّة، وانتظر حتى صدور الحكم عليه ثم رفع دعوى ضمان استحقاق أصليَّة على الضامن الذي استطاع أن يثبت أنَّه كان لديه أوجه دفاع يستطيع بها إبطال ما يدَّعيه الخصم في الدعوى الأصليَّة ففي هذه الحالة يفقد صاحب الضمان حقَّه لتقصيره في عدم إدخال الضامن في الدعوى.[6]

**رابعاً: آثار دعوى الضمان الفرعيَّة:**

يترتَّب على إدخال الضامن في الدعوى الأصليَّة تغيير في نظام الخصومة من حيث الأشخاص، فالضامن يكتسب صفة الخصم، فتصبح الخصومة ثلاثيَّة الأطراف ويتحدَّد مركز الخصوم على النحو الآتي:

(3) د. فتحي والي: الوسيط في قانون القضاء المدني: دار النهضة العربية طبعة 2012.

(4) د. أحمد السيد الصاوي: الوسيط في قانون المرافعات، طبعة 2010 م، دار النهضة العربية، ص 235.

(5) د. مصطفى كامل كيره: قانون المرافعات الليبي، طبعة 1980 م، ص 566.

(6) د. أحمد مليجي: اختصام الغير في إدخال ضامن في الخصومة المدنية: بحث منشور في مجلة الدراسات القانونية - كلية الحقوق جامعة اسيوط، العدد 7، لسنة 1995م، ص 192.

**أ- مركز طالب الضمان:** وهو المدَّعي في دعوى الضمان الفرعيَّة، وقد يكون مدَّعياً أم مدَّعَي عليه في الخصومة الأصليَّة، مثال ذلك المشتري الذي ترفع عليه دعوى استحقاق المبيع فيختصم البائع باعتباره ملتزماً بالضمان، فالمشتري في هذا المثال هو المدَّعي في دعوى ضمان الاستحقاق الفرعيَّة ومدَّعياً عليه في الخصومة الأصليَّة بينه وبين الغير، وقد يكون المشتري مدَّعياً في الخصومة الأصليَّة كما لو رفع دعوى على خسائر العقار يطالبه باسترداد العقار من تحت يده ويختصم البائع باعتباره ملتزماً بضمان الاستحقاق.

وفي كلا المثالين السابقين يستطيع المشتري الخروج من الدعوى الأصليَّة، بعد إدخال البائع فيها، إلَّا أنَّ الحكم يكون حجة له أو عليه إلَّا أنَّه ممثلا في الخصومة بواسطة البائع، وخروج المشتري يكون قاصداً على الدعوى الأصليَّة دون دعوى الضمان الفرعيَّة لأنَّه هو المدَّعي.[7]

**ب- مركز الضامن:** وهو المدَّعَي عليه في دعوى الضمان الفرعيَّة، وله الحق في أن يتقدَّم بكافَّة الدفوع المتعلِّقة بالالتزام بالضمان، وله حق الطعن في الحكم الصادر ضده في دعوى الضمان، ويعتبر خصماً في الدعوى الأصليَّة حتى ولو خرج منها طالباً الضمان أو لم يخرج، وله حق التمسُّك بكافَّة الدفوع المتعلِّقة بالدعوى الأصليَّة ولو لم يتمسَّك بها طالب الضمان، ويكون الحكم الصادر فيها حجة له أو عليه، ومن ثم يكون له الطعن فيها.[8]

**ج- مركز الطرف الآخر في الدعوى الأصليَّة:** فهو يعتبر من الغير بالنسبة لدعوى الضامن ومن ثَمَّ فلا يستفيد منها، ومع ذلك إذا أمرت المحكمة بضم طلب الضمان إلى الدعوى الأصليَّة يكون الحكم الصادر فيها على الضامن عند الاقتضاء حكماً للمدعي الأصلي ولو لم يكن قد وجِّه إليه طلبات. [9]

**الفرع الثاني: تقادم دعوى الضمان.**

**أولاً: الأحكام العامة للتقادم المسقط للالتزام:**

تنص المادة مدني ليبي على أنَّه « ينقض الالتزام بانقضاء خمس عشرة سنة فيما عدا الحالات التي ورد عنها نص خاص في القانون.

يتضح من النَّص سالف الذكر أنَّ القاعدة العامة هي أنَّ تقادم الالتزام يكون بمعنى خمس عشرة سنة ما لم يقضِ المشرِّع بغير ذلك.

ويبدأ حساب مدَّة التقادم من اليوم الذي يصبح منه الالتزام مستحق الأداء، وإذا ما اكتملت المَّدة اللازمة للتقادم ترتَّب على ذلك انقضاء الالتزام على نحو لا يمكن معه إجبار المدين على التنفيذ، سواء في ذلك التنفيذ لغير أم التنفيذ بمقابل، غير أنَّ هذا الانقضاء لا يتم بقوة القانون وإنَّما يلزم التمسُّك به لتحقيقه.[10]

والتمسُّك بالتقادم يكون أصلاً من حق المدين ذاته، غير أنَّ المشرِّع قد أجاز الدائنين التمسُّك به نيابة عنه عن طريق الدعوى غير المباشرة، كما أجاز ذلك لكل ذي مصلحة ككفيل المدين وحائز القضاء المرهون ضماناً للوفاء بالدين مثلاً (م،371 مدني ليبي) وانقضاء الالتزام يتخلَّف

(7) د. فتحي والي: المرجع السابق، ص 399.
(8) د. أحمد السيد الصاوي: المرجع السابق، ص 240.
(9) د. أحمد مليحي: المرجع السابق، ص 194.
(10) د. عبدالمنعم البدراوي: أثر مضي المدة في الالتزام.

عنه التزام طبيعي على عاتق المدين، ولذلك بالرغم من عدم جواز إجباره على التنفيذ، فإنَّ قيامه بالتنفيذ من تلقاء نفسه يعتبر وفاءً صحيحاً لا يجوز له الرجوع فيه طالما كان عالماً بحقيقة الأمر من عدم إجباره على الوفاء.[11]

**ثانياً: ما موقع دعوى الضمان من هذه الأحكام؟**

من المتفق عليه فقهاً وقضاءً أنَّ الالتزام بضمان الاستحقاق هو التزام دائم ومستمر بمعنى أنَّه لا يزول، ولو مضى على العقد المنشئ للضمان أكثر من خمس عشرة سنة، إلَّا أنَّه إذا حدث تعرَّض من الغير وسكت عنه صاحب الحق في الضمان بعد وقوع هذا التعرُّض سقطت دعواه إذا مضى مدَّة خمس عشرة سنة على سكوته بغير عذر ابتداء من تاريخ جدول التعرُّض.[12]

أي أنَّ دعوى الضمان تتقادم بمضي خمس عشرة سنة من وقت حدوث الفعل الموجب للضمان، أمَّا عن تقادم دعوى الضمان في عقد القسمة فهناك خلاف حول الوقت الذي يبدأ فيه سريان مدَّة التقادم، فيرى البعض أنَّ مدَّة التقادم تسري ابتداءً من وقت وقوع القسمة بينما يرى البعض الآخر، أنَّ المدة تسري من الوقت الذي يثبت فيه الاستحقاق.[13]

إلَّا أنَّني أرى أن تبدأ سريان مدَّة تقادم دعوى ضمان الاستحقاق في عقد القسمة من تاريخ علم المتقاسم بثبوت الاستحقاق لأنَّ سريان المدَّة من الوقت الذي يثبت فيه الاستحقاق فيه ظلم للمتقاسم فقد تمضي المدَّة وهو لا يعلم بالسبب الموجب للضمان وبالتالي يفقد حقه في المطالبة بالضمان، وإن كان هذا الرأي فيه ظلم للمتقاسم، فالرأي الأول أكثر ظلماً لأنَّه قد يتعرَّض الغير للمتقاسم بعد مضي خمس عشرة سنة من وقوع القسمة وبالتالي لا يستطيع المتقاسم الرجوع بدعوى الضمان.[14]

**ثالثاً: تقادم دعوى الضمان في الفقه الإسلامي:**

يقرِّر الفقهاء المسلمون منع سماع الدعوى في حالة الإنكار بمضي المدَّة، أمَّا في حالة الاقرار فيلزم سماعها والحكم بالحق مهما طالت المدَّة وذلك لأنَّ الحق لا يسقط بتقادم الزمان، ويؤيِّد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم «لا يبطل حق امرئ مسلم وإن قدم».[15]

وقد اختلف الفقهاء حول المدَّة اللازمة لمنع سماع الدعوى إذا انقضت المدَّة ولم يطالب المدَّعي بحقِّه وخاصة فقهاء المذهب الحنفي والمالكي، وقد قدَّر الفقهاء الأحناف المدَّة اللازمة لعدم سماع الدعوى ما يسد الثلاثين سنة والست والثلاثين.

فجاء في العقود الدريَّة (أنَّ عدم سماع الدعوى بعد فض ثلاثين سنة أو بعد الاطلاع على التصرُّف ليس مبنيَّاً على بطلان الحق في ذلك، وإنَّما هو مجرَّد منع للقضاة من سماع الدعوى مع بقاء الحق.[16]

(11) د. عبدالرزاق السنهوري: الوسيط في أوصاف الالتزام، حـ 3، دار النهضة العربية، 2008، ص 997.

(12) د. ثروت حبيب: الالتزام الطبيعي حالاته وآثاره، طبعة 1981، ص 411.

(13) د. محمد علي عرفة: حق الملكية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط 2009، ص 453.

(14) أما عن حالات سقوط الحق في الضمان في دعوى ضمان العيب الخفي لا يسمع دعوى ضمان العيب إذا انقضت ستة أشهر من وقت تسليم المبيع، حتى لو لم يكشف المشتري العيب إلا بعد ذلك، ما لم يقبل البائع أن يلتزم بالضمان لمدة أطول، والمقصود بالتسليم هنا هو التسليم الفعلي، فهو الذي يهيئ للمشتري فرصة فحص المبيع واكتشاف العيب.

(15) محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، مكتبة الرسالة الحديثة (بدون تاريخ) حـ3 ص 112.

(16) السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين: العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، طبعة 1389ه

وجاء في البحر الراهن «رجل ترك الدعوى ثلاثاً وثلاثين سنة ولم يكن مانع من الدعوى، ثم ادَّعى لا تسمع دعواه، لأنَّ ترك الدعوى مع التمكُّن يدل على عدم الحق ظاهراً.[17]

وجاء في رد المحتار «لا تسمع الدعوى بعد ستة وثلاثين سنة إلَّا أن يكون المدَّعي غائباً أو صبياً أو مجنوناً وليس لها ولي، أو المدَّعي عليه أميراً جائراً نخاف منه».[18]

وهذا الخلاف مصدره اجتهاد فقهي واستحسان الفقهاء لذلك، فمن فقهاء الأصناف المحدثين مديري أنَّ المُدة اللازمة لمنع سماع الدعوى مضي خمس عشرة سنة، فنصَّت مجلة الاحتكام العدليَّة في المادة 1660 على أنَّه «المدَّة اللازمة لمنع سماع الدعوى خمس عشرة سنة».[19]

أمَّا فقهاء المذهب المالكي فمنهم من يرى المدَّة اللازمة لمنع سماع الدعوى نقداً بعشرين سنة ومنهم مديري أنَّها تقدَّر بثلاثين سنة.

يقول الحطاب: «إذا طال الزمان على الطالب وبيده وثائق وأحكام ولا عذر له يمنعه من الطلب وسكت عن الطلب، فاختلف في حد السكوت القاطع لطلب الديون الثانية في الوثائق والأحكام هل حد ذلك عشرون سنة وهو قول مطرف أو ثلاثون سنة وهو قول مالك».[20]

الملاحظ لنا أنَّ مُدة التقادم في القانون المدني يترتَّب عليها سقوط الدعوى والحق معاً؛ لأنَّ الحق يندمج في الدعوى التي تحميه، وبالتالي لا يستطيع صاحب الحق في الضمان بعد مضي المُدة أن يطالب بحقه في الضمان، أمَّا في الفقه الإسلامي فمضي المدَّة يعتبر مانعاً من سماع الدعوى فقط بينما الحق يظل باقياً في ذمة المدين لأنَّ الدعوى تنفصل عن الحق وفي ذلك حماية وحفظ للحقوق. كذلك تبدأ مدَّة التقادم في القانون المدني من وقت حدوث التعرُّض أو الاستحقاق، بينما في الفقه الإسلامي تبدأ حساب المدَّة اللازمة لمنع سماع الدعوى من تاريخ العلم بالسبب الموجب لرفع الدعوى، وهذا واضح من النصوص الفقهيَّة سالفة الذكر، وفي هذا ضمان وحماية أكثر لصاحب الحق في الضمان.

## المطلب الثاني: المحكمة المختصَّة بنظر الدعوى وإجراءاتها:

وسيتم تقسيم هذا المطلب إلى ثلاثة أفرع على النحو التالي:

### الفرع الأول: المحكمة المختصَّة بنظر دعوى ضمان الاستحقاق:

إذا رفع صاحب الحق في الضمان دعوى ضمان أصليَّة فالمحكمة المختصَّة بنظر هذه الدعوى هي محكمة موطن المدَّعي عليه أي الضامن لأنَّها دعوى شخصيَّة وذلك طبقاً للقواعد العامة المنظمة للاختصاص القضائي في قانون المرافعات الليبي.

أمَّا إن كانت دعوى الضمان فرعيَّة: فدفع أمام المحكمة المنظور أمامها الدعوى الأصليَّة، وذلك طبقاً لقواعد الاختصاص الخاصة بالطلبات العارضة، إذ يمتد اختصاص المحكمة التي تنظر الدعوى الأصليَّة ليشمل كافة المسائل المتفرِّعة عنها والمرتبطة بها حتى ولو كانت

---

حـ 2، ص 188.

(17) زين الدين بن نجم الحنفي: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، حـ3، ص 212.

(18) محمد امين الشهير بابن عابدين: حاشية رد المختار على الدر المختار، مطبعة الحلبي، مصر طبعة 1386هـ، حـ3، ص 412.

(19) الشيخ عبدالقادر بن يوسف الشهير بقدري الحنفي: واقعات المفتيين، طبعة 1314هـ، ص 175.

(20) بو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي المعروف بالحطاب: مواهب الجليل شروح مختصر خليل، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1389، ص 316.

المسائل لا تندرج في الاختصاص الأصلي لهذه المحكمة.[21] وهذه القاعدة تعرف في فقه قانون المرافعات بأنَّ «قاضي الأصل هو قاضي الفرع» وتنطبق هذه القاعدة على المحكمة الابتدائيَّة دون المحكمة الجزئيَّة حيث إنَّ لها اختصاص شامل بنظر دعوى الضمان إذا قُدِّمت إليها مهما كانت قيمتها.[22]

فاختصاص المحكمة الجزئيَّة لا يمتد إلى الطلبات العارضة أو المرتبطة بالدعوى الأصليَّة إلَّا إذا كانت هذه الطلبات تدخل بحسب قيمتها، أو نوعها في اختصاص المحاكم الجزئيَّة وذلك تطبيقاً لنص المادة (م49 من قانون المرافعات الليبي «لا تختص محكمة المواجهة الجزئيَّة بالحكم في الطلب العارض أو الطلب المرتبط بالطلب الأصلي إذا كان بحسب قيمته أو نوعه لا يدخل في اختصاصها، واذا عرض عليها طلب من هذا القبيل جاز لها أن تحكم في الطلب الأصلي وحده إذا لم يترتَّب على ذلك ضرر يسير العدالة وإلا وجب عليها أن تحكم من تلقاء نفسها بإحالة الدعوى الأصليَّة والطلب العارض أو المرتبط بحالتها إلى المحكمة الابتدائيَّة المختصَّة ويكون حكم الإحالة غير قابل للطعن.[23] فاختصاص المحكمة الجزئيَّة مقرَّر على سبيل الحصر ولا يجوز التوسُّع فيه أو الإضافة إليه، أو اختصاص المحكمة الابتدائيَّة فيمتد ليشمل كافة الطلبات العارضة أو المرتبطة بالدعوى الأصليَّة، حتى ولو كانت الطلبات لا تدخل في اختصاصها النوعي، لأنَّها صاحبة الاختصاص العام، ومن يملك الأكثر يملك الأقل، فالمادة (51 من قانون المرافعات الليبي) تنص على أنَّه « ... كما تختص بالحكم في الطلبات الوقتيَّة أو المستعجلة وسائر الطلبات العارضة وكذلك في الطلبات المرتبطة بالطلب الأصلي مهما كانت قيمتها و أنواعها.[24] فالمحكمة الجزئيَّة لا تختص بدعوى الضمان الفرعيَّة إلَّا إذا كانت هذه الدعوى تدخل في اختصاصها، أمَّا إن كانت لا تدخل في اختصاصها فإنَّ للمحكمة أن تفصل في الدعوى الأصليَّة دون دعوى الضمان، وتحيل دعوى الضمان إلى المحكمة الابتدائيَّة ما لم يترتَّب على ذلك ضرر يسير العدالة، وإلَّا أحالت الدعويين إلى المحكمة الابتدائيَّة.[25]

أمَّا إذا عرضت دعوى الضمان على المحكمة الابتدائيَّة فإنَّها تختص بها حتى ولو كانت تخرج عند اختصاصها لأنَّها ذات اختصاص عام.

إلَّا أنَّ هناك استثناء على هذه القاعدة جاء بنص المادة (64) من قانون المرافعات الليبي أنَّه « ... يجوز للمدَّعي عليه في طلب دعوى الضمان أن يتمسَّك بعدم اختصاص المحكمة إذا أثبتت أنَّ الدعوى الأصليَّة لم تقم إلَّا بقصد جلبه إلى محكمة غير مختصَّة». فإذا ما أثبت الضامن سوء نيَّة صاحب الحق في الضمان وتواطئه مع الغير على اختلاف الدعوى الأصليَّة تحايلاً على قواعد الاختصاص ومن أجل جلبه إلى محكمة غير التابع لها الضامن فله في هذه الحالة أن يتمسَّك بعدم اختصاص محكمة الدعوى الأصليَّة بنظر دعوى الضمان الفرعيَّة.[26]

**الفرع الثاني: إجراءات دعوى الضمان:**

يتم رفع دعوى الضمان على الضامن سواء كانت دعوى ضمان أصليَّة أم فرعية بإيداع

(21) د. فتحي والي: المرجع السابق، ص 319.
(22) د. أمينة النمر: قوانين المرافعات، طبعة 1993، ص 579.
(23) د. ابراهيم نجيب سعد: المرجع السابق، ص 214.
(24) د. أحمد مليمي: المرجع السابق، ص 214.
(25) د. فتحي والي: المرجع السابق، ص 326
(26) د. أحمد السيد الصاوي: المرجع السابق، ص 256.

صحيفة الدعوى في كتاب المحكمة لإعلانها إلى الضامن مع مراعاة مواعيد الحضور وهذه الإجراءات هي نفسها الإجراءات المعتادة لرفع سائر الدعاوي. إلَّا أنَّ دعوى الضمان حتى تكون فعَّالة يجب أن تقدَّم قبل الجلسة المحدَّدة لنظر الدعوى الأصليَّة، أمَّا إذا لم تكن دعوى الضمان الفرعيَّة قد رُفعت، أو إذا رُفعت وتحدَّد لنظرها جلسة متأخِّرة عن نظر الدعوى الأصليَّة، فإنَّ طالب الضمان يكون في حاجة إلى تأجيل الجلسة المحدَّدة لنظر الدعوى الأصليَّة، والتأجيل مسألة جوازية للمحكمة، ولكن المشرِّع أوجب على المحكمة تأجيل نظر الدعوى الأصليَّة في المواد المدنيَّة ناء على طلب صاحب الحق في الضمان، اذا كانت قد كُلِّف الضامن بالحضور خلال ثمانية أيام من تاريخ إعلانه بالدعوى أو من تاريخ قيام السبب الموجب للضمان، كما يجب على المحكمة التأجيل إذا كانت الجلسة المحَّددة لنظر الدعوى الأصليَّة قد حُلَّت قبل مضي الثمانية أيام الخاصة بتكليف الضامن بالحضور.[27]

عندما يقبل طلب إدخال الضامن، ويدخله مدَّعي الضمان فعلا تصبح الخصومة مشتملة على دعويين، الدعوى الأصليَّة بين المدَّعِي والمدَّعَي عليه، ودعوى الضمان الفرعيَّة بين المدَّعَي عليه في الدعوى الأصليَّة والضامن، فإذا كانت الدعويان مهيئة للمرافعة بحيث تستطيع المحكمة الفصل فيها معاً تضمُّها وتحكم فيها بحكم واحد مع بيان ما حكمت به في كل منهما على حدة.

كما يجوز للمحكمة أن تحكم في الدعوى الأصليَّة ثم بعد ذلك تفصل في دعوى الضمان، وذلك عندما تكون الدعوى صالحة للحكم فيها بينما دعوى الضمان لا تزال محتاجة إلى تحقيق وتحضير مشتملة على دفوع يحتاج الفصل فيها إلى وقت طويل، وهذا ما لم يترتَّب على الفصل في الدعوى الأصليَّة، ويجوز هنا للمحكمة أن تحكم على طالب الضمان بالتعويضات الناشئة عن تأخير الفصل في الدعوى الأصليَّة بناءً على طلب الخصم إذا كان طلب الضمان الأساسي له.[28]

وفي دعوى ضمان الاستحقاق فبعقد البيع يتم إدخال البائع بوصفه ضامناً في الدعوى الأصليَّة المرفوعة عليه من الغير وذلك لإبداء ما لديه من أوجه الدفاع التي يتقدَّم بها عوناً للمشتري ودفعاً لمسئوليته، ولا يتمكَّن البائع من التدخُّل في الدعوى المرفوعة على المشتري إلَّا إذا علم برفعها، فجعل المشرِّع على المشتري واجب إخطار البائع بالدعوى والذي يجب عليه أن يتدخَّل فيها طبقاً للإجراءات المقرَّرة في قانون المرافعات، وإذا لم يخطر المشتري البائع بالدعوى المرفوعة من الغير ضده، سواء باستحقاق البيع أو ادِّعاء أي حق آخر عليه، ولكن البائع علم بهذه الدعوى من أي طريق آخر، فإنَّه يجب عليه أن يتدخَّل في الدعوى من تلقاء نفسه وألَّا يترك المشتري وحده في مواجهة المتعرِّض، فإذا أحلَّ البائع بذلك وحكم لمصلحة المقترض بالاستحقاق كان ملزماً بضمان الاستحقاق، كما أنَّه يجوز للتعرُّض أن يدخَّل البائع ضامناً في الدعوى الذي يرفعها على المشتري، ويجوز للمحكمة أن تدخل البائع ضامناً في الدعوى وذلك متى لم يدخل المشتري والبائع في الدعوى ولم يدخله الغير المعترض، وذلك متى ظهر للمحكمة دلائل جريمة على التواطؤ أو التقصير من جانب المشتري والغير متعرض فتأمر بإدخال البائع ضامناً وتعيين أحد الخصمين ليقوم بإعلانه لكي يتدخَّل في الدعوى.[29]

(27) د. أحمد مليجي: المرجع السابق، ص 198.

(28) د. مصطفى كامل كيره: المرجع السابق، ص 569.

(29) د. ابراهيم نجيب سعد: المرجع السابق، ص 610.

**الفرع الثالث: موقف الفقه الإسلامي:**

بعد بيان الأحكام الخاصَّة ببيان المحكمة المختصَّة بنظر دعوى الضمان وإجراءات رفعها يمكننا القول بأنَّ هذه الأحكام من ابتكار التنظيمات القضائيَّة الحديثة، إلَّا أنَّه على الرغم من ذلك فقد ورد في كتب الفقه الإسلامي ما يدل على مشروعيَّة رفع دعوى ضمان الاستحقاق، فجاء في الفتاوي الهندية «أنَّه إذا أدَّى المشتري استحقاق المشتري على البائع وأراد الرجوع على البائع بالثمن فلا بدَّ وأن يفسِّر الاستحقاق، ويبيِّن سببه ثم إذا بيّن سبب الاستحقاق وضح ذلك وأنكر البائع البيع وأقام المشتري البيِّنة على البيع قبلت بينته وكان له الرجوع بالثمن.[30]

يتضح من هذا النَّص الفقهي أنَّه يجوز للمشتري رفع دعوى ضمان استحقاق يطالب فيها البائع بثمن المبيع، ويلزم عليه أن يفسِّر الاستحقاق ويبيِّن سببه الذي بُني عليه حكم القاضي بالاستحقاق، ويحق له الرجوع بالثمن، فإن فعل ذلك استحق الرجوع على البائع بدعوى ضمان الاستحقاق، وإن لم يفعل سقط حقُّه في الرجوع. وجاء في جامع الفصوليين ما نصه «شراه ولم يتقابضا حتى ادَّعاه أحد والمدَّعي مقر البيع فأخذ البائع والمشتري عند الحاكم ولا بنية له فاستحلفها الحاكم وأحلف البائع ونكل المشتري يؤخذ المشتري بثمنه، فإذا أدَّاه سلَّم المبيع إلى المدَّعي، ولو حلف المشتري ونكل البائع فعلى البائع جميع قيمة المبيع إلَّا أن يجيز المستحق المبيع ويرضى بثمنه.[31]

يتضح من هذا النَّص أنَّ الذي يكون خصماً في دعوى الاستحقاق هو المشتري سواء قبض المبيع أم لا، لأنَّه هو المالك وقد يكون البائع إذا كان المبيع في يده لأنَّه واضح اليد فتصح إقامة الدعوى عليه، فإذا أقيمت عليه فلا تسمع إلَّا بعد إحضار المشتري، وإن أقيمت على المشتري قبل المبيع فلا تسمع إلَّا بعد إحضار البائع لأنَّه واضع اليد ليحكم عليها بالاستحقاق.

## المبحث الثاني: طرفا دعوى الضمان وشروطها:

وسوف يقسَّم هذا المبحث إلى مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: طرفا دعوى الضمان

المطلب الثاني: شروط دعوى الضمان

### المطلب الأول: طرفا دعوى الضمان:

وسوف يتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين على النحو التالي:

**الفرع الأول: المدَّعي في دعوى الضمان:**

**أولاً: صاحب الحق في الضمان في عقد البيع في القانون المدني:**

الدائن بالضمان في عقد البيع هو المشتري الذي له الحق في رفع دعوى الضمان لأنَّ ضمان الاستحقاق في عقد البيع شُرِّع لحمايته سواء ضد تعرّض البائع له أم من التعرض الصادر للغير.[32]

(30) الفتاوي المالكية المعروفة بالفتاوي الهندية في مذهب الامام أبي حنيفة النعمان للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، طبعة 1380هـ مطبعة بولامدور، ص 115.

(31) ابن قاضي سماوه: جامع الفصوليين، المطبعة الاميرية، القاهرة، ط 1386هـ، حـ 1، ص 95.

(32) د. محمد مبروك اللافي: أحكام البيع والتأمين والوكالة في التشريع الليبي، منشورات جامعة ناصر، طرابلس، 1992 ص102.

ويتضح ذلك من نص المادة 432 من القانون المدني الليبي حيث تنص «إذا استحق كل أو بعض المبيع كان للمشتري أن يطلب من البائع ..»

ونص المادة 432 مدني ليبي «في حالة الاستحقاق الجزئي للمبيع إذا كانت خسارة المشتري قد بلغت قدراً أو علمه لما أتمَّ العقد وكان له أن يطالب البائع...» فالذي له الحق في الضمان في عقد البيع هو المشتري، وفي حالة تعدُّد المشترين، فإنَّهم يحق لهم جميعاً رفع الدعوى، كما يجوز لأي منهم أن يرجع هذه الدعوى بالنسبة للمبيع بأكمله سواء كانت الملكيَّة واردة على جزء معيَّن من المبيع أم كانت الملكيَّة على الشيوع بين المشترين.

وذلك لأنَّ التزام البائع بضمان التعرُّض الصادر من الغير غير قابل للانقسام ولو كان المبيع في ذاته يقبل التجزئة، أمَّا إذا فاز المتعرّض بالمبيع وألزم البائع بضمان الاستحقاق فهذا الالتزام يقبل الانقسام بطبيعته؛ لأنَّ محلَّه دفع مبلغ من النقود على سبيل التعويض، فإذا ما تعدَّد المشترون لم يكن لأي منهم الرجوع على البائع إلَّا بقدر نصيبه في التعويض أو ذلك ما لم يتفق في العقد على التضامن الايجابي بين المشترين.[33] وكذلك يستطيع ورثة المشتري رفع دعوى الضمان على البائع إذا ثبت أنَّ للمشتري الحق في الرجوع على البائع، لأنَّ الحقوق تنقل من الورث إلى الورثة كقاعدة عامة في القانون المدني الليبي. مثال ذلك لو أنَّ شخصاً اشترى داراً ثم انتقلت لوارث، وتعرَّض أخوان للوارث في الدار، كان الوارث الحق في الرجوع على البائع بدعوى الضمان، أمَّا إذا المورث لم يستطع الرجوع على البائع، كأن اتفق مع البائع على إسقاط الضمان ففي هذا الفرض لا يستطيع الوارث كذلك الرجوع على البائع بالضمان، لأنَّه لا يوجد حق بالضمان يمكن أن يقال أنَّه انتقل للورثة. كذلك ينتقل الحق في دعوى الضمان إلى الخلف الخاص للمشتري، مثال ذلك لو أنَّ شخصاً باع داراً ثم باع المشتري الدار لمشتر ثان، فإنَّ البائع يكون ملزماً بالضمان تجاه المشتري الأول وكذلك تجاه المشتري الثاني الخلف الخاص للمشتري الأول في الدار المبيعة.[34]

ويحق للمشتري الثاني الرجوع بدعوى الضمان على البائع الأول عن طريق دعويين، الدعوى الأولى، الدعوى المباشرة وفي هذه الدعوى يحق للمشتري أن يرفع الدعوى على البائع لبائعه الملتزم بالضمان، وله أن يتعقَّب البائعين حتى يصل إلى بائع مليء.

والدعوى الثانية الدعوى المباشرة وفيها يحق للمشتري الأخير الرجوع بدعوى ضمان مباشرة على البائع الأول، وأساس الرجوع بهذه الدعوى هو اعتبار دعوى الضمان التي كانت للمشتري الأداة قبل البائع من ملحقات البيع تنتقل للمشتري الثاني مع المبيع.

**ثانياً: الدائن بالضمان في الفقه الإسلامي:**

صاحب الضمان في عقد البيع والذي يحق له رفع دعوى ضمان الاستحقاق هو المشتري وينتقل هذا الحق إلى ورثته. أمَّا الحق في رفع دعوى الضمان من الخلف الخاص محل خلاف في الفقه الإسلامي، والرأي الأول: «للأحناف والشافعيَّة: يرون في حالة توالي البيوع ثم استحق المبيع بعد ذلك، فليس للمشتري الأخير الرجوع على البائع الأول بل رجوعه على بائعه فقط، ثم يتسلسل رجوع كل مشتري على بائعه حتى يرجع المشتري الأول على البائع الأول بضمان

(33) محمد المبروك اللافي: المرجع السابق، ص 98.

(34) د. عبدالرزاق أحمد السنهوري: الوسيط في عقد البيع والمقايضة، حـ4 طبعة 2008، ص 586.

الاستحقاق، ولا يكون للمشتري الرجوع على بائعه قبل أن يرجع عليه المشتري منه.[35]

الرأي الثاني: للمالكيَّة: يرون أنَّ للمشتري الأخير الحق في الرجوع بثمن المبيع على أي من البائعين بثمن المبيع الذي استحق من تحت يده.

**الفرع الثاني: المدَّعَي عليه في دعوى الضمان:**

المدين بالالتزام بضمان في عقد البيع هو البائع وهو الذي ترفع عليه دعوى ضمان الاستحقاق.

وفي حالة اشتراك أكثر من بائع واحد فإنَّهم يعتبرون مدينين بالضمان، فهل ترفع دعوى الضمان عليهم جميعاً أم يكتفى برفع الدعوى على أحد البائعين فقط؟

الإجابة على هذا السؤال تختلف بالنظر إلى تنفيذ البائع لالتزامه بالضمان، بماذا كانت مطالبة المشتري للبائعين بتنفيذ التزامهم تنفيذاً عينيًّا، فإنَّ الالتزام هنا لا يقل بالانقسام وللمشتري، الرجوع على البائعين مجتمعين. أمَّا إذا كانت مطالبة المشتري للبائعين بتنفيذ التزامهم لطريق التعويض، أي ضمان الاستحقاق، فهذا الالتزام يقبل الانقسام ومن ثم يمكن للمشتري الرجوع على كل من البائعين في حدود نصيبه في التفويض.[36]

واختلف الفقه القانوني في تحديد شخص المدَّعَي عليه في دعوى الضمان في حالة البيع الجبري، فمنهم من يرى أنَّها ترفع على الدائنين الحاجزين، أو إلى التبديل (وكيل ال ) ويرى البعض أنَّها ترفع على المحجوز عليه فهو وحده الذي ترفع عليه دعوى الضمان.[37] وفي حالة توالي البيوع بمعنى إذا بيع الشيء عدَّة مرَّات على التوالي، وكان البائعون السابقون معروفين للمشتري فله حق رفع الدعوى غير المباشرة، وفي هذه الدعوى له أن يقاضي البائع لبائعه الملتزم بالضمان، وله أن يتعقَّب البائعين حتى يصل إلى بائع مليء، وله كذلك حق رفع دعوى المباشرة على البائعين، السابقين، فكل بائع ينقل إلى خلفه في الوقت نفسه الذي ينتقل فيه الشيء المبيع ملحقات ذلك الشيء ومنها الدعاوي التي له على الغير بسبب هذا الشيء وبذلك يكون له الحق في إقامة دعوى الضمان على بائعيه.

أمَّا في حالة وفاة البائع فلا يمكن رفع دعوى الضمان على ورثته بل يبقى الالتزام بالضمان ديناً في التركة، فالمشتري في هذه الحالة يرفع دعوى الضمان على التركة ذاتها على الوارث.[38]

وما جاء في القانون المدني بخصوص المدَّعي عليه في دعوى الضمان متفق تماماً مع ما جاء بالفقه الإسلامي، حيث إنَّ المدين بالضمان في عقد البيع هو البائع ويستوي أن يكون البائع شخصاً واحداً أم أكثر، وفي حالة وفاة المدَّعَي عليه. وهو المدين بالضمان لا ترفع الدعوى بالضمان على الورثة بل على التركة ذاتها لأنَّ القاعدة لا تركة إلَّا بعد سداد الديون.

**المطلب الثاني: شروط دعوى الضمان:**

**تمهيد:**

هناك شروط عامة لقبول الدعوى يلزم توافرها في سائر الدعاوي، وبجانب هذه الشروط قد

(35) العقود الدرية: المرجع السابق، حـ2، ص190.
(36) مواهب الجليل: المرجع السابق، ص 308
(37) د. عبدالمنعم البدراوي: عقد البيع، طبعة 1990، مكتبة سيد عبدالله وهبة، مصر ص 118.
(38) د. عبدالفتاح عبدالباقي: عقد البيع، طبعة 1995، المطبعة العربية الحديثة، ص 315.

يتطلّب المشرِّع شروطاً خاصة بالنسبة لدعاوي معيَّنة حتى يمكن قبولها، ودعوى الضمان من هذه الدعاوي، فجانب الشروط العامة يلزم توافر بعض الشروط الخاصة حتى يمكن قبولها.

لذلك سيتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين:

**الفرع الأول: الشروط العامة لقبول دعوى الضمان.**

نصَّت المادة 3 من قانون المرافعات الليبي على أنَّه «لا يُقبل أي طلب أو رفع لا يكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرُّها القانون».

فهذا النَّص يعبِّر عن شروط المصلحة في الدعوى، وإن كان النَّص قد اقتصر على شرط المصلحة فإنَّ هذا لا يعني أنَّه هو الشرط الوحيد لقبول الدعوى، فهناك شروط أخرى يجب توافرها بجانب شرط المصلحة كشرط الصفة في الدعوى وألَّا يكون قد فُصل في الدعوى بحكم قضائي سابق احتراماً لحمية هذا الحكم. وهذه الشروط العامة يلزم توافرها في دعوى الضمان وإلَّا دفع بعدم قبولها.[39]

**أولاً: شروط المصلحة في دعوى الضمان:**

المقصود بالمصلحة في الدعوى الفائدة العمليَّة التي تعود على المدَّعي من الحكم له قضائيًّاً بطلباته، فيلزم لقبول دعوى الضمان أن يكون المدَّعي بالضمان له مصلحة قانونيَّة وقائمة، أي أنَّ الدائن بالضمان يجب أن تعود عليه منفعة من الحكم له قضائيًّاً بطلباته هذه المنفعة قد تتمثَّل في تمكين المشتري من الانتفاع بالمبيع وذلك إذا ما رفع المشتري دعوى ضمان عدم التعرُّض وقد تتمثَّل في الحكم للمدَّعي بالتعويضات اللازمة في حالة رفعه دعوى ضمان استحقاق إذا ما استحق المبيع من تحت يده.[40]

**ثانياً: شروط الصفة في دعوى الضمان:**

بجانب شروط المصلحة يلزم لقبول دعوى الضمان أن يكون لأطرافها صفة فيها، ويقصد بالصفة في الدعوى أنَّ المدَّعي هو صاحب الحق وأن يكون المدَّعي عليه هو المعتدي، فالصفة هي الجانب الشخصي للدعوى، فلا تقبل الدعوى إلَّا من الشخص الذي يدَّعي لنفسه حقًّاً في مواجهة شخص آخر، فدعوى الضمان يجب أن ترفع من الدائن بالضمان وهو الذي يدَّعي حقًّاً في مواجهة المدين بالضمان.

**ثالثاً: شروط عدم الفصل في دعوى الضمان بحكم سابق:**

فإذا ما رُفعت الدعوى مرة ثانية للفصل فيها، فإنَّه يدفع بعدم قبولها لسبب الفصل فيها احتراماً لحجيَّة الحكم السابق الصادر فيها.

**الفرع الثاني: الشروط الخاصة بدعوى الضمان:**

**أولاً: شروط الإخطار:**

يلزم على الدائن بالضمان أن يخطر المدين بالسبب، الموجب للضمان، وذلك حتى يمكن للمدين بالضمان اتخاذ ما يلزم من إجراءات لوقف مثل هذا التعرض، لذلك يلزم أن يكون

(39) د. رمزي سيف: الوسيط في قانون المرافعات: دار النهضة العربية، 1968م، ص 120.
(40) د. فتحي والي: المرجع السابق، ص 212.

الإخطار خلال مدَّة معقولة، وإذا لم يتم الإخطار يمكن للمدَّعي عليه في دعوى ضمان الاستحقاق أن يدفع دعوى الضمان المرفوعة ضده.[41]

**1- الإخطار خلال مدَّة معقولة:**

يجب في دعوى ضمان الاستحقاق في عقد البيع أن يخطر المشتري البائع في الوقت الملائم ليدعوه للتدخُّل في الدعوى المرفوعة ضده من الغير وذلك حتى يمكنه دفع ادِّعاء الغير، ولم يحدِّد المشرِّع هذه المدة التي يجب على المشتري إخطار البائع خلالها وترك ذلك لقاض الموضوع.[42]

وهذا ما بيَّنته المادة 429 من القانون المدني الليبي 1- إذا رفعت على المشتري دعوى استحقاق من المبيع وأخطر بها البائع كان على البائع بحسب الأحوال وفقاً لقانون المرافعات أن يتدخَّل في الدعوى إلى جانب المشتري، أو أن يحل فيها محله. 2- إذا تمَّ الإخطار في الوقت الملائم ولم يتدخل البائع في الدعوى وجب عليه الضمان إلَّا إذا أثبتت أنَّ الحكم الصادر في الدعوى كان نتيجة التدليس من المشتري أو لخطأ جسيم فيه. 3- وإذا لم يخطر المشتري البائع بالدعوى في الوقت الملائم وصدر عليه حكم حاز قوة الأمر المقضي فقد حقَّه في الرجوع بالضمان إذا أثبت البائع أنَّ تدخُّله في الدعوى كان يؤدِّي إلى رفض دعوى الاستحقاق.

**2- الرفع بعدم قبول الدعوى لعدم الإخطار:**

إذا لم يخطر المشتري البائع بالسبب الموجب للاستحقاق وقضى للمدعي به بموجب حكم نهائي ففي هذه الحالة يعتبر المشتري مقصِّراً في عدم إخطار البائع به في الوقت الملائم، ولذلك يمكن للبائع أن يرفع دعوى الضمان المرفوعة ضده متى أثبتت أن تدخُّله في الدعوى المرفوعة ضد المشتري إذا ما أخطره بها المشتري في الوقت الملائم كان سيؤدِّي إلى رفض ادعاء الغير ضد المشتري.[43]

وهناك أي في الفقه يذهب إلى أنَّ عدم الإخطار لا يكون له أثر إذا ثبت علم البائع بالدعوى في طريق آخر وفي وقت ملائم، لأنَّه يستطيع أن يتدخَّل فيها للدفاع عن حقوق المشتري باعتباره ملتزماً بالضمان.[44] ولم يُعثَر في كتب الفقه الإسلامي على ما يفيد أنَّ عدم الإخطار لسبب الضمان يعتبر مسقطاً للحق في الضمان، إلَّا أنَّه إذا اتفق المتعاقد على سقوط الحق في رفع دعوى ضمان الاستحقاق إذا لم يتم الإخطار ممَّا اعتقد إنَّه لا يوجد في الفقه الإسلامي ما يمنع من هذا الاتفاق ويجب الوفاء به عملاً بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - «المسلمون على شروطهم إلَّا شرطاً حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً».

**ثانياً: شروط حسن النيَّة:**

يعتبر شرط القبول دعوى الضمان في عقد البيع ألَّا يكون المشتري عالماً بالسبب الموجب للضمان وقت العقد إذا كان التعرض مبنيَّاً على أساس وجود حق ارتفاق أو أي تكليف آخر يثقل المبيع.(م. مدني ليبي) فإذا علم المشتري بذلك سقط حقُّه في رفع دعوى الضمان، فإذا ما شك

(41) د. محمد المبروك اللافي: المرجع السابق، ص108.
(42) د. عبدالرزاق السنهوري: المرجع السابق، ص 514.
(43) د. محمد المبروك اللافي: المرجع السابق، ص 103.
(44) رواه أبو داوود وأحمد الدار قطني عن أبي هريرة رفعه وصححه الحكم سنن أبي داود، ح 3، ص 304.

القاضي في علم المشتري وجب أن يفسِّر الشك ضد مصلحة البائع، إلَّا أنَّه هو المكلَّف في الأصل بإعلام المشتري بهذا الحق.[45]

**ثالثاً: عدم وجود اتفاق مسقط للضمان:**

تنص المادة 435 مدني ليبي «إذا اتفق على عدم الضمان بقى البائع مع ذلك مسئولاً عن أي استحقاق ينشأ عن فعله ويقع باطلاً كل اتفاق يقضي لغير ذلك، أمَّا إذا كان استحقاق المبيع قد نشأ عن فعل الغير فاقد البائع يكون مسئولاً عن رد قيمة المبيع وقت الاستحقاق إلَّا إذا أثبتت أنَّ المشتري كان يعلم وقت البيع سبب الاستحقاق أو اشترى ساقط الخيار. فطبقاً لهذا النَّص أسقط المشرِّع حق المشتري في رفع دعوى ضمان الاستحقاق متى اتفق مع البائع على عدم الضمان وكان المشتري عالماً عند البيع بخطر الاستحقاق أو أنَّه اشترى ساقطاً الخيار فعند اجتماع الشرطان معاً يصبح العقد احتماليَّاً. فيمكن للبائع رفع دعوى الضمان المرفوعة ضده متى أثبت أنَّه قد تمَّ الاتفاق على عدم الضمان وكان المشتري يعلم وقت البيع سبب الاستحقاق أو اشترى ساقط الخيار.[46]

والاتفاق على إسقاط الضمان جائز شرعاً، لأنَّ القاعدة أنَّ الاتفاق طالما لم يترتَّب عليه تحريم حلالاً أو إباحة حراماً يكون جائزاً عملاً بالحديث الشريف «المسلمون على شروطهم إلَّا شرطاً حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً».[47]

**الخاتمة:**

بعد أن انتهيتُ من البحث بعون الله وتوفيقه خلصتُ إلى أنَّه:

**أولاً:** حظيت دعوى الضمان الفرعيَّة باهتمام المشرِّع الليبي وذلك لاستخدامها في العمل بصورة دائمة، ولأنَّها تحقِّق لصاحب الحق في الضمان مزايا تغنيه عن الالتجاء لدعوى الضمان الأصليَّة.

**ثانياً:** دعوى ضمان الاستحقاق مشروعة في الفقه الإسلامي، وعلى المدَّعي بالاستحقاق أن يثبت ما يدَّعيه إمَّا بالبيِّنة أو بنكول البائع أو المشتري عن اليمين.

**ثالثاً:** مضي المدَّة في القانون المدني الليبي يترتَّب عليه سقوط دعوى الضمان وبالتالي سقوط الحق في الضمان لاندماج الحق في الدعوى التي تحميه، بينما الفقه الإسلامي اعتبر أنَّ أثر التقادم مقصور على دعوى الدائن بالضمان دون أن يكون لها تأثير على موضوع الحق في الضمان، فمضي المدَّة مانعٌ فقط في سماع الدعوى في الفقه الإسلامي لتعذُّر الاتباع وذلك في حالة الإنكار، أمَّا في حالة الإقرار فالدعوى تكون مسموعة مهما طالت المدَّة.

**رابعاً:** دعوى الضمان تتمتَّع بخصوصيَّة تميُّزها عن الدعاوي المستمدَّة مباشرة من القواعد العامة مثل دعوى الفسخ والإبطال، حيث إنَّها تقوم على أساس احترام العقد وبقائه، وتنفيذه بمقابل لا على أساس فسخه وزواله مثل الدعاوي المستمدَّة من القواعد العامة، وبالتالي تجعل لصاحب الحق في الضمان الحصول على ضمانات وتعويضات أكثر من دعوى الفسخ أو الإبطال.

(45) د. عبدالرزاق السنهوري: المرجع السابق، ص 545.
(46) د. محمد المبروك اللافي: المرجع السابق، ص 545.
(47) سبق تخريج الحديث.

## قائمة المراجع:


1- إبراهيم نجيب سعد: القانون القضائي الخاص، دار النهضة العربية – القاهرة، طبعة 1990م.

2- أحمد السيد الصاوي: الوسيط في قانون المرافعات، دار النهضة العربية، القاهرة طبعة 2010

3- أحمد مليحي: اختصام الغير في إدخال ضامن في الخصومة المدنية، بحث بمجلة الدراسات القانونية - كلية حقوق جامعة أسيوط، العدد 7، لسنة 1990 م.

4- أمينة النمر: قوانين المرافعات، طبعة 1993 (لم يذكر الناشر).

5- ابن عابد بن: العقود الدرية في تنضيح الفتاوي الحامدية: المطبعة الأميرية، بولاق، مصر 1989 م.

6- أبو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن المصري: المعروف بالخطاب: مواهب الجليل شرح مختصر خليل، طبعة دار المعرفة – بيروت - 1389هـ.

7- الشيخ نظام جماعة من علماء الهند: الفتاوي العالمكيرية المعروفة بالفتاوي الهندية في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، طبعة 1380هـ، مطبعة بولاق مصر.

8- ابن قاضي سماوه: جامع الفصوليين: المطبعة الأميرية - القاهرة، 1986 م.

9- رمزي سيف: الوسيط في قانون المرافعات: دار النهضة العربية، 1968م

10-زين الدين بن نجيم الحنفي: البحر الرائق شرح كنز الرقائق، طبعة 1986 م، مطبعة الحلبي مصر.

11- عبدالقادر بن يوسف الشهير قدري الحنفي: واقعاته المعنية، ط 1314 ه.

12- عبدالرزاق احمد السنهوري: الوسيط في شرح القانون المدني، طبعة 2008 م.

13- عبدالفتاح عبدالباقي: عقد البيع، طبعة 1995 م، المطبعة العربية الحديثة مصر.

14- فتحي والي: الوسيط في قانون القضاء المدني، دار النهضة العربية، 2012 م.

15- محمد محمود ابراهيم: النظرية العامة للطلبات العارضة: دار الفكر العربي - مصر 1985م.

16- محمد المبروك اللافي: أحكام البيع والتأمين والوكالة في التشريع الليبي، منشورات جامعة ناصر – طرابلس، 1992 م.

17- مصطفى كامل كيرة: قانون المرافعات الليبي، طبعة 1980 م، (لم يذكر الناشر).

18-محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلَّة الأحكام مكتبة الرسالة الحديثة (بدون).

# المواجهة الجنائية لجرائم الاتجار بالبشر

إعداد:
أ د. شعبان محمود محمد الهواري [1]
أستاذ القانون الجنائي -كلية القانون جامعة خليج السدرة

الاستلام: 1.4.2024 القبول: 3.5.2024

**المستخلص:**

**جرائم الاتجار بالبشر تعتبر من أخطر الجرائم التي تستهدف كرامة الإنسان وحقوقه، وتتنوع وسائل السلوك الاجرامي في ارتكاب تلك الجرائم منها ما يقع بوسيلة قسرية، وأخرى بوسائل غير قسرية، كما تتخذ هذه الجرائم صور عديدة وأهم هذه الصور الاستغلال الجنسي والجسدي. لذلك عنيت المُنظمات الدوليّة والإقليميّة بمواجهة هذه الجريمة، ومن أهم هذه الجهود الدولية البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000م، المكمل لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية (بروتوكول باليرمو)، ومن ناحية أخرى اتجهت غالبيّة التشريعات المُقارنة لمواجهة جرائم الاتجار بالبشر من خلال نصوصها العقابية أو التشريعية الخاصة.**

**كلمات افتتاحية: الاتجار بالبشر - الاستغلال الجنسي والجسدي-التجنيد الاجباري – تجارة الأعضاء البشرية.**

## Summary:

Human trafficking crimes are among the most serious crimes that target human dignity and rights, and the means of criminal behavior in committing these crimes vary, including those that occur by coercive means, and others by non-coercive means. These crimes also take many forms represented in sexual and physical exploitation. Therefore, international and regional organizations have been concerned with confronting this crime, and among the most important of these international efforts is the Protocol to Prevent, Suppress and Punish Trafficking in Human Beings, Especially Women and Children of 2000 AD, supplementing the Convention against Transnational Organized Crime (Palermo Protocol).

The Universal Declaration of Human Rights, and the International Convention on Civil and Political Rights are also considered among the most important efforts that enshrine the principle of personal freedom and respect for human dignity at the international level. On the other hand, the majority of comparative legislation tended to confront human trafficking crimes through its own legislative texts.

**Opening words:** Human trafficking - sexual exploitation - physical exploitation - compulsory recruitment - trade in human organs.

(1) رئيس قسم القانون الجنائي السابق بأكاديمية الدراسات العليا فرع اجدابيا، رئيس قسم القانون الجنائي الأسبق بكلية القانون، جامعة سرت - رئيس قسم الجودة وتقييم الأداء - كلية القانون - جامعة خليج السدرة.

**مقدمة:**

**أهمية موضوع البحث:** لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعله خليفته في الأرض، وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلًا »[2] ويخبر سبحانه وتعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم بقوله تعالى « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[3]، وتكمن أهمية الدراسة في خطورة وانتشار هذه الظاهرة، فالإتجار بالأشخاص جريمة عالمية ترتكب داخل وعبر الحدود الوطنية، وهذا لأمر يتطلب منا تسليط الضوء على أساليب ووسائل وصور جرائم الاتجار بالبشر، وكذلك التعرف على كيفية مكافحة جرائم الاتجار بالبشر من خلال دراسة القوانين الخاصة التي أصدرتها التشريعات العربية لمكافحة الاتجار بالبشر.

**منهجية البحث:** اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي من خلال تحليل النصوص القانونية التي تناولت موضوع البحث، والتعليق عليها، كما اعتمدت الدراسة على المنهج المقارن لتحقيق الفائدة والغرض من الدراسة.

**إشكاليات البحث:** يثير موضوع البحث عدة تساؤلات تتمثل في: ما هو تعريف جرائم الاتجار بالبشر على المستوى الدولي، والتشريع المصري والليبي؟ وماهي الصور المختلفة لجرائم الاتجار بالبشر؟ وهل يعتد برضاء المجني عليه في جرائم الاتجار بالبشر؟ وما هي الأحكام الموضوعية لجرائم الاتجار بالبشر؟ والإجابة على هذه التساؤلات تشكل من خلالها خطة البحث.

**خطة البحث:**

المبحث الأول: ماهية وصور جرائم الاتجار بالبشر.

المطلب الأول: تعريف جرائم الاتجار بالبشر.

المطلب الثاني صور جرائم الاتجار بالبشر.

المبحث الثاني: الأحكام الموضوعية لجرائم الاتجار بالبشر.

المطلب الأول: الركن المادي والمعنوي لجرائم الاتجار بالبشر

المطلب الثاني: العقوبات المقررة لجرائم الاتجار بالبشر.

النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: ماهية وصور جرائم الاتجار بالبشر:

جرائم الاتجار بالبشر تعتبر من أخطر الجرائم التي تستهدف كرامة الإنسان وحقوقه، وتنوعت التعريفات والصور لهذه الجريمة، ومن ثم نتناول هذا المبحث من خلال مطلبين وعدة فروع على النحو التالي:

(2) سورة الإسراء: الآية: 70.

(3) سورة البقرة: الآية: 30.

**المطلب الأول: تعريف جرائم الاتجار بالبشر :**

**مما لا شك فيه أن جرائم الاتجار بالبشر تفاقمت بشكل كبير في الآونة الأخيرة، كما تباينت تعريفاتها سواء في الاتفاقيات الدولية والتشريعات المختلفة، ومن ثم السؤال الذي يطرح نفسه هل هنالك تعريف أو مفهوم جامع مانع لجريمة الاتجار بالبشر مكن أن تتفق عليه معظم الاتفاقيات الدولية والتشريعات المختلفة؟ نحاول الإجابة على ذلك من خلال عدة فروع على النحو التالي:**

**الفرع الأول: التعريف اللغوي والفقهي لجريمة الاتجار بالبشر:**

**نتناول التعريف اللغوي والفقهي لجريمة الاتجار بالبشر في النقاط التالية:**

**أولاً: التعريف اللغوي: تُفيد كلمة الجريمة والجرم لغة: الذنب، تقول منه (جرم وأجرم واجترم) والجرم بالكسر للجسد قول تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا « فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة[4]. أي لا يحملنكم و(تجرم) علية أي ادعى علية ذنبا لم يفعله [5]**

**ثانياً: التعريف الفقهي : اختلف الفقهاء في تعريف جريمة الاتجار بالبشر، فقد عرفها بعض الفقه بأنها: كافة التصرفات المشروعة وغير المشروعة التي تحول الإنسان إلى مجرد سلعة أو ضحية يتم التصرف فيها بواسطة وسطاء محترفين عبر الحدود الوطنية بقصد استغلالهم في أعمال ذات أجر متدني أو في أعمال جنسية أو ما شابه ذلك سواء تم التصرف بإرادة الضحية أو قصرا عنه أو بأية صورة أخرى من صور العبودية[6]، وعرفها البعض الآخر بأنها تجنيد أشخاص أو نقلهم بالقوة أو بالإكراه أو الخداع لغرض الاستغلال بشتى صوره، ومن ذلك الاستغلال الجنسي، العمل الجبري، الخدمة القسرية، التسول، الاسترقاق، تجارة بالأعضاء البشرية وغير ذلك [7].**

**ومن جانبنا نرى أن تعريف جريمة الإتجار بالبشر بشكل عام: بأنها أي عمل من شأنه التعامل مع الشخص بهدف استغلاله جنسياً أو ما شابه ذلك أو العمل القسري أو استئصال أعضائه أو جزء منها بالتهديد أو باستغلال فقره برضائه أو بالاحتيال عليه في أي عمل مشروع أو غير مشروع سواء تم ذلك داخل الدولة أو متعدياً حدود الدولة.**

**الفرع الثاني: تعريف جريمة الاتجار بالبشر في الاتفاقيات والإعلانات الدولية:**

**نتناول تعريف جريمة الاتجار بالبشر في الاتفاقيات والإعلانات الدولية التي تناولت جرائم مشابهة للاتجار بالأشخاص، وذلك على النحو التالي:**

**أولاً: تعريف جريمة الإتجار بالبشر في ( بروتوكول باليرمو): ورد تعريف جريمة الإتجار بالبشر بشكل واسع في المادة (3/أ) من البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكملة لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود**

(4) سورة المائدة: الآية: 8.

(5) الطاهر أحمد الرازي، ترتيب القاموس المحيط، باب التاء، مادة ت ج ر، يتجر تجرا أو تجارة، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م.

(6) لمزيد من التفصيل أنظر: د. سوزي عدلي ناشد، الاتجار في البشر بين الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي، المكتبة القانونية، القاهرة، 2005م، ص15. ، المتولي الشاعر، تعريف الجريمة وأركانها من وجهة نظر مستحدثة، دار الكتب القانونية، 2004م، ص23.

(7) د. محمد علي العريان، عمليات الإتجار بالبشر وآليات مكافحته، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011م، ص 32.

الوطنية ( بروتوكول باليرمو) : بأنه « تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إيواؤهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة استضعاف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال، ويشمل الاستغلال، كحد أدنى، استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد أو نزع الأعضاء» [8]

وباستقراء التعريف السابق يتضح لنا الملاحظات الآتية:

1. أن هذا التعريف برغم أنه ورد بشكل واسع إلا أنه لم يبيّن ما هو القصد من الاستغلال بل عدد أشكاله على سبيل المثال، وهو ما سوف نتناوله في المطلب الثاني بالتفصيل.
2. اعتبر أن جميع الأشخاص عرضة للوقوع كضحايا لهذه الجريمة، ولم يجعل نطاقها مقصوراً على الأطفال والنساء، وإن كانوا عرضة لذلك أكثر من غيرهم، وموافقة ضحية الإتجار بالأشخاص على الأفعال المبيّن أعلاه لا تكون محل اعتبار في حالات يكون قد استخدم فيها أي من الوسائل المبيّنة في التعريف[9] لأن في كثير من حالات الإتجار بالأشخاص توجد موافقة أولية أو تعاون أولي بين الضحايا والمتاجرين ثم يعقب ذلك ظروف القسر أو الإساءة في المعاملة أو الاستغلال في مرحلة لاحقة. لكن هذه الموافقة الأولية تعتبر هي والعدم سواء لكونها نتيجة خداع ولحقه القسر، واستغلال للسلطة في مرحلة ما أثناء عملية الإتجار، وذلك وفقاً للمادة (3/ب) من البروتوكول مكافحة الإتجار بالأشخاص[10].

**ثانياً: الاتفاقية العربية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2010م الاتجار بالأشخاص:**

عرفت الاتفاقية العربية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2010م الاتجار بالأشخاص وبخاصة النساء والأطفال في المادة رقم( 11 ) بأنه" أي تهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو إساءة استعمال السلطة أو استغلال حالة الضعف وذلك من اجل استخدام أو نقل أو إيواء أو استقبال أشخاص لغرض استغلالهم بشكل غير مشروع في ممارسة الدعارة (البغاء) أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي أو السخرة أو الخدمة قسراً أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد، ولا يعتد برضاء الشخص ضحية الاتجار في كافة صور الاستغلال متى استخدمت فيها الوسائل المبينة في هذه الفقرة «[11]

وباستقراء التعريف السابق يتبين لنا أنه يتطابق مع النصوص السابقة فيما يتعلق بالوسائل المستعملة، حيث أنه نص على بعض الأفعال التي نص عليها البروتوكول وهي

(8) أنظر: المادة (1/3) من البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكملة لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية (بروتوكول باليرمو).

(9) د. عبد القادر الشيخلي، جرائم الإتجار بالأشخاص والأعضاء البشرية وعقوباتها في الشريعة والقوانين العربية والقانون الدولي، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2009، ص17.

(10) لمزيد من التفصيل انظر: أنظر: المادة (3/ب) من البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكملة لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية (بروتوكول باليرمو)، اتفاقية مجلس أوروبا بشأن مكافحة الاتجار بالبشر لعام 2005م، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966.

(11) لمزيد من التفصيل انظر: المادة رقم (11) من الاتفاقية العربية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الحدود الوطنية لعام 2010م، المادة 3 (1) من الاتفاقية التكميلية لإبطال الرّق وتجارة الرّقيق والأعراف والممارسات الشبيهة بالرّق لعام 1956م، المادة 32 من اتفاقية لاهاي بشأن حماية الأطفال والتعاون في مجال التبني على الصعيد الدولي لعام 1993م، نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998م.

النقل والإيواء والاستقبال، إلا أنه يختلف من حيث غرض الاستغلال، فالغرض في البرتوكول واتفاقية مجلس أوروبا لمكافحة الاتجار بالبشر ورد على سبيل المثال لا الحصر، في حين نجد أن الاتفاقية العربية لمكافحة الجريمة المنظمة كما سبق القول نصت على صور الاستغلال على سبيل الحصر، كما أنها لا تعد نزع الأعضاء البشرية من ضمن صور الاستغلال بل اعتبرتها جريمة قائمة بذاتها.

**والجدير بالذكر** أن اتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وبروتوكول الإتجار بالأشخاص الملحق بها تعتبر الأساس القانوني لتعريف جريمة الإتجار بالبشر وتحديد مفهومها، تستند اليه معظم الدول الأعضاء في تشريعاتها الجنائية على هذه الاتفاقية لتحديد أحكام الجريمة، ومن ثم سنتناول تعريف جريمة الاتجار بالبشر في التشريع المصري والليبي في الفرع التالي:

**الفرع الثالث: تعريف جريمة الاتجار بالبشر في التشريع المصري والليبي:**

**أولاً: المشرع المصري :** عَرف المشرع المصري الاتجار بالبشر في المادة رقم(2) من القانون رقم(64) بشأن مكافحة الاتجار بالبشر لعام 2010م، بقولها « يعد مرتكباً لجريمة الاتجار بالبشر كل من يتعامل بأية صورة في شخص طبيعي بما في ذلك البيع أو العرض أو الشراء أو الوعد بهما أو الاستخدام أو النقل أو التسليم أو الإيواء أو الاستقبال أو التسليم سواء في داخل البلاد أو عبر حدودها الوطنية إذا تم ذلك بواسطة استعمال القوة أو العنف أو التهديد بهما، أو بواسطة الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، أو استغلال السلطة أو استغلال حالة الضعف أو الحاجة، أو الوعد بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا مقابل الحصول على موافقة شخص على الاتجار بشخص آخر له سيطرة عليه- وذلك كله- إذا كان التعامل بقصد الاستغلال أياً كانت صوره بما في ذلك الاستغلال في أعمال الدعارة وسائر أشكال الاستغلال الجنسي، واستغلال الأطفال في ذلك وفي المواد الإباحية أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد، أو التسول أو استئصال الأعضاء البشرية أو الأنسجة البشرية أو جزء منها»، ولا يعتد برضاء المجني عليه على الاستغلال وفقاً لنص لمادة الثالثة بقولها «لا يعتد برضاء المجني عليه على الاستغلال في أي من صور الاتجار بالبشر، متى استخدمت فيها أية وسيلة من الوسائل المنصوص عليها في المادة (2) من هذا القانون، ولا يشترط لتحقق الاتجار بالطفل أو عديمي الأهلية استعمال أية وسيلة من الوسائل المشار إليها، ولا يعتد في جميع الأحوال برضائه أو برضاء المسئول عنه أو متوليه[12].

**ثانياً: المشرع الليبي :** عرَّف المشرع الليبي الاتجار بالبشر في المادة رقم(2) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر[13]، بقولها « يُعد مرتكباً لجريمة الإتجار بالبشر كل من يتعامل بأي صورة في شخص طبيعي بما في ذلك البيع أو العرض للبيع والشراء أو الوعد بهما أو الاستخدام أو النقل أو التسليم أو الإيواء أو الاستقبال أو التسلم سواء داخل البلاد أو عبر حدودها الوطنية ـ إذا تم ذلك بواسطة استعمال القوة أو العنف أو التهديد بهما، أو بواسطة الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، أو استغلال السلطة، أو استغلال حالة الضعف أو الحاجة، أو

(12) أنظر: المادة رقم (2، 3) من القانون المصري رقم (64) لعام 2010م بشأن مكافحة الاتجار بالبشر، د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، دار النهضة العربية، القاهرة 2012م، ص27.

(13) أنظر: المادة رقم (2) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر.

الوعد بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا مقابل الحصول على موافقة شخص على الإتجار بشخص آخر له سيطرة عليه ـ وذلك كله ـ إذا كان التعامل بقصد الاستغلال أيا كانت صوره بما في ذلك الاستغلال في أعمال الدعارة وسائر أشكال الاستغلال الجنسي، واستغلال الأطفال في ذلك وفي المواد الإباحية أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد، أو التسول، أو استئصال الأعضاء أو الأنسجة البشرية، أو جزء منها. كما قررت المادة (3) منه[14] على أنه: « لا يُعتد برضاء المجني عليه على الاستغلال في أي من صور الإتجار بالبشر، متى استخدمت فيها أية وسيلة من الوسائل المنصوص عليها في المادة (2) من هذا القانون ولا يشترط لتحقق الإتجار بالطفل أو عديمي الأهلية استعمال أية وسيلة من الوسائل المشار إليها، ولا يعتد في جميع الأحوال برضائه أو برضاء المسئول عنه أو متوليه.»

**باستقراء وبتحليل النصوص القانونية السابقة ومقارنتها يتبين لنا** أن المشرعين المصري والليبي -على حدٍ سواء -نهجَ كل منهما منهج بروتوكول "باليرمو" حيث توسع في مدلول الاتجار بالبشر ليشمل صوراً أخرى للاتجار والمتمثلة في أفعال البيع والعرض للبيع والشراء والوعد بهما، ويعتبر القانون أن تلك الجريمة لا تتحقق إلا بتوافر ثلاثة عناصر، (الإتجار) وهو التعامل بأية صورة في شخص طبيعي بما في ذلك البيع أو العرض للبيع أو الشراء أو النقل أو التسليم أو الإيواء. و(استخدام وسائل معينة) مثل استعمال القوة أو العنف أو التهديد بهما، أو بواسطة الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، أو استغلال السلطة، أو استغلال حالة الضعف أو الحاجة، و(قصد الاستغلال) أياً كانت صوره بما في ذلك الاستغلال في أعمال الدعارة وسائر أشكال الاستغلال الجنسي، واستغلال الأطفال في الخدمة قسراً أو التسول، أو استئصال الأعضاء البشرية. كما يمكن القول أن القانون راعى كل المعايير التي تضمنتها المواثيق الدولية التي تناولت تلك الظاهرة، حيث جرم القانون كافة أشكال وصور الإتجار بالبشر، مع فرض عقوبات رادعة على مرتكبيها تصل إلى السجن المؤبد كما اهتمّ بتوفير الرعاية الكاملة لضحايا تلك الجرائم، بدءاً من إعفائهم من أي مسؤولية قانونية من جراء الأفعال التي قد تكون ارتكبت أو نشأت من كونهم مجنى عليهم، مرورًا بتوفير كافة سبل الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية، وبحث فرص إعادة التأهيل ودمجهم في المجتمع مرة أخرى. وكذلك ضمان عودتهم إلى وطنهم على نحو سريع وآمن إذا كان هؤلاء الضحايا من الأجانب غير المقيمين في مصر. نهاية بتوفير كامل الحماية القانونية والنص صراحة على الحق في تبصيرهم بالإجراءات الإدارية والقانونية والقضائية ذات الصلة، وحصولهم على المعلومات المتعلقة بها.

**وأخيراً نرى** أن المشرع المصري قد ترك الباب مفتوحاً لأي نشاط إجرامي يقوم به الجاني في مجال الاتجار بالبشر خلاف ما ذكره في نص المادة الثانية، وهو مسلك محمود من المشرع. لأنها جريمة مستحدثة، وبعد عرض تعريف جرائم الاتجار بالبشر بوجه عام في معظم الاتفاقيات الدولية، والتشريع المصري والليبي ننتقل لنتناول الصور والأشكال التي يمكن أن تقع باعتبارها جريمة اتجار بالبشر أو بالأشخاص في المطلب الثاني:

**المطلب الثاني: صور جرائم الاتجار بالبشر.**

تتعدد الصور والأشكال التي يمكن أن تقع باعتبارها جريمة اتجار بالبشر أو بالأشخاص،

(14) أنظر: المادة رقم (3) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر

نتناولها على النحو التالي:

1. تجارة الأعضاء البشرية: وهي» قيام فرد أو جماعة إجرامية منظمة بتجميع الأشخاص دون رضاء منهم، بالتحايل أو الإكراه، حيث يتم نزع أعضاء هؤلاء الضحايا وبيعها كبضاعة من أجل الحصول على أرباح مالية». بينما يشير جانب آخر الى تعريفها بأنها» أعمال البيع والشراء للأعضاء البشرية كالأنسجة والجلد والدم والكلى وغيرها من الأعضاء[15]، وقد اعتبر مجلس الاتحاد الأوروبي لسنة (2003) الإتجار في الأعضاء البشرية من قبيل الإتجار في البشر لأنه يمثل انتهاكاً أساسياً لحقوق الإنسان[16].
2. الدعارة: تُعد الدعارة من أكثر الصور رواجاً وانتشاراً من صور الاستغلال الجنسي للنساء، حيث ينظر أفراد عصابات الاتجار بالبشر إلى النساء على أنهن سلع تعرض للبيع بهدف تحقيق وإشباع الرغبات والملذات الجنسية. فيتم استقطاب النساء اللاتي يعشن في ظروف معيشية متدنية جداً أو اللاتي ينشأن في أسر متفككة ويفتقدن لرقابة الأبوين، بالإضافة إلى فشل العلاقات الزوجية التي تبنى على أساس الإكراه وعدم رضا أحد الطرفين[17]، ومن صور استغلال النساء جنسياً العمل في الدعارة مقابل الحصول على المال، أو العمل في شركات (Porn) للتمثيل في الأفلام الإباحية بغض النظر مع من تشارك في الأفلام الإباحية سواء كان إنساناً، أو حيواناً، أو أي شيء آخر كالترويج للأدوات الجنسية المتعددة، أو يتم استغلالها من خلال تجارة زوجها بها وبيعها مقابل الحصول على المال. والمقصود بالدعارة استغلال الأشخاص فيها وهي صورة من الصور الإجرامية في جميع التشريعات العربية أي أنها تعني استخدام شخص وتشغيله لأعراض الفجور والدعارة[18].
3. 3- الجريمة المنظمة في أكثر من دولة: (جرائم عابرة للحدود بين البلدان): الجرائم المنظمة في أكثر من دولة هي الجرائم التي ترتكب أفعالها (عند التحضير والتنفيذ وما بعد التنفيذ) في أكثر من دولة وفي ظل أكثر من سيادة وطنية، بحيث تعبر هذه الأفعال عن جرائم عابرة للحدود بين البلدان. ولعل من أبرز الأمثلة على الجرائم المنظمة جرائم الاتجار بالبشر، وجرائم الاتجار غير المشروع بالأسلحة، وجرائم الاتجار بالمخدرات، وجرائم الإرهاب، وجرائم الاستغلال الجنسي التجاري للأطفال، وجرائم سرقة الملكية الفكرية التي تتم بشكل منظم وغيرها من الجرائم التي تحدث في بلد معين، وتكون لنتائجها تأثيرات كبيرة على دول أخرى[19].
4. الاتجار بالنساء والأطفال والعنف الممارس ضدهم: ويرتبط الاتجار بالنساء والأطفال بالعنف الممارس ضدهم وضد حقوقهم الإنسانية فجميع حقوق الإنسان تتضمن الحقوق الجنسية وحقوق الإنجاب للمرأة وعلى الرغم من ان هذه الحقوق لم يتم الإشارة إليها

(15) د. رامي متولي القاضي، مكافحة الإتجار بالأعضاء البشرية، في التشريع المصري والمقارن، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، 2011م، ص21.

(16) سوزي عدلي ناشد، الاتجار في البشر بين الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي، مرجع سابق، ص45.

(17) نوال مجدوب، الاتجار بالبشر كصورة من صور الإجرام المنظم، مجلة الباحث للدراسات القانونية والقضائية، مجلة الكترونية، عدد(4)، 2018، ص6.

(18) خالد بن محمد سليمان المرزوق، جريمة الاتجار بالنساء والأطفال وعقوباتها في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض- السعودية. 2005م، ص20.

(19) برنامج العمل المعتمد في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (القاهرة برنامج العمل 1994).

صراحة في الصكوك القانونية الدولية إلا انه يتم الإشارة إليها ضمنا[20]

5. استغلال الأطفال والعمالة القسرية للأطفال: يُعد الإتجار في الأطفال واستغلالهم من أسوأ صور الإتجار بالبشر، فهم البنية الأساسية والثروة البشرية المستقبلية لكافة العلاقات باختلاف الأنظمة الاقتصادية، وتشمل العمالة دون السن القانوني مجردة من أي حماية قانونية أو صحية أو اجتماعية، والاستغلال الجنسي، وتجارة الأعضاء البشرية أو غيرها[21]، والكثير من الأطفال الفقراء يعملوا في المدن أو حتى أنهم ينتقلوا من أوطانهم في أعمال منزلية شاقة بهدف الحصول على لقمة العيش، ويعرف العمل قسراً بأنه حالة شخص في وضع التبعية تم إجباره وإرغامه لأداء خدمة وانعدمت أمامه أية بدائل آخري سوى أن يؤدي تلك الخدمة مقابل تسديد دين [22]

6. الاستغلال الجنسي للأطفال: يقصد بالاستغلال الجنسي للأطفال: يتم استخدام الأطفال لإشباع رغبات جنسية للأشخاص الآخرين مقابل الحصول على المال، ومن أشكال الاستغلال الجنسي للأطفال الممارسة الجنسية، البغاء، تصوير الطفل عارياً، أو الاستغلال الجسدي للطفل من خلال الوسائط المتعددة والإنترنت [23]، يقصد به أيضاً " اتصال جنسي بين طفل وشخص بالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير مستخدماً القوة والسيطرة عليه، ومعنى التحرش الجنسي أوسع من مفهوم الاستغلال الجنسي أو الاغتصاب البدني، فهو يقصد به أشياء كثيرة منها: كشف الأعضاء التناسلية أو إزالة الملابس والثياب عن الطفل أو ملامسة، أو ملاطفة جسدية خاصة، أو التلصص على طفل، أو تعريضه لصور فاضحة أو لأفلام، أو إجباره على التلفظ بألفاظ فاضحة" [24]، ويتم الاستغلال الجنسي للأطفال بطرق متعددة ومنها، عمالة الأطفال، وتجنيد الأطفال، والتسول، والمواد الإباحية، والتبني، والسياحة الجنسية، ونزع الأعضاء، والعمل الجبري، والخدمات المنزلية، والنزاعات المسلحة، والأنشطة الإجرامية، وعمالة السخرة [25]

7. التسول: يعرف التسول بأنه طلب الصدقة من الأفراد بالطرقات العامة [26]

8. التهريب: (تهريب نساء ورجال): تهريب نساء ورجال من جنسيات افريقية وعربية لدول الجوار، وكذلك تهريب الأطفال واستغلالهم جنسيا ويضم الاتجار بالأشخاص لغرض الجنس قسماً مهماً من الاتجار الإجمالي بالبشر وغالبية حالات العبودية عبر حدود الدول في يومنا الحاضر وهنا يتم الإجبار على ممارسة الجنس التجاري بالقوة والخداع والإكراه

(20) هشام عبد العزيز مبارك، 2010م، الاتجار بالبشر بين الواقع والقانون، بحث علمي منشور ومحكم في الأكاديمية الملكية للشرطة في وزارة الداخلية مركز الإعلام الأمني البحرين.

(21) د. رامي متولي القاضي، جريمة الإتجار بالبشر في القانون الإماراتي في ضوء أحدث التعديلات، مرجع سابق، ص14.

(22) خالد بن محمد سليمان المرزوق، جريمة الاتجار بالنساء والأطفال وعقوباتها في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي مرجع سابق، ص 18.

(23) أميرة محمد البحيري، الاتجار بالبشر وبخاصة الأطفال من وجهة النظر العلمية والنفسية والاجتماعية والقانونية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011، ص 311.

(24) يوسف حسن يوسف، جريمة بيع الأطفال والاتجار بالبشر، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2017، ص 32.

(25) إبراهيم محمد عبد العزيز. آليات المنظمات الاجتماعية الحكومية والأهلية في موجهة مشكلة الاتجار بالأطفال، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014، ص112.

(26) النووي، صحيح مسلم، 1991م، كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، الجزء السابع، بيروت، لبنان، ص 184.

ومن خلال ممارسة السلطة والتأثير على الشخص الذي اجبر على القيام بمثل هذه الأفعال إذا كان دون سن الثامنة عشر ويشكل الأطفال أبرز الضحايا المستهدفين للاتجار بهم لغرض الجنس أو العمالة إذ يقع بعض الأطفال في شباك الاستغلال الجنسي والذي يعد اتجاراً بالبشر كما يعتبر تجنيد الأطفال شكلاً فريداً من أشكال الاتجار بالبشر وقد تم تجنيد عشرات الآلاف من الأطفال تحت سن الثامنة عشر لإجبارهم على المشاركة في نزاعات مسلحة لا دخل لهم بها وتقدر منظمة اليونيسيف أن ما يقارب من 300 ألف طفل دون سن الثانية عشر يستغلون في الوقت الحاضر في أكثر من ثلاثين منطقة نزاع مسلح في العالم [27]، وشاعت ظاهرة التهريب للبشر بعد الحرب العالمية الثانية وقد نشطت في الدول الفقيرة ذات الأعداد السكانية المرتفعة ومعدلات الفقر المتزايدة مثل دول أفريقيا وآسيا ، وتشير الدراسات إلى أن إرباح تجارة تهريب البشر إلى أوربا تقدر بخمسة مليارات دولار سنوياً تذهب نصفها إلى المافيا في فيتنام [28]

9. الاختطاف بالقوة والإكراه: ويعرف الاختطاف في اللغة بأنه الاستلاب، وسرعة أخذ الشيء خطفاً [29]، والمقصود بالاختطاف هو اختطاف الأطفال والفتيات بالقوة لغرض الاتجار بهم.
10. العبودية والرق: لازالت موجودة الى يومنا هذا والاسترقاق ويقصد به ممارسة أية من السلطات المرتبطة بحق الملكية على شخص ما في سبيل الاتجار بالأشخاص خاصة في النساء والأطفال، وسمي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون له [30]
11. السُخرة (الخدمة القسرية): والمقصود بها الاتجار بالبشر لغرض أعمال السخرة والمقصود بها هي جميع الأعمال أو الخدمات التي تفرض عنوة على أي شخص تحت التهديد بأي عقاب، والتي لا يكون هذا الشخص قد طوع بأدائها بمحض اختياره [31]
12. الزواج السياحي: والمقصود به الاتجار بالفتيات في المنشآت السياحية ووجود عصابات منظمة تدير هذه الجرائم، ويعتبر الزواج السياحي باطل ومحرم شرعاً لأنه زواج بنية الطلاق دون علم مسبق للمرأة ومن المعروف أن الزواج السياحي هو زواج بعقد شرعي (مبهم) لإضمار نية الطلاق وذلك مع وجود شاهدين ووجود مهر إلا أن نية الطلاق بعد انقضاء فترة الزواج تجعل الزواج باطلاً وتعتبر ظاهرة الزواج السياحي جريمة تدق ناقوس الخطر، وترجع أسباب الزواج السياحي إلى ارتفاع تكلفة المعيشة وانخفاض معدلات الدخل وتفاقم مشكلات الفقر وسيطرة بعض الآباء عديمي الرحمة على الإناث والإغراء بالنقود والمال[32]

(27) المبارك، ياسر عوض الكريم، ونور عثمان الحسن محمد، 2008م، الهجرة غير المشروعة والجريمة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض– السعودية، ص 20.

(28) الزيات، احمد حسن وآخرون، 1972م، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، الجزء الأول، ص 12

(29) هشام عبد العزيز مبارك، الاتجار بالبشر بين الواقع والقانون، مركز الإعلام الأمني البحرين، الأكاديمية الملكية للشرطة في وزارة الداخلية، عام 2010م، ص 11.

(30) لسان العرب، المجلد الخامس، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ص 288، أكرم عبد الرزاق جاسم المشهداني، جرائم الاتجار بالبشر، نظرة في أبعادها القانونية والاجتماعية والاقتصادية، منشورات المنظمة العربية للتنمية، الإدارية بحوث ودراسات، عام2014م، القاهرة، ص22.

(31) أنظر: اتفاقية العمل بالسخرة، المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية 1932م.

(32) خالد بن محمد سليمان المرزوق، عام2005م، جريمة الاتجار بالنساء والأطفال وعقوباتها في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي،

## المبحث الثاني: الأحكام الموضوعية لجريمة الاتجار بالبشر.

نتناول الأحكام الموضوعية لجريمة الاتجار بالبشر من خلال عرض الركن المادي والمعنوي في المطلب الأول ثم نتناول العقوبات المقررة لجريمة الاتجار بالبشر في المطلب الثاني على النحو التالي:

### المطلب الأول: الركن المادي والمعنوي لجرائم الاتجار بالبشر:

نتناول المطلب الأول من خلال فرعين على النحو التالي:

#### الفرع الأول: الركن المادي لجرائم الاتجار بالبشر:

يتمثل الركن المادي في النشاط الإجرامي أو ماديات الجريمة: أي المظهر الذي تبرز به إلى العالم الخارجي، فالركن المادي هو فعل خارجي له طبيعة ملموسة تدركه الحواس، ولا تقوم أية جريمة بدون توافر ركن مادي، ويؤدي توافره إلى إقامة الدليل ضد مرتكب الجريمة، ويحمي الأفراد من احتمال أن تؤاخذهم السلطات العامة دون أن يصدر عنهم سلوك مادي محدد، فتعصف بأمنهم وحرياتهم [33]، وبقوم الركن المادي في جرائم الاتجار بالبشر على ثلاثة عناصر تتمثل في النشاط أو السلوك الإجرامي، والنتيجة التي قد يؤدي إليها هذا السلوك، وأخيراً علاقة السببية وهي الرابط بين السلوك المكون للجريمة والنتيجة الاجرامية ونتناول كل منهما على النحو التالي:

**أولاً: محل الجريمة:** يتمثل محل جريمة الإتجار بالبشر في الإنسان نفسه، والذي يكون في الغالب من الأطفال والنساء، وقد أسبغ المشرع الجنائي حمايته على كافة البشر، فلم يشترط أن يكون هذا الشخص محل الحماية وطنياً أو أجنبياً، ولم يشترط أيضاً أن يكون رجلاً أو إمرأةً، طفلاً أو كبيراً في السن[34]، وأياً كان لونه أو عرقه أو ديانته، وقد أصبغ المشرع الجنائي المصريّ والإماراتي حمايته القانونية على كافة البشر؛ ولذا يستوي أن يكون الشخص محل الحماية وطنيا أو أجنبيا، ويستوى أن يكون رجلاً أو امرأة، طفالً أم كهالً، أيا كان لونه أو عرقه أو ديانته، بل إن بعضهم يرى أن محل جريمة الاتجار بالبشر يتسع ليشمل مرحلة ما قبل الحياة « الاتجار بالأجنة»، ومرحلة ما بعد الحياة « الاتجار بأعضاء الموتى»[35] .

**ثانياً: السلوك الإجرامي:** يلزم لتحقق الركن المادي في جريمة الاتجار بالبشر التثبت من ارتكاب الجاني أحد الافعال التي تشكل السلوك الاجرامي بشكل يقيني، ثم التثبت من وسيلة ارتكاب هذا الفعل بأن تكون إحدى الوسائل المحددة، يعرف السلوك الإجرامي على أنه إتيان الجاني لنشاط ايجابي أو سلبي ، ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن السلوك الإجرامي إما أن يكون بالإتيان وهو السلوك الايجابي ، وإما الامتناع وهو السلوك السلبي ، والسلوك الإجرامي عموماً هو سلوك ذو مظاهر مادية ملموسة تتحقق في العالم الخارجي يؤدي إلى الضرر بالمصالح المراد حمايتها أو تهديدها بحدوثه ، ويضع المشرع في اعتباره هذه المظاهر المادية

---

رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ص62.

(33) د. أحمد شوقي أبو خطوة، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات، دار النهضة العربية، 1999، ص 141.

(34) د. محمد أحمد محمد النونة المخلافي، الأحكام الجنائية لجرائم الإتجار بالبشر" دراسة قانونية في مشروع قانون مكافحة الإتجار بالبشر اليمني والتشريعات العربية"، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، المجلد 15، ص88.

(35) د. رامي متولي القاضي، جريمة الإتجار بالبشر في القانون الإماراتي في ضوء أحدث التعديلات، مرجع سابق، ص19.

حينما يتدخل بالتجريم والعقاب، وفيما يتعلق بجريمة الاتجار بالبشر فإن السلوك الإجرامي يتعلق بالفعل الإيجابي دون السلبي، ويتمثل ذلك في النشاط الذي يصدر من الجاني في سبيل تحقيق غاية إجرامية بمعنى التصرف الإرادي الذي يصدر عن الجاني في ظروف معينة وبهدف إلى تحقيق نتيجة إجرامية معينة[36].

وحدد البروتوكول الدولي، وكذلك التشريعات المختلفة التي سارت عليه معظم التشريعات الوطنية بأن أنماط السلوك الإجرامي الذي إذا ما أتاه الشخص أصبح مرتكباً لجريمة الإتجار بالبشر وتتمثل في أفعال التجنيد، الإيواء، النقل، الحصول على الشخص بأي وسيلة، الاستقبال مقابل أجراً أو فائدة أخرى أو الوعد بهما، وسار على نفس النهج كل من المشرع الليبي[37] والمصري[38] حيث يعد مرتكباً لجريمة الاتجار بالبشر كل من يتعامل بأية صورة في شخص طبيعي بما في ذلك البيع أو العرض أو الشراء أو الوعد بهما أو الاستخدام أو النقل أو التسليم أو الإيواء أو الاستقبال أو التسليم سواء في داخل البلاد أو عبر حدودها الوطنية إذا تم ذلك بواسطة استعمال القوة أو العنف أو التهديد بهما، أو بواسطة الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، أو استغلال السلطة أو استغلال حالة الضعف أو الحاجة، أو الوعد بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا مقابل الحصول على موافقة شخص على الاتجار بشخص آخر له سيطرة عليه- وذلك كله- إذا كان التعامل بقصد الاستغلال أياً كانت صوره بما في ذلك الاستغلال في أعمال الدعارة وسائر أشكال الاستغلال الجنسي، واستغلال الأطفال في ذلك وفي المواد الإباحية أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد، أو التسول أو استئصال الأعضاء البشرية أو الأنسجة البشرية أو جزء منها»[39] .

والجدير بالذكر أن القانون المصري حدد الوسائل المستعملة في ارتكاب السلوك الإجرامي كما سبق القول ولا يشترط لتحقيق الإتجار بالطفل أو عديمي الأهلية استعمال أية وسيلة من الوسائل السابقة وفقاً لنص المادة 3/ فقرة 2 من قانون مكافحة الإتجار بالبشر لسنة 2010، من خلال ما سبق فإن صور السلوك الاجرامي لجريمة الاتجار بالبشر تتمثل في الآتي:

1. التجنيد: هو عمل مادي يتجلى في جمع عدد من الناس لإلحاقهم بالجيش، وقد يشمل التجنيد جمع المجني عليهم وإخداعهم بكل الوسائل الذهنية والعاطفية والمادية لاستخدامهم كسلعة سواء في الدعارة او السخرة او الخدمة قسرا او الاسترقاق أو ما شابه
2. الاستدراج: يتحقق الاستدراج بالتحايل على الضحية والخداع من أجل استغلالها للقيام بعدة افعال عن طريق الاغراء والحيلة.
3. النقل: الذي يعني نقل الضحية من محل اقامتها إلى مكان آخر، قد يكون تحت سيطرة العصابة الإجرامية أو لها نفوذ فيه سواء كان بطريقة مشروعة أو غير مشروعة، ولا يشترط القيام بفعل النقل وجود وسيلة نقل معينة، فالعبرة هي ارتكاب فعل النقل بغض النظر عن الوسيلة المستخدمة فيه [40] .

(36) د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، دار النهضة العربية، القاهرة 2012م، ص27.

(37) أنظر المواد 418، 419، 420، 426،425، 426 من قانون العقوبات الليبي الصادر بتاريخ 28 فبراير لسنة 1953م.

(38) أنظر: المادة رقم(2) من القانون المصري رقم(64) لعام 2010م بشأن مكافحة الاتجار بالبشر.

(39) أنظر: المادة رقم(2) من القانون المصري رقم(64) لعام 2010م بشأن مكافحة الاتجار بالبشر، د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، دار النهضة العربية، القاهرة 2012م، ص27.

(40) عادل ماجد، مكافحة جرائم الإتجار بالبشر في الاتفاقيات الدولية والقانون الوطني لدولة الإمارات، جامعة نايف للعلوم الأمنية،

4. التنقيل: يتحقق بتحويل الضحايا من موضع لآخر باعتبارهم مجرد بضاعة ثم التحكم فيها من أجل استغلالها سواء في ذات الدولة او خارجها.

5. الإيواء: يتحقق بإخفاء الضحية عن أنظار الناس والسلطات، وذلك بتدبير مكان وملاذ آمن لإقامة المجني عليهم سواء داخل ذات الدولة او في دولة المقصد التي تم نقل المجني عليهم إليها تمهيدا لاستغلالهم في مرحة موالية.

6. الاستقبال: يقف عند حد تهيئة الظروف الملائمة لملاقاة الضحية في بلد الوصول أو مكان الوصول في ذات البلد وهو يكمل مسألة النقل التي تقترن بالاستقبال عادة، ومنه ففعل الاستقبال يتحقق دون اشتراط ابقاء المجني عليه في مكان معين.

أما عن وسائل ارتكاب جريمة الاتجار بالبشر تنوعت في عدة وسائل تتمثل في:

1. التهديد بالقوة: الذي هو كل اسلوب يستعمله الجاني من خلال الكلام أو الحركات أو الايماء من شأنه إلقاء الرعب والخوف في نفس المجني عليه بسبب إيذاء أراد إلحاقه بشخصه او ماله او حريته او حرمته.

2. الاختطاف: الذي هو نقل المجني عليه كرها من المكان الموجود فيه إلى مكان آخر لاحتجازه فيه وإخفاءه عن الغير الاختطاف هو انتزاع المجني عليه بغير إرادته من المكان الذي يقيم فيه وابعاده عنه ويتحقق ذلك بنقل المجني عليه الي محل اخر واخفائه تحقيقا لانتزاع المخطوف من بيئته وقطع صلته باهله، ويتحقق الاختطاف بإبعاد المجني عليه عن مكان اقامته الفعلية ونقله الي مكان اخر واخفائه به، وهو امر يتوافر في كل لحظة تمر على المجني عليه في اثناء وجوده بالمكان المخطوف فيه [41].

3. الاحتيال: يقصد به استعمال الجاني لادعاءات كاذبة مدعمة بمظاهر خارجية لتضليل المجني عليه طريق الخداع والاحتيال او الخداع هو كل فعل من افعال الغش والتدليس من شأنهما تمكين الجاني من خداع المجني عليه والتغرير به ويتحقق ذلك عن طريق استعمال طرق احتيالية من شانها التغرير بالمجني عليه وحمله على مرافقة الجاني له او باستعماله اي وسيلة مادية او ادبية من شانها سلب إرادته ولا يكفي لتحقق الاحتيال او الخداع مجرد الكذب العادي او الوعد الكاذب المجرد ما دام لم يتأبد بفعل. [42]

4. إساءة استعمال السلطة أو الوظيفة أو النفوذ: تعني اي شكل من اشكال التبعية التي تكون للمجني عليه اتجاه الجاني، كسلطة الاب على اولاده حين يستعملها ؛ فيقوم بالاتجار بهم نتيجة الفقر أو الجشع والطمع، أو سلطة صاحب المنزل على خادمته ؛ فيقوم بالاتجار بها باستغلالها في الدعارة عوض الاعمال المنزلية.

5. استغلال حالة الضعف أو الحاجة.

6. إعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو منافع للحصول على موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال: يتم ذلك بقيام الجاني بتقديم مبلغ مالي لشخص يقوم بإقناع شخص آخر له سيطرة عليه من أجل الاتجار به او استغلاله بأي صورة من صور الاتجار

---

الرياض، 2006، ص 146.

(41) نقض 3 ابريل 2000، مجموعة احكام محكمة النقض، س 51 ق، ص 373، رقم 68.

(42) نقض 9 ابريل 2001، مجموعة احكام محكمة النقض س 52 ق، ص 428، رقم 71، نقض 8 نوفمبر 1943 م، مجموعة القواعد القانونية، ج1، ص 546.

بالبشر وأغراض الاستغلال تشمل استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستعمال الجنسي أو السخرة أو الخدمة قسرا أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد أو نزع الأعضاء [43]

والجدير بالذكر أن السلوك الإجرامي قد يكون وقتياً، وقد يكون مستمراً، ولذلك انقسمت الجرائم تبعا لذلك إلى جرائم وقتية، وجرائم مستمرة [44]، ومن المقرر أن الفيصل في التمييز بين الجريمة الوقتية، والجريمة المستمرة هو طبيعة الفعل المادي المكون للجريمة كما عرفه القانون، سواء كان هذا الفعل إيجابياً، أو سلبياً، أو ارتكاباً، أو تركاً، ويتميز السلوك الإجرامي في جرائم الاتجار بالبشر بخصائص معينة تحدد ماهيته وطبيعته، ومن ناحية أخرى إذا ما أردنا تصنيف جريمة الإتجار بالبشر نجدها من الجرائم المستمرة، ذلك أن العناصر المكونة لها، تستغرق وقتاً زمنياً معتبراً لتحقيقها، فهي لا تتحقق دفعة واحدة كجريمة القتل بخلاف جريمة الإتجار بالبشر حيث يقوم الجاني بنقل المجني عليه أو إيوائه أو استقباله أو تجنيده لغرض استغلاله في الدعارة أو العمل القسري أو الاسترقاق... إلخ. فإنه يحتاج لإتمام فعله الإجرامي إلى وقت معتبر، مما يجعل من الزمن عنصراً جوهرياً لارتكاب جريمة الإتجار بالبشر، وعنصر الاستمرار أو الوقت متوافر في أفعال السلوك الإجرامي وكذلك وسائل السلوك. وأفعال السلوك هي (استخدام-نقل-إيواء-استقبال... الخ) وكلها تحتاج إلى عنصر الوقت، وكذلك في وسيلة السلوك مثل (التهديد-العنف-الإكراه-التعذيب... الخ) كلها تحتاج إلى عنصر الوقت في تحققها.

ثالثاً: النتيجة الإجرامية: تتمثل في استغلال البشر، كاستغلاله في العمل بصوره المختلفة والإتجار بأعضائه، واستغلاله لأغراض جنسية ويكفي أن يكون المجني عليه موضوعاً لفعل من أفعال الإتجار بوسيلة من وسائل التي حددها القانون، وذلك بقصد استغلاله سواء تحقق هذا الاستغلال أم لم يتحقق، وباعتبار أن جريمة الإتجار بالبشر هي من جرائم الخطر أو كما تسمى بالجرائم الشكلية فإنه لا يتطلب تحقق النتيجة الاجرامية، فهذه الجريمة تتحقق بمجرد قيام الجاني بأحد الأفعال المنصوص عليها بإرادته الحرة [45]، وبالرجوع إلى القواعد العامة للقانون الجنائي، يلاحظ أن الجرائم بوجه عام تنقسم من حيث النتيجة إلى نوعين:

النوع الأول: هو ما يطلق عليه جرائم الضرر، وهي الجرائم التي يترتب عليها الضرر الفعلي بالمصلحة محل الحماية الجنائية بسبب ارتكاب السلوك الاجرامي[46]

أما النوع الثاني: هو ما يطلق عليه جرائم الخطر، وهذه الجرائم يكفي لقيامها مجرد تحقق حالة الخطر، وهذا النوع من الجرائم لا يتطلب وقوع نتيجة معينة [47]

(43) حامد سيد محمد حامد، الاتجار في البشر كجريمة منظمة عابرة للحدود الوطنية بين الأسباب، التداعيات والرؤى الاستراتيجية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ط 2001،01 م، ص 17.

(44) راجع في ذلك: د. محمود محمود مصطفى، قانون العقوبات، القسم العام، ط 10، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1983 م، ص266، د. علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1988 م، ص174- 175.

(45) د. رامي متولي القاضي، جريمة الإتجار بالبشر في القانون الإماراتي في ضوء أحدث التعديلات، مرجع سابق، ص23.

(46) د. محمد رمضان باره، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات الليبي، الجزء الأول، الأحكام العامة للجريمة، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، عام 2010م، ص 142، 143.

(47) راجع في ذلك: د. محمود محمود مصطفى، قانون العقوبات، القسم العام، المرجع السابق، ص266، د . علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات القسم العام، المرجع السابق، ص 174- 175، د. محمد رمضان باره، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات الليبي، الجزء الأول، الأحكام العامة للجريمة، الشركة الخضراء للطباعة، المرجع السابق، ص 142، 143.

وجريمة الاتجار بالبشر من الجرائم المركبة؛ فهي مركبة من جانب عناصر التجريم حيث تتطلب لوقوعها – من هذا الجانب -عناصر هي (أفعال سلوك-وسائل سلوك -غرض الاستغلال)، ومركبة من جانب آخر؛ كونها كل فعل من الأفعال يشكل جريمة في ذاته، كما تخرج تلك الجريمة من عداد الجرائم المادية البحتة إذ تقوم بمجرد صدور السلوك الإجرامي، وبغض النظر عن حصول ضرر من عدمه [48]، وتميز هذه الجريمة وتنفرد بخصوصيتها من ناحية تشكيلها من عدة عناصر:

1. السلعة (أو الضحية): وهو الشخص الذي وقع عليه الاعتداء، وتتمثل في التصرفات التي يمكن أن تقع على الإنسان الواردة في المادة (3/أ) من البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكملة لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية ( بروتوكول باليرمو) : بأنه « تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إيواؤهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة استضعاف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال، ويشمل الاستغلال، كحد أدنى، استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد أو نزع الأعضاء» [49]
2. التاجر: وهو الوسيط في هذه العملية.
3. السوق: وهو الدولة المستوردة أو ما يسمى بدول الطلب [50]

**خلاصة القول:** أن النتيجة الإجرامية تتمثل في استغلال هذا الإنسان، والاستفادة منه في الحصول على المال، إذا كان التعامل بقصد الاستغلال أياً كانت صوره بما في ذلك الاستغلال في أعمال الدعارة وسائر أشكال الاستغلال الجنسي، واستغلال الأطفال في ذلك وفي المواد الإباحية أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق أو الاستعباد، أو التسول أو استئصال الأعضاء البشرية أو الأنسجة البشرية أو جزء منها» [51]

### رابعاً: علاقة السببية بين السلوك والنتيجة:

علاقة السببية: [52]هي الرابطة بين عنصري الركن المادي للجريمة السلوك والنتيجة، ومن ثم إذا انتفت علاقة السببية بين السلوك والنتيجة انتفت مسؤولية المتهم، وعرفت محكمة النقض لعلاقة السببية بأنها «علاقة مادية تبدأ بالفعل المتسبب وترتبط من الناحية المعنوية بما يجب عليه أن يتوقعه من النتائج المألوفة لفعله إذا أتاه عمداً أو خروجه فيما يرتكبه

(48) حامد سيد محمد حامد، الاتجار في البشر كجريمة منظمة عابرة للحدود الوطنية بين الأسباب، التداعيات والرؤى الاستراتيجية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ط 2001،01، ص 17

(49) أنظر: المادة (1/3) من البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكملة لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية (بروتوكول باليرمو).

(50) د. محمد على العريان، مرجع سابق، ص 34، د. سوزي على ناشد، مرجع سابق، ص 12.

(51) أنظر: المادة رقم (2) من القانون المصري رقم (64) لعام 2010م بشأن مكافحة الاتجار بالبشر، د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، مرجع سابق، ص27.

(52) أنظر: د. رؤوف عبيد، السببية في القانون الجنائي، ط 3، القاهرة 1974، ص 185، د. حسن صادق المرصفاوي - المرصفاوي في قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف الاسكندرية عام 1978 - ص254، د. محمد رمضان باره، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات الليبي، الجزء الأول – الأحكام العامة للجريمة -، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، عام 2010 ف، ص 114.

بخطئه عن دائرة التبصر بالعواقب المادية لسلوكه والتصون من أن يلحق عمله ضرراً»[53]

ولقد أثار الفقه جدلاً حول مفهوم السبب وأي من الأسباب الذي يعتد به والمؤدى إلى النتيجة الاجرامية، وقد تعددت النظريات الفقهية حول تحديد معيار لعلاقة السببية، والقانون الليبي وأحكام المحكمة العليا جمعا بين النظريتين الراجحتين « نظرية تعادل الأسباب، والسببية الملائمة» [54]، سواء ما توصلت اليه المحكمة من أدلة مباشرة أو غير مباشرة وذلك لأن التفرقة بين الدليل المباشر والدليل غير المباشر ليست لهما أهمية كبيرة من الناحية القانونية فطبقاً للقواعد العامة لا يشترط أن يكون الدليل الذي يبنى عليه الحكم مباشراً فيكفي أن يكون الدليل غير مباشر وللمحكمة أن تكمل الدليل بالعقل والمنطق[55]، ولم يقيد المشرع القاضي الجنائي بطرق إثبات معينة وإنما ترك له مهمة البحث عن الحقيقة بأي طريق مشروع فقد نصت المادة 291 من قانون الإجراءات الجنائية «على أن للمحكمة أن تأمر ولو من تلقاء نفسها أثناء نظر الدعوى بتقديم أي دليل تراه لازماً لظهور الحقيقة» والقاضي الجنائي يختلف من هذه الوجهة عن القاضي المدني الذي قيده المشرع في تحري الحقيقة بطرق معينة للإثبات [56]، ومن ثم فإثبات رابطة السببية في المواد الجنائية مسألة موضوعية ينفرد بها قاضى الموضوع بتقديرها فلا يجوز مجادلته في ذلك أمام محكمة النقض ما دام الحكم قد أقام قضاه في هذا الشأن على أسباب تؤدى إلى ما انتهى إليه « [57].

**الفرع الثاني: الركن المعنوي لجرائم الاتجار بالبشر:**

يقصد بالركن المعنوي للجريمة؛ هو مدى اتجاه إرادة الجاني إلى ارتكاب الجريمة، والركن المعنوي لجرائم الاتجار بالبشر يتمثل في الصلة النفسية بين السلوك وبين من قام به الجاني، وتعتبر الإرادة التي تتوافق وتعاصر ماديات الجريمة وتبعثها إلى الوجود هي التعبير الصحيح عن الركن المعنوي في الجريمة على العموم، وهي بذلك قوة نفسية تكشف عن إرادة الجاني في تحقيق العدوان في الجريمة، ويذهب الرأي الراجح في الفقه الجنائي إلى القول بعدم كفاية إسناد الجريمة مادياً إلى مرتكب النشاط الإجرامي فيها عن طريق الرابطة أو العلاقة السببية التي تربط بين السلوك والنتيجة فقط ، ولكن يجب إسنادها إلى الجاني معنوياً، ومؤدى ذلك أن تتوافر بين الجاني والجريمة رابطة نفسية تصلح بعد ذلك كأساس للحكم بتوافر العنصر النفسي المعبر عن الخطأ الجنائي الذي تقوم عليه الجريمة ، وحتى تستكمل الجريمة بناءها القانوني لا بد أن يتوافر العمد والخطأ غير العمدي في ذلك السلوك، ما يُمَكّن من القول بأن صاحبه محلاً للمسؤولية الجنائية [58]، والبعض يرى أن هناك من الجرائم ما لا يلزم لتوافره

(53) نقض 27 يناير سنة 1959، مجموعة أحكام النقض، س10 رقم 23 ص 91، نقض 1985/3/31م، س 36، ص 508، رقم 85.

(54) د. محمد رمضان باره، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات الليبي، مرجع سابق، ص 114. نقض 5/24 / 1970، س 21، ص 724، رقم 171.

(55) نقض 1974/6/10 م، مجموعة أحكام النقض، س25، ص580، رقم 124،

(56) لمزيد من التفصيل أنظر: د. فوزيه عبد الستار، شرح قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، ط 1986م، ص526، د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة 1996 م، ص492، د. مأمون محمد سلامه، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام 1391-1971 م -جـ2، ص200، د. عبد الرءوف مهدى، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، مطابع روزاليوسف، عام 2008 م، ص1461، د. أبو العلا على أبو العلا النمر، الإثبات الجنائي، دراسة تحليلية لتحديد موطن القوة والضعف في الدليل الجنائي، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، عام1997م، ص4، د. شعبان محمود محمد الهواري، أدلة الإثبات الجنائي، دار الفكر والقانون، المنصورة، طبعة 2013 م، ص 31

(57) نقض 1972/3/13، س 23، ص 379، رقم 84

(58) د. رؤوف عبيد، شرح قانون العقوبات التكميلي، ط 5، دار الفكر العربي، القاهرة، عام 1997م، ص 425 وما بعدها، د. غنام محمد

وجود ركن معنوي من قصد جنائي أو خطأ غير عمدي، كما هو الحال في المخالفات وغيرها مما أطلق عليه جرائم مادية، كالجرائم الاقتصادية[59]، ومع ذلك، فإن الأمر يتعلق بافتراض الخطأ أي بعدم التزام سلطة الادعاء بإثبات الركن (القصد أو الخطأ غير العمدي)[60]، وتعد جريمة الاتجار بالبشر من الجرائم العمدية، فإنه يشترط لقيامها القصد الجنائي العام والخاص، فهي لا تقع إلا في صورة العمد ولا يمكن تصورها في صورة الخطأ، ومن ثم نعرض القصد الجنائي العام والخاص على النحو التالي:

**أولاً: القصد الجنائي العام:** يقصد بالقصد العام أن يعلم الجاني انه يرتكب الجريمة بمعناها المذكور وانه يرتكبها بإرادته وادراكه التام مع علمه بخطورة السلوك الجرمي الذي يرتكبه وأن من شأن هذا السلوك الاعتداء على حق الانسان في الحياة أو الكرامة أو السلامة الجسدية، ويتكون القصد الجنائي العام من عنصرين وهما العلم والإرادة نتناول كل منهما على النحو التالي:

1. العلم بالواقعة الاجرامية: يجب أن يعلم الجاني بالوقائع التي تقوم بها الجريمة والتي يحددها النموذج القانوني للجريمة، والتي تشمل السلوك الإجرامي والنتيجة وعلاقة السببية التي تربط بينهما، فالعلم هو الصورة الذهنية التي تتولد لدى الجاني عن عناصر الجريمة، فيجب أن يكون الجاني على علم بأن محل الجريمة هو الإنسان، وأن السلوك المرتكب من طرفه يدخل في إطار صور السلوك المعاقب عليه قانونا، وأن يكون على علم أيضا بأنه يساهم في الإيقاع بالمجني عليه أو نقله أو تسليمه أو إيوائه أو استقباله لغرض استغلاله في أعمال منافية لكرامة الإنسان.
2. الإرادة: وهي اتجاه إرادة الجاني إلى ارتكاب الفعل، فهي نشاط نفسي موجه نحو هدف معين بغية تحقيق نتيجة معينة غير مشروعة وهي المساس بحق معين أو مصلحة معينة يحميها القانون، ولا يكفي لوقوع الجريمة أي إرادة ولكن يجب أن تكون إرادة آثمة، ويشترط أن تكون إرادة المتهم واعية ومدركة وتتوافر لديه حرية الاختيار فإذا كانت إرادته معيبة، إما لصغر السن أو الجنون أو وقوعه تحت إكراه مادي أو معنوي، فإن إرادته مشوبة بعيب من عيوب الإرادة، ومن ثم لا يسأل جنائياً [61].

**ثانياً: القصد الجنائي الخاص:** يتطلب القصد الخاص اتجاه إرادة الجاني إلى تحقيق غرض أو باعث خاص، ويوجه هذا الباعث لنتيجة بعينها يريدها الجاني دون غيرها [62] فلا يقتصر الأمر فحسب على تحقيق النتيجة غير المشروعة، وهذا القصد لا يفترض -بحسب الأصل- ما لم يقم عليه دليل في الأوراق، كما تلتزم المحكمة بالتحقق من ثبوته فعلياً وبيانه من خلال ظروف الدعوى، كما يتعين في القصد الجنائي أن يكون معاصراً مع ارتكاب الركن المادي، وتحديداً السلوك الإجرامي بمعنى توافر نية الاستغلال عند تجنيد الشخص أو نقله أو ترحيله، أو استقباله بوسيلة من الوسائل المحددة قانوناً. فإذا انتفي عند إتيان النشاط، وتوافر

---

غنام وتامر محمد صالح، قانون الجزاء، القسم العام، نظرية الجريمة، ص 168.

(59) د. عبدالرؤوف مهدي، المسؤولية الجنائية في الجرائم الاقتصادية، مطبعة المدني، 1976، ص111.

(60) د. عبدالعظيم مرسي وزير، افتراض الخطأ كأساس للمسؤولية الجنائية، دار النهضة العربية، 1988، ص77.

(61) د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 258، د خالد مصطفى فهمي، النظام القانوني لمكافحة جرائم الإتجار بالبشر، دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص 178.

(62) د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في شرح قانون العقوبات، المرجع السابق، ص 259.

عند تحقيق النتيجة، وهي الاستغلال، فلا تقوم به جريمة الاتجار بالبشر [63]

**والجدير بالذكر** أن المادة (1/5) من بروتوكول باليرمو أكدت على ضرورة توافر القصد الجنائي في جرائم الاتجار في البشر من خلال النص على أن: « يتعين على كل دولة طرف أن تعتمد ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم السلوك المبين في المادة (3)، من هذا البروتوكول في حال ارتكابه عمداً».

**وباستقراء نص المادة** (1/5) ، والمادة (3) من بروتوكول باليرمو يتبين لنا أن الركن المعنوي في جريمة الاتجار في البشر يتخذ صورة القصد الجنائي أو العمد خاصة وأن جريمة الاتجار في البشر جريمة عمدية تستلزم لقيامها انصراف إرادة الجاني إلى إتيان السلوك مع إحاطته علماً بالعناصر الجوهرية الأخرى للجريمة، وإن كان لا يكفي- وفقاً لنص المادة (3/ أ) من البروتوكول- مجرد توافر القصد الجنائي العام أي مجرد اتجاه إرادة الجاني إلى مباشرة أية صورة من صور السلوك الذي يقوم به الركن المادي مع علمه بذلك، وإنما يجب- فضلاً عن ذلك- توافر (قصد جنائي خاص) يتمثل في أن يبتغي الجاني من وراء سلوكه الإجرامي تحقيق غرض نهائي غير مشروع يتمثل هنا في استغلال الضحية» .

ويأخذ القصد الخاص عدة صور تتمثل في الآتي:

- الصورة الأولى: تتمثل في الاتجار لغرض الجنس وتشمل: صور الاستغلال الجنسي، واستغلال دعارة الغير، وزواج القاصرات.
- الصورة الثانية: تتمثل في الاتجار لغرض العمل وتشمل: صور السخرة والخدمة قسراً، والاسترقاق، والاستعباد، والممارسات الشبيهة بالرق.
- الصورة الثالثة: تتمثل في تجارة الأطفال وتشمل: صورة الاستغلال السيء للأطفال سواء أكان استغلالاً جنسياً للأطفال في الدعارة أم إنتاج المواد الإباحية، أم عمالة الأطفال، أم من خلال بيع الأطفال لتحقيق الربح تحت ستار التبني، أم بهدف نزع أعضائهم.
- الصورة الرابعة: وتتمثل في الاستغلال الطبي والاتجار في الأعضاء البشرية وتشمل: ويُقصد بها صورة نزع أو استئصال الأعضاء الداخلية أو الخارجية من أجسام الأشخاص الأحياء أو جثث الموتى بغض النظر عن الغرض من استغلالها، سواء أكان ذلك بهدف بيعها أم زرعها في جسم شخص آخر، ويستوي أن يتم هذا الاستغلال بدفع مقابل مالي للضحية أو أي مزايا أخرى أو دون أي مقابل كذلك [64].

## المطلب الثاني: العقوبات المقررة لجريمة الاتجار بالبشر في التشريع المصري والليبي.

نتناول العقوبات المقررة لجريمة الاتجار بالبشر في التشريع المصري والليبي من خلال عرض مسؤولية الشخص الطبيعي، ومسؤولية الشخص الاعتباري في فرعين على النحو التالي:

(63) د. عبد الرحمن خلف، ورقة عمل حول الاتجار بالبشر كإحدى صور الإجرام المنظم، ندوة الاتجار بالبشر بين التجريم وآليات المواجهة، مركز بحوث الشرطة، أكاديمية الشرطة، القاهرة، 2010/6/20، ص 229، د. فتحية محمد قوراري، لمواجهة الجنائية لجرائم الاتجار بالبشر، دراسة في القانون الإماراتي المقارن، مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، عدد (40) أكتوبر 2009 م، ص217

(64) د. محمد علي العريان، عمليات الإتجار بالبشر وآليات مكافحته، مرجع سابق، ص102.

**الفرع الأول: مسؤولية الشخص الطبيعي:**

**1- العقوبات الأصلية والظروف المشددة للجريمة: تضمن القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 بشأن مكافحة الاتجار بالبشر،[65] عقوبة عند اقتران الجريمة بظروف مشددة، وعقوبة أخرى في صورتها البسيطة، حيث قرر المشرع المصري بشأن جريمة الاتجار بالبشر عقوبات أصلية وعقوبات تبعية وعقوبات تكميلية للشخص الطبيعي والشخص الاعتباري.**

**والمشرع الليبي تناول جرائم الاتجار بالبشر وفقاً لقانون العقوبات الليبي حيث نصت المادة (418) من قانون العقوبات الليبي الصادر بتاريخ 28 فبراير لسنة 1953الإتجار بالنساء على نطاق دولي بقولها « كل من أرغم امرأة بالقوة أو التهديد على النزوح إلى مكان في الخارج مع علمه بأنها سوف تستغل فيه للدعارة يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنوات وبغرامة تتراوح بين مائة وخمسمائة جنيه. وتطبق العقوبة ذاتها على من حمل بأية طريقة شخصاً قاصراً أو امرأة بالغة ناقصة العقل على النزوح إلى مكان في الخارج مع علمه بأنها سوف تستغل للدعارة. وإذا اقترن الفعل بالعنف أو التهديد تزاد العقوبة بمقدار النصف. وتضاعف العقوبة في الأحوال المنصوص عليها في الفقرة الأخيرة من المادة(415)، وكذلك إذا ارتكب الفعل ضد شخصين أو أكثر وإن اختلفت وجهاتهم. كما نصت المادة (419) تسهيل الإتجار بالنساء بقولها « يعاقب بالسجن مدة تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات وبغرامة تتراوح بين مائة وخمسمائة جنيه كل من سهل بأية طريقة كانت ارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في المادة السابقة مع علمه بقصد الاستغلال للدعارة، وذلك ما لم يكن شريكاً في الجريمة وتطبق في هذه الحالة أيضاً الفقرة الأخيرة من المادة السابقة. كما نصت المادة (420) على إتجار الليبي بالنساء بقولها «يعاقب الليبي على الأفعال المنصوص عليها في المادتين السابقتين وإن اقترفها وهو في الخارج. كما ورد في الباب الرابع من ذات القانون تحت بند الجرائم ضد حرية الأفراد وورد في الفصل الأول جرائم الرق في المادة (425) الخاصة بالاستعباد بأنه « كل من استعبد شخصاً أو وضعه في حالة تشبه العبودية يعاقب بالسجن من خمس سنوات إلى خمس عشرة سنة. وتناولت المادة ((426 التعامل بالرقيق والاتجار به بقولها « كل من تعامل بالرقيق أو أتجر به أو على أي وجه تصرف في شخص في حالة عبودية أو في حالة تشبه العبودية يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز عشر سنوات. وتكون العقوبة السجن من ثلاث سنين إلى اثنتي عشرة سنة لكل من تصرف في شخص مستعبد أو في حالة تشبه العبودية أو سلمه أو حازه أو اكتسبه أو أبقاه على حالته» [66].**

**والجدير بالذكر أن الحكومة الليبية المؤقتة وافقت على مشروع قانون مكافحة الاتجار بالبشر، وأحيل الى البرلمان الليبي لتشريعه وهذا المشروع يتقارب إلى حد كبير من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 بإصدار قانون مكافحة الاتجار بالبشر، ووفقا للقانون رقم 64 لسنة 2010م يعاقب كل من ارتكب جريمة الاتجار بالبشر بالسجن المؤبد والغرامة التي لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه - يقابلها المادة (6) من مشروع القانون الليبي بشأن الاتجار بالبشر- في أي من الحالات الآتية:- إذا كان الجاني قد أسس أو نظم أو أدار جماعة إجرامية منظمة لأغراض الاتجار بالبشر أو تولى قيادة فيها أو كان أحد أعضائها أو**

(65) أنظر: المادة (6/ 1-7) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

(66) أنظر: المواد 418، 419، 420، 425،426 من قانون العقوبات الليبي الصادر بتاريخ 28 فبراير لسنة 1953م.

منضمًا إليها، أو كانت الجريمة ذات طابع عبر وطني . إذا ارتُكب الفعل بطريق التهديد بالقتل أو بالأذى الجسيم أو التعذيب البدني أو النفسي أو ارتكب الفعل شخص يحمل سلاحًا. إذا كان الجاني زوجا للمجني عليه أو من أحد أصوله أو فروعه أو ممن له الولاية أو الوصاية عليه أو كان مسئولاً عن ملاحظته أو تربيته أو ممن له سلطة عليه. إذا كان الجاني موظفًا عامًا أو مُكلفًا بخدمة عامة وارتكب جريمته باستغلال الوظيفة أو الخدمة العامة. إذا نتج عن الجريمة وفاة المجني عليه، أو إصابته بعاهة مستديمة، أو بمرض لا يُرجى الشفاء منه. إذا كان المجني عليه طفلا أو من عديمي الأهلية أو من ذوي الإعاقة. إذا ارتكبت الجريمة بواسطة جماعة إجرامية منظمة.

ووفقاً لنص المادة «(7) يُعاقب بالسجن كل من استعمل القوة أو التهديد أو عرض عطية أو مزية من أي نوع أو وعد بشيء من ذلك لحمل شخص آخر على الإدلاء بشهادة زور أو كتمان أمر من الأمور أو الإدلاء بأقوال أو معلومات غير صحيحة في أية مرحلة من مراحل جمع الاستدلالات أو التحقيق أو المحاكمة في إجراءات تتعلق بارتكاب أية جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون» [67]. كما قررت المادة « (8) يعاقب بالسجن كل من أخفى أحد الجناة أو الأشياء أو الأموال المتحصلة من أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون أو تعامل فيها، أو أخفى أياً من معالم الجريمة أو أدواتها مع علمه بذلك. ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقاب إذا كان من أخفى الجناة زوجاً أو أحد أصوله أو فروعه، وبين القانون حالة قصد الإضرار بالمجني عليه أو الإخلال بسلامته البدنية أو النفسية أو العقلية في المادة (9) يقولها « يعاقب بالسجن كل من أفصح أو كشف عن هوية المجني عليه أو الشاهد بما يعرضه للخطر، أو يصيبه بالضرر، أو سهل اتصال الجناة به، أو أمده بمعلومات غير صحيحة عن حقوقه القانونية بقصد الإضرار به أو الإخلال بسلامته البدنية أو النفسية أو العقلية»، وقرر العقاب على التحريض غير المتبوع بأثر على جريمة الاتجار بالبشر حيث قدر أن هذا التحريض قد يكون منصبًا مباشرة على المجني عليه، وهو ما نصت عليه المادة (10) بقولها « يعاقب بالسجن كل من حرض بأية وسيلة علي ارتكاب جريمة من الجرائم المشار إليها في المواد السابقة ولو لم يترتب علي التحريض أثر» [68]، ووفقاً للمادة (5) من مشروع القانون يُعاقب كل من ارتكب جريمة الإتجار بالبشر بالسجن وبغرامة لا تقل عن عشرة ألف دينار ولا تجاوز خمسين ألف دينار أو بغرامة مساوية لقيمة ما عاد عليه من نفع أيهما أكبر.

2- العقوبات البسيطة وصفة الجاني وصلته بالمجني عليه:

- وقوع الجريمة من موظف عمومي: قررت المادة (12) ويقابلها المادة (13) من مشروع القانون الليبي بقولها « يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز عشرين ألف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من علم بارتكاب أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون أو بالشروع فيها ولم يبلغ السلطات المختصة بذلك، فإذا كان الجاني موظفاً عاماً ووقعت الجريمة إخلالا بواجبات وظيفته كان الحد الأقصى للحبس خمس سنوات. وللمحكمة الإعفاء من العقاب إذا كان المتخلف عن الإبلاغ زوجاً للجاني أو كان من أحد أصوله أو فروعه أو إخوته [69]. كما قررت المادة (7) بأنه «يُعاقب بالسجن كل من استعمل القوة

(67) أنظر: المادة (7) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.
(68) أنظر: المادة (8،9) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.
(69) أنظر: المادة (12) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

أو التهديد أو عرض عطية من أي نوع أو وعد بشيء من ذلك لحمل شخص آخر على الإدلاء بشهادة زور أو كتمان أمر من الأمور أو الإدلاء بأقوال أو معلومات غير صحيحة في أي مرحلة من مراحل جمع الاستدلالات أو التحقيق أو المحاكمة في إجراءات تتعلق بارتكاب أية جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون»، وفي شأن من أخفى أخذ الجناة أو الأشياء أو الأموال المتحصلة من أي من الجرائم قررت مادة)8) بأنه «يُعاقب بالسجن كل من أخفى أخذ الجناة أو الأشياء أو الأموال المتحصلة من أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون أو تعامل فيها، أو أخفى أياً من معالم الجريمة أو أدواتها مع علمه بذلك. ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقاب إذا كان من أخفى الجناة زوجاً أو أحد أصوله أو فروعه»، وفي حالة من أفصح أو كشف عن هوية المجني عليه أو الشاهد بما يعرضه للخطر قررت المادة 9 بأنه « يُعاقب بالسجن كل من أفصح أو كشف عن هوية المجني عليه أو الشاهد بما يعرضه للخطر، أو يصيبه بالضرر، أو سهل اتصال الجناة به، أو أمده بمعلومات غير صحيحة عن حقوقه القانونية بقصد الإضرار به أو الإخلال بسلامته البدنية أو النفسية أو العقلية.»

3- وفي شأن الشروع: قررت المادة (10) بأنه « يُعاقب على الشروع في ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون بما لا يجاوز نصف الحد الأقصى للعقوبة المقررة لها فإذا كان فعل الشروع يشكل جريمة مستقلة يُعاقب الجاني بالعقوبة المقررة له»، وقررت المادة (12) بقولها «يلتزم سائقي المركبات الآلية وشركات النقل البرية أو البحرية أو الجوية من التحقق من حمل المسافرين لوثائق صحيحة لدخول الاراضي الليبية. ويعاقب بالسجن كل من نقل شخص مُتجر به، على أحد وسائل النقل البرية أو البحرية أو الجوية، عند علمه بوضعية الضحية ولو لم يكن عالماً بنوع الاستغلال. كما يلتزم الناقل بنفقات إعادة الضحايا الأجانب إلى دولهم الأصلية أو المقيمين فيها»[70]

4- العقوبات التكميلية: (المصادرة): وهو ما قررته المادة بب (13) بقولها» يحكم في جميع الأحوال بمصادرة الأموال أو الأمتعة أو وسائل النقل أو الأدوات المتحصلة من أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون، أو التي استعملت في ارتكابها، مع عدم الإخلال بحقوق الغير حسن النية»[71]

5- انقضاء الدعوى: قررت المادة (14) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م بأنه» لا تنقضي الدعوة الجنائية في جرائم الإتجار بالبشر المنصوص عليها في هذا القانون بمضي المدة، كما أنه إذا ارتكبت عدة جرائم متباينة عوقب الفاعل عن كل جريمة على حدا ولو توافرت فيها أحكام الارتباط المنصوص عليها في الفصل السادس من قانون العقوبات بقولها « مع عدم الإخلال بحقوق الغير حسن النية يحكم في جميع الأحوال بمصادرة الأموال المتأتية أو وسائل النقل أو الأدوات المتحصلة من أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون، أو التي استعملت في ارتكابها».

6- الاعفاء من العقوبة: وضع المشرع عدة ضوابط وحالات الاعفاء من العقوبة وهو ما قررته المادة (15) بقولها» إذا بادر أحد الجناة بإبلاغ أي من السلطات المختصة بالجريمة ومرتكبيها قبل علم السلطات بها، تقضي المحكمة بإعفائه من العقوبة إذا أدى إبلاغه إلى ضبط باقي

(70) أنظر: المواد (7، 8، 9، 10، 12) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر.
(71) أنظر: المادة (13) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 ك الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

الجناة والأموال المتحصلة من هذه الجريمة. وللمحكمة الإعفاء من العقوبة الأصلية، إذا حصل الإخبار بعد علم السلطات بالجريمة وأدى إلى كشف باقي الجناة وضبطهم وضبط الأموال المتحصلة منها. ولا تنطبق أي من الفقرتين السابقتين إذا نتج عن الجريمة وفاة المجني عليه أو إصابته بمرض لا يرجى الشفاء منه أو بعاهة مستديمة»[72]، وهو ما قررته المادة (16) بقولها» يُعفى من العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون كل من بادر من الجناة بإبلاغ السلطات المختصة بما يعلمه عن الجريمة قبل البدء في تنفيذها وكان من شأن ذلك اكتشاف الجريمة قبل وقوعها أو ضبط مرتكبها أو مرتكبيها أو الحيلولة دون وقوعها قبل علم السلطات بها. ويجوز للمحكمة الإعفاء من العقوبة الأصلية، إذا حصل الإخبار بعد علم السلطات بالجريمة وأدى إلى كشف باقي الجناة وضبطهم وضبط الأموال المتحصلة منها. ولا تنطبق أي من الفقرتين السابقتين إذا نتج عن الجريمة وفاة المجني عليه أو إصابته بمرض لا يرجى الشفاء منه أو بعاهة مستديمة»[73]

باستقراء النص القانوني يتبين لنا أن المشرع لم يحدد في أي مرحلة يكون الإبلاغ فيها، وهنا يستفيد الجاني ولو كانت الجريمة في مرحلة الشروع، ولكن بشرط ألا يترتب على الجريمة وفاة المجني عليه أو إصابته بمرض لا يرجى الشفاء منه أو بعاهة مستديمة.

1- امتداد نطاق الجريمة خارج الدولة :قررت المادة (16) مع مراعاة حكم المادة (4) من قانون العقوبات، تسري أحكام هذا القانون على كل من ارتكب خارج جمهورية مصر العربية من غير المصريين جريمة الاتجار بالبشر المنصوص عليها في المادتين 5 و6 منه، متى كان الفعل معاقبا عليه في الدولة التي وقع فيها تحت أي وصف قانوني، يقابلها المادة (17) من مشروع القانون الليبي، وذلك في أي من الأحوال الآتية: إذا ارتكبت الجريمة على متن وسيلة من وسائل النقل الجوي أو البري أو المائي وكانت مسجلة لدى جمهورية مصر العربية أو تحمل علمها. إذا كان المجني عليهم أو أحدهم مصرياً. إذا تم الإعداد للجريمة أو التخطيط أو التوجيه أو الإشراف عليها أو تمويلها في جمهورية مصر العربية. إذا ارتكبت الجريمة بواسطة جماعة إجرامية منظمة تمارس أنشطة إجرامية في أكثر من دولة من بينها جمهورية مصر العربية. إذا كان من شأن الجريمة إلحاق ضرر بأي من مواطني جمهورية مصر العربية أو المقيمين فيها، أو بأمنها، أو بأي من مصالحها في الداخل أو الخارج. إذا وجد مرتكب الجريمة في جمهورية مصر العربية، بعد ارتكابها ولم يتم تسليمه [74]

**الفرع الثاني: مسؤولية الشخص الاعتباري:**

عالج المشرع المصري مسئولية الشخص الاعتباري في المادة (11) من قانون مكافحة الاتجار بالبشر التي خلت من عقوبة الحل كعقوبة يمكن الحكم بها على الشخص الاعتباري الذي يرتكب أحد الأفعال المكونة لجريمة الاتجار بالبشر باسمه أو لحسابه بواسطة ممثليه[75]- يقابلها نص المادة (11) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر- حيث تناولت المادة(11) مسؤولية الإدارة الفعلية للشخص الاعتباري بقولها «يعاقب المسئول عن

(72) أنظر: المادة (15) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.
(73) أنظر: المواد (16) من مشروع القانون الليبي بشأن مكافحة الاتجار بالبشر.
(74) أنظر: المادة (16) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.
(75) أنظر: المادة (11) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

الإدارة الفعلية للشخص الاعتباري إذا ارتكبت أية جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون بواسطة أحد العاملين في الشخص الاعتباري باسمه ولصالحه، بذات العقوبات المقررة عن الجريمة المرتكبة إذا ثبت علمه بها أو إذا كانت الجريمة قد وقعت بسبب إخلاله بواجبات وظيفته. ويكون الشخص الاعتباري مسئولا بالتضامن عن الوفاء بما يحكم به من عقوبات مالية وتعويضات إذا كانت الجريمة قد ارتكبت من أحد العاملين به باسمه ولصالحه، وتأمر المحكمة في الحكم الصادر بالإدانة بنشر الحكم على نفقة الشخص الاعتباري في جريدتين يوميتين واسعتي الانتشار، ويجوز للمحكمة أن تقضي بوقف نشاط الشخص الاعتباري لمدة لا تجاوز سنة[76]،وهذه العقوبة جوازيه اختيارية يرجع تقديرها لمحكمة الموضوع التي لها أن تأخذ بها أو تطرحها جانبًا، وبناءً عليه يتصور مصادرة أموال الشخص المعنوي، دون الإخلال بمبدأ الدستورية ، وتشمل المصادرة كافة الأموال المكونة للذمة المالية من رؤوس أموال وأرباح متحصله من الجريمة[77]

**باستقراء ما سبق يتبين لنا** أن المشرع المصري والليبي قد استهدف جميع الأطراف المتورطة في جريمة الاتجار بالبشر، حيث أقام مسئولية الأشخاص الطبيعية والمعنوية، ولم يأخذ بمسئولية الشخص الاعتباري الجنائية كأصل عام، إلا أنه أخذ كاستثناء في بعض الجرائم، كما هو الحال بالنسبة لجريمة الاتجار بالبشر، كما أقر مسئولية المحرض على التحريض ولو لم يترتب عليه أي أثر، كما أقر مسئولية الجاني الفرد أو الجاني الذي يتخذ شكل جماعة إجرامية منظمة أو كان أحد أعضائها.

**وقد باتَ واضحاً** أن المشرعين المصري والليبي متوافقين مع المعايير الدولية في توصيف الأفعال الجنائية الأساسية التي تُعتبر أساساً تقوم عليه جرائم الاتّجار.

## الخاتمة:

تعتبر ظاهرة الإتجار بالبشر هي إحدى الظواهر العالمية التي يحاول المجتمع الدولي مكافحتها بقدر الإمكان، ومن ثم توصلت الدراسة لعدة نتائج وتوصيات تتمثل في الآتي:

## النتائج:

1. عنيت المُنظمات الدوليّة والإقليميّة بمواجهة هذه الجريمة، ومن أهم هذه الجهود الدولية البروتوكول الخاص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالبشر وخاصة النساء والاطفال لعام 2000 م، المكمل لاتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية (بروتوكول باليرمو) وتعتبر الأساس القانوني لتعريف جريمة الإتجار بالبشر وتحديد مفهومها.
2. جرائم الاتجار بالبشر تعتبر من أخطر الجرائم التي تستهدف كرامة الإنسان وحقوقه.
3. تتنوع وسائل السلوك الاجرامي في ارتكاب جرائم الاتجار بالبشر منها ما يقع بوسيلة قسرية، وأخرى بوسائل غير قسرية، كما صور عديدة وأهم هذه الصور الاستغلال الجنسي والجسدي.
4. الركن المعنوي لجرائم الاتجار بالبشر يتمثل في الصلة النفسية بين السلوك وبين من قام

(76) أنظر: المادة (9،10،8) من القانون المصري رقم 64 لسنة 2010 الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

(77) د. فائزة يونس الباشا، الجريمة المنظمة في ظل الاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى عام 20010، ص332.

به الجاني، وتعتبر الإرادة التي تتوافق وتعاصر ماديات الجريمة وتبعثها إلى الوجود هي التعبير الصحيح عن الركن المعنوي في الجريمة على العموم.

## التوصيات:

1. يجب على المشرع الليبي التصديق على مشروع القانون الليبي لسنة 2013 بشأن مكافحة الاتجار بالبشر في أقرب وقت ممكن.
2. تعزيز التعاون الدولي، والإقليمي، والمحلي، وتكثيف الجهود مع الدول التي تنشط فيها تلك الظاهرة أكثر من غيرها.
3. تأهيل وتدريب الجهات الأمنية على مكافحة الإتجار بالأشخاص، من خلال عقد الدورات.
4. إنشاء مراكز إيواء ودور رعاية وتأهيل المجني عليهم، وتوفير العلاج النفسي والبدني لضحايا جرائم الاتجار بالبشر.
5. الوفاء بالالتزامات الدولية التي تم التوقيع عليها وذلك من خلال إصدار قانون بمعايير مقبولة دوليًا.
6. العمل على تحسين الظروف المجتمعية مثل التعليم، ومحاربة البطالة والفقر، وخلق فرص للعمل، وخلق فرص حياة كريمة، ورفع الوعي العام بهذه الظاهرة وخطورتها.

**تم بحمد الله وعونه.**

## المراجع:


**أولاً: القرآن الكريم:**

**ثانياً: المعاجم:**

1) الطاهر أحمد الرازي، ترتيب القاموس المحيط، باب التاء، مادة ت ج ر، يتجر تجرا أو تجارة، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م.

2) الزيات، احمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، الجزء الأول، 1972م.

3) النووي، صحيح مسلم،1991م، كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، الجزء السابع، بيروت، لبنان.

4) لسان العرب، المجلد الخامس، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

**ثالثاً: المراجع العامة:**

1) د. أبو العلا على أبو العلا النمر، الإثبات الجنائي، دراسة تحليلية لتحديد موطن القوة والضعف في الدليل الجنائي، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، عام1997م.

2) د. أحمد شوقي أبو خطوة، شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات، دار النهضة العربية، 1999م.

3) د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة 1996 م.

4) د. المتولي الشاعر، تعريف الجريمة وأركانها من وجهة نظر مستحدثة، دار الكتب القانونية، 2004م.

5) د. حسن صادق المرصفاوي، المرصفاوي في قانون العقوبات الخاص، منشاة المعارف الاسكندرية،1978 م.

6) د. رؤوف عبيد، السببية في القانون الجنائي، ط، القاهرة 1974 م.

7) د. رؤوف عبيد، شرح قانون العقوبات التكميلي، ط 5، دار الفكر العربي، القاهرة، عام 1997م.

8) د. شعبان محمود محمد الهواري، أدلة الإثبات الجنائي، دار الفكر والقانون، المنصورة، طبعة 2013 م، ص 31

9) د. عبد الرءوف مهدى، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، مطابع روزاليوسف، عام 2008 م.

10) علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1988 م.

11) د. غنام محمد غنام وتامر محمد صالح، قانون الجزاء، القسم العام، نظرية الجريمة.

12) د. فوزيه عبد الستار، شرح قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، ط 1986م.

13) د. مأمون محمد سلامه، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى جـ2، عام 1391ه-1971 م.

14) د. محمد رمضان باره – شرح الأحكام العامة لقانون العقوبات الليبي – الجزء الأول – الأحكام العامة للجريمة - الشركة الخضراء للطباعة والنشر – عام 2010 ف.

15) د.محمود محمود مصطفى، قانون العقوبات، القسم العام، ط 10، دار النهضة العربية، القاهرة ،عام 1983 م.

**رابعاً: المراجع المتخصصة:**

1) إبراهيم محمد عبد العزيز. آليات المنظمات الاجتماعية الحكومية والأهلية في موجهة مشكلة الاتجار بالأطفال، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م.

2) د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991م.

3) المبارك، ياسر عوض الكريم، ونور عثمان الحسن محمد، الهجرة غير المشروعة والجريمة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض- السعودية، 2008م.

4) أميرة محمد البحيري، الاتجار بالبشر وبخاصة الأطفال من وجهة النظر العلمية والنفسية والاجتماعية والقانونية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011م.

5) حامد سيد محمد حامد، الاتجار في البشر كجريمة منظمة عابرة للحدود الوطنية بين الأسباب، التداعيات والرؤى الاستراتيجية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ط 01،2001 م.

6) خالد بن محمد سليمان المرزوق، جريمة الاتجار بالنساء والأطفال وعقوباتها في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض- السعودية. 2005م.

7) د. رامي متولي القاضي، مكافحة الإتجار بالأعضاء البشرية، في التشريع المصري والمقارن، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، 2011م.

8) د. سوزي عدلي ناشد، الاتجار في البشر بين الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي، المكتبة

القانونية، القاهرة، 2005م.

9) عادل ماجد، مكافحة جرائم الإتجار بالبشر في الاتفاقيات الدولية والقانون الوطني لدولة الإمارات، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2006م.

10) د. عبدالرؤوف مهدي، المسؤولية الجنائية في الجرائم الاقتصادية، مطبعة المدني، 1976م.

11) د. عبدالعظيم مرسي وزير، افتراض الخطأ كأساس للمسؤولية الجنائية، دار النهضة العربية، 1988م.

12) د. عبد القادر الشيخلي، جرائم الإتجار بالأشخاص والأعضاء البشرية وعقوباتها في الشريعة والقوانين العربية والقانون الدولي، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2009م.

13) د. فائزة يونس الباشا، الجريمة المنظمة في ظل الاتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى عام 20010م.

14) د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، دار النهضة العربية، القاهرة 2012م.

15) د. محمد علي العريان، عمليات الإتجار بالبشر وآليات مكافحته، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011م.

16) د. محمد نور الدين سيد عبد المجيد، جريمة بيع الأطفال والإتجار بهم، دار النهضة العربية، القاهرة 2012م.

17) هشام عبد العزيز مبارك، 2010م، الاتجار بالبشر بين الواقع والقانون، بحث علمي منشور ومحكم في الأكاديمية الملكية للشرطة في وزارة الداخلية مركز الإعلام الأمني البحرين.

18) يوسف حسن يوسف، جريمة بيع الأطفال والاتجار بالبشر، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2017م.

**خامساً: الدوريات والمجلات العلمية:**

1) أكرم عبد الرزاق جاسم المشهداني، جرائم الاتجار بالبشر، نظرة في أبعادها القانونية والاجتماعية والاقتصادية، منشورات المنظمة العربية للتنمية، الإدارية بحوث ودراسات، القاهرة، عام2014 م.

2) خالد بن محمد سليمان المرزوق، جريمة الاتجار بالنساء والأطفال وعقوباتها في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، عام2005م.

3) د. عبد الرحمن خلف، ورقة عمل حول الاتجار بالبشر كإحدى صور الإجرام المنظم، ندوة الاتجار بالبشر بين التجريم وآليات المواجهة، مركز بحوث الشرطة، أكاديمية الشرطة، القاهرة، 2010/6/20م.

4) د. فتحية محمد قوراري، لمواجهة الجنائية لجرائم الاتجار بالبشر، دراسة في القانون الإماراتي المقارن، مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، عدد (40) أكتوبر 2009 م.

5) د. محمد أحمد محمد النونة المخلافي، الأحكام الجنائية لجرائم الإتجار بالبشر» دراسة قانونية في مشروع قانون مكافحة الإتجار بالبشر اليمني والتشريعات العربية»، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد13، المجلد15.

6) نـوال مجـدوب، الاتجـار بالبشـر كصـورة مـن صـور الإجـرام المنظـم، مجلـة الباحـث للدراسـات القانونيـة والقضائيـة، مجلـة الكترونيـة، عـدد(4)، 2018م.

7) هشـام عبـد العزيـز مبـارك، الاتجـار بالبشـر بيـن الواقـع والقانـون، مركـز الإعـلام الأمنـي البحريـن، الأكاديميـة الملكيـة للشـرطة فـي وزارة الداخليـة، عـام 2010م.

**سادساً: التشريعات والقوانين:**

1) قانون العقوبات الليبي الصادر بتاريخ 28 فبراير لسنة 1953م.

2) مشروع القانون الليبي لسنة 2013م بشأن مكافحة الاتجار بالبشر.

3) القانون المصري رقـم (64) لسنة 2010 م الصادر بتاريخ 9 / 5 / 2010م.

**ثامناً: الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية:**

1) البروتوكول الخاص بمنـع وقمـع ومعاقبـة الاتجـار بالبشـر وخاصـة النسـاء والاطفـال لعـام 2000 م، المكملـة لاتفاقيـة مكافحـة الجريمـة المنظمـة العابـرة للحـدود الوطنيـة (بروتوكـول باليرمـو).

2) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948م.

# أهمية وسائل الاتصال في الحد من ظاهرة الطلاق

إعداد:

د. علي سالم عاشور

أستاذ مساعد - قسم الإعلام - كلية الآداب - الجامعة الأسمرية الإسلامية - زليتن

الاستلام: 2.4.2024 القبول: 15.5.2024

**المستخلص:**

تناولت هذه الورقة البحثية أهمية وسائل الاتصال والإعلام في الحد من ظاهرة مجتمعية تزايدت في السنوات الأخيرة في مجتمعنا الليبي، وهي ظاهرة الطلاق، مع تسليط الضوء على دور وسائل الاتصال في زيادة انتشار هذه الظاهرة، وكذلك الوعي بخطورتها وحماية الأسر من مسبباتها، وذلك بمعرفة آثارها في الفرد والأسرة والمجتمع، وكيفية الاستفادة من وسائل الاتصال التقليدية والحديثة للحد من ظاهرة الطلاق داخل المجتمع الليبي، وتحديد الأدوار الذي يمكن أن تؤديها تلك الوسائل الاتصالية في هذه المهمة.

**الكلمات المفتاحية:** وسائل الإعلام - المرأة - الطلاق - الزواج والطلاق.

**Research Summary:**

This research paper discussed the importance of means of communication and media in reducing a societal phenomenon that has increased in recent years in Our Libyan society, which is the phenomenon of divorce, while highlighting the role of means of communication in increasing the spread of this phenomenon, as well as awareness of its danger and protecting families from its causes, by knowing its effects on The individual, family and society, and how to benefit from traditional and modern means of communication to reduce the phenomenon of divorce within Libyan society, and determine the roles that these means of communication can play in this task.

**Keywords:** media - women - divorce - marriage and divorce.

**تقديم وتقسيم:**

تعد ظاهرة الطلاق من بين الظواهر الاجتماعية والإنسانية التي تعاني منها المجتمعات البشرية عامة والعربية والإسلامية على وجه الخصوص، إذ أنها ذات صلة وثيقة بالمكون الأساسي للمؤسسة الاجتماعية الأهم والأبرز في المجتمع، وهي الأسرة، فتؤثر فيها وفي أدوارها الكبيرة والمتعددة من تربية وتعليم وتثقيف وتوجيه، كما أنها -ظاهرة الطلاق- تؤثر في الأبناء والمجتمع بأسره، نتيجة لارتباطها باعتدال أفراد المجتمع وانحرافهم من حيث السبب والمسبب.

والمجتمع الليبي كغيره من المجتمعات التي تعاني من تبعات وآثار هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك يتضح بشكل واضح وجلي من الاحصائيات التي تصدرها المحاكم الليبية المختصة، إذ

تبين تلك الاحصائيات ارتفاع نسبة الطلاق في مختلف المدن الليبية، وهو ما يمثل مؤشرات خطيرة تضرب نظام الأسرة بل والنظام الاجتماعي الليبي في مقتل، فهو يسبب العداوة والبغضاء بين أفراد عائلات المجتمع، ناهيك عن الأثار التي يخلفها الطلاق في الأبناء وما قد يتعرضون له في ظل تشتت الأسرة.

وانطلاقًا من أن استقرار الأسرة هو استقرار المجتمع بأسره، لاسيما وأنها نواته الأساسية المكونة له، وبالتالي مزيداً من الانتاج والعمل البناء، لذلك فإن أحد أهم الأجهزة المعنية بمحاربة هذه الظاهرة في المجتمع الليبي هي وسائل الاتصال، خاصة وأنها أحد أهم أسباب زيادتها في مجتمعنا المحلي، فقد توغلت وسائل الاتصال في حياتنا بشكل كبير وسريع، حتى أننا لم نعد نستطيع طردها أو حتى التخفيف من شدة تأثيرها وتحكمها فينا، وهو ما يستدعي دراسة مدى أهمية تلك الوسائل في الحد من حالات الطلاق المجتمع، كما أن التخفيف من هذه الظاهرة الهدامة تقع ضمن الاهتمامات الأساسية للباحثين المنشغلين بهموم الوطن المختلفة، لتقديم النصح والمشورة المبنية على الحقائق العلمية لأصحاب القرار في البلاد، وذلك من خلال معرفة الأسباب والأثار ووصف بعض التوصيات التي قد ترى النور من حيث التطبيق. لهذا تأتي هذه الورقة لمعرفة علاقة وسائل الاتصال بظاهرة الطلاق، والكشف عن أهمية هذه الوسائل في الحد من هذه الظاهرة، وقد تم تقسيمها –الورقة- إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة، والذي يضم إشكالية الدراسة، أهميتها وأهدافها، ومنهجية الدراسة والأدوات التي استخدمتها.

المبحث الثاني: وسائل الاتصال والطلاق «المفاهيم والأسباب» والذي تم التطرق فيه لماهية وسائل الاتصال والإعلام، وأهميتهما للفرد والأسرة والمجتمع، وأسباب الطلاق وآثاره.

المبحث الثالث: وسائل الاتصال وعلاقتها بظاهرة الطلاق، وذلك من حيث: دور وسائل الاتصال في زيادة انتشار ظاهرة الطلاق، وآليات وسائل الاتصال في الحد من هذه الظاهرة في المجتمع.

## المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة:

### - إشكالية الدراسة:

تعد ظاهرة الطلاق من الظواهر المعقدة التي تصيب المجتمعات في العصر الحديث، لما لها من تأثيرات كبيرة في الأم والأب والأبناء، بل وفي المجتمع أيضًا، إذ يحدث الطلاق عندما يفشل الزوجين في توفير نوع من الإنسام والتفاهم بينهما، لهذا تنعدم إمكانية وجود سبب للتعايش للبقاء معاً ولو بالحدود الدنيا، بعد محاولات كثيرة بسبل وطرق متعددة عسى أن يتم التوصل لحل خلافات الزوجين، لكن ما إن يحدث الطلاق حتى تتخلخل الحالة النفسية للزوجين وعائلاتهما، وبالتالي تنهار اللبنة الأولى والأساسية للمجتمع وهي الأسرة، وإذا ما استفحلت ظاهرة الطلاق في أي مجتمع فإنه يتعرض للتصدع، ويتمزق نسيجه الاجتماعي، ويتشرد الأبناء لعدم وجود الرعاية الأسرية الكاملة، فيحصل الفشل في المدرسة، والتهرب المدرسي، ثم تكثر الظواهر الهدامة تباعاً داخل المجتمع التي تنتشر فيه حالات الطلاق بكثرة... فتنتشر الجريمة، وتكثر أوكار الخمور، ويزداد مروجي المخدرات ومتعاطيها... وغيرها من المشكلات التي تنتج عن ظاهرة الطلاق.

كما أن هناك زيادة مخيفة في معدلات الطلاق في المجتمع الليبي، حيث وصل عدد حالات الطلاق إلى (10852) حالة في سنة 2017م فقط،[1] وهو ما ينذر بوقوع كارثة اجتماعية حقيقية إذا ما استمرت الزيادة في السنوات القريبة القادمة، لهذا فإنه لزاماً على كافة المؤسسات الحكومية وغير الحكومية داخل الدولة، سيما مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة، المسجد، المدرسة، وخاصة وسائل الاتصال؛ لما تمتلكه هذه الأخيرة من خصائص وإمكانيات تكنولوجية متنوعة تساعدها في التأثير على الجانب المعرفي والوجداني والسلوكي للفرد-، عليها جميعاً القيام بواجبها، والتعامل مع هذه الظاهرة، لمعرفة مسبباتها؛ للحد منها ومكافحتها بالطرق الصحيحة والناجعة.

وانطلاقاً من أن تحديد إشكالية الدراسة يعد مطلباً علمياً ضرورياً لأي عمل علمي، فقد قام الباحث ببلورة إشكالية دراسته هذه في التساؤل الرئيس الآتي:

ما أهمية وسائل الاتصال في الحد من ظاهرة الطلاق؟.

**- أهمية الدراسة وأهدافها:**

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها، إذ أن ظاهرة الطلاق من الظواهر المهددة للأمن الاجتماعي للمجتمعات، ومؤخرةً لتنميتها، ومزعزعة لاستقرار نسيجها الاجتماعي، لذلك فدراسة هذه الظاهرة من الجانب الإعلامي يعد خطوة مهمة في اتجاه مقاربة التوعية بمخاطر انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الليبي، كما أن هذه الدراسة تستمد أهميتها من أهمية وسائل الاتصال والإعلام في المجتمع، ومدى قوة تأثيرها في الفرد والأسرة والمجتمع كله، خاصة فيما يتعلق الأمر بدراسة وتبيان علاقتها بالظواهر الاجتماعية التي تحدث للأسرة، تحديداً فيما يختص بظاهرة الطلاق فيها، والتي انتشرت في ليبيا بشكل كبير في السنوات الأخيرة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة يمكن أن توفر معلومات متخصصة حول علاقة وسائل الاتصال بظاهرة الطلاق من شأنها أن تكون أرضية علمية لإجراء عدد من البحوث في هذا الشأن مستقبلاً، ناهيك عن إمكانية استفادة الجهات المعنية بمعالجة ومكافحة ظاهرة الطلاق في المجتمع الليبي من النتائج العلمية التي توصلت إليها هذه الدراسة في الحد منها، ومن تلك الجهات: على سبيل التذكير فقط: ( وزارة الشؤون الاجتماعية- وزارة الاوقاف- وزارة التربية والتعليم- وزارة الإعلام- والهيئات المتصلة بالمرأة- ومؤسسات المجتمع المدني- المجالس الحلية في البلديات- النقابات والأحزاب..... وغيرها ).

أما فيما يتعلق بأهداف الدراسة، فيمكن حصرها في النقاط الآتية:

1. التعريف بوسائل الاتصال، وبيان أهميتها للفرد والأسرة والمجتمع.
2. تحديد أهم الأسباب المؤدية للطلاق، ومعرفة آثاره.
3. معرفة كيفية مساهمة وسائل الاتصال في زيادة انتشار ظاهرة الطلاق.
4. الكشف عن أهم آليات وسائل الاتصال في الحد من ظاهرة الطلاق.

(1) احصائية إدارة تقنية المعلومات والتوثيق- لسنة 2019م. وزارة الداخلية طرابلس.

**- منهجية الدراسة وأدواتها:**

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية الكيفية، التي تهدف إلى تصوير وتحليل وتقييم خصائص ظاهرة معينة، أو موقف يغلب عليه صفة التحديد،[2] ولا تقف عند جمع المعلومات والبيانات والحقائق فحسب، بل تتجه إلى تصنيف هذه الحقائق وتلك المعلومات وتحليلها وتفسيرها؛ لاستخلاص دلالتها العامة والخاصة، بهدف الوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها،[3] باعتبار المنهج الكيفي الأنسب لصياغة أراء علمية تؤسس لبحوث ودراسات استشرافية، من خلال أسلوب التحليل من المستوى الثاني«Secondary Data Analysis» الذي يسمى أيضاً «Meta-Analysis»، حيث يسمح بالتحليل الكيفي المعمق للتراث العلمي من البحوث والدراسات السابقة، ولا يهتم بالأساليب الإحصائية في دراسة الظاهرة.

لذلك فإن هذه الدراسة تهتم بدراسة ظاهرة الطلاق وتبيان علاقتها بوسائل الاتصال، والكشف عن كيفية الاستفادة من وسائل الاتصال في الحد من هذه الظاهرة في المجتمع الليبي، لهذا فقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمناقشة الآراء والأفكار حول موضوع الدراسة، للوصول إلى نتائج يمكن الوثوق فيها وتعميمها.

أما في ما يتعلق بأدوات جمع البيات والمعلومات هذه الدراسة، فقد استخدم الباحث أداة التحليل من المستوى الثاني « Meta-Analysis» للبحوث المنشورة المتعلقة بموضوع الدراسة، حيث تم الاعتماد على مجموعة من المراجع العلمية، من كتب متخصصة وبحوث علمية، وأطروحات دكتوراه ورسائل ماجستير، بالإضافة إلى عدد من المواقع الإلكترونية التي تناولت وجهات نظر حول موضوع الدراسة.

## المبحث الثاني: وسائل الاتصال وظاهرة الطلاق «المفاهيم والأسباب»:

### المطلب الأول: وسائل الاتصال «مقاربة المفهوم والأهمية»:

تتعدد وسائل الاتصال بحيث يصعب في الوقت الحاضر حصرها جميعاً، لاسيما بعد انفجار ثورة الاتصالات، لكن لا بد أولاً التفرقة بين مصطلحي الاتصال والإعلام لكي يمكننا التمييز بين كل منهما، لاسيما في الوسائل التي تتبع كل منهما، فهناك من يخلط بين المفهومين على أنهما نفس المفهوم، رغم أن الاتصال هو الأب الشرعي لمصطلح الإعلام، ومثلما أن هناك فروقاً جوهرية بينهما، فإن لهذين المفهومين بعضاً من الصفات المشتركة.

فأول الصفات المشتركة بين مصطلحي الاتصال والإعلام هي أن كلاهما نشاط اتصالي إنساني، وكلاهما يهدف إلى توصيل رسالة عبر وسيلة، وهما عملية اتصالية لها عناصرها المعروفة (المرسل – الرسالة – الوسيلة – المستقبل – التأثير – رجع الصدى)، بالإضافة إلى ذلك فهما عملية مقصودة محددة الأهداف، إذ أنها ليست عبثية وعشوائية.

أما فيما يتعلق بالفروق التي يجب الإفصاح عنها، فأهمها: أن مصطلح الاتصال هو أعم وأشمل وأكبر من مصطلح الإعلام، حيث إن الإعلام ما هو إلا جزءٌ من الاتصال، هذا الأمر يفرض علينا تحديد أو تبني مفهوم كل منهما؛ لتتضح الصورة لمن على عينه غشاوة، رغم معرفتنا مسبقاً أنه لا يوجد اتفاق تام بين الباحثين على مفهوم واحد لكل منهما، فالإعلام

(2) أحمد بدر الدين: أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1996م، ص32.

(3) محمد شفيق: البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001م، ص 108.

هو نقل الأخبار والحقائق والأفكار والمعلومات والبيانات بواسطة وسيلة من وسائل الإعلام الجماهيرية التي نعرفها اليوم «الصحافة والإذاعتين المسموعة والمرئية والإنترنت» إلى جمهور متلق، لتحقيق أهداف محددة، أما الاتصال فهو نشاط إنساني يمكن أن يحدث بين الشخص ونفسه؛ فحين نفكر فإننا في عملية اتصال، وهو ما يسمى بالاتصال الذاتي، كذلك الاتصال الشخصي عندما يكون مع شخص أخر، واتصال جماهيري عندما يكون موجهاً إلى جماهير بواسطة وسيلة جماهيرية..... وهكذا، من هنا تتضح الصورة أن الاتصال هو أكبر وأشمل من الإعلام، وبالتالي فتستطيع أن تقول: هذا « اتصال جماهيري» عن ذلك الذي يكون بين مذيع في نشرة وجماهير تشاهده، ولكن لا تستطيع أن تقول هذا» إعلام ذاتي» عندما تكون في حالة تفكير.[4]

لذلك نجد أن وسائل الاتصال هي أكبر وأشمل من وسائل الإعلام، وإن كانت هناك صفات مشترك بينهما، لهذا فإن وسائل الاتصال المقصودة في هذه الدراسة **هي تلك الوسائل التي تقوم بتزويد الناس بالمعلومات والحقائق والأخبار لمساعدتهم على تكوين رأي حول قضية ما أو مسألة معينة،**[5] **وهي: (الصحافة الورقية والإلكترونية- الإذاعة المسموعة، والقنوات الفضائية- وشبكة الإنترنت بما فيها من مواقع إلكترونية، ووسائط متعددة، ومواقع التواصل الاجتماعي، وتطبيقاتها المختلفة)**، وقد برزت العديد من التقنيات الحديثة التي أضفت على الوسائل قوة إضافية فوق قوتها، لاسيما وأن لكل وسيلة من وسائل الاتصال والإعلام ما تتميز به من خصائص تختلف عن الأخرى، مما يجعل لها أهميتها ويمكنها من مخاطبة شريحة ما من شرائح المجتمع بشكل أفضل من غيرها،[6] وبالتالي تستطيع هذه الوسائل الفاعلة في أي مجتمع ترسيخ القيم، وتغيير الاتجاهات وتعديل السلوك، ونشر الأفكار، وتوضيح الآراء، وتعزيز أي سلوك إيجابي وتكريسه، وتهميش أي سلوك سلبي في نفس المجتمع.

لذلك فإن الحكومات بمؤسساتها المختلفة تعتمد على وسائل الاتصال في الوصول إلى جماهيرها المستهدفة، لنشر معلومات معينة، أو تحقيق أهداف محددة تراها ضرورية، خاصة وأن هذه الجماهير ليست شيئاً واحداً أو كلاً متشابهاً في طبيعته وصفاته ودوره، بل مختلفة ومتباينة إلى حد كبير في الصفات والأهداف والأفكار والقيم والاتجاهات والخلفيات والقناعات، لذا كان لزاماً على وسائل الاتصال والإعلام أن تغير من نظرتها لهذه الجماهير ككتلة واحدة إلى جماهير متشابكة ومعقدة، وبالتالي ينبغي عليها صياغة رسائل اتصالية مناسبة لكل شريحة من هذه الجماهير، بما يتناسب مع ميول هذه الشريحة وأفكارها دون غيرها من شرائح المجتمع،[7] واختيار وسيلة الاتصال المناسبة التي تستطيع أن تصل إلى الشريحة المراد ايصال مضمون الرسالة الاتصالية إليها.

وتنبع أهمية الاتصال والإعلام في حياة الأفراد من أهمية وظائفها التي تعددت وتنوعت بتنوع ميول ورغبات المستخدمين لها، فهي تقوم برفع المستوى الثقافي للأفراد والشعوب، وكذلك تقوم بنشر القيم الاجتماعية داخل الدولة، وتعرف العالم بحضارة وثقافة هذه الدولة ووجهات

(4) صحيفة الوطن الليبية، (2015/5/3م) ،ع 91، ص 16.

(5) علي مصطفي بن الأشهر: "دور وسائل الاعلام في إحياء التراث العلمي العربي الاسلامي " في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الإعلام العربي والجمهور، تونس، 1994م، ص 12.

(6) حسين عبد الجبار: اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011م، ص13.

(7) محمود عودة: أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، ط1، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م ص100.

نظرها في القضايا المختلفة،[8] ومع تنوع الوسائل وانتشارها على نطاق واسع تنوعت الوظائف التي تقوم بها في المجتمع أيضاً من: إخبار- وتوعية- تثقيف- توجيه- رقابة- الإعلان-تسويق- تعليم- التعارف الاجتماعي- .... وغيرها من الوظائف، لهذا فقد أضحت وسائل الاتصال والإعلام ذات أهمية كبيرة للفرد والأسرة والمجتمع، حتى أصبحت فيه كل مؤسسات الدولة تعتمد على وسائل الاتصال سواء بشكل كامل أو جزئي.

لذا ينبغي الاستفادة من الإمكانيات التي أصبحت متاحة بفضل تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ لدعم الوظائف الرئيسية التي تقوم بها وسائل الاتصال الإعلام خدمة للمجتمع، فلقد ألغت تكنولوجيا أقمار الاتصال عنصري الزمان والمكان مما سهل عملية التواصل الآني بين أجزاء العالم المختلفة، كما سهلت عملية نقل البيانات والمعلومات لتحقيق أهداف تسويقية وتجارية، تنعكس آثارها على الدول المتقدمة والنامية على السواء، علاوة على ذلك، فقد زادت من التطور الكمي والكيفي في أدوات الانتاج الاعلامي والثقافي، وشبكات توزيع المادة الإعلامية والثقافية، واستحداث وسائل للتعليم الذاتي والتعلم عن بعد.[9]

كما إن هذه الوظائف الرئيسية والمساعدة تعمل على حمل المجتمع إلى برّ الأمان والتطور والتقدم والنمو، ولكن يجب أن يكون التحرك بالاتجاه الإيجابي والابتعاد عن الاتجاه السلبي الذي تسببه هذه الوظائف،[10] وذلك بانتقاء الأفضل والمناسب مما يدور في شبكات الاتصال ووسائل الإعلام من معلومات وأفكار متولدة من برامج منوعة ومختلفة من حيث المصدر والمضمون والهدف.

والاتصال ببساطة هو عملية إرسال رسالة من مصدر إلى مستقبل بغرض إحداث تأثير،[11] لهذا فالإنسان يعيش في تجمعات بشرية، ولكي يتفاعل مع أقرانه لا بد له من أن يتصل بهم، حتى يستطيع تبادل الأخبار والمعلومات، الآراء، المشاعر، ... والتي توثر في حياته اليومية، لذلك يتميز المجتمع الإنساني بأنه مجتمع اتصالي؛ لأن الناس تحتاج إلى الاتصال بالآخرين لتسهيل أمور حياتهم.

وعندما نتحدث عن أهمية وسائل الاتصال والإعلام للفرد والأسرة والمجتمع، نجد أنه لا يمكن للإنسان في العصر الحديث أن يعيش بمعزل عن هذه الوسائل، وإن كان قد استطاع الاستغناء عن بعض منها، فإنه لا يستطيع الاستغناء عنها كلياً، إذ أنه وانطلاقاً من السؤال الذي طرحه عالم الاتصال المعروف (مارشال ماكلوهان) صاحب النظرية القرية العالمية، الذي يقول: «هل تدرك السمكة أنها مبتلة بالماء؟».[12] ويجيب العالم على تساؤله قائلاً: الجواب طبعاً لا، فالسمكة لا تدرك أنها مبللة بالماء؛ لأن البيئة التي تعيش فيها السمكة مغلفة بالماء (البيئة

(8) اسعاف محمد: وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في التنشئة الاجتماعية (دراسة ميدانية لدور الإعلام السوري في معالجة قضايا التنمية الاجتماعية)، (أطروحة دكتوراه)، دمشق، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، شعبة علم الاجتماع، 1996م، ص 111.

(9) شروق سامي فوزي: تكنولوجيا الإعلام الحديث، ط1، القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2015م، ص19.

(10) أشواق عبد الحسن الشاعري: الثقافة والتنمية البشرية (دراسة نظرية لبعض المتغيرات الثقافية)، ط1، بغداد: معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، 2008م ص35.

(11) حسن حمدي: مقدمة في دراسة أساليب ووسائل الاتصال، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1987م، ص66.

(12) مهدي محمد القصاص: دور الإعلام في تشكيل الوعي" دراسة سوسيولوجية لأجندة الإعلام في ظل العولمة"، جامعة المنصورة، كلية الآداب، مجلة كلية الآداب، ع47، 2010م، ص265.

المائية) إلى درجة أنها لا تشعر بالماء إلا في حالة الخروج منه.[13]

من هنا ندرك أن حال الأفراد في المجتمع المعاصر تماماً هو حال السمكة في علاقتهم بوسائل الاتصال والإعلام، إذ أن هذه الوسائل تتدخل تقريباً في كل مجالات الحياة اليومية، إلى درجة أننا لا نشعر بوجودها، ناهيك عن تأثيرها علينا وعلى حياتنا، إننا كالسمك في الماء، محاطين بوسائل الاتصال والإعلام من كل جانب، حيث تزودنا بكم هائل بالمعلومات، وتساعدنا على تخزينها واستقبالها وارسالها، وتسلينا وترفه عنا، وتحرك مشاعرنا، تتحدى ذكائنا، وأحياناً تحاول استغفال الناس وحتى خداع بعضهم، فهي باختصار شديد تسيطر علينا دون أن نشعر.

وعلى سبيل المثال نجد أن علاقة الفرد بالهاتف المحمول قوية إلى حد كبير، فهو أخر ما تقع عليه عينانا قبل النوم، وهو أول ما نراه بعد الاستيقاظ، كما أن أغلبنا لا يستطيع التخلي عنه ساعات دون أن يتردد عليه بين الحين والآخر؛ إما لمعرفة الجديد أو لتلقي أو إرسال رسالة، أو إجراء مكالمة هاتفية.

كما لا تقتصر أهمية وسائل الاتصال والإعلام على المستوى الفردي، بل تزداد أهميتها أيضاً على المستوى المجتمعي، إذ عظم اعتماد المجتمعات قاطبة على وسائل الاتصال بتقنياتها وابتكاراتها،[14] حيث أنه لا يمكن أن يتم تجاهل دور تقنيات الاتصال الحديثة في تنمية المجتمعات، وتحويلها من مجتمعات تقليدية إلى مجتمعات متقدمة بفضل تلك التقنيات، فأصبحت المؤسسات في المجتمع تعتمد بشكل كبير على هذه التقنيات، كالمصارف والبنوك والتجارة والصناعة، ناهيك عن دورها في مؤسسات التعليم والصحة والثقافة .... وغيرها من مؤسسات الدولة في هذا العصر، لهذا نجد أن الفرد والأسرة والمجتمع يتفاعلون (تأثيراً وتأثراً) بوسائل الاتصال وبمضامينها بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقد زاد اعتماد الأفراد على وسائل الاتصال لتلبية كثير من احتياجاتهم وإشباع رغباتهم، وتضاعف الوقت الذي يخصصه الفرد للتعامل معها، حتى صارت هذه الوسائل جزءًا من حياة المواطن، أياً كان تخصصه أو قدرته أو مستواه الثقافي أو الاجتماعي،[15] لاسيما بعد ثورة المعلومات التي تركت علامة فارقة في تاريخ الحضارة البشرية وتقدم الإنسان، حيث تميزت هذه الثورة بظهور قنوات اتصال جديدة لا تعرف حدودا ولا حواجز، فظهور البث الفضائي والانترنت، اللتان تحول بفضلهما العالم إلى غرفة واحدة صغيرة، ومكنت أي شخص من معرفة ما يجري على بعد آلاف الأميال منه، وهو جالس في هذه الغرفة المغلقة أمام شاشة التلفزيون أو جهاز الكمبيوتر، هذه المستجدات جعلت العالم أمام صناعة جديدة، إنها صناعة الإعلام الذي أصبح يفعل ما لا يستطيع أي جهاز في الدولة أن يفعله في جماهيرها، وإنه بقدر ما يكون الإعلام قوياً، ويمتلك الوسائل التقنية والبشرية المتطورة والقادرة على مجاراة عجلة التطور السريعة، بقدر ما تتحقق أهداف الرسالة الإعلامية، ويكون الإعلام بالنتيجة ناجحًا ومؤثرًا.[16]

لهذا أضحت وسائل الاتصال عصب التطور في عصرنا الراهن، شأنه شأن الزراعة والصناعة

(13) المرجع السابق، ص265.

(14) طارق الخليفي: سياسات الإعلام والمجتمع، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2010م، ص19.

(15) منى سعيد الحديدي وسلوى إمام علي: الإعلام والمجتمع، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004م، ص31.

(16) حسين عبد عواد الدليمي: دور الإعلام في تعزيز الأمن الفكري عند الشباب، العراق، جامعة الأنبار، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، س6، مج6،ع23، 2015م، ص-ص338-339.

والتعليم والاقتصاد، وأمسى تطور المجتمع وازدهاره، يعتمد على كمية المعلومات والتقنيات والموارد التي يمتلكها،[17] لذلك يبرز دور وسائل الاتصال في إيجاد نوع من الترابط بين أجزاء البناء الاجتماعي في المجتمع، سواء كانت تلك الأجزاء جماعات أو نظمًا ومؤسسات اجتماعية أو ثقافية فرعية، كما أنها يمكن أن تؤدي دورًا فعالاً في عمليات التحديث بالنسبة للمجتمعات، إلى جانب دورها المهم في الإسراع بعمليات التنمية والنهوض بها، رغم تباين أهدافها من مجتمع لآخر، بالإضافة إلى أن لوسائل الإعلام دوراً فاعلاً في النواحي الاجتماعية، وذلك من خلال نشر الوعي الجماهيري، والتوجيه وتنمية المعايير والقيم الاجتماعية، وتوجيه السلوك، وكيفية التحكم فيه، وتفسير الاتجاهات الاجتماعية، وترشيدها بما يتلاءم مع متطلبات العصر الحالي.[18]

وإذا ما تحدثنا عن مواقع التواصل الاجتماعي تحديداً، فإن لها أهمية قصوى في العصر الحديث لمختلف شرائح المجتمع، لاسيما المراهقين والشباب، كونهم أكثر شريحتين استخداماً لهذه المواقع، كما لها أدوار متعددة في حياة الأفراد والمجتمعات، فهي تقوم بتسهيل التواصل والتعارف بين الأفراد، وانعدام الوصاية في إخبار والتعبير والنشر،[19] كما أصبحت هذه المواقع ملاذاً للمستضعفين والأقليات،[20] وتساهم في نشر الوعي بمختلف القضايا المحلية والعالمية، وتساعد على سهولة وسرعة تداول المعلومات، وصقل المعرفة وزيادة الثقافة، ناهيك عن التسلية والترفيه التي توفره هذه المواقع لمستخدميها، والعمل على توسيع عملية التسويق الإلكتروني والتجارة الإلكترونية، من خلال الترويج للسلع والخدمات، كما أن هذه المواقع كسرت احتكار الدولة لوسائل الإعلام، وإتاحة فرصة للتعبير عن الذات للمستخدمين بكل حرية، لهذا فقد أصبحت هذه الوسائل منبراً من لا منبر له.[21]

**المطلب الثاني: ظاهرة الطلاق: «الأسباب والآثار»:**

تعتبر ظاهرة الطلاق أحد الظواهر الاجتماعية التي تتصف بالعالمية، إذ أنها لا تختص بمجتمع دون أخر، لكنها في السنوات الأخيرة ارتفعت بشكل مخيف في المجتمع الليبي، حيث أصبحت تهدد كيان واستقرار هذا المجتمع الذي تربطه علاقات اجتماعية متينة، فهو مجتمع يختلف عن بقية المجتمعات العربية، إذ يتميز سكان ليبيا -في الوقت الحاضر- بأنهم متجانسون إلى حد كبير، فجميعهم يتكلمون العربية، وهناك عدد قليل منهم يتكلم اللغة العربية والبربرية، ولغة الطوارق، ويدينون جميعهم الإسلام، ويتبعون المذهب المالكي، بينما يتبع بعض الأهالي في الجبل الغربي، ومنطقة زوارة المذهب الأباضي.[22]

لهذا فإن انتشار ظاهرة الطلاق في هذا المجتمع يساهم بشكل كبير ومتسارع في تفكك النسيج الاجتماعي الذي يربط أفراده وأسره وقبائله؛ لأن أي تهديد للأسر يعتبر تهديداً

(17) إبراهيم جابر السيد: الإعلام والمجتمع، ط1، الاسكندرية: دار التعليم الجامعي، 2015م، ص143.

(18) إبراهيم الدسوقي: وسائل الأساليب الاتصال الجماهيرية والاتجاهات الاجتماعية، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004م، ص120.

(19) خالد وليد محمد: شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي، بيروت: مكتبة النيل والفرات، 2011م ص-ص 93-94.

(20) علي سالم عاشور والحافظ النويني: الإعلام الجديد ودوره في ترسيخ قيم المواطنة، الدار البيضاء: مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية- مدى، مجلة رهانات، العدد المزدوج 45 – 49، 2018م، ص65.

(21) فيصل أبو عيشة: الإعلام الإلكتروني، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001م، ص 84.

(22) أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص217.

للدولة بأكملها، فالطلاق هو التفكك الأسري الذي يصيب العائلة، ويؤدي إلى تمزق الروابط الأسرية، ليصبح أعضاء هذه العوائل مفككين متباعدين في أغلب حالات الطلاق.[23]

وانطلاقاً من أن الطلاق هو حل ميثاق الزواج الذي عقد بين زوجين، والذي سماه الله عز وجل في كتابه العزيز بالميثاق الغليظ، حين قال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾،[24] وليس أبلغ من التعبير القرآني العظيم في وصف علاقة الزوجية بكونها (الميثاق الغليظ)، وبما تعنيه الكلمة القرآنية من بلاغة وروعة من العهد والترابط والقوة، والتأكيد الشديد لأهمية الحفاظ عليه والوفاء به، فإن هذا الميثاق الغليظ يقتضي حسن المعاشرة بين الزوجين, وأن تقوم حياة الزوجين على الصدق والوفاء، لا على الخيانة والكذب, وعلى الحب والتفاهم، لا على الأنانية والخداع، والمحافظة على أسرار الحياة الزوجية، وترك التهديد بالطلاق أو التلاعب والهزل بالتلفظ به لأي سبب كان، فعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلاَقُ، وَالرَّجْعَةُ».[25]

أما إذا استحالت العشرة بين الزوجين، وفشلت كل المحاولات الاصلاح بينهما، فإن حل عقد النكاح «الميثاق الغليظ» هو الطلاق، والذي يعتبر أبغض الحلال عند الله سبحانه وتعلى، للتفرقة بين الزوجين بالمعروف والإحسان، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[26] ، وقد ذكر الله في أكثر من موضع في كتابه الكريم مسألة الطلاق بشكل مفصل ودقيق، وقد خصص لها سورة كاملة هي سورة الطلاق، لاسيما في السبع الآيات الأولى منها، كذلك خصص للطلاق آيات كريمة في القرآن الكريم في سور عديدة [(27)*]، شارحاً فيها حقوق وواجبات النساء في حالات الطلاق، أما مشروعية الطلاق في السنة النبوية، فقد ذكر الطلاق في عدد من الأحاديث منها: «عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله صل الله عليه وسلم:» ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق».[28]

أما اجتماعياً فالطلاق انهيار للوحدة الأسرية، وهدم لبناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها، عندما يفشل الزوجين في بناء وتكوين أسرة، لأي سبب من الأسباب، حيث يمكننا أن نذكر أهم الأسباب المؤدية للطلاق في العصر الحديث في النقاط الآتية:

- **العنف ضد المرأة:** وذلك بعدم وجود نوع من الحوار والتفاهم بين الزوجين، وإن وجد فإنه محاولات الحوار تنتهي بالسب والشتم والضرب،[29] كما يتفنن بعض الأزواج في استعمال مختلف وسائل العنف التي تتوفر لديه؛ من أجل معاقبة المرأة، حتى وإن كان بسبب خطأ

(23) أسد الله الحرشي: الطلاق (أسبابه الاجتماعية ومبرراته الشرعية)، ط1، مصر- كفر الشيخ: دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م، ص193.

(24) سورة النساء، الآية رقم (21).

(25) أخرجه أبو داود (2194)، وابن ماجة (2039) والترمذي (1184).

(26) سورة النساء، الآية رقم (130).

(27) [*] انظر: سورة البقرة في الآيات من (226- 241)، وسورة الطلاق في الآيات من (1- 7)، وسورة الأحزاب في الآية رقم (49)،.... وغيرها من الآيات القرآنية.

(28) أبو عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: عطا، مصطفى عبد القادر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ص214.

(29) شفيق عياش: ظاهرة الطلاق من وجهة نسائية من مدينة البيرة  فلسطين (دراسة ميدانية)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع3، فلسطين، 2004م، ص220.

بسيط، وقد تفشت ظاهرة تعنيف المرأة في مختلف الأوساط الاجتماعية في المجتمع الليبي بشكل ملحوظ، لاسيما إن كان الزوج يعود للبيت تحت تأثير الخمر أو المخدرات، ما زاد الأمر تعقيداً أن الزوجة لا تتجنب الزوج عندما يكون غاضباً، فتتأزم المشكلة بينهما، إما بالضرب أو بالإهانة اللفظية الجارحة التي تنقص من المودة والرحمة بين الزوجين، عندها يحدث الطلاق.

- **الزواج بالإكراه:** والذي يكون عادة زواج أقارب أو معارف وأصدقاء أحد أطراف العائلة، لاسيما وأن المجتمع الليبي هو مجتمع قبلي، فيتم اجبار الشباب أو الفتاة على الزواج ببعضهما البعض بسبب القرابة، وبعد الزواج تبدأ المشاكل بينهما، لعدم قبول أحدهما أو كليهما للأخر، وقد يكون الشاب يريد غيرها أو هي تريد غيره، فيحدث الشقاق والنفور بينهما، فتحدث المشاكل الزوجية البسيطة بينهما، لكنهما أو أحدهما يستغل هذه المشكلة فيصعد منها، لكي يصل إلى الطلاق.
- **استسهال الزواج:** ويحدث عندما يعجب الشابان ببعضهما البعض، يتقدم الشاب لخطبة الفتاة للتعجيل في الزواج بها، حتى أن الطرفين لم يتعرف بعضهما على الآخر بشكل جيد، وما أن يتم الزواج حتى تبدأ عيوب أحد الأطراف أو الطرفين بالظهور لشريكه، فيتم الطلاق في وقت مبكر؛ لأن زواجهم هش، لم يبنى على قاعدة متينة.
- **تدخل أهل الزوجين:** وهو تدخل أهل الزوج أو الزوجة في حياة أبناؤهما، فتزداد المشاكل بين الزوجين، مما يكون له الأثر الكبير في زيادة الخلاف بين الزوجين، فتزداد حدة الخلافات بينهم نتيجة لتغذية مسببات المشكلة من الأهل، الأمر الذي يؤدي إلى الطلاق.
- **زواج الزوج على زوجته:** رغم أن الشريعة الإسلامية أحلت التعدد للرجل، لكن جل النساء في المجتمع الليبي لا يتحملن ذلك، لغيرتهن ولشعورهن بالإهانة كما يتصورن، فيطلبن الطلاق،[30] وهناك من ترضى بزواج زوجها، ولكن سبب عدم عدل الزوج بينها وبين زوجته الجديدة، تطلب الطلاق.
- **الأسباب الاقتصادية:** فقد يكون الزوج عاطلاً عن العمل، أو يعمل لكن مدخوله المادي قليل، أو يكون بخيلاً لا ينفق على زوجته، خاصة إذا كانت الزوجة متطلبة رغم معرفتها بالظروف المادية لزوجها، عندها تحدث المشاكل بينهما، فيحدث الطلاق.
- **عدم نضج الزوجين:** وهو عادة ما يكون بسببه زواج صغار السن، حيث لا يعرف كلاهما أو أحد منهما معنى الحياة الزوجية، فتكثر المشاكل بينهما على أبسط الأمور، وتغيب الحكمة فيتحول تفكيرهما للانفصال دون النظر للعواقب، خاصة عندما يكون لديهما أطفال،[31]
- **عمل المرأة:** هناك بعض الزوجات عندما تعمل تظن أنها أصبحت لا تحتاج للزوج، وأنها مكتفية بما تكسبه من مدخول مادي، فيقل اهتمامها بزوجها،[32] وتصبح نداً له، وتنسى أو تتناسى أن الحياة الزوجية ليست مالاً فقط، وإنما عشرة ورحمة ومودة وحب، عندها تصبح

(30) يحي عبد الخضر: أسباب الطلاق في المجتمع الكويتي من وجهة نظر المطلقات، المجلة الأردنية في العلوم الاجتماعية، مجلد5، ع3، الأردن، 2012م، ص339.

(31) علي سالم عاشور: قادة الرأي ودورهم في مكافحة ظاهرة تزويج القاصرات، ورقة بحثية غير منشورة قدمت في الندوة الإقليمية: وضع استراتيجية عربية لمناهضة تزويج الطفلات في العالم العربي، 19 – 22 / 9 / 2016م، بمدينة الرباط، ص11.

(32) يحي عبد الخضر، مرجع سابق، ص340.

معاملتها له معاملة سيئة، يشعر الزوج أنها تقلل من كرامته، فيطلقها بعد فقد الأمل في حياة زوجية كريمة معها، وليس هذا فحسب، بل إن بعض الأزواج يطمع في راتب زوجته، وهي تمتنع عن منحه إياه، فتحدث المشاكل فيطلقها.

- **الخيانة الزوجية:** وهي ارتباط أحد الزوجين بطرف ثالث، عندها تفقد العلاقة الزوجية عناصر مهمة، هي الصدق والإخلاص والثقة بين الزوجين، فتنقلب حياتهما جحيماً بعدم وجود هذه العناصر،[33] لاسيما إن كانت الخيانة من الزوجة بسبب طبيعة المجتمع الليبي، وإن لم يحدث الطلاق الكامل فإنه يستبدل بالطلاق النفسي أو الطلاق العاطفي، وهو طلاق غير معلن للعامة، بل إنه يكون أحياناً من طرف واحد، وإمكانية اصلاحه تتعلق بمدى جدية الأسباب المؤدية إليه، وهذا النوع من الطلاق تمارسه الزوجة نتيجة لعدم قناعتها بأهلية زوجها للقيام بدور الرجل أمامها، أو لعدم قناعة الرجل لأهلية زوجته للقيام بدور الزوجة أمامه، وهو غالباً ما يكون سبباً رئيسياً لحالات الهجر الجنسي الذي تسبق الطلاق النهائي.[34]
- **عدم التكافؤ:** وهو أن يكون أحد الزوجين غير متكافئين سواء اجتماعياً أو ثقافياً أو مادياً أو حتى علمياً، وعندما لا يكون هناك تكافؤ بينهما لا يكون هناك مجال للحوار بينهما، فتحدث المشاكل الصغيرة، فتتطور بينهما، وقد يحدث الطلاق.
- **الجفاف العاطفي بين الزوجين:** قد يكون مرده العمل المستمر للزوج، وانشغاله المستمر خارج المنزل، الأمر الذي يحدث نوع من الفتور في العلاقة بين الزوجين، فتطلب الزوجة الطلاق.
- **عدم وجود ثقافة الحوار بين الزوجين:** فالزوج يريد زوجته بنفس طبعه، والزوجة كذلك، وهذا لا يتماشى مع المنطق، إذ أن طبيعة البشر الاختلاف والتباين في الطباع ووجهات النظر في مختلف القضايا، فالزوج يريد زوجته متطابقة معه في وجهات في مختلف القضايا والموضوعات، وينسى أو يتناسى أن إخوته من أمه وأبيه يختلفون معه في كثير من الطباع والتصرفات، لهذا يتناسى الزوج أو الزوجة طبيعة الاختلاف فلا يكون هناك حوار بينهم، فتحدث مشاكل، وتتضارب وجهات النظر، حتى يصل الأمر إلى الطلاق.
- **الأسباب الصحية:** وهي أحد أهم الأسباب المؤدية للطلاق في المجتمع الليبي، كأن تكون الزوجة أو الزوج مصاب بمرض يطول الشفاء منه، أو التأخر في الإنجاب، أو أن تكون الزوجة عقيمة، أو لا تنجب إلا الإناث فقط، أو أن يكون إنجابها لأطفال مشوهين، عندها تحدث المشاكل، فيتم الطلاق.
- **أسباب أخرى:** هناك أسباب أخرى غير الأسباب سالفة الذكر، مثل السحر، حيث تذهب بعض النساء إلى السحرة بهدف السيطرة على الزوج، وابعاده عن أهله، وقد ينكشف أمرها فتتطلق، كذلك قد يحدث الطلاق بسبب فارق السن بين الزوجين، حيث يكون بينهما سنوات تؤدي إلى اختلاف في الرؤى والنظرة للحياة، بالإضافة إلى الغيرة الزائدة عند بعض النساء، حيث تكون غيرتها غير مبررة، ويكون الزوج جاهلاً بأن الغيرة متأصلة في النساء، حتى ان

(33) إدريس بن خويا: فاعلية الحوار الأسري ودوره في تنشئة الطفل، العراق، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع20، 2015م، ص61.

(34) أنور مجيد هادي: أسباب الطلاق العاطفي لدى الأسر العراقية وفق بعض المتغيرات، بغداد، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، مجلة الأستاذ، ع201، 2012م، ص438.

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت يغارن عليه من بعضهن البعض، فعن «حُمَيْد، عَنْ أَنَس، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ :غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ».[35] وفي هذا الحديث اشارة واضحة على وجوب مراعاة الغيرة عن النساء، لكن ليست إلى درجة التي تنعدم فيها ثقتها في زوجها، فتحول حياته لجحيم، كذلك اهمال الزوجة بنفسها وبجمالها، أو التقصير بعنايتها بأولادها وبيتها، أو افشاء أسرار الزوج خارج البيت، ومعصية الزوج وجحود النعمة.[36]

هذا بالنسبة لأهم وأبرز الأسباب المؤدية للطلاق، أما آثار الناتجة عنه، فهي كثيرة ومتعددة الجوانب، فالطلاق يؤدي لانهيار الأسرة بالكامل، لهذا فأثاره على كل فرد فيها، على الزوجين، على الأطفال، وعلى أسر الزوجين أيضاً، بل وعلى المجتمع بأسره.

ويمكن حصر أهم آثار الطلاق في النقاط الآتية:

- **تأثر الصحة النفسية والجسدية للمطلقين:** حيث تتغير مكانتهم الاجتماعية من متزوج ومتزوجة إلى مطلق ومطلقة، فيشعرون أن صورتهم النمطية قد تغيرت في مجتمعهم، فينظر إليهم على أنهما فاشلين في حياتهما وفي تكوين كيان يجمعهما اسمه الأسرة، فيفقدان بعض الأصدقاء، ويعيشان في حالة من الوحدة ليتفاديا سماع اللوم والفشل في الحياة الزوجية، كذلك الشكل والريبة في سلوكياتهم مما يجعلهم يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية، فيتعرضان لحالة اكتئاب، قد تشتد في بعض الحالات لتصل حد محاولة انتحار.[37]
- **العزلة:** إذ أن الرجل يتأثر بالطلاق والانفصال عن زوجته وتشتيت أطفاله، ويفرط في التفكير بمصير حياته في المستقبل، لاسيما إن كان لديه أبناء، فهو يفكر في مصيرهم سواء كانوا مع أمهم، أو كانوا معه، حيث سيشكلون مصدراً للقلق وخلق الخلافات مع زوجته الجديدة إن تزوج، كذلك بالنسبة للزوجة فهي ستصاب بحالة من اليأس والاحباط نتيجة الطلاق، وتسيطر عليها أوهام ومخاوف وأفكار سوداوية وخوف على مستقبلها، لاسيما وأن مجتمعنا الليبي يدين المرأة في جل حالات الطلاق –كونها الطرف الأضعف- كما أن المجتمع ينظر للمرأة المطلقة بنظرة فيها شيء من الدونية ويحاصرها بنظرة الشك في كل سلوكها وتصرفاتها،[38] مما يشعرها بالذنب والفشل العاطفي وخيبة الأمل، فيزيدها تعقيداً ويؤخر تكييفها مع وضعها الجديد ؛ لشعورها أنها أصبحت عبء على أهلها من جديد، بعد أن ظنوا أنهم زوجوها، وصدمتهم بعودتها إليهم، تحمل لقب «مطلقة»، وما يترتب على هذا اللقب

(35) أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: ذهني، محمد، دمشق، مكتبة طالب العلم، الحديث رقم (5225)، 2012م.

(36) موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، على الرابط http//:www.montadatarbawy.com/show/123020، تاريخ الزيارة (2023/6/28م).

(37) شحاتة ربيع: أصول الصحة النفسية، ط6، القاهرة: دار غريب، 2006م، ص227.

(38) الرشيد إسماعيل البيلي وأشرف محمد علي: الثقة بالنفس وعلاقتها بالشعور بالوحدة النفسية لدى المطلقات، السودان، جامعة النيلين، كلية الآداب، مجلة آداب النيلين، مج2، ع1، 2014م، ص267.

من تبعات نفسية واجتماعية جارحة، حيث أن المرأة المطلقة تعني العار عند بعض العائلات الليبية، لهذا فإن الكثير من المطلقات يخترن العزلة، تجنباً لنظرة الآخرين إليهن.

- **الأعباء المالية:** حيث يتكفل الزوج بدفع مؤخر الصداق، ونفقة العدة، ونفقة الحضانة إن كان لديه أولاد، الأمر الذي ينعكس على وضعه المادي، إن كان يفكر في الزواج مرة أخرى، كذلك بالنسبة للزوجة إن كان هي من تتكفل بالأولاد فيترتب عليها توفير كل ما يحتاجونه، رغم أن الأب مكلف بدفع النفقة عليهم، لكن قد تكون النفقة قليلة لا تكفي متطلبات الأولاد، لهذا فالمرأة أكثر الأطراف تضرراً من الطلاق.
- **تشريد الأبناء:** سواء بين الأم والأب، أو في المجتمع ككل، وذلك بعدم وجود مظلة اجتماعية سليمة «تسمى الأسرة» مكونة من أب يراهم ويوفر لهم الأمن والحماية ويعمل على تزويدهم بحاجياتهم، وأم حنونة تعطف عليهم وتسهر لخدمتهم في جو عائلي يسوده الحب والوئام، ناهيك أن أبناء المطلقين أكثر عرضة للفشل المدرسي وللانحراف والإجرام، نتيجة عدم متابعة الأب لهم بشكل كامل، خاصة إن كان لديه زوجة جديدة وأولاد أخرين، عندها تكون ظروف انحراف الأبناء متاحة.[39]
- **الاضطراب النفسي عند الأبناء:** وذلك عندما يكون هناك نزاع بين الأب والأم من أجل أن يعيش الطفل معه كل منهما، حيث يلجأ كل طرف إلى تشويه صورة الطرف الأخر أمام الطفل، فيعيش الطفل في حالة من الصراع بين والديه مما يفقده الثقة بهما،[40] فيصبح يفكر في عالم أخر ووسط جديد غير متضارب وغير متناقض يعيش فيه، باحثاً عن الحب والحنان الذي فقده في والديه، فيقع في كثير من الحالات فريسة في أحضان المتشردين وأوكار المخدرات والخمور الذين بدورهم يقودونه إلى عالم الجريمة.[41]
- **تفكك الروابط الاجتماعية في المجتمع الواحد:** فالطلاق وسيلة لزرع الكراهية والنزاع والمشاجرة بين أفراد المجتمع، خاصة إن خرج الطلاق عن حدود الأدب الإسلامي المحدد، عندها قد يقود ذلك إلى الصراع والشقاق، مما يسبب في مشاحنات وعدم الاستقرار يصل-في بعض الأحيان - لدرجة الاقتتال بين العائلات.
- **انتشار الجريمة والرذيلة في المجتمع:** وهي أحد أخطر أثار الطلاق، فالرجل يقصر في أداء عمله نتيجة التفكير في الحصول على مداخيل أخرى للموارد المالية، فقد يلجأ إلى أخذ الرشوة أو يقوم بالاختلاس أو السرقة... وغيرها، كذلك المرأة قد تلجأ إلى ممارسة الدعارة تلبية لحاجاتها المالية والعاطفية.[42]

(39) رشاد علي موسى: أثر طلاق الوالدين على النضج النفسي لأبنائهم من المراهقين، (رسالة ماجستير)، مصر، جامعة عين شمس، كلية الآداب، 2008م ص-ص 365-366.

(40) نائلة الزغلامي: الطفل وثقافة الطلاق في تونس، تونس: المعهد العالي لإطارات الطفولة، مجلة كراسات الطفولة التونسية، 2009م، ص73.

(41) فاكر محمد الغرايبه وحمود سالم عليمات: التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال (دراسة على عينة من الأطفال في دار الضيافة في اتحاد المرأة الأردنية)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد9، ع2، يونيو2012م، ص 98.

(42) نبيل عبد الغفور عبد المجيد: قياس الفراغ الوجداني لدى المطلقات، العراق، جامعة بغداد: مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع92، 2012م ص44.

## المبحث الثالث: وسائل الاتصال وعلاقتها بظاهرة الطلاق:

### المطلب الأول: دور وسائل الاتصال في زيادة انتشار ظاهرة الطلاق:

تعد وسائل الاتصال ذات تأثير عميق وكبير في جميع مناحي الحياة، لا سيما الاجتماعية والأسرية منها، حيث تستطيع هذه الوسائل تغير النظام الاجتماعي للأسرة والمجتمع، خير دليل على ذلك أن العديد من القيم الأسرية في المجتمعات العربية والإسلامية وحتى الليبية قد تغيرت نتيجة اتشار وسائل الاتصال فيها، وحلت محلها قيم وعادات وتقاليد لم تكن موجودة في هذه المجتمعات، كما ساهم التقدم الحاصل في تقنيات الاتصال في افتكاك أدوار الأسرة في كثير من الجوانب، سواء في تنشئة الأبناء أو تعليمهم، أو حتى في علاقتهم بوالديهم، فظهرت حالات اللامبالاة والاغتراب؛ بسبب القطيعة جراء استخدامهم لهذه التقنيات بما تمتلكه من عناصر جذب وإثارة.

وعلى الرغم من الانتشار الكثيف لوسائل الاتصال بتقنياتها الحديثة وخدمات مفيدة مرغوبة، إلا أن لها تأثيرات أخرى غير مرغوبة، ال حتى أصبحت في بعض الأحيان التأثيرات غير المرغوبة لهذه التقنيات مدمرة لدرجة تهدد بإلغاء فوائدها،[43] خاصة انعكاسات هذه التقنيات على الأسر العربية والإسلامية قد وصل إلى حد مخيف، فبسببها انتشرت ثقافة زعزعت الهوية الليبية المحافظة، وتقطعت العلاقات الأسرية والاجتماعية، بفعل الانشغال الدائم بالإنترنت، حتى أصيب جميع أفراد الأسرة بالإدمان عليها، والذي بدوره أدى إلى اصابتهم بالانعزال وتنامت النزاعات الفردية وافتقاد الأسرة الليبية للحوار والمناقشات الأسرية بين جميع أفراد العائلة، بالإضافة إلى انعدام تنظيم الوقت، وعدم الاستفادة من اوقات الفراغ داخل المنزل، فانعدمت عناصر التشاور والتكافل الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة في كثير من الأحيان.[44]

لهذا فقد أثارت وسائل الاتصال الحديثة جدلاً واسعاً، لما لها من أثار سلبية على الأسرة، أو بالأحرى الاستخدام السلبي لها، وبشكل أكثر تحديداً نلاحظ أن تقنيات الاتصال، بالإضافة إلى وسائل الإعلام ساهمت في انتشار وزيادة ظاهرة الطلاق، عن طريق عدد من الممارسات، نذكرها في الآتي:

1. ساعدت هذه الوسائل على الخيانة الزوجية: وقد أطلق عليها اسم (الخيانة الرقمية)، حيث تعد شبكة الإنترنت أكثر وأسهل وأبسط الوسائل للخيانة الزوجية، الأمر الذي ترتب عليه الكثير من حالات الطلاق في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث كشفت دراسة إلى أن (الفيس بوك) وحده مسؤول بشكل مباشر عن زيادة نسبة الطلاق بما يفوق 20%، من حالات الطلاق في السعودية، والتي تحدث نتيجة الكشف عن خيانة أحد الزوجين للآخر بواسطة الصور الشخصية والمحادثات الرقمية التي تحتوي على المغازلات.[45] كما أن استخدام أحد الزوجين الإنترنت بالشكل السيء، من خلال الدخول إلى مواقع الدردشة والتعارف، إذ أنه في

(43) نرمين زكريا خضير: الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية (دراسة على مستخدمي موقع Facebook ، أعمال المؤتمر العلمي الأول: الأسرة والإعلام وتحديات العصر (15-17 فبراير 2009م)، جامعة القاهرة، منشورات كلية الإعلام، ج2، ص947.

(44) شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال (المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية)، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000م، ص176.

(45) شبكة أجيال الإذاعية على شبكة الإنترنت على الرابط: http://www.arn.ps/archives/20366 ، تاريخ الزيارة (2023/6/28م).

حالة إدمان « أحد الزوجين على ارتياد هذا النوع من المواقع، فهو سيقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي والانفعالي والصحي بين الزوجين، الأمر الذي يتسبب بنزاعٍ أسريّ، يؤدي في غالب الأحيان إلى الطلاق.

2. تعزيز الفردانية: فقد ساعدت وسائل الاتصال خاصة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي على تعزيز عزلة الزوج أو الزوجة ليعيش في العالم الافتراضي منطوياً على نفسه، [46] وبالتالي يقل الحوار والحديث بينهما، لاسيما إن وصل المستخدم إلى درجة الإدمان، حيث يتجاوز مرحلة الممارسة الطبيعية لبعض العادات التي تحقق استمتاع الإنسان ببعض المؤثرات، خاصة السمعية والبصرية[47]، وقد يجد الإنسان فيها ضالته في قضاء وقت الفراغ، وأحيانًا لدى البعض عزلة وخشية من التواصل الاجتماعي الحقيقي إلا من خلال هذه البيوت المغلقة والأجهزة الإلكترونية ليعوض هذه الفردانية والوحدة، عندها تهمل الزوج أو الزوجة شريكه،[48] فتحدث المشاكل ويلجأ أحدهما للعالم الإلكتروني لتعويض ما ينقصه من تفاعل اجتماعي وعاطفي الذي من المفترض أن يكون مع الشريك.

3. تقليد المسلسلات المدبلجة: تعتبر المسلسلات والأفلام المدبلجة سواء المكسيكية أو التركية والهندية وحتى الكورية أحد أهم الأسباب لحدوث الكثير من المشاكل بين الزوجين، إذ أن الكثير من الفتيات يتوقعن أن حياتهن مع شريكهن في المستقبل ستكون كلها حب ورومانسية مثلما يشاهدن في شاشات التلفاز، ولكن بعد الزواج يجدن أنفسهن في واقع غير ذلك الذي تتصوره، فضغوط الزواج ومسؤولية الرجل وعائلته والبيت والأولاد والعادات والتقاليد، وحتى طبيعة الرجل الليبي، كلها ستكون مختلفة تماماً لما تتوقعه، لذلك فإن المسلسلات المدبلجة لاسيما -التركية منها- قد تقلب المنزل إلى ساحة معركة بين الزوجين، فالعالم الذي تعيشه المرأة في التلفاز هو مغاير جداً لما تعيشه في الواقع، الأمر الذي يجعل من نفسية المرأة تزداد سوءاً، فتحدث المشاكل بين الزوجين، وقد ينتهي الأمر في الكثير من الحالات إلى الطلاق.

4. الدردشات الإلكترونية الزائدة عن الحد: وهو أن تقوم الزوجة بتمضية أوقات طويلة وهي أمام الكمبيوتر أو الهاتف الذكي تتحدث مع صديقاتها أو أخواتها، هاملة زوجها وأطفالها وأشغال بيتها[49]، عندها تحدث المشاكل بينهما، والتي قد تصل إلى الطلاق.

5. التواصل المفرط مع العائلة: سهلت وسائل الاتصال لاسيما الإنترنت والهواتف الذكية الكثير من المتاعب على المستخدمين، فقربت المسافات، واختصرت الوقت والجهد عليهم في التواصل مع من يريدون، لكن في المقابل فإن كثرة تواصل الزوجة بأهلها يؤدي إلى مشاكل لا تحمد عقباها، فكثرة التواصل الزوجة بأهلها سيؤدي بالضرورة لإفشاء الأسرار العائلية سواء الأسرار بين الزوجة وزوجها، أو بين الزوج وأهله، الأمر سيحدث الكثير من المشاكل بين

(46) جبريل بن حسين العريشي وسلمى محمد والدوسري: الشبكات الاجتماعية والقيم (رؤية تحليلية)، ط1، القاهرة: دار المنهجية، 2015م، ص201.

(47) أحمد عبد الحكيم بن بعطوش وسمية مجيطنة: تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الحوار بين الزوجين، الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد خاص، يناير 2022م، ص442.

(48) ماجدة خلف الله العبيد: مواقع التواصل الاجتماعية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية، دار كنوز الحكمة: مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ع26، الجزائر، 2014م، ص158.

(49) عبد الله سالم الشمراني: مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق الزواجي لدى المعلمين والمعلمات، (رسالة ماجستير)، الأردن، جامعة اليرموك، كلية التربية، قسم علم الاجتماع، 2016م، ص62.

الزوجين، كذلك فإن زيادة التواصل بين الزوجة وأهلها بعد أن تقع المشاكل يزيد الطين بله، لاسيما عندما تكون غاضبة، فقد يشجعونها على الرجوع إلى بيت أبيها، الأمر الذي يزيد الأمر تعقيداً.... وقد يحدث الطلاق.

6. انتجت وسائل الاتصال بعض المشاكل بين الزوجين: وهي مشاكل لم تكن لتكون لولا وجود وسائل الاتصال، فعندما تقوم احدى النساء المتزوجات بنشر صور هدايا زوجها على الفيس بوك أو حتى على الواتساب، موضحةً لصديقاتها أو قريباتها سبب الهدية وخصائصها وقد تبالغ بعضهن في وصف الهدية بذكر ثمنها.... فإنها بتلك الصور والشروح قد تحرك غريزة الغيرة لدى صديقاتها، لتقوم كل منهن بالحديث لزوجها عن ما فعله زوج صديقتها من تقديم الهدايا والمفاجئات .... مطالبة إياه بفعل ما فعله زوج صديقها أو قريبتها، رغم أنها تعرف أن حالته المادية لا تسمح له بجلب الهدايا، عندها يفتح باب النقاش الذي قد يتطور فيتحول إلى جدال فشجار بين الزوجين.... الأمر الذي قد يتفاقم فيصل إلى طلاق.

**المطلب الثاني: آليات وسائل الاتصال في الحد من ظاهرة الطلاق.**

تقوم وسائل الاتصال بدور مهم وكبير في محاربة ومكافحة ومحاصرة ظاهرة الطلاق، إذ إن وسائل الاتصال تعتبر المرآة التي تعكس قيم وعادات وتقاليد المجتمع – إذا ما تم استغلالها الاستغلال الصحيح–، حيث إن جميع وسائل الاتصال لها رسالة كبيرة وسامية في تأكيد قيم الحق والواجب وحماية أفراد المجتمع من الانحراف، ومن تم الانطلاق إلى أفاق رحبة تتسع لطموحات هؤلاء الأفراد، لتكوين أسر قوية ومتماسكة اجتماعياً واقتصادياً، وتؤكد وسائل الاتصال دورها في مجال بناء الأسرة والمساهمة في تطورها بشكل مباشر وغير مباشر، حيث يمكن أن تقوم وسائل الاتصال بدور فاعل في مكافحة ظاهرة الطلاق في المجتمع، نذكر أهم الأدوار التي يمكن لهذه أن تؤديها بهدف مكافحة ظاهرة الطلاق في النقاط الآتية:

1. تخصيص زوايا معينة بوسائل الاتصال والإعلام المختلفة لتقديم الاستشارة الاجتماعية والنفسية حول كل ما يتعلق بمشاكل الأزواج، يشرف عليها خبراء اجتماعيون ونفسيون يناقشون المشكلات الاجتماعية والعائلية ويجيبون على أسئلة واستفسارات المواطنين بالخصوص، بهدف خلق نوع من التوعية والتثقيف لدى أفراد المجتمع.
2. تعمل اللقاءات الصحفية والتلفزيونية مع خبراء متخصصون على مناقشة أسباب انتشار هذه الظاهرة في المجتمع، بحيث تقوم بتوعية الشباب والشابات على أهمية اختيار الشريك الذي يكونون معه على درجة كبيرة من التوافق النفسي والفكري، بالإضافة إلى العاطفي طبعاً.
3. تستطيع البرامج التلفزيونية الثقافية الهادفة، والمسلسلات الدرامية (الواقعية والتاريخية) الموجه للمرأة، والتي تساهم في ترسيخ القيم الإسلامية التي تحافظ على مكانة المرأة في المجتمع وترفع من شأنها، وتناقش قضايا الطلاق، لشرح أسبابه، وتحذر من أثاره على الزوجين وعلى الأطفال والمجتمع، وتحافظ على الهوية الوطنية للشعب الليبي المحافظ، وتحارب كل ما من شأنه المساس بهذه الهوية.
4. نشر الثقافة القانونية المتعلقة بالزواج والطلاق، لبيان حقوق الزوجين، وواجباتهم تجاه بعضهم البعض، لتجنب وقوع نزاعات بين الأسر والعائلات، والتي بدورها تزيد من انتشار

ظاهرة الطلاق في المجتمع، كذلك نشر الثقافة القانونية المتعلقة باستخدام شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، أو باستخدام الهاتف النقال في الإساءة بالغير ومضايقتهم ، والتحذير من سوء استخدامها واستغلالها فيما يتعارض مع احترام حقوق الإنسان، فيما يتعلق بالمعاكسات وغيرها، لاسيما وأن القانون الليبي قد حدد عقوبات لكل من يستخدم شبكة المعلومات الدولية بشكل يضر بالآخرين، فقد نصت المادة رقم (35): «**يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف دينار ولا تزيد على خمسة آلاف دينار وسحب الترخيص ومصادرة الآلات والأجهزة المستخدمة وذلك كل من أساء استخدام شبكة المعلومات الدولية في نشر معلومات أو بيانات تمس الأمن السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الموروث الثقافي للمجتمع العربي الليبي أو استخدم الفيروسات أو أي طرق أخرى لإيذاء الغير**»،[50] **كما أن نفس القانون قد حدد عقوبة إساءة استخدام وسائل الاتصالات في المادة** (36)، **فقد نصت: «مع عدم الإخلال بأحكام المادة** (35) **من هذا القانون، يعاقب بغرامة لا تقل عن مائة دينار ولا تزيد على خمسمائة دينار كل من أساء استخدام وسائل الاتصال للإضرار بالغير».**[51]

5. تنفيذ الحملات الإعلامية المكثفة والدورية لاسيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالتعاون مع المنظمات والمؤسسات المعنية بهدف رفع الوعي بخطورة هذه الظاهرة على الفرد والأسرة المجتمع، لخلق نوع من الوقاية المسبقة.

6. توظيف الرسوم الكاريكاتورية في الصحافة الورقية والإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي للتوعية بخطورة هذه الظاهرة في المجتمع الليبي، إذ تعتبر الرسوم الساخرة أحد أهم الفنون الصحفية المستخدمة، وعلى درجة كبيرة من الأهمية والقدرة على التأثير والاقناع في الناس[52]، إذ أن هذه الرسوم تكون معبرة عن مواقف ومضامين محددة، ويمكن أن تستخدم هذه الرسوم كمداخل للنقاش، وهي طريقة محببة ومرغوبة تترك أثراً لدى المتلقي، وتقلل من حدة الرفض وفيها نوع من الجاذبية والإثارة، ويمكن استخدامها مع مختلف الفئات، وهي إحدى الطرق التي يمكن أن تقدم فيها قضايا الطلاق بصور متعددة.

7. تسخير الصورة الإعلامية للتوعية بخطورة الطلاق، حيث إن الصور في الإعلام تعد أحد أهم وسائل تغير الاتجاهات؛ لأنها وسيلة قوية عالمية تعبر عن المحتوى بلغة يفهمها الجميع، لاسيما إذا استخدمت فيها الاستمالات العاطفية للأطفال وتشردهم بين الأبويين.

8. تفعيل دور وسائل الاتصال المجتمعي من (المدونات، منتديات، مواقع اجتماعية، وغيرها ) في التوعية بخطورة ظاهرة الطلاق، إذ أن هذه الشبكات تسمح للقراء بالتعليق على كتابات بعضهم البعض، ونستطيع من خلالها خلق نقاش تفاعلي يسمح بتبادل الآراء، ولها انتشار على نطاق واسع وعلى مختلف المستويات.

9. تستطيع وسائل الاتصال والإعلام تغيير الصورة النمطية للمرأة بشكل عام، لتوضيح حقوقها وواجباتها تجاه زوجها وأبنائها وبيتها،[53] وأنها ليست جسداً عارياً في إعلان معين،

(50) المؤتمر الشعب العام: قانون رقم (22) لسنة 2010م، بشأن الاتصالات، المادة (35).

(51) المؤتمر الشعب العام: قانون رقم (22) لسنة 2010م، بشأن الاتصالات، المادة (36).

(52) أمال عامر: الأبعاد الوظيفية للصورة الكاريكاتورية في الصحافة الجزائرية "دراسة تحليلية سيمولوجية لصحيفة الشروق اليومي"، مجلة الرواق، ع4، ديسمبر 2016، ص217.

(53) حنان يوسف: دور الإعلام في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع، دمشق، أعمال الندوة القومية حول: نحو مزيد من الاجراءات للنهوض بعمل

بل هي نصف المجتمع، وهي التي تنجب النصف الآخر وتربيه... إذا هي منطقياً وعملياً كل المجتمع، لهذا فدورها كبير ومهمتها في بناء الأمم والشعوب أكبر.

10. تستطيع وسائل الاتصال المساهمة في نشر ثقافة الحوار في المجتمع، وتقبل وجهات النظر المتباينة والمختلفة، لاسيما بين الأزواج، وهذا يساعد على تفتيت الخلافات التي تحدث بين الأزواج.

## خاتمة الدراسة:

في نهاية هذه الدراسة، نجد أن علاقة وسائل الاتصال وكل الظواهر الاجتماعية بالمجتمع هي علاقة تكاملية مترابطة حيث إن وسائل الاتصال والإعلام التي تفرز ثقافة اجتماعية تؤمن بحقوق المرأة وواجباتها، تجاه زوجها وأبنائها ومجتمعها أيضاً، هي وسائل تستند قاعدة ثقافية متينة فعالة مستندة إلى أسس اجتماعية ودينية وقانونية، بحث تجاهد لتحقق عدداً من الاهداف، أبرزها: التوعية والإرشاد ونشر الثقافة والوعي المجتمعي، فتساعد في خلق جيل واع بمكانة المرأة في المجتمع، وبالتالي في بناء دولة متماسكة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

أخيراً فإن الباحث يقدم بعض التوصيات للحد من ظاهرة الطلاق في المجتمع الليبي، يرى أنها فعّالة وعملية ويمكن تطبيقها إذا ما تم الأخذ بها، وهي:

1. تخصيص برامج اجتماعية في الفضائيات الليبية والإذاعات المسموعة تتناول أسباب المشاكل بين الأزواج، وتقديم النصائح النفسية والدينية والاجتماعية بالخصوص.
2. ضرورة الاستعانة بأهل العلوم الشرعية لتقديم النصح والافتاء في القضايا الاجتماعية المتعلقة بالزواج والطلاق، واستضافتهم في القنوات الليبية وتقديمهم للجمهور الليبي للإجابة عن تساؤلاتهم ذات العلاقة.
3. تطوير برامج المرأة في التلفزيون والإذاعة ومواقع التواصل الاجتماعي لتخاطب الأسرة ككل، من منطلق أن حقوق المرأة هي قضايا مجتمعية، لإزالة عنصر العزلة والتجزئة التي يتم تناول قضايا المرأة إعلامياً.
4. العمل على التنسيق بين وزارات الدولة الليبية لنشر الوعي بخطورة هذه الظاهرة داخل المجتمع، سواء كان ذلك عن طريق حملات توعوية داخل المدارس والجامعات والمساجد والدروس الدينية والمحاضرات التثقيفية.

## قائمة مصادر الدراسة ومراجعها:

**أولا: المصادر:**

- القرآن الكريم: رواية قالون عن نافع.
- سنن ابي داوود.
- سنن ابن ماجه.
- سنن الترميذي.
- قانون رقم (22) لسنة 2010م، بشأن الاتصالات.

المرأة وتحقيق المساواة في العمل، المنظمة من قبل 17 – 19 تشرين الثاني 2007، ص 56.

**ثانياً: المراجع:**

**أ. الكتب:**


1. إبراهيم الدسوقي: وسائل الأساليب الاتصال الجماهيرية والاتجاهات الاجتماعية، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004م.
2. إبراهيم جابر السيد: الإعلام والمجتمع، ط1، الاسكندرية: دار التعليم الجامعي، 2015م.
3. أبو عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: عطا، مصطفى عبد القادر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.
4. أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: ذهني، محمد، دمشق، مكتبة طالب العلم، الحديث رقم (5225)،2012م.
5. أحمد بدر الدين: أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1996م).
6. أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.
7. أسد الله الحرشي: الطلاق (أسبابه الاجتماعية ومبرراته الشرعية)، ط1، مصر- كفر الشيخ: دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.
8. أشواق عبد الحسن الشاعري: الثقافة والتنمية البشرية (دراسة نظرية لبعض المتغيرات الثقافية)، ط1، بغداد: معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، 2008م.
9. جبريل بن حسين العريشي وسلمى محمد والدوسري: الشبكات الاجتماعية والقيم (رؤية تحليلية)، ط1، القاهرة: دار المنهجية، 2015م.
10. حسن حمدي: مقدمة في دراسة أساليب ووسائل الاتصال، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1987م.
11. حسين عبد الجبار: اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011م.
12. خالد وليد محمد: شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي، بيروت: مكتبة النيل والفرات، 2011م.
13. شحاتة ربيع: أصول الصحة النفسية، ط6، القاهرة: دار غريب، 2006م.
14. شروق سامي فوزي: تكنولوجيا الإعلام الحديث، القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2015م.
15. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال ( المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية)، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000م.
16. طارق الخليفي: سياسات الإعلام والمجتمع، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2010م، ص19.
17. علي مصطفي بن الأشهر: «دور وسائل الاعلام في إحياء التراث العلمي العربي الاسلامي « في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الإعلام العربي والجمهور، تونس، 1994م.
18. فيصل أبو عيشة: الإعلام الإلكتروني، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001م.
19. محمد شفيق: البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001م.
20. محمود عودة: أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر

والتوزيع، 1988م

21. منى سعيد الحديدي وسلوى إمام علي: الإعلام والمجتمع، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004م.

ب. المجلات العلمية:

1. أحمد عبد الحكيم بن بعطوش وسمية مجيطنة: تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الحوار بين الزوجين، الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد خاص، يناير 2022م، ص442.

2. إدريس بن خويا: فاعلية الحوار الأسري ودوره في تنشئة الطفل، العراق، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع20، 2015م.

3. أمال عامر: الأبعاد الوظيفية للصورة الكاريكاتورية في الصحافة الجزائرية «دراسة تحليلية سيميولوجية لصحيفة الشروق اليومي»، مجلة الرواق، ع4، ديسمبر 2016م.

4. أنور مجيد هادي: أسباب الطلاق العاطفي لدى الأسر العراقية وفق بعض المتغيرات، بغداد، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، مجلة الأستاذ، ع201، 2012م، ص438.

5. حسين عبد عواد الدليمي: دور الإعلام في تعزيز الأمن الفكري عند الشباب، العراق، جامعة الأنبار، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، س6، مج6، ع23، 2015م.

6. الرشيد إسماعيل البيلي وأشرف محمد علي: الثقة بالنفس وعلاقتها بالشعور بالوحدة النفسية لدى المطلقات، السودان، جامعة النيلين، كلية الآداب، مجلة آداب النيلين، مج2، ع1، 2014م.

7. شفيق عياش: ظاهرة الطلاق من وجهة نسائية من مدينة البيرة – فلسطين (دراسة ميدانية)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع3، فلسطين، 2004م.

8. علي سالم عاشور والحافظ النويني: الإعلام الجديد ودوره في ترسيخ قيم المواطنة، الدار البيضاء: مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية- مدى، مجلة رهانات، العدد المزدوج 45-46، 2018م.

9. فاكر محمد الغرايبه وحمود سالم عليمات: التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال (دراسة على عينة من الأطفال في دار الضيافة في اتحاد المرأة الأردنية)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد9، ع2، يونيو2012م.

10. ماجدة خلف الله العبيد: مواقع التواصل الاجتماعية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية، دار كنوز الحكمة: مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ع26، الجزائر، 2014م

11. مهدي محمد القصاص: دور الإعلام في تشكيل الوعي» دراسة سوسيولوجية لأجندة الإعلام في ظل العولمة»، جامعة المنصورة، كلية الآداب، مجلة كلية الآداب، ع47، 2010م.

12. نائلة الزغلامي: الطفل وثقافة الطلاق في تونس، تونس: المعهد العالي لإطارات الطفولة، مجلة كراسات الطفولة التونسية، 2009م.

13. نبيل عبد الغفور عبد المجيد: قياس الفراغ الوجداني لدى المطلقات، العراق، جامعة بغداد: مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع92، 2012م.

14. يحي عبد الخضر: أسباب الطلاق في المجتمع الكويتي من وجهة نظر المطلقات، المجلة الأردنية في العلوم الاجتماعية، مجلد5، ع3، الأردن، 2012م.

**ج. الأطروحات والرسائل العلمية:**

1. اسعاف محمد: وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في التنشئة الاجتماعية (دراسة ميدانية لدور الإعلام السوري في معالجة قضايا التنمية الاجتماعية)، (أطروحة دكتوراه)، دمشق، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، شعبة علم الاجتماع، 1996م.
2. رشاد علي موسى: أثر طلاق الوالدين على النضج النفسي لأبنائهم من المراهقين، (رسالة ماجستير)، مصر، جامعة عين شمس، كلية الآداب، 2008م.
3. عبد الله سالم الشمراني: مدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق الزواجي لدى المعلمين والمعلمات، (رسالة ماجستير)، الأردن، جامعة اليرموك، كلية التربية، قسم علم الاجتماع، 2016م.

**د. المؤتمرات والندوات والتقارير والصحف:**

1. التقرير العام لإحصائية إدارة تقنية المعلومات والتوثيق- لسنة 2019م، وزارة الداخلية طرابلس.
2. حنان يوسف: دور الإعلام في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع، دمشق، أعمال الندوة القومية حول: نحو مزيد من الاجراءات للنهوض بعمل المرأة وتحقيق المساواة في العمل، المنظمة من قبل 17 – 19 تشرين الثاني 2007.
3. صحيفة الوطن الليبية، (2015/5/3م)، ع 91.
4. علي سالم عاشور: قادة الرأي ودورهم في مكافحة ظاهرة تزويج القاصرات، ورقة بحثية غير منشورة قدمت في الندوة الإقليمية: وضع استراتيجية عربية لمناهضة تزويج الطفلات في العالم العربي، 19 – 22 /9 / 2016م، بمدينة الرباط.
5. نرمين زكريا خضير: الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية (دراسة على مستخدمي موقع Facebook، أعمال المؤتمر العلمي الأول: الأسرة والإعلام وتحديات العصر (15-17 فبراير 2009م)، جامعة القاهرة، منشورات كلية الإعلام، ج2.

**هـ. المواقع الإلكترونية:**

1. شبكة أجيال الإذاعية على شبكة الإنترنت على الرابط:

http//:www.arn.ps/archives، 20366/

تاريخ الزيارة (2023/6/28م).

2. موقع المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، على الرابط:

http//:montdatarbawy.com/show،123020/

تاريخ الزيارة (2023/6/28م).

# التربية الإعلامية المدرسية وبناء الهوية الثقافية للطالب

إعداد:
أ. عائشة صالح أدم حمد
أ د. فتوح محمود محمد فهيم
كلية التربية القبة – جامعة درنة

الاستلام: 13.4.2024 القبول: 15.5.2024

**المستخلص:**

تهدف الدراسة إلي معرفة دور التربية الإعلامية المدرسية في بناء الهوية الثقافية للطلاب والتوصل إلي نتائج تفيد القائمين علي المؤسسات التعليمية من التوعية الرشيد لها، وتم استخدام المنهج تحليل النظم للعملية الإعلامية التي تهتم بدراسة النظام الإعلامي ككل في المجتمع فضلاً عن تكامل منهجي من خلال التحليل النقدي الفلسفي، وتوصلت الدراسة إلي أن حالة التعليم الإعلامي في العالم العربي متدهورة ومستويات الطلاب متدنية، بالإضافة إلى أن الجهود في هذا المجال لا تزال في بداياتها وتتطلب المزيد من البناء ونشر الوعي، كما أن لديها نقاط ضعف كمناهج دراسية للطلاب بشكل عام، ورغم أنه تم تطبيقه على فئات معينة من الطلاب، وفي حين أن هناك عدد قليلاً من المدارس تهتم بتقديم خدمات التعليم الإعلامي على مستوى المدارس، وفي حين هناك نقص في التعاون بين الإعلاميين والتربويين من حيث التنسيق بين قطاع التعليم وقطاع الإعلام، وكما تساعد التربية الإعلامية التربويين على ضبط المؤثرات المختلفة وترشيدها وجعلها ملموسة في إطار يخدم أهداف المدرسة المنشودة لدى الطلاب.

**الكلمات المفتاحية:** التربية الإعلامية المدرسية – الهوية الثقافية.

## Abstract:

The study aims to know the role of school media education in building the cultural identity of students. The method was used: systems analysis of the media process, which is concerned with studying the media system as a whole, as well as systematic integration through critical philosophical analysis. The study concluded that the state of media education in the Arab world is deteriorating and the levels of students are low, in addition to the fact that efforts in this field are still in their beginnings and require more construction and spreading awareness. It also has weaknesses as curricula for students in general, while there are a small number of schools interested in providing media education services at the school level, and while there is a lack of cooperation between media professionals and educators in terms of coordination between the education sector and the media sector, media education als.

**Keywords**: school media education – cultural identity.

## المقدمة:

شهد العالم تطوراً كبيراً في دور الإعلام، حيث بدأ كوسيلة ترفيهية ثم تحول إلى وسيلة توجيه وتعليم وتربية، في حين العصر الحالي يعتبر الإعلام السلطة المؤثرة في قيم ومعتقدات وتوجهات وممارسات الناس في مختلف الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومن هنا ظهرت التربية الإعلامية في أواخر الستينات، حيث كانت في البداية وسيلة تعليمية، ثم تم إضافة مهمة حماية الأطفال والشباب من المخاطر التي تنشأ عن وسائل الإعلام، وفي السنوات الأخيرة أصبحت التربية الإعلامية مشروعاً يهدف إلى تمكين الطلاب وتأهيلهم لفهم الثقافة الإعلامية المحيطة بهم، وتنمية مهاراتهم في التفاعل والتعامل معها، والمشاركة فيها بطريقة فعالة ومؤثرة، ويظهر الإعلام بشكل جديد كل يوم ويتجدد بأساليب مبتكرة، ويستخدم تقنيات مدهشة تتجاوز حدود الزمان والمكان، وهذا جعل التربية التقليدية تفقد سيطرتها، وأخذ الإعلام النصيب الأكبر في تنشئة المجتمع والتأثير والتوجيه وتربية الأجيال الصغيرة والكبيرة على حد سواء.

## ثانياً: مشكلة الدراسة:

تلعب التربية الإعلامية المدرسية دوراً هاماً في مواجهة تأثيرات الإعلام والاختراق الإعلامي العالمي، الذي يؤثر بدوره على الهوية الثقافية للمدرسة ومكوناتها ودورها في النقل لطلابها الكثير من المعارف العلمية والقيم الشخصية في المراحل التعليمية المختلفة، ومما سبق تتضح مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي: ما دور التربية الإعلامية المدرسية في بناء الهوية الثقافية للطلاب: وتستطيع الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيس السابق عندما تجيب على الأسئلة الفرعية:

- ما واقع التربية الإعلامية في المدارس وعناصرها؟
- ما أهمية وأهداف التربية الإعلامية المدرسية؟
- ما المعايير التي تقوم عليها التربية الإعلامية المدرسية؟
- ما مميزات التربية الإعلامية المدرسية؟
- ما مسئولية المدرسة نحو التربية الإعلامية ونشر المفهوم لدى الطلاب؟
- ما دور قواعد التربية الإعلامية المدرسية في تدعيم الهوية الثقافية لطلابها؟

## ثالثاً: أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى مجموعة من الأسباب أهمها ما يلي:

1. حداثة مفهوم التربية الإعلامية على الرغم من أهمية فهمها وتطبيقها في المؤسسات التربوية.
2. تؤهل التربية الإعلامية المربيين والتربويين لتحقيق التوازن في إطار تربوي قائم على أسس ومصادر ثابتة، مما يساعد على تكوين شخصية سوية ومتوازنة للطلاب.
3. التعرف على أسس ومعايير الوعي الإعلامي خاصة مهارات التعرض النقدي لمضامين وسائل الإعلام المختلفة.

4. أهمية الإعلام التربوي الذي هو ضرورة تربوية لا يجوز تجاهلها في سلم تخطيط الأولويات، كما أنه مظهر من مظاهر تفاعل الإعلام مع التربية بفاعلية وإيجابية مما يساهم في إعداد الفكر الواعي التي تنشدها العملية التربوية المدرسية للمشاركة في بناء مستقبل أفضل.

5. في ظل التراكم القوي والمؤثر للمضامين الإعلامية، أصبح من الضروري وجود التربية الإعلامية لتوعية الطلاب وتحصينهم من تلك الشوائب الضارة الهدامة.

## رابعاً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي:

دور التربية الإعلامية المدرسية في بناء الهوية الثقافية للطلاب.

ويتفرع من الهدف الرئيسي الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعرف على نشأة وتطور التربية الإعلامية المدرسية وعناصرها.
2. التعرف على أهمية التربية الإعلامية المدرسية.
3. تحديد معايير التي تقوم عليها التربية الإعلامية المدرسية.
4. تحديد مميزات التربية الإعلامية المدرسية.
5. التعرف على دور المدرسة نحو التربية الإعلامية ونشر مفهومها لدي طلابها.
6. ما دور قواعد التربية الإعلامية المدرسية في تدعيم الهوية الثقافية لطلابها.

## خامساً: منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على مدخل تحليل النظم للعملية الإعلامية، حيث تهتم بدراسة النظام الإعلامي ككل في المجتمع، وتدرس أيضاً المؤسسات التربوية كنظام اجتماعي تربوي في المجتمع، وتهدف هذه الدراسة إلى النظر إلى النظام الإعلامي كنظام مفتوح يتفاعل مع المؤسسات التربوية والتعليمية في المجتمع، والتي تؤثر في مدخلاته ومخرجاته، وهو عبارة عن منهج استدلالي يقوم على وصف العناصر بدقة وتحديد التعاملات والعلاقات بينها، والتي تؤدي إلى وجود الظاهرة أو المشكلة، ثم يتم اقتراح الحلول والبدائل التي تتفق مع خصائص هذه التفاعلات، بالإضافة إلى تكامل منهجي من خلال التحليل النقدي الفلسفي.

## سادساً: مصطلحات الدراسة:

1- **التربية الإعلامية Media Education**: وتعني إعداد الإعلاميين لأداء العملية التربوية، إذ لا يكفي أن يتقن الإعلاميون العمل الإعلامي، دون أن تتسق مع قيم وأهداف المجتمع وتحقيق المشاركة بينهم وبين التربويين لا سيما في هذا الوقت الذي بدأت فيه الانحرافات الفكرية داخلياً وخارجياً وما نجم عنها من اضطرابات تحاول أن تخل بوظائف المؤسسات الإعلامية والتربوية في تأمين حاجات الأفراد مثل الحاجة إلى الأمن الاجتماعي، والحاجة إلى سلوك تربو ي رشيد، والحاجة لإعلام متوازن[1].

2- **الإعلام التربوي**: يعني به استثمار وسائل الإعلام من أجل تحقيق أهداف التربية في ضوء السياستين التعليمية الإعلامية (وزارة التربية والتعليم) كما يقصد به أيضا توظيف

(1) بدر بن أحمد كريم: "التربية الإعلامية، ورقة عمل قدمت في لقاء عن الصحافة والتربية" بمكة المكرمة الأحد 1434/8/4هـ.

وسائل الإعلام في توثيق العلاقة بين مجالات العمل المدرسي من جهة، والجهات التعليمية المعنية بها من جهة أخرى (وزارة التربية والتعليم وإداراتها) وذلك بتقديم الخدمات الإعلامية، والتوثيقية، والإنمائية لهذه المجالات[2].

3- **الهوية الثقافية:** هي صيرورة إنجاز لنظام رمزي ولذلك فهي لا تورث ولا تكتسب نهائياً وخصوصاً في ظل تسارع التبادلات الإنسانية وعولمة الاتصال وتوسع عدم التجانس الثقافي، وبفعل حركية التبادل البيئي الثقافي لا أحد يكون مغلقاً في هوية خاصة، ونتيجة لذلك فإن منظومة قيمه وثقافته تمر عبر تشكيلات متجددة بفعل الاحتكاك الثقافي[3].

4- **المؤسسات التعليمية الرسمية:** عبارة عن منظومة تربوية تحدث بداخلها العملية التعليمية من خلال التفاعل بين الطلاب والمعلمون وأولياء الأمور ويديرها مدير أو ناظر المدرسة وتخضع للإدارة التعليمية، والتي تنتمي بدورها إلى وزارة التربية والتعليم[4].

## سابعاً: الدراسات السابقة:

دراسة **أم الزين حسين احمد بدوي**[5] دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية للمحافظة على الهوية الوطنية من وجهة نظر معلمات المرحلة الابتدائية بمكة المكرمة هدفت إلى الكشف عن دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية للمحافظة على الهوية الوطنية من وجهة نظر معلمات المرحلة الابتدائية بمكة، وتم تطبيق الدراسة على عينة (407) معلمة من معلمات المرحلة الابتدائية بالمدارس الحكومية في مدينة مكة، تضمنت أدوات الدراسة الاستبانة كأداة للدراسة، وأظهرت الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير الدرجة الوظيفية (معلم مساعد- معلم ممارس- معلم متقدم-معلم خبير) لصالح معلم خبير، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير سنوات الخبرة (أقل من 5 سنوات- من 5إلى 10 سنوات- من 10 إلى 15 عاماً/ أكثر من 15 عاماً) لصالح المعلمات ذات الخبرة أكثر من 15 عاماً، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية حول الدرجة الكلية للاستبانة الخاصة بالكشف عن دور الإدارة التربوية بمكة باختلاف متغير المؤهل، وجاءت الفروق لصالح المعلمات الحاصلات على دكتوراه.

دراسة **محمد ناجي الدعيس، أحمد يحيى الشاطبي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة**[6]، تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة، من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية بمدارس أمانة

(2) حسن أبو بكر العولقي: دور المدرسة في التربية الإعلامية: الواقع والمأمول، قسم التربية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 7/3/2007، ص.13.

(3) إدغار موران، المنهج والإنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009، ص ص.193-195

(4) **شريف درويش اللبان: الدور الإعلامي للمواقع الإلكترونية للمؤسسات التعليمية في خدمة العملية التعليمية**، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، **العدد7 يوليو 2016،الجزء 1**، ص54.

(5) أم الزين حسين احمد بدوي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية للمحافظة على الهوية الوطنية من وجهة نظر معلمات المرحلة الابتدائية بمكة المكرمة، **مجلة ديالى للبحوث الإنسانية**، العدد98، المجلد 2، كانون الأول 2023م

(6) محمد ناجي الدعيس، أحمد يحيى الشاطبي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة- صنعاء مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد (42) المجلد (8) ابريل- يونيو 2021م

العاصمة صنعاء بالجمهورية اليمنية، وتم اختيار عينة عشوائية طبقية بلغت (569) معلماً ومعلمة، مثلت نسبة (5%) من المجتمع الكلي البالغ (11380) فرداً، واستخدمت الاستبانة أداة لجمع المعلومات، وشملت مجالين هما: الصحافة المدرسية، والإذاعة المدرسية، وتم استخدم المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، وخلصت نتائج الدراسة إلى أن قيمة المتوسط الحسابي لمجال الصحافة المدرسية بلغ (3,52) وبدرجة كبيرة، وبلغ مجال الإذاعة المدرسية (3.5) وبدرجة كبيرة، وأشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً لدور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة، تعزى لمتغيري (النوع الاجتماعي، وسنوات الخبرة).

وكما هدفت دراسة فرح وآخرين لتعرف إلى دور معلمة قسم الطفولة المبكرة في استخدام الأنشطة اللاصفية لتعزيز القيم والهوية الوطنية لطفل الروضة في ضوء رؤية 2030، واعتمدت على المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (226) معلمة من معلمات قسم الطفولة المبكرة في المناطق (الشمالية، الجنوبية، العربية، الشرقية) في السعودية، تم توزيع استبانة عليهن لجمع البيانات بعد التحقق من مؤشرات صدقها وثباتها، وأظهرت النتائج أن دور معلمة قسم الطفولة المبكرة في استخدام الأنشطة اللاصفية لتعزيز القيم والهوية الوطنية لطفل الروضة في ضوء رؤية 2030م تبعا لمتغري المؤهل العلمي، والخبرة.

دراسة «**أحمد جمال حسين محمد**[7] التربية الإعلامية نحو مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية» نموذج مقترح لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تأثير نموذج التربية الإعلامية المقترح على مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، تم تطبيق الدراسة على عينة مكونة من (32) طالباً من طلاب الفرقة الثانية في قسم الإعلام التربوي بكلية التربية النوعية بجامعة المنيا، تضمنت أدوات الدراسة اختباراً تحصيلياً ومقياساً للمسؤولية الاجتماعية واستبانة لتقييم مصداقية مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية، بالإضافة إلى بطاقة تقييم لتحليل ونقد المضامين الإعلامية التي أنتجها الطلاب، أظهرت الدراسة أن هناك تأثيراً كبيراً لنموذج التربية الإعلامية المقترح على تحصيل طلاب الدراسة فيما يتعلق بالجانب المعرفي لموضوع التربية الإعلامية والمسؤولية الاجتماعية، كما أظهرت الدراسة أن هناك تأثيراً كبيراً لنموذج التربية الإعلامية المقترح على تنمية مستوى مصداقية مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية لدى طلاب الدراسة وتقليل تأثيراتها السلبية عليهم.

دراسة **شريفة رحمة لله سليمان**[8] استخدام تكنولوجيا الاتصال في نشر مفهوم التربية الإعلامية بمدارس دولة الإمارات العربية المتحدة هدفت هذه الدراسة إلى قياس تأثير برنامج تضمين مفهوم التربية الإعلامية في المناهج الدراسية في مدارس دولة الإمارات العربية المتحدة على تطوير مهارة التفكير لدى الطلاب، يتم ذلك من خلال قياس مستوى استيعابهم وفهمهم وتقييمهم للمواد الإعلامية بعد تضمينها في المنهج المدرسي، ومن ثم قياس مهاراتهم النقدية والتحليلية والإدراكية تجاه ما تعرضوا له، وتم بتطبيق نموذج من هذا البرنامج في إحدى

(7) أحمد جمال حسين محمد: التربية الإعلامية نحو مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية، نموذج مقترح لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى طالب الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنيا، كلية التربية النوعية، قسم الإعلام التربوي،2015 م.

(8) شريفة رحمة الله سليمان: استخدام تكنولوجيا الاتصال في نشر مفهوم التربية الإعلامية بمدارس دولة الإمارات العربية المتحدة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة،، كلية الإعلام،2013م.

مواضيع منهج التربية الوطنية لطلاب الصف التاسع في مدارس إمارة دبي، وتعتبر هذه الدراسة وصفية واستخدمت الباحثة فيها المنهج المسحي ومنهج البحوث الكيفية، واعتمدت على استبانة لجمع بيانات الدراسة من عينة تضم (187) طالباً وطالبة، أظهرت نتائج الدراسة استجابة عينة الدراسة للبرنامج التدريبي، وكان ذلك أكثر وضوحاً بين فئة الطلاب أكثر من فئة الطالبات، كما أشارت الدراسة إلى أهمية توفير الإمكانيات التقنية في المجتمع التعليمي، مثل وسائل الاتصال التكنولوجية التي يمكن استخدامها كأدوات تعليمية مساعدة في بعض المناهج الدراسية، وساهمت فئة الطلاب والطالبات في تحسين مهارة استيعاب الرسالة الإعلامية نتيجة لتقارب المرحلة العمرية، بالإضافة إلى ذلك، ساهم البرنامج في تقريب فكرة تضمين مفهوم التربية الإعلامية في إطار عام لإحدى مواضيع منهج التربية الوطنية للصف التاسع.

دراسة **ريهام عبد الرازق محمود خطاب**[9] فاعلية استخدام برنامج للتربية الإعلامية في إدراك عينة من الأطفال المصريين للعنف التليفزيون تهدف الدراسة إلى تطوير برنامج يساعد أطفال المرحلة المتأخرة من الطفولة على اكتساب مهارات التربية الإعلامية لفهم مظاهر العنف في الأفلام المصرية، اعتمدت الدراسة على المنهج شبه التجريبي وتشمل عينة من (23) طفلاً في الفئة العمرية بين (9 و12) عاماً، أظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات الأطفال قبل وبعد تطبيق برنامج التربية الإعلامية على مقياس إدراك العنف بالأفلام المصرية من خلال مهارات التربية الإعلامية، كما أظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات الذكور والإناث بعد تعرضهم لبرنامج التربية الإعلامية.

دراسة **رشا عبد اللطيف محمد عبد العظيم**[10] معايير التربية الإعلامية وكيفية تطبيقها في مصر على المضامين التليفزيونية من منظور الخبراء، هدفت الدراسة إلى فهم الأسس والمهارات التي تحتاجها التربية الإعلامية، وكيفية توفيرها للجمهور لتمكينهم من تطوير الحس النقدي تجاه المحتوى الإعلامي الذي يتلقونه. وذلك بهدف حماية الجمهور، خاصة الأطفال والمراهقين والشباب، من تأثيرات الإعلام السلبية، تمت الدراسة باعتماد منهج المسح على عينة من الخبراء في مجال الإعلام والتربية والإعلام التربوي والإعلام المدرسي، حيث بلغ عددهم 200 خبير، وقد أظهرت الدراسة أن جميع الخبراء في العينة يرون أهمية التربية الإعلامية للمجتمع، وأيضاً أن الوالدين يعتبرون من أكثر الفئات بحاجة إلى التربية الإعلامية، حيث احتلوا المرتبة الأولى بنسبة (59.5%) وجاءت الأطفال في المرتبة الثانية بنسبة (53%)، كما أظهرت الدراسة أن الإدراك لتأثير وسائل الإعلام على الفرد والمجتمع هو أحد المعايير الأساسية التي يجب أن تستند إليها التربية الإعلامية، وبالإضافة إلى ذلك، كشفت الدراسة عن صعوبة تطبيق التربية الإعلامية، نظراً لوجود العديد من المعوقات في نشر ثقافة التربية الإعلامية في مصر، مثل إرهاق الطلاب بالمقررات الدراسية، وبناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكن القول أن هناك حاجة ماسة لتعزيز التربية الإعلامية في المجتمع المصري.

دراسة **ويب Webb, etal**[11] تم تنفيذ دراسة للحد من تأثيرات العنف بوسائل الإعلام

---

(9) **ريهام عبد الرازق محمود خطاب: فاعلية استخدام برنامج للتربية الإعلامية في إدراك عينة من الأطفال المقربين للعنف التليفزيوني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، **قسم الإعلام وثقافة الأطفال، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس**.2013م.

(10) رشا عبد اللطيف محمد عبد العظيم: معايير التربية الإعلامية وكيفية تطبيقها في مصر على المضامين التليفزيونية من منظور الخبراء، **رسالة ماجستيرغير منشورة**، كلية الإعلام، جامعة القاهرة،2011م.

(11) Web et at:Media Literacy as a violence- prevention Strategy; A pilot Evaluation.Unpublished PhD.

بمدارس التعليم الإعدادي عن طريق استخدام وسائل الإعلام، هدفت الدراسة إلى تزويد الطلاب بمهارات التفكير الناقد وتوفير معلومات حول حقيقة العنف في وسائل الإعلام والعنف الحقيقي، تم استخدام المنهج الوصفي في الدراسة وشملت عينة الدراسة (62) طالباً من مدارس التعليم الإعدادي في مدينة لوس أنجلوس الأمريكية، تم استخدام الاستبيان كأداة لجمع البيانات، أظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائيًا بين متوسط درجات الاختبار للمجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية بعد تطبيق البرنامج لصالح المجموعة التجريبية.

دراسة **نهي** (2016)[12] التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم، تم اعتماد دراسة منهج تحليل النظم، وهو منهج استدلالي، بهدف إعداد معلمين قادرين على فهم وسائل الإعلام المستخدمة في مجتمعهم وكيفية عملها، وتم تدريبهم على استخدام وسائل الإعلام للتواصل مع الطلاب وتطوير أساليب التعليم قبل الجامعي، كما تم تشجيع التفاعل بين المعلم والطالب من خلال التحاور حول محتوى وسائل الإعلام، أظهرت الدراسة وجود حالة سيئة في التربية الإعلامية والرقمية في الوطن العربي، حيث يعاني الشباب من مستوى تعليم منخفض، يمكن للشباب الذين يشكلون الفئة العمرية الأكثر قدرة على تغيير الإعلام في الوطن العربي، أن يكونوا عنصراً محورياً في هذا الصدد، كما تشير الدراسة إلى أن الجهود في هذا المجال لا تزال في مراحلها الأولى وتحتاج إلى تأسيس مفهوم التربية الإعلامية والرقمية في جميع المؤسسات التعليمية ونشر الوعي حوله قبل البدء في تنفيذه.

دراسة **حسن** (2007)[13] تم تناول دور المدرسة في التربية الإعلامية « الواقع والمأمول» حيث تم التركيز على الواقع الحالي والمأمول في هذا المجال، تم استهداف النقاط التالية: الواقع الحالي للإعلام التربوي الموجه للتعليم العام والتحديات التي تواجه المدارس في هذا الصدد، كما تم التطرق إلى الصعوبات والمعوقات التي تواجه التربية الإعلامية في هذه المدارس، بالإضافة إلى ذلك، تم تناول التربية الإعلامية المطلوبة لمدارس التعليم العام. وأخيراً، تم تقديم توصيات ومقترحات لتفعيل هذا الدور.

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة ذات الاتصال المباشر وغير المباشر بالدراسة الحالية أن بعضها تناول دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية كدراسة محمد ناجي الدعيس، أحمد يحيى الشاطبي، وبعضها تناول الهوية الوطنية وسبل تعزيزها بالتعليم كدراسة فرح وآخرون، في حين تناولت بعضها إلى استخدام تكنولوجيا الاتصال في نشر مفهوم التربية الإعلامية كدراسة شريفة رحمة الله، وبينما تناولت مضامين شبكات الاجتماعية، والمضامين التلفزيونية كدراسة كل من أحمد جمال حسين، رشا عبد اللطيف محمد، وبعضها تناول لفهم مظاهر العنف في بوسائل الإعلام والتي تتمثل في دراسة ريهام عبدالرازق، ويب، وبينما تناولت دراسة نهي التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المتعلم، واتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها لبعض موضوعات كجزء من التربية الإعلامية، وبينما تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في تناولها التربية الإعلامية المدرسية وبناء الهوية الثقافية للطالب، وهذا مالم تتناوله الدراسات السابقة، وفي المجمل استفادت الدراسة الحالية

California University,2009.

(12) نهى السيد أحمد ناصر: التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم، **المجلة العلمية لكلية التربية النوعية**، العدد السادس، أبريل 2016م.

(13) حسن بن أبو بكر العولقي: دور المدرسة في التربية الإعلامية "الواقع والمأمول" ، **مرجع سابق**، ص 12.

من الدراسات السابقة في إعداد الإطار النظري للدراسة، وكما استفادت منها في تفسير نتائج الدراسة الحالي

## ثانياً: واقع التربية الإعلامية:

التربية الإعلامية بين النشأة والتطور: يعود تاريخ التربية الإعلامية إلى النصف الأول من القرن العشرين، تحديداً في عام 1933م، عندما اقترح كل من لي فيس وطومسون تعليم الشباب كيفية التمييز بين الثقافتين العليا والشعبية في بريطانيا خلال الخمسينيات، وفي نفس الفترة، ظهر مفهوم التربية الإعلامية في الولايات المتحدة لمواكبة تأثير وسائل الإعلام المتزايد مثل الراديو والتلفاز على حياة الناس، وخاصة في مجال التعليم[14] فمنذ ستينيات القرن الماضي بدأت النظريات والمناقشات حول وسائل الإعلام تتضمن مفهوم التربية الإعلامية بهدف تنمية الثقافة والوعي الإعلامي، وعلى مر الأربعين سنة الماضية تطورت التربية الإعلامية من كونها اهتماماً هامشياً إلى حركة عالمية، وسرعان ما تم تضمين تعليم وتعلم وسائل الإعلام في مناهج التدريس بالجامعات في العديد من دول العالم، وأصبحت التربية الإعلامية ترتبط بالتساؤل: ما الذي يتعلمه الناس، وخاصة الشباب والمراهقين والأطفال، من وسائل الإعلام[15]، مع دخولنا في عصر الإنترنت، أصبح الشباب يعيشون في عالم التواصل الاجتماعي والثقافي والفكري، ويقضون الكثير من الوقت في التعامل مع وسائل الإعلام، وأصبحت القيم والعلاقات الاجتماعية تتأثر بشكل كبير بالإعلام[16].

عناصر التربية الإعلامية: تقوم التربية الإعلامية على العديد من العناصر والتي تتمثل فيما يلي[17]:

1. مهارة التفكير الناقد الذي يتيح للمتلقي تنمية المهارات اللازمة كأدوات للدخول لوسائل الإعلام عن طريق تحليل مضمونها وإنتاجها مما يتيح للفرد منافذ ينظر منها على العالم المشبع بالإعلام.
2. الوعي الكامل بعملية الاتصال الجماهيري، ومضمون الرسائل المقدمة من مختلف وسائل الإعلام من خلال المعرفة بقواعدها وعناصرها والعلاقات بينها مما تتيح للفرد أن يصبح مشاركاً في عملية الاتصال.
3. تنمية استراتيجيات تسمح بتحليل ومناقشة رسائل الإعلام مما تتيح للمتلقي رؤية أوضح للمعني الظاهر.

### 3.أهمية التربية الإعلامية:

1. تمكين المتلقي من مناقشة معاني الرسالة الإعلامية يتطلب مراعاة العوامل الفردية

(14) Bucht ,c.(2014): Media Education Development Among youth According to New Media Proceedings: A pilot Study Children, youth, Media in the World,(11),p.1-13

(15) Chappell, G, Feline &, R. (2013): Hobbs, Reflections on global developments in Media Literacy Education: Bridging theory and practice. Journal of Media Literacy Education (32) p.p 66-73.

(16) محمود عبد العاطي، عبد السلام محمد:تنمية الوعي بالتربية الإعلامية في ضوء المعايير الأكاديمية ، **رسالة دكتوراه**، جامعة بنها، مصر، 2017م، ص 173.

(17) Silverblatt, A. (1995): Media literacy: Key elements to interpreting media messages. Praeger: London, PP;2-3.

والاحتياجات الشخصية والخلفية الثقافية والقيم التي توجه سلوكه، وبالتالي، تتكون الرسالة الإعلامية من تجارب وانطباعات مختلفة للأفراد.

2. تيسير وصول الأفراد إلى المهارات والخبرات اللازمة لفهم كيفية تأثير وسائل الإعلام على إدراك يمكنهم من المشاركة كصانعي قرار ومشاركين في مجتمعات افتراضية وفقاً لأخلاقيات المجتمع وضوابط حرية الكلمة[18].

3. تلعب التربية الإعلامية دوراً هاماً في تزويد الطلاب بالثقافة الاجتماعية النقية وتمكينهم من مهارات النقد والتقويم والتحليل وحل المشكلات وربط الأشياء والمتغيرات، بالإضافة إلى المهارات التركيبية ومهارات الحديث والقراءة والكتابة والمهارات الاجتماعية والثقافية[19].

4. للتربية الإعلامية أهمية كبيرة في ظل الدور المتنامي لوسائل الاتصال كوسيلة رئيسية لنقل الثقافة، فوسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد في دعم المواقف أو التأثير فيها وتعزيز الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي[20].

4. **المعايير التي تقوم عليها التربية الإعلامية:** ترتكز التربية الإعلامية على معايير محددة تم تحديدها في ندوة عُقدت في إسبانيا عام 2002م، وتتضمن ما يلي[21]:

1. يشمل التعليم الإعلامي جميع وسائل الإعلام، سواء المطبوعة أو المسموعة أو المرئية.

2. يهدف إلى مساعدة الجمهور على التعرف على مصادر المحتوى الإعلامي وأهدافه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية والثقافية، وتمكين جميع شرائح المجتمع من اختيار وسائل الإعلام المناسبة التي تعود بالنفع عليهم وتزودهم بالمعلومات القيمة والمعرفة والقيم المتنوعة.

3. التربية الإعلامية لا تقتصر على عملية تعليم من خلال وسائل الإعلام، بل تتعلق بتدريس مهارات التعامل النقدي مع وسائل الإعلام، ولذلك يجب دعم التعليم الإعلامي من خلال أنظمة التعليم الرسمية وغير الرسمية.

4. التربية الإعلامية عملية متعددة الأبعاد: أي أنها تعتمد على تداخل وتكامل أبعاد متعددة في إدراك وتحليل الرسالة الإعلامية وهي كالتالي:

- **البعد الأخلاقي:** يشير هذا البعد إلى مدى قدرة الفرد على استنباط القيم الأخلاقية التي تحكم المضامين الإعلامية.
- **البعد الجمالي:** يشير إلى مدى قدرة الفرد على إدراك النواحي الفنية في المضامين الإعلامية والقدرة على تحرى الفرق بين الفن الحقيقي والفن المتكلف.
- **البعد العاطفي:** مدى امتلاك الفرد لحس مرهف أثناء تعرضه للمضامين الإعلامية.
- **البعد المعرفي:** يشير إلى العمليات العقلية التي يجب أن يقوم بها الجمهور من حيث القدرة

(18) شريف درويش اللبان: الدور الإعلامي للمواقع الإلكترونية للمؤسسات التعليمية في خدمة العلمية التعليمية، **مرجع سابق**، ص 54.

(19) ريهام عبد الرازق محمود خطاب: فاعلية استخدام برنامج للتربية الإعلامية في إدراك عينة من الأطفال المقربين للعنف التليفزيوني، **مرجع سابق**، ص 12.

(20) تيسير أبو عرجه: الإعلام والثقافة العربية- المواقف والرسالة، ط 1، دار مجدولاني، 2003م، ص 113-114.

(21) سحر أم الرتم، سامية عيواج: التربية الإعلامية والرقمية ضمن متطلبات التنشئة الاجتماعية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 16، العدد 1، 2019م، ص 95.

على إدراك المعاني والرموز والدلالات والأساليب الاقناعية التي تحتويها المضامين الإعلامية [22].

5. **خصائص التربية الإعلامية:** تتميز التربية الإعلامية بمجموعة من السمات التي تساعد الفرد على استخدام وسائل الإعلام بشكل واعٍ، وتشمل ما يلي[23]:

1. **توضيح واقع المجال واحتياجاته:** يعتبر العمل مع وسائل الإعلام جزءاً أساسياً من حياة الفرد في العصر الحديث، مما يجعل تعلم كيفية التعامل معها ضرورياً من خلال التعليم العام.

2. **تحقيق وضوح نتائج التعلم:** يساهم الوضوح في نتائج التعلم في تعزيز دافعية الفرد وجهده، حيث يمكن رؤية الوعي الإعلامي للشخص بسهولة في حياته اليومية وتأثيره على قدراته في حل المشكلات.

3. **تعزيز الثقة بالنفس والإيجابية:** يمنح التعليم الإعلامي المتعلمين فهماً شاملاً للبيئة الإعلامية ويساعدهم على استخدام الأدوات والتقنيات اللازمة للتفاعل مع وسائل الإعلام، مما يزيد من ثقتهم بأنفسهم وروحهم الإيجابية.

4. **تعزيز الدراسة الذاتية والتعلم مدى الحياة:** يضع التعليم الإعلامي الأسس اللازمة للمتعلمين ليكونوا قادرين على التعلم بشكل فردي ومستمر طوال حياتهم.

6- **أساليب التربية الإعلامية:**

يمكن تحقيق التربية الإعلامية بطرق عدة تتمثل فيما يلي[24]:

أ. المنهج الرسمي: التعليم الإعلامي الرسمي هو التعليم المقدم داخل المدارس. يركز برنامج الموجهين على نهج نظامي يقوم بتدريب المعلمين على تدريس الثقافة الإعلامية للطلاب في الفصل الدراسي. ويتميز هذا المشروع بسهولة التكامل في برامج إعداد المعلم الحالي كما أنه أسهل في التنفيذ. التصميم والمراقبة والتطوير والتحديث.

ب. الأساليب غير الرسمية: وهي أوسع نطاقًا إذ تشمل مجموعة واسعة من الأنشطة التي تتم خارج إطار المنهج المدرسي، وتتبع التطور الهائل الذي تشهده تكنولوجيا الإعلام في الثلاثينيات الأخيرة، والذي يتجلى في محو الزمن والفضاء من خلال تكنولوجيا البث الفضائي وفي ظل المعوقات التي تتطور مفهوم الإعلام والمعرفة ليشمل المسؤوليات العامة، والتي تتجلى في السعي لتحقيق الأهداف العامة للتربية الاجتماعية والتمسك بالقيم الأخلاقية. ويعود هذا التطور إلى الأسباب التالية:

أ. تطور مفهوم التعليم، وأصبح أوسع نطاقاً وأكثر معنى من حيث السلوك وتعديله، كما أن النظرة إلى التعليم كعملية شاملة ومستدامة تحرر التعليم من قيود النماذج المؤسسية الرسمية.

---

(22) أحمد جمال حسين محمد، التربية الإعلامية نحو مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية: نموذج مقترح لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، **مرجع سابق**، ص 12.

(23) **محمد علي العياد: الأعلام التربوي" مفهومه، تعريفه، علاقته بالعلوم الأخرى"، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2008، ص 33.**

(24) محمد النذير عبدالله ثاني، الإعلام التربوي والتربية الإعلامية- مقاربة نسقية مفاهيمية، **مجلة الدراسات الإعلامية** – المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، العدد السابع، مايو 2019م، ص 40.

ب. يُظهر إعلامي على نطاق واسع وينمو على جذب الرسائل الإعلامية المستقبلية ويؤدي دور تربوي ليقوم المسؤول التعليمي.

ج. تسرب بعض القيم والعادات السلبية التي تتعارض مع الثقافة الاجتماعية وخاصة في الدول التي تتمتع بنجم الحرية الإعلامية.

7- **مهارات التربية الإعلامية:**

- **التحليل:** هو تجزئه الرسالة إلى عناصر ذات معني، وعندما نتعرض للرسائل الإعلامية فإما أن نقبل هذه الرسائل من أول وهلة أو أن نتعمق داخل الرسالة نفسها بتفتيت مكوناتها وفحص تركيب عناصرها التي شكلتها.
- **التقييم:** هو أخذ عناصر معلومات الرسالة ومقارنتها بالمعايير الخاصة بنا، فإذا توفرت معاييرنا في هذه الرسالة نستنتج أن الرسالة- أو الآراء المعبر عنها- جيدة، ولكن إذا قصرت الرسالة عن معاييرنا فإنها غير مقبولة.
- **التجميع:** هو تحديد التشابه الموجود بين العناصر الموجودة في الرسالة أو تحديد كيفية اختلاف مجموعة من العناصر عن المجموعات الأخرى.
- **الاستقراء:** هو استخدام الأفراد العناصر التي قد تعلموها في وسائل الإعلام لتكوين إدراكهم عن الحياة الواقعية.
- **الاستنتاج:** هو استخدام قواعد عامة في تفسير أحداث خاصة، فعندما يكون لدينا قواعد عامة خاطئة يؤدى ذلك إلى تفسير الأحداث الخاصة بطريقة خاطئة، وأحد المصادر العامة التي يعتقد في صحتها أغلب الأفراد هو الإعلام[25].

8- **التربية الإعلامية عملية تفكير ناقد:** للتربية الإعلامية دوراً بارزاً في زيادة قدرة الجمهور على تحليل الرسالة الإعلامية وفهمها وهذا سيؤدى بطبيعة الحال إلى زيادة نشاطهم تجاه الرسالة الاتصالية سواء كان هذا المساق في الحياة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية ففي الوقت الحالي أصبحت قضية منع المواقع أو المشاهد غير الجيدة من الأمور الخلافية، هل تصب في صالح النشء أو ضده باعتبار أن كل ممنوع مرغوب لذلك فتربية الفرد على النقد والتحليل وإعمال العقل هي الطريقة الفعالة ليكون هناك رقابة ذاتية من الفرد نفسه على نفسه[26]، فالغرض الأساسي للتربية الإعلامية ليس فقط تكوين الوعي النقدي ولكن تكوين الحكم الذاتي المستقل بشأن الرسائل المختلفة في وسائل الإعلام، ويعنى تعلم عملية تكوين الأحكام الذاتية التي تمكنه من مواجهة وسائل الإعلام طيلة حياته، كما أن التفكير النقدي في بعض المهارات يجعل الأفراد يناقشون القضايا العامة بوسائل الإعلام حتى يقوموا بردود أفعال حاسمة تجاه هذه الوسائل[27].

(25) هاجر محمد الشافعي محمد، العلاقة بين أنماط التدخل الأبوي وطبيعة التأثيرات الناتجة عن تعرض الطفل المصري للقنوات الفضائية، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ، 2013م، ص 53-55.

(26) مي أبو مقلى: في العالم الرقمي الحديث، التربية الإعلامية ضرورة لا رفاهية"، **مجلة المرأة**،29 ديسمبر 2015 ص 55.

(27) عدلي سيد رضا: التربية الإعلامية ضرورة في عصر الفضائيات والإنترنت، 2009م، ص 501.

**7- منطلقات التربية الإعلامية:**

**يستند الإعلام التربوي إلى عدد من الأسس والمنطلقات أهمها ما يلي[28]:-**

1. **الالتزام بالإسلام وتصوراته الكاملة للكون والإنسان والحياة، والمحافظة على عقيدة الأمة، والإيمان بأن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوام للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان، وتجنب وسائل الإعلام كل ما يناقض شريعة الإسلام**
2. **الارتباط الوثيق بتراث الأمة الإسلامية وتاريخها وحضارتها، والإفادة من سير أسلافنا العظماء، وآثارنا التاريخية.**
3. **تعميق عاطفة الولاء للوطن، من خلال التعريف برسالته، وخصائصه ومكتسباته، وتوعية المواطن بدوره في نهضة الوطن وتقدمه، والمحافظة على ثرواته ومنجزاته.**
4. **التركيز على أركان العملية التعليمية في الرسالة الإعلامية (المدرسة - المنهج - المعلم- الطالب وولي الأمر) والمساهمة في التعريف بأدوارها في العملية التعليمية، وواجباتها، وحقوقها وطرح مشكلاتها ومعالجتها إعلامياً.**
5. **التأكيد على أن اللغة العربية الفصحى هي وعاء الإسلام، ومستودع ثقافته، لذا ينبغي الالتزام بها لغة للتربية الإعلامية.**
6. **الالتزام بالموضوعية في عرض الحقائق والبعد عن المبالغات، وتقدير شرف الكلمة ووجوب صيانتها من العبث.**
7. **التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في ميادين العلوم والثقافة والآداب، والمشاركة فيه وتوجيهها بما يعود على المجتمع خاصة، والإنسانية عامة بالخير والتقدم.**

## ثالثاً: الهوية وعلاقته بالثقافية ومكوناتها:

**1- مفهوم الهوية: تتمثل الهوية في مجموعة السلوكيات واللغة والثقافة التي تسمح للفرد بالتعرف على انتمائه لمجتمع معين والتماشي معه. وتشمل الهوية أيضاً العادات والمعتقدات واللغة والتراث المسجل والشفهي والإبداع الفكري والأدبي والفني، والتي توفر للفرد وسائل التعبير المفضلة له[29].**

**2- مفهوم الثقافة: تعرف الثقافة بعناصرها التي تتفاعل مع بعضها البعض كعنصر واحد غير قابل للتجزئة، تشمل هذه العناصر المعرفة، المعتقدات، القيم، الفنون، القوانين، العادات، الأخلاق وجميع أشكال المهارات التي يكتسبها الفرد من خلال المجتمع الذي يعيش فيه، تدعم هذه العناصر أيضاً الفرد من خلال اللغة، المؤسسات الاجتماعية والمخرجات المادية التي يحتاجها لممارسة حياته والرمزية للمجتمع. إذاً الثقافة ليست مجرد وعاء لأدوات حياته، بل إنها تمده بالأبعاد التي يمكنه من خلالها فهم الحياة، لذلك سوف نتناول أهم هذه العناصر بشيء من التفصيل على النحو التالي[30]:**

(28) محمد عطية أبو فودة، دور الإعلام التربوي في تدعيم الانتماء الوطني لدي الطلبة الجامعيين في محافظات غزة ،**رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية التربية جامعة الازهر، غزة ، 2006م، ص22.

(29) عزة مصطفى الكحكي: "القنوات الفضائية الأجنبية وانعكاساتها على الهوية وأزمة القيم لدى عينة من الشباب العربي في مرحلة المراهقة"، المؤتمر السنوي التاسع، الإعلام المعاصر والهوية العربية، مايو ،2004 ص.336

(30) Jean- Claude usunier, Julie Anne lee: "Marketing Across cultures", Fifth edition, prentice Hall, 2009,

1. اللغة **Language**: هي مرآة الثقافة في المجتمع ومظهر من مظاهر ثقافتها، ومحاولة فصل اللغة عن الثقافة يعد عملاً معاكساً لطبيعة كل منهما، تتمتع اللغة بأهمية كبيرة داخل عملية التسويق الدولي لعدة أسباب، منها[31]

- اللغة تعتبر أداة لجمع المعلومات وتقييم الجهود، وخاصة فيما يتعلق بآراء الآخرين، كما أنها تساعد على خلق الروابط وتوحيد الصلات بين الأشخاص، نظراً لارتباطها بالجوانب اللاشعورية التي تكشف عن ملامح الخلفية الاجتماعية والثقافية[32].
- اللغة تمكن المسوقين الدوليين من الوصول إلى الأسواق المعلنة. على الرغم من انتشار اللغة الإنجليزية على نطاق واسع، إلا أن مخاطبة المستهلك بلغته المحلية تحقق فارقا كبيرا في النجاح، وهذا ما يظهر في تحقيق الشركات التي تترجم جهودها الدعائية والمعلوماتية لأرباح أكبر.
- تزداد أهمية اللغة في إجراء الاتصالات داخل وخارج المؤسسات التجارية. فاللغة ليست مجرد وسيلة للاتصال، بل هي آلية لتفسير المحتوى وتبادل الأفكار بين الأطراف المختلفة[33].

2. **الدين: Religion**

الدين يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الثقافة، حيث تعكس جميع الثقافات معتقداتها وممارساتها الدينية من خلال مذاهبها وشعائرها. يظهر تأثير الدين على الثقافة من خلال العديد من الوظائف التي يقوم بها، مثل التحكم الاجتماعي وحل الصراعات الداخلية وتعزيز الروحانية والعاطفة للأفراد. هذه الوظائف تؤثر على جوانب مختلفة من حياة الأفراد، بدءاً من العمل وصولاً إلى السياسة والسلوك الاجتماعي كمستهلك داخل المجتمع[34].

3. **القيم والاتجاهات Valuesand Attitudes**: تختلف القيم المتبادلة في المجتمعات المختلفة، مثل قيم النجاح والعمل وحب الثروة والتغيير والمغامرة، في تفسيرها من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر. تؤثر ثقافة المجتمع وقيمه واتجاهاته على نمط حياة الأفراد داخل المجتمع وأيضًا على طريقة تنفيذ الأعمال داخل المؤسسة الواحدة، مثل تعزيز ثقة الأفراد بأنفسهم. ومن المعروف أن بعض المؤسسات العالمية تجد صعوبة في تعزيز قيم الأفراد وثقافاتهم على مستوى العالم بسبب التباينات الثقافية[35].

4. **المنظمات الاجتماعية Social organization** تعتبر المؤسسات الاجتماعية الإطار العام الذي ينظم المجتمع، ويجب على المسوقين أخذ العوامل المختلفة في الاعتبار عند التخطيط للوصول إلى الأسواق المستهدفة، تشمل هذه العوامل القوانين والأدوار الاجتماعية للذكور

---

PP. 4.

(31) غاده حسام الدين محمد: "أثر استخدام برنامج المشاهدة الناقدة على عينة من الأطفال المصريين" دراسة تجريبية، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة والإعلام وثقافة الطفل،عين شمس، 2006م، ص83.

(32) محمود أبو زيد: "اللغة فى الثقافة والمجتمع"، ط١ القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ،2006م، ص 177.

(33) Michael R. Czinkota, Ilkka A. Ronkainen: "International marketing", Fifth edition, The Dryden press, 1998, PP. 67- 68.

(34) LarryA. Samovar, Richard E-porter and Edwin R. McDaniel: "Communication Between cultures", Seventh editions, wadsworth. Cengage. Learning, 2010 PP.25.

(35) Kiefer Lee, Steve Carter: "Global marketing Management. Changes. New challenges and Strategies", Second edition, 2009, PP. 110.

**والإناث في المجتمع، بالإضافة إلى المؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمع. يعتبر النظام الاجتماعي أحد الأسس الأساسية التي يعتمد عليها المسوق عند تجزئة السوق. وبالتالي، ما ينطبق على المجتمعات الإسلامية قد لا ينطبق على المجتمعات الأخرى التي تتميز بالتنوع العرقي والثقافي[36].**

**5. الرموز Symbols هي العناصر التي تحمل معانٍ خاصة وتفهمها فقط أفراد من نفس الثقافة، وتشمل هذه الرموز الكلمات والإشارات والصور التي تعبر عن مفاهيم معينة، وتشمل الرموز أيضًا الأمور المعتادة داخل ثقافة معينة مثل اللباس وتسريحات الشعر. يمكن تطوير رموز جديدة واختفاء رموز قديمة بمرور الوقت[37].**

**3. علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة:**

لا يمكن فصل الهوية عن الثقافة، حيث تتلازم الاثنتان معاً، فالهوية تعكس الثقافة التي ننتمي إليها، وقد تحتوي الهوية الواحدة على عدة ثقافات مختلفة، على سبيل المثال، الهوية الإسلامية تجمع بين ثقافات متعددة من الشعوب التي اعتنقت الإسلام مما يجعلها هوية شاملة ومتنوعة، وعندما نتحدث عن العلاقة بين الهوية والثقافة، فإننا نعني العلاقة بين الذات والإنتاج الثقافي فكل إنتاج ثقافي ينبع من تجربة الذات وتفاعلها مع البيئة المحيطة، وبالتالي يجب أن ندرك أن كل ما نفكر فيه وننتجه يعكس تجاربنا ومعرفتنا التي اكتسبناها من خلال حواسنا وتفاعلنا مع العالم من حولنا[38].

**4. التربية الإعلامية المدرسية واسهاماتها في بناء الهوية الثقافية لدي لطلابها:**

**تلعب التربية الإعلامية المدرسة دوراً هاماً في تنشئة الفرد وتأصيل هويته[39]وتستطيع بدورها في تشكيل الهوية الثقافية من خلال نقل المعارف والمفاهيم، وغرس القيم وتنميتها، مع تعزيز السلوكيات المقبولة اجتماعيا والتخلص من السلوكيات المرفوضة، بالإضافة إلى تنمية المهارات والقدرات[40]وتدريبهم وتعليمهم علي أساليب وسائل الإعلام وكيفية التعامل مع مضامينها بوعي[41]بدورها في تشكيل الهوية الثقافية فإن ذلك يتطلب التركيز على المناهج الدراسية وأن تدرج ضمن مناهجها وبرامجها التعليمية مادة التربية الإعلامية كمادة مهمة وضرورية التي**

(36) نهى السيد أحمد ناصر، التربية الإعلامية ودورها فى بناء شخصية المعلم، المجلة العلمية، **مرجع سابق**، ص 814.

(37) Marieke demooij: "Global Marketing and advertising understanding cultural paradoxes", third edition, Sage, publication, inc, 2010, PP. 52.

(38) حسين المختار محمد الشاوش ،الإعلام الجديد والهوية الثقافية أي عالقة وأي تأثير،المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب ،جامعة الزاوية، 13-12 ديسمبر، 2021م، ص 65.

(39) محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية، ط1 مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.2009م، ص151-152.

(40) سعيد إسماعيل على: التربية السياسية للأطفال، القاهرة، دار السلام .2008م، ص84

(41) أمال سعد المتولي: الإعلام المدرسي: الصحافة والإذاعة المدرسية، دار مكتبة الإسراء، طنطا، 2003م، ص20..

ترسى قيم الهوية الثقافية وتعززها في نفوس طلابها، وكما يهتم الإعلام التربوي بتثقيف الطلاب بسبل فهم الأمور والتعايش مع الآخرين واستيعاب متطلبات العصر الحديث وآليات التفاعل مع العولمة، وإعدادهم لمواجهة الأحداث الجارية الطارئة وغير الطارئة في ظل ما يشهد العصر الحالي من تغيرات وتطورات تكنولوجية متسارعة، وكما يهتم الإعلام التربوي بمساعدة التلاميذ على فهم حقوقهم وواجباتهم ، والتربية الإعلامية أحد أركان الإعلام التربوي حيث تعد مشروع تمكين يهدف إلى إعداد التلاميذ لفهم الثقافة الإعلامية التي تحيط بهم[42]،تركز التربية الإعلامية في المؤسسات التعليمية، بما في ذلك المدرسة، على الحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية ودعم المقومات والقيم الثقافية الوطنية والمحلية[43]، وتعتبر هذه العملية مستمرة لتعزيز الشعور بالواجب تجاه المجتمع وتنمية الانتماء للوطن والاعتزاز به، وزرع حب النظام والاتجاهات الوطنية والأخوة والتفاهم والتعاون، ويتضمن ذلك تعريف التلاميذ بمؤسسات بلدهم ومنظماتها الحضارية. ولتحقيق ذلك، يجب تضمين الهوية الوطنية في المناهج الدراسية من خلال الأنشطة اللاصفية التي تنفذ داخل المدرسة [44]، مع ضرورة تبنى برامج وطنية خاصة لتشكيل الهوية الثقافية، ومن بين أهم ما تسعى إليه التربية الإعلامية المدرسية ما يلي:

- تزود الطلاب بالاتجاهات السلوكية البناءة، والنهوض بالمستوى التربوي والفكري والحضاري والوجداني لديهم[45].
- العمل على معالجة مشكلاتهم سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو ثقافية.
- توفير بيئة تعليمية حقيقية قائمة على التفاهم والحوار والصراحة وإكسابهم القيم ومساعدتهم علي تشكيل المفاهيم الصحيحة حول المواقف والإفراد والأشياء[46].

ولذلك من المهم ترسيخ التربية الإعلامية في المؤسسات التعليمية وغير التعليمية ومناشدة السلطات والجهات المعنية بتطوير برامج التربية الإعلامية الشاملة ودعمها بدءا من مرحلة ما قبل المدرسة إلى المرحلة الجامعية.

- **دور مقررات تعليمية في تنمية التفكير بالمحتوى الإعلامي:**

يعد المنهج هو الوسيلة التي تقود المجتمع رسالته التربوية المنهج هو الوسيلة التي تقود المجتمع رسالته التربوية إلى الثقافة ونقل المعرفة وتنمية القيم والاتجاهات والمهارات والأنماط التفكير التنافسي احتياجات الأفراد والمجتمع، وترجع عدم تنمية تفكير المتعلمين إلى قصور في المنهج، أو قصور في المنفذ، أو قصور في البيئة التعليمية وطرق التقييم، أو

(42) محمد ناجي الدعيس، أحمد يحيى الشاطبي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة- صنعاء، **مرجع سابق**، ص 143-174

(43) أم الزين حسين احمد بدوي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية للمحافظة على الهوية الوطنية من وجهة نظر معلمات المرحلة الابتدائية بمكة المكرمة، **مرجع سابق** ، ص 309.

(44) فرج وأخرون، دور معلمة قسم الطفولة المبكرة في إدارة الأنشطة اللاصفية لتعزيز القيم والهوية الوطنية لطفل الروضة في ضوء رؤية 2030، مجلة العلوم التربوية، كلية التربية بالغردقة، جامعة جنوب الوادي، 3(1) ، 2020م،ص 5.

(45) Senge, Peter and Others, Schools that learnA fifth Discipline Resource, New York: Doubleday,2000, P78.

(46) حسن شحاتة، النشاط المدرسي: مفهومه، وظائفه، مجالات تطبيقه، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،1997م، ص 57.

العوامل المتعلقة بالمتعلمين، بالإضافة إلى العديد من العوامل التي ذكرناها سابقًا[47]. يذكر سكيفن ووبول أن التفكير النقدي هو عملية عقلية منظمة تتميز بتكوين المفاهيم، وتطبيق، وتحليل، وتوليف، ومراجعة المعلومات التي يتم جمعها أو توليدها أو استنتاجها من الملاحظة المتعلقة بالعلاقات السببية والتقنية.

يستجيب التفكير النقدي للموضوعات والمشكلات والأهداف المتغيرة ويتكامل مع العديد من طرق التفكير الأخرى، بما في ذلك: العلوم والرياضيات والتاريخ والاقتصاد والأخلاق والفرضيات والفلسفة والقدرة على:

- طرح الأسئلة المهمة وأذكرها بوضوح ودقة.

- جمع تقييم المعلومات المتطابقة، واستخدام الأفكار المجردة لتفسيرها، وتفسيرها بشكل فعال لإنتاج نتائج وحلول جيدة للسبب والنتيجة، واختبار هذه النتائج مقابل المعايير والمستويات المتطابقة.

- التواصل بشكل فعال مع الآخرين لاكتشاف حلول للمشكلات المعقدة - عندما يتأثر المحتوى الإعلامي بالتفكير النقدي، يستطيع الأفراد تحديد وتحديث الرسائل الإيجابية والسلبية لرسائل المحتوى الإعلامي الصريحة والمخفية التي لا شك أن هذه الرسائل المخفية هي محتوى المعلومات يسبب الضرر والتهديد للأفراد والمجتمع[48].

- **الأساليب التي ينبغي الأخذ بها لتحقيق التربية الإعلامية المدرسية:**

تتمثل الأساليب التي ينبغي الأخذ بها لتحقيق التربية الإعلامية المدرسية في عدة نقاط تتمثل فيما يلي[49]:

1. تأهيل المعلمين للقيام برسالة التربية الإعلامية.
2. تصميم مقررات التربية الإعلامية من قبل خبراء في مجالي التربية والإعلام.
3. وضع برامج تدريبية تشرك الطلاب في قراءة الرسائل الإعلامية وتحليلها ونقدها من أجل تعزيز ثقافة التربية الإعلامية.
4. توفير الموارد المادية والبشرية اللازمة للتربية الإعلامية في التعليم.
5. إنشاء منافذ إعلامية ومختبرات وتطبيقات في البيئة التعليمية تتيح للطلاب فرص المشاركة والتعبير عن آرائهم
6. وضع أهداف للتربية الإعلامية تتماشى مع أهداف المراحل التعليمية المتضمنة في سياسة التعليم.
7. تعزيز استخدام الأنشطة الطلابية في التعليم الإعلامي.

(47) عبد الرحمن وآخرون، اتجاهات الأساتذة حول أبعاد التربية الإعلامية في المؤسسات التربوية دراسة ميدانية لعينة من أساتذة التعليم الابتدائي بوادي زناتى، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائرية، 2023م، ص 55.

(48) احمد يحي حسين بن عايل، رؤى حول التربية والإعلام وادوار المناهج لتنمية التفكير في مضامين الإعلام لتحقيق التربية الإعلامية، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، جدة، 2007م،ص 30.

(49) محمد بن سليمان الصبيحي، اتجاهات النخب الإعلامية والتربوية نحو إقرار مادة التربية الإعلامية في التعليم ما قبل الجامعي دراسة ميدانية على عينة من الأكاديميين والقياديين والمهنيين السعوديين، المجلة العلمية لنشر البحوث، كلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، العدد السادس، 1-7-2022م،ص 35.

8. استخدام الخبرات الدولية في تصميم مقررات التربية الإعلامية في التعليم الثانوي والتعليم العام.

- **معوقات وصعوبات التربية الإعلامية المدرسية:**

وتتمثل في ضعف الإيمان الحقيقي بقيمة النشاطات المدرسية وأهميتها والنظرة السلبية لأولي الأمر، يعود إلى عدة عوامل منها[50]:

1. عدم قدرة المعلمين على تنظيم النشاط المدرسي بمنهجية تؤدي إلى تحقيق أهدافه.
2. نقص الوقت المخصص في المنهج المدرسي لممارسة النشاط.
3. التركيز الزائد على نظام الامتحانات وأهميتها، مما يقلل من أهمية النشاط المدرسي.
4. ندرة المعلمين الكفؤين الذين يستخدمون التكنولوجيا في التعليم.
5. التباين الكبير بين الثقافة المدرسية والثقافة السائدة في وسائل الإعلام.
6. صعوبة تنسيق الجهود بين التربويين والإعلاميين بسبب التقدم التكنولوجي.
7. عدم مشاركة الآخرين في النشاطات المدرسية والدراسية.
8. تراجع الالتزام بالدور الاجتماعي وتجاوز الواجبات والحقوق الأخرى.

**رابعاً: قواعد التربية الإعلامية المدرسية وبناء الهوية الثقافية تتضح فيما يلي:**

تتضح قواعد التربية الإعلامية المدرسية وبناء الهوية الثقافية من خلال تأثير ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، فقد شهد العالم تحولات كبيرة وسريعة بسبب ثورة الاتصالات وزيادة كمية المعلومات المتاحة، تظهر هذه التحولات في استخدام الحواسيب والشبكات الإلكترونية والأنظمة الرقمية وغيرها من التقنيات الحديثة التي تسمح بنقل المعلومات وإدارة الأعمال والأموال بسرعة كبيرة عبر الإنترنت، وبينما كان العالم يتأثر سابقًا بالاقتصاد الصناعي ووسائل النقل التقليدية، فإنه اليوم يتأثر بالأقمار الصناعية ووسائل الإعلام والتكنولوجيا الرقمية[51].

ويعود انتشار الثقافة الشعبية الأمريكية وتأثيرها على حياة الشباب على الصعيد العالمي إلى هذه التكنولوجيا الحديثة، فقد انتشرت العديد من عناصر الثقافة الشعبية الأمريكية مثل الموسيقى والأفلام والمسلسلات والأكلات السريعة والملابس الجينز والمشروبات الغازية على نطاق واسع بفضل وسائل الإعلام الحديثة والتكنولوجيا الرقمية، توجد عدة أسباب لهيمنة الشركات الإعلانية الأمريكية على التسويق العالمي، منها السيطرة على صناعة الموسيقى والأفلام والمسلسلات، واستخدام البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، كما تشير الدراسات إلى أن الولايات المتحدة تصدر فقط السلع الثقافية الاستهلاكية[52]، مما يؤدي إلى تهميش الثقافة الرفيعة وتراجع دور العملية الثقافية – الاجتماعية في المجتمعات التقليدية والنامية أيضًا بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية.

(50) Jordon Kathleen Bur son (2010) Measuring Media Literacy Among Collegiate Journalism Students , Master Thesis , Oklahoma State University, USA

(51) مؤيد عبد الجبار الحديثي، العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، العربية للنشر والتوزيع، 2002م، ص81.

(52) مصطفى محمد رجب": الإعلام والمعلومات في الوطن العربي في ظل إرهاب العولمة "مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2007، ص -1

ومن الملاحظ أن الولايات المتحدة تسعى لتصدير ثقافة الاستهلاك وترويج المنتجات الثقافية الاستهلاكية تطور تكنولوجيا الاتصال، خاصة الإنترنت ساهم في زيادة الاعتماد على اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، مما أدى إلى استعمار لغوي واستخدام الإعلانات لنشر اللغة الإنجليزية تكنولوجيا المعلومات أيضًا أدت إلى تأثير سلبي على القيم والثقافة، وتسببت في عدم المساواة في الحصول على الثروة المعلوماتية وخرق الخصوصية الشخصية وتأثير الإعلان على القيم والثقافة يعتبر أمرًا مهمًا، حيث يؤثر على سلوكيات الأفراد ويشكل جزءًا من ثقافة المجتمع تغير القيم يصاحبه تغيرات اجتماعية عديدة على مستوى الحراك الاجتماعي والتعليم والإعلام والعمل والأسرة والعلاقات الاجتماعية[53]، وتسلط الاقتصاد الأمريكي وسيطرته الحصرية على السوق العالمية منذ الحرب العالمية الثانية، والإبداع في صناعة الترفيه وشركات الأقمار الصناعية التي تأثرت في كل تجمع عائلي وفي كل فرد من خلال البرامج التلفزيونية التي تلبي احتياجات الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية، وقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بصناعة ثقافة شبابية تعتمد على نشر ثقافة الاستهلاك، واستخدام صناعة الإعلان ووسائل الإعلام لمراقبة ميول الأفراد ورغباتهم، وقد أظهرت الدراسات والاستطلاعات الأمريكية المنتشرة في العالم تفضيل الأفراد للمستوى المنخفض من الأنشطة الثقافية الأمريكية على عكس ما يحدث في أوروبا الغربية، مع توسع تكنولوجيا الاتصال العالمية وانتشار السلع الاستهلاكية الغربية، في جميع أنحاء العالم النامي، لعب الإعلان الدولي دوراً مهماً في هذه العملية، وقد شهدت عملية العولمة ازدهار الإعلان عن السلع الاستهلاكية الغربية داخل الدول النامية ،مع تزايد صناعة التسلية فقط تدر على الولايات المتحدة دخلاً سنوياً يقدر بـ (150) بليون دولار، فهل هناك شك في أن سيطرة الشركات الأمريكية عابرة القارات على صناعة الإعلام والاتصال تزيد القوة الأمريكية؟ وهل من الطبيعي أن يكون مبدأ التدفق الحر للمعلومات غير قابل للتفاوض أو المناقشة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والتقدم في نظام الإعلام الدولي وثورة الاتصالات سيؤدي إلى انهيار العديد من الثقافات التقليدية، وستسود ثقافة عالمية تمثلها الثقافة الأنجلو-أمريكية[54]، بالإضافة إلى ذلك، ساهم تطور تكنولوجيا الاتصال، وخاصة الإنترنت، في زيادة الاعتماد على اللغة الإنجليزية كلغة اتصال عالمية، مع تزايد الاعتماد على الاتصال عبر الإنترنت، أصبحت اللغة الإنجليزية تلعب دوراً مهماً في التواصل العالمي، فقد أصبحت تعتبر بمثابة جواز سفر لحياة أفضل بالنسبة للكثير من الناس، ووسيلة لفهم ونشر الثقافة العالمية ونتيجة لذلك أصبح تعلم اللغة الإنجليزية صناعة مزدهرة عبر العالم، ويعتبر استخدام اللغة الإنجليزية في الإعلانات التي تظهر على شبكة الإنترنت دليلاً على هذا الاستعمار اللغوي استخدام كثير من الإعلانات التي تظهر على شبكة المعلومات **Linguistic cdonialalism** ، بفضل الانتشار الواسع للغة الإنجليزية عبر المواقع المختلفة كلغة اتصال دولية، والتي تم اعتمادها بشكل كبير بفضل تقدم التكنولوجيا والحواسيب الإلكترونية[55]، ومن بين العيوب الرئيسية لتكنولوجيا المعلومات:

- أصبحت التكنولوجيا بمثابة دين جديد، له تأثير قوي على ضعف القيم الإنسانية، وظهور

(53) أحمد مجدى حجازي":الثقافة العربية في زمن العولمة"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص19.-

(54) سليمان صالح، الإعلام الدولي، مكتبة الفالح للنشر، 2003م، ص270 -

(55) عبد الله بن يحيي المعلمي": الاقتصاد والثقافة في الوطن العربي ، نظرة مستقبلية"، ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 2002 ، ص 510.

إمبراطوريات جديدة للقوة وشركات عملاقة، مما يؤدي إلى استبدال قيم السوق بدلاً من القيم الإنسانية.

- تزايدت حالات عدم المساواة في الوصول إلى الثروة المعلوماتية بين طبقات المجتمع، مع سيطرة الثقافة الأمريكية واللغة الإنجليزية على المشهد المعرفي.
- يسهم استخدام التكنولوجيا في انتهاك الخصوصية الشخصية واستغلال البيانات في أنشطة إجرامية[56].
- تأثير الإعلان على القيم كجزء من ثقافة المجتمع يثير الكثير من الآراء والأفكار المتنوعة، يختلف الباحثون في مجالات العلم المختلفة حول مفهوم كلمة الثقافة وتعريفها [57]، فليس هناك تعريف واحد متفق عليه الباحثون في مجالات العلم المختلفة يرون الثقافة بأشكال متنوعة، فمنهم من يعتبرها أسلوب الحياة في مجتمع معين، ومنهم من يراها تعبيراً عن المعرفة والتقاليد والمهارات والمعتقدات التي تشترك فيها جماعة من الناس في زمن معين. وتحرص كل جماعة على نقل ثقافتها من جيل لآخر، بقاء الثقافة واستمرارها يعتمد على فعالية الاتصال داخل الجماعة وبينها وبين الجماعات الأخرى[58]،يمكن فهم خصوصية الثقافة من خلال تمثيلها لنظام القيم الأساسي للمجتمع كل نظام اجتماعي ثقافي يتميز بشخصيته الأساسية، وهي مجموعة من الصفات والميول والاتجاهات التي تختلف بين أفراد الثقافة يمكن تعميم خصائص السلوك والذهنية على أغلب أو كل أفراد الجماعة، مما يؤكد التفرد والخصوصية. هذا يساعد في تحليل دور الثقافة في عملية العولمة بغض النظر عن قوة العوامل الاقتصادية والإعلامية، الثقافة هي مجموعة القيم والأفكار والاتجاهات والرموز التي تم تطويرها وإتباعها من قبل أمة معينة تختلف الثقافات من بلد إلى آخر وتساعد في تشكيل السلوكيات والمعتقدات للمجتمعات تساعد الثقافة في تحويل القيم الروحية والمادية إلى واقع ملموس يؤثر على سلوك الأفراد والمجتمعات، تأثير ثقافة المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد على قيمه واتجاهاته لا يمكن إنكاره، فالثقافة تشمل المفاهيم المادية مثل الفن والأدب والمباني والأثاث والملابس والموسيقى، والمفاهيم غير المادية مثل التاريخ والمعرفة والقوانين والأخلاق والعادات، ومن خلالها يتعرف الناس على أسلوب حياة معين وتورث من جيل لآخر[59]،وتظهر القيم كعنصر أساسي في البيئة الثقافية لأي مجتمع، حيث توجه وتحرك وتشكل اتجاهات وسلوكيات أفراد المجتمع، ويصاحب تغير القيم عبر الزمن العديد من التغيرات الاجتماعية، سواء على مستوى الحراك الاجتماعي أو المنظومة التعليمية أو المنظومة الإعلامية والثقافية أو منظمة العمل ومؤسسة الأسرة والعلاقات الاجتماعية بين الفئات والشرائح والجماعات الاجتماعية[60].

(56) نهله أحمد درويش":العولمة وتغيير أنساق القيم -دراسة تطبيقية على الدراسات المصرية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، ) جامعة القاهرة:كلية الآداب، 2009 ، ص 160.

(57) مصطفي ليبيب، الثقافة والإذاعة " مشكلات وقضايا"، مجلة الفن الإذاعي، العدد 2005،178م،ص 123.

(58) - أحمد أبو زيد، الاتصال والإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية السعودية ،2010م، ص 73.

(59) نهى السيد أحمد ناصر، التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم، **مرجع سابق**، ص 789.

(60) شادية على فؤاد قناوي": قضايا عربية معاصرة"، الدار المصرية السعودية، 2006، ص 229.

## نتائج الدراسة:

1. وجد وضع متردي حول التربية الإعلامية والرقمية في الوطن العربي، ومستوى التربية لدي الطلاب منخفض، على الرغم من أنهم الفئة العمرية التي يمكنها تغيير الإعلام بشكل أكبر.

2. الجهود في مجال التربية الإعلامية لا تزال في بدايتها وتحتاج إلى تأسيس أفضل في المؤسسات التعليمية، ونشر الوعي بها قبل البدء في تنفيذها. إذا كان هذا هو الوضع في مجال تعليمي مهم مثل نشر العلم، فماذا عن الجماهير أنفسهم؟

3. تطبيق نماذج للتربية الإعلامية على بعض الطلاب أثبتت فعاليتها بشكل محدود، وهذا يشير إلى استعداد الطلاب لقبول المفهوم وممارسته بشكل واقعي، ولكن ليس بشكل كافٍ.

4. هناك تراجع في فهم التربية الإعلامية من الناحية الإعلامية والتربوية، على الرغم من أن الدين الإسلامي قد وضع العديد من الأسس لهذا المفهوم دون أن يلقى الاهتمام الكافي.

5. التربية الإعلامية ضعيفة كمنهج دراسي للطلاب في المرحلة العامة، على الرغم من أنها ضرورية في العملية التعليمية.

6. قلة قليلة من المدارس تهتم بتقديم خدمات التربية الإعلامية على مستوى المدرسة، على الرغم من أهميتها الكبيرة في تشكيل الذات وإعادة تشكيلها.

7. هناك ندرة في التعاون بين الإعلاميين والتربويين في تنسيق المحتوى الإعلامي التربوي الذي يمكن تقديمه للطلاب، وهذا يهدف إلى تحقيق التكامل في الأهداف والبرامج والأنشطة.

8. التربية الإعلامية تساعد المربين في التعامل مع التأثيرات المختلفة وتوجيههم لتحقيق الأهداف المرجوة للمدرسة تجاه الطلاب.

9. الإعلام السلطة المؤثرة بشكل كبير على القيم والمعتقدات والتوجهات والممارسات (الهوية الثقافية) في مختلف الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتلعب التربية الإعلامية المدرسية دوراً هاماً في مواجهة تأثيرات الإعلام والاختراق الإعلامي العالمي، والتأثير الذي ينتج عنه على الهوية الثقافية للمدرسة ومكوناتها، بفضل التأثير الإعلامي والمنتج الثقافي، يمكن للمدرسة نقل العديد من المعارف العلمية والقيم الشخصية وأنماط السلوك المختلفة لطلابها في المراحل التعليمية المتعددة.

## الخاتمة:

على الرغم من أن التربية الإعلامية لها تأثير ملموس في إحداث التغييرات المنشودة في رؤية ومفهوم وتطبيق التربية المدرسية، وهي ذات أهمية بالغة في تشكيل الذات وإعادة تشكيلها، إلا أن قلة من المدارس تهتم بتقديم خدمات التربية الإعلامية على مستوى المدرسة، ويضاف إلى ذلك أن العصر االحديث يتميز بكثافة العوامل الثقافية وسرعة تدهورها وانتشارها وتداخلها وتأثيرها بسرعة كبيرة بحيث يستحيل مواكبتها.

والتربية الإعلامية تساعد المربين على ضبط هذه المؤثرات وترشيدها وبلورتها في إطار يخدم الأهداف المنشودة، إن من أبرز القضايا المعاصرة التي تنطوي عليها التربية الإعلامية هي كيفية فهم الأشياء وتقييمها، وكيفية التعايش مع الآخرين، وفهم متطلبات عصرنا وآليات التفاعل مع العولمة، وكيفية تعبئة الشباب لمواجهة الأحداث الجارية، الطارئة وغير الطارئة، و

للتفاعل، وكما تهدف التربية الإعلامية إلى مساعدة التلاميذ على فهم حقوقهم وواجباتهم وقيم التشاور والنزاهة وحب الوطن والإحساس الحقيقي بالانتماء، واحترام الآخر، والحرية، العادلة ومواجهة الشائعات والتضليل ومحاربة الانحراف الفكري.

وتوفر التربية الإعلامية مجموعة كبيرة من الفرص المواتية للطلاب لمعالجة المشكلات النفسية والثقافية والاجتماعية التي يعانون منها في الحياة المدرسية، وتلعب التربية الإعلامية دوراً مهماً في تثقيف التلاميذ اجتماعياً وتمكينهم من النقد والتقييم والتحليل وحل المشكلات والربط بين الأشياء والمهارات المتكاملة والتحدث والقراءة والكتابة وتنمية المهارات الاجتماعية والثقافية وتمكينهم من التواصل الفعال وفهم الخصوصيات الثقافية في علاقتها بالعموميات والمتغيرات الثقافية الأخرى، ووتلعب دورًا مهمًا.

بالإضافة إلى ذلك، تساعد التربية الإعلامية على تكوين القدوة الحسنة للطلاب في المدارس، وتمكينهم من تنمية مهارات الخطابة والعرض والحوار وتقييم الإنجازات والتسامح والمثابرة، وتعزيز المفاهيم الاجتماعية والصحية المهمة، وتهيئ التربية الإعلامية بأشكالها وألوانها المتعددة الطلاب ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعاتهم، ذوي اتجاهات إيجابية تجاه الناس والأشياء والعمل والإنتاج، وللتصدي بفاعلية للقضايا البيئية والمجتمعية، وتحقيق شروط المواطنة السليمة من خلال تصرفاتهم وسلوكهم .

## توصيات الدراسة:

1. تُدرج التربية الإعلامية كأحد المناهج الدراسية للطلاب في مرحلة التعليم، ويتم وضع هذه المناهج بواسطة خبراء ومهتمين بمجال التربية الإعلامية، ويتم تصميم هذه المناهج بطريقة تتوافق مع العمر واهتمامات الطلاب، وتعكس ما يتعرضون له من وسائل إعلام مختلفة، والعمل على تطويرها وتحسينها لتصبح أكثر شمولية فتشمل التفكير النقدي وتعزيز الوعي بأهمية الإعلام.
2. تدعو المؤسسات التعليمية إلى استخدام إمكانات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية بشكل أمثل في العملية التعليمية.
3. على الإعلاميين والتربويين التعاون والتنسيق بين قطاع التربية وقطاع الإعلام في تخطيط المحتوى الإعلامي التربوي الذي يقدم للطلاب، بهدف تحقيق التكامل في الأهداف والبرامج والأنشطة.
4. تنظيم دورات تدريبية لتعزيز وتطوير مهارات المعلمين العاملين في مجال الإعلام لتمكينهم من تدريس التربية الإعلامية ونقلها بشكل أكثر كفاءة وفعالية لطلابهم، وتقوم المؤسسات الإعلامية والجهات الرقابية بتقييم المحتوى الإعلامي الذي يستهدف الطلاب بشكل دوري، وذلك وفقًا للمعايير الإعلامية والتربوية والنفسية.
5. يجب على المعلمين أن يعملوا على تنمية أنماط سلوكية للطلاب تركز على التفكير الناقد والقيم الاجتماعية، وتمكنهم من التكيف مع التغيرات في الحياة وتزويدهم بالمهارات التي تمكنهم من النظرة الموضوعية والفاحصة للأشياء والمواقف.
6. تهيئة الطلاب قبل استخدام وسائل الإعلام من خلال دمج تكنولوجيا الإعلام في العملية التعليمية وتوعيتهم بها.

7. وضع خطة موحدة للمدارس تحدد آليات التنفيذ الفعال لأنشطة التثقيف الإعلامي داخل المدارس.
8. توفير ميزانية لتحسين أنشطة التثقيف الإعلامي.
9. ينبغي التركيز بشكل أكبر على تعزيز وتسهيل استخدام وسائل الإعلام في المؤسسات التعليمية بحيث يكون الأطفال على دراية بها ويصبحون أكثر وعياً بتأثيرها المحتمل.
10. اعتمدت بعض الدول العربية ودول أخرى (مثل لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية) هذا المقرر لطلاب مدارسها ويمكن اعتبارها نموذجاً يمكن الاستفادة من تجاربها في هذا الموضوع.
11. تحقيق أقصى استفادة ممكنة من خلال شرح وتبسيط المعدات الإعلامية والأسس الأساسية التي تبنى عليها هذه المعدات وكيفية عملها، وذلك لغرس روح الإبداع والابتكار لدى التلاميذ.

## مراجع الدراسة:


1) أحمد جمال حسين محمد: التربية الإعلامية نحو مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية، نموذج مقترح لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى طالب الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنيا، كلية التربية النوعية، قسم الإعلام التربوي،2015 م.

2) أحمد أبو زيد، الاتصال والإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية السعودية ،2010م.

3) أحمد مجدي حجازي»: الثقافة العربية في زمن العولمة»، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م

4) احمد يحي حسين بن عايل، رؤى حول التربية والإعلام وادوار المناهج لتنمية التفكير في مضامين الإعلام لتحقيق التربية الإعلامية، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، جدة، 2007م.

5) إدغار موران، المنهج والإنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009م.

6) أم الزين حسين احمد بدوي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية للمحافظة على الهوية الوطنية من وجهة نظر معلمات المرحلة الابتدائية بمكة المكرمة، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد98، المجلد 2، كانون الأول 2023م.

7) أمال سعد المتولي: الإعلام المدرسي: الصحافة والإذاعة المدرسية، دار مكتبة الإسراء، طنطا، 2003م.

8) بدر بن أحمد كريم، «التربية الإعلامية، ورقة عمل قدمت في لقاء عن الصحافة والتربية» بمكة المكرمة الأحد 1434/8/4ه.

9) تيسير أبو عرجه: الإعلام والثقافة العربية- المواقف والرسالة، ط 1، دار مجدولاني، 2003م

10) حسن أبو بكر العولقي، دور المدرسة في التربية الإعلامية: الواقع والمأمول، قسم التربية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 7/3/2007.

11) حسن شحاتة، النشاط المدرسي: مفهومه، وظائفه، مجالات تطبيقه، القاهرة، الدار المصرية

اللبنانيـة،1997م.

12) حسـين المختـار محمـد الشـاوش، الإعـلام الجديـد والهويـة الثقافيـة أي عالقـة وأي تأثيـر، المؤتمـر العلمـي الثالـث لكليـة الآداب، جامعـة الزاويـة، 13-12 ديسـمبر، 2021م.

13) حمـد النذيـر عبـدالله ثانـي، الإعـلام التربـوي والتربيـة الإعلاميـة- مقاربـة نسـقية مفاهيميـة، مجلـة الدراسـات الإعلاميـة – المركـز الديمقراطـي العربـي، برليـن، ألمانيـا، العـدد السـابع، مايـو 2019م،

14) ريهـام عبـد الـرازق محمـود خطـاب، فاعليـة اسـتخدام برنامـج للتربيـة الإعلاميـة فـي إدراك عينـة مـن الأطفـال المقربيـن للعنـف التليفزيونـي، رسـالة دكتـوراه غيـر منشـورة، قسـم الإعـلام وثقافـة الأطفـال، معهـد الدراسـات العليـا للطفولـة، جامعـة عيـن شـمس.2013م.

15) رشـا عبـد اللطيـف محمـد عبـد العظيـم، معاييـر التربيـة الإعلاميـة وكيفيـة تطبيقهـا فـي مصـر علـى المضاميـن التليفزيونيـة مـن منظـور الخبـراء، رسـالة ماجسـتيرغير منشـورة، كليـة الإعـلام، جامعـة القاهـرة،2011م.

16) سـحر أم الرتـم، سـامية عيـواج: التربيـة الإعلاميـة والرقميـة ضمـن متطلبـات التنشـئة الاجتماعيـة، مجلـة العلـوم الاجتماعيـة، المجلـد 16، العـدد 1، 2019م.

17) سـعيد إسـماعيل علـى: التربيـة السياسـية للأطفـال، القاهـرة، دار السـلام .2008م.

18) سـليمان صالـح، الإعـلام الدولـي، مكتبـة الفالـح للنشـر، 2003م.

19) شـريف درويـش اللبـان، الـدور الإعلامـي للمواقـع الإلكترونيـة للمؤسسـات التعليميـة فـي خدمـة العمليـة التعليميـة، المجلـة العلميـة لكليـة التربيـة النوعيـة، العـدد 7 يوليـو2016.

20) شـريفة رحمـة للـه سـليمان: اسـتخدام تكنولوجيـا الاتصـال فـي نشـر مفهـوم التربيـة الإعلاميـة بمـدارس دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة»، رسـالة دكتـوراه غيـر منشـورة، جامعـة القاهـرة، كليـة الإعـلام،2013م.

21) شادية على فؤاد قناوي»: قضايا عربية معاصرة»، الدار المصرية السعودية، 2006م.

22) فـرج وآخـرون، دور معلمـة قسـم الطفولـة المبكـرة فـي إدارة الأنشـطة اللاصفيـة لتعزيـز القيـم والهويـة الوطنيـة لطفـل الروضـة فـي ضـوء رؤيـة 2030، مجلـة العلـوم التربويـة، كليـة التربيـة بالغردقـة، جامعـة جنـوب الـوادي، 3(1)، 2020م.

23) عبـد الرحمـن وآخـرون، اتجاهـات الأسـاتذة حـول أبعـاد التربيـة الإعلاميـة فـي المؤسسـات التربويـة دراسـة ميدانيـة لعينـة مـن أسـاتذة التعليـم الابتدائـي بـوادي زنـاتى، رسـالة ماجسـتير، كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، الجزائريـة، 2023م

24) عبـد الله بـن يحيـي المعلمـي»: الاقتصـاد والثقافـة فـي الوطـن العربـي، نظـرة مسـتقبلية»، نـدوة مسـتقبل الثقافـة فـي العالـم العربـي، مكتبـة الملـك عبـد العزيـز، الريـاض، 2002م.

25) عدلي سيد رضا: التربية الإعلامية ضرورة في عصر الفضائيات والإنترنت ،2009م.

26) عـزة مصطفـى الكحكـي: «القنـوات الفضائيـة الأجنبيـة وانعكاسـاتها علـى الهويـة وأزمـة القيـم لـدى عينـة مـن الشـباب العربـي فـي مرحلـة المراهقـة»، المؤتمـر السـنوي التاسـع، الإعـلام المعاصـر والهويـة العربيـة، مايـو ،2004 م.

27) غـادة حسـام الديـن محمـد: «أثـر اسـتخدام برنامـج المشـاهدة الناقـدة علـى عينـة مـن الأطفـال المصرييـن» دراسـة تجريبيـة، رسـالة دكتـوراه، معهـد الدراسـات العليـا للطفولـة والإعـلام وثقافـة الطفـل، عيـن شـمس، 2006م.

28) محمد بن سليمان الصبيحي، اتجاهات النخب الإعلامية والتربوية نحو إقرار مادة التربية الإعلامية في التعليم ما قبل الجامعي دراسة ميدانية على عينة من الأكاديميين والقياديين والمهنيين السعوديين، المجلة العلمية لنشر البحوث، كلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، العدد السادس، 1-7-2022م.

29) محمد ناجي الدعيس، أحمد يحيى الشاطبي، دور الإدارة التربوية في التربية الإعلامية في ظل التحولات الإقليمية المعاصرة من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية بمدارس أمانة العاصمة- صنعاء، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (42) المجلد (8) ابريل- يونيو2021م.

30) 2021م.

31) محمود أبو زيد: «اللغة فى الثقافة والمجتمع»، ط،١ القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ،2006م

32) نهى السيد أحمد ناصر: التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس، أبريل 2016م.

33) محمود عبد العاطي، عبد السلام محمد: تنمية الوعي بالتربية الإعلامية في ضوء المعايير الأكاديمية، رسالة دكتوراه جامعة بنها، مصر، 2017م،

34) محمد علي العياد: الأعلام التربوي» مفهومه، تعريفه، علاقته بالعلوم الأخرى»، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2008م.

35) محمد عطية أبو فودة، دور الإعلام التربوي في تدعيم الانتماء الوطني لدي الطلبة الجامعيين في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الازهر، غزة، 2006م.

36) محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية، ط،1 مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.2009م.

37) مصطفي ليبيب، الثقافة والإذاعة « مشكلات وقضايا»، مجلة الفن الإذاعي، العدد 2005،178م.

38) مؤيد عبد الجبار الحديثي، العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي، العربية للنشر والتوزيع، 2002م.

39) مصطفي محمد رجب، الإعلام والمعلومات في الوطن العربي في ظل إرهاب العولمة «مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2007م

40) مي أبو مقلى: في العالم الرقمي الحديث، التربية الإعلامية ضرورة لا رفاهية»، مجلة المرأة، 29 ديسمبر 2015م.

41) نهله أحمد درويش»: العولمة وتغيير أنساق القيم -دراسة تطبيقية على الدراسات المصرية»، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الآداب، 2009م.

42) نهى السيد أحمد ناصر، التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس أبريل، جزء أول، 2016م

43) هاجر محمد الشافعي محمد، العلاقة بين أنماط التدخل الأبوي وطبيعة التأثيرات الناتجة عن تعرض الطفل المصري للقنوات الفضائية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ، 2013م

المراجع باللغة الإنجليزية:

1) Bucht ,c: Media Education Development Among youth According to New Media Proceedings: A pilot Study Children, youth, Media in the World, . 2014.

2) Between cultures», Seventh editions, wadsworth. Cengage. Learning, 2010.

3) Chappell, G, Feline &, R: Hobbs, Reflections on global developments in Media Literacy Education: Bridging theory and practice. Journal of Media Literacy Education (32) ,2013.

4) Jean- Claude usunier, Julie Anne lee: «Marketing Across cultures», Fifth edition, prentice Hall, 2009.

5) Jordon Kathleen Bur son Measuring Media Literacy Among Collegiate Journalism Students, Master Thesis, Oklahoma State University, USA,2010.

6) Kiefer Lee, Steve Carter: «Global marketing Management. Changes. New challenges and Strategies», Second edition, 2009.

7) Senge, Peter and Others, Schools that learnA fifth Discipline Resource, New York: Doubleday,2000.

8) LarryA. Samovar, Richard E-porter and Edwin R. McDaniel: «Communication

9) Marieke demooij: «Global Marketing and advertising understanding cultural paradoxes», third edition, Sage, publication, inc, 2010.

10) Michael R. Czinkota, Ilkka A. Ronkainen: «International marketing», Fifth edition, The Dryden press, 1998.

11) Web et at:Media Literacy as a violence- prevention Strategy; A pilot Evaluation.Unpublished PhD.California University,2009.

12) Silverblatt, AMedia literacy: Key elements to interpreting media messages .Praeger: London. 1995.

# واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي لدى طلاب كلية الآداب بجامعة طبرق

إعداد:
أ. أحمد خالد محمد بوسميحة
قسم الإعلام- كلية الآداب/ جامعة طبرق

الاستلام: 15.1.2024 القبول: 13.2.2024

**المستخلص:**

هدفت الدراسة للتعرف على واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية للحصول على المعلومات العلمية، حيث قام الباحث بتحديد عناصر البحث المتمثلة في الأهمية والأهداف وتطرق إلى بعض الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة.

تناول الباحث التساؤلات التي ستقدم بيانات واضحة عن الأهداف التي تم اعتمادها في الفصل المنهجي للدراسة، وذلك لمعرفة واقع استثمار طلبة كلية الآداب بجامعة طبرق لهذه التقنية الحديثة للحصول على المعلومات، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي لعينة قوامها54)) مفردة عن طريق المسح الشامل لطلبة السنة الرابعة لقسمي الإعلام والمكتبات، مستخدماً استمارة الاستبيان كأداة لجمع المعلومات والبيانات وصولاً إلى النتائج التي ستقدم معلومات تفيد في واقع استخدام الطلبة لهذه التقنية ومدى الاستفادة منها وأهم الانعكاسات المترتبة عنها.

**الكلمات المفتاحية:** التحصيل العلمي - تطبيقات الهواتف - الهواتف الذكية - الاستخدام.

**Abstract:**

The reality of using smart phone applications in academic achievement For students of the Faculty of Arts at the University of Tobruk

The study aimed to identify the reality of using smart phone applications to obtain scientific information. The researcher identified the research elements, namely importance and objectives, and touched on some previous studies related to the subject of the study.

The researcher dealt with the questions that will provide clear data about the objectives that were adopted in the methodological chapter of the study, in order to know the reality of the investment of students of the Faculty of Arts at the University of Tobruk in this modern technology to obtain information. The researcher relied on the descriptive approach for a sample of (54) individuals through a comprehensive survey of year students. The fourth is for the Departments of Media and Libraries, using the questionnaire form as a tool to collect information and data to arrive at results that will provide information useful about the extent to

which students use this technology, the extent of their benefit from it, and the most important repercussions resulting from it.

**مقدمة:**

أحدث التغير التكنولوجي السريع الذي حدث في أواخر العقد الأخير من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي العشرين أثر كبير على كافة المجالات لاسيما التعليم ، ولقد كان لتطور التكنولوجيا دوراً بارزاً في قيادة الأمم إلى عصر المعرفة، إذا أصبح الإنسان اليوم يعيش في عصر يتميز بالمعلوماتية أو عصر مجتمع المعلومات الذي أصبح بفضل التكنولوجيا الاتصالية والإعلامية يشهد ثورة معلوماتية ومعرفية لا مثيل لها عبر مراحل تطور الإنسانية كلها.

ومن أهم سمات هذا العصر سيطرة التكنولوجيا على مختلف المجالات متمثلة في تكنولوجيا المعلومات والإنترنت وأجهزة الحاسب الآلي ، وقد غيرت الطريقة التي يعمل بها العالم ، حيث أصبح قريباً من بعضه البعض فأضحى العالم قرية عالمية صغيرة، ومن أهم المجالات التي أصبحت تواجه رهانات التكنولوجيا مجال التعليم ، فمن أهم التحديات التي تواجه التعليم في مجتمع المعلوماتية information society هي القدرة على معرفة طرق جديدة وحديثة للتعليم لا سيما الجامعي.

واكبت التكنولوجيا الحديثة ظهور تقنيات حديثة للاتصال السلكي واللاسلكي التي لا يمكن الاستغناء عنها في مجالات حياتنا اليومية، وعَرفت هذه التقنيات والأجهزة العديد من المراحل لتصل إلى ما هو عليه اليوم من تطور مروراً بالاتصالات السلكية حيث كانت أغلب الأجهزة تعمل بالكابلات والأسلاك الكهربائية منها الهواتف الثابتة، ثم تطورت لتصبح لا سلكية لتسمى بالهواتف المحمولة وأطلق عليها ثورة الاتصالات اللاسلكية، ومن ثم ظهور أجهزة الهواتف الذكية وانتشار استخدامها بمرور الأيام في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كافة وغيرها، وذلك لما توفره من تطبيقات وخدمات كثيرة لم توفرها أجهزة المحمول التقليدية، ذلك جعل الإنسان على تواصل دائم مع غيره في أي وقت ومكان، رغم ما ينتج عنها من سلبيات أو إيجابيات لهذه التقنية على المستخدم، كما انتشر استخدام هذه الأجهزة الذكية في مجال البحث والوصول إلى المعلومات في أوساط الطلبة الجامعيين، حيث تعد عامل مهم ومساعد للحصول على المعلومات التي يحتاجونها بيسر وسرعة، كتصفح الإنترنت والبريد الإلكتروني (E-mail) الخاص ومزامنته بالمستخدم أو دخول الشبكات الاجتماعية والتواصل، فضلاً عن تحميل الكتب والملفات والبرامج وكل ما يلبي احتياجاتهم العلمية والمعرفية، وذلك بفضل احتواءها على أهم وأشهر نظم التشغيل، وتنوع تطبيقاتها.

ولعل طلاب قسمي الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق وباعتبارهم هم الآخرين يقبلون على استخدام الهواتف الذكية لأغراض عديدة ومنها البحث لأجل التحصيل العلمي في مجال تخصصهم، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة للتعرف على واقع استخدام طلاب قسمي الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق للهواتف الذكية في الوصول إلى المعلومات وكذا معرفة انعكاساتها عليهم، وهو ما سنطرحه خلال هذه الدراسة في خطة البحث، والتي جاءت بمقدمة وثلاثة فصول بشقين منهجي وتطبيقي ثم عرض النتائج و تفسيرها.

**الباحث**

## أولاً: الإطار المنهجي للدراسة:

### أ. مشكلة الدراسة :

أحدثت تكنولوجيا المعلومات الحديثة تغيرات في نمط حياة الإنسان، ولعل من أهم هذه التغيرات دخول تقنيات جديدة منها الهواتف الذكية التي أضحت تقوم بالعديد من المهام الحياتية حتى غيرت الطريقة التي يعيش البشر ويعملون بها، فقد باتت المعلومة تصل إليهم بدون مشقة بعد ظهور خدمات توفرها بأقل جهد ووقت وفي أي مكان تسمى بخدمات الإنترنت التي مكنت للباحث تصفح العالم خلال شبكات وتميزت بها أجهزة الهواتف الذكية التي تعدد استخدامها في الآونة الأخيرة لاسيما في مجال البحث والتحصيل العلمي من قبل الطلبة والباحثين بل وازداد الطلب عليها نظراً لما توفره من تطبيقات وبرمجيات.

ورغم ما أتاحته الهواتف الذكية من سهولة وسرعة في التحصيل العلمي لطلبة قسمي الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق إلا أن هناك البعض يواجهون صعوبة في استخدامها، ويُعزي المتخصصون ذلك لعدم الدراية بكيفية استخدام التطبيقات أو عدم المعرفة بوجود خدمات تتيح مصادر معلومات أو البحث عنها.

ومن هنا كان لابد من دراسة واقع استخدام طلبة قسمي الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق للهواتف الذكية بشكل مكثف باعتبارها وسيلة تتيح الحصول على المعلومات العلمية للاستفادة منها في التحصيل العلمي، ولمعرفة أسباب وكيفية هذا الاستخدام قمنا بطرح الإشكالية في التساؤل الرئيس التالي : **ما واقع استخدام طلبة قسمي الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق لتطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي؟**

و يتفرع من هذا السؤال الرئيس للدراسة الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما عادات وأنماط استخدام تطبيقات الهواتف الذكية من قبل طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق.
2. هل يستثمر طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق تطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي.
3. ما انعكاسات استخدام الهواتف الذكية على طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق في التحصيل العلمي.

### ب. أهمية الدراسة :

تنطلق أهمية الدراسة من أهمية التكنولوجيات الحديثة للاتصال ودورها الكبير الذي باتت تلعبه في سائر أنماط حياتنا اليومية وأعمالنا لاسيما البحث العلمي الإكاديمي والجامعات ونخص منها الطلبة واستخدامهم لتقنية الهواتف الذكية و تطبيقاتها في التحصيل العلمي.

فضلاً عن جدة وحداثة الموضوع أدى إلى البحث عن الدافع لتبني هذه التقنية الحديثة وكذا الإشباعات التي تتحقق باستخدامها في التحصيل العلمي.

وتسعى الدراسة إلى معرفة طرق إستخدام الطلاب لهواتفهم الذكية في كلاً من قسمي الإعلام و المكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق، و معرفة نوعية المعلومات التي يبحث عنها الطلاب خلال اجهزتهم الذكية.

**ج. أهداف الدراسة :**

**تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :**

1. **التعرف على عادات وأنماط استخدامات الهواتف الذكية من طرف طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق.**

2. **كيفية استثمار طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق لتطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي.**

3. **التعرف على انعكاسات استخدام الهواتف الذكية على طلبة الإعلام والمكتبات بكلية الآداب بجامعة طبرق.**

**د. أسباب اختيار الموضوع :**

**أسباب ذاتية :**

1. **الحب الشخصي لموضوع الدراسة.**

2. **الكثرة والازدياد المستمر لإستخدام الهواتف الذكية لا سيما في الأونة الأخيرة.**

3. **دراسة موضوع الهواتف الذكية محل اهتمام ورغبة للتعرف على تأثير استخدامها على طلبة الإعلام والمكتبات.**

**أسباب موضوعية :**

1. **موضوع الهواتف الذكية جديد لم يحظى بالكثير من الدراسات والأبحاث مقارنةً بالوسائل الإعلامية**

**الأخرى، حيث تعتبر الدراسة الأولى التي أُجريت على طلبة الإعلام والمكتبات بجامعة طبرق، حسب علم الباحث.**

2. **الاهتمام والاستخدام المكثف للهواتف الذكية من قبل الطلبة الجامعيين لاسيما طلبة جامعة طبرق بقسمي الإعلام والمكتبات.**

3. **ارتباط الموضوع بتخصص تكنولوجيا الإعلام والمعلومات الحديثة.**

4. **انتشار الهواتف الذكية بشكل ملفت، لاسيما بين أوساط طلبة الجامعة.**

**هـ.منهج الدراسة والعينة :**

**تم اعتماد الدراسة الوصفية لوصف واقع استخدام طلبة الإعلام والمكتبات لتطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي لديهم ، كما تم اعتماد المنهج المسحي الميداني في الدراسة الميدانية والذي تقتضيها طبيعة الدراسة لمعرفة كيفية استخدام طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية في التحصيل العلمي؛ بالاعتماد على الاستبانة كأداة لجمع البيانات حيث تم توزيعها على مجموعة من طلاب جامعة طبرق بكلية الآداب بقسمي الإعلام والمكتبات والبالغ عددهم ( 54 ) طالباً و طالبة.**

**وقد قام الباحث باستخدام أسلوب العينة في الدراسة وباختيار عينة عمدية بسبب تجانس مجتمع البحث ومعرفتهم ، حيث تم حصر جميع مفردات مجتمع البحث. ثم تم توزيع**

الاستبانة على طلاب عينة الدراسة وبلغ عدد الاستبانات الموزعة ( 54 ) استبياناً، وتم تجميع عدد ( 32 ) استبيان، وتم تفريغها وتحليلها وإيجاد العلاقات والارتباطات بين المتغيرات، اعتماداً على برنامج ( SPSS) الإحصائي والمتخصص في تحليل بيانات العلوم الاجتماعية.

**و. مجالات الدراسة :** تتكون مجالات الدراسة من الآتي:

**المجال المكاني:** أقيمت الدراسة في جامعة طبرق، بمدينة طبرق/ دولة ليبيا.

**المجال البشري:** و يتكون من الأقسام لطلاب و طالبات قسمي الاعلام و المكتبات– كلية الآداب – جامعة طبرق.

**المجال الزماني:** تم تطبيق الدراسة الميدانية خلال الفترة من1فبرايرإلى 30 مارس من العام 2023م.

**ز. أدوات جمع البيانات :**

تم تصميم استبانة لجمع المعلومات المتعلقة بالعينة المبحوثة من طلبة الإعلام والمكتبات بجامعة طبرق حول واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في التحصيل العلمي وفقاً لأهداف وأسئلة الدراسة، وتكونت الأسئلة من متغيرات وهي :

أ. متغيرات مستقلة المتمثلة في البيانات الشخصية.

ب. متغيرات تابعة وتقاس من خلال الاستبانة في ثلاث محاور رئيسة وهي :

1. عادات وأنماط استخدامات الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة.
2. استثمار طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية في التحصيل العلمي.
3. انعكاسات الهواتف الذكية على الطلبة.

وتقاس هذه المحاور من خلال استبانة تم إعدادها للغرض المطلوب وتتكون من ( 21 ) فقرة / سؤالاً.

**حـ. مصطلحات ومفاهيم الدراسة:**

**تعريف واقع:**

**لغةً :** تعريف و معنى واقع في قاموس الكل. قاموس عربي عربي واقع الشَّخصُ خَصْمَه حارَبه. واقع الشيءَ: وقَع فيه، دخَل فيه.

**اصطلاحاً:** تعريف الفيلسوف الوجودي كارل سبارز الذي يقول «نسمي واقعاً ما نصادفه اثناء الممارسة و ما يصدنا او يساعدنا مساعدة مادية في علاقتنا بالاشياء و الكائنات الحية و الادميين» [1]

**إجرائياً حسب ما تقيسه اداة جمع البيانات:** هو الواقع الحاصل او الحالي و هو الاقتراب من الشيء و معرفته و الدخول فيه، و المقصود هو واقع استخدام الهواتف الذكية لدى الطلاب في التحصيل العلمي.

(1) عبدالكريم جندي،2021. مفهوم الواقع في العلوم الانسانية، القاهرة ؛ لبنان: نماء للبحوث و الدراسات، 2021 ،ص44.

**تعريف الاستخدام :**

**لغةً : في اللغة تم استخدامها بقواميس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصرة، الرائد، لسان العرب، القاموسي المحيط على تعريف معنى ( استخدام الهاتف ) ، استخدام آلة : استعمالها، استخدام كل الإمكانات: استغلالها.[2]**

**أما اصطلاحاً فيعرفه الدكتور عبد الوهاب بو خنوفة : أن مفهوم الاستخدام يقضي أولاً الوصول إلى التقنية أو الوسيلة ، بمعنى أن تكون متوفرة مادياً.[3]**

**إجرائياً : الاستخدام هو الوصول إلى تقنية ما واستخدامها بطريقة معينة، وفي هذه الدراسة هو الاستخدام الشخصي للطلبة الجامعيين للإنترنت بجميع خدماته عن طريق هواتفهم الذكية، بهدف الحصول على المعلومات للبحث العلمي بالنظر إلى عادات وأنماط الاستخدام وإشباعاتها.**

**تعريف الهواتف الذكية :**

**اصطلاحاً : ويعرفه محمد عطية شراحبلي : بأنه الهاتف الذي يوفر مزايا تصفح الإنترنت مزامنة البريد الإلكتروني وفتح ملفات الأوفس( الأدوات المكتبية) ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة.[4] وعرفه أيضاً عبد الرازق محمد الدليمي : الهواتف الذكية هي وسيلة تعليمية تستخدم في الكثير من المدارس والجامعات ولمساعدة الطلاب على متابعة مساقاتهم الأكاديمية ومتابعة واجباتهم العلمية، ومواعيد محاضراتهم ودروسهم، ومتابعة درجاتهم الامتحانية، وكذلك المتابعات الإدارية المختلفة من قرارات وتعليمات أكاديمية في مختلف الكليات والأقسام، مما يوفر على الطالب وأعضاء هيئة التدريس الجهد والوقت والعناء، ويسهل عملية التواصل التقني بين جميع أطراف العملية التعليمية.[5]**

**إجرائياً : هو الجهاز الذي يحمله طلبة الإعلام والمكتبات بجامعة طبرق ويستخدمه الطلبة للاتصال بالآخرين وتبادل المعلومات ويتفاعلون عبره بالشبكة الاتصالة اللاسلكية والتي تجمع بين خصائص الهواتف المحمولة التقليدية وبين التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في الحواسيب وأنظمتها المشغلة التي تتيح للطالب الاتصال عبر شبكة الإنترنت.**

**تعريف التحصل العلمي :**

**اصطلاحاً: المعلومات هي البيانات التي تمت معالجتها لتحقيق هدف معين لإستعمال محدد لأغراض اتخاذ القرارات إلى البيانات التي يمكن تداولها وتسجيلها ونشرها وتوزيعها في صورة رسمية أو غير رسمية وفي أي شكل.[6]**

**و يعرف التحصيل العلمي تربوياً انه انجاز علمي اوتحصيل دراسي للمادة الدراسية سواء في المدارس اوالجامعات. ويعرفه معجم المعاني بمعنى حصل أي ثبت و ذهب ما سواه، تحصل**

(2) موقع المعاني. 2019. www.almaany.com. موقع المعاني. [متصل] 30 12, 2019.

(3) عبدالوهاب بوخنوفة. 2008. الأطفال وثروة المعلومات ، التمثل والاستخدام. مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. العدد02, 2008،ص13.

(4) محمد عطية شراحبيلي. 2019. الفوائد التربوية من استخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكومبيوتر في العملية التعليمية. .mohdary.blogspot com. [متصل] 5 12, 2019.

(5) 5. عبد الرازق محمد الدليمي. 2006. الإعلام والعولمة. الإعلام والعولمة. عمان : مكتبة الرائد العلمية، 2006، ص 6.

(6) محمد فتحي عبدالهادي. 2008. مقدمة في علم المعلومات. [مؤلف الكتاب] محمد فتحي عبد الهادي. مقدمة في علم المعلومات. الإسكندرية : دار الثقافة العلمية، 2008، ص 13.

ادركه وناله.

والتحصيل العلمي اجرائياً لدى طلاب الجامعات هو ما اكتسبه و عرفه من خلال استخدام تطبيقات الهواتف الذكية بالدخول على شبكة الانترنت.

**ط. الدراسات السابقة :**

**1. الدراسة الأولى :**

دراسة قايد القايد ، أشواق ( 2013 ) بعنوان : اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية.[7] تهدف الدراسة إلى معرفة اتجاهات طلبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية، لذا فقد انطلقت الدراسة من تساؤل رئيس : **ما اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية؟**

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، واستخدامت الباحثة صحيفة استبيان لجمع البيانات من الطالبت العينة المبحوثة البالغة (46) مفردة من طالبات الماجستير والدكتوراة بجامعة الملك عبد العزيز من نتائج الدراسة التي توصلت إليها الباحثة هي : أن (86%) من مجتمع الدراسة يستخدمن الهواتف الذكية في الاتصالات والمكالمات الهاتفية بينما 30% لأغراض تعليمية أكاديمة وبحثية.

وأن (58%) من الطالبات مجتمع الدراسة يفضلن استخدام الهواتف الذكية للإنترنت ويعزن ذلك بسبب توافره باليد والسهولة. (60%) من العينة المبحوثة يفضلن التعامل مع مصادر المعلومات المطبوعة والإلكترونية معاً، بينما 28% منهن يصلن إلى مصادر المعلومات الإلكترونية من خلال هواتفهن الذكية. وأن (98%) من المجتمع المدروس يستخدمن محركات البحث عن طريق الإنترنت من خلال هواتفهن الذكية للبحث عن مصادر المعلومات الإلكترونية وتستخدم حوالي 27% من الطالبات هواتفهن الذكية في البحث في فهارس المكتبات ، (96%) من الطالبات المبحوثات أكدن أنهن في حاجة إلى دورات تدريبية وورش عمل تديرها المكتبة حول طرق التعامل مع الهواتف الذكية في مجال المكتبات الرقمية وقد خلصت الباحثة من خلال دراستها هذه لمجموعة من النتائج ونذكر أبرزها :

1. ضرورة تعريب تطبيقات الهواتف الذكية الخاصة بالمكتبات لكي تتناسب مع مستخدمي اللغة العربية.

2. أن تقوم عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز على إتاحة الفهرس الآلي على الإنترنت من خلال الهواتف الذكية.

3. تطوير المكتبات الجامعية ومواقعها على الويب لتناسب استخدام الهواتف الذكية.

4. اهتمام جامعة الملك عبد العزيز بمصادر المعلومات لتتاح خلال شبكة الويب والهواتف الذكية.

(7) اشواق قايد. 2014. اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. 2014، ع.2، ص 312.

**الدراسة الثانية :**

**دراسة قدور، إيمان . بوعزة كريمة ( 2018 ) بعنوان: الهواتف الذكية ومدى استخدامها من طرف طلبة علم المكتبات في الوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية: طلبة علم المكتبات بجامعة جيلاني بونعامة (خميس مليانة) أنموذجاً.[8] تهدف الدراسة إلى التعرف على مهارات طلبة علم المكتبات والتوثيق بجامعة الجيلالي بو نعامة (خميس مليانة) في الوصول إلى المعلومات والتعرف على أنواع وتطبيقات الهواتف الذكية، فضلاً عن الأدوار والإمكانات التي تؤديها الهواتف الذكية في الوصول إلى المعلومات. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لوصف واقع استخدام العينة المبحوثة في حين اعتمدت المنهج التحليلي في الجانب الميداني لتحليل بيانات أسئلة الاستبيان التي وزعت على عينة من طلبة قسم المكتبات، واختيرت العينة العشوائية البسيطة قوامها (65) مفردة مثلت (20%) من مجتمع الدراسة بواقع (22) سؤالاً، ومن خلال عرض إشكالية الدراسة فقد خلصت الباحثتان إلى عدد من التساؤلات والفرضيات ونذكر الفرضية الرئيسية وهي: هناك إقبال كبير على استخدام الهواتف الذكية من طرف طلبة علم المكتبات والتوثيق ، نظراً لما تتوفر عليها من تطبيقات وبرمجيات تتيح السرعة والسهولة للوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية والدراسة خلصت بعدد من النتائج نذكر منها :**

**1. جميع أفراد العينة وبنسبة (100%) يمتلكون الهواتف الذكية ويستخدمونها.**

**2. أن أدوات البحث المستخدمة من قبل العينة المبحوثة عبر الهواتف الذكية هي محركات وأدلة البحث بنسبة (76.9%).**

**3. ومثلت نسبة الاستخدام وتفضيلها مع من بـ (45%) بمفردهم عن المشاركة مع الآخرين بسنبة (34%) وعازت الباحثتان ذلك إلى اتسام الهاتف الذكي بالخصوصية.**

**4. وبينت الدراسة أن كل أفراد العينة يستخدمون الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات بنسبة (100%) ذلك يجيب على إحدى تساؤلات الدراسة التي تقول بأن الهاتف الذكي يعتبر من العناصر الأساسية في حياة الطلاب.**

**5. وأن نسبة (63%) من العينة يستخدمون مواقع إلكترونية متخصصة باستمرار في البحث عن مصادر المعلومات أكثر من الدوريات والكتب الإلكترونية نظراً لما توفره من حداثة وسهولة الوصول والمجانية.**

**ونجد أن محرك البحث google هو الأكثر استخداماً من بين التطبيقات بنسبة (74%) تليها الفيس بوك بنسبة (21.5 %) والأخرى على التوالي ويرجع تفضيل الجوجل إلى شهرة وسهولة استخدامه مما جعله التطبيق الأكثر تميزاً بين أفراد عينة البحث. ورجح أغلب أفراد العينة الصعوبات التي يواجهونها أثناء البحث عن المعلومة من خلال الهاتف الذكي إلى عدم توفر وانقطاعات الإنترنت بنسبة 52% والباقي إلى أسباب أخرى منها تكاليف الاستخدام بنسبة (11%) ومشكلات عرض النصوص العربية إلى نسبة(35%).**

(8) إيمان قدورة ، كريمة بوعزة. 2018. الهواتف الذكية ومدى استخدامها من طرف طلبة علم المكتبات في الوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية: طلبة علم المكتبات بجامعة خميس أنموذجاً، الجزائر : جامعة الجيلالي بو نعامة(خميس مليانة) ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، رسالة ماجستير غير منشورة، 2018.

**الدراسة الثالثة (ورقة علمية بشكل تقرير استقصائي):**

**دراسة شرودي ( Shrode ) ودريسلهيس ( Dresselhaus ) ( 2012 ) بعنوان : استخدام الطلاب لتكنولوجيا تقنيات الهاتف المحمول لدى الأكاديميون.[9] وقدم الباحثان شرودي ودريسليهيس دراستهما في ورقة علمية بشكل تقرير استقصائي بتقديم تساؤل علمي حول موضوع الدراستين وعلاقتهما يقول : هل يستخدم الطلاب التكنولوجيا للهاتف المحمول في حياتهم الأكاديمية وهل أمناء المكتبات جاهزون لمواجهة هذا التحدي الجديد ؟**

**وتهدف الورقة نحو تقديم خطة تمهيدية للبدء في تنفيذ مكتبات الهواتف الذكية للوصول إلى خدمات المكتبة وقواعد البيانات الخاصة بالمكتبة، وكيفية استخدام الطلاب لتكنولوجيا الهواتف الذكية في حياتهم اليومية، وجاءت نتائج الدراسة الأولى التي أُجريت على عينة من طلاب ( USA ) في ولاية يوتا الأمريكية فيما تتعلق الأجهزة الذكية للأنشطة الأكاديمية بالجامعات الأمريكية بشكل عام، وعلى رغبتهم في الحصول على خدمات المكتبة والوصول إلى معلوماتها ومواردها بشكل خاص ، أما الدراسة الثانية أجريت على أمناء المكتبات الجامعية الأمريكية للتعرف على وجهات نظرهم وعرضهم وخططهم الذكية لكي يستخدمها الطلاب في حياتهم الأكاديمية والبحثية وقد جاء الباحث بسؤال للأمناء ، هل التكنولوجيا المتنقلة مفيدة لرواد المكتبات أم هي مضيعة للوقت والجهد؟.**

**الدراسة الرابعة :**

**دراسة إبراهيم حجاج ، هايدي ( 2017 ) بعنوان: مدى إفادة طلاب الجامعات الحكومية والخاصة بالإسكندرية من خدمات المعلومات عبر الهواتف الذكية: دراسة ميدانية مقارنة.[10] جاءت الدراسة في سبعة فصول (المقدمة المنهجية وستة فصول) منها خاتمة الدراسة إلى التعرف على العوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية لدى طلاب الجامعات الحكومية والخاصة ودراسة أغراض استخدام الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية لدى طلاب الجامعات الحكومية والخاصة ودراسة أغراض استخدام الهواتف الذكية ومستويات هذا الاستخدام لدى عينة الدراسة.**

**تناولت الدراسة واقع إفادة الطلاب عينة الدراسة من الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية في الجامعات محل الدراسة من خلال أسئلة الاستبيان وقامت الباحثة بعمل عدد من المقارنات بين المراحل الجامعية والكليات والجامعات الحكومية الخاصة. اعتمدت الدراسة عدد من الفصول متناولة خلالها مقارنة بين طلاب المرحلة الجامعية الأولى وطلاب مرحلة الدراسات العليا بجامعة الإسكندرية ، وفصل آخر بين طلاب جامعة الإسكندرية والأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري للتعريف بمدى إفادة طلاب الجامعات الحكومية والخاصة من الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية وتحليل استخدامها في البحث عن المعلومات لدى عينة الدراسة. قامت الباحثة بإلقاء الضوء على الصعوبات والمشاكل التي تعترض عينة الدراسة عند**

(9) .flora, Dresslhaus, Angela,(2012). Shrod. 2019. mobile technologies and academics: do students use mobile technology in their academic lives and are librariand ready to meet this new challeng? www.ala.org/lita/ital/sites/ala/org. lita,italLfils/content/prepub/dresslhaus.PDF.2019 ,12 5 . [متصل]

(10) إبراهيم حجاج ، هايدي. 2017. مدى إفادة طلاب الجامعات الحكومية والخاصة بالإسكندرية من خدمات المعلومات عبر الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية : دراسة ميدانية مقارنة، الإسكندرية : جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم المكتبات والمعلومات، 2017.

الاستخدام للهواتف الذكية وخلصت الباحثة بعدد من المقترحات التي تفيد في تفعيل مثل هذه الأجهزة في العملية التعليمية والبحث عن المعلومات بالنسبة لطلبة الجامعات.

**الدراسة الخامسة :**

دراسة حمايل، ماجد(2014) بعنوان: انتشار الحواسيب اللوحية والهواتف الذكية وتطبيقاتها مؤسسات التعليم العالي – دراسة استطلاعية.[11] هدفت هذه الدراسة إلى فحص مدى انتشار الحواسيب اللوحية والهواتف الذكية لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة – فرع رام لله والبيرة، إضافة إلى التعرف على التطبىقات البرمجة التي **يستخدمونها** في حواسيبهم اللوحية وهواتفهم الذكية، وإلى أي مدى هناك جاهزية لدى الطلبة لتقبل فكرة استخدام هذه التقنيات الحديثة في التعليم والتدريب. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن جميع عينة الدراسة يمتلكون هواتف خلوية، و 9% فقط من هم يمتلكون حواسيب لوحية، ويستخدم الطلبة عددا محدود من التطبيقات التعليمية لتحسين أدائهم الأكاديمي.

**الدراسة السادسة :**

دراسة العزام، فريال ناجي (2017) بعنوان: درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية – دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة الجامعات الخاصة الاردنية.[12] هدفت الدراسة الى قياس درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية، و لتحقيق اهداف الدراسة تم تطوير أداة الاستبيان تتعلق بدرجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية تتكون من 20 فقرة. وتم استخدام المنهج الوصفي المسحي للدراسة، من خلال توزيع الاستبانة على جميع افراد العينة خلال العام الدراسي 2017 – 2016، و بلغ اجمالي المكتملة منها 100 استبانة. واظهرت نتائج الدراسة مايلي: إن درجة إستخدام طلبة تكنولوجيا التعليم الجامعي الخاص بالاردن للهواتف الذكية بدرجة متوسطة، و اظهرت ايضاً لاعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0,05 في درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية. وقسم الباحث متغيرات الدراسة الى ثلاث متغيرات: الجنس – الجامعات – المراحل الدراسية، من وجهة نظر الطلبة الجامعيين بالأردن.

**الدراسة السابعة:**

دراسة كاجان، أويسنال ، كيليك (2014) ( Cagan , Unsal , Clik 2014) , بعنوان: تقييم مستوى الادمان على الهاتف الذكي لدى طلاب الجامعة.[13] هدفت الدراسة الى تقييم مستوى الادمان على الهواتف الذكية لدى الطلبة الجامعيين، و اجريت الدراسة على كلية الصحة بجامعة اوساما جانز في تركيا، للتعرف على العلاقة بين الادمان و مستوى الأكتئاب لديهم. و تكون مجتمع الدراسة من 70 طالب و طالبة، و أظهرت الدراسة ان طلبة قسم ميدو ايفر

(11) ماجد عطاالله عبد حمايل.2014.إنتشار الحواسيب اللوحية و الهواتف الذكية و تطبيقاتها في مؤسسات التعليم العالي – دراسة استطلاعية، رسالة ماجستير، فلسطين؛ رام الله: جامعة القدس المفتوحة، 2014.

(12) فريال ناجي العزام.2017. درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية - دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة الجامعات الاردنية الخاصة. رسالة ماجستير، الاردن؛ عمان: جامعة الشرق الأوسط،2017 .

(13) UnsalL, Celik Cagan .. (2014). تقييم مستوى الادمان على الهاتف الذكي لدى طلاب الجامعة. *Evaluating the level of smartphone addiction among university students*. تركيا: كلية ايفاليشون.

يعانون من درجة ادمان على الهواتف الذكية، و ان ازدياد استخدامهم اليومي على الهواتف يرفع مستوى الادمان، و ان هناك ارتباطاً سلبياً بين الادمان على الهواتف الذكية و درجات النجاح و التفوق في التحصيل الاكاديمي؛ بينما هناك ارتباط ايجابي بين الادمان و مستوى الأكتئاب لدى الطلاب.

و يعزى السببين الى استخدام الطلاب لهواتفهم الذكية بأي شكل من الأشكال الآتية مثل: الأتصال بالاسرة، الرسائل النصية. وأظهرت الدراسة مجموعة من النتائج اهمها ان ادمان استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب الجامعة هي مشكلة صحية مهمة تستوجب الاهتمام، كما أكدت الدراسة على ان ازدياد الادمان لديهم يخفض من نجاح الطلاب الجامعيين اكاديمياً، و نتاج ذلك يزيد من مستوى الاكتئاب لدى الطلاب.

**التعليق على الدراسات السابقة و اوجه الاتفاق والخلاف:**

تعدد الدراسات السابقة التي تناولت متغيرات الدراسة الحالية من زوايا مختلفة، وكانت حول استخدامات الهواتف الذكية و مدى استخدامها من قبل طلاب الجامعات، مما يتوافق مع الدراسة الحالية التي جاءت لنتائج قريبة مثل امتلاك جميع الطلاب الجامعيين لهواتف ذكية و قدرتهم على استخدامها، وقد اتفقت الدراسة الحالية مع اغلب الدراسات السابقة من حيث الآتي:

- استخدمت في ادوات جمع البيانات استمارة الاستبيان.
- تناولت منهج المسح الوصفي.
- تبحث جميع الدراسات في تأثير استخدام الهواف الذكية.
- استخدمت اغلب الدراسات تسأولات علمية للاجابة عليها للوصول الى النتائج.

وأظهرت اوجه الخلاف مع بعض الدراسات السابقة في الآتي:

قد جاءت أغلب عينات مجتمعات الدراسات السابقة على الطلاب الجامعيين بصورة مباشرة لأخذ ارائهم، عدا دراسة شرودي2012 (Shrode) وأخرون التي جاءت كأستقصاء رأي في شكل دراستين استقصائيتين على عينة من الطلاب الجامعيين و أخرى على أمناء المكبات الجامعية، فضلاً عن دراسة (هايدي حجاج) 2017 الميدانية المقارنة بين الجامعات الحكومية و الجامعات الخاصة. وجاءت دراسة (Cagan 2014) مختلفة من حيث اهدافها الرئيسة، كونها تناول الجانب الصحي النفسي من اثر استخدام الهواتف الذكية، من ناحية تقييم مستوى الادمان لدى الطلبة الجامعيين.

اخذت الدراسات السابقة التنوع في اماكن اجرائها بين الدول العربية و الاجنبية، وجاءت الدراسات العربية على مجتمعات عربية مختلفة (السعودية، الجزائر، الأردن، مصر، فلسطين)، لغرض معرفة نتائج الدراسات التي اجريت على هذه المجتمعات العربية المختلفة، و العرف على اوجه الاتفاق و الاختلاف فيها؛ اما الدراسات الأجنبية فكانت واحدة في الولايات المتحدة و الاخرى على عينة من الطلاب الجامعيين بتركيا.

## ثانياً: الإطار النظري للدراسة:

### نشأة الهواتف الذكية :

في عام 1992 صمم أول هاتف ذكي بأسم سايمون simon وكان من إنتاج شركة IBM ، وقد اعتبر

أكثر من جهاز متحرك بشاشة لمس وبعض التطبيقات كالمفكرة والحاسبة.[14] وفي عام 1993 قامت شركة Apple بتصنيع هاتف ذكي Newton ، كما تسمح هذه الهواتف لمستخدميها بتخزين البيانات الخاصة بهم من المعلومات والصور ، وملفات أو البريد الإلكتروني.[15]

وقد أطلق الاسم الحالي smart phone أول مرة على جهاز أريكسون GS88 عام 1997 وخلال فترة وجيزة بعدها ظهر Nokia 9210 communicateur سنة 2001 يعمل بنظام تشغيل مفتوح وهو سيمبيان symbien قادر على إرسال الفاكسات واستقبالها ، وقد انتشر هذا الجهاز على نطاق واسع ، كما أطلقت شركة الاتصالات جهاز بلاك بيري ، أما سنة 2007 فقد ظهر الأيفون ihpone من شركة أبل Apple وقد وفر إمكانية تصفح الإنترنت ، إضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى ، تليها سنة 2008 حيث أضيفت خدمة متجر التطبيقات App store وعلى رغم اختلاف التصميمات والأشكال فإن التقويم الفعلي للهواتف الذكية يأتي عن طريق نظام التشغيل الخاص بكل جهاز ، وقد حل في الصدارة نظام تشغيل غوغل google أندرويد Android وكان أول هاتف يستخدم نظام جديد وهو Hts وفي سنة 2009 قامت العديد من الشركات بإنشاء مخازن التطبيقات الخاصة بها على شبكة الإنترنت ومنها متجر OVI من نوكيا ، متجر ويندوز لشراء تطبيقات الهواتف وبلاك بيري ، وتبعتها كذلك تطور أجيال الاتصالات حتى وصلت إلى الجيل الثالث G3.[16]

### أهمية الهواتف الذكية :

تحظي الهواتف الذكية بالكثير من الاهتمامات في حياتنا اليومية ، وفي شتى المجالات سواء الاجتماعية ، والثقافية تعليمية وغيرها ، لهذا يمكن إدراج أهمية الهواتف الذكية في النقاط التالية :

- أتاحت الهواتف الذكية إمكانية التواصل بسهولة وبأقل تكلفة بين مستخدمي هذه الأجهزة.
- توفر الهواتف الذكية تطبيقات مختلفة ومتعددة الاستخدمات.
- توفر الهواتف الذكية قدرة الولوج السريع إلى شبكة الإنترنت.
- لم يقتصر استخدام الهاتف الذكية على التواصل فقط ، بل تعدت ذلك لتشمل العديد من الأنشطة الاجتماعية التي يمكن أن يقوم بها الفرد.
- توفير الهواتف الذكية لرجال الأعمال وأصحاب المهن الحرة السرعة والسهولة في إنجاز

(14) أحمد ، شادية. 2019. الهاتف الذكي حاسوب المستقبل. www.ecssr.com/ECSSR. [متصل] 13 011, 2019. مجلة العلوم والتكنولوجيا آفاق المستقبل، ص72.

(15) سوزان محمد بدر زهر. 2016. مهارات الطلاب في استخدام الهواتف الذكية في الوصول إلى مصادر المعلومات. journal. cybrarians.info. [ متصل] ع.43، 2016. [تاريخ الاقتباس: 18 ،11, 2019.

(16) أحمد ، شادية. 2019، مرجع سابق، ص72.

لأعمالهم ومهامهم ، إضافة إلى قدرتهم على التواصل بشكل سريع من خلالها.[17]

**مميزات الهواتف الذكية :**

تمتاز الهواتف الذكية بالقدرة على القيام بعدة مهام ومسؤوليت ومن أهمها ما يلي :

- يتميز الهاتف الذكي عن الجوال التقليدي بالقدرة على تقديم خدمات ، لا تحصى ولا تعد.
- يتصف بالذكاء لأن ذاكرته الذاتية قادرة على أن تخزن وتتوقع وتقترح ، كذلك قدرته على الاتصال بشبكة الإنترنت ليصبح أقرب إلى جهاز الكمبيوتر منه إلى الهاتف.
- يتميز بالذكاء اليوم لكنه يبدو قابلاً للتطور ليصبح فائق الذكاء ، أو حتى عبقري مستقبلاً.
- بفضل الكم الهائل من التطبيقات التي يمتاز بها الجهاز ، أصبح وسيلة لمشاهدة قنوات التيلفزيون ، قراءة الصحف ، والاتصال مجاناً بأقاصي الأراضي ، كذلك تحديد المواقع وألة تصوير وتسجيل صندوق البريد الإلكتروني ، ويمكن من خلاله أيضاً متابعة الدراسة الجامعية عن بعد وغير ذلك من المميزات.[18]
- تساعد الهواتف الذكية في الحصول على أكثر من المعلومات في وقت قصير.
- نجد الهواتف الذكية تحتوي على الكثير من الأغراض مثل التقويم والساعة والملاحظات والمسجل وآلة الحاسبة.[19]

**وظائف الهواتف الذكية :**

تقوم الهواتف الذكية بعدة وظائف ومهام رئيسية نذكر من بينها ما يلي:

- إرسال واستقبال المكالمات الهاتفية الخلوية ، إضافة إلى إجراء المكالمات كما يمكن إجراء المكالمات عبر الإنترنت دون الحاجة إلى الحاسوب Volp.
- إدارة المعلومات الشخصية من كتابة الملاحظات وجدول المواعيد وغيرها.
- إمكانية الاتصال مع الحواسيب الشخصية والمحمولة.
- القدرة على القيام بعملية التزامن للبيانات التي في الهاتف الذكي وبعض التطبيقات الحاسوبية مثل : microsoft, outlook, apple.
- وهناك ميزة جديدة لا تزال قيد التجربة يمكن أن تضاف قريباً على ميزات الهواتف الذكية، ألا وهي العمل بطاقة ائتمان لاسلكية ويمكن أن يجري الدفع عن طريقها في بعض المحلات.[20]

**استخدامات ومهام الهواتف الذكية في العملية التعليمية :**

- من خلال الهواتف الذكية يمكن بث المحاضرات والمناقشات مباشرة إلى الطلاب إينما كانوا

(17) هشام سمير رقوت.2016. استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتطبيقات التواصل الاجتماعي من خلال الهواتف الذكية، رسالة ماجستير، فلسطين؛ غزة: الجامعة الاسلامية،2016، ص52.

(18) كوكب الهاتف الذكي. 2015. كوكب الهاتف الذكي. مجلة القافلة. 2015، ص 64.

(19) اشواق قايد. 2014. اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. 2014، ع.2، ص 312.

(20) خضر البياتي ياس. 2014. الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة. د.ن: دارالبليدة ناشرون و موزعون،2014، ص ص 436-437.

، وذلك عن طريق إيصال هذه الأجهزة بشبكة الإنترنت ، كما يمكن للطلاب من خلالها التفاعل مع بعضهم البعض.

- تمكن كذلك طلاب الجامعات من استقبال الإعلانات أو القرارات الإدارية المستعجلة ، كإلغاء موعد امتحان ما أو حتى الاعتذار عن محاضرة ما وغيرها.[21]
- كما تمكن الهواتف الذكية المعلمون من استعراض واجبات وعمل الطلاب ، ويمكن للطلاب معرفة نتائج تقويم المعلمين لأعمالهم ، وكذلك إمكانية تدوين الملاحظات باليد من خلال sms أو بالصوت voice مباشرة على الجهاز.
- تساعد الطلاب والباحثين على إنشاء مكتبة صغيرة سواء من الكتب أو الدروس أو حتى المراجعات والشروح ، إضافة إلى مقاطع الفييدو خاصة بمجال معين.
- يساعد في تحقيق التواصل بين أطراف العملية التعليمية ، الالب والمؤسسة التعليمية وأولياء الأمور ، مما يمكن الأهل من متابعة دورية لنتائج أبنائهم.
- ومن خلال الهواتف الذكية والكمبيوتر اللوحي يمكن تحميل المذكرات والكتب الإلكترونية ، مما يجعلها أخف وزناً وأصغر حجماً وأسهل حملاً من الحقائب المليئة بالملفات والكتب أو من الحاسبات المحمولة ، هذا مما يجعلها أكثر فعالية ومرونة.
- كما استخدم الهاتف الذكي في مجالات كثيرة أخرى من نواحي الحياة كوسيلة اتصال متعددة سريعة وخاصة بعد تطور الشبكة العلمية للاتصالات اللاسلكية GSM.[22]

**خصائص المعلومات:**

تتوافر المعلومات على مجموعة من السمات والخصائص والتي سنوجزها فيما يلي:

- الدقة : وتعني النوعية الجيدة للمعلومات ، حيث ينبغي أن تكون المعلومات التي تقدم إلى المستفيد في صورة جيدة وصحية خالية من الأخطاء ، وهذا ما يجب على الجهة المعنية بجمع ومعالجة البيانات.
- التوقيت أي الوقت المناسب لتقديم المعلومات واسترجاعها للمستفيد في الوقت المطلوب.
- الصلاحية : ونعني بها المعلومات اللائقة لاحتياجات المستفيد ، والتي تكون منسجمة مع تطلعاته.[23]
- التكامل أو الشمولية : أي تأمين كل جوانب احتياجات المستفيد في موضوع بحثه واهتماماته.
- الوضوح : وهي أن تكون واضحة وبعيدة عن الغموض واللبس والخلط الغير مبرر مع موضوعات أخرى.
- سهلة الوصول : أي إمكانية الوصول للمعلومات تكون متوفرة وغير معقدة.

---

(21) منى السبيعي و نورة الغامدي. 2014. أثر برنامج تدريبي مقترح قائم على التعلم النقال learning mobile عبر الهواتف الذكية smart phone في تنمية الأداء التدريسي للطالبة المعلمة تخصص العلوم والرياضيات بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز. مجلة دراسات في مناهج وطرق التدريس. ع202، 2014، ص 78.

(22) فضيل دليلو. 2015. advantages and disadvantage of mobile phones in our daily lives. testbig.com. [متصل] 2015. [تاريخ الاقتباس: 26 11, 2021.] www.testbig.com

(23) عبد الله حمود ، سراج. 2005. أهمية خصائص المعلومات في بناء واختيار قرارات المنظمة. مجلة العلوم الاقتصادية و علوم التسيير. [متصل] ع4، 2005. univecosetif.com.

- كميتها قابلة للقياس : والمقصود هنا أن كمية المعلومات المطلوبة للمستفيدين ينبغي أن تكون محددة بضوء الإمكانيات المتاحة لنظام أو مركز المعلومات عند المستفيد على أن لا يتعارض ذلك مع دقة المعلومات من جهة وشموليتها من جهة أخرى.
- موضوعية : أي أن تكون المعلومات بعيدة عن التميز ، فهناك الكثير من المعلومات خاصة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية تميل إلى التحيز لأفكار واتجاهات بمعزل عن الأنظمة الأخرى.
- قابلية للتحقق : أي أن تكون المعلومات قابلة للفحص والتحقق لصحتها ودقتها.[24]
- يمكن للمعلومات أن تكون جيدة أو سيئة ، صائبة أو غير صائبة.
- يمكن للبيانات أن تكون صائبة ، ولكنها غير مكتملة ، وبذلك تنتج معلومات سيئة أو مضللة.
- يمكن للبيانات أن تكون دقيقة عالية جودة ، وتتوافر بقدر مناسب ، ومن ثم فإنها أن تجهز لتصبح معلومات.
- عادة ما تكون المعلومات التي نستفيد منها غير مكتملة ، فالقرارات تتخذ بناءاً على معلومات غير كاملة إلا أن طابع عدم الاكتمال هذا ومداه لا يعرفان فيما بعد ، وتتوقف درجة عدم الاكتمال على الفرد وحالاته المعرفية السابقة.[25]

**طرق الحصول على المعلومات العلمية والتقنية :**

هناك العديد من الطرق التي تمكن المستفيد من الوصول إلى هذه المعلومات مهما كان مكان تواجدها، ومن أبرز الطرق نذكر ما يلي :

الطرق التقليدية: هناك العديد من طرق البحث عن مصادر المعلومات بكل أنواعها منها الكتب ، الدوريات... وغيرها من المصادر حيث نجدها فيما يلي :

الببليوغرافيات bibliographic: وهي عبارة عن قائمة بمواد منشورة أو غير منشورة تعطي بيانات عنها ، وتكون مرتبة وفقاً لنظام معين ، وقد تكون مجموعة حول شخص أو موضوع أو زمان أو مكان أو بشكل عام أو محدد.

الأدلة directories: وتعرف الأدلة بأنها المراجع التي تقوم بالتعريف بالأشخاص أو المنظمات والهيئات وترشد إلى الأماكن وترتب الأدلة بطريقة هجائية أو وفقاً لنظام معين.

الكشافات indexes: المواصفة القياسية العربية رقم ( 878 . 1986 ) تعرف الكشاف بأنه: سرد هجائي أو مصنف للموضوعات يشير إلى موقع كل موضوع في وثيقة أو مجموعة من الوثائق.

المستخلصات abstract: هو عبارة عن ملخص لأد المطبوعات أو إحدى المقالات مصحبو بوسف بلبوغرافي مناسب يتيح التعرف عل المطبوع أو الوثيقة.[26]

الفهارس catalogue: هو عبارة عن قائمة منظمة ، تضم كل ما تحتويه المكتبةمن مواد

(24) أحمد الدباس ، ريا. 2012. خدمات المعلومات في المكتبات التقليدية والإلكترونية. عمان : دار البلدية ناشرون وموزعون، 2012، ص13.

(25) جون لسترو و والاس سي. 2012. اسس دراسة المعلومات: الالمام بالمعلومات و بيئتها. الرياض : د.ن، 2012،ط2، ص 681.

(26) عوض النوايسة ، غالب. 2009. مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع، 2009، ص ص 244-398.

مكتبية ، كما يعتبر بمثابة دليل المكتبة الذي يحدد أماكن تواجد المواد المكتبية على رفوفها ، فلا يمكن لأي مكتبة مهما كان حجمها أن تقدم خدماتها بشكل فاعل دون أن تعتمد على فهرس ، وعليه فإن الفهرس هو بمثابة حلقة وصل بين القارئ والمواد المكتبية على الرفوف.[27]

**الطرق الحديثة :**

أتاحت تكنولوجيا الحديثة العديد من الطرق في الوصول إلى المعلومات ، ومنها ما يلي :

محركات البحث moteurs de recherche هي عبارة عن برمجيات مصممة لتزويد مستخدمي الإنترنت بقائمة من مواقع الويب التي تتوافق مع استفساراتهم حول المواضيع الحديثة.

كما إنها أداة تتولى البحث عن مصادر المعلومات على الإنترنت وتخزينها في قاعدة بيانات ثم تتيحها للباحثين حسب الطلب ، وتتم طريقة التجميع بطريقة آلية ، ويتكون محرك البحث من ثلاث أجزاء رئيسية وهي :

برنامج العنكبوت spider program : عبارة عن برنامج لإيجاد صفحات جديدة على الويب ثم إضافتها إلى قاعدة بيانات محرك البحث ، وتسمى أيضاً بالزواحف crawler وأيضاً الإنسان الآلي robot أو الديدان worm والتي تأخذ مؤشرات المواقع من عنوان الصفحة URL وكذا الكلمات المفتاحية التي تضمها.

برنامج الكشف program index : ويمثل قاعدة بيانات ضخمة لوصف صفحات الويب بالاعتماد على المعلومات التي جاء بها برنامج العنكبوت وفق معيار الكلمات الأكثر تكراراً ، وهذا ما يجعلها توفر الجودة في البحث.

برنامج محرك البحث search engine program : حيث يبدأ دوره عند كتابة الاستفسار في مربع البحث ، حيث يتم أخذ الكلمة المفتاحية والبحث في صفحات الويب التي تحقق الاستعلام والذي كونه برنامج المكشف، في قاعدة البيانات، ثم يعرض نتيجة البحث في نافذة مستعرض محرك البحث browser window.

الأدلة الموضوعية subject direction : هي عبارة عن مواقع متخصصة بالإنترنت تنتقي مواقع الويب وتنظمها تحت رؤوس الموضوعات مثل الفن ، التربية ، العلوم ، التكنولوجيا ، حيث تقوم بتجميع مصادر المعلومات وفق قطاعات موضوعية تتفرع من العام إلى الخاص ، إذ يمكن التصفح عن طريق التدرج من الأعم إلى الأخص إلى غاية إيجاد الموضوع المحدد.[28]

## ثالثاً: عرض النتائج و تفسيرها:

**توزيع استمارة الإستبانة:** تمثلت عينة الدراسة بعدد (54) طالب، بواقع (37) طالب إعلام و (17) طالب مكتبات بالسنة الرابعة والمختارة بالطريقة العمدية، وبعد توزيع الإستبانة تم استرجاع (32) استمارة صالحة للتحليل الإحصائي، وتعثر وصول الإستبانة إلى باقي المبحوثين من عينة المسح الشامل بسبب الغياب نتيجة إيقاف قيد الدراسة لدى البعض منهم او الإعادة

(27) التل وائل ، عبد الرحمن ، محمد قحل ، عيسى. 2007. البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. عمان : دار الحامد للنشر والتوزيع، 2007. ص91.

(28) الهوش ،ابوبكر محمود. 2013. ادوات البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية. القاهرة : دار السحاب للنشر و التوزيع، 2013، ص ص 10-49.

او الغياب لأسباب عارضة، واستغرقت عملية توزيع الاستمارات وجمعها فترة امتدت إلى أربعة أيام، وذلك للحصول على نسبة ردود مرتفعة، ولمنح الفرصة للمشاركين للإدلاء ببيانات يمكن الاعتماد عليها ، وقد تم توزيع مجتمع الدراسة حسب المتغيرات الديموغرافية على النحو التالي بالجدول (1).

جدول (1) خصائص عينة الدراسة

| المتغير | بيانات المتغير | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| النوع | الذكور | 7 | 21.9% |
| | الإناث | 25 | 78.1% |
| العمر | من 20 سنة الي 22 سنة | 22 | 68% |
| | من 23 سنة إلى قل من 25 سنة | 10 | 32% |
| القسم العلمي | قسم الإعلام | 20 | 62.5% |
| | قسم المكتبات والمعلومات | 12 | % 37.5 |

يوضح جدول (1) نتائج التحليل الوصفي للبيانات الشخصية للمستجيبين من أفراد عينة الدراسة , حيث يتضح أن النسبة الأكبر من عينة الدراسة هم الإناث حيث بلغت (25) طالبة ما نسبته (78.1%) أما فئة الذكور فبلغت (7) بنسبة (21.9%) وقد تعزي هذه النسبة إلى ارتفاع نسبة الاناث حسب احصائيات تعداد السكان.

غالبية أفراد عينة الدراسة تتراوح أعمارهم ما بين (20 سنة -22 سنة)،ويرجع ذلك الى سبب أن العينة التي اختيرت للدراسة هي المرحلة الأخيرة من الدراسة حيث هذا هو العمر الذي يكون فيه الطالب في تلك المرحلة غالبية أفراد عينة الدراسة هم من قسم الإعلام حيث بلغت نسبتهم (62.5%) .

**ثبات أداة جمع البيانات وصدقها:**

ثبات مقياس الدراسة: من شروط سلامة المقياس هو تمتعه بالثبات، والذي غالباً ما يقترن بالصدق، حيث إن الصدق مظهر الثبات، أي بمعنى أن المقياس الصادق يكون ثابتاً وليس العكس صحيحاً فقد يكون الاختبار ثابتاً ولكنه لا يتمتع بالصدق.[29]

جدول (2) معاملات ثبات مقاييس الدراسة

| المقياس | معامل الثبات |
|---|---|
| عادات وأنماط استخدامات الهواتف الذكية عند الطلبة | 0.72 |
| استثمار طلبة الاعلام والمكتبات للهواتف الذكية في الحصول علي المعلومات | 0.78 |
| انعكاسات الهواتف الذكية للطلبة | 0.88 |
| استخدام الهواتف الذكية | 0.788 |

(29) احمد محمد الطيب. 1999. الاحصاء في التربية و علم النفس. الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، 1999، ص 204.

تم التحقق من صدق الأداة عن طريق عرضها علي مجوعة من المحكين من أساتذة كلية الآداب بجامعة طبرق للاسترشاد برئيهم حول درجة انتماء الفقرات ومناسبتها للمحاور وتم تعديل الاستبيان وفق أراء المحكمين وللتأكد من ثبات الإستبانة فقد تم إجراء اختبار معامل الثبات الداخلي عن طريق Alpha Cronbach وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وقد بلغت قيمة معامل الثبات لمقياس استخدام الهواتف الذكية (0.78) ، وتعتبر هذه القيمة مرتفعة ما يشير إلى ثبات الإستبانة وقوة تماسكها الداخلي .

صدق مقياس الدراسة: يُشير مفهوم الصدق إلى «مدى تأدية الفحص للوظيفة التي استخدمت من أجل تأديتها، أو تأدية الاستبيان للغرض الذي وضع من أجله. [30]

وتُعتبر طريقة الصدق الذاتي أو الإحصائي «Statistical validity»إحدى الطرق البسيطة والدقيقة في حسابه، ويُعرّف الصدق الذاتي «بأنه صدق الدرجات التجريبية بالنسبة للدرجات الحقيقية، ويُقاس الصدق الذاتي بحسب الجذر التربيعي لمعامل ثبات الاختبار.[31]

والجدول (3) يوضح معامل الصدق المستخرجة من معامل الثبات

| المقياس | معامل الصدق |
|---|---|
| عادات وأنماط استخدامات الهواتف الذكية عند الطلبة | 0.84 |
| استثمار طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية في الحصول علي المعلومات | 0.88 |
| انعكاسات الهواتف الذكية على الطلبة | 0.93 |
| استخدام الهواتف الذكية | 0.89 |

من خلال جدول (3) يلاحظ أن معاملات صدق مقاييس الدراسة عالية مما تعطي الثقة في صدق المقياس وان المقياس مصمم لما عد من اجله.

ثبات مقياس الدراسة :Reliability لتأكد من ثبات أسئلة صحيفة الإستبانة ، ومدى تجانسها وانسجامها مع مشكلة الدراسة لغرض الإجابة على تساؤلها، من خلال استخدام معادلة ألفا كرونباخ Alpha Chronbach ، وطريقةالتجزئةالنصفية Split-Half Coefficient.

صدق مقياس الدراسة والذي لتأكد من قدرة المقياس على قياس ما وضع من اجله، أو أن المقياس يقيس الظاهرة المراد قياسها .

(30) سبع محمد ابولبدة. 1985. مبادئ لقياس النفس و التقييم التربوي. عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية، 1985، ص 322.
(31) عباس محمد عوض. 1999. القياس النفسي بين النظرية و التطبيق. القاهرة : دار المعرفة الجامعية، 1999، صفحة 233.

جدول (4) يوضح طول الخلية لمقياس الدراسة وفقاً لمقياس ليكرت ودرجة الاستخدام

| طول الخلية | الفئة في مقياس ليكرت | درجة الفعالية للعبارات الايجابية |
|---|---|---|
| من 1 إلى أقل 1.66 | لا | ممارسة ضعيفة جداً |
| من 1.66 إلى أقل 2.34 | أحيانا | ممارسة متوسطة |
| من 2.34 إلى أقل 3.00 | نعم | مرتفعه جداً |

كما هو موضح بالجدول رقم (4) أساليب تحليل البيانات Methods of Data Analysis : قام الباحث باستخدام بعض الأساليب الإحصائية لتحليل بيانات الدراسة المتحصل عليها من خلال الإستبانة وذلك لتحقيق أهداف الدراسة ، وبعد الانتهاء من جمع البيانات تم مراجعة وترميز الاستبيانات المجمعة والصالحة لتحليل الإحصائي بناء على مقياس ليكرت Likert المقاس بثلاث درجات ولحساب طول خلايا المقياس تم حساب المدى )3-1 = 2(، ثم تقسيمه على عدد فئات المقياس للحصول على طول الخلية الصحيح إي) 2/3= 0.66(بعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى اقل قيمة في المقياس )أو بداية المقياس وهى الواحد الصحيح(وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية [32]، وهكذا يصبح طول الخلايا.

الجداول التكرارية Cumulative Frequency، وذلك لحصر أعداد المشاركين، ونسبهم المئوية، وفقاً للخصائص العامة لمالئي صحائف الإستبانة.

مقاييس النزعة المركزيةMeasures of Central Tendency المتمثلة في المتوسطات الحاسبية The Arithmetic Mean، وذلك لتحديد تركز الإجابات حول القيمة المتوسطة لها لجميع متغيرات الدراسة الرئيسية، كذلك تم استخدام مقاييس التشتت Measures Dispersion مثل الانحراف المعياري Standard Deviation، بُغية تحديد انحرافات الإجابات عن القيمة المتوسطة لها لمتغيرات الدراسة الرئيسية، والمدى Range للحكم على درجةاستخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات العلمية لطلبة الإعلام والمكتبات – طبرق قيد الدراسة وفقاً لمقياس ليكرت الثلاثي.

جدول (5) يوضح اختبار التوزيع الطبيعيOne – Sample Kolmogorov -Smirnov

| الترقيم | المجال | valuez- | P-value |
|---|---|---|---|
| 1 | عادات وانماط استخدام الهواتف الذكية عند الطلبة | 0.770 | 0.594 |
| 2 | انعكاسات الهواتف الذكية عند الطلاب | 1.016 | 0.254 |
| 3 | استثمار طلبة الاعلام والمكتبات للهواتف الذكية للحصول على المعلومات | 0.955 | 0.322 |

(32) بدران العمر. 2004. تحليل بيانات البحث العلمي من خلال برنامج spss. الرياض : دار الاصدارات الصحية، مكتبة الملك فهد، 2004، ص 322.

| | | | |
|---|---|---|---|
| 4 | استخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات العلمية | 0.835 | 0.488 |

خلال جدول رقم (5) الذي يوضح التوزيع الطبيعي تم إجراء اختبار التوزيع الطبيعي Normality Test لكافة البيانات لمعرفة فيما إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي من عدمه، وذلك من خلال إجراء اختبار One – Sample Kolmogorov –Smirnov ، لأن معظم الاختبارات العلمية تشترط أن يكون توزيع البيانات طبيعياً ، وتُفضي قاعدة القرار بقبول أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي إذا كانت قيمةP-value أكبر من 5%، وبإجراء الاختبار اتضحت أن جميع البيانات تتبع التوزيع الطبيعي، حيث أن تبين أن قيمة P-value أكبر من 5% لمتغير استخدام الهواتف الذكية لجمع المعلومات العلمية والتي حظيت (0.307)،وعليه يُمكن إجراء الاختبارات الإحصائية التي تعتمد على إتباع البيانات للتوزيع الطبيعي.

**عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:**

**مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس الأول : ما مدي استخدام طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية للحصول على المعلومات العلمية ؟**

جدول (6) إجابات المشاركين تجاه استخدام الهواتف الذكية لجمع المعلومات العلمية.

| الإبعاد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | اختبار t – test | | نتيجة الاختبار | الترتيب | مستوى الممارسة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | قيمة t | sig | | | |
| عادات وأنماط استخدامات الهواتف الذكية عند الطلبة | 2.12 | 0.473 | 85.079 | 0.077 | غير دال إحصائياً | 2 | متوسط |
| استثمار طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية في الحصول علي المعلومات | 2.02 | 0.486 | 90.574 | 0.321 | غير دال إحصائياً | 3 | متوسط |
| انعكاسات الهواتف الذكية على الطلبة | 2.33 | 0.890 | 79.709 | 0.091 | غير دال إحصائياً | 1 | متوسط |
| مقياس استخدام الهواتف الذكية | 2.16 | 0.475 | 137.734 | 0.394 | غير دال إحصائياً | -- | متوسط |

تضمنت استمارة الإستبانة ثمانية عشر عبارة تتعلق باستخدام طلبة الإعلام والمكتبات للهواتف الذكية فى التحصيل العلمي ، وعند احتساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لإجاباتهم عن تلك الأسئلة ، أمكن التعرف على مستوى استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في جمع التحصيل العلمي بالنسبة لطلبة الإعلام والمكتبات ، إذا ما عُلِمَ بأن متوسط المقياس المستخدم في الإستبانة يبلغ (2) ، وبمقارنة متوسطات الإجابات، مع متوسط المقياس، وجِدَ أن المتوسط الحسابي العام لاستخدام تطبيقات الهواتف الذكية للتحصيل العلمي قيد الدراسة قد بلغ (2.17) وبانحراف معياري (0.475) وبمستوى ممارسة متوسط . كما يوضح

**الجدول رقم (6) أن متوسطات الإجابة لمكونات أاستخدام الهواتف الذكية في التحصيل العلمي تتراوح بين(1.00) و (3.81) وباعتماد (2) درجه كمتوسط لمقياس للاستبيان، نجد أن كل المكونات كانت متوسطة ، وحظي مكون انعكاسات الهواتف الذكية علي الطلبة بمتوسط بلغ (2.33) وانحراف معياري (0.890) وبمستوى ممارسة متوسط وهو اعلي مكون، في حين حظي مكون استثمار طلبة الإعلام والمكتبات بالترتيب الأخير على مستوى مكونات استخدام الهواتف الذكية وبدرجة متوسطة، حيث بلغ متوسطه الحسابي (2.02) وانحراف معياري (0.486) ، وكل المكونات دالة إحصائيا عند مستوى معنوية (5%).**

جدول (7) إجابات المشاركين تجاه كل عبارة من عبارات مقياس استخدام الهواتف الذكية عند الطلبة

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| عادات وانماط استخدام الهواتف الذكيةعند الطلبة | 1 | هل تملك هاتف ذكي . | | 0.895 | مرتفعه جداً |
| | 2 | مانوع الهاتف الذكي الذي تستخدمة | | 0.737 | مرتفعه |
| | 3 | عدد ساعات استخدامك لهاتفك الذكي | 3.81 | 0.535 | مرتفعه جداً |
| | 4 | الوقت المفضل لاستخدام هاتفك الذكي. | | | مرتفعه جداً |
| | 5 | اين تستخدم هاتفك الذكي | 1.78 | 1.04 | مرتفعه |
| | 6 | .كيف تفضل استخدام هاتفك الذكي | 1.09 | | |
| | 7 | ماالغرض من استخدام هاتفك الذكى | | 1.78 | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| استثمار طلبة الاعلام والمكتبات للهواتف الذكية في التحصيل العلمي | 1 | هل تستخدم هاتفك الذكي في البحث عن المعلومات. | | 0.00 | مرتفعه جداً |
| | 2 | معدلات استخدامك للهواتف الذكية في الوصول للمعلومة. | 2.71 | 1.46 | مرتفعه |
| | 3 | ماالادوات التي تستخدمها للبحث عن المعلومات المتاحة من خلال الهواتف الذكية. | | 1.14 | مرتفعه جداً |
| | 4 | ماانواع المصادرالالكترونية للمعلومات التي تستخدمها باستمرار. | 1.87 | 0.751 | مرتفعه جداً |
| | 5 | ماأكثرصيغ ملفات النصوص استخداماخلال هاتفك الذكي. | 1.28 | | مرتفعه جداً |
| | 6 | ماانواع التطبيقات التي تستخدمها بالهواتف الذكية للبحث عن المعلومات. | 1.50 | 1.107 | مرتفعه جداً |
| | 7 | ماعدد التطبيقات التي قمت بتحميلها في هاتفك الذكي للاستفادة منها في الوصول الى المعلومات. | | 1.07 | مرتفعه جداً |
| | 8 | ماتقييمك في استخدام هاتفك الذكي في الحصول على المعلومات العلمية . | | 1.02 | |
| انعكاسات الهواتف الذكية على الطلبة | 1 | ماالصعوبات التي تواجهك اثناء استخدام هاتفك الذكي في الحصول على المعلومات العلمية . | | 2.72 | مرتفعه جداً |
| | 2 | هل تجد ان استخدام الهواتف الذكية لها ايجابيات ام سلبيات ام الاثنين معاً. | | 0.336 | مرتفعه جداً |
| | 3 | ماسلبيات استخدام الهاتف الذكي. | | 1.16 | مرتفعه جداً |
| | 4 | ما إيجابيات الهاتف الذكي. | 1.90 | 1.14 | مرتفعه جداً |

يلاحظ من الجدول (7) مايلي :

إن كل عبارات مقياس استخدام الهواتف الذكية تتراوح ما بين ( 1.00- 3.81) وتمارس بدرجة منخفضة إلى متوسطة نلاحظ من الجدول (7) إن أعلى عبارات مقياس استخدام الهواتف الذكية في جمع المعلومات العلمية تتمثل بالعبارة رقم (3) في بعد عادات وانماط استخدام الهواتف الذكية عند الطلبة والتي تنص الى عدد ساعات استخدامك لهاتفك الذكي اكثر من(3)ساعات وحسب الوقت المتوفر ، والتي بلغ متوسطها الحسابي (3.81) وانحراف معياري (0.535) وبدرجة ممارسة مرتفعه جداً.

لوحظ من الجدول (7) إن اقل العبارات مستوى تقع في بعد استثمار طلبة الاعلام والمكتبات للهواتف الذكية في الحصول على المعلومات والتي تنص بأنه هل تستخدم هاتفك الذكي في البحث عن المعلومات.، حيث حظيت بمتوسط حسابي (1.00) وبدرجة ممارسة منخفضة.

تأسيساً على ما تقدم أظهرت الدراسة أن هناك ممارسة متوسطة من قبل طلبة الاعلام

والمكتبات لكلية الآداب بجامعة طبرق وهذا يلاحظ من خلال إجابات المشاركين في الجدول السابق رقم (7) .

## نتائج الدراسة Resultsof The Study :

من خلال التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة، تم التوصل إلى العديد من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي :

كشفت الدراسة أن الجميع الطلبة لديهم أجهزة ذكية محل الدراسة واستخدام الهواتف الذكية بمكوناتها الثلاثة كان مرتفعا جداً حيث بلغ متوسطه الحسابي (3.00) وانحرافه المعياري (0.895)

بينت الدراسة أن المستوى العام لمحور انعكاسات الهواتف الذكية على الطلبة جاء في المرتبة الأولى ،حيث بلغ متوسطه الحسابي (2.33)، وانحرافه المعياري (0.89) وبممارسة متوسطة .

أظهرت الدراسة أن المتوسط العام لمحور عادات وانماط استخدام الهواتف الذكية عند الطلبة جاء في المرتبة الثانية، حيث بلغ متوسطه الحسابي (2.12)، وانحرافه المعياري (0.473).

كشفت الدراسة أن المستوى العام لمحور استثمار طلبة الاعلام والمكتبات للهواتف الذكية في الحصول على المعلومات جاء في المرتبة الثالثة، حيث بلغ متوسطه الحسابي(2.02)، وانحرافه المعياري (0.486).

أوضحت الدراسة أن هناك صعوبات تواجه الطلبة أثناء استخدام الهاتف الذكي في التحصيل العلمي .بمتوسط حسابي بلغ (3.03) وانحراف معياري قدره (2.72)، تعزي ذلك إلي وجود العديد من الصعوبات مثل سوء خدمة الانترنت المستمر وانقطاع الخدمة وتكاليف إتاحة الخدمة وأخرها عدم المعرفة بالتعامل مع برنامج التشغيل.

أظهرت الدراسة الي ان اغلب الطلبة يستخدمون اجهزة Samsung بمتوسط حسابي ( 1.87) وانحراف معياري (0.737) وذلك يعود لرخص الجهاز المشار اليه وسهولة استخدامه و انتشاره.

كما بينت الدراسة ان استخدام الهاتف الذكي يتم في مختلف الأماكن، وأكثر أوقات استخدامه وقت الليل، وكما أوضحت أن عدد ساعات استخدامه أكثر من ثلاث ساعات يوميا وذلك لسهولة استعمال الهواتف الذكية ومصاحبتها للشخص في كل وقت مما قد يؤثر علي اداء عمله.

كما أوضحت الدراسة الى معدلات استخدام الهاتف الذكي في الوصول إلى معلومات، يتم حسب الحاجة إلي ذلك وليس بشكل يومي ومستمر، يعزي ذلك على ان الطلبة لا يستخدمون الهواتف لجمع المعلومات الا اذا دعت الحاجة الي ذلك و عند الضرورة .

وبينت الدراسة الى وجود سلبيات وايجابيات لاستخدام تطبيقات الهواتف الذكية، ومن تلك السلبيات ان الهواتف الذكية تسبب العزلة عن المجتمع والأقارب وتضيع الوقت والانشغال، كما انها تسبب الأمراض والألم بكثرة استخدامها، ومن الايجابيات التي بينتها الدراسة هي زيادة المعلومات والثقافة العامة والتسلية والترفية ومتابعة أخر الأخبار والمستجدات.

### توصيات الدراسة:

- تحسين نوعية التطبيقات الأكاديمية باللغة العربية بغية إفادة الطالب الجامعي.

- تشجيع الطلاب على تطبيق المصادر الالكترونية.
- توجيه الطلاب إلى الاستخدام الصحيح للهواتف الذكية و الاستفادة منها.
- توفير و إتاحة خدمة الانترنت للاستخدام العام المجاني في الجامعة مثل الواي فاي wifi .
- توعية الطلبة الجامعيين باستخدام التطبيقات الأجنبية و تطويرها.
- إدخال الهواتف الذكية ضمن المنظومة التعليمية بشكل تدريجي، بغية تكيف الطلبة معها و قدرتهم على استخدامها بالطرق الصحيحة.
- إقامة ورش العمل و الندوات، لتوعية الطلبة بأهمية استخدام الهاتف الذكي في التعليم و لاسيما الجامعي الأكاديمي.
- استغلال تطبيقات الهواتف الذكية للطالب الجامعي للحصول على المعلومات العلمية بالطرق المثلى.

## المراجع:


1. flora, Dresslhaus, Angela,(2012). Shrod. (2012 ,12 5). mobile technologies and academics: do students use mobile technology in their academic lives and are librariand ready to meet this new challeng? USA.

2. UnsalL, Celik Cagan. (2014). تقييم مستوى الادمان على الهاتف الذكي لدى طلاب الجامعة. Evaluating the level of smartphone addiction among university students. تركيا: كلية ايفاليشون.

3. هايدي إبراهيم حجاج. (2017). مدى إفادة طلاب الجامعات الحكومية والخاصة بالإسكندرية من خدمات المعلومات عبر الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية : دراسة ميدانية مقارنة. مدى إفادة طلاب الجامعات الحكومية والخاصة بالإسكندرية من خدمات المعلومات عبر الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية : دراسة ميدانية مقارنة. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم المكتبات والمعلومات.

4. ابوبكر محمود الهوش. (2013). ادوات البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية. تأليف ابوبكر محمود الهوش، ادوات البحث عن المعلومات في البيئة الرقمية (الصفحات 10-49). القاهرة: دار السحاب للنشر و التوزيع.

5. شادية أحمد. (13 011, 2019). الهاتف الذكي حاسوب المستقبل. تم الاسترداد من www.ecssr.com/ECSSR: مجلة العلوم والتكنولوجيا آفاق المستقبل

6. ريا أحمد الدباس. (2012). خدمات المعلومات في المكتبات التقليدية والإلكترونية. عمان: دار البلدية ناشرون وموزعون.

7. احمد محمد الطبيب. (1999). الاحصاء في التربية و علم النفس. تأليف الاحصاء في التربية و علم النفس (صفحة 204). الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

8. اشواق قايد. (2014). اتجاهات طالبات جامعة الملك عبد العزيز نو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية(ع.2)، صفحة 312.

9. أشواق قايد القايد. (2013). اتجاهات طلبة جامعة الملك عبد العزيز نحو استخدام الهواتف الذكية في إتاحة مصادر المعلومات الإلكترونية. رسالة ماجستير منشورة. جدة: كلية الآداب

والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز.

10.التل وائل ، عبد الرحمن ، محمد قحل ، عيسى. (2007). البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

11.إيمان قدورة ، كريمة بوعزة. (2018). الهواتف الذكية ومدى استخدامها من طرف طلبة علم المكتبات في الوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية: طلبة علم المكتبات بجامعة خميس أنموذجاً. الهواتف الذكية ومدى استخدامها من طرف طلبة علم المكتبات في الوصول إلى المعلومات العلمية والتقنية: طلبة علم المكتبات بجامعة خميس أنموذجاً. الجزائر، الجزائر: جامعة الجيلالي بو نعامة ( خميس مليانة)، كلية العلوم الاجتاعية والإنسانية ، مذكرة ماستر أكاديمي غير منشورة.

12.بدران العمر. (2004). تحليل بيانات البحث العلمي من خلال برنامج spss. تأليف تحليل بيانات البحث العلمي من خلال برنامج spss (صفحة 322). الرياض: دار الاصدارات الصحية، مكتبة الملك فهد.

13.جون لسترو، و والاس سي. (2012). اسس دراسة المعلومات: الالمام بالمعلومات و بيئتها. الرياض، المملكة العربية، السعودية: د.ن.

14.خضير البياتي ياس. (2014). الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة. تأليف خضير البياتي ياس، الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة (الصفحات 436-437). الاردن: دار البليدة ناشرون و موزعون.

15.خضير البياتي ، ياس. (2014). الإعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة. الأردن: دار البلدية ناشرون وموزعون.

16.سبع محمد ابولبدة. (1985). مباديء لقياس النفس و التقييم التربوي. تأليف سبع محمد ابولبدة، مباديء لقياس النفس و التقييم التربوي (صفحة 322). عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

17.سوزان محمد بدر زهر. (2016). مهارات الطلاب في استخدام الهواتف الذكية في الوصول إلى مصادر المعلومات. تاريخ الاسترداد 18 11, 2019، من journal.cybrarians.info.

18.عباس محمد عوض. (1999). القياس النفسي بين النظرية و التطبيق. تأليف عباس محمد عوض، القياس النفسي بين النظرية و التطبيق (صفحة 233). القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

19.عبد الرازق محمد الدليمي. (2006). الإعلام والعولمة. تأليف عبد الرازق محمد الدليمي، الإعلام والعولمة (صفحة 6). عمان: مكتبة الرائد العلمية.

20.عبد الله حمود سراج. (2005). أهمية خصائص المعلومات في بناء واختيار قرارات المنظمة. تم الاسترداد من مجلة العلوم الاقتصادية و علوم التسيير: univecosetif.com

21.عبدالكريم جندي. (2021). مفهوم الواقع في العلوم الانسانية. القاهرة ؛ لبنان: نما للبحوث و الدراسات.

22.عبدالوهاب بوخنوفة. (العدد02, 2008). الأطفال وثروة المعلومات ، التمثل والاستخدام. مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، صفحة 13.

23.عوض النوايسة ، غالب. (2009). مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

24.فريـل ناجـي العـزام. (2017). درجـة اسـتخدام الهواتـف الذكيـة فـي العمليـة التعليميـة - دراسـة ميدانيـة مـن وجهـة نظـر طلبـة الجامعـات الاردنيـة الخاصـة. درجـة اسـتخدام الهواتـف الذكيـة فـي العملية التعليمية - دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة الجامعات الاردنية الخاصة. (كلية العلوم التربوية، المحرر) الاردن، عمان: جامعة الشرق الاوسط .

25.فضيل دليلو. (2015). advantages and disadvantage of mobile phones in our daily lives. تاريخ الاسترداد 26 11, 2019، من testbig.com: www.testbig.com

26.كوكب الهاتف الذكي. (2015). كوكب الهاتف الذكي. مجلة القافلة، صفحة 64.

27.ماجـد عطالله عبـد حمايـل. (2014). انتشـار الحواسـيب اللوحيـة و الهواتـف الذكيـة و طبيقاتهـا فـي مؤسسـات التعليـم العالـي- دراسـة اسـتطلاعية. فلسـطين - رام الله: جامعـة القـدس المفتوحـة.

28.محمـد عطيـة شـراحبيلي. (5 12, 2019). الفوائـد التربويـة مـن اسـتخدام الهواتـف الذكيـة وأجهـزة الكومبيوتـر فـي العمليـة التعليميـة. تـم الاسـترداد مـن mohdary.blogspot.com.

29.محمـد فتحـي عبدالهـادي. (2008). مقدمـة فـي علـم المعلومـات. تأليـف محمـد فتحـي عبـد الهـادي، مقدمـة فـي علـم المعلومـات (صفحـة 13). الإسـكندرية: دار الثقافـة العلميـة.

30.منـى السـبيعي، و نـورة الغامـدي. (2014). أثـر برنامـج تدريبـي مقتـرح قائـم علـى التعلـم النقـال learning mobile عبـر الهواتـف الذكيـة smart phone فـي تنميـة الأداء التدريسـي للطالبـة المعلمـة تخصـص العلـوم والرياضيـات بكليـة التربيـة بجامعـة الملـك عبـد العزيـز. مجلـة دراسـات فـي مناهـج وطـرق التدريـس، صفحـة 78.

31.موقع المعاني. (30 12, 2019). www.almaany.com. تم الاسترداد من موقع المعاني.

32.هشـام سـمير رقـوت. (2016). اسـتخدام الصحفييـن الفلسـطينيين لتطبيقـات التواصـل الاجتماعـي مـن خـلال الهواتـف الذكيـة. رسـالة ماجسـتير، 52. غـزة؛ فلسـطين: الجامعـة الاسـلامية.

# السفارات والرسائل المتبادلة بين الفرنجة الميروفنجيين والدولة البيزنطة "التحديات والاستجابة" (507 ـ 590م)

إعداد:
**د. محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ**
دكتوراه في التاريخ الوسيط
كلية الآداب - جامعة طنطا/ مصر
ماجستير في الآداب عام 2018
في تاريخ العصور الوسطى من كلية الآداب - جامعة حلوان/ مصر

الاستلام: 14.4.2024 القبول: 19.5.2024

**المستخلص:**

كانت العلاقات الفرنجية البيزنطية ذات طبيعة خاصة، بدأت منذ استيطان الفرنجة في بلاد الغال، وتوطدت هذه العلاقات عندما اعتنق الملك الفرنجي كلوفيس الأول المسيحية على المذهب الكاثوليكي مخالفًا بذلك كافة القبائل الجرمانية الأخرى، مما جعل الإمبراطورية البيزنطية تُعد توسعات الملك كلوفيس في بلاد الغال، تتم في الأصل نيابة عنها، ومن ثم تنازلت بصورة شرعية للملك كلوفيس عن بلاد الغال، وأصبح الملك كلوفيس منذ ذلك الحين بالنسبة للرومان ليس مجرد غازى بربري وإنما هو أحد كبار القادة في الإمبراطورية الرومانية. ولكن في الواقع أن الميروفنجيين لم يقبلوا بمثل هذا الولاء للبيزنطيين إلا عندما كانوا بحاجة إلى دعم وتأييد الحاميات الرومانية في بلاد الغال في حربهم ضد القوط الغربيين أو قبائل الألماني والآفار وغيرهم، ولما أخضع الفرنجة تلك القبائل واشتد ساعد دولتهم، وزادت قوتهم، لم يظهروا هذا الولاء للبيزنطيين. وبالتالي فإن العلاقة بين البيزنطيين والفرنجة كانت ودية ما دام من مصلحة الطرفين الإبقاء على هذا الود سائدًا.

**الكلمات المفتاحية:** الميروفنجيين – بيزنطة – القوط الشرقيين – اللمبارديين – القوط الغربيين.

**Abstract:**

The Frankish-Byzantine relations were special. They began with the settlement of the Franks in Gaul, and these relations were strengthened when the Frankish king Clovis I converted to Christianity according to the Catholic doctrine, in contravention of all other Germanic tribes. This made the Byzantine Empire consider the expansions of King Clovis in Gaul to take place in the original on her behalf, and then she legitimately ceded Gaul to King Clovis, and King Clovis became from that point on for the Romans, not just a barbarian invader, but rather one of the most senior leaders in the Roman Empire. But in reality, the Merovingians did not accept such loyalty to the Byzantines except when they needed the support and endorsement of the Roman garrisons in Gaul in their war against the Visigoths or Alemanni, Avars, and others. When the Franks subjugated those tribes their state's support increased and their power increased,

they did not show this loyalty to the Byzantines. Therefore, the relationship between the Byzantines and the Franks was friendly as long as it was in the interest of both parties to keep this friendliness prevailing.

**Keywords:** Merovingian - Byzantium - Ostrogoths - Lombards - Visigoths.

**مقدمة:**

يحاول الباحث أن يُسهم في هذه الدراسة بقدر من الطرح الموضوعي حول طبيعة السفارات والرسائل بين الميروفنجيين والبيزنطيين، تلك السفارات التي تتعلق بالدبلوماسية بين الفرنجة والبيزنطيين، من خلال دراسة طبيعة العلاقات بين مملكة الفرنجة الميروفنجيين في الغرب الأوروبي والإمبراطورية البيزنطية في الشرق، وذلك في مرحلة أصبحت فيها بيزنطة تحاول استعادة الجزء الغربي من الإمبراطورية. وذلك من خلال الاجابة على عدد من الأسئلة:

- هل كان هناك بالفعل علاقات دبلوماسية بين مملكة الفرنجة الميروفنجيين والإمبراطورية البيزنطية؟
- ماهي طبيعة السفارات والرسائل الميروفنجيين والبيزنطيين؟
- هل استطاع الأباطرة البيزنطيين ترويض الميروفنجيين طبقًا لمخططاتهم أم لا؟
- هل استجاب الميروفنجيين للتحديات البيزنطية؟
- هل أثرت العلاقات الدبلوماسية بين مملكة الميروفنجيين والإمبراطورية البيزنطية على الأوضاع في الغرب الأوروبي؟
- كيف استفاد الطرفان (الميروفنجيين والبيزنطيين) من طبيعة العلاقات بينهما؟
- وأخيرًا ماهي النتائج التي ترتبت على السفارات والرسائل بين الميروفنجيين والبيزنطيين؟

كما يحاول الباحث الوقوف على إلى أي مدى نجحت محاولات الإمبراطورية البيزنطية في فرض سيادتها على ممالك الغرب الأوروبي (القوط الشرقيين في إيطاليا والقوط الغربيين في اسبانيا ومملكة اللمبارديين في إيطاليا)، ومن بينها أيضًا مملكة الميروفنجيين بلاد الغال، على الرغم من إن سيادة البيزنطيين على بلاد الغال كانت سيادة اسمية فقط. وكانت النتيجة أن أثر هذا بوضوح على طبيعة العلاقات بين بيزنطة وبين تلك الممالك نتيجة دور الميروفنجيين في دعم بيزنطة أو العكس، بل شهدت تلك الفترة في نفس الوقت بعض التدابير من الجانب البيزنطي تجاه الميروفنجيين كما سوف نوضح.

وبالنسبة للدراسات السابقة، فلا يوجد دراسة باللغة العربية تَطَرَّقَت إلى ذلك الموضوع، ومع ذلك يوجد بعض الدراسات باللغات الاجنبية، مثل؛ «السياسة البيزنطية في الغرب تحت حكم تيبيريوس الثاني وموريس: المدعيان هيرمنجيلد وجوندوفالد (579-585)» "**Byzantine Policy in the West under Tiberius II and Maurice The Pretenders Hermenegild and Gundovald**(579-585)" للمؤرخ والتر جوفارت **Walter Goffart**، كذلك «الميروفنجيين والبيزنطيين الشؤون الدبلوماسية والعسكرية والدينية 500-700م» "**Merovingians and Byzantium Diplomatic, Military, and Religious Issues,** 500-700" بقلم ستيفان إسديرز **Stefan Esders**.

أما المنهج الذي اعتمدت علية الدراسة، فهو المنهج التحليلي من حيث تحليل المصادر التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة تحليلًا علميًا، يقوم على البحث في الظروف الموضوعية

وراء مواقف الأطراف المعنية بالدراسة، فضلا عن المنهج الوصفي التاريخي من خلال وصف الأحداث وصفًا زمنيًا طبقًا للأحداث موضوع الدراسة.

ومن المصادر الفرنجية التي اعتمد عليها الباحث، تاريخ الفرنجة للمؤرخ جريجوري التوري Gregory of Tours ، الذي كان معاصرًا لفترة كبيرة من أحداث الدراسة. بالأضافة إلى حوليات المؤرخ فريديجار Fredegar ، بالأضافة إلى مصدر مهم جدًا خطابات أوستراسيا Austrasian Letters. على الجانب الآخر اعتمد الباحث على بعض المصادر البيزنطية، يأتي في مقدمتها كتاب تاريخ الحروب لبروكوبيوس القيصري Procopius of Caesarea وكتاب التاريخ لأجاثياس Agathias. فضلًا عن مجموعة أخرى من المصادر والمراجع والدوريات التي أغنت صفحات البحث بمعلوماتها.

ومن الصعوبات التي واجهها الباحث هي الدقة العالية التي تتطلبها إعداد مثل هذه البحوث، لا سيما واختلفت فيها الكثير من الآراء والروايات الفرنجية عن بعض الروايات البيزنطية، بل أن المصادر البيزنطية تصمت احيانًا عن طبيعة تلك العلاقات ولا تذكر أي شئ مطلقًا مما جعل الباحث يبحث في الشذرات المتناثرة في المصادر البيزنطية. وما يتطلب ذلك من مقارنة مختلف الروايات وتفنيدها والوصول إلى رأي صائب. وتنقسم الدراسة إلى مقدمة وستة محاور رئيسة وهي:

**المحور الأول:** طبيعة العلاقات بين الفرنجة والإمبراطورية الرومانية حتى عهد الملك كلوفيس.

**المحور الثاني:** السفارات والرسائل بين ثيودبرت الأول ملك ميتز (534-548م) والإمبراطور جستنيان.

**المحور الثالث:** السفارات والرسائل بين ثيودوبلد الأول ملك ميتز (548-555م) والإمبراطور جستنيان.

**المحور الرابع:** سفارة سيجبرت الأول ملك أوستراسيا (561-575م) إلى **الإمبراطور جستين الثاني.**

**المحور الخامس:** سفارة شيلبيريك الأول ملك نيوستريا (561-584م) إلى **الإمبراطور** الإمبراطور تيبريوس الثاني.

**المحور السادس:** السفارات والرسائل بين شيلديبرت الثاني ملك أوستراسيا (575-596م) والإمبراطور موريس.

**تمهيد:**

كانت العلاقات الفرنجية البيزنطية ذات طبيعة خاصة، بدأت منذ استيطان الفرنجة في بلاد الغال، وتوطدت هذه العلاقات عندما اعتنق الملك الفرنجي كلوفيس الأول (481-511م) المسيحية على المذهب الكاثوليكي (المذهب الاثناسيوسي) مخالفًا بذلك كافة القبائل الجرمانية الأخرى مثل القوط الغربيين، القوط الشرقيين، البرجنديين واللمباردين، التي كانت تدين بالمسيحية على المذهب الآريوسي، مما جعل الإمبراطورية البيزنطية تُعد توسعات الملك كلوفيس في بلاد الغال، تتم في الأصل نيابة عنها، ومن ثم تنازلت بصورة شرعية للملك كلوفيس عن بلاد الغال بعدما اعتنق المسيحية الكاثوليكية، وبعدما انتصر على القوط الغربيين في معركة فوييه 507/508م، وأصبح الملك كلوفيس منذ ذلك الحين بالنسبة للرومان ليس مجرد غازى بربري

وإنما هو أحد كبار القادة في الإمبراطورية الرومانية.

ولكن في الواقع أن الميروفنجيين لم يقبلوا بمثل هذا الولاء للبيزنطيين إلا عندما كانوا بحاجة إلى دعم وتأييد الحاميات الرومانية في بلاد الغال في حربهم ضد القوط الغربيين أو قبائل الألماني والآفار وغيرهم، ولما أخضع الفرنجة تلك القبائل واشتد ساعد دولتهم، وزادت قوتهم، لم يظهروا هذا الولاء للبيزنطيين. وبالتالي فإن العلاقة بين البيزنطيين والفرنجة كانت ودية ما دام من مصلحة الطرفين الإبقاء على هذا الود سائدًا، وفي نفس الوقت لم يكن لدى الفرنجة أدنى إستعداد ليكونوا رعايا البيزنطيين في بلاد الغال، بل إعتبر الفرنجة أنفسهم حلفاء لبيزنطة في بلاد الغال، ومع ذلك فإن الفرنجة كانوا حريصين أشد الحرص على عدم مناصبة البيزنطيين العداء، والقيام ببعض المهام التي يكلفون بها من قبل البيزنطيين، كاستجابة ثيودبرت الأول (534-548م) ملك ميتز[1] Metz لدعوة الإمبراطور جستنيان من أجل مساعدته في الحرب ضد القوط الشرقيين في إيطاليا، كذلك استجابة شيلديبرت الثاني (575-596م) ملك أوستراسيا لدعوة الإمبراطور موريس من أجل مساعدته في الحرب ضد اللمبارديين في إيطاليا، كما ارتكزت مساعدة الفرنجة للبيزنطيين على عاملين أساسين **أولهما:** ألا تتنافى تلك المساعدات مع سيادة الفرنجة فى بلاد الغال. **وثانيهم:** أن توافق تلك المساعدات سياسة الفرنجة الخارجية الرامية إلى عدم توطيد دعائم حكم مملكة قوية فى البلاد المتاخمة لمملكتهم.

وعلى الرغم من أننا نلاحظ أن سياسة الفرنجة مع البيزنطيين كانت قائمة علي المصلحه المتبادلة بينهما، وإن لم يتوفر أي من هذين الشرطين فإن الفرنجة لا ينصتون إلى الطلب البيزنطي، دون مقابل مادي مثل حروب الملك ثيودبرت في ايطاليا ضد القوط الشرقيين بعد أن طلب الإمبراطور جستنيان مساعدة الفرنجة، وأيضًا حروب الفرنجة ضد اللمبارديين التي دعى فيها الإمبراطور موريس الفرنجة إلى مساعدته في الحرب ضد اللمبارديين، ولم يقبل الفرنجة تقديم المساعدة لبيزنطة في حربهم ضد القوط الشرقيين أو اللمبارديين إلا بعد أن قدمت بيزنطة الأموال اللازمة للفرنجة[2].

ومن ثَمَّ أصبحت السمة السائدة بين الفرنجة وبيزنطة هى حماية العلاقات بينهما، ولقد ظَهر هذا جليًا في الفترة من 507 حتى عام 590م، حيث تعددت السفارات والخطابات المتبادلة بين الملوك الميروفنجيين والأباطرة البيزنطيين؛ وهو ما سوف نوضحه في هذا البحث ولكن في فترة زمنية معينة وهي منذ عام 507م حتى عام 590م.

ولكن لماذا تحديدًا عام 507م؟ وذلك لأنه كان بداية أول اتصال دبلوماسي بين الإمبراطور البيزنطي انستاسيوس والملك الفرنجي كلوفيس الأول، عندما منح انستاسيوس الملك كلوفيس لقب القنصل الروماني في بلاد الغال. ونتوقف عند عام 590م، وذلك لان المصادر خاصة الفرنجية تصمت تمامًا عن أي علاقات دبلوماسية بين الميروفنجيين وبيزنطة بخلاف بعض العلاقات الدينية، وربما يرجع ذلك لان مملكة الفرنجة توحدت عام 613م تحت صولجان الملك لوثر الثاني (584-628م)، وبذلك لم يكن هناك داعي للتنافس الخارجي وكسب ود بيزنطة حيث

(1) ميتز: تقع في شمال شرق فرنسا، عاصمة منطقة اللورين وتابعة لإدارة أقليم موزيل. وهي تقع عند التقاء نهري الموزيل والسال على بعد 99كم من ستراسبورج، وكانت مقرًا أسقفيا للفرنجة. انظرن

Moore, W.G, The Penguin Encyclopedia of Places, London, 1971, p.510.

(2) صلاح مدنى: تاريخ العصور الوسطى في اوروبا، دمشق 1973، ص 201-204.

أصبحت الممالك الميروفنجية الثلاث (اوستراسيا، نوستيريا وبرجندي) تحت حكم ملك واحد. كما أن عام 590م كان أخر تدخل من جانب الميروفنجيين في إيطاليا وانتهت المحاولات الفرنجية لغزو شبة الجزيرة الإيطالية بالفشل. وفي العام التالي 591م عقد اللمبارديين والفرنجة معاهدة سلام قُدر لها أن تدوم قرنا ونصف قرن، لم يتعكر صفوها إلا عندما استنجدت البابوية بالفرنجة لإنقاذها من خطر اللمبارديين؛ وذلك عندما ذهب البابا ستيفن الثاني Steven II (752–757) بنفسه إلى بيبن القصير ملك الفرنجة عام 754م.

## المحور الأول: طبيعة العلاقات بين الفرنجة والإمبراطورية الرومانية حتى عهد الملك كلوفيس:

مما لا شك فيه، أن علاقة الفرنجة بالإمبراطورية الرومانية كانت منذ استيطان الفرنجة ببلاد الغال، والدليل على ذلك أنه بمجرد دخول الفرنجة بلاد الغال، نجد أن الكثير من القادة الفرنجة التحقوا بخدمة الإمبراطورية ووصلوا إلى مراتب عليا في الجيش الإمبراطوري، فمنهم من وصل إلي قيادة الفرسان وحكام الاقاليم، ومنهم وصل البعض منهم إلي منصب القنصلية، كما وصل البعض الآخر إلي مرتبة الأوغسطس[3]. وعلى سبيل المثال لا الحصر، وصل القائد الفرنجي ميروبوديس **Merobaudes** لمنصب القائد الأعلى للجيوش الرومانية في عهد الإمبراطور فالنشيان الأول **Valentinian I** (364–375م)، كما صل القائد الفرنجي ريكومير **Richomer** أيضًا إلي نفس المنصب في عهدي الإمبراطور جراتيان (375–383م) والإمبراطور ثيودوسيوس الأول[4] (378–395م)، ووصل أيضًا القائد آربوجاست **Arbogastes** الفرنجي الأصل إلى نفس المنصب السابق وكان صاحب الفضل في وصول فلافيوس يوجينيوس **Eugenius** (392–394م) المغتصب إلي عرش الإمبراطورية[5]. وليس ذلك فقط، بل أن القائد آربوجاست قام بهزيمة أشقائه من الفرنجة عندما أغاروا على مدينة كلوني **Cologne**، وذبحوا العديد من الاهالي واتلفوا المحاصيل الخصبة وروعوا سكان كلونى[6].

ومع ذلك لم تستمر العلاقات العدائية بين الفرنجة والإمبراطورية في تلك الفترة، فقد

---

(3) Gregory of Tours, The History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974, P. 35;

انظر أيضًا، كرستوفر دوسن: تكوين اوربا، ترجمة محمد مصطفي زيادة وسعيد عاشور، موسسة سجل العرب، القاهرة 1967، ص 104؛ ادوار بروي وأخرون، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3، ط1 ، بيروت، منشورات عويدات ، 1986، ص27-28؛ محمود محمد الحويرى: رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، القاهرة 1995، ص 151؛ محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان(768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003، ص24.

(4) الإمبراطور ثيودوسيوس: هو ابن الجنرال ثيودوسيوس وهو من أصل اسبانى، وقد عينه الإمبراطور جراتيان قائداً للفرسان عام 378م ثم رقاه الى اغسطساً شريكاً عام 379م وكان ثيودوسيوس في الرابعة والثلاثين من عمره حينذاك، وأوكل جراتيان إليه حكم ولايات الشرق وحل مشكلة القوط فعقد مع القوط اتفاقية سلام.....انظر، سيد الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ، القاهرة 1991 .، ص464.

(5) الحويري: رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة 1995، ص152.

(6) Gregory of Tours, Franks , P.27; Fredegar, Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXX-VIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888), PP.93-94; See also, Perry, Walter C, The Franks from Their First Appearance in History to the death of King Pepin, London,1957, PP. 57-58; Woodruff, Jane Ellen, The "Historia epitomata" third book of the "Chronicle" of Fredegar, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987, pp.12-13;

انظر أيضًا، علية عبد السميع الجنزوري: جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة، القاهرة 1986 ، ص 77-79؛ وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطي، رسالة ماجستير منشورة، دار الافاق العربية، ط1، القاهرة 2013، ص50-51.

حاول الفرنجة مصالحة الإمبراطورية للسماح لهم بالاقامة في أراضيها، فقام الفرنجة في عام 406م في عهد الإمبراطور هنوريوس (395-423م) بالتعاون مع القوات الرومانية وتصدوا لقبائل الوندال Vandals تحت قيادة ملكهم جوديجزل Godegisel وقبائل الآلان Alans تحت قيادة ملوكهم جوار Goar ورسبونديال Respendial وقبائل السويفي[7] Suevi الذين استغلوا فرصة خلو حدود نهر الراين الشمالية من القوات الرومانية ودخلوا بلاد الغال. واشتبك الطرفان في معركة دامية كان النصر فيها حليفًا للفرنجة في بدايتها وقُتل عدد كبير من الوندال من بينهم ملكهم جوديجزل، ولولا وصول حلفائهم من قبائل الآلان بقيادة رسبونديال في الوقت المناسب الذين أنقذوهم من الهزيمة، فاصبحت المعركة غير متكافئة ودارت الدائرة على الفرنجة الذين إضطروا إلي ترك الميدان، ودخلت القبائل البربرية بلاد الغال وظلوا يعيثون فيها فساداً لمدة عامين[8].

كما ساعد ميروفتش[9] Merovech (448-456م) ملك الفرنجة القوات الرومانية خلال تصدي الفرنجة والرومان بقيادة القائد الروماني إيتيوس لموجة الهون[10] بقيادة آتيلا (445-453م) في موقعة شالون Chalons سنة 451م، حيث هاجم الهون مدينة ميتز Metz ، وقاموا بتدميرها وحرقها وقتلوا العديد من الاهالي، كما هاجموا مدينة أورليان Orleans، ويروي المؤرخ جوردان القوطي أن الفرنجة بقيادة ميروفتش حاربوا بشجاعة فائقة جديرة بأصلهم علي الرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت بهم، أما الفرنجة البريين فقد حاربوا تحت راية اتيلا زعيم الهون[11].

---

(7) السويفى: هم مجموعة من الشعوب الجرمانية التي دخلت في القرن الخامس نهر الراين للبحث عن وطن جديد وتمكنوا من الوصول إلى غاله ثم إلى إسبانيا واحتلوا جليقية بإسبانيا عام 409م، وأسسوا مملكة لهم في جليقية دامت قرابة مائة وخمسين عاما من 411 حتى سنة 585م عندما انتصر عليهم الملك ليوفجيلد القوطي وضم مملكتهم إلى مملكة القوط الغربيين. للمزيد انظر: محمد عبده حتاملة: أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996، ص 198-201.

(8) Gregory of Tours, Franks, P.27.

أنظر أيضًا، الحويري: سقوط الامبراطورية ، ص152؛ صالح خميس صالح : مملكة الوندال في شمال افريقيا 425-534م، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب جامعة حلوان 2018 ، ص 32-34.

(9) ميروفتش الأول: هو ابن الملك كلوديو وهناك قصة اسطورية عن ودلاته تقول بأن الملك كلوديو عندما كان يقيم مع زوجته عند شاطئ البحر، وذات يوم عند الظهيرة ذهبت زوجته للاستحمام في البحر فظهر له وحشاً علي هيئة حيوان مينتور الذى قام بمعاشرتها ، فحملت منه وانجبت ابناً سمى ميروفتش( ابن البحر)، واطلق علي الفرنجة الميروفنجيين نسبة إلي ميروفتش بن كلوديو. انظر، Fredegar: III, MGH SRM II, P.95; See also, Woodruff, The Third Book of the Chronicle of Fredegar, P.17.

(10) الهون: اختلف المؤرخون في أصل الهون، فالبعض يشير إلى انهم مجموعة من القبائل الآسيوية ذات الأصول التركية المغولية، والبعض يذكر أنهم من أصول تورانية. ولا يُعرف الكثير عن مواطنهم الأولى وإن كانت بعض الدراسات ترجح انطلاقهم من شرقي سيبيريا أو صحراء غوبي الصينية، أو أعالي النهر الأصفر هوانج هو Hsiung - Hu شمال ولاية كان –سو kan-Sou الصينية. بدءوا التوسع والانتشار في القرن الثاني ق.م حتى وصلوا بنفوذهم غرب بحيرة بلكاس، وتمكنوا من القضاء على إمبراطورية الاورز -Aor ses، وفي القرن الثاني والثالث سيطروا على شمال الصين (منغوليا)، وفي سنة 370م اجتازوا نهر الدون Don ، ثم أخضعوا القوط الشرقيين لهم عام 375م. وانتهت إمبراطوريه الهون بهزيمتهم في موقعة شالون 451م التي وقعت بين ائتلاف الرومان بقيادة الجنرال الروماني إيتيوس وإلى جانبه كلا من ثيودريك الأول ملك القوط الغربيين والفرنجة الساليين وقبائل الالان ضد الهون والتابعين لهم بقيادة ملكهم أتيلا . للمزيد انظر: الحويرى: رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص111-114؛ صلاح محمد ضبيع: الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية 337-450م ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، المكتب العربي للمعارف، ط1 ، القاهرة2014، ص453-456؛ أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتب العربي للمعارف، ط 1 القاهرة 2009، ص29؛ جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحى الشاعر ، ط2، القاهرة 1992 ، ص44،48؛مشتاق طالب حسين الخفاجي: أتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 406-453م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل ) –العراق)، ع1، لسنة 2008، ص 319-320.

(11) Gregory of Tours, Franks, P.24; Jordanes, The Gothic History of Jordanes, eng . trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915), p. 112;

انظر أيضًا، محمود الحويري: سقوط الامبراطورية، ص 153.

كل تلك إشارات على وجود علاقات وطيدة بين قبائل الفرنجة وبين الإمبراطورية منذ استيطان الفرنجة ببلاد الغال، وليس ذلك فقط، بل أن المؤرخ فريديجار يروي أن الملك شلدريك الأول Cheldric I (456-481م) والد الملك كلوفيس عندما ثار عليه الفرنجة وأجبروه علي التنازل عن العرش وطردوه من المملكة، فأنه هرب إلي مملكة ثورنجيا واحتمي بملك الثورنجيين سينوس Bisinus وزجته باسينا Basina أولًا، ثم استقر به المطاف في بلاط الإمبراطور البيزنطي مارقيان وظل هناك حتى عاد إلى حكم الفرنجة مرة أخرى عام 464م. فقد كان من عادة الإمبراطورية البيزنطية أنها تمنح حق اللجوء إلى بعض القادة والملوك لكي تستخدمهم كأداة وتتدخل في الشئون الداخلية لبعض الممالك. ومع ذلك فإن هذا يدل على طبيعة العلاقات الدبلوماسية بينهما وثقة الإمبراطور مارقيان في الملك شلدريك.

وجدير بالذكر أن الملك شلدريك عندما عاد إلى حكم مملكة الفرنجة مرة أخرى، فأنه حافظ على علاقته بالإمبراطورية الرومانية، حيث ساعد القائد الروماني بول Paul في قتال السكسون Saxon، عندما اغاروا على مدينة مدينة أورليان Orleans[12]، فتحالف الملك شلدريك مع القائد الروماني بول ضد السكسون واستولوا علي اراضيهم وقتلوا العديد منهم. كما ساعد شلدريك القائد بول أيضًا ضد القوط عندما طردوا قبائل البريتون من مدينة بورج Bourges وقتلوا العديد من أهالي بلدة ديول Deols فاتحد الملك شلدريك مع القائد بول وتصدوا للقوط وهزموهم واخذوا العديد من الغنائم والاسرى منهم . وهكذا يتضح مما سبق أن العلاقات بين الفرنجة والإمبراطورية الرومانية سواء الغربية أو الشرقية كانت جيدة إلى حد ما.

ننتقل إلى نقطة مهمة جدًا في العلاقات الدبوماسية بين الفرنجة والبيزنطيين، تدل على عمق العلاقات، وهي عندما انتصر الملك كلوفيس علي آلاريك القوطي في معركة فوييه عام 507م، فإن الإمبراطور انستاسيوس الأول Anastasius I (491-518م) قد كافأه بالقنصلية الشرفية Counsilship التي تمثل اعتراف رسمى للإمبراطور بحكم كلوفيس في الغرب، كما اعترف به انستاسيوس نائبًا عنه Pro Consul في بلاد الغال، حيث أرسل إليه بسفارة تحمل رسائل المودة وتخلع عليه الروب القنصلي والعباءة الأرجوانية، وقد فصل جريجوري التوري ذلك بقوله:

«خرج كلوفيس مرتديا الأرجوان ممتطيا جواده، وأخذ ينثر العملات الذهبية على رعاياه وعلى طول الطريق من مدخل كنيسة القديس مارتن ST. Martin حتى كاتدرائية تور، وأنه عُرف منذ ذلك اليوم فصاعدًا باسم قنصل أو أوغسطس»[13].

(12) Gregory of Tours: Franks, P . 35 ; Fredegar : III, MGH SRM II, P.98; See also, Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar, P.24;

انظر أيضًا ، فاطمة الشناوي: معركة سواسون عام 486م، بمجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 الجزء الثاني، سنة 2007، ص876.

- **أورليان**: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي على بعد 113كم من باريس، بناها الإمبراطور أورليان (270-275) وقد سميت على اسمه. انظر،

Moore: Encyclopedia of Places, p.585; Gwater, Brid William, The Colmbia Encylopedia, New york.1950, P. 1452.

(13) Gregory of Tours: Franks, P. 154; See Also, Wood, Ian, The Merovingians kingdoms, 450 – 751, London and Newyork. 1991, P. 48

أنظر أيضًا، عليه الجنزورى : جريجوري التوري ، ص 106؛ ايهاب صديق العربى: مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير

كما لم يغب ذلك الاعتراف – أيضًا – عن ذهن بروكوبيوس القيصري حيث قال: «**لم يعتبر الفرنجة أنفسهم حكامًا على بلاد الغال إلا بعد موافقة الإمبراطور على حكم ملكهم**»[14]، وكان اعتراف الإمبراطور بكلوفيس بمثابة المكافأة نتيجة الانتصارات التي أحرزها كلوفيس على القوط الغربيين 508/507. وبذلك أصبح حكم كلوفيس في نظر السكان الرومان مشروعًا، حيث كان كلوفيس نائبًا للإمبراطور في إقليم لا زال يعتبر من الناحية النظرية جزءًا من املاك الإمبراطورية الرومانية[15]. كما أصدر الملك كلوفيس عملة شبيهة بالعملة الرومانية واضعًا عليها حرف اسمه الأول بجانب اسم الإمبراطور انستاسيوس[16]. كما اعتمد كلوفيس أيضًا على البيزنطيين الذين وضعوا أسطولهم في وضع الاستعداد على الشواطئ الشرقية[17]. وقد تأخر ثيودريك عن مساعدة القوط الغربيين وذلك بسبب انشغاله بأحداث الحملة البحرية البيزنطية عام 507م على الساحل الجنوبي الشرقي لإيطاليا، التي جاء وصف أحداثها في حولية المؤرخ مارسللينوس كومس **Marcellinus Comes** إذ قال: «زحف قائد روماني برتبة كونت **Count** وآخر يحمل نفس رتبته في أسطول مكون من مائة سفينة حربية مسلحة، تحمل ثمانية آلاف رجل مسلح، لتدمير ونهب المدينة القديمة تارنتيوم[18] **Tarentum**، وعادوا بالنصر المشين على يد القراصنة[19]». ولذلك من المحتمل جدًا أن يكون الدعم البحري البيزنطي قد منع القوط الشرقيين من دخول معركة كلوفيس ضد القوط الغربيين.

## المحور الثاني: السفارات والرسائل بين ثيودبرت الأول ملك ميتز (534-548م) والإمبراطور جستنيان:

ظلت العلاقات بين الفرنجة والبيزنطيين جيدة في عهد أبناء الملك كلوفيس واحفاده أيضًا، خاصة بعد استيلاء الميروفنجيين على مملكة البرجنديين عام 534م، وبذلك زالت المملكة الحاجزة بينهما، وأصبح الفرنجة أكثر مشاركة في الشئون الشرقية. فقد حاول الإمبرطور جستنيان (527–565م) استقطاب الملوك الميروفنجيين للمشاركة بجيوشهم في حربه مع القوط الشرقيين في إيطاليا، فأرسل في عام 535م خطابًا ومبلغًا كبيرًا من المال إلى الملك ثيودبرت الأول (534–548م) ملك ميتز وإلى أعمامه أيضًا من الملوك الميروفنجيين، كما قام بالتعهد بمنحهم المزيد إذا عاهدوه على التحالف معه ضد القوط الشرقيين[20]، وذلك قبل وقت قصير

---

منشورة بكلية البنات للأداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011، ص 234.

(14) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، جزءان، الأول والثاني، القاهرة 1986 ، جـ 2 ، ص 208 – 209.

(15) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م ، دار النهضة العربية، بيروت1965، ص62.

(16) عبد القادر احمد اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1967 ، ص79.

(17) Schmidt , (L .): "The Visigoths in Gaul" , 412 – 507 , Cambridge Medieval History, (Cambridge . 1911), p.286;

أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة المنصورة 2009م، ص198.

(18) تارنتيوم: تقع مدينة تارنتيوم في الجزء الشرقي من جنوب إيطاليا على خليج تارانتو في البحر الأيوني ضمن إقليم بوليا، وهي عاصمة مقاطعة تارانتو، ثالث أكبر مدينة في منطقة جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، أسسها الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد كمستعمرة، أطلق عليها المستعمرون القادمون من إسبرطة مدينة Taras نسبة إلى بطل خرافي، بينما الرومان دعوها Tarentum. انظر: سيد أحمد عبد الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976، ص 122 – 124.

(19) Marcellinus Comes: The Chronicle: Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995), p.35; See Also, Villari, The barbarian Invasions, P.170; Bradley, Henry, The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain London. 1888, P. 180; Hodgkin: TH., Italy and her Invaders, Oxford. 1891, Vol. 3.P. 399; Moorhead, (J .), Theoderic in Italy , (Oxford . 1992 ), P. 182.

(20) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية ، جـ 1، ص 57-58.

من إرسال القوات البيزنطية بقيادة القائد بيليزريوس إلى صقلية، وبعث إليهم برساله جاء فيها: «استولى القوط علي إيطاليا بالقوة والتي كانت لنا، ولم يرفضوا ردها فحسب، وانما ارتكبوا أعمالا تتسم بالجور ضدنا.... لذلك اضطررنا إلى النزول في ميدان القتال ضدهم، ومن الطبيعي أن تنضموا إلينا في هذه الحرب... ليس فقط إيمانًا بالمذهب القويم والذي يرفض قبول الآريوسيين، وإنما أيضًا للعداء الذي يشعر به كلانا نحو القوط»[21]. وقد علق المؤرخ بروكوبيوس القيصري على نص تلك الرساله بقوله: «وهكذا كان نص رسالة الإمبراطور، وقد أجزل لهم العطاء، ووافق على منحهم المزيد بمجرد دخولهم الحرب، وقد وعد الفرنجة بالتحالف مع البيزنطيين والقتال معهم»[22].

وهكذا، يتضح من نص الخطاب السابق أن الإمبراطور جستنيان كان يحاول استقطاب الملوك الميروفنجيين لصالحه في الحرب المرتقبة ضد القوط الشرقيين في إيطاليا، كما يؤكد هذا الحدث على أهمية دعم الفرنجة في هذه المرحلة المبكرة. ولكن جستنيان لم يكن يعلم أن هؤلاء الملوك يعملون من أجل مصالحهم الخاصة فقط، وأنهم كانوا يحاولون استغلال الأوضاع التي امست فيها مملكة القوط الشرقيين أيضًا للحصول على بعض الأراضي أو الأتباع أو الثروة؛ ولذلك سوف يحاول هؤلاء الملوك استغلال الوضع على أمثل وجه.

واستنادًا لما سبق، نجد أن ثيودبرت الأول ملك ميتز، يحاول استغلال تلك الفرصة بالفعل؛ واستجاب لنداء الإمبراطور جستنيان في البداية، ولذلك وعده بإرسال قوة ميروفنجية مكونة من ثلاثة آلاف جندي إلى إيطاليا لمساعدة البيزنطيين في حربهم ضد القوط الشرقيين[23]. ولكن الملك ثيودبرت لم يرسل تلك القوات مطلقًا، وأرسل خطابا لجستنيان يقدم فيه أعذارًا عن إخفاقه في إرسال تلك القوات، حيث وصل المندوب الإمبراطوري إلى بلاط ثيودبرت طالبًا للمساعدة متاخرًا للغاية بعد فوات الأوان، حيث يتضح ذلك من الخطاب الذي أرسلة الملك ثيودبرت للإمبراطور جستنيان[24]، الذي جاء فيه: «عند وصول خادمك أندرياس Andreas إلى هنا، تعهدنا بهذه الرسالة إلى جلالتك، لأننا اعتبرنا أنه لشرف لنا أن نظهر دعمنا من خلال إرسال ثلاثة آلاف جندي لمساعدة النبيل بريجانتينوس Bregantinus ، ولكن بطريقة ما تأخر مندوبك ووصل إلى هنا ببطء شديد مع مراسلات فخامتك، في وقت متأخر عما كنا نأمله .....، ومع ذلك ، وصل أندرياس وحققنا نجاحًا عامًا من خلال التفاهم المتبادل، وبالتالي فإننا نقف للحفاظ على تقديرنا في سلطتك ، بإذن الله، لذلك مع وصول سفارتك تم تأكيد كل شيء للمنفعة المشتركة في رأينا ، وبتوفيق الله ، احترامنا لكم واضح»[25].

وهكذا يتضح من هذه الخطابات طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين الفرنجة والبيزنطيين وتحالفهم معًا ضد القوط الشرقيين، ويتضح أيضًا من هذا الخطاب دهاء الملك ثيودبرت عندما

(21) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية ، جـ 1، ص 57.
(22) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص 57-58.
(23) Austrasain Letters: In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, by Brian Hancock, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990, Letter 19, P.81; See also, Bury, John Bagnell , History of the later Roman Empire, from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1, University of Toronto, New York. 1923, P.203.
أنظر أيضًا، بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص 58.
(24) Austrasain Letters: Letter 19, P.81; See also, Bury , History of Roman Empire, P.203.
(25) Austrasain Letters: Letter 19, P.81.

قدم اعتذارًا لجستنيان بسبب عجزه عن إرسال قوة لمساعدة البيزنطيين كما وعد جستنيان من قبل، كما يبدو من ظاهر هذا الخطاب، ولكن في حقيقة الأمر، أن الملك ثيودبرت غير رأيه بعدما وصلته الوعود والسفارات من قبل القوط الشرقيين يغدقون عليه الذهب ويمنحونه بعض الأراضي[26]. ولكن في نفس الوقت تحجج لجستنيان أن سفيره وصل متأخرًا مما كان يأمل، وفي نفس الوقت يظهر حفاظه على سلطة جستنيان، وتأكيده على تحالفه معه من أجل الصالح العام.

ولكن في حقيقة الأمر كما يلاحظ الباحث من لهجة خطاب الملك ثيودبرت، أن الملك ثيودبرت ما لبث أن غير رأيه بعد وصلته الوعود والسفارات من قبل القوط الشرقيين يغدقون عليه الذهب ويمنحونه بعض الأراضي[27]. فعلى الرغم من الوعود الميروفنجية للإمبراطور جستنيان بمساعدته في حربه ضد القوط الشرقيين، إلا أن طبيعة الملوك الميروفنجيين وجشعهم ومحاولتهم كسب المزيد من الأراضي جعلتهم يتخلون عن مساعدة الإمبراطور جستنيان وعن تقديم الدعم له. وعن الأسباب التي جعلتهم يرفضون مساعدة جستنيان، نجد أن القوط الشرقيين بمجرد أن وصلتهم الأخبار بالتحالف الذي تم بين الإمبراطور جستنيان والملوك الميروفنجيين، وكانوا يعلمون جيدًا مخاطر ذلك التحالف عليهم، وعدم مقدرتهم على التصدي لجيوش الإمبراطور جستنيان، ولجيوش الميروفنجيين من الشمال في نفس الوقت، وعدم قدرتهم على القتال في جبهتين في نفس الوقت، خاصة بعد اضطراب الأوضاع الداخلية في مملكة القوط الشرقيين. ولذلك كان لابد من افشال ذلك التحالف حتى لو بالتنازل عن بعض الأراضي لصالح الميروفنجيين. وبطبيعة الحال لم يكن أمامهم غير التحالف مع الميروفنجيين، لأن الإمبراطور جستنيان كان يطالب بشبة الجزيرة الإيطالية كاملة، أما الميروفنجيين فبعض الأراضي فسوف تجعلهم يتنازلون عن التحالف مع الإمبراطور جستنيان أو الوقوف بجانبهم.

وبناءاً على ما سبق، عندما علم الملك القوطي ثيوداهات بالتحالف بين البيزنطيين والميروفنجيين أدرك خطورة الموقف وبدأ في السعي لإفشال هذا التحالف والحيلولة دون قيامه، لكنه لم يجد وسيلة أفضل لتحقيق غايته من إغداق المزيد من الذهب على الملوك الميروفنجيين كما فعل من قبل، فأرسل سفراءه خلال عام 536م يعرض عليهم عشرين سنتناريا Centenaria من الدهب، كما عرض عليهم تخليه عن المقاطعات الخاضعة لسيادة القوط الشرقيين في جنوب بلاد الغال[28]. وقد كانت فكرة الاستيلاء على المقاطعات القوطية في جنوب الغال حلمًا طالما راود الملوك الميروفنجيين منذ عهد الملك كلوفيس، وقد نجح الملك القوطي في تحقيق هدفه، فقد وافق الملوك الميروفنجيون وفي مقدمتهم الملك ثيودبرت الأول على مناصرته، متناسيًا تماما تعهده بالانخراط في صفوف جيش الإمبراطور البيزنطي جستنيان، ولكن ذلك الاتفاق لم يكتمل، حيث ما لبت أن تم عزل الملك ثيوداهات في نوفمبر 536م نظرا لعدم كفائته العسكرية[29].

(26) Austrasain Letters: Letter 19, P. 81; Bury, History of the later Roman Empire, P.203.

(27) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص96.

(28) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص96؛ أنظر أيضًا، سونيا عبد الوهاب غازي: علاقة مملكة أوسترازيا بالقوى السياسية المجاورة، مجلة المؤرخ المصري، عدد49 الجزء الأول يوليو 2016، ص 248؛
Agathias: The Histories, eng. trans, Frendo, J., Newyork. 1975, P.11.

من المقاطعات التي كانت تخضع للقوط الشرقيين في جنوب بلاد الغال مقاطعة بروفانس ومقاطعة دوفين.

(29) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص96.
حيث نجح القائد بليزاريوس في تحقيق مزيد من الانتصارات في إيطاليا، لذلك انتاب القوط الشرقيون غضبًا شديدًا من ضعف ملكهم

**والتساؤل الذي يطرح نفسه، لماذا تغير موقف الملك ثيودبرت الأول وبقية الملوك الميروفنجيين عن مساعدة الإمبراطور البيزنطي جستنيان؟**

**ينبغي لنا أن نضع في الاعتبار دائما أن السياسة تقوم على مبدأ المصلحة، ومن المؤكد أن الملوك الميروفنجيين خاصة الملك ثيودبرت، رغم وعدهم بتقديم الدعم للإمبراطور البيزنطي، لكنهم سرعان ما تخوفوا من ازدياد قوته فتدور الدائرة عليهم ليكونوا من بين ضحاياه، خاصة وأنه قد سعى سعياً حثيثًا لاستعادة أملاك الإمبراطورية الرومانية من أيدي الجرمان، فيما عرف تاريخيًا بحروب جستنيان الاستردادية، ونجح بثمن باهظ في استرداد الكثير من المناطق فاسترد الشمال الإفريقي من أيدي الوندال، وضمه إلى الإمبراطورية البيزنطية، كذلك اجتاح صقلية في جنوب إيطاليا، ثم جاء الدور على مملكة القوط الشرقيين، وبعد ذلك على الممالك الميروفنجية، كما أنه رغبة الملوك الميروفنجيين في استكمال غزو بلاد الغال لا تزال حاضرة في ذهنهم كما ذكرنا. وبناءًا على ذلك، وافق وافق الملوك الميروفنجيون وفي مقدمتهم الملك ثيودبرت الأول على مناصرة القوط الشرقيين وعدم تقديم الدعم للإمبراطور جستنيان، لأن ذلك ليس من مصلحتهم في شيء.**

**وعلى الرغم من أن القوط الشرقيين عزلوا الملك ثيوداهات وعينوا بدلًا منه الملك ويتجيز[30] Witigis** (536-540م) **ملكًا عليهم المشهود له بالحنكة والخبرة في أمور الحرب والقتال[31]، إلا أنهم كانوا يعلمون جيدًا أيضًا حجم المخاطر التي تعود عليهم من تحالف الميروفنجيين مع جستنيان؛ ولذلك استئنافو السياسة السلمية مع الميروفنجيين، والاحتفاظ بالاتفاق الذي أبرمه ثيوداهات معهم حتى يحظوا بمناصرتهم في حربهم المصيرية؛ بحيث يتمكنوا من تعزيز جيشهم في إيطاليا بقوات ميروفنجية، أو على الأقل يضمنوا تأمين حدودهم الشمالية من هجماتهم. وبناء عليه قام الملك ويتجيز بإرسال سفراءه إلى الملوك الميروفنجيين ثيودبرت، شيلديبرت ولوثر؛ ليعلن لهم عن تخليه عن المقاطعات الخاضعة لسيادة القوط الشرقيين في جنوب بلاد الغال، والمتمثلة في مقاطعة بروفانس وجميع المدن التي تقع شمال نهر الديورانس (جزء من مقاطعة دوفين)، والتي شكلت جزءًا هامًا من المملكة القوطية، كذلك تعهد بدفع المبلغ المتفق عليه مسبقًا بين الطرفين والذي يقدر بعشرين سنتناريا من الدهب مقابل حيادهم في الصراع الذي نشب بينه وبين جستنيان[32]، بالإضافة إلى تنازل ويتجيز عن حماية قبائل الألماني في رائتيا Raetia إلى الميروفنجيين بعد أن قاموا بتخريب إقليم ليجوريا Liguria، وبالفعل وافق الملوك الميروفنجيين على ذلك، وأن يكون ذلك الاتفاق سريًا لانهم بالفعل وعدوا الإمبراطور البيزنطي بالتعاون معه[33].**

---

ثيوداهات ووقوفه مكتوف الأيدي أمام اجتياح القوات البيزنطية لأراضيهم، لذا دبروا مؤامرة انتهت بخلعه وتعيين الملك ويتجيز. انظر، بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص84؛ أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 249.

(30) ويتجيز: تولى حكم القوط الشرقيين بعد عزل الملك ثيوداهات عام 536م، نظر لما تمتع به من كفاءة وخبرة عسكرية تؤهله لتولي مقاليد الحكم، وقد اكتسب ويتجيز شهرة عسكرية كبيرة أثناء حرب ثيودريك ضد قبائل الجيبداى، التي انتهت باستيلاء القوط على مدينة سيرميوم عام 504م. انظر: بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 83-84.

(31) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص84؛ أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 249.

(32) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص96-97؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص286؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 249؛

Agathias: The Histories , P.11; See also, Brian, Hancock , Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990, P. 7.

(33) بروكوبيوس القيصرى: الحروب ، جـ 1 ، 97-98؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص286؛

Hancock : Austrasian politics, P. 7.

ونتيجة لما سبق، تعهد الملوك الميروفنجيون وفي مقدمتهم الملك ثيودبرت الأول بمساعدة القوط الشرقيين ومدهم بقوات من البرجنديين الخاضعين لهم لمشاركتهم الحرب ضد القوات البيزنطية، وعليه تم تنفيذ شروط الاتفاق ووزعت الأموال والمقاطعات المتنازل عنها من قبل القوط بين الملوك الميروفنجيين، حيث حصل ثيودبرت على الجزء الغربي من بروفانس بما فيه مدينة مارسيليا **Marselle**، وحصل شيلديبرت الأول على الجزء الشرقي، أما لوثر الأول فقد حصل على الجزء الشمالي[34].

وهكذا يتضح دهاء الملوك الميروفنجيين، ففي البداية وعدوا الإمبراطور جستنيان بمد يد العون له، وحصلوا على بعض الذهب. ولكن عندما وجدوا أن مساعدتهم للقوط الشرقيين سوف تعود عليهم بالنفع الكبير، تنكروا لتحالفهم ووعودهم للإمبراطور جستنيان وفضلوا مساعدة القوط الشرقيين، حيث كان الإغراء كبيرًا، فقد حصلوا على بعض الذهب وبعض الأراضي أيضًا التي منحتهم السيطرة على بلاد الغال مثلما يرغبون، وبذلك نجح الفرنجة في ضم مقاطعة بروفانس إلى مملكة الميروفنجيين وبعض الأراضي شمال نهر الديورانس وذلك عام 536م. وبحلول عام 537م، سقطت كل بلاد الغال تقريبًا في أيدي الميروفنجيين.

وبالفعل أرسل الملك ثيودبرت الأول في عام 538م قوات لمساعدة إلى الملك ويتجيز والقوط الشرقيين، حيث أرسل عشرة آلاف مقاتل من البرجنديين الخاضعين لمملكة أوستراسيا. وقد اشتركت هذه القوة مع القوات القوطية في محاصرة مدينة ميلان[35] **Milan**، حتى اضطرت حاميتها للاستسلام بعد ستة أشهر[36]. عقب ذلك قدم القوط الشرقيون بعض نساء المدينة كعبيد للجنود البرجنديين مقابل المساعدة المقدمة منهم في حصار المدينة التي تم نهبها وتدميرها على الفور على يد القوات المتحالفة[37].

وهكذا، يتضح دهاء الملك ثيودبرت، حيث لم يرسل قوات أوستراسية، ولكن قوات من البرجنديين الخاضعين له، وعندما اتهمه الإمبراطور جستنيان بتعاونه مع القوط الشرقيين، ادعى أن تلك القوات تصرفت بشكل مستقل وليس بأمر منه عندما وصله سفير جستنيان[38].

---

وكانت النتيجة أن قام الملك ثيودبرت بدخول أراضي الألماني واخضعهم تحت سيطرته 537/536م، وجعل القائد بوكلين Buccelin دوقًا عليهم . انظر،

Agathias: The Histories , P.12;See also, Malcolm Todd :The Early Germans , Second Edition 2004, P195.

(34) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية ، جـ 1، ص 97-98، جـ 2، ص 209؛ أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 250.

125 2009 .

(35) ميلان: أو ميلانو هي ثاني أكبر مدن إيطاليا من حيث عدد السكان بعد روما وعاصمة إقليم لومبارديا. تأسست ميلانو على يد إحدى شعوب السلت، ثم تعرضت للغزو من قِبل الرومان لتصبح بذلك عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية. ازدهرت المدينة في العصور الوسطى وأصبحت مركزاً تجارياً وماليا. تعرضت ميلانو للعديد من الغزوات على مر القرون، حيث سيطرت عليها فرنسا، وإسبانيا هابسبورغ، والنمسا، حتى حلول عام 1859 عندما ضُمّت المدينة أخيراً إلى مملكة إيطاليا حديثة العهد. أنظر، Moore: Encyclopedia of Places, PP. 514-515.

(36) بروكوبيوس: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص202؛ أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 250؛

Bury: History of the later Roman Empire, Vol 2, P.203.

(37) Villari , (P .):The barbarian Invasions of Italy,Vol II , London, 1902 ,P.220; Bury : History of the later Roman Empire ,Vol 2 , P.204;

أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 250.

(38) Hancock : Austrasian politics, P. 8.

يبدو أن تلك القوات التي أرسلها الملك ثيودبرت لمساعدة القوط الشرقيين كانت مخصصة إما لإغاثة النبيل بريجانتينوس ، أو ربما لصالح القائد بلزاريوس نفسه.

وجدير بالذكر، أنه بعد فترة وجيزة بدأ الملك ثيودبرت الأول في تغير سياسته فيما يتعلق بالأوضاع في شبة الجزيرة الإيطالية، حيث وجد أنه من الأفضل اغتنام فرصة الحرب الدائرة في إيطاليا بين القوط الشرقيين والبيزنطيين، وسعي لغزو شبة الجزيرة الإيطالية لصالحه وجمع الغنائم والثروات الطائلة لنفسه وحده دون بقية الملوك الميروفنجيين؛ ولذلك جهز جيشا بلغ تعداده (يقال) مائة ألف مقاتل. وفي بداية عام 539م عبر الملك ثيودبرت الأول جبال الألب الفاصلة بين غالة وإيطاليا[39]. وبناءًا على الاتفاقات المبرمة بين الملك ثيودبرت من ناحية وكل من طرفي الصراع في إيطاليا من ناحية أخرى، كان لدى كل من القوط الشرقيين والبيزنطيين ثقة تامة بأن الملك ثيودبرت ما جاء إلا لمساعدتهم، أما الملك ثيودبرت فحينما انطلق من مملكته كان قد وضع في اعتباره أن يكون محايدًا تماما، وأن يغتنم هذه الفرصة لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة الشخصية؛ لذا وعد كلا الطرفين بتقديم المساعدة له ضد الطرف الأخر، لكنه كان قد عقد العزم على الاستيلاء على بعض الأراضي الإيطالية لصالحه أثناء انشغال الطرفين بالقتال فيما بينهم[40].

ومن هذا المنطلق، بمجرد وصول القوات الميروفنجية إلى الأراضي الإيطالية تم اقتحام مدينة تيسنيم **Ticinum** (بافيا[41] **Pavia** حاليا) في شمال إيطاليا، وذبحت كل من قابلهم من الرجال والنساء والأطفال وقاموا بإلقاء جثثهم في نهر البو **Po**، الأمر الذي نتج عنه تراجع مقاتلي القوط الشرقيين إلى مدينة رافنا[42] **Ravenna**، بعد تصدى القوات الميروفنجية لهم. كما تمكنت القوات الميروفنجية من مهاجمة القوات البيزنطية التي كانت تعسكر على مسافة قريبة منهم وهزيمتها أيضًا، مما جعلها تتراجع هي الأخرى للانضمام إلى القائد بليزاريوس **Belisarius**[43] الذي كان يواصل حصاره للمدن الإيطالية. ثم نهب ثيودبرت معسكرات الجيشين، كما نهب مدينة جنوة **Genoa** ، وأخيرًا نهب ليجوريا وإميلي **Emilia**[44].

(39) Gregory of Tours : Franks, , P.189; See also, Bury :History of the later Roman Empire, Vol 2 , P.207; بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 2 ، ص58-59؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص306؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 250-251.

(40) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 2 ، ص59؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص306؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص 250-251؛

Bury :History of the later Roman Empire, Vol 2 , PP.207-208;

(41) بافيا: مدينة من أهم المدن الإيطالية، وكان يطلق عليها قديمًا تيسنيم Ticinum، عاصمة لمقاطعة تحمل نفس الاسم، وتقع على نهر التسينو Ticino، على مسافة 32ميلًا جنوب مدينة ميلان. انظر،

Moore, Encyclopedia of Places, p.567.

(42) رافنا: مدينة إيطالية بإقليم إميليا رومانيا Imilia Romania وعاصمة مقاطعة رافنا في الوقت نفسه، شهدت ازدهارا كبيرا في عهد الرومان، حيث شيد بها الإمبراطور تراجان قناة بطول سبعين كم، تتميز بكثرة آثارها البيزنطية التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وفي عام 402م نقل الإمبراطور هونوريوس Honorius (395- 423م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية من ميلانو إليها لأغراض دفاعية. كما كانت عاصمة للقوط الشرقيين أيام ثيوديك العظيم ثم استعادها البيزنطيين عام 540م. انظر، Moore: Encyclopedia of Places, p.647.

(43) بليزاريوس: يُعد بليزاريوس من أشهر القادة العسكريين في التاريخ البيزنطي، وُلد سنة 505م، وكان صديقًا للإمبراطور جستنيان وكانت زوجته انتونينا Antonina صديقة للإمبراطوره ثيودورا Theodora ، وبدأ نجم بليزاريوس يلمع منذ موقعة دارا ضد الفرس سنة 530م، ثم عُين قائداً للشرق، وفي عام 532م تمكن بالتعاون مع القائد نارسيس من القضاء على ثورة نيقيا، وأرسله جستنيان سنة 533م إلى شمال افريقيا حيث قضى على مملكة الوندال، ثم بعث به إلى إيطاليا ليخلصها من القوط الشرقيون. أنظر،

Ostrogorsky: History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968), pp. 70-3; A.A. Vasiliev: History of the Byzantine Empire, Wisconsin 1999, pp.91-2.

(44) Marius of Avenches, Marii Episcopi Aventicensis Chronica, in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1893, P. 236; Gregory of Tours : Franks, P. 189; Marcellinus Comes: The Chronicle, P48; see also, Bury : History of the later Roman, Vol 2, PP.207-208; Hancock : Austrasian politics, PP. 9-10;

وتجدر الإشارة إلى، أنه على الرغم من الانتصارات التي حققها الملك ثيودبرت، إلا أن قواته أصبحت بسرعة كبيرة بلا طعام، كما عانت الكثير من الأمراض والأوبئة، ومات الكثير منهم بعد أيام قليلة[45]. في تلك الأثناء عندما سمع بليزاريوس بدخول القوات الميروفنجية إيطاليا، أرسل إلى الملك ثيودبرت الأول يحذره من غضب الإمبراطور البيزنطي، الذي لن يتغاضى بالتأكيد عن الاهانة، وألا يتطلع إلى ممتلكات الآخرين، ويطالبه بالانسحاب من إيطاليا فورًا، وألا يتدخل في أمور لا تعنيه تمس مصالحه الحيوية. وقد وصلت رسالة بليزاريوس إلى الملك ثيودبرت في وقت، كان جيشه يعاني من فقدان الآلاف من المقاتلين، حيث فقد اكثر من ثلث الجيش، وعانى من انتشار الدوسنتاريا[46] بينهم. فعلى الرغم من حصول القوات الميروفنجية على كميات كبيرة من المؤن التي تركها البيزنطيون والقوط الشرقيون، لكن سرعان ما نفذت تلك المؤن؛ نتيجة كثرة أعدادهم، وبعد فترة وجيزة تعرضت القوات الميروفنجية لمعاناة شديدة من جراء نقص المؤن وانتشار الأمراض. ولذلك عندما وصلت رسالة بليزاريوس إلى الملك ثيودبرت، انتابته الحيرة والارتباك بسبب وضعه القائم وتعنيف قواته له، حيث إنهم كانوا يموتون في أرض مهجورة دون أي داع لذلك قام الملك ثيودبرت بحل المعسكر مع من تخلف من قواته وارتد عائدا إلى مملكته باقصى سرعة ومعه الكثير من الغنائم[47].

وقد انتقد بروكوبيوس غزو شمال إيطاليا من قبل ملك الفرنجة الشرقي ثيودبرت، ابتداء من عام 539 حيث ذكر بروكوبيوس: «**أن الفرنجة قد خرقوا إيمانهم ولم يفوا بالتزاماتهم العسكرية تجاه بيزنطة، وأنهم كانوا يحاولون الحصول على أراضي في إيطاليا من أجل السيطرة عليها وايجاد اتفاق مع القوط**».

كما لاحظ المؤرخ أجاثياس، أن الملك ثيودبرت شعر بالإهانة من استخدام جستنيان في لقبه الرسمي إمبراطور الألماني، والفرنجة، والجيبداي، واللمبار، حيث قدم جستنيان نفسه على أنه أخضع هذه الشعوب وغزا أراضيها. ولمواجهة هذه الادعاءات وتوسيع نفوذ الفرنجة حتى تراقيا **Thrace**، أرسل ثيودبرت مبعوثين إلى الجيبداي **Gepids** واللمبارد **Lombards** في بانونيا لكسب دعمهم العسكري ضد بيزنطة، بل أنه خلال عام 541م أرسل الملك ثيودبرت حملة جديدة بقيادة الدوق لانثاكير **Lanthacaire** قامت باحتلال شمال إيطاليا وغزو الجزء الأكبر من مدينة البندقية[48] **Venice**، وبذلك نجح الملك ثيودبرت في إضافة تلك المناطق

---

بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 2 ، ص59-60 ؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص306؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص251.

(45) Marius of Avenches :MGH AA XI: P.236; Marcellinus Comes :The Chronicle, P48.

(46) الدوسنتاريا: أو الزحار الاميبي هو أحد انواع الأميبا الطفيلية التي تصيب امعاء الانسان ، وتتغذى علي الغشاء المخاطي للامعاء بإفراز انزيم يذيبه، كما تتغذى على السكرات الدموية التي تنزف منه مسببه مرض الدوسنطاريا، وقد تسير في الدم إلى الكبد وتكون خراجات فيه. وتحدث عن طريق الطعام الملوث، ومن اعراضها الاسهال المزمن المصحوب بنزول دم في البراز ، كما تسبب التهابًا في البريتون وتسبب الوفاة. انظر ، https://en.wikipedia.org/wiki/Entamoeba_histolytica

(47) Gregory of Tours : Franks, P. 189; Marius of Avenches :MGH AA XI: P. 236; See also, Bury : History of the later Roman Empire, Vol 2 , P. 208; Hancock : Austrasian politics, P.10;

بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية ، جـ 2 ، ص61-62؛ أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص307؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص251.

(48) البندقية: هي مدينة بشمال إيطاليا وعاصمة إقليم فينيتو Veneto وعاصمة مقاطعة البندقية، وتُعد مدينة البندقية أكبر مدينة بالإقليم من حيث عدد السكان والمساحة. ظلت المدينة لأكثر من ألف عام عاصمة "جمهورية فينيسيا" وكانت تعرف باسم ملكة البحر الأدرياتيكي. نظراً لتراثها الحضاري والفني، ومنطقة البحيرات التي بها، تعد المدينة من أجمل مدن العالم التي ترعاها منظمة اليونسكو الأمر الذي جعلها ثاني مدينة إيطالية بعد روما من حيث ارتفاع نسبة التدفق السياحي من أنحاء مختلفة من الخارج. انظر ، Moore: Encyclopedia of Places, P. 832.

إلى مملكته[49].

وجدير بالذكر، أنه في نفس العام الذي شرع فيه الملك ثيودبرت الأول في احتلال شمال إيطاليا، أدرك بحنكته السياسية ضرورة تهدئة الأوضاع مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان، خاصةً بعد أن نكث ثيودبرت بعهده معه وقاتل مع القوط الشرقيين ضده، كما استولى على بعض أراضي إيطاليا؛ ولذلك أوفد مبعوثًا يدعي سيكوندينوس **Secondinus** إلى البلاط البيزنطي ومعه خطابًا جستنيان محاولًا إعادة توثيق العلاقات بين الطرفين[50]. كما يرجو منه الموافقة على التنازل الذي يقضي بإعطاء الميروفنجيين مقاطعة بروفانس وشمال إيطاليا وبانونيا. وعلى الرغم من أن الإمبراطور البيزنطي كظم غيظه فيما يتعلق بتحالف الملك ثيودبرت مع القوط الشرقيين، إلا أنه رفض الاعتراف بأحقيته في الأراضي المتنازل عنها من قبل القوط؛ لكونها أراضي خاضعة في الأساس للسيادة البيزنطية[51].

لا شك أنه عقب تلك الأحداث الجارفة وجد الملك ثيودبرت الأول، أنه من الأفضل له ولبلاده أن يستعيد علاقته ببيزنطة مثلما كانت قبل اندلاع الحرب في إيطاليا، خاصة أن البيزنطيين تمكنوا من تحقيق انتصارات متلاحقة على حساب مملكة القوط الشرقيين، وكان بإمكانهم المطالبة باستعادة الأراضي التي تنازل عنها القوط الشرقيون له ولغيره من الملوك الميروفنجيين في عهد الملك القوطي ويتجيز، وربما يتطور الأمر إلى الإعلان حربا على مملكة الفرنجة نفسها، لذلك فضل الملك ثيودبرت عدم التدخل في الشئون الإيطالية مرة أخرى، وبالفعل لم يتدخل حتى وفاته عام 548م.

كما يبدو أن ثيودبرت قد ابتهج بنمو قوته على المسرح الأوروبي. وتُظهر رسائله أنه طالب بمجموعة واسعة من الأراضي حول مملكة أوستراسيا، بما في ذلك الأراضي البيزنطية. فمنذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب، أظهر ملوك الفرنجة دائمًا قدرًا معينًا من الاحترام للإمبراطور البيزنطي، لكن ثيودبرت رفض وضعه كزعيم أدنى: على سبيل المثال، كسر العرف الإمبراطوري بسك عملات ذهبية تحتوي على صورته الخاصة، وهو بذلك أول ملك جرماني يصك عملات ذهبية باسمه. حيث حتى ذلك الحين، كان ملوك الفرنجة السابقون يحترمون التقاليد الإمبراطورية وقاموا بسك عملات ذهبية تحمل صورة الإمبراطور البيزنطي. ليس من المستغرب، ربما، أن المؤرخ البيزنطي أجاثياس سجل شائعة في القسطنطينية بأن البيزنطيين اشتبهوا في ثيودبرت بالتخطيط لغزو تراقيا.

(49) Marius of Avenches :MGH AA XI: P. 236; Gregory of Tours : Franks, P. 189; See also, Hodgkin: Italy and her Invaders , Vol .V, P.11; Georges Bordonove : Clovis et les Mérovingiens, P.127;
أنظر أيضًا، بروكوبيوس: الحروب القوطية ، جـ 1 ، ص 209؛ أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوستارازيا ، ص252.
ولكن استطاع البيزنطيين استعادة تلك المدن فيما بعد عام 556م بعد وفاة الملك ثيودوبلد. انظر
Marius of Avenches: MGH AA XI: P.237.

(50) جاء في ذلك الخطاب: "" إلى سيدنا المُبجل، ...، الإمبراطور جستنيان ، من الملك ثيودبرت. أسفر وصول ثيودور Theodore المرتقب مع وصول سولمون Solomon الذي جلب رسائلكم، التي قبلناها باحترام كامل وولاء للروح التي تبتهج برحمة سيادتك. أن مهمتكم تساعدنا في مد صداقة الله المحبة للعديد من الأجناس، وفي بعض الأقاليم، ولكن الآن بمساعدة الله أصبح أعداؤنا خاضعين لسلطتنا،..... ،وبفضل الله، أصبح الغال الآن آمنًا.....، والآن يمتد حكمنا من نهر الدانوب وحدود بانونيا إلى شواطئ المحيط... لهذا السبب ، ....، فإننا نأمر باقتراح واضح أن شهرتك ستستمر وأن صداقة الأباطرة السابقين تظهر غالبًا في تأكيدك على اللطف ، لذلك دعنا نتحد معًا من أجل الصالح العام" انظر ،
Austrasain Letters: Letter 20, PP.81-82.

(51) Austrasain Letters: Letter 20, PP. 81-82; Hancock: Austrasian Politics, PP.8-9;
أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوستارازيا ، ص252.

## المحور الثالث: السفارات والرسائل بين ثيودوبلد الأول ملك ميتز (548-555م) والإمبراطور جستنيان:

في عهد الملك ثيودوبلد الأول **Theudebald I** (حوالى 548-555م) بن ثيودبرت الأول، نجد أن الإمبراطور جستنيان يتبع نفس السياسة الدبلوماسية تجاه الفرنجة ويحاول توطيد علاقته بالملك ثيودوبلد الأول، فأرسل إليه سفارة برئاسة شخصين جون **John** وميسوريوس **Missurius** اللذان يحملان خطابًا من الإمبراطور يدين فيه المغامرة الإيطالية لثيودبرت، فأجاب ثيودوبلد أن أي أدانه لمثل ذلك القائد والفاتح – والده – لعدد كبير من البلاد التى لا تعد ولا تحصى، لا يمكن تشويهه فى رسالتكم بعد وقت قصير من وفاته المفاجئة، كما أرسل معهم خطابًا للإمبراطور جستنيان يدعم حجته ويأكد على تحالفه مع الإمبراطور الذي يجب أن يدوم ويدعمه الايمان المشترك بينهما[52].

ولكن لم يكتفي الإمبراطور جستنيان بذلك فأرسل لاحقًا في بداية عام 551م سفارة أخرى للملك ثيودوبلد برئاسة شخص يدعى ليونتيوس **Leontius** لمطالبته بسحب قواته من شمال إيطاليا. كما قام السفير البيزنطي بتذكير الملك ثيودوبلد بالتحالف المبرم بين مملكته وبين بيزنطة، وأن الإمبراطور لم يقدم على حروبه ضد القوط الشرقيين في إيطاليا إلا بعد حصوله على وعد من الملوك الميروفنجيين بالتعاون معًا للقضاء على القوط الشرقيين، هذا الوعد الذي دفع من أجله مبلغًا كبيرًا من المال، وقد اختتم السفير البيزنطي حديثه بمطالبة الملك ثيودوبلد بتجديد التحالف مع بيزنطة[53]. وقد رد الملك ثيودوبلد على حديث السفير البيزنطي بأن والده لم يغتصب ممتلكات البيزنطيين، كما كلف الملك ثيودوبلد أحد أتباعه ويدعى ليودارد **Leudard** ومعه ثلاثة آخرين بالذهاب مع المبعوث البيزنطي إلى العاصمة البيزنطية لحل تلك الأزمة، ووعد بالرد إذا ثبت أن الفرنجة يسيطرون على الأراضي الإيطالية دون مبرر، ولكن لم تُسفر تلك السفارة عن شئ ولم تخرج القوات الفرنجية من شمال إيطاليا[54].

وهكذا نجد أن الملك ثيودوبلد ما زال يحاول الحفاظ على علاقته الدبلوماسية بالإمبراطور جستنيان، ولا يريد أن يقطعها بالرغم من استيلاء والده على بعض الأراضي الإيطالية، بل أنه لم يرسل أي قوات فرنجية إلى إيطاليا حتى لا يثير غضب الإمبراطور جستنيان، كما يرسل سفاره من جانبه للتحقيق في الامر وتهدئة الإمبراطور جستنيان. وعلى الجانب الآخر نجد أن الإمبراطور جستنيان أيضًا يحاول توطيد علاقته بالفرنجة ولا يريد أن يخسرهم نهائيا، حتى لا يتحالفون مع القوط الشرقيين ضده، فهو يرسل السفارات إلى الفرنجة يطالبهم بسحب قواتهم من إيطاليا وفي نفس الوقت يجدد التحالف المبرم بينهما، وهكذا يتضح دهاء كلا من الملك ثيودوبلد والإمبراطور جستنيان على حدا سواء.

---

(52) جاء في ذلك الخطاب : "لقد تم الحفاظ على وعد الصداقة بيننا بمجرد ما توصلنا إلى اتفاق ثابت والذى كان من إحدى شروطه احترام شرف الأباطرة والملوك وكذلك عامة الناس وعدم تشويهه ..... لقد تعرضنا إلى اللوم من دون سبب يا سيدى الإمبراطور، لكن بمشيئة الله، بسبب الإيمان المشترك والإنتصارات التى لا حصر لها، سيتم إعلان النصر قريبا. فصداقتنا التي تستفسر عنها، قوية، وسوف تستمر بشكل أفضل". انظر ،
Austrasain Letters: Letter 18, P81; Hancock: Austrasian politics, PP. 11-12.

(53) Procopius: History of the Wars in Seven Volumes. Translated by H. B. Dewing. LOEB Classical Library (Harvard UP, 1914), Vol .5, PP.307-311; Hancock : Austrasian, P. 12;
أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص253-254.

(54) Procopius : History of the Wars, Vol .5, PP.311-313; Hancock : Austrasian, P. 12;
أنظر أيضًا، سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص254.

أما عن علاقة الملك ثيودوبلد الأول بالقوط الشرقيين، فنجد أنه بعد وفاة الملك توتيلا عام 552م، خلفه في الحكم الملك تياس[55] **Teias** (552-553م) الذي أصر على مواصلة القتال ضد البيزنطيين، لكنه لقي حتفه في معركة فيزفيوس **Vesuvius** في بداية عام 553م[56]، ومن ثم أصبح القوط في حاجة ماسة إلى دعم خارجي؛ لذا وصلت سفارة قوطية إلى الملك ثيودوبلد الأول للتوسل إليه للوقوف بجانبهم وتأييد قضيتهم، وقد أشار سفراء القوط للملك ثيودوبلد أنه ليس من مصلحة بلاده السماح للإمبراطور البيزنطي بتدمير مملكة القوط الإستيلاء عليها، بل يجب بذل كل جهد للحد من التوسع البيزنطي؛ لأنه إذا فعل ذلك ستدور الدائرة عليه، وسيكون تدمير بلاده والإستيلاء عليها، هو الخطوة المقبلة للإمبراطور جستنيان. ونهوا حديثم بقولهم: «**يجب أن تمنع العدو في الحال ولا تدع الفرصة الحالية تفوتك. يجب عليك إرسال قوة قتالية مناسبة ضدهم وجنرالًا قادرًا من بينكم، لإنهاء الحرب ضد البيزنطيين بنجاح، وإخراجهم من هنا بسرعة واستعادة بلادنا**»[57]. **هذا مع تقديم العديد من الوعود بالثروات الهائلة من الكنوز القوطية في حالة تقديمه الدعم لهم**[58].

وجدير بالذكر، أنه بالرغم من محاولات الملوك الميروفنجيين السابقة للنيل من أراضي إيطاليا من خلال الحدود الفاصلة بين البلدين، إلا أن الملك ثيودوبلد لم يرغب في إقحام نفسه في الشئون الإيطالية، ولكونه مريضًا وغير محب للحرب، لذلك لم يوجه اهتمامًا لاستغاثة القوط على الرغم من كل الإغراءات من الجانب القوطي.

## المحور الرابع: سفارة سيجبرت الأول ملك أوستراسيا (561-575م) إلى الإمبراطور جستين الثاني:

وجدير بالذكر أن البيزنطيين استعادوا شمال إيطاليا من يد الفرنجة بعد وفاة الملك ثيودوبلد عام 555م، فقد نجح الإمبراطور جستنيان عام 556م باستعادة شمال إيطاليا ومدينة البندقية من يد الميروفنجيين، الذين لم يصبح لهم أى ممتلكات في شبة الجزيرة الإيطالية[59]. كما أنه من عام 555م حتى عام 570م ولمدة خمسة عشر عامًا تصمت المصادر تمامًا عن وجود إي علاقات بين الميروفنجيين والبيزنطيين، ويبدو ذلك بسبب انشغال الميروفنجيين بالحروب الأهلية الداخلية نتيجة تقسيم المملكة عام 561م. ومع ذلك فقد عادت تلك العلاقات عندما أرسل سيجبرت الأول( 561- 575م) ملك أوستراسيا سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني[60] (565- 578م)، كما أكد المؤرخ جريجوري التوري علي وجود العلاقات الطيبة بين

(55) تياس: كان تياس آخر ملوك إيطاليا القوط الشرقيين. وكان ضابطًا عسكريًا يخدم تحت قيادة توتيلا ، والذي تم اختياره خلفًا له. بعد هذه الهزيمة القوطية الكبرى في معركة تاجينا 552م، جمع تياس ما تبقى من القوط. لاتخاذ موقفه الأخير ضد الجنرال البيزنطي نارسيس في معركة مونت لاكتاريوس - جنوب نابولي الحالية في أواخر عام 552 / أوائل عام 553م، التي هُزم فيها جيش القوط الشرقيين هناك وسقطت تياس أثناء القتال.

Marius of Avenches :MGH AA XI: P.236;

انظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص 343 – 346.

(56) Marius of Avenches :MGH AA XI: P. 236; Agathias: The Histories, P.9.

(57) Agathias: The Histories , PP. 13-14.

(58) Agathias: The Histories , PP. 13-14; See also, Hodgkin :Italy and her Invaders , Vol .V, P.14-15; Hancock : Austrasian politics, PP. 12-13;

ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص346-347؛ سونيا غازي: مملكة أوسترازيا ، ص254.

(59) [illegible] 237.

(60) جستين الثاني: تولي عرش الإمبراطورية بعد وفاة جستنيان عام 565م، وهو ابن شقيق جستنيان وكان قد أوصي له جستنيان بالحكم وهو علي فراش الموت. وقد قام جستين بعد توليه الحكم بأيام قليلة بتسديد ديون عمه، كما أهتم شخصيا بإقرار العدل، وأتسم

**الإمبراطور جستين الثاني– خليفة جستنيان- وسيجبرت ملك أوستراسيا عندما ذكر: «أرسل الملك سيجبرت سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني (في عام 571م) علي رأسها وارنر Warinar الفرنجي وفيرمينوس Firminus دوق أوفيرني للإمبراطور جستين الثاني لعقد السلام بينهما، وذهبوا عن طريق البحر إلى القسطنطينية، وعقدوا السلام مع الإمبراطور، ثم عادوا إلى غالة في العام التالي»[61].**

**ولكن تلك الرواية من جانب جريجوري تحتاج إلى الكثير من النقد والتحليل، حيث يذكر المؤرخ جريجوري أن السفارة التى أرسلها الملك سيجبرت إلى القسطنطينية عادت عام 572م[62]، وهذا يفتح باب البحث عن الأسباب التى دعت الفرنجة لإرسال مثل تلك السفارة في ذلك التوقيت تحديدًا، وعن أوضاع بيزنطة السياسية أثناء وصول تلك السفارة إلى القسطنطينية أيضًا.**

**بالنسبة لإوضاع بيزنطة فنجد أن الإمبراطور جستنيان قد توفي عام 565م، وخلفه على العرش ابن شقيقه جستين الثاني الذي لم يلبث أن نقض شروط الهدنة مع الفرس، ورفض دفع الجزية السنوية للفرس مما أدى إلى اندلاع الحرب بين الدولتين، فأجتاح الفرس سوريا واستولوا على حصن دارا الإستراتيجي الهام[63]. كما قام جستين بوقف إعطاء قبائل الآفار تلك الأعطيات والأموال التي أدت إلى خرق الهدنة المعقودة بينهم وبين الإمبراطورية منذ سنة 558م فقام الآفار بمهاجمة حدود الإمبراطورية قرب الدانوب ما بين عامي 573- 574 م مستغلين انشغال البيزنطيين بحروبهم ضد الفرس[64]. وقد كانت الديون الكثيرة هي السبب في رفض جستين دفع الجزية للآفار، حيث أدت تلك الجزية إلى إنهاك خزينة الدولة؛ لذا توقف جستين عن رشوة الأعداء المحتملين للدولة وهي سياسة جستنيان الراحل والتي تمثلت في دفع مبالغ ضخمة من المال للقبائل البربرية التي تقطن حدود الدولة مقابل كف آذاها أو مقابل إعلانها تبعيتها للإمبراطورية وكان جستنيان يهدف من تلك السياسة إلى تأمين حدود الإمبراطورية من جهة ونشر نفوذها من جهة آخري[65].**

**أما بالنسبة لأوضاع مملكة الفرنجة ، فيرى المؤرخ والتر جيوفارت W. Goffart أن تلك السفارة أُرسلت من جانب الملك سيجبرت الأول إلى جستين الثاني من أجل التحالف معًا ضد**

---

عهده بالتسامح مع جميع المذاهب المسيحية المختلفة وذلك علي خلاف عمه جستينيان. كما قرار جستين بوقف دفع الجزية للآفار، مما أدى إلى مهاجمة الآفار لحدود الإمبراطورية قرب الدانوب، كما قام اللمبارد بزعامة ملكهم ألبوين بغزو إيطاليا وفي غضون سنوات قليلة تملكوا كثير من الأراضي الإيطالية. كما رفض دفع الجزية السنوية للفرس، مما أدى إلي اندلاع الحرب بين الدولتين. انظر، محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1994، ص 66؛ محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 2000، ص 62-63؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية - 284 - 1453 دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1984 ، ص 91-92.

(61) Gregory of Tours : Franks , P.235; Fredegar : III, MGH SRM II,:P.110; Hancock : Australasian politics, P. 18.

(62) Dolger, Regesten Der Kaiserurkunden Des Ostromischen Reiches، VI Berlin 1924, P.24.

(63) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ، ص 103-104؛ الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص 66؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 62-63؛ جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية ، ص 91.

(64) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ، ص 103-104؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 62-63؛ جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية ، ص 91.

(65) الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص 66؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 62-63؛ جوزيف نسيم: الدولة البيزنطية ، ص 91.

قبائل الآفار التي اغارت على مملكة الفرنجة مرتين على التوالي بين عامي 562، 566م[66]، بل أن الآفار استغلوا فرصة وفاة الإمبراطور جستنيان عام 565م وعبروا نهر الدانوب، كما استولوا على بانونيا عام 568م بعد هجرة اللمبارديين إلى إيطاليا، كما فقاموا بمهاجمة حدود الإمبراطورية قرب الدانوب، وهددوا ممتلكات بيزنطة في البلقان حيث هاجموا تراقيا والليريا وفرضوا عليها جزية سنوية[67]، وأصبح من الواضح أن تلك العناصر تُشكل خطرًا على كلا من الفرنجة والبيزنطيين على حدا سواء. إذا الهدف من السفارة التعاون المشترك بين الطرفين. ولكن يرى البعض أنه بما أن سيجبرت عقد معاهدة مناسبة مع الآفار عام 566م إذًا بالتالي لا يحتاج أن يعقد معاهدة مع البيزنطيين لتحقيق تلك الغاية[68].

ومع ذلك لو افترضنا أن معاهدة سيجبرت مع الآفار قد الزمته فعلًا بدفع جزية سنوية لهم كما يقول البعض، فقد يكون حاول سيجبرت التحالف مع بيزنطة من أجل التخلص من تلك الجزية، خاصّة أن الآفار أصبحوا أعداء لبيزنطة في نفس الوقت، ولا شك أن الملك سيجبرت كان على علم بتلك الأخبار فأستغل تلك الفرصة وأرسل سفارة إلى بيزنطة. كما لم يغيب عن ذهن الباحث حالة التنافس الشديد بين الملك سيجبرت وأخيه شيلبيريك الأول ملك نيوستريا (561-584م) والحرب الاهلية بينهما؛ ولذلك ربما استخدم الملك سيجبرت الدعم البيزنطي للسيطرة على إخوانه في تقسيم مملكة شاربيرت **Charibert** (561-567م) والتنافس الشديد بينه وبين أخيه شيلبيريك. وهكذا نجد أن الملك سيجبرت اختار توقيتًا مثاليًا لإرسال مثل تلك السفارة لبيزنطة، سواء من أجل التحالف معًا ضد الآفار، أو الحصول على اعتراف رسمي من الإمبراطور البيزنطي كملكًا على الفرنجة، كل ذلك في ظل التنافس الشديد بينه وبين شقيقه شيلبيريك.

## المحور الخامس: سفارة شيلبيريك الأول ملك نيوستريا (561-584م) إلى الإمبراطور الإمبراطور تيبريوس الثاني:

على الجانب الآخر في مملكة نيوستريا الفرنجية، نجد أن العلاقات الفرنجية البيزنطية ظلت جيدة كذلك، بين كلا من شيلبيريك الأول ملك نيوستريا والإمبراطور البيزنطي تيبريوس الثاني[69] **Tiberius II** (578-582م)، حيث أرسل الملك شيلبيريك بسفارة إلى الإمبراطور تيبريوس عام 578م، فقد ذكر جريجوري التوري: « **سافر سفراء الملك شيلبيريك إلى الإمبراطور تيبريوس الثاني، وعادوا بعد ثلاث سنوات كاملة، وقد عانوا مشقة السفر،... وعادوا من ميناء أجديا Agde التابع للقوط الغربيين**»[70].

وعن أسباب تلك السفارة، فيرى البعض أنها كانت لتهنئة الإمبراطور تيبريوس بإرتقائه

(66) W. Goffart, "Byzantine Policy in the West under Tiberius II and Maurice: the Pretenders Hermenegild and Gundovald (579-585)", Traditio 13 (1957): 77: Hancock : Austrasian politics, P. 18.

(67) إسمت غنيم: الآفار "دراسات فى تاريخ أوربا العصور الوسطى " – الأسكندرية 1994م. ، ص 25-26.

(68) Hancock : Austrasian politics, PP. 18-19;

(69) الإمبراطور تيبريوس: هو إمبراطور الدولة البيزنطية في الفترة من578حتى582م، وقد أرسل إليه رومان إيطاليا سفارة لمساعدتهم لحمايتها من غارات اللمبارديين ومعها ثلاثة الاف رطل من الذهب، ولجأ تيبريوس إلي اغراء اللمبارديين بالذهب لوقف هجماتهم على الممتلكات البيزنطية وإذا فشلت هذه المحاولة فيقوم باغراء الفرنجة بالذهب لحثهم على التدخل في إيطاليا وكبح جماح اللمبارديين، حيث كان منهمكاً في حروبه ضد الفرس. وهكذا ظهر عجز البيزنطيين واضحاً عن استرداد هيبتهم في إيطاليا. انظر، محمود محمد الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة 568-774م،القاهرة دار المعارف ، ط 1986، ص 63.

(70) Gregory of Tours : Franks , P.327; Fredegar : III, MGH SRM II,:P.116;

العرش الإمبراطوري بعد جستين الثاني[71]، ولكن يرى البعض أن الملك شيلبيريك أرسل تلك السفارة بعد تحالفة مع شيلديبرت الثاني ملك أوستراسيا (575-596م) وتبنيه له، ولذلك أرسل الملوك شيلبيريك وشيلديبرت الثاني سفارات إلى القسطنطينية عام 578 ووعدوا بالدعم العسكري ضد اللمبارد في إيطاليا مقابل إعانات من بيزنطة، خاصّة أن الإمبراطور البيزنطى تيبريوس الثاني (578-582م) حاول التحالف مع الفرنجة من أجل القضاء علي اللمبارديين، وأرسل الهدايا إليهم من أجل إعلان الحرب علي اللمبارديين، ولكن نظراً لانشغاله آنذاك بمحاربة الفرس فإنه لم يتمكن من الاستمرار في ذلك التحالف مع الفرنجة ، لذا تحمل العبء الاكبر الإمبراطور موريس Maurice (582-602م) الذي تبني نفس السياسة وحاول استرجاع النفوذ البيزنطي في شبه الجزيرة الإيطالية[72].

## المحور السادس: السفارات والرسائل بين شيلديبرت الثاني ملك أوستراسيا (575-596م) والإمبراطور موريس:

استمرت العلاقات الدبلوماسية بين البيزنطيين والفرنجة في عهد الملك شيلديبرت الثاني (575- 596م) ملك أوستراسيا، فقد حاول الإمبراطور موريس استغلال فرصة تدهور العلاقات بين الفرنجة واللمبارديين لاغراء الفرنجة على محاربة اللمبارديين، والحيلولة دون توسعهم علي حساب بيزنطة؛ لذلك سعي الإمبراطور موريس إلى التقرب من الملك شيلديبرت الثاني ملك أوستراسيا للحصول منه علي الدعم في محاربة اللمبارديين[73]، كما تبادل الفريقان – بيزنطة والفرنجة – السفارات، ودارت المفاوضات بينهما حول القيام بعمليات حربية مشتركة ضد اللمبارديين[74]. واستطاع الإمبراطور موريس في النهاية أن يغرى الملك شيلديبرت الثاني بشن هجوم على اللمبارديين في إيطاليا مقابل خمسين ألف قطعة من الذهب (صولدى)[75]. وهكذا يتضح أن سياسة الفرنجة مع البيزنطيين كانت قائمة على المصلحه المتبادلة بينهما، وأن الملك شيلديبرت لم يقبل تقديم المساعدة للإمبراطور موريس في حربه ضد اللمبارديين إلا بعد أن قدمت بيزنطة الأموال للفرنجة، وفي نفس الوقت استجابة الفرنجة لدعوة الإمبراطور موريس استمرارا لسياسة والده في محالفة البيزنطيين[76]. وقد قام الملك شيلديبرت بخمس حملات على اللمبارديين في إيطاليا بداية من عام 584م حتى عام 590م، ليكون عام 590م نهاية العلاقات الدبوماسية بين الفرنجة وبيزنطة خاصّة بعد فشل الفرنجة في طرد اللمبارديين من

(71) Woodruff , The Third Book of the Chronicle of Fredegar, Note P.91.

(72) Oman, (CH.) : The Dark Ages , 476 -918 , (London . 1928 ), pp . 191-2; Reverdy, G: Les relations de Childebert II et de Byzance, in Revue Historique, 1913, pp.61-86.

(73) Reverdy: Les relations de Childebert II, p.73.

(74) Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke, University of Pennsylvania Press, 1907, p . 126 ;

أنظر ايضًا: الحويرى: اللومبارديون، ص71.

(75) Gregory of Tours : Franks , P.375; Paul the Deacon: Langobards, p.117;

أنظر أيضًا، الحويرى: اللومبارديون، ص 71؛ اسامة زكى زيد: اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة في ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس(568-774م)، الاسكندرية 1987، ص17؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس(582-620م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه عين شمس 1988، ص 111؛ سونيا غازي: العلاقات السياسية اللومباردية - الفرنجية ، ص 533.

ذكر المؤرخ توماس هودكن أن القطع الذهبية التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي إلي الملك شيلديبرت الثاني تعادل ما يقرب من ثلاثين الف جنية استرليني . انظر، Hodgkin: Italy and her Invaders, V ,p. 228.

(76) صلاح مدنى: تاريخ العصور الوسطى ، ص 201-204.

إيطاليا.

ومما لا شك فيه، أن الإمبراطور البيزنطي كان على دراية بالأوضاع الداخلية في مملكة الفرنجة، ومن ثم وقع اختياره على شيلديبرت ملك اوستراسيا للتحالف معه لطرد اللمبارديين من إيطاليا. وعلى أية حال، استطاع موريس أن يغرى الملك شيلديبرت الثاني بشن هجوم على اللمبارديين في مقابل خمسين ألف قطعة من الذهب (صولدى)[77].

عبر الملك الفرنجي جبال الألب في سنة 584م على رأس جيش ضخم، وباغت اللمبارديين بهجوم شل حركتهم، جعلهم يتراجعون إلى أسوار مدنهم الحصينة للاحتماء بها، ثم دارت مفاوضات بين الجانبين، انتهت إلى انسحاب ملك الفرنجة من إيطاليا بعد أن نفحه اللمبارديين مبالغ ضخمة وهدايا ثمينة[78]. وعندما وصلت تلك الأخبار لموريس بما حدث، طالب شيلديبرت الثاني بإعادة الأموال التي أرسلها إليه، إلا أن شيلديبرت تجاهل الأمر تمامًا، ولم يرسل أي رد إليه[79].

ومع ذلك لم تكن قوة شيلديبرت بالدرجة التي تجعله يتجاهل مطالب الامبرطور البيزنطي المستمرة، الذي طالب بإعادة أمواله أو القيام بحملة أخرى ضد اللمبارديين، وقد ذكر جريجوري إن شيلديبرت في العام التالي (585م) أرسل حملة فرنجية ثانية عبرت جبال الألب، بيد إنها سرعان ما انسحبت من إيطاليا مثل سابقتها، بعد أن لوح لها اللمبارديين بالمال والهدايا[80]. وهكذا فشلت هذه الحملة أيضًا.

ويبدو أن موريس لم ييأس من الفرنجة ويصد وجهه عنهم، رغم أنهم تقاعسوا عن الوفاء بما التزموا به، بدليل أنه أرسل سفارة من قبله يطلب انفاذ جيش آخر إلى إيطاليا لغزو اللمبارديين، وما لبث شيلديبرت الثاني أن جهز حملة ثالثة في حوالى سنة 587، بيد إنها لم تكد تجتاز جبال الألب، حتى دب النزاع داخل صفوفها، ويعود السبب في ذلك إلى أن قبائل الألماني التي انخرطت في سلك هذه الحملة هددت بالتوقف عن مواصلة الزحف، ما لم تحصل على حصة معينة من الغنائم المتوقع الحصول عليها، وما لم تستقل بالأقاليم التي ستنتزعها لصالحها، ولكن قادة الفرنجة رفضوا الانصياع لمطالبهم، فانسحبت الأخيرة من الحملة، الأمر الذي ترتب عليه فشل هذه الحملة فشلًا تامًا[81].

(77) Gregorii Episcopi Turonensis Libri Historiarum Francorum X, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p.117;

أنظر أيضًا، الحويرى: اللومبارديون، ص 71؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس، ص 111.

ذكر المؤرخ توماس هودكن أن القطع الذهبية التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي إلى الملك شيلديبرت الثاني تعادل ما يقرب من ثلاثين الف جنية استرليني . انظر،

Hodgkin: Italy, V ,p. 228.

(78) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p . 117 ; Villari, The Barbarian Invasion., II. p. 288. Thompson,(Jannes Westfall), the Middle ages 300-1500, Vol. I,(London .1931),. p. 169; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.67.

(79) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, pp. 117-8

(80) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 384-5; Dudden, ,(H) : Gregory The Great, In Two Volumes, Vol.I. (London,1905), p. 162.

(81) Paul the Deacon: Langobards, p . 126 : Hodgkin:Italy,V ,pp. 258-9 .

شاركت قبائل الألماني في العديد من الحملات الموجهه إلى شمال إيطاليا، فقد قامت بمساعدة القوط الشرقيين من قبل، وذلك عندما أرسل القوط الشرقيين وفدا إلى الملك ثيودوبلد الفرنجي من أجل مساعدته ضد الجيش البيزنطي، وبالرغم من رفض ثيودوبلد إلا أن دوقي الالماني لوثير وبوكلين وهما من اتباع ثيودوبلد قد وافقا علي التحالف مع القوط ومقاومة البيزنطيين، فقد كان لقبائل الالماني

وفي أوائل صيف سنة 588م أنفذ ملك الفرنجة حملته الرابعة إلى إيطاليا، ولكن أوثاري تمكن من هزيمتها هزيمة ساحقة، أسفرت عن وقوع العديد من الفرنجة قتلى واسرى، فيما عدا قلة ضئيلة استطاعت الفرار بصعوبة[82]، ويعلق بولس الشماس على هذه الهزيمة قائلا: «ما يدهشني إن المؤرخ سيكندوسSecundus الذي كتب الكثير عن المعارك التي خاضها اللمبارديين، اهمل تماما ذكر أحداث هذا الانتصار الذي احرزه اللمبارديين على الفرنجة»[83].

ومن الجدير بالذكر، أن المؤرخ البيزنطي ثيوفانس **Theophanes** - الذي يعد أهم المصادر البيزنطية في القرن السادس الميلادي – لم يسجل أحداث تلك الفترة المتعلقة بالحرب بين الفرنجة واللمبارديين، إلا قوله عندما ذكر في أحداث السادس من شهر سبتمبر عام 588م اندلعت حرب بين اللمبارديين والرومان، ولم يشير إلى مشاركة الفرنجة في هذه الحرب ضد اللمبارديين[84].

ونأتي إلي آخر الحملات التي وجهها شيلديبرت الثاني إلي مملكة اللمبارديين وأخطرها على الاطلاق، ونعنى بها الحملة الخامسة سنة 590م. ويبدو أن الفشل الذي منيت به الحملات الأربعة السابقة، زاد من غضبه ورغبته في القيام بعمل حاسم ضد اللمبارديين، ولهذا جهز حملته هذه المرة بعناية فائقة، كما اتفق مع الاكسارخ الجديد رومانوس ( 589-596 ) على القيام معًا بهجوم على بافيا عاصمة اللمبارديين، والقاء القبض على أوثاري[85]، ولكن على الرغم من التخطيط الجيد لهذا الحملة والتجهيزات الكبيرة إلا أنه منيت بالفشل، ولم يحقق الفرنجة اهدافهم المنشوده، إذ لم يتمكنوا من الثأر من اللمبارديين الذين انسحبوا إلى القلاع الاكثر مناعة وتحصينًا، كذلك لم ينجح الفرنجة في القبض على الملك أوثاري المتحصن خلف أسوار مدينة بافيا.

ويتضح مما سبق أن التحالف البيزنطي الفرنجي لم يقم على دعائم راسخة منذ بدايته ولم يحقق الهدف الذي عقد من اجله، إذ كانت تزلزله في الواقع الشكوك المتبادلة بين الطرفين، وإتهام كل منهما للآخر بالعمل لمصلحته[86]، وينبغى ألا يفوتنا أن مملكة الفرنجة آنذاك كانت تمر بدور أنحلال بطئ، الأمر الذي سهل على أوثاري اسقاط عرى هذا التحالف، ومع ذلك، فقد لقى بعض الهزائم على أيدى القوات الإمبراطورية بقيادة الاكسارخ رومانوس، فضلا عن سقوط مدن مودينا وألتينو ومانتوا في يده، واستطاع الاكسارخ أيضًا أن يعيد إلى الامبراطورية مدن بارما وريجيو وبياكنزا الهامة، وكان بوسعه أن يواصل انتصاراته على اللمبارديين، ولكن انسحاب الفرنجة من إيطاليا لم يضع حدًا لها فحسب، بل لم ينقضي وقت طويل حتى عادت هذه المدن إلى حوزة اللمبارديين مرة أخرى[87].

---

العديد من المشاركات في الحروب علي الشمال الإيطالي.. أنظر،
Agathias: The Histories , pp.13-4.

(82) Paul The Deacon: Langobards, p.137;Hodgkin : Italy, V , p . 260; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.78.

(83) Paul The Deacon, Langobards, p.137.

(84) Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. by Mango, C. & Scott , R., (Oxford. 1997), p.384.

(85) Dudden, Gregory the Great, I , p . 162 ; Oman : Dark ages ,p . 192 .

(86) موس : ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967.ص 215 – 216 .

(87) Dudden, Gregory the Great, I p. 165 .

واجمالًا كان التحالف البيزنطي الفرنجي مقضيًا عليه بالفشل، بدليل أن أوثاري عمل على قطع جذوره تماما عندما أرسل سفارة من قبله إلى جونترام ملك الفرنجة وعم شيلديبرت الثاني يطلب عقد اتفاقية صلح وسلام معه قبل نهاية صيف عام 590، في الوقت الذي وصلت الأخبار بوفاة أوثاري فجأة في عنفوان شبابه في بافيا في 5 سبتمبر من نفس العام[88]، ولقد رأى الفرنجة إنه من الافضل التحالف مع اللمبارد لأن مصلحتهم تأييد اللمبارد كحاجز قوى بين الفرنجة والامبراطورية. فقد كان الغرب بالنسبة للامبراطورية ورث قديم، وإن الرومان اعداء لكل الامم الجرماينة يسعون دائما لضرب أحدهما بالآخر بالاضافة إلى أن الامبرطورية لها مطالب في بلاد الغال ليست خافية. لهذا كله ابرمت معاهدة صلح مع خليفة أوثاري – اجيلولفAgilulf - في سنه 591م والفرنجة[89].

وجدير بالذكر أن المصادر الفرنجية والبيزنطية تصمت تمامًا عن وجود أي علاقات بينهما. ويمكن ذلك بسبب انشغال موريس بحروبه ضد السلاف والآفار من عام 592م حتى وفاته عام 602م. وفي نفس الوقت عقد الملك شيلديبرت معاهدة إنديلوت مع عمه جونترام ملك برجندي والتي اصبح بمقتضاها وريث عرش برجندي، وبذلك استقرت الاوضاع الداخلية في مملكة الميروفنجيين، كما توفى الملك جونترام 593م وبعد الملك شيلديبرت 596م، وقُسمت مملكة الفرنجة بين أبناء شيلديبرت الصغار الذين ظلوا في صراع داخلي وحروب أهلية فيما بينهم، ومع لوثر الثاني ملك نيوستريا ابن عمهم أيضًا، تلك الاوضاع التي انتهت بتوحيد مملكة الفرنجة تحت صولجان لوثر الثاني عام 613م لتستقر الأوضاع الداخلية لمملكة الميروفجيين، وبذلك لم يكن هناك داعي للتنافس الخارجي وكسب ود بيزنطة حيث أصبحت الممالك الميروفنجية الثلاث تحت حكم ملك واحد. بخلاف بعض العلاقات الدينية بين الفرنجة وبيزنطة في عهد الملك داجوبيرت (629–639م).

## قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

18. Agathias: The Histories, eng. Trans, Frendo, J., Newyork. 1975.

19. Austrasain Letters: In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, by Brian Hancock, A Thesis in the Department

(88) Gregory of Tours: Franks, P. 232; Hodgkin :Italy, V,p. 275 .

(89) Paul the Deacon: Langobards, p . 151 ;

أنظر أيضًا: الحويرى: اللومبارديون، ص77-78.

of History at Concordia University 1990.

20. Bordonove, Georges, Clovis et les Mérovingiens, Pygmalion Press 2009.
21. Bradley, Henry, The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain London. 1888.
22. Brian, Hancock , Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990.
23. Bury, John Bagnell ,History of the later Roman Empire, from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1, University of Toronto, New York. 1923.
24. Dolger, Regesten Der Kaiserurkunden Des Ostromischen Reiches، VI Berlin 1924.
25. Dudden, (H): Gregory the Great, In Two Volumes, Vol.I. (London, 1905).
26. Fredegar, Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888).
27. Gregorii Episcopi Turonensis Libri Historiarum Francorum X, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I.
28. Gregory of Tours, the History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974.
29. Gwater, Brid William, The Colmbia Encylopedia, New york.1950.
30. Hodgkin: TH., Italy and her Invaders, Oxford. 1891.
31. Jordanes. The Gothic History of Jordanes, eng. trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).
32. Malcolm Todd: The Early Germans, Second Edition 2004.
33. Marcellinus Comes: The Chronicle: Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995).
34. Marius of Avenches, Marii Episcopi Aventicensis Chronica, in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1893.
35. Moore, W.G, the Penguin Encyclopedia of Places, London, 1971.
36. Moorhead, (J .), Theoderic in Italy , (Oxford . 1992 ).
37. Oman, (CH.) : The Dark Ages , 476 -918 , (London . 1928 ).

38. Ostrogorsky: History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968).

39. Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke, University of Pennsylvania Press, 1907.

40. Perry, Walter C, the Franks from Their First Appearance in History to the death of King Pepin, London, 1957.

41. Procopius, History of the Wars in Seven Volumes. Translated by H. B. Dewing. LOEB Classical Library (Harvard UP, 1914).

42. Reverdy, G: Les relations de Childebert II et de Byzance, in Revue Historique, 1913.

43. Schmidt , (L .): «The Visigoths in Gaul» , 412 – 507 , Cambridge Medieval History, (Cambridge . 1911).

44. Stefan Esders, "Merovingians and Byzantium Diplomatic, Military, and Religious Issues, 500700-" In: The Oxford handbook of the Merovingian World Edited by Bonnie Effros and Isabel Moreira, Oxford 2020.

45. Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantine and Near Eastern History AD 284813-, trans. by Mango, C. & Scott , R., (Oxford. 1997).

46. Thompson, ,(Jannes Westfall), the Middle ages 3001500- , Vol. I, (London .1931) .

47. Vasiliev, A.A, History of the Byzantine Empire, Wisconsin 1999.

48. Villari , (P .):The barbarian Invasions of Italy,Vol II , London, 1902 ,

49. W. Goffart, «Byzantine Policy in the West under Tiberius II and Maurice: the Pretenders Hermenegild and Gundovald (579585-)», Traditio 13 (1957).

50. Wood, Ian, The Merovingians kingdoms, 450 – 751, London and Newyork. 1991.

51. Woodruff, Jane Ellen, the «Historia epitomata» The Third Book of the Chronicle of Fredegar, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

## قائمة المصادر والمراجع العربية والمعربة:

1. ادوار بروي وآخرون ، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3 ، ط1 ، بيروت، منشورات عويدات ، 1986.

2. أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى القاهرة 2009.

3. اسامة زكى زيد: اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة في ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس(568-774م)، الاسكندرية 1987.

4. إسمت غنيم: الآفار «دراسات فى تاريخ أوربا العصور الوسطى « – الأسكندرية 1994م.
5. بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، جزءان، الأول والثاني، القاهرة 1986.
6. جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد فتحى الشاعر ، ط2، القاهرة 1992.
7. جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية - 284 - 1453 دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1984.
8. سونيا عبد الوهاب غازي: علاقة مملكة أوستارازيا بالقوى السياسية المجاورة، مجلة المؤرخ المصري، عدد49 الجزء الأول يوليو 2016.
9. سيد أحمد عبد الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976.
10. سيد أحمد عبد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ، القاهرة 1991 .
11. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م ، دار النهضة العربية، بيروت1965.
12. صلاح محمد ضبيع: الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية 337-450م ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، المكتب العربي للمعارف، ط1 ، القاهرة2014.
13. صلاح مدنى: تاريخ العصور الوسطى في اوروبا، دمشق 1973.
14. عبد القادر احمد اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1967 .
15. علية عبد السميع الجنزوري : جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة ، القاهرة 1986 .
16. فاطمة الشناوي: معركة سواسون عام 486م، بمجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 الجزء الثاني، سنة 2007.
17. كرستوفر دوسن: تكوين اوربا، ترجمة محمد مصطفي زيادة وسعيد عاشور، موسسة سجل العرب، القاهرة 1967.
18. محمد عبده حتاملة: أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996.
19. محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1994.
20. محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 2000.
21. محمود محمد الحويرى اللومبارديون في التاريخ والحضارة (568-774م)، القاهرة دار المعارف ، ط 1986.
22. محمود محمد الحويرى : رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، القاهرة 1995.
23. مشتاق طالب حسين الخفاجي: أتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 406-453م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل ) –العراق)، ع1، لسنة 2008.
24. موس : ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967.
25. وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطي، رسالة ماجستير منشورة، دار الافاق العربية، ط1، القاهرة 2013.

**الرسائل العربية غير المنشورة:**

1. ايهاب صديق العربى: مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية البنات للأداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011، ص 234.

2. صالح خميس صالح : مملكة الوندال في شمال افريقيا 425-534م، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب جامعة حلوان 2018 .

3. كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة المنصورة 2009.

4. محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان(768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003.

5. وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس(582-620م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه عين شمس 1988.

# سياسة روما تجاه مملكتي رودس وبرجامون بعد موقعة بيدنا 168 ق.م

## دراسة في الدوافع والأسباب

إعداد:
د. أحميدة خيرالله الداره مسعود
رئيس قسم التاريخ كلية الآداب /جامعة طبرق

الاستلام: 15.4.2024 القبول: 2.6.2024

**المستخلص:**

كانت سياسة روما الخارجية إزاء بلاد الإغريق والممالك الهيللينستية في شرق البحر المتوسط قد تشكلت بعد عام 168 ق.م وانتصارها على الملك المقدوني بريسيوس في موقعة بيدنا الشهيرة. ولهذا انتهجت روما سياسة مشددة وقبضة صارمة على بلاد الإغريق وآسيا الصغرى، وأضعاف الممالك المجاورة لها مادياً ومعنوياً، حيث تدرج موقف روما من أحكام المعاهدات والصداقة، إلى استخدام سياسة السيطرة والتبعية المباشرة، وضم الأراضي إلى أملاكها، واصطناع ممالك جديدة، وحكام يطيعوا أوامرها طاعة عمياء، وهو من ترجمته على أرض الواقع في سياستها تجاه مملكتي رودس وبرجامون التي كانتا من أقرب الحلفاء المخلصين. لقد كان على مملكة برجامون ورودس دفع ثمن تعاطفهما مع الملك بريسيوس، ولهذا رأت روما تغيير سياستها تجاههما لتنتهي بذلك عهود الوئام والصداقة بسبب الخطائين العظيمين اللذين ارتكابهما كل من رودس وبرجامون، والذي أثبت عجزهما عن تبين الأمور والابتعاد عن ما يثير غضب روما في مثل الظروف السياسية والعسكرية التي كانت قد تلبدت بها سما روما في تلك الفترة.

**كلمات مفتاحية:** بريسوس، الممالك، المعاهدات، المتوسط، الهيللينستية.

### Rome›s policy towards the Kingdoms of Rhodes and Pergamon after the Battle of Pydna in 168 BC

**Summary:**

Rome›s foreign policy towards Greece and the Hellenistic kingdoms in the eastern Mediterranean was formed after the year 168 BC and its victory over the Macedonian king Prisius in the famous Battle of Pydna. Therefore, Rome adopted a strict policy and a strict grip on Greece and Asia Minor, and weakened the neighboring kingdoms materially and morally. Rome›s position graduated from the provisions of treaties and friendship, to using a policy of direct control and subordination, annexing lands to its possessions, and creating new kingdoms and rulers who blindly obeyed its orders. This was translated on the ground in its policy towards Rhodes and Pergamon, which were among its closest loyal allies. The Kingdom of Rhodes and

Pergamon had to pay the price for their sympathy with King Prisius, and for this reason Rome decided to change its policy towards them, thus ending the eras of harmony and friendship due to the two great mistakes committed by both Rhodes and Pergamon, which proved their inability to understand matters and stay away from what would arouse the anger of Rome in such political circumstances. And the military that prevailed in Rome in that period.

**Keywords:** Briseus, kingdoms, treaties, Mediterranean, Hellenistic

**المقدمـة:**

حمل عام 168 ق.م، للرومان نصراً عسكرياً وسياسياً على ملك مقدونيا بريسيوس في موقعة بيدانا الفاصلة ،حيث يعتبر نقطة تحول مهمة في سياسة روما الخارجية إزاء ممالك بلاد الإغريق وآسيا الصغرى، لأن مقدونيا كانت تُعد أقوى هذه الممالك قاطبة، فكان هذا النصر قد زاد في رفع الروح المعنوية واستشعار الرومان الثقة بأنفسهم وإحساسهم بالتفوق المادي، ونزوعهم لمزيد من السطوة والتسلط، وبالنظر لهذا الانتصار الذي تحقق لروما على بريسيوس فإن الملاحظ على ساسة روما أنها قد وضعت في اعتبارها العمل على تأمين سلامتها في بلاد الإغريق وآسيا الصغرى من ناحية، ووضع يدها ونفوذها على البحر المتوسط من ناحية أخرى، كما أن هذا النصر قد واجه روما بحقيقة واقعة تغافلت عنها زمناً، وهي أن جميع الممالك – سواء في بلاد الإغريق أو في أرض البلقان أو في آسيا الصغرى والشرق الهيلينستي- لا يضمرون لها مشاعر الود. ومن هذا الشعور تعاملت روما مع جميع الممالك المجاورة. ففي بلاد الإغريق اتخذت روما من الإجراءات ما كان من شأنه إيقاع الرهبة من سطوتها في نفوس الإغريق، ويزيل عن طريقها كل معارضة سياسية في المستقبل، وذلك بإبعاد كل السياسيين الإغريق المشكوك فيهم من البلاد، وتسليم مقاليد الحكم في المدن الإغريقية التي أقامتها على أنقاض مملكة مقدونيا إلى زعماء تصطنعهم روما ليطيعوا أوامرها طاعة عمياء. فلم يكن مقبولاً ولا معقولاً لدي الرومان ظهور أي قوى تواجهها في هذه المناطق. كما رأت روما تغيير سياستها مع أصدقائها وحلفائها الأقربون حتى في آسيا الصغير، خاصة مملكة برجامون الحليف الذي قامت أساطيلها مع أساطيل رودس بنقل القوات الرومانية إلى بحر إيجة وتقديم التسهيلات أثناء حربها مع انطيوخس الثالث من أجل إحكام السيطرة عليه، غير أن عهود الوئام والصداقة مع هذه المملكة انتهت بالانتهاء من مملكة مقدونيا.

لقد كان على مملكة برجامون ورودس دفع ثمن تعاطفهما مع الملك بريسيوس، ولهذا رأت روما تغيير سياستها تجاههما ليسدل الستار على فترة الصداقة والتحالف بسبب الخطائين العظيمين اللذين ارتكابهما كل من رودس وبرجامون والذي أثبت عجزهما عن تبين الأمور والابتعاد عن ما يثير غضب روما في مثل هذه الظروف السياسية والعسكرية التي كانت قد تلبدت بها سما روما في تلك الفترة. ولعلنا نستطيع أن نتصور، والحالة هذه، أن علاقة روما بالممالك المجاورة بعد موقعة بيدانا قد أصبحت قائمة على فقدان التوازن المزعوم الذي أظهرته روما طيلة فترة حروبها مع أنطيوخس الثالث ومع مقدونيا، فهذه السياسة من جانب روما لم تحقق لها الحرية السياسية، ففي الحقيقة فقدت الممالك الهللينستية استقلالها كلية، وأصبحت عملياً خاضعة للحكم الروماني. فمملكة برجامون أصبحت تمتلك من المقومات والقوة مالا تمتلكه مملكة أخرى بعد تدمير مملكة مقدونيا، وهذا ما يمكنها أن تكون نداً قوياً

بعد أن بسطت نفوذها على مناطق والمساحات الشاسعة بفضل ما قدمته لها روما في ماضيها القريب، خاصة عندما دعمتها روما بأن تكون حاجزاً وحداً فاصلاً بينها وبين أنطيوخس الثالث.

من هنا يمكن القول أن حروب روما ضد الملك بريسيوس لم تكن إيذانا بنهاية آخر مرحلة من مراحل حروبها وتوسعها في شرق البحر الادرياتيكي فحسب، بل كانت إرهاصاً بتقدمها إلى ميدان أرحب وهو التوسع في بلاد الإغريق وآسيا الصغرى. فالنصر الذي حققته روما على الملك بريسيوس في بيدنا جعلها تستشعر بأن الجمهورية الرومانية أصبحت هي القوة المسيطرة، وقد أحرزت اعترافاً بكونها إحدى القوى الكبرى التي أصبح بمقدورها أن تتزعم دور القيادة، والسيطرة ليس فقط في بلاد الإغريق وآسيا الصغرى فقط ، بل تؤدي دوراً مهماً ورئيسياً في سياسة شرق البحر المتوسط ؛ لذلك لم تكد تمر على ذلك الانتصار خمس سنوات حتى سحق الرومان بقيادة القنصل لوكيوس مميوس مقاومة الآخئيين ودمرت كورنثيا، ونهبت كنوزها وبيع سكانها الأحياء في سوق النخاسة، وفرضت الجزية على كل المدن الإغريقية الخاضعة لها، وحلت جميع الأحلاف ووضعت بلاد الإغريق تحت إشراف الحاكم الروماني الذي أقيم على أنقاض مملكة مقدونيا. ولهذا لم تكن مملكتي رودس وبرجامون لتنجو من هذا العقاب الصارم والتعنت الروماني على بلاد الإغريق وآسيا الصغرى.

في هذه الورقة البحثية سوف نتناول الأنشطة السياسية التي قامت بها رودس وبرجامون وموقفهما من الصراع بين بريسيوس وروما والتي أدت إلى تأزم الموقف بينهما، ومن ثم النتائج التي ترتبت على هذه السياسة التي انتهجتها روما ضد أصدقاء الأمس وأعداء اليوم، التي أصبحت هي السمة البارزة في طبيعة السياسة الرومانية نحو الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط خاصة رودس و برجامون.

**أولاً: السياسة الخارجية لروما بعد انتصارها في موقعة بيدنا 168 ق.م**

بعد الانتصار على بريسيوس هاجم الرومان أكثر من سبعين مدينة إيبيروتية كانت تؤيد، وتؤازر بيرسيوس ضد روما، وجمعوا منها كميات كبيرة من الذهب، والفضة، وكثيراً من الغنائم الأخرى، منها تمثالاً ذهبياً لبيرسيوس [1]، ويؤكد المؤرخ بلوتارخ أن كمية الغنائم التي حصل عليها القنصل باولوس من عتاد وتجهيزات بيرسيوس لكثرتها تم توزيعها بطريقة غير متكافئة مما سببت اضطراباً بين جنود القنصل باولوس [2]، ويضيف المؤرخ إبيان أن الرومان هاجموا أيضا العديد من المدن الخاضعة للملك جينتيوس، والتي كانت حليفة بيرسيوس [3]، وعلى الرغم من هذا الانتصار الذي حققه الرومان على مقدونيا فلم تفكر روما في بادي الأمر ضم أي جزء من الأقاليم الشرقية، في حين أنها تصرفت بشكل مختلف في صقلية بعد الحرب البونية الأولى والثانية، وكذلك في إسبانيا بعد هزيمة هانيبال القرطاجي [4]، غير أن روما رأت بعد ذلك أن المقدونيين لن يحل عليهم السلام إذا تركوا وحدهم؛ لذا قرر الرومان إقامة أول موقع دائم لهم في العالم اليوناني، حيث تم تقسيم مقدونيا إلى أربعة أقاليم، أو ممالك عميلة حتى يضمنوا لروما السلام الدائم في هذه المنطقة، كما أرغمت روما المدن المقدونية

(1) Stuart,Jones piracy,"Roman Law Concerning Concerning piracy"JRS,vol.16,1926,p155.

(2) Plutarch,Life of Aemilius Paullus ,Perrin,B trans. London,1918.p48

(3) Appian lllyrian Wars,lll,White,H,trans,Appian Roman History,vol,11,8,Edition,2005,2.9.

(4) Rostovzeff ,Translatad Rome From Russian,By J.D.Duff,Vl, London,1960, p72.

على التسليم، واستقر عزم روما على إنزال العقاب بكل السياسيين، فمصير مقدونيا قد تم بقرار يتماشى مع مسيرة العمل السياسي، والعسكري لروما نحو ممالك الشرق الهيلينستي؛ ولهذا تم تقسيمها إلى أربع ولايات منفصلة، عواصمها هي امفيبوليس وثيسالونيكا وبيللا وبيلاقونيا [5]، مكوّنة من اتحاد قبائل ومدن محكومة بنفس طريقة التحالفات في بلاد اليونان [6]، وقد وقعت في يد روما بعد معركة بيدنا كل أوراق ملك مقدونيا، الملك بريسيوس، الخاصة التي أمدتها بأدلة على ميل كثير من العناصر الإغريقية التي تعاونت مع مقدونيا، واستقر عزم روما على إنزال العقاب بكل خصومها، ولم تقتصر لائحة خصوم روما على من مدوا يد العون للملك بريسيوس فحسب، وإنما شملت كل من حامت الشكوك حول تعاطفه مع مقدونيا، ولم يستثن من ذلك أحد حتى حلفاء روما وأصدقائها وعملائها الأقدمين، سواء من إغريق البلقان – مملكة رودس، أو آسيا الصغرى – مملكة برجامون،[7] لقد تعلمت روما من خلال نشاطها السياسي والعسكري لأكثر من ثلاثين سنة في الشرق، كيفية معاملة حلفائها كرعايا لزاماً عليهم الطاعة واعتبار أية محاولة استقلالية هي نوع من الخيانة ، وهكذا برز ونما الشرق في أكثر الأحوال استياءً بسبب هذا النوع من السياسة . [8]ولذلك لم يكن من الممكن أن تقدم روما على عمل عسكري ضد هذه الممالك إلا إذا توفرت الذريعة المناسبة لذلك، والحقيقة أن سياسة روما ضد رودس، وبرجامون تعود في الأساس إلى أيام الملك فيليب، وهي الفترة التي اخذ فيها فيليب يستعد لمواجهة روما، وعدم توسعها شرقاً في بلاد البلقان فكانت هذه الممالك تقف في صف مملكة مقدونيا . [9]حيث كان يومينيس قد كسب ود روما، وكل الدعم والمكانة لما قدمة إلى روما من خدمات أبان حروبها في المنطقة ، فكانت سياسة روما قد رأت تقوية هذا الحليف، ليكون عميلاً قوياً لها في شرق البحر المتوسط يراقب بثقة كل تحركات القوى الهيللينستية ، ويكون عيناً لروما على انطيوخس الثالث ومقدونيا، وهنا نرى أن روما تمارس نفس السياسة التي لجأت إليها بعد انتصارها على قرطاجة ، حيث أقامت الزعيم الأفريقي مسينسا لمراقبة قرطاج، وعملت على تقويته، وبالفعل فلقد لعب يومنيس دوراً جد خطير بعد أن أصبح على قدم المساواة في القوة مع مقدونيا وسوريا واستخدمته روما في مستقبل علاقاتها مع الممالك الهيللينستية [10].

**ثانياً: مملكة رودس.**

لا شك أن عجز مملكة رودس و برجامون عن تبين الأمور، والابتعاد عن ما يثير غضب روما في مثل الظروف التي كانت تمر بها أثناء فترة صراعها مع ملك مقدونيا بريسيوس يعتبر شاهداً على افتقار المملكتين – رودس – برجامون إلى البعد السياسي والعسكري والتقدير النفسي والحسي في مثل هذه الظروف الملبدة بالغيوم في سما روما؛ ولهذا كان على مملكتي رودس و برجامون دفع ثمن تعاطفهما مع بريسيوس، فقد آنست روما من العالم الإغريقي بغضاً شديداً أثناء اشتباكها في الحرب المقدونية الثالثة، ولهذا رأت روما تغيير سياستها مع

(5) Livy,XL,XLV,29.
(6) Rostovzeff ,Translatad Rome From Russian,By J.D.Duff,Vl p73.
(7) Bevan. E.R, The House Of Seleucus, vol,1, (Chicago, 1985) ,pp120-123.
(8) Rostovzeff,Translated Rome From Russian By J.D.Duff,Vl, 71
(9) P.V.M.Benecke, Rome and Hellenistic States188-146 B.C,C.A,H,Vol,Vlll,Ch,lX,Cambrige1932,p246
(10) P.V.M. Benecke, Rome and Hellenistic States States188-146 B.C,C.A.H,Vlll,233-240.

هاتين المملكتين، ومثلما فعل كل حلفاء روما في مساعدتها أثناء حروبها، فإن جزيرة رودس قدمت خدمات ومساعدات إلى روما في حربها مع الملك السلوقي انطيوخس الثالث، وأن روما بدون أسطول رودس كانت ستلاقي صعوبات جمة في حملتها في آسيا الصغرى.[11] وعندما جاءت مسألة الاختيار بين روما، وبريسيوس في الحرب المقدونية الثالثة 171–168 ق.م، كانت رودس تحت تأثير رجل السياسة اجسيلوخس الذي كان في روما وقتها، وكان موالياً للجانب الروماني، فعندما أرسل بريسيوس مبعوثين إلى روما في عام 171 ق.م تم استقبالهم، وقدموا وعداً بالتوسط أذا ما تم الهجوم على بريسيوس بشكل ظالم، وهذا الوعد صاحبه طلب بأن رودس لا تفعل شيئاً من شأنه يحمل مظهر العداوة مع روما، ومع هذا كان هناك فريق قوي في رودس الذي يحمل آراء عكسية.[12] حيث كانت رودس قد تدخلت في هذا الصراع ، وذلك عندما بدأت السفارات من أجل التحالف بين مقدونيا و مملكة ايلليريا ضد روما، ومحاولات بريسيوس اقناع جنثيوس الملك الايلليري التحالف معه بعد أن امتنعت مُعظم ممالك بلاد اليونان الدخول معه في تحالف من شأنه يجلب غضب الرومان، ولهذا اعتبر بريسيوس مملكة ايلليريا هي ضالته المنشودة، وربما كانت هناك ظروف واسباب خاصة قد دفعت بملك ايلليريا جنثيوس للتحالف مع بريسيوس حيث كان معادياً للرومان، ولديه رغبة في محاربتهم، ولكنه في الوقت نفسه اعتذر عن الاستجابة الفورية لعقد التحالف بدعوى حاجته إلى المال، وللإنفاق العسكري حتى يتقوى به على محاربة الرومان.[13] وبعد العديد من السفارات بين الطرفين نجح بريسيوس في توقيع الملك جنثيوس على التحالف معه، وأن يؤدي له القسم بالتزامه، و عقد تحالف عسكري معه، وأيضاً تم توقيع، وقسم الملك بريسيوس أمام مبعوثين جنثيوس من أجل الالتزام بهذا التحالف المعقود بينهم، والتصدي للرومان، وعند الانتهاء من إجراءات التوقيع على هذا التحالف؛ حاول الطرفين إدخال مملكة رودس معهم في هذا التحالف ضد روما، وبناءً عليه تم أرسال بعثه مشتركة إلى رودس تضم مقدونيين وايلليريين لضمها إليهم عن طريق تسالونيكي، وكان رئيس تلك البعثة من رودس أصلاً يدعى مترودورس وكان يؤيد مقدونيا، ولذلك تم اختياره لرئاسة البعثة للمساعدة في إقناع الروديسيين على القيام بدور الوساطة لدى الرومان لإنهاء الحرب وإبرام اتفاق سلام.[14]

كان موقف روما يقوم على الحيلولة دون حدوث أي تنسيق على الأرض بين ملك إيلليريا جنثيوس والملك بريسيوس، وأن لا يقع اتحاد بينهما لمواجهة الرومان كقوة واحدة .[15] وقد حدث ذلك عندما قام مجلس الشيوخ الروماني فور قبض جنثيوس على السفراء الرومان بإعلان الحرب ضد إيلليريا، وتكليف البرايتور لوكيوس أنكيوس بقيادة العمليات الحربية ضد جنثيوس[16]، وليس هنا مجال الخوض في التفصيل العسكرية لتلك العمليات، إلا أنه من المهم هنا الإشارة إلى الظروف التي عاشتها روما عشية الحرب المقدونية الثالثة، والتي كانت فيها هذه الاتفاقية التي دخلت فيها رودس، و برجامون هي الخطائين الرئيسيين، والسبب الذي جعل الرومان يغيرون من سياستهم تجاه هذه الممالك، ووضعها في دائرة الشك والريبة، في

(11) Bevan.ll, E.R, The House Of Seleucus, vol,1, (Chicago, 1985),p107 (11)

(12) P.V.M.Benecke, Rome and Hellenistic States188-146 B.C ,p288.(12)

(13) أمل أحمدحامد، التحالف بين مقدونيا وإيلليريا (169-168 ق.م)،مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة ،عدد 54، يناير 2014،ص 383.

(14) Polybus,Histories,XXlX,ll.

(15) Livy,XLll.37; ,lnterventions by the Roman Rrpublic in lllyrin 320-167 BC,125.

(16) أمل أحمد حامد عبدالعزيز، التحالف بين مقدونيا وإيلليريا (169-168 ق.م)، ص ص 385،380

الوقت الذي كانت روما تنتظر تضميد جراحها من حلفائها الاقربين – رودس، و برجامون، غير أن الذي حدث غير ذلك، حيث اعتبرت روما محاولات رودس التوسط بينها وبين الملك بريسيوس بمثابة الوقوف مع مصالح الملك المقدوني [17]، وأن هذه المحاولة تهدف وتصب في صالح مقدونيا خاصة أن هذه المحاولات للوساطة لم تبدأ إلا عندما أصبحت روما في موقف المتفوق؛ لأن السنة الأولى والثانية من هذه الحرب كانتا في صالح الملك بريسيوس، لم تتدخل وعندما تغيرت موازين القوة واصبحت لصالح روما قامت رودس بمحاولة الوساطة .[18] في هذه الأثناء دخل على خط المفاوضات ملك برجامون يومنيس، وبدأ يحاول مع جزيرة رودس إجراء تدخل دبلوماسي، والوساطة بين بريسيوس وبين روما، وألحوا على روما من أجل عقد سلام مع بريسيوس يحقق طموحات الطرفين ويضمن حريتهم واستقلالهم، وإعادة السلام إلى منطقة شرق البحر الإدرياتيكي[19]، وبالفعل أرسلت رودس مبعوثاً خاصاً لهذا الغرض، ولكن بريسيوس كان قد سقط قبل أن تصل إليه السفارة ووجهتها .[20]

أغضبت هذا الأعمال، والسفارات التي قامت بها رودس الرومان، اعتبروا هذه الوساطات محاولة للإبقاء عليه، ودعماً وتقوية لموقف بريسيوس، وهو ما حمل روما على صياغة بعض السوابق التاريخية في قالب سياسي عسكري، وتوظيف تلك الأحداث من أجل التحرر من تلك المواثيق، والالتزامات وعهود الصداقة مع حلفائها الاقدمين – رودس، وبرجامون ووضعهما في قائمة أعدائها الذين لابد من تصفية حسابها معهم. [21]لأن روما كانت دائماً في شك من موقف رودس أثناء حربها مع بريسيوس، وأن رودس لم تتخذ موقفاً، واضحاً إلا عندما أصبح بريسيوس في موقف ميؤوس منه، وهنا يشير المؤرخ بوليبيوس في أن الرودوسيين كانوا قد وصلوا إلى مرحلة الاحباط، واليأس في إمكانية استعادة مكانتهم البحرية، وقدرتهم في إعادة مركزهم البحري، كقوة بحرية تقدم لروما خدمات سياسية، وعسكرية كما كانت في ماضيها القريب[22]، وقد زاد هذا الشعور من تدني مكانة رودس خاصة عندما حاولت أن تشكل مع جزيرة كريت تحالفاً من أجل استعادة مكانتها، غير أن الأخبار القادمة من موقعة بيدنا أنهت كل بصيص أمل، وزادت من ضعف رودس، وجعلها أقل قدره ليس في فرض الأمن فقط ، بل حتى في الاحتفاظ بمكانتها، وصداقتها مع روما.[23]

كانت مقتضيات السلم والأمن في نظر الرومان توجب تحطيم قوة رودس، و برجامون بعد أن قضة على قوة مقدونيا ،بسبب التدخلات التي قاموا بها، ومثلما حقق القائد اسكيبو هذه السياسة من قبل؛ وهي أن دوام السلم في المستقبل لم يكن يتأتى بمجرد طرد هانيبال من إيطاليا بل يجب تدمير قرطاج ، وهذا ما فعلته روما حتى انتهت من شبح قرطاج، وعليه ففي خلال هذه الفترة التي نحن في صددها، والتي كانت تعيشها روما بعد تحقيق النصر الكبير على بريسيوس، لم تكن رودس؛ لتنجو من هذا العقاب والتعنت الروماني على بلاد الإغريق، وذلك لحاجه في نفس روما، فقامت بتجريد مملكة رودس من كل ممتلكاتها في آسيا الصغرى،

(17) Rostovzeff,Translated Rome From Russian By J.D.Duff,Vl, 72.

(18) P.V.M. Benecke ,Rome and the Hellenistic States,pp301-302.

(19) Polybus,Histories,XXlX,5-8.

(20) Rostovzeff,Translated Rome From Russian By J.D.Duff,Vl, 72.

(21) أمل أحمد حامد عبدالعزيز، التحالف بين مقدونيا وإيلليريا (169-168 ق.م)، ص385

(22) Strabo, Vl ,XlV, V,5,p269.

(23) P.V.M.Benecke, Rome and Hellenistic States188-146 B.C,pp 291-293.

وجعل مينائها المهم، ميناء ديلوس، ميناءً حراً تحت إشراف أثينا، كما أفقدت سياسة روما المتعمدة ضد رودس أهم مدينتين لها في ليكيا و كيليكيا، اللتين كانتا وحدهما تدران دخلاً سنوياً كبيراً، وكان هذا الإجراء من قبل الرومان قد قلل من دخل مملكة رودس ومن عوائد الموانئ، وإزاء هذه الخسائر المادية الكبيرة، لم تعد رودس قادرة على أن تحتفظ في بحر إيجة بأسطول كبير كما فعلت في الماضي، بل أخذت تفقد بالتدريج مكانتها كحامية لحرية التجارة في المنطقة، وبذلك حققت روما ما كانت تصبوا إليه في سياسته ضد مملكة رودس.[24]

والواقع أن هذا العقاب الذي أنزلته روما برودس كان ينطوي على خطأ جسيم، ذلك أنه ترتب على ضياع سيادة رودس البحرية في المنطقة الإيجيه، وحيث يعتبر من أهم الأسباب التي أدت إلي انتشار الفوضى في هذه المناطق وعلى نطاق واسع ودخول هذه المناطق في اتون الفوضى والاضطرابات والفراغ الامني التي انعكست فيما بعد على الخطوط التجارية التي تصل روما مع مراكز تموينها سواء في صقلية أو سردينيا أو سواحل ليبيا خاصة القمح الامر الذي تسبب في ضائقة اقتصادية خانقة في روما نفسها.[25]وسوف نرى من بعد أن ما قامت به روما في المنطقة ، كان هو الشيء الذي أحبوه وهو كرهاً لها، حيث لم تتقدم روما للنهوض بمسئولية استتباب الأمن، وقمع نشاط اللصوص والمخربين على نحو ما كانت تفعل رودس، وأن ما فعلته روما برودس كان أمراً عبثياً، دون أن تلقي بالا إلي ما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة على الحياة السياسية والاقتصادية، والاجتماعية في روما نفسها، وفي مناطق كثيرة من شواطئ البحر المتوسط.[26]

وعليه فقد فقدت رودس الكثير من عوائدها التجارية بعد افتتاح الميناء الحر في جزيرة ديلوس الذي أسند إلى أثينا وأصبح يتحكم به الحكام الأثينيون، ومع ضعف الأسطول لم تعد رودس قادرة على مواصلة عملها ومهمتها في مراقبة وحراسة البحار، [27] والقيام بدورها التجاري الضخم في المنطقة. فقد غيّرت روما سياستها تجاه ولايات الشرق بعد أن حققت النصر على أقوى ممالك العالم الهيللينستي. فمقدونيا التي كانت تخشاها، وتتوجس منها خيفة لقوتها وقربها منها، أصبحت ولايات مقسمة تابعة لها [28]، وقد كان هذا الانتصار هو الخطوة الأولى لروما نحو التصادم مع ممالك ودول شرق البحر المتوسط.

### ثالثاً: مملكة برجامون.

بعد أن انتهاء خطر الدولة المقدونية وانتهت التهديدات وزالت جميع الأخطار التي دفعت روما إلى تقوية برجامون لتكون حداً فاصلاً يقف حاجزاً بينها وبين انطيوخس الثالث، وبالفعل أصبحت مساحة مملكة برجامون تزيد عشرة أضعاف حجمها الطبيعي، وأصبح ملكها

(24) H.Stuart, Roman Law Concerning Piracy ,p159.;H, Ormerod @Cary,Rome And The East , lX,Vlll ,352

(25) Polybius,lV,lX , 19-21.
كذلك انظر فاروق حافظ محمد، روما وسقوط الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير غير منشورة،1965، ص ص 213-214.

(26) Plutarch, Pompey, XXlV., Sallust, Jug ,435.
كذلك انظر :فاروق ، روما وسقوط الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط ، 214.

(27) H.Ormerod,Piracy in the ancient world,the press Of Liverpool,London,1924,pp133-140

(28) Rostovzeff ,Translatad Rome From Russian by J.D Duff,Vl.pp73-74

يومنيس في وضع لا يقل عن مكانة باقي الممالك القوية المعاصر في تلك الفترة.[29] ومنذ أن هزمة روما أنطيوخس الثالث في معركة ماجنسيا عام 189 ق.م، وفرضت عليه شروط معاهدة أباميا عام 188 ق.م تبدلت سياسة روما اتجاه حليفها يومينيس الثاني 197–160 ق.م، حيث كان المستفيد من هذا الانتصار هي مملكة برجامون، التي توسعت قوتها وامتد نفوذها، لكونها كانت المغفر الامامي لروما في آسيا الصغرى واقرب حلفاء روما من مناطق نفوذ أنطيوخس الثالث، وقد كان يومنيس قد رفض في السابق عرض انطيوخس الثالث تزوجه أحدى بناته خوفاً من الرومان عندما علم بأن أنطيوخس الثالث كان يعمل في تدعيم مركزه في المنطقة من خلال المصاهرات السياسية،[30] حيث قام بتزويج احدى بناته إلى ملك كبادوكيا في آسيا الصغرى وعرض على يومنيس الأبنة الثالثة[31]؛ ولذلك حاول يومينيس الحفاظ على مملكته، وما ألا إليها من أراضي مملكة السلوقيين، ولهذا وقف مع روما بكل قوة وحزم ، واستطاع أن يتوسع ضد القالاتينين وجيرانه مملكة بيثينيا، وأن يحافظ على مملكته التوسعية وتأمينها ضد الأخطار الخارجية .[32]

يذكر المؤرخ بوليبيوس[33] أنه بمجرد انتهاء الحرب المقدونية الثالثة (171–167ق.م )[34](*) التي انتهت بهزيمة مقدونيا ؛ غيرت روما سياستها نحو مملكة برجا مون لأن هذه المملكة أصبح من الممكن أن يكون لها الدور السياسي الأول في آسيا الصغرى ، ومنذ ذلك الحين بدأت روما تحاول بذر بذور الشقاق والفرقة بين أفراد الأسرة الحاكمة في المملكة[35]، وتدل محاولة روما هذه، على أنها ماضية في إضعاف و القضاء على دول شرق البحر المتوسط، وربما يكون السبب الحقيقي هو أن روما بعد أن قضت على مقدونيا ،وعلى قوة رودس البحرية ، وأذلت سوريا في معاهدة ماجينسيا عام 189ق.م ، لم تعد ترى ما يدعوها إلي مواصلة سياسة الصداقة مع برجا مون والبقاء عليها وهي بهذا القدر من القوة والاتساع، وهذا ما كان يتماشى مع سياستها التوسعية نحو الشرق الهلينستي.[36]

وتعود أسباب عضب روما وتعنتها من مملكة برجامون وتحديداً من ملكها يومينيس، إلى نفس الاسباب التي قامت بها رودس اثناء صراعها مع الملك المقدوني بريسيوس 179–168 ق.م، حيث قبل هو الأخر التدخل بين روما ومقدونيا عندما كانت الكفة في صالح روما، غير أن يومينيس رفض عقد تحالف مع بريسيوس ، وإنما عرض عليه الوساطة بينه وبين روما لإنهاء الحرب، وكان يومينيس قد تلاعب في الاتفاق مع بريسيوس لصالحة من البداية، وبدء يستغل ظروف الحرب وموقف بريسيوس المتحرج، ولهذا عرض يومينيس على الملك المقدوني إذا فشل

(29) P.V.M.Benecke,Macedo<u>n</u>**m**ian Monarchy,(217-167B.C),Roman,vol36,1,2,1946,Vlll,p, 240

(30) Bevan,ll,op,cit,p53.

(31) Whiehorne. John, Cleopatras,First Published.London,1994,p 80

(32) P.V.M.Benecke, Rome and Hellenistic States,C.A,H,,p286

(33) Vl ,XXX ,5-8.

(34) (*)هي الحرب التي وقعت بين ملك مقدونيا بريسيوس Perseus 179 – 168 ق.م أبن الملك فيليب الخامس وبين الرومان ، واستمرت من عام 171-167 ق.م حيث كانت معركة بودنا Pydona عام 168 ق.م حداً فاصلاً استطاع فيها القنصل الروماني لوقيوس ايميليوس باولوس L.Aemilius Paulus هزيمة الملك بريسيوس هزيمة نكراء أفنت الجيش المقدوني وأرغم بريسيوس على تسليم نفسه وعومل معاملة سيئة وتوفي في الأسر ، وبذلك انتهت دولة مقدونية من الوجود ، للمزيد انظر ، نصحي ، تاريخ الرومان ، ج1، 326.

(35) Livy, XLV, 19-20.

(36) الناصري، تاريخ وحضارة الرومان ، ص ص 184-185.

في هذه الوساطة سوف يضمن له وقوفه على الحياد، ثم عرض لكل مهمة من تلك المهمتين ثمناً أو مبلغ نقدي باهضاً الثمن لهذا العمل الذي سوف يقوم به، إذا طلب مقابل الوساطة 1500 تالنت و 1000 تالنت أخرى مقابل وقوفه على الحياد، وبالفعل تم الاتفاق بين الملكين حول الوساطة أو الحياد. كان هذا التصرف من قبل يومينيس من جملة الأسباب التي اغضبت روما، و هو ما تم ترجمته في رد السناتو عندما ذهب يومينيس إلى روما بعد انتهاء الحرب مع بريسيوس، حيث رفض السناتو مقابلته وأرسال مرسوماً بذلك مع الكوايستور يخبره بذلك، فاضطر يومينيس إلى مغادرة ميناء برنديزي والعودة إلى بلاده، وهذا الموقف من جانب روما يثبت أن يومينيس اصبح شخصاً غير مرغوب فيه ،[37] وأن عهود الصداقة، والتعاون التي وصلت إلى أن تقوم أساطيل برجامون بنقل القوات الرومانية أثناء حربها مع انطيوخس الثالث قد انتهت، وأسدل عنها الستار.[38] ولهذا عندما انتهت روما من صراعها مع بيرسيوس وتمت هزيمته عام 168 ق.م استقر عزمها على عدم الاحتفاظ بعلاقاتها مع برجامون بنفسه ما كانت قبل المعركة. حيث قللت من مكانتها، وانتهت عهود الوئام التي كانت تحتفظ بها روما بعد أن أُزيل الخطر المقدوني، فلم تر ما يبرر استمرار هذه السياسة، والاحتفاظ لبرجامون بهذه المكانة،[39] وذلك للأسباب ذاتها التي جعلتها تغير طريقة معاملاتها مع مملكة رودس، وما صدر من يومنيس أثناء الصراع المقدوني الروماني حيث وقف على الحياد عندما كانت كفة الصراع ترجح انتصار بيرسيوس، أي في السنتين الأولى للحرب، ولكن عندما انقلبت الموازين بعد تولى القنصل أيميليوس باولوس قيادة فيالق الجيوش الرومانية، وبدأ التقهقر على صفوف الجيش المقدوني تدخل يومنيس واخذا يعرض في القيام بالوساطة وامكانية الوصول إلى تسويه، أو تهدئه لهذه الحرب الهوجاء بين الطرفين. الأمر الذي فسرته روما وقوف يومنيس إلى جانب بريسيوس في هذه الحرب، حتى لا يتم دحره وتدمير جيشه وسحق مملكته [40]، وفي هذا يمكن القول أن يومنيس قد شعر بأن انتصار روما في هذه الحرب التي لعب هو دوراً هاماً في اشعالها، سوف يؤدي إلى زيادة ضغط روما عليه، وأنه أدرك بعد فوات الأوان ما سوف تتعرض له برجامون من خطر إذا ما أفلحت روما في الانتصار على مقدونيا. لذلك اتخذت روما محاولة التوسط بينها وبين مقدونيا لأنهاء الحرب بينهما من قبل يومنيس ذريعة لتغيير سياستها تجاه برجامون. [41] حيث استقر عزم روما على إنزال العقاب بكل خصومها، ولم تقتصر لائحة خصوم روما على من مدوا يد العون للملك المقدوني بريسيوس فحسب، وإنما شملت كل من حامت الشكوك حول تعاطفه مع مقدونيا، ولم يستثن من ذلك أحد حتى حلفاء روما وأصدقائها، وعملائها الأقدمين، سواء بين إغريق البلقان أو آسيا الصغرى، وقد تم هذا بمعاقبة من ناوأها، ومكافأة من بقي على الولاء لها. [42] وعندما حاول يومينيس تدارك الأمر مع الرومان وأن أعماله يساء فهمها وترجمتها بطريقة غير ذات مصلحة له ، أرسل أخيه اطالوس إلى روما في عام 167ق.م طالباً المساعدة ضد القالاتيين، ليجدد بذلك معاهدة التحالف الثي كانت قائمة مع روما ، وكذلك شكره وامتنانه لهم ، ويثبت أنه ليس بينه وبين

(37) أمل أحمد حامد عبدالعزيز، التحالف بين مقدونيا وإيلليريا (169-168 ق.م)،المرجع السابق، ص379

(38) Bevan,ll,op,cit,p107 (37)

(39) Polybus,Histories,XXX,1-3.

(40) EcKstein,The War with Perseus,428.

(41) Polybus,Histories,XXlX,5-8.

(42) فاروق حافظ محمد، روما وسقوط الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط، ص 212.

الرومان شيء، غير أن الرومان استغلوا وجود اطالوس بينهم في روما وحاولوا اغرائه بأن يطلب من أخيه يومينيس حكم جزءاً من مملكته، ولولا أن تداركه الطبيب الخاص لأخيه والعودة به مسرعاً لكاد اطالوس يقع في المحظور ويحدث الانشقاق بينه وبين أخيه يومينيس.[43]. في عام 159 ق.م تقريباً توفي ملك برجا مون وخلفه أخوه أتالوس الثاني **II Attalus** (187– 138ق.م) ، وبتولي هذا الحكم بدأت في حياة مملكة برجا مون مرحلة جديدة انتهت فيها فترة سيادة تلك المملكة، وأصبحت مجرد تابع لروما، وفي خلال فترة حكم أتالوس الثاني الذي دام إحدى وعشرين سنة وانتهى في عام 138 ق.م كان الملك حليفاً للرومان، و كان حريصاً على تلبية كل ما تطلبه ، ثم بعد ذلك خلفه على عرش برجا مون أخوه أتالوس الثالث **III Attalus** ، الذي حكم فترة قصيرة من (138– 133 ق.م) لم تتعدى خمس سنوات، وكان رجلا مضطرب ،غريب الأطوار، ناقماً على عمه الراحل، وقاسياً شكاكاً ، وقد دفعته قسوته وشكوكه إلي إعدام الكثير من كبار الشخصيات في مملكته، وما لبث أن انعزل عن الحياة السياسية ، وانصرف إلي ممارسة هوايته الخاصة في نحت التماثيل، واستنبات النباتات السامة، فأهمل شئون مملكته التي عانت في عهده الفوضى والاضطرابات الداخلية، وبعد خمسة سنوات من حكمه مات أتالوس الثالث عام (133 ق.م) ميتة فجائية وترك وصية أورث فيها مملكته للرومان.[44]

هكذا بدأ الحكم الروماني في آسيا الصغرى والذي كان يتطلب من روما مزيداً من التركيز والجهد العسكري ، لأن سياسة روما لم تكن بحجم مسؤولية هذه الولاية الجديدة التي ضمتها إلي ممتلكاتها ، فأصبحت وبالاً على أهالي برجا مون، حين تحول الحكام الرومان إلي جباة للضرائب فقط، وإلي ابتزاز واستغلال الأهالي ، فلقي السكان على أيديهم المعاناة التي زادت من تردي أوضاعهم، فنجم عن هذه السياسة الخاطئة التي انتهجتها روما ضد مملكة برجا مون فراغاً عظيماً ودخلت البلاد في أتون الفوضى، لم تفلح روما في إصلاحه ، ولم تتصد لمهام الحكم والدفاع التي كانت تقوم بها قوى برجا مون في المنطقة، وبذلك اختفت قوة برجا مون من مسرح الأحداث في آسيا الصغرى ،[45]وأصبح الأمر مستحيلاً في استيراد المواد الغذائية بشكل منتظم إلى بلاد اليونان من البحر الأسود ومن مصر وآسيا الصغرى وليبيا.[46]

## الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن إيضاح جملة من النتائج المهمة على النحو التالي:

كانت سياسة روما ضد مملكتي رودس، وبرجامون وليدة ظروف الحرب مع مقدونيا، الذي جعلها تدفع ثمن تعاطفهما مع الملك بريسيوس، وكان الجزء الأخر من هذه السياسة نتيجة لانتهاج ساسة روما أساليب تستهدف إحراز السيطرة على ممالك بلاد الإغريق وآسيا الصغرى بعد أن انتهت من تدمير اقوى هذه الممالك وهي مقدونيا، لأن مقدونيا كان قد توفر لها من عناصر القوة الحقيقية، والتحالفات مع الممالك المجاورة ما جعلها قادرة على خلق مشاكل حقيقية خطيرة على مستقبل روما السياسي، ولهذا باتت مقدونيا، وكل من دخل في فلكها

(43) P.V.M.Benecke, Rome and Hellenistic States,C.A,H,p286,287.

(44) Livy,LVlll, Appian,mit,62.
للمزيد انظر: روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ، 26.؛ فاروق ،روما وسقوط الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط ،219.

(45) (44) Appian ,mit,lll,lVll, 55-57.

(46) Rostovzeff,Translated Rome From Russian By J.D.Duff,Vl, 74.

من هذه الممالك ،خاصة رودس، وبرجامون قد أصبحت موسومة عند الرومان بأنها عدوة، خاصة بعد أن صادفت الاتهامات التي روجتها روما ضد هاتين المملكتين هوى لدى الرومان فأعلنوا عليهن حرباً، كانت غايتها القضاء على هذه الممالك، بعد أن رأت مبررات استمرار عهود الصداقة معها قد زالت بانتصارها في موقعة بيدنا، لقد كان الخطائين الكبيرين الذين تسببا في حنق روما الشديد على حليفتيها رودس، وبرجامون هو المحاولة للتوسط بين بريسيوس روما، وإنهاء الحرب قبل انتصار روما الحاسم ضد مقدونيا. ومنها بدأت روما في فرض التبعية على هذه الممالك، وحرمانها من ممارسة انشطتها الاقتصادية وبذر بذور الانشقاق، والفرقة بينهما، ولهذا لم تكن رودس، و برجامون لتنجو من هذا العقاب الصارم، والتعنت الروماني على بلاد الإغريق، وآسيا الصغرى، حتى تم تحويلها إلى ممالك تابعة لها، لقد اتخذت روما من الإجراءات ما كان من شأنه إيقاع الرهبة من سطوتها في نفوس الإغريق، ويزيل عن طريقها كل معارضة سياسية في المستقبل، وذلك بإبعاد كل السياسيين الإغريق المشكوك فيهم من البلاد، وتسليم مقاليد الحكم في المدن الإغريقية، وآسيا الصغرى التي أقامتها على أنقاض مملكة مقدونيا إلي زعماء تصطنعهم روما ليطيعوا أوامرها طاعة عمياء حتى لا تقف حجر عثرة في طريقها نحو الشرق الهيلينستي؛ لما لها من المكانة، والتأثير في القوة الإقليمية. ولهذا يتضح أن التحالفات منذ القدم هي بمثابة تدبير احترازي تلجأ إليه الممالك الصغيرة، أو الكيانات الضعيفة للحفاظ على نفسها في مواجهة القوى الأخرى التي تهدد وجودها، وهذا ما حدث لرودس وبرجامون ، وهو ما يعتبر نقطة البداية في وضع منطقة شرق البحر الإدرياتيكي تحت لائحة السياسة الخارجية الرومانية، وكانت هذه الممارسات الخطوة الأولى نحو التصادم مع الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط، وفرض السياسة الرومانية على حساب القوة الإقليمية.

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً ـ المصادر:


1- Plutarch,Life of Aemilius Paullus ,Perrin,B trans. London,1918.

2-Appian, Roman ,lllyrian,wars in (White.H(trans.),:Volume ll,8 Edition,2005).

3-APPians Roman History, XII, The Mithridatic Wars,eng. tran. by Horace White, M. A. (LCL, London, 1988)

4- Livy,ab urbe condita Books XL-XLll(Sage.E.T and Schlesinger.A.C (trans) ( London,1938).

5- Livy,ab urbe conditaXL-XLV(Schlesinger.A,C,(trans)),London,1991.

6- Polybius, Histories,trans by: Paton.W.R Vols l,ll.,lll,lV,V,Vl;ll,. ( LCL, London,1960).

7- Polybius, Histories,lV,lX,(Paton.W.R (trans.) Revised by Walbank.F.W and Habicht.C (Cambridge,2010).

8-PIutarch›s, pompey, V, eng. tran.by Bernadotte Perrin (LCL,London, 1990).

9- Strabo,Geography Vl ,XlV, V,5,(Jones.H.L (trans.)London,1924).

10- Sallustu,History ,Bellum Jughurthium, trans by: Rolfe.J,

C,LCL, London,1920

**ثانياً: المراجع العربية:**

**1- إبراهيم، نصحي، تاريخ الرومان، ج1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1998.**

**2- الناصري، سيد حمد علي، تاريخ وحضارة الرومان، الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة.1982.**

**3-رستوفتزف، م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ت زكي علي، ج1، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1957.**

**ثالثاً: المراجع الأجنبية:**

1- H. Stuart ,Jones piracy,»Roman Law Concerning Concerning piracy» Journal of Roman Studies,JRS, VoI.16 ,1926.

2- M. Rostovtzeff,Translated Rome From Russian by.J.D.Duff,E;ias J.Bickerman,London,Oxford,New york,1960.

3-Bevan. E.R, The House Of Seleucus, vol,1, (Chicago, 1985).

4-P.V.M. Benecke, Rome and Hellenistic States States188146- B.C,

C.A,H,Vol,Vlll,Ch,lX,Cambrige1932.

H.A,Ormerod,M.Cary,East,Rome,and,The,East»,C.A.H,vol,lx,ch,vlll, - 5

Cambridge,(1932).

6-H.A,Ormerod,Piracy in the ancient world,the press Of Liverpool, London,1924

7-P.V.M.Benecke,Macedonmian Monarchy,(217167-B.C), Roman, vol36,1,2,1946.

8-Whiehorne. John, Cleopatras,First Published.London,1994

9- Eckstein.A.M, The War with Perseus Rome Enters the Greek East (Chichester,2012).

**رابعاً: الرسائل العلمية:**

1-Jack james,lnterventions by the Roman Rrpublic in lllyrin 320167- BC,unive

Rsity of Exeter, September 2018.

**2- محمد فاروق ، حافظ ، روما وسقوط الممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط، مخطوطة رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1965.**

**خامساً: الدوريات:**

**1- أمل أحمد حامد، عبدالعزيز، التحالف بين مقدونيا وإيلليريا(169-168 ق.م)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد 54، يناير 2014.**

# السياسة الخارجية لكلوفس
# مؤسس المملكة الميروفنجية 481 ـ 511م

حنان إبراهيم محمد الورفلي
قسم التاريخ – كلية الآداب / جامعة بنغازي

الاستلام: 14.4.2024 القبول: 17.5.2024

**المستخلص:**

يعتبر تولي الملك كلوفس(481-511م) عرش مملكة الفرنجة عام 481م نقطة فاصله في تاريخ مملكة الفرنجة حيث استطاع الملك كلوفس تأسيس مملكة فعليه للفرنجة فهو يعتبر المؤسس الحقيقي لمملكة الفرنجة الميروفنجيين. فقد استطاع القضاء علي سياجريوس عام 486م الحاكم الروماني لبلاد الغال، واستطاع ايضا اخضاع الثورنجيون عام 491م، كما اخضع قبائل الألماني ايضا تحت سيطرته عام 496م. واستطاع كلوفس هزيمة القوط الغربيين في معركة فوليه عام 507م والسيطره علي اراضيهم في بلاد الغال، كما ان الملك كلوفس وحد قبائل الفرنجة تحت سيطرته.

**كلمات مفتاحية:** كلوفس – القوط الغربيين – الثورنجيون – سياجريوس – الالماني.

**Summary:**

The accession of King Clovis (481511-) to the throne of the Frankish Kingdom in 481 is considered a turning point in the history of the Frankish Kingdom, as King Clovis established an actual kingdom for the Franks. He is considered the true founder of the Merovingian Frankish kingdom. He could eliminate Syagrius, the Roman ruler of Gaul, in 486. He was also able to subjugate the Thuringians in 491. He also brought the Alemanni under his control in 496. Clovis defeated the Visigoths in the Battle of Volais in 507 and took control of their lands in Gaul. King Clovis also united the Frankish tribes under his control.

**Keywords:** Clovis - Visigoths - Thuringians - Siagrius - Alemanni.

## مقدمة:

كانت لدى الملك كلوفس بعد توليه عرش ممكلة الفرنجة عام 481م مهام متعددة أبرزها السيطرة على بلاد الغال، التي كانت مقسمة على أربعة أقسام، وهي: أولًا البلاد الواقعة بين جبال البرانس حتى نهر اللوار وصولا إلى إقليم بروفانس Provence[1] ومنه إلى أسبانيا ،

(1) بروفانس: تقع في جنوب شرق فرنسا، وتعد من أهم وأقدم المقاطعات الفرنسية الحالية، كان يطلق عليها قديما Provincia، يحدها من الشرق الحدود الإيطالية، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الغرب نهر الرون. أنظر ،
Moore, W.G, The Penguin Encyclopedia of Places, London, 1971, p.634.

وكانت تحت سيطرة القوط الغربيون[2]. وأما القسم الثاني؛ فكان تحت حكم البرجنديون، الذي يمتد من حوض وادي الساؤون والرون وما يليه شرقًا[3]. في حين كان القسم الثالث تحت نفوذ القوة الرومانية الغالية التي تمثل بقايا الامبراطورية الرومانية في بلاد الغال حيث مملكة سواسون التي حكمها سياجريوس **Siagrius** وتمتد بين نهر السوم واللوار محتلًا بذلك شمال البلاد[4]. أما قبائل الألماني **Alamanni** الذين نزلوا في أعالي نهر الراين والغابات السوداء، فقد مثلوا القوة الرابعة في بلاد الغال؛ فكانوا على خط المواجهة بين الفرنجة والقوة الرومانية، فضلًا عن ذلك كان هناك الثورنجيون الذين أسسوا دولة صغيرة بالقرب من الفرنجة البحريين المقيمين حول كل من كلوني وتريف، مما جعلهم محط أنظار الأطراف الأربعة المتصارعة[5]. وتزامن تولي كلوفس للعرش مع تنامي قوة القوط الشرقيين[6] في شبة الجزيرة الإيطالية بقيادة ملكهم سعى ثيوديريك العظيم**Theodoric the Great**[7] (489–526م)، لذلك قرر كلوفس توجيه قدراته للقضاء عليهم واحدًا تلو الآخر؛ وذلك لتدعيم سلطته وتوسيع رقعة مملكته، واتخذ كلوفس من عاصمته تورناي نقطة تحركاته لتوحيد اجزاء بلاد الغال.

---

(2) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى اوربه، دار الفكر 1982، ص77.

استطاع القوط في عهد ملوكهم أتولف Athavulf (410-415م)، واليا Wallia (415-420م)، ثيوديريك الأول Theoderic I(-420 451م)، ثيوديريك الثاني Theoderic II(453-466م) تأسيس مملكة للقوط الغربيين في جنوب بلاد الغال، حيث خَضع الجانب الأعظم من اسبانيا للقوط باستثناء الجزء الشمالى الغربى (جيليقية)، كما لم تمض عدة سنوات حتى كان القوط الغربيون قد استقروا في جنوب غالة وحول تولوز، وابتعلوا كل المنطقة بين نهري الجارون واللوار، وبسطوا سيطرتهم على مدن هامة مثل منطقة ناربون، بلنسية وبوردو Bordeaux وناربون وتولوز. للمزيد انظر،

Bury: History of the later Roman Empire : from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1 , University of Toronto, (New York. 1923), p. 196;

انظر أيضا، ابراهيم على طرخان : دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958، ص89-90؛ محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية في اوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (القاهرة 1975)، ص 57 ؛ محمود محمد الحويرى: رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، القاهرة 1995، ص 129-130؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ اوروبا في العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية 1986، ص74.

(3) Amelia B. Edwards, History of France : From the Conquest of Gaul by the Romans to the Peace of 1856, London, 1880, PP.2-3.

(4) Lewis Sergeant, The Franks From Their Origin as A Confedracr To The Establishment Of The Kingdom Of France And The German Empire, Paternoster Souare, London, 1898, , P.101.

(5) وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الآفاق العربية، القاهرة 2013، ص 56.

(6) ينتمي القوط الشرقيون لفرع الجرمان الشرقيين، وكانوا قد نزلوا بالجهات الواقعة شمال البحر الأسود Black Sea حول حوض نهر الدون Don وسهول روسيا الجنوبية ، وكان ذلك قرب منتصف القرن الرابع الميلادي. ولكن سرعان ما خضع القوط الشرقيين لقبائل الهون عام 375م، وعندما توفي أتيلا سنة 453م، طرحوا طاعه الهون، وشاركوا في تدمير إمبراطورتيهم واخذوا يؤدون دورهم الخاص كبقية الطوائف الجرمانية. للمزيد انظر، =

Jordanes: The Gothic History of Jordanes, eng. trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915), P. 123;

انظر أيضًا، سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، جـ1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 1972 ، ص85؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص37.

(7) تولى ثيوديريك العظيم (474-526م) عرش مملكة القوط الشرقيين بعد وفاة والده ثيوديمير عام 474م. وكان مصدر ازعاج وقلق للإمبراطور زينون، لذلك فكر الأخير في التخلص منه بمنحه إيطاليا، حيث عهد زينون إلى ثيوديريك بالتوجه –مع قومه- إلى إيطاليا بهدف تخليصها من أدواكر، وذلك حتى يبعده عن البلقان، ويتخلص من عبث قومه. وبالفعل استطاع ثيوديريك تأسيس مملكة للقوط الشرقيين بإيطاليا في ظل تبعية اسمية للإمبراطورية الشرقية وذلك عام 493م. للمزيد أنظر،

Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic,1968), p.14-16; Gordon,(C.d.) The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan , 1960), p.129, 150;

أنظر أيضًا، سعيد عاشور: أوروبا، جـ 1، ص86؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص38؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص99.

**أولًا: معركة سواسون عام 486م ضد الوجود الروماني في بلاد الغال:**

أوجد ضعف الامبراطورية الرومانية واقعًا جديدًا في المناطق التي كانت تخضع تحت سلطتها ومنها بلاد الغال، إذ سرعان ما نشبت الاضطرابات ضد إجيديوس**Aegidius** القائد الروماني في بلاد الغال، لتمتد وتشمل الأجزاء الشمالية باتجاه القبائل الجرمانية ومنهم : الفرنجة والألماني[8]. ولم تنجح محاولات إجيديوس التعسفية وزيادة فرض الضرائب على السكان في إعادة هيبة السلطة الرومانية على تلك المناطق، فالجميع مقت تلك السيطرة، سوى الكنيسة التي أثرت البقاء مع الرومان؛ لخشيتها من القبائل الجرمانية التي كانت بخلاف ديانتهم[9]. واعتقد إجيديوس أن بإمكانه تأسيس مملكة له ولاحفاده من بعده في بلاد الغال واتخذ لقب (ملك) وجعل من سواسون[10] **Soissons** مقرًا له[11] .

بعد وفاة اجيديوس تولى ابنه سياجريوس**Siagrius** الحكم الرومانى في بلاد الغال، وكان سياجريوس يمثل الارستقراطية الرومانية القديمة، حيث كان يحكم مملكة تضم كلا من ريمس، سانس **Sens**، تروي **Troyes** وشالون [12]**Chalons** ، اوكسير **Auxerre**، وباريس ويتخذ من سواسون عاصمة له، وبذلك سيطر سياجريوس علي الأراضي التي تمتد من سواسون وريمس في الشرق إلي حدود بريتاني[13] **Bretagne** في الغرب، وبحر الشمال من الشمال ومملكة القوط الغربيين في اقليم اكوتين من الجنوب[14]. وكان تعداد الجيش الروماني من سكان بلاد الغال يبلغ نحو ثمانمائة جندي، مزودين بالأسلحة والدروع الرومانية المعتادة[15].

وقد سعى الملك كلوفس لحشد قواته والقضاء على سياجريوس، وقام بالتحالف مع راجناشار **Ragnachar** ملك كامبري **Cambrai**، الذي كان يحكم المنطقة الممتدة من كامبري حتى اقصى شمال بلاد الغال وصولاً إلى المنطقة التي يحكمها سياجريوس[16].

---

(8) Godefoid Kurth, Clovis, Tome 1, Paris, 1901, P 226.

(9) J.B. Bury, The End of Roman in North Gaul, in Cambridge Historical Journal. Vol.1, Cambridge University Press,1924, P.198.

(10) سواسون: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي من باريس. وكان لمدينة سواسون موقع متميز؛ لقربها من نهر آيسن Aisne، كما كانت تضم قلعة حصينة صعبة الاختراق، فاختارها القادة الرومان لتكون حصنًا مناسبًا لهم في الحروب. انظر،

Kurth, Clovis, Tome 1, Clovis, , P 226; Moore : Encyclopedia of Places, p.727.

(11) Bury, The End of Roman in North Gaul, P.199.

(12) شالون : مدينة فرنسية تقع علي نهر المارن Marne في الشمال الشرقي من باريس، وتبعد حوالي 43كم من مدينة ريميس، وقعت بها معركة شالون سنة 451م بين الرومان والهون. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.165.

(13) بريتاني : Bretagne أو Britaney يحدها من الغرب المحيط الاطلنطي، ومن الشمال بحر المانش ونورمنديا، ومن الجنوب بواتو Poitou ومن الشرق مملكة الفرنجة، وعاصمتها هي مدينة ران Rennes. انظر ،

Moore : Encyclopedia of Places, p.127; Bouillet, M.N.. Dictionnaire Universel D'Histoire Et De Geographie. Paris: Librairie Hachette, Hardcover 1876, pp. 282-83

(14) Gregory of Tours: The History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974, P . 139 ;

أنظر أيضًا، فاطمة عبد اللطيف الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني، ص880-881.

(15) Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London ,1957), P.74.

(16) Gregory of Tours: Franks, P . 139 ; Fredegar, - Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888(, pp.1-194, P. 98; Woodruff,

وقد تضافرت مجموعة من العوامل التي أدت إلى توجه كلوفس لقتال سياجريوس، منها : أولًا خشية كلوفس من بقاء سلالة دائمة من الرومان المحاربين في بلاد الغال، ثانيًا أدراك كلوفس أن إعلانه حربًا خارجية سيضمن انضمام أقربائه إليه أمثال : راجناشار ملك كامبري وسيجبرت الأعرج Sigibert the Lame ملك الفرنجة البريين في كلوني، وبذكاء منه استطاع إقناع الفرنجة الآخرين في الانضمام إليه لمواجهة بقايا السلطة الرومانية في بلاد الغال[17]، ثالثًا أعتقد كلوفس أنه عند تخلصه من سياجريوس سيصبح الممثل الوحيد للإمبراطورية الرومانية في بلاد الغال والغرب الروماني[18].

ولذلك قرَر الملك كلوفس في السنة الخامسة من حكمه – عام486م- استرداد مناطق شمال بلاد الغال التي كانت خاضعة لسياجريوس، وأرسل لهذه المهمة قريبه راجناشار الذي كان معروفًا بقوته بين قبائل الفرنجة[19]؛ فأخبر الأخير سياجريوس أن المناطق المتنازع عليها في سواسون ستُحل بالطريقة المعروفة لحل النزاعات في ذلك الوقت (أي بالحرب) في حال لم يسحب قواته، غير أن سياجريوس لم يخش كلوفس، وقرر مواجهته عسكريًا[20].

وبموجب ذلك تحركت قوات كلوفس إلى شمال بلاد الغال، واستولى على مدنها، وأسر عددًا كبيرًا من الغاليين، وأطلق سراح بعضهم مقابل فدية[21]، وحينما سمع سياجريوس بتقدم كلوفس حشد قواته قرب سواسون ووقعت معركة عُرفت بمعركة سواسون Battle of Soissons عام 486م. ولكن لم تستمر المعركة طويلًا؛ إذ سرعان ما انهارت القوات[22]؛ وفر سياجريوس إلى آلاريك الثاني[23] Alaric II (485–507م) ملك القوط الغربيين في مدينة تولوز Toulouse[24]، وبسبب ضغط كلوفس قرر آلاريك الثاني تسليمه إياه؛ لخوفه من خوض

---

Jane Ellen, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987, p.27; Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888), P.251; Bachrach, Bernard S ,Merovingian Military Organization 481-751, University of Minnesota Press, 1972, P.4;

أنظر أيضًا، عليه عبد السميع الجنزورى: جريجورى التورى ، ص 88؛ محمود سعيد عمران: المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، (بيروت 1980)، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص882،887.

(17) Perry, The Franks, P.72.

(18) علية عبد السميع الجنزوري، جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1988، ص 89.

(19) Gregory of Tours, Franks,P.139; Fredegar, III, MGH SRM II, P. 98; See also, Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar,, p.27;

(20) Gregory of Tours, Franks, P.139.

(21) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ اوربا، ص٨٩ .

(22) Gregory of Tours: Franks, P . 139 ; See also, Philip Van Ness, The Middle Ages, Part 1, Ginn Company Press U.S.A,1902, P.22 ;Bachrach: Merovingian Military, P.4;

أنظر أيضًا، عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 88؛ محمود سعيد عمران: المؤرخ جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص882،887.

(23) تولى الملك آلاريك الثانى (485-507م) عرش القوط الغربيين بعد وفاة والده الملك إيورك، وحكم في مدينة تولوز Toulouse، وظل في الحكم لمدة 23 عاما. انظر،

Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi , Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970), p. 18.

(24) تولوز : مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا على ساحل البحر المتوسط، وتعد تولوز جزءاً من اقليم اكوتين، وكانت أول عاصمة لمملكة القوط الغربيين حيث اتخذها الملك اتولف (415-410م) عاصمة له. انظر، ابراهيم طرخان: القوط الغربيين، حاشية ص139؛

Wood , I .The Merovingians kingdoms , 450 – 751 , (London and Newyork . 1991), p. 47; Moore:

معركة مع كلوفس[25]، وعندما أصبح سياجريوس في قبضة الملك كلوفس أمر بحبسه حتى اكتملت له السيطرة على كل مملكته، ثم أمر بقتله فيما بعد[26] .

وبذلك قضى الملك كلوفس على آخر أثر للسلطة الرومانية في بلاد الغال في معركة سواسون سنة 486م وعلى الرغم من سقوط الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية عام 476م إلا أنه كان لابد من القضاء على ممثل تلك السلطة في بلاد الغال مما يعطي كلوفس الشرعية فيما بعد بحكم بلاد الغال، حيث أن الفرنجة ظلوا يحسبون أنفسهم جنودًا تابعين لها[27]. وقد نصب كلوفس نفسه ملكًا في ولاية بلجيكا الثانية الرومانية ومؤسسًا للأسرة الميروفنجية بين نهري السوم واللوار، وأصبحت بلاد الغال مقسمة بين الفرنجة في شمالها، والقوط الغربيين في المنطقة الجنوبية، والبرجنديينBurgundians[28] في المنطقة الممتدة بين جبال الألب[29] ونهر الرون أي جنوب شرق بلاد الغال[30].

ذكر سعيد عبد الفتاح عاشور إن أغلب المؤرخين يميلون إلى عدم اعطاء كلوفس صفة الفاتح بكل ما تحمله الكلمة من معنى، واصفًا حربه مع سياجريوس بأنها صدام بين زعيمين طموحين أكثر منه بين قوميتين متعاديتين[31]. ولعل كلوفس كان صبيًا طموحًا مغامرًا راغبًا في توسيع حدود مملكته، عبر مد سلطته في عموم بلاد الغال.

ويرى الباحث أن انتصار كلوفس على سياجريوس مثّل ركيزة اساسية في فتوحات الملك كلوفس فيما بعد، وكانت مملكة سياجريوس نقطة الانطلاقة لفتوحات كلوفس التالية، الذي نجح في القضاء على آخر أثر للسلطة الرومانية في بلاد الغال، مما مهد له الطريق في الاستيلاء على باقي بلاد الغال، ونجح في أن يحل محل السلطة الرومانية هناك، وعلى الرغم من سقوط الامبراطورية في الغرب إلا أنه كان لابد من القضاء على ممثل تلك السلطة في بلاد الغال؛ مما يعطى كلوفس الصفة الشرعيه فيما بعد لحكم بلاد الغال.

بعد ذلك استقر الملك كلوفس في قصر مدينة سواسون، وتمكن من السيطرة على المنطقة

Encyclopedia of Places, P.790.

(25) Gregory of Tours: Franks, P. 139 ; Liber Historiae Francorum, P.251; See also, Lynn Thorndike, The History of Medieval Europe, U.S.A, 1928, P.90.

(26) Gregory of Tours: Franks, P. 139 ; See also, Sergeant, , The Franks, p.103.

(27) Gregory of Tours: Franks, P. 139 ;

أنظر أيضًا، عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 88؛ محمود سعيد عمران: المؤرخ جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص882،887.

(28) البرجنديين: هم أحد الشعوب الجرمانية الشرقية، التي هاجرت من موطنها الأصلي في شبه جزيرة اسكندیناوة من جزيرة بورجندرام التي احتفظت باسمهم Burgunarholm، واستقروا بين نهري الاودر والفستولا في القرن الأول الميلادى، وفي حوالى سنة 150م نزحوا إلى سيليزيا Silesia(بولندا حاليًا)، وبلغوا نهر الراين في نهاية القرن الرابع الميلادي، واستقروا هناك فترة من الزمن. وفي بداية القرن الخامس سمحت الإمبراطورية لهم بالاقامه على الضفة اليسرى لنهر الراين حول ورمز Worms وسباير Speyer ومايانز Mainz وستراسبورج Strasbourg، وفي عام 413م اتخذوا من مدينة ورمز عاصمة لهم، وأصبحوا معاهدين Foederati للإمبراطورية الرومانية. لمزيد من التفاصيل انظر، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967، ص88؛ محمد الشيخ: الممالك الجرمانية، ص29؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، ص75؛ محمود محمد الحويرى: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص140-141؛؛ بدران عبد الونيس محمد : البرجنديون في غالة (534-473م)، رسالة دكتوراه غير منشور بكليه الآداب جامعة المنيا 2019، ص 5، 9-8، 19، 23.

(29) جبال الألب Alps : هي سلسلة جبلية كبيرة تقع جنوبي أوروبا الوسطى، وتكون قوساً عظيماً يمتد من سواحل البحر المتوسط بين فرنسا وإيطاليا إلى سواحل بحر الادرياتيك بيوغوسلافيا ويقع طرفها الشمالي الاقصى في بافاريا. انظر،

Moore: Encyclopedia of Places , p.30.

(30) كرستوفر دوسن، تكوين أوربا، ترجمة مصطفى زيادة وسعيد عاشور، القاهرة 1967، ص 115.

(31) سعيد عاشور، أوربا ، جـ1 ، ص 79.

المتدة من سواسون إلى حدود باريس **Paris** تقريبًا، كما حاصر باريس أيضًا واستولى عليها بعد حصار دام خمس سنوات.[32] كما تمكن كلوفس من الاستيلاء على أموال الخزانة الرومانية، التي عُدت أساسا للثروة التي جمعها كلوفس فيما بعد، وشكلت ركيزة أساسية له وللأسرة الميروفنيجية[33]. وإلى جانب تلك الأموال احتوت الخزينة الرومانية على العديد من الغنائم التي سرعان ما اقتسمها مع جنوده، واضافة مساحات شاسعة من الأراضي والملكيات الخاصة دون انتزاعها من مالكيها، مثلما فعل البرجنديون والقوط الغربيون في بلاد الغال[34] . ولعل ترك الأراضي لأصحابها كان من العوامل التي ساعدته في فتح بلاد الغال.

وجدير بالذكر، لم تعترض المدنُ الرومانية الغالية على دخول كلوفس وجيشه إليها بسبب كرهها لحكم إجيديوس وابنه، وتعزز وضع كلوفس في المنطقة لاسيما بعد أن وصلت إليه رسائل من كنيسة ريميس تُبارك له النصر، وتسأله اللطف بمعاملة الرعايا، ولاسيما المسيحيون، واعترفت كذلك الكنيسة بسيادته الشرعية في سواسون، وعزز موقف الكنيسة دخول كلوفس وجيشه بسلام في المنطقة، دون مقاومة من الأهالي[35]. لكن هذا لا يعني أن جيش كلوفس لم يخرب وينهب بعض القرى والكنائس، فقد نُهبت العديد من الكنائس دون الاكتراث بقدسيتها ؛ لأنهم ما زالوا وثنيين. وسرقوا الكثير من المجوهرات والنفائس الموجودة في كنيسة سانت ريميس، من بينها وعاء كبير دقيق الصنع وأشياء أخرى ثمينة كانت تستعمل في الكنيسة[36].

وهكذا استطاع كلوفس أن يوسع سيطرته على انحاء بلاد الغال كلها فيما عدا برجنديا **Burgundy** وسبتمانيا[37] **Septimania** وبروفانس [38]، واكوتين وبذلك مهد السبيل لقومه للانتشار فوق الجهات الشمالية من غالة، وبذلك نجح الملك كلوفس في تأسيس مملكة للفرنجة في غالة.

### ثانيًا: حرب كلوفس مع مملكة ثورنجيا Thuringia عام 491م:

لم يكتف الملك كلوفس بالانتصارات السابقة التي احرزها واستيلائه على مملكة سواسون، وانما واصل حروبه ضد الثورنجيين[39] **Thuringians** ومملكة ثورنجيا. حيث تشير الاحداث

---

(32) Bachrach: Merovingian Military, PP.4m5-6.

(33) Kurth, Clovis, Tome 1, P.238.

(34) محمد مرسي الشيخ: الممالك الجرمانية، ص188-189

(35) Kurth, Clovis, Tom 1, PP.239-240.

(36) Gregory of Tours, Franks, P.139.

(37) سبتمانيا: منطقة ساحلية تمتد من جبال البرانس غربأ إلى مصب نهر الرون شرقا، سُميت بذلك الاسم لانها تشمل سبع مدن وهم نيم وناربون واجديا وبيرنييه ولوديف وكراكسون وعاصمتها مدينة ناربون. انظر ، اينهارد: سيرة شارلمان، ت عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر دمشق 1989.، حاشية ص113؛ نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان(768-814م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعه بنها 2005، حاشية ص 56.

(38) محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان(768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003، ص25.

(39) الثورنجيين: هم إحدى القبائل الجرمانية الغربية، التي استوطنت في المنطقة الواقعة جنوب غرب المانيا علي الضفة اليسرى لنهر الراين بالقرب من الفرنجة البحريين المقيمين حول كل من كلوني وتريف Treves، وقد عُرفت تلك المنطقة باسم ثورنجيا نسبة إلى اسمهم وفي أواخر القرن الخامس استطاع الثورنجيون تأسيس مملكة واسعة لهم امتدت حتى نهر الدانوب، ووصلت إلى ذروتها في النصف الأول من القرن السادس حتى استطاع الفرنجة القضاء عليها تمامًا عام 531م. للمزيد انظر ،

Pfister, CH. : " Gaul under the Merovingian Franks ", In Cambridge Medierval History Vol . II , Cambridge. 1913 , P.110;

انظر أيضًا، عليه الجنزورى: جريجورى التورى، ص 90.

التاريخية إلى أن علاقة الملوك الميروفنجيين بالثورنجيين كانت جيدة فى بداية الأمر، حيث عندما ثار الفرنجة ضد ملكهم شلدريك الأول Cheldric I (456-481م) وأجبروه على التنازل عن العرش وطردوه من المملكة، فأنه هرب إلى مملكة ثورنجيا واحتمي بملكها بسينوس Bisinus وزوجته باسينا Basina [40]. وهذا يدل العلاقات الطيبة بين المملكتين.

واستمرت العلاقات الطيبة بين المملكتين الثورنجيين والفرنجة حتى تولى الملك كلوفس عرش مملكة الفرنجة، حيث سرعان ما تغيرت تلك العلاقات وأصبحت عدائية، فقد اصطدمت مملكة الثورنجيين بطموحات الملك كلوفس الشاب، حيث كان الأخير ملكًا طموحًا يحاول توسعة مملكته على حساب جيرانه، فتوجهت انظاره إلى مملكة الثورنجيين المجاورة التى تُعد أضعف الممالك مقارنة بالممالك الأخرى. وعلى الرغم من شحة المعلومات التي تشير إلى حرب كلوفس مع الثورنجيين، إلا أن هناك اشارات متواضعة إلى هذه الحرب. فيذكرالمؤرخ جريجوري التوري أن كلوفس في السنة العاشرة من حكمه -أي عام 491م - قام بغزو مملكة الثورنجيين وتمكن من اخضاعها لحكمه[41]، ويقال: أنه ضم محاربيهم إلى جيشه، بل انه دعى أيضًا قوات اجنبية للسير تحت اعلامه[42]. ومع ذلك لا يوجد شيء دقيق معروف عن هذه الحملة إلا أن كلوفس كان منتصرًا، ومع ذلك، يمكن الافتراض أنه نتيجة لهذه الحملة أن أصبحت مصالحه متعارضة بشكل أكبر مع مصالح قبائل الألماني على طول نهر الراين الأوسط ومع مصالح البرجنديين في الجنوب، وبذلك أصبح الصدام مفتوحًا مع تلك القبائل[43].

يتضح مما سبق، أن الملك كلوفس بدأ يخطو الخطوات الأولى نحو الاستيلاء على بلاد الغال بالكامل، فبعد أن مكث عدة سنوات في الاستيلاء على مملكة سياجريوس، نجد إن انظاره اتجهت نحو مملكة الثورنجيين، وبالنظر إلى تلك الاحداث نجد أن حملات كلوفس الخارجية كانت تسير وفقًا لخطة معينه وليست عشوائية، فقد اختار كلوفس مملكة الثورنجيين دون غيرها حيث كانت أضعف الممالك في ذلك الوقت، مما يؤدي إلى نجاح مهمته. وبذلك استطاع كلوفس أن يوسع موارده ويزيد من عدد جنوده لكي يستعد للحملات القادمة.

### ثالثًا: حرب كلوفس مع قبائل الألماني، معركة تولبياك 496م:

كانت الخطوة التالية لجهود كلوفس الحربية هي حروبه ضد قبائل الألماني Alamanni ، وترجع قبائل الألماني Alamanni إلي عنصر الجرمان الغربيين، وقد نزحت من موطنها الأصلي في شبه جزيرة اسكندنافيا [44]، وقد ورد أول ذكر لقبائل الألماني في المصادر التاريخية في كتاب المؤرخ الروماني كاسيوس ديو Cassius Dio في سياق حديثه عن حملة الإمبراطور كاركالا علي قبائل الألماني عام 213م[45]، حيث كانت قبائل الألماني تقيم بالقرب من ملتقى

(40) Gregory of Tours: Franks, P . 128; Fredegar, III, MGH SRM II, P.95.

(41) Gregory of Tours, Franks, P.140; Liber Historiae Francorum, P.253; See also, Bachrach: Merovingian Military , PP.5-6;

انظر أيضًا، عليه الجنزوري: جريجوري التورى، ص 91.

(42) Pfister : Gaul under the Merovingian Franks ", P.111;

انظر أيضًا، عليه الجنزوري: جريجوري التورى، ص 91.

(43) Bachrach: Merovingian Military , PP.5-6.

(44) الشيخ، الممالك الجرمانية ، ص 12.

(45) Cassius Dio : Dio's Roman History ,trans by Ernest Cary ,(Loeb Classical Library in 9 volumes),Harvard university press, London 1955 , Vol 9, P.309;

نهري الراين والدانوب، وكانت تهدد حدود الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم قاد الإمبراطور كاركالا حملة تأديبية تمكن فيها من سحقهم. ثم ظهر خطرهم مرة أخري ايام الإمبراطور كلوديس القوطي الذي تمكن من هزيمتهم عام 269م[46]. وكانت علاقة الألماني بالإمبراطورية الرومانية علاقة عدائية، بل كانوا يقومون بعدة حملات على حدود الإمبراطورية بين الحين والآخر بغرض السلب والنهب. وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية دخلوا إلى بلاد الغال واستوطنوا في جنوب شرق البلاد، على حدود أراضي مملكة الفرنجة البريين وملكهم سيجبرت الأعرج في الراين السفلي[47]. وبعد ذلك بدأت تلك القبائل بالزحف من جنوب شرق بلاد الغال؛ لكن ضغط البرجنديين عليهم، اضطرهم إلى الذهاب لأراضي الفرنجة التي حررها كلوفس حديثًا وتحديدًا في عام490 م، ولكن لم تشكل قبائل الألماني في البداية خطرًا على كلوفس وقبيلته[48]. ومع ذلك بعد أن نظم كلوفس اوضاعه الداخلية في شمال بلاد الغال أستأنف نشاطه العسكري من جديد، قرر مواجهة قبائل الألماني بعدما استنجد به أقرباؤه من الفرنجة البريين وملكهم سيجبرت الأعرج، لكثرة تعرضهم لهجمات الألماني وحوداث السلب والنهب التي تضاعفت مؤخرًا، فأسرع بتجهيز جيشه عام496 م والتوجه نحوهم[49].

يتضح مما سبق أن قبائل الألماني كانت تسبب نوعًا من الازعاج لاقرباء كلوفس، وكان بامكان الملك كلوفس أن يغض الطرف ويترك اقربائه فريسه لهؤلاء، ولكن ملكًا طموحًا مثل كلوفس يسعى إلى استغلال كل الظروف والاحوال المواتية، كان لابد له أن يستغل تلك الفرصة، أولًا لنجده اقربائه من الفرنجة البريين من هجمات قبائل الألماني مما يعود عليه بالنفع فيما بعد، عندما يطلب مساعدة اقربائه، ثانيًا كسر شوكة قبائل الألماني مؤقتًا استعدادًا للقضاء عليه فيما بعد والاستيلاء على أراضيهم كما سوف يتضح فيما بعد.

على أية حال، تحصنت قبائل الألماني في قلعة تولبياك التي تبعد نحو ثلاثين ميلاً جنوب مدينة كلوني، اشترك في هذه المعركة نحو ستة آلاف جندي من الطرفين، ضم كلوفس إلى جانبه مجموعات متنوعة من الفرنجة الساحليين والفرنجة البريين بقيادة سيجبرت الأعرج، وكانت أعداد قبائل الألماني تفوق قوات الفرنجة بقليل، والتقى الجيشان في تولبياك، ولم يعتمد كلوفس أسلوب الحصار بل الهجوم المباشر، الأمر الذي نجم عنه مقتل كثير من أفراد جيشه، وبدت المعركة شبه محسومة للألماني، لكن سرعان ما تغير الموقف وحسم النصر لصالح جيش كلوفس[50]. بعد مقتل ملك الألماني فر جزء من اتباعه، أما الجزء الباقي؛ فقد استعطف كلوفس لوقف المعركة والدخول في طاعته، وبالفعل أمر كلوفس بوقف المعركة، وبعد المفاوضات عُقدت هدنة بين الطرفين[51].

---

أنظر أيضًا، سيد أحمد على الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ، القاهرة 1991 .، ص 333.

(46) سيد الناصرى: الإمبراطورية الرومانية، ص 376.

(47) Richard H.Lawson, Linguistic Transmission on the Frankish-Alemannic-Ostrogothic Frontier in the Sixth Century, Revue belge de Philologie et d'Histoire Year 1978 56-3 , P.565.

أنظر أيضًا، محمد الشيخ: الممالك الجرمانية ، ص ٤١٢؛ سيد الناصرى: الإمبراطورية الرومانية، ص 333،376.

(48) Lewis Sergeant, The Franks, P.116; Bachrach: Merovingian Military , P.6.

(49) سعيد عاشور : أوربا ، جـ 1، ص 82.

(50) Gregory of Tours, Franks P.153 ; Bachrach, Merovingian Military, PP.15-16.

(51) Gregory of Tours, Franks P.143 ; Liber Historiae Francorum, PP.261-263;

أنظر أيضًا، سعيد عاشور: أوروبا ، جـ 1 ، ص 82؛ محمود سعيد عمران : المؤرخ جريجوري التوري، ص ٣١.

وهكذا يتضح أن الملك كلوفس نجح في هزيمة قبائل الألماني وطردهم من منطقة الراين السفلى، مما أسفر عن ترك الفرنجة البريين وشأنهم. ولكن يبدو أن الملك كلوفس لم يستفيد من وراء تلك المعركة، حيث ترك الاراضي التي استولى عليها لحليفه سيجبرت الأعرج بسبب قربها من أراضي الفرنجة البريين، ولكن يتضح أن كلوفس اعتمد لاحقًا على مساعدة سيجبرت أثناء غزو الجزء الشمالي من مملكة القوط الغربيين.

وقد افترض العديد من الباحثين وقوع معركة ثانية هي معركة ستراسبورج **Strasbourg** في عام 506 م، والتي يُفترض أنها وقعت بين قبائل الألماني والفرنجة، والتي أدت إلى هزيمة ودمج قبائل الألماني الشماليين نهائيًا في مملكة الفرنجة، في حين أن قبائل الألماني الجنوبيين فروا الي إقليم رايتيا **Rhaetia** ووضعوا أنفسهم تحت حماية ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين[52]. حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى إشارات غير مباشرة إلى معركة ثانية محتملة بين الألماني والفرنجة، منها خطاب من ثيودريك العظيم يرجع تاريخه إلى عام 507/506م إلى صهره الملك الميروفنجي، كلوفس الأول، يتحدث عن المعارك التي اشتبك فيها كلوفس مع الألماني. وفي هذه الرسالة، يدعو ثيودريك إلى تخفيف حدة غضبه ضد الألماني، ومعاقبة أولئك الذين كانوا غير موالين فقط والكف عن محاربة بقية الألماني. حيث وضع ثيودوريك الألماني الذين فروا تحت حمايته الشخصية[53].

وبالفعل تَسَلم كلوفس رسالة من ثيودريك ملك القوط الشرقيين بعد انتهاء المعركة كتبها الكاهن كاسيدروس **Cassiodorus** وعُدت تلك الرسالة من الوثائق المهمة في عهد كلوفس وحروبه، وقد أثنى الملك ثيودريك في تلك الرسالة على انتصار كلوفس الساحق على قبائل الألماني، ونصحه بمعاملة الأسري بلطف ومعاقبة الخائن، كما نصحه بمسامحة قبائل الألماني الذين لجأوا إليه في إيطاليا وعدم اللحاق بهم، وختم الرسالة بتمني النجاح له، وأن إيطاليا فرحةً بنصره[54].

وبالفعل قد عانى الألماني في معركة تولبياك عام 496 م، من الهزيمة القاسية على يد كلوفس. ونتيجة لذلك يبدو أن بعض الألماني أصبحوا تحت حماية كلوفس، ويُفترض أن هؤلاء الألماني قد انتهكوا بعد ذلك معاهدتهم مع كلوفس، ولهذا السبب تعرضوا للاضطهاد مرة أخرى ووقعت معارك أخرى بين كلوفس الألماني. ولذلك يعتقد العديد من الباحثين أنه في عام 506 م وقعت المعركة الثانية بين الألماني والفرنجة[55].

مثل انتصار كلوفس في حربه بعد أن كان خاسرًا في بدايتها نقطة خلاف بين المؤرخين لاسيما وأن جريجوري التوري قد أوعز سبب النصر الى طلب كلوفس النصر ولأول مرة

(52) Geuenich, Dieter. “Chlodwigs Alemannenschlacht (en) und Taufe”, pp. 423–37. In D. Geuenich, ed., Die Franken und die Alemannen bis zur “Schlacht bei Zülpich” (496/497). Berlin: de Gruyter, 1998, P. 429; Eugen Ewig. Die Merowinger und das Frankenreich, 5th updated edition, Stuttgart: Kohlhammer Verlag, 2006, PP. 24-25;

أنظر أيضًا، سعيد عاشور: أوروبا ، جـ 1 ، ص 82.

(53) Cassiodorus, Selected Variae, Translated: S. J. B. Barnish, Liverpool University Press, 2006, PP.43-44.

(54) Cassiodorus, Selected Variae, PP.43-44.

(55) Geuenich, “Chlodwigs Alemannenschlacht(en) und Taufe, p. 429; Ewig. Die Merowinger und das Frankenreich, PP. 24-25; Hoops, Johannes. *Reallexikon der Germanischen Altertumskunde*, **Vol. 9, Berlin: de Gruyter, 1995;** p. 372.

من السيد المسيح قائلًا: "بانه سيترك عبادة الأوثان في حال انتصاره في هذه الحرب"، أما المؤرخون المعاصرون ومنهم ايان وود؛ فينكرون هذه القضية، ومن المحتمل أن جريجوري التوري حاول أثبتها؛ لأنه يميل إلى الجانب الديني، إذ غدت تلك المعركة أساس تحول كلوفس إلى المسيحية، في حين رجح المؤرخ برنارد بشاراش Bernard Bachrach "أن سبب انتصار كلوفس في المعركة جاء بعد مقتل ملك الألماني وتشتت جيشه من بعده، إذ لم يكن لديهم قائد آخر يقودهم في المعركة"[56].

كانت نتائج تلك الحرب مهمة بالنسبة لكلوفس والفرنجة، إذ توسع الفرنجة في الاتجاهين الشرقي والشمالي الشرقي في اعالي الراين من جهة، كما ترتب على نجاح الفرنجة في صد قبائل الألماني عدم قطع الصلة بين الفرنجة من جهه ووطنهم الجرماني الأصلي فيما وراء الراين من جهة أخرى، فضلًا عن نجاح الفرنجة في إيقاف أي توسع لباقي القبائل الجرمانية الأخرى مثل السكسون والثورنجيين والبافاريين[57].

**رابعًا: كلوفس والحرب الأهليَّة البرجندية عام 501/500م:**

حاول الملك كلوفس ان يدلو بدلوه في الحرب الأهلية البرجندية في مملكة برجنديا ويستفيد من الوضع الراهن، وفي واقع الأمر كانت الحرب الأهليَّة البرجندية في الأساس كانت قتالًا بين جندوباد وشقيقه جوديجزل على حكم مملكة البرجنديين. وفي عام 500م كان الصراع بين الطرفين على أشده مما هدد بزوال المملكة[58]. يضاف إلى ذلك أن جندوباد هذا كان قد قتل شقيقه الملك البرجندي شيلبريك الثاني Chilperic II (473-486م) والد كلوتيلدا، الأمر الذي جعل الاخيرة تكن حقدًا شديدًا لعمها جندوباد. وقد تهيأت الفرصة للملك كلوفس لقتال جندوباد عندما لجأ جوديجزل إلى كلوفس- بعدما سمع عن انتصاراته - يطلب منه المساعدة للقضاء على شقيقه جندوباد سواء بالقتل أو بالطرد من المملكة، وذلك نظير الجزية التي يحددها كلوفس[59].

وبالفعل أرسل جوديجزل سرًا سفراءه إلى كلوفس يطلب مساعدته في الحرب ضد شقيقه، واعدًا إياه «بالمبلغ الذي يحدده كجزية سنوية»[60]. وقد وافق كلوفس على ذلك بسرعة ووعده أن يأتي لمساعدته «متى ادعت الضرورة ذلك». وبالفعل تم الاتفاق على مجموعة من البنود يمكن استخلاصها فيما يلي:

(56) Bachrach, Merovingian Military, P.17.

(57) سعيد عاشور، أوربا ، جـ 1، ص 82.

(58) ليس من المعروف اسباب الصراع بين جندوباد وشقيقه جوديجزل، ولكن يبدو أن اختفاء شقيقهما شيلبريك كان السبب الرئيسي للصراع بين الأخوين. حيث ذكر مؤلف «سيرة القديس سيجسموند" "Passio Sancti Sigismundi": **"أنه عند وفاة الملك البرجندي شيلبريك، استولى جندوباد على ثلثي الميراث، ولم يتبق لجوديجزل سوي الثلث الأخير». ولكن من المؤكد أن أسباب ذلك الصراع هو التفوق المادي لجندوباد على جوديجزل، المعترف به من قبل المعاصرين ويشهد به عدد من الحقائق لا بد أنه كان مؤلمًا جدًا لجرديجزل، وبالتالي كان التنافس على المصالح والغرور هو التفسير الأكثر عقلانية للحرب بين الأشقاء. للمزيد انظر،**
Passio Sancti Sigismundi Reges et Martyris et Sociorum, ed. By. Krusch and W. Levison,
(M. G. H), Scriptores Rerum Merowingicarum, (Hannover, 1888), p. 333; See also Godefroid Kurth: Saint Clotilda, London, 1906, P.59;

انظر أيضًا، بدران عبد الونيس: البرجنديون في غالة، ص 63.

(59) محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى (492-770م) نورحوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق 2020، ص 155.

(60) Gregory of Tours, Franks, P.145; Fredegar, III, MGH SRM II, P. 102; Woodruff : The Third book of the Chronicle of Fredegar,, p.37.

1. أن يقوم كلوفس بغزو برجنديا، على أن ينضم إليه جوديجزل في ساحة المعركة[61].

2. أن يتم تقسيم المملكة البرجندية بين كلوفس وجوديجزل بعد القضاء على جندوباد.

3. أن يتعهد جوديجزل بمنح كلوفس جزية سنوية.

4. أن يقوم جوديجزل بإشعال نار الفتنة في هيلفتياHelvatia، حيث يوجد إقطاعه وأعوانه الإقطاعيين، في حين يقوم ملك الفرنجة بمهاجمة جندوباد في وادي نهر السارون[62].

وبطبيعة الحال لم يتردد الملك كلوفس في المشاركة في تلك الحرب، وكان هنالك أكثر من سبب لتدخله في النزاع الدائر، منها أن أغلب حروب كلوفس اتخذت طابعًا دينيًا بعد تعميده، وكان مناصراً للدين المسيحي الكاثوليكي، واقدم على محاربة الهراطقة والخارجين عن المذهب الكاثوليكي، ولذلك كانت مشاركته في تلك الحرب فرصة مناسبة لدعم توجهاته الجديدة، إذ يدين عامة الشعب البرجندي بالمذهب الآريوسي وعلى رأسهم ملكهم جندوباد، أمّا السبب الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقه؛ فهو أن كلوفس سيفرض نفوذه على كل مدن جنوب شرق بلاد الغال من نهر الرون إلى مقاطعة مرسيليا، وفي حال نجاحه بهذه المهمة سيضمن دخول البرجنديين إلى جانبه في حروبه القادمة[63].

ثم طبقًا لما ذكره جريجوري التوري لدى سماع جندوباد بأخبار تحرك كلوفس ولم يكن على علم بالاتفاق الذي تم بين كلوفس وشقيقه، أن أرسل إلى شقيقه جوديجزل يطلب المساعدة منه ضد الفرنجة، وخدعه جوديجزل بأنه سوف يساعده[64].

وقد ذكر المؤرخ جريجوري التوري أن عملية التفاوض بين كلوفس وجوديجزل كانت تجري في سرية تامة، ولم يشك جندوباد في شقيقه ولو للحظة[65]. وبالفعل تقدمت الجيوش الثلاثة إلى نفس النقطة، وجاؤوا بكل معداتهم الحربية إلى ديجون [66]Dijon قرب نهر أوخOuche (بوسط فرنسا)، وما أن دارت رحى المعركة حتى انضم جوديجزل إلى كلوفس وسحقت قواتهم المتحدة جيش جندوباد. وهنا فر جندوباد بعد أن اكتشف خيانة شقيقه، واتخذ الطريق على طول سواحل الرون حتى وصل إلى مدينة أفينون Avignon وتحصن بها[67] .

(61) Wood: The Merovingians kingdoms, p.43;

انظر أيضًا، بدران عبد الونيس: البرجنديون في غالة، ص 64.

(62) Oman (CH.) : The Dark Ages , 476 -918 , (London . 1928 ), pp. 61-62 ; Bachrach: Merovingian Military Organization, P.9.

انظر أيضًا، محمد مرسي الشيخ: تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ط2000، ص145؛ بدران عبد الونيس: البرجنديون في غالة، ص 64.

(63) M.M, Gorce, Clovis 465-511, Payot Press, Paris,1935, PP.68-70.

(64) Franks, P.145; See also, Gorce, Clovis, PP.68-70.

(65) Franks,P.146.

(66) ديجون: مدينة فرنسية تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط سواحل البحر المتوسط بشمال أوروبا بين منطقة باريس وحوض نهر الرون، وعلى بعد 310 كم جنوب شرق باريس 190كم شمال مدينة ليون. أنظر،

Moore: Encyclopedia of Places, p.226.

(67) Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II, pp.225239-, p.234; Gregory of Tours, Franks, PP.145-146; Liber Historiae Francorum, P.264.

أنظر أيضًا، محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ : الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 156.

- أفينون : تقع مدينة أفينون في وادي نهر الرون على الضفة اليسرى في جنوب شرق غاله، تبعد 91كم عن مارسيليا، وهي من أكبر المدن تتميز بأنها سوق ومركز لتعليب الخضروات. انظر،

وهنا لا بد من الإشارة إلى دهاء الملك كلوفس بشأن المراسلة التي تمت بينه وبين جوديجزل، التي لم يعلم بها جندوباد، إذ ذكر افيتوس حدوث خلافات بين الأخوين قبل عام 500م، أدت إلى خروج جوديجزل من عاصمة البرجنديين فيينا، فكان ذلك سببًا شجع كلوفس على دخول الحرب، بعد أن طلب من جوديجزل الذهاب لمساعدة شقيقه حالما يتقدم جيش الفرنجة حتى لا يشك جندوباد بجوديجزل، وفعلا نجح الأخير في ذلك وتمكن من خداع شقيقه ودحره بمساعدة كلوفس[68].

بعد أن حقق جوديجزل النصر، فقد أقدم على تسليم كلوفس جزءًا من أراضيه، بالاضافة الى الجزية بموجب ما أتفقا عليه قبل الحرب، وغادر بهدوء ودخل فيينا في موكب المنتصر، كما لو كان الحاكم الفعلي للمملكة بأكملها[69]. في حين حشد كلوفس قوات أكثر وخرج على أثر جندوباد الذي كان في حالة ذعر شديد خوفًا من أن يقتل، وقد حاصر كلوفس جندوباد في أفينون حتى وافق على دفع جزية سنوية له أيضًا، بعد ذلك رجع كلوفس إلى مملكته[70].

**خامسًا: صراع كلوفس مع القوط الغربيين، معركة فوييه عام 507م:**

تجدر الإشارة إلى أن علاقة الملك كلوفس بالقوط الغربيين ظلت قوته مقيدة لمدة خمس سنوات بواسطة إيورك Euric (466-484م)؛ ملك القوط الغربيين القوي، لكن ما أن توفي الأخير عام 484م[71] وتولى ابنه آلاريك الثانى (485-507م) عرش مملكة القوط الغربيين، حتى تنفس الملك كلوفس الصعداء، وذلك لأن الملك آلاريك لم يكن له ما كان لوالده من مهارة في الشئون السياسية والعسكرية بل كان ضعيفًا قصير النظر، ليس على شيئ من الحصافة والمرونة، فقد واجه في بداية عهده غزو الفرنجة لغالة بقيادة كلوفس وإنزال الهزيمة بسياجريوس الحاكم الرومانى في بلاد الغال في معركة سواسون سنة 486م[72]، الذي هرب إلى آلاريك الثاني ينشد المأوى والملاذ[73].

ويبدو أن كلوفس كان واثقًا من نفسه ومن قوة جيوشه فأرسل إلى آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين رسالة تهدد مطالبًا إياه بأن يسلمه سياجريوس وإلا تعرض للهجوم. ويبدو أن آلاريك لم تكن لديه القدرة أو الجرأة لتحدى كلوفس أو ربما لم يكن مستعدًا لمثل هذه الحرب التي لم يكن له فيها أية مصالح، ومن ثم فقد بادر بالاستجابة لمطالب كلوفس

---

Moore : Encyclopedia of Places, p.66.

(68) Kurth, Clovis, Tome2.P.13.

(69) Kurth, Clovis, Tome 2.P.14.

(70) Marius of Avenches: Chronica, MGH AA XI, p.234; Gregory of Tours, Franks, P.147; Liber Historiae Francorum, PP.264-265; See also, Crisp, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639,A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003), PP.72-73; Perry, The Franks, P.83.

(71) عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 87؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ : الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 173.

(72) Gregory of Tours: Franks, P . 139; See also Oman : Dark Ages p. 59;
أنظر أيضًا، محمد الشيخ: الممالك الجرمانيه، ص 60؛ عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 88؛ محمود سعيد عمران : المؤرخ جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص882،887؛ كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص195؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ : الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 174.

(73) كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة المنصورة 2009م، ص196؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ : الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 174.

وتسليم سياجريوس الذي تم الاحتفاظ به سجينًا إلى أن تمكن كلوفس من الاستيلاء على كل مملكة سياجريوس فأمر بقتله[74]. وعلى الرغم مما ترتب على ذلك من خطر في قلب غالة، وفرار سياجريوس والتجائه إلى آلاريك الثانى وهدم الولاية الرومانيه التي كانت حاجزًا بين الفرنجة والقوط الغربيين، إلا أن آلاريك أظهر جهلًا وقصر نظر حين بادر بتسليم سياجريوس إلى غريمه كلوفس فلم يتوان في قتله، فدل ذلك على رعونة وسذاجة آلاريك بعد أن أصبحت مملكة الفرنجة وجهًا لوجه أمام مملكة القوط الغربيين[75].

ومن ثم فقد زالت المملكة الحاجزة مملكة سواسون، وصار الفرنجة والقوط الغربيون جيرانًا مباشرين. ولكن اللافت للنظر، أن مملكتي القوط صارتا تخطبان وده، حيث سعى ثيودريك العظيمTheodoric the Great ملك القوط الشرقيين(489-526م) إلى إقامة تحالف متين وعلاقات ود وصداقة فتزوج في عام 493م من اودفيلدا شقيقة كلوفس[76]. كما أنه عقد سلسلة من المصاهرات السياسية مع الملوك الجرمان الآخرين من أجل أن يفوت الفرصة على الإمبراطور البيزنطي انستاسيوس الأول[77] Anastassius (491-518م) في اللجوء إلى سياسة «فرق تسد»، والتي بواسطتها يستطيع تأليب ملوك الجرمان بعضهم ضد البعض[78].

ولكن لم يكن الملك كلوفس بيدقًا أو حتى فارسًا في لعبة شطرنج ثيودريك السياسية والدبلوماسية التي قام بها، بل كان ملكًا طموحًا يريد ان يوطد حكمه ويوسع مملكته، ولم يكن امام كلوفس سوى مملكة البرجنديين في جنوب شرق غاله، ومملكة القوط الغربيين في جنوب غالة الذين يسيطرون على جانب كبير من بلاد الغال، وعندما لاحظ كلوفس ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين نجد أن انظاره اتجهت نحو الجنوب لتوسيع مملكته. وقد أيد ذلك الإحداث التي وقعت في عام (507م) التي أدت إلى القول أعظم انتصارًا له على القوط الغربيين في معركة فوييه Vouille [79].

ولكى نتتبع نصر كلوفس في معركة فوييه عام 507م ضد القوط الغربيين، فإن الإمبراطور انستاسيوس الأول قد كافأه بأن اعترف رسميا بحكم كلوفس في الغرب وإبعد ثيودريك ملك

---

(74) Gregory of Tours: Franks, P . 139 ;
أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص196؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ : الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 174.

(75) ابراهيم طرخان: القوط الغربيين، ص97 ؛ محمد الشيخ: الممالك الجرمانية، ص59-60؛ كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص196.

(76) محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 174،162.

(77) الإمبراطور انستاسيوس: تولي انستاسيوس عرش الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور زينون، حيث اختارته اريادن Ariadne زوجه زينون لكي يتولي عرش الإمبراطورية، وقد تمكن انستاسيوس من القضاء على النفوذ الايسوري في الإمبراطورية ، ولكن اتسم عهده بالكثير من الصراعات الدينية والحروب التي أدت إلى اراقة الكثير من الدماء. للمزيد أنظر، محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية،»عصر جوستنيان»، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1989، ص 30-32.

(78) أقام ثيودريك ملك القوط الشرقيين العديد من المصاهرات السياسية مع العديد من الحكام البرابرة في الغرب من القوط الغربيين، الفرنجة، البرجنديين، الوندال، والثورنجيين وذلك قرب نهاية القرن الخامس الميلادى، فقد تزوج ثيودريك شقيقتة كلوفس (481-511م) ملك الفرنجة التي تدعى اودفيلدا Audefleda، كما زوج ابنته ثيودوجوثا Theodichusa لآلاريك الثاني (485-507م) ملك القوط الغربيين، وزوج اوسترجوثا Ostrogotho أو اريجيني إلى سيجسموند (516 – 523م) بن جندوباد ملك البرجنديين، وزوج امالابرجا Amalabirga ابنة اخته آمالافريدا Amalafrida إلى هرمنفريد (حوالي 532-507م) حاكم الثورنجيين. للمزيد انظر، محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 162.

(79) Crisp: Marriage and Alliance, p77.;
أنظر أيضًا، محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص175.

القوط الشرقيين (هكذا فضل الإمبراطور أكثر حاكم بربرى في الغرب)[80]. كما أنه في أعقاب النصر في فوييه سيطر كلوفس على أجزاء كبيرة من الجزء الشمالى في أكوتين[81] **Aquitaine**، وعمل على إبعاد ثيودريك عن أن يصبح ملكًا على القوط الغربيين، في حين إن ثيودريك نجح في تثبيت اقدام القوط الشرقيين في بروفانس **Provence** وحتى خارجها على حساب البرجنديين[82]. ولكن من الواضح إن الطموح السياسي والمصالح الشخصية تغلبت على روابط القرابة بين كلوفس وثيودريك.

ويتضح من الاحداث السابقة إن اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية[83] جاء على غير هوى الملوك الجرمان الأخرين، ونذيرًا بفشل التحالف السياسي الذي عقده الملك ثيودريك معهم، حيث صمم الملك كلوفس على أن يقضي على الآريوسيين عامة وفي إقليم الغال خاصة، وقد وجد تأييدًا كبيرًا من رجال الدين الكاثوليك لتحقيق رغبته، وذلك عندما كتب القديس افيتوس **Avitus** أسقف فيينا إلى كلوفس قائلًا: «إيمانك هو انتصارنا»، ثم حثه على نشر الكاثوليكية بين الجرمان في أكبر مساحة من الأرض والتي لم تكن قد فسدت بعد بمذاهب الهراطقة[84]، أما كلوفس فقد نصب نفسه حاميًا للكاثوليكية ونصيرًا لها عندما صرح قائلًا: «**يوسفني أن يسيطر هؤلاء القوم الآريوسيين على هذا الجزء الواسع من بلاد الغال لنذهب ونهزمهم بعون الله ونخضع أراضيهم لسلطتنا**»[85].

ونتيجة لذلك لم يتردد الملك كلوفس في تنفيذ سياسته بالقضاء على الآريوسيين، فعندما لاحظ ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين الشخصي بين قومه، وعدم شعبيته بين رعاياه من الرومان انتهز الفرصة في محاربته وطرده من غالة، وبرر قيامه بذلك العمل بكرهه للآريوسيين بسبب استمرار آلاريك الثاني في اتباع سياسة والده في التعصب ضد رجال الدين

---

(80) Wolfram, History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap Berkeley: University of California Press, 1997, pp. 309-315; Wood : Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9. ; Moorhead , (J .) : Theoderic in Italy , (Oxford . 1992 ) , pp.185-6.

(81) أكوتين: يقع أكوتين بجنوب فرنسا، يمتد بين نهر الرون شرقاً وخليج بسكاى غرباً، وبين اللوار شمالًا ونهر الجارون جنوباً، اخضعه الرومان عام 56ق.م واستولى عليه القوط الغربيين عام 418م وانتزعها منهم الملك كلوفس عام 507م. انظر، Moore : Encyclopedia of Places, p.44;

انظر ايضًا، نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، حاشية ص61.

(82) Wolfram: Goths,pp. 309-315; and Wood, Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9.

(83) إن عملية تحويل كلوفس إلي الكاثوليكية كانت طويلة، والتى قد تكون بتوجيهات من قبل رميجيوس Remigius أسقف مدينة ريميس، وتشجيعه من قبل كلوتيلدا أيضًا حتى النصر فى معركة تولبياك على الألماني عام 496م، كل ذلك قد يكون في النهاية السبب في إقناع كلوفس بالمسيحية الكاثوليكية وتعميده.

Gregory of Tours : Franks , P.142; William W. Daly, "Clovis: How Barbaric, How Pagan?," *Speculum* **Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994);Pfister : " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II , P. 111.**

أنظر أيضًا، عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 94.

(84) Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose,(Translated Texts for Historians, Volume 38) Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press 2002. ), PP.369,373; Pfister : "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II . P. 112; Previté- Orton , C.W. Previte: The shorter Cambridge Medieval History , Vol .I , Cambridge, 1952, pp. 151-2;

أنظر أيضًا، عليه الجنزورى: جريجوري التوري، ص 99؛ ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص221.

(85) Gregory of Tours, Franks, P.151; Liber Historiae Francorum, P. 267;

أنظر أيضًا، ايهاب صديق العربى: مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011، ص221-222؛ كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص198؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 176-177.

الكاثوليك[86]، حيث قام بطرد فولزيانوس Voulsianus وفيرس Verus أساقفة مدينة تور من منصبهما، كما قام بنفي روريكيوسRuricius أسقف مدينة ليموج Limoges وسيزاريوس Caesarius أسقف مدينة آرل Arles [87]، إلى بوردو[88].

ولما أحس الملك القوطي بخطر الفرنجة الوشيك، اتخذ العديد من الإجراءات لكي يحبب رجال الدين الكاثوليك في حكم القوط الآريوسيين، فأعاد بعض الأساقفة من منفاهم إلى أبروشياتهم، وأصدر مرسومًا جاء فيه إن حرية العبادة صارت مكفولة للرعايا الكاثوليك في غالة وإسبانيا ليتعبدوا حسب رغبتهم وأن تباشر المحاكم الكنسية القضايا الدينية، وصار حقًا لرجال الدين الكاثوليك أن يقوموا برفع الدعاوى أمام المحاكم المدنية، وإن الكهنة الذين ثبت كذب شهادتهم أمام المحاكم المدنية، ينالهم العقاب على الكذب ولا يتعرضون للتعذيب، وإن كان آلاريك منع الزواج بين القوط والرومان فقد كان ذلك استجابة للتعاليم الكاثوليكية، كما سمح لهم بعقد مجمع ديني في مدينة أجديا Agde[89]، وقد ورد في ديباجة قرارات ذلك المجمع الدعاء لآلاريك الثاني بطول العمر ودوام الحكم[90].

على الرغم من هذا الحرص القوطى على عدم إثارة غضب ملك الفرنجة، فإن ذلك لم يمنع قيام بعض فصائل الفرنجة سواء بأوامر من كلوفس أو من تلقاء أنفسهم، بعبور نهر اللوار للاستيطان داخل أراضي القوط، ومهاجمة مدن القوط الغربيين ومنها مدن أقليم اكوتين، التي تعرضت إلى سلسلة من الهجمات الفرنجية عام 490م، ولكن لم تكن ذات فاعلية تذكر، وتوقفت عام 496 م بسبب انشغال كلوفس بحربه مع قبائل الألماني، الفرصة التي استغلها آلاريك باستحواذه على مدينة سانتس Saintes (غرب فرنسا حاليًا)، ليعاود كلوفس هجماته مرة ثانية على مدن القوط الغربيين عام 498 م، فاحتل الفرنجة بوردو Bordeaux[91] ونقلوها

---

(86) Pfister : "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II . P. 113;
أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص224.
- أظهر القوط الغربيون تسامحا كبيرا نحو رجال الدين الكاثوليك، إلا أن تلك المعاملة لم تلبث أن انقلبت رأسا على عقب، عندما تولى إيورك أمور الحكم، حيث كان دائم الشك والارتياب في ولاء رجال الدين الكاثوليك للحكم القوطى.... للمزيد أنظر،
Ludwic Schmidt : "The Visigoths in Gaul" , 412 – 507 , Cambridge Medieval History, Vol .1 (Cambridge . 1911) , P. 291 .

(87) آرل: مدينة فرنسية تقع على الضفه اليسرى لنهر الرون، وتبعد عن مدينة مارسيليا بحوالي 47ميلًا من ناحية الشمال الغربي، تميزت بأهميتها طيلة العصور القديمة، وكانت عاصمة بلاد الغال في القرن الرابع الميلادي. أنظر،
Moore : Encyclopedia of Places, p.50.

(88) Pfister : "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113.
أنظر أيضًا، إسحق عبيد : من آلارك الى جستنيان ، دراسة فى حوليات العصور المظلمة ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1977 ، ص 107؛ ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص224؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 177.

(89) أجديا: تقع أجديا في جنوب فرنسا على مسافة 51كم جنوب غرب مونبلييه، وتُعد أجديا ميناءًا هامًا على البحر المتوسط، وقد عقد فيها مجمع ديني في 10 سبتمبر عام 506م برئاسة قيصريوس Caesarius أسقف آرل. للمزيد أنظر،
Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, p.23.

(90) Pfister : "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113;
أنظر أيضًا، إسحق عبيد : آلارك، ص 107؛ ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص 224-225؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 178.

(91) بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون وعلى بعد 96كم من البحر وهي في الجنوب الغربي من فرنسا واصبحت عاصمة لمقاطعة أكوتين في القرن الرابع الميلادي. انظر،
Moore : Encyclopedia of Places, p.112.

من الحكم القوطي إلى مملكتهم[92].

لم تكن تحركات الفرنجة في المناطق القوطية سهلة، بسبب وعورة الطرق الجبلية في مدينة بواتييه الأمر الذي منح القوط الغربيين الفرصة لطرد الفرنجة قرب نهر اللوار بين تور ونانت Nantes ، وكذلك طردهم من سانتس [93] . وعلق جريجوري التوري عن تلك الأحداث قائلًا: «**إنه في عهد كلوفس، حاصر الفرنجة نانت، عند مصب نهر اللوار، لمدة ستين يومًا أو أكثر ولكن في النهاية استعادها القوط الغربيون**»[94]. وهكذا فشل الفرنجة في أول هجمة مخططة لهم ضد إقليم اكوتين.

استمر العداء بين القوط الغربيين والفرنجة، وتجدد ذلك أثناء الحرب الأهلية التي حدثت في برجنديا عام 500م بين الأخوين جنودباد وجوديجزل، الذي انضم إليه كلوفس، مما اضطر جندوباد الى التحالف مع آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين، إلا أن هذا التحالف لم يستمر طويلا، بتقارب جندوباد مع كلوفس ثانية، مما أسهم في إضعاف جبهة آلاريك [95].

ويبدو أنه بُذلت محاولات للإصلاح بين الملكين، ولانهاء حالة الخلاف بين القوط الغربيين والفرنجة، أما من قام بهذا الدور أو طبيعة هذه المحاولات فهى محض افتراض لأن المؤرخ جريجوري التوري يدخل مباشرة للحديث عن ذلك بقوله أنه عندما لاحظ آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين أن كلوفس يقوم بهزيمة الشعوب واحدا بعد الآخر أرسل إليه المبعوثين برسالة يقول فيها : "**يبدو لى أيها الاخ العزيز إنه سيكون شيئا جميلا لو التقينا بمشيئة الله، وأنا على استعداد لتناسي الماضي**"[96]، بالفعل وافق الملك كلوفس على ذلك، وسافر للقاء آلاريك، والتقى الاثنان بالقرب من قرية أمبواز Amboise على جزيرة نهر اللوار التابعه لمدينة تور، وتباحثا معًا، وجلسا جنبًا إلى جنب على المائدة، واقسما على الصداقة الأبدية فيما بينها، وعاد كل منهما إلى وطنه في سلام واطمئنان[97]. ووعد كلوفس بإخلاء أي إقليم قوطي غربي كان لا يزال تحت سيطرته، وبذلك تمكن آلاريك من السيطرة على جميع إقليم بروفانس واكوتين وصولًا إلى اسبانيا، واختفت تهديدات الفرنجة على القوط الغربيين[98]. وبالفعل لم يستمر السلام لمدة طويلة، بسبب طموح الملك كلوفس كان أكبر من ذلك، وكان يريد توسعة مملكته، إذ سرعان ما قام المرتزقة من جيش كلوفس ببعض الهجمات الصغيرة على أفراد من الجيش القوطي قرب تولوز، ولم يقدم كلوفس اعتذاره إلى آلاريك على تلك الحادثة[99].

---

(92) Ralph W. Mathisen, The First Franco-Visigoth War and the Prelude to the Battle of Vouillé, in Book: The Battle of Vouillé, 507 Ce Where France Began, Edited by: Ralph W. Mathisen, Danuta Shanzer, De Gruyter, Berlin, 2012. PP. 3-4;

انظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص196.

(93) Mathisen, The First Franco-Visigoth War, P.5.

(94) Gregory Of Tours, Franks., P.149.

(95) Mathisen, The First Franco-Visigoth War, PP.5-6.

(96) Gregory of Tours, Franks, P. 150; Mathisen, The First Franco-Visigoth War, P.6.

(97) Gregory of Tours, Franks, P. 150; Fredegar, III, MGH SRM II, P. 102; Woodruff : The Third book of the Chronicle of Fredegar,, p.40; See also, Mathisen, The First Franco-Visigoth War, P.6

أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص197؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 178-179.

(98) Kurth, Clovis, Tom 2, P.36.

(99) Mathisen, The First Franco-Visigoth War, P.7.

وهنا ظهر موقف ثيودريك ملك القوط الشرقيين للحد من طموحات الملك كلوفس، عندما استفحل خطر الفرنجة، واقترح ثيودريك حل الأمور بالوسائل الدبلوماسية، من أجل صالح الشعوب الجرمانية في المنطقة ومنهم القوط الغربيين، وأرسل بواسطة كاهنه وكاتبه كاسيدوروس رسائل إلى جميع ملوك الجرمان[100] . فقد أرسل رسالة إلى كلوفس مذكرًا إياه بضرورة الحفاظ على السلام، وحاول أن يثنيه عن الحرب التي سيخوضها بدون سبب مقنع، كما أشار إلى المآسي التي تجلبها الحروب للشعوب، واستعداد كل ملك للحرب تحسبا للرفض منذ إرسال السفراء[101]، ولكن لم يستطيع الملك كلوفس التراجع عن تحدى آلاريك، كما إن موقفه كان الأقوى، حتى كما لو كان أصبح قريبًا الأقوى، وسوى جميع مشاكله مع الملوك البرابرة فضلًا عن مكانته بين شعوب الفرنجة.

وفي نفس الوقت بعث ثيودريك برسالة إلى آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين يحذره من مغبة الدخول في الحرب، كما يطلب منه أن ينتظر حتى يرسل السفراء للملك كلوفس ويحقق السلام بينهما [102]. ويتضح من محاولات الملك ثيودريك أنه يحاول تهدئة الموقف، وانه نصح آلاريك بعدم التسرع وعليه اتخاذ القرار الصحيح، وأن لايعتمد على رأي أصحابه غير الجديرين بالثقة، وأبلغه بضرورة الانتظار حتى يرسل مبعوثيه إلى كلوفس لتهدئة الوضع.

كما أرسل ثيورديك رسالة إلى جندوباد ملك البرجنديين يحثه فيها على التعاون معه لإحلال السلام بين ملوك الجرمان بعضهم وبعض، كذلك بعث ثيودريك برسالة إلى ملوك قبائل الهيرولى[103] **Heruli** والوارنى[104] **Warni** والثورنجيون حذرهم فيها من طموح كلوفس، واقترح إرسال بعثة مشتركة نيابة عن ملوكهم وملوك القوط الغربيين والشرقيين والبرجنديين إلى ملك الفرنجة، من أجل إحلال السلام بين آلاريك الثانى وكلوفس، وذكر ملوك تلك القبائل بالمنافع والحماية التي توفرت لهم على أيدي إيورك والد آلاريك الثانى

(100) Mathisen, The First Franco-Visigoth War, P.7.

(101) : [illegible] (1886 [illegible]) [illegible] 199 [illegible] 113 [illegible] 356 [illegible] .3. [illegible] (1891 [illegible]) 1-5. [illegible] 241–242 (2008 [illegible]) [illegible] 2012 458 [illegible]

أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص226؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 179.

(102) Cassiodorus: Letters , PP . 196 –7 ; See Also, Hodgkin: Italy Vol .3.P. 344; Pfister: Gaul under Merovingian, P. 113 ; Moorhead: Theoderic , P. 177 ; Arnold: Theoderic, P . 242;

أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص225؛ كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص197؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 179.

(103) الهيرولى: من أكثر القبائل الجرمانية تجولًا، حيث تجولوا في جميع أنحاء أوروبا تقريباً، وظهروا على نهري الدنيستر والراين. ونهبوا اليونان وإسبانيا. ويعتقد هودجكين أن قبيلة الهيرولى انقسمت إلى قبيلتين احدهما انتقلت من شواطئ بحر البلطيق إلى شواطئ البحر الأسود، والأخرى استقرت في نهاية المطاف على نهر الراين. واستقر الفرع الشرقي في هنغاريا على الضفة الشرقية لنهر الدانوب أثناء نضالهم مع اللمبارديين. للمزيد أنظر،

Hodgkin: Italy, vol .V.PP. 103-104.

(104) الوارني : تنتمي قبائل الوارني Warni أو الفارنى Varni إلى فرع الجرمان الغربيين، وقد سكنوا في المنطقة الممتدة بين نهر الدانوب وبحر البلطيق، ودخلوا في تحالف مع الفرنجة، بعد وفاة ثيودريك ملك القوط الشرقيين حيث تزوج ملكهم رادجيس Radigis من شقيقة الملك ثيودبرت الأول Theudebert I بن ثيودريك الأول بن كلوفس ملك الفرنجة. أنظر،

Procopius of Caesarea : History of the Wars Books V and VI , eng. Trans Dewing , (H.b.) vol .3. (London , 2007 ) PP. 471- 2.

الذي يتعرض للتهديد من قبل كلوفس[105].

ومع ذلك، فقد وجد الملك كلوفس الفرصه المناسبة لكى يخوض غمار الحرب بصفته البطل المدافع عن العقيدة الكاثوليكية ضد آلاريك وعقيدته الآريوسية، وقد قام كلوفس بتقدير قوة القوط حق قدرها، وضم إلى جانبه سيجبرت الاعرج ملك الفرنجة البريين كما ضم إلى جانبه – أيضًا – عدوه القديم جندوباد ملك البرجنديين[106]، واعتمد كلوفس أيضًا على البيزنطيين الذين وضعوا أسطولهم في وضع الاستعداد على الشواطئ الشرقية[107]. وعلي الرغم من محاولات الملك ثيودريك الدبلوماسية لوأد فتيل الحرب بين الفرنجة والقوط الغربيين، فإن تلك الجهود باءت بالفشل بسبب عناد كلوفس وإصراره على توسيع حدود مملكته على حساب القوط الغربيين[108].

على الجانب الآخر في مملكة القوط الغربيين، فأن المعلومات جاءت إلى آلاريك الثاني باستعدادات كلوفس، وأن «اتفاق الجزيرة»[109] أصبح حبرًا على ورق، وما هو إلا خدعة من كلوفس لتهدئة الاوضاع، ولا يمكن التأكد بدقة كيف حصل آلاريك على تلك المعلومات، ومع ذلك يمكن الافتراض – في أسوأ الحالات – أن الملك القوطي الغربي قد علم بنوايا كلوفس حينما أصدر الأخير أوامر تعبئة الجيش في جميع أنحاء المملكة الفرنجية[110]. ولذلك سعى آلاريك الثاني في الحصول على الدعم العسكري من ثيودريك القوطي، وأمر بتعبئة الجيش القوطي لمواجهة تهديدات كلوفس، وكان من الواضح إن قوات الفرنجة تتفوق على قوات القوط الغربيين، ولكن إذ قدر لقوات القوات الشرقيين التي عقد عليها آلاريك الآمال أن تصل في الوقت المناسب، فقد يتمكن من التصدى لقوات خصومه[111].

كما تجدر الإشارة هنا إلى دور الإمبراطورية الشرقية في هذه المعركة، وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: هل كان للإمبراطورية الشرقية في القسطنطينية دورٍ عسكريًا في حملة

(105) Cassiodorus: Letters, PP . 197-98; See Also, Hodgkin: Italy Vol .3.PP. 344, 355 ; Schmidt , L ., "The Visigoths in Gaul" , 412 – 507 , Cambridge Medieval History , Cambridge . 1911, vol .1.P.284 ; P. 121 ; Wolfram: Goths , P. 318 ; Moorhead: Theoderic , P. 177 ; Arnold: Theoderic, PP. 242, 244;
أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص225-226؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 180.

(106) Gregory of Tours, Franks, P. 153; Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Collins: Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York: St. Martin's Press, 1983, P. 107;
أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص230؛ كريم عبد الغنى: القوط الغربيين،198.

(107) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol .1 p.286;
أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص198.

(108) Bradley, (H.) : The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain , (London . 1888). P. 179;
انظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص230.

(109) ()اتفاق الجزيرة : ذلك التفاوض الذي تم عليه في العام الماضي في ضواحي أمبواز، حيث التقى الملكان كلوفس وآلاريك، وتباحثا معًا، وجلسا جنبًا إلى جنب على المائدة، واقسما على الصداقة الأبدية فيما بينها. انظر، Gregory of Tours, Franks, P. 150.

(110) Bernard S. Bachrach, Vouillé and the Decisive Battle Phenomenon in Late Antique Gaul, in Book: The Battle of Vouillé,507 Ce Where France Began, Edited by: Ralph W. Mathisen, Danuta Shanzer, De Gruyter, Berlin, 2012, P.27.

(111) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol .1 p.286;
أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص198؛ محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى، ص 182.

**كلوفس ضد القوط الغربيين أم لا؟ ويمكن الاجابة بالقول أنه يبدو أن الإمبراطورية كانت لديها سياسة تهدف إلى تقوية موقف الفرنجة ضد القبائل الأخرى؛ حيث أنهم كانوا القبيلة الجرمانية الوحيدة التي اعتنقت الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وكان بقاؤهم ضروريٌّ لحماية الكاثوليك في شمال بلاد الغال من خطر القوط الآريوسيين، ومن المؤكد أن تلك المعركة قد حظيت بتأييد الإمبراطور انستاسيوس الأول(491–518م) لإعادة جزءٍ من هيبة الإمبراطورية في غرب أوروبا. وقد رأى الإمبراطور في كلوفس الشخص المناسب، وأن فرصته في النصر أكيدة، فقرر انستاسيوس مساندته دبلوماسيًا وماليًا في عملياته العسكرية ضد القوط الغربيين، الموقف الذي نقله مبعوثيه إلى كلوفس. ومن هذا المنطلق، التقى مبعوثي الإمبراطور مع كلوفس، في عاصمته باريس، موضحين له استعداد انستاسيوس تقديم الدعم المالي له، واعتراف الامبراطور بشرعية حكمه في بلاد الغال في حالة نجاحه بهزيمة القوط الغربيين، إلى جانب وعود أخرى أهمها حصول كلوفس على لقب (القنصل)، إذ يُعين قنصلًا فخريًا للإمبراطورية في أوروبا وحاميًا للديانة المسيحية، وهو ما وافق عليه كلوفس بالطبع [112].**

**وضع كلوفس خطة استراتيجية لحملته، كانت قائمة على التحرك بالسير إلى جانب نهر اللوار ثم الذهاب إلى الجنوب من ذلك النهر في أسرع وقتٍ ممكنٍ لتحرير مدن اقليم اكوتين من السيطرة القوطية، واعتقد كلوفس أن الرومان الغاليينَ الساخطين من الهيمنة السياسية والعسكرية القوطية في أكوتين سيرحبون به، بسبب الاختلافات الدينية بين الجانبين، كما أن كلوفس كان بحاجة إليهم لمساعدته ليكونوا بمنزلة قوات احتياطية في جيشه؛ وكان حلفاء كلوفس البرجنديين قادرين على التصرف بصفتهم جيش الإغاثة، قادمين من جهة ثيودريك لخداع آلاريك، لكي يطوقوا الجيش القوطي من الجنوب[113] . كما حاول كلوفس كسب تأييد رجال الدين إلى جانبه؛ لذلك قبل البدء بحملته أرسل رسالة الى جميع الأساقفة في جنوب بلاد الغال ولاسيما مدن اقليم اكوتين، يوضح فيها أنه أمر رجال جيشه، باحترام المواطنين وممتلكات الكنيسة[114].**

**عند وصول الطرفين المتحاربين إلى نقطة قريبة من فوييه، عسكرت قوات كلوفس في جنوب هذه المنطقة، أما قوات آلاريك؛ فكانت في شمالها منتظرة دعم القوط الشرقيين، إلا أن قوات ثيودريك لم تصل في الوقت المناسب لعوامل جغرافية ومناخية. وفي الواقع كان على جيش القوط الشرقيين قطع مسافة ضعفين من التي يقطعها كل من جيش الفرنجة والقوط الغربيين. وبموجب ذلك قرر آلاريك التحرك إلى فوييه ليصل قبل جيش الفرنجة، غير أن جيش كلوفس عبر نهر اللوار إلى بواتيية وعبر فيينا أيضًا دون أي صعوبة تذكر[115].**

**وعليه، كان على كلوفس أن يقوم بعمل حاسم قبل وصول قوات القوط الشرقيين[116]، وتقدم بالفعل وتقابل مع القوط الغربيين في سهل كامبوس فولجادنيسس Campus Volgadensis**

(112) Bachrach, Vouille, PP. 22-24.

(113) Bachrach, Vouille, PP.31-32.

(114) Capitularia Regum Francorum, Denuo edidit Alfredus Boretius, Legum Sectio II, Tomus I; in MGH, Hannoverae, 1883 MDCCCLXXXIII, Capitularia Merovingica, PP.1-2 ;William M. Daly, Clovis,.P.645.

(115) Bachrach, Vouille, PP.32-33,

(116) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol .1 p.286;
أنظر أيضًا، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص199-198.

أو فوييه Vouille قرب مدينة تور- بواتييه Tour-Poitiers [117]، ولم يتمكن جيش الملك آلاريك الثاني من الصمود أمام هجمات الجيش الفرنجي المنظم، وبعدما رأى كلوفس تراجع الجيش القوطي قرر الدخول إلى أرض المعركة مع الجنود الاحتياط الذين بقوا إلى جانبه، وفي المعركة رأي آلاريك فاتجه إليه كلوفس مباشرة وقتله، كما لاحق جيش كلوفس العناصر الفارة من جيش آلاريك، وقتلوا أعدادًا كبيرة منهم، وأخذ أعدادًا أخرى منهم أسرى حرب[118].

وجدير بالذكر أن ثيودريك ملك القوط الشرقيين تأخر عن مساعدة القوط الغربيين وذلك بسبب انشغاله بأحداث الحملة البحرية البيزنطية عام 507م على الساحل الجنوبى الشرقى لإيطاليا. ويبدو أن تلك الحملة البحرية كانت متعمدة ومقصوده من جانب الإمبراطور البيزنطي، ويقال إنها كانت بتحريض من كلوفس[119]، وقد حققت الهدف من ورائها، وهي صرف انتباه ثيودريك عن مساعدة صهره القوطى. ولكن يقترح بيتر هيذر إن ثيودريك قد تأخر عمدًا عن مساعده آلاريك من أجل السيطرة على جزء كبير من مملكة القوط الغربيين لنفسه بعد وفاة آلاريك[120].

ولنضيف شيئًا لفهمنا، إن تنافس كلوفس على السلطة، ليس فقط مع منافسيه على قيادة الفرنجة، ولكن أيضًا لتعزيز مكانته بين الحكام البرابرة الآخرين، يجب علينا النظر إلى سرد جريجوري التوري وذلك قبل معركة فوييه عام 507م، حيث أن العديد من الناس في جنوب الغال أرادو أن يأتى كلوفس ويحررهم من القوط الآريوسيين[121]. يجب أن نشهد نفس النوع من النهج، ولاحظنا حملات كلوفس ضد خصومه الفرنجة - رغبة جزء من صفوة هذه المنطقة لنقل ولائهم من حاكم بربرى إلى حاكم أخر ناجح وذو هيبة ونفوذ - لا أن يكونوا في الجانب الخاسر وأصبح واضحًا إن كلوفس هو المنتصر. وربما رحب آلاريك بالفرصة لمحاولة إعادة نفوذه ضد – كلوفس – الوافد القادم.

وهكذا نجد أن الملك كلوفس نجح في الاستيلاء على أكبر جزء من بلاد الغال تحت حكمه المباشر قدر ما يستطيع ووسع أراضيه وموارده كما قام كلوفس بإنشاء حاميات عسكرية في تولوز وردوز Rodez وسانتس Saintes وبوردو[122]. ومن أجل النصر في تلك المعركة فإن كلوفس جذب إلى جانبه قوات مساعدة، بما في ذلك وحده من الفرنجة البريين تحت حكم ملكهم سيجبرت الاعرج، والرومان الغال تحت قياده أبوليناريس Apollinarisأحد رجال مجلس الشيوخ الغالي[123]. فبالنسبة لكلوفس النصر في هذه الحرب أحضرت له شهر كبيرة كفاتح، وفي نفس الوقت عززت مكانته كملكًا للفرنجة بعرضه لحلفائه الفرنجة فرصة عظيمة للنهب

(117) Gregory of Tours, Franks, P. 153;

أنظر أيضًا، ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص230.

(118) Gregory of Tours, Franks, PP. 153-154 ; Isidore of Seville: Goths , P . 97 ; ; Fredegar, III, MGH SRM II, PP. 102-103; Woodruff : The Third book of the Chronicle of Fredegar,, p.40; See Also, Schmidt : The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol .1 .P.287; Wood : Merovingian Kingdoms, P. 42; Bachrach, Vouille, P.34;
أنظر أيضًا، بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية، جـ 1، ص 92؛ ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، ص230.

(119) The Chronicle of Marcellinus Comes : Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995), p.35; See Also, Pfister : " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II , P . 114

(120) Heather, (P .) , The Goths , (Blackwell . 1996 ), 232.

(121) Gregory of Tours, Franks, PP.152-153.

(122) Bachrach: Merovingian Military Organization, PP.12-13.

(123) Gregory of Tours, Franks, PP.153-154.

والغنيمه. وبذلك نجح الملك كلوفس في توطيد هيبته الشخصية كملك جرماني، وكذلك أضافَ إلى أراضية وجيشه كنوز عظيمة من خلال هذه المعركة.

كما أن الإمبراطور انستاسيوس الأول قد كافأه الملك كلوفس بعد انتصاره على القوط الغربيين، حيث أرسل إليه بسفارة تحمل رسائل المودة وتخلع عليه الروب القنصلي والعباءة الأرجوانية، وقد فصل جريجوري التوري ذلك بقوله: «خرج كلوفس مرتديًا الأرجوان ممتطيًا جواده، وأخذ ينثر العملات الذهبية على رعاياه وعلى طول الطريق من مدخل كنيسة القديس مارتن ST. Martin حتى كاتدرائية تور وأنه عُرف منذ ذلك اليوم فصاعدًا باسم قنصل أو أوغسطس»[124]، ولم يغب ذلك الاعتراف – أيضًا – عن ذهن بروكوبيوس القيصري حيث قال: «لم يعتبر الفرنجة أنفسهم حكامًا على بلاد الغال إلا بعد موافقة الإمبراطور على حكم ملكهم»[125]، وكان اعتراف الإمبراطور بكلوفس بمثابة المكافأة نتيجة الانتصارات التي أحرزها كلوفس على القوط الغربيين.

ومما لا شك فيه، أن كلوفس استخدم نجاحه في المعركة لتوطيد هيبته الشخصية كملك جرمانى، وكذلك أضافَ إلى أراضية وجيشه كنوزًا من خلال الغزو، وهو أيضًا عزز نفوذه عن طريق عقد مصاهرتين ذو أهمية، التي لا أحد من حكام الفرنجة الآخرين يمكن أن ينافسه فيها. وعلى الرغم من بعض التقديرات التقليدية المرتبطة بهذه المصاهرات التي لم تجلب لكلوفس الكثير من التحالف العسكري أو الدعم السياسي من مصاهريه، إلا إنها جلبت له المكانة الملكية الرائعة لأكثر حاكمين جرمانيين شهرة في عصره ثيودريك العظيم وجندوباد البرجندي. وهذا النفوذ ساعد كلوفس في الفوز بالزعامة على قيادة الفرنجة.

**وكان لانتصار الفرنجة في معركة فوييه عام 507م أهمية كبرى تُكمن في الاتي:**

1. منح انتصار كلوفس في المعركة حرية السيطرة على جميع أجزاء بلاد الغال باستثناء بروفانس القوطية والرون البرجندية مكونا بما يعرف حاليًا أغلب مدن دولة فرنسا الحالية.
2. تكريمًا لانتصاره مُنح كلوفس لقب القنصل أوغسطس Augustus، إذ وصلت رسائل الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس إلى كنسية القديس مارتن التي مُنح فيها كلوفس اللقب، فكان ذلك بداية لتحالف طويل الأمد بين الإمبراطورية البيزنطية وأحفاد كلوفس.
3. أصبح كلوفس حامي المذهب الكاثوليكي في الغرب الروماني؛ كما نجح كلوفس في ضم أعداد من الرومانيين الغاليين الذين كانوا في صفوف آلاريك لمعرفتهم بتسامح الفرنجة مع المواطنين الأصليين.
4. شكل ذلك النصر لكلوفس نهاية العلاقات الودية بين كلوفس وبين ثيودريك ملك القوط الشرقيين، وترتب من جراء النصر طرد القوط الغربيين نهائيًا من بلاد الغال، وتعميق الثقة بين روما وكلوفس التي بدأت على أثر تعميد كلوفس.

## الخاتمة:

(124) Gregory of Tours, Franks, P. 154; See Also, Wood : Merovingian Kingdoms, P. 48
أنظر أيضًا، عليه الجنزورى : جريجوري التوري، ص 106؛ ايهاب صديق: مملكة القوط الشرقيين، 234.

(125) بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية، ت عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، جـ 2، ص 208 – 209.

وهكذا يتضح مما سبق إن كلوفس الذي لم يبلغ عمره الخامسة عشر استطاع قيادة الفرنجة بشكل لافت للنظر، بشكل جلب له أنصارًا وخصومًا بسرعة في غرب أوروبا، ولا سيما بعد انتصاره على سياجريوس في معركة سواسون، ذلك النصر الذي تبعه انتصارات متتالية على الثورنجيين والألماني، ثم تحوله إلى الكاثوليكية، الأمر الذي أفاد منه في حروبه المقبلة. وعلى الرغم من عدم استحواذه على مملكة برجنديا فإنه ضمنهم كحلفاء له في معركته الحاسمة في فوييه عام 507م ضد القوط الغربيين ألد أعدائه في بلاد الغال ونجح في هزيمتهم وقتل ملكهم آلاريك الثاني، وكان نصرًا يحمل معاني كثيرة، إذ تسلم لقب القنصل من الإمبراطور البيزنطي، وكذلك نجاح تحالفه مع الكنيسة البابوية، ثم قام كلوفس بقتل جميع أقاربه لكي يبعد أي منافس له على العرش الميروفنجي، ولكي يُأمن حكم المملكة له ولأبناءه من بعده. وبتلك الانتصارات استطاع الملك كلوفس توحيد جميع أجزاء بلاد الغال تحت حكم الفرنجة، مكونًا بما عُرف حديثًا دولة فرنسا بحدودها فيما بعد. وتفرغ بعدها للقيام ببعض الأعمال الإدارية؛ من أجل تثبت سلطته في جميع أجزاء بلاد الغال، وبذلك عُدَّ كلوفس المؤسس الحقيقي للمملكة الميروفنجية.

كما دعى كلوفس في أواخر حياته عام 511م جميع الأساقفة في مملكته لعقد مجمع كنسي في مدينة أورليان، وذلك حرصًا منه على توطيد الحكم الفرنجي في جنوب بلاد الغال وتوحيد جميع الكنائس في كنيسة واحدة من خلال دمج اساقفة الجنوب الذين لم يعرفوا طبيعة الحكم الفرنجي؛ شارك كلوفس في بعض جلسات المجمع التي تضمنت قراراتٌ تنسجم مع أهدافه الخاصة. وتشكل المجمع من اثنين وثلاثين اسقفًا استدعاهم كلوفس لأورليان من سبعة مدن غالية هي: بوردو، تور، روان **Rouen**، سانس **Sens**، بورج **Bourges**، ريميس وايزو **Eauze**. وعدت شرائع ذلك المجمع تحول كبير لادراك كلوفس بمعتقدات الكنيسة الفرنجية الجديدة مع التقاليد الغالية الروحانية، ومن جانب آخر نجح كلوفس في فرض سلطته على مدن أسقفية وحضارية[126]. وهكذا نجح المجمع الكنسي في إثبات قدرة كلوفس على الحكم، لينظم مملكته ويعكس نتيجة حروبه التي خاضها؛ من أجل توحيد أجزاء بلاد الغال.

## قائمة المصادر والمراجع:

### قائمة المصادر الأجنبية:


52. **Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic,1968).**

53. **Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose,(Translated Texts for Historians, Volume 38) Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press 2002).**

54. **Capitularia Regum Francorum, Denuo edidit Alfredus Boretius, Legum Sectio II, Tomus I; in MGH, Hannoverae, 1883.**

55. **Cassiodorus : The Letters of Cassiodorus eng . trans . Hodgkin , (TH.),**


(126) William M. Daly, Clovis, P.657; Gregory I. Halfond: The Archaeology of Frankish Church Councils, AD 511-768, Boston 2010, PP.223-224.

(London, 1886) .

56. Cassiodorus, Selected Variae, Translated: S. J. B. Barnish, Liverpool University Press, 2006.

57. Cassius Dio : Dio's Roman History ,trans by Ernest Cary ,(Loeb Classical Library in 9 volumes),Harvard university press, London 1955 , Vol 9.

58. Fredegar, Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888(, pp.1194-.

59. Gregory of Tours: The History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974

60. Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi , Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970).

61. Jordanes: The Gothic History of Jordanes, eng. trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).

62. Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888).

63. Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II, pp.225239-.

64. Passio Sancti Sigismundi Reges et Martyris et Sociorum, ed. By. Krusch and W. Levison, (M. G. H), Scriptores Rerum Merowingicarum, (Hannover, 1888).

65. Procopius of Caesarea : History of the Wars Books V and VI , eng. Trans Dewing , (H.b.) vol .3. (London , 2007 ).

66. The Chronicle of Marcellinus Comes : Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995).

67. قائمة المراجع الأجنبية:

68. Amelia B. Edwards, History of France : From the Conquest of Gaul by the Romans to the Peace of 1856, London, 1880.

69. Arnold Jonathan J.: Theoderic, the Goths, and the Restoration of the Roman Empire, (Michigan . 2008).

70. Bachrach, Bernard S ,Merovingian Military Organization 481751-, University of Minnesota Press, 1972.

71. Bachrach, Bernard S ,Vouillé and the Decisive Battle Phenomenon in Late

Antique Gaul, in Book: The Battle of Vouillé,507 Ce Where France Began, Edited by: Ralph W. Mathisen, Danuta Shanzer, De Gruyter, Berlin, 2012.

72. Bouillet, M.N.. Dictionnaire Universel D'Histoire Et De Geographie. Paris: Librairie Hachette, Hardcover 1876.
73. Bradley, (H.) : The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain , (London . 1888).
74. Bury, J.B. ,The End of Roman in North Gaul, in Cambridge Historical Journal. Vol.1, Cambridge University Press,1924.
75. Bury: History of the later Roman Empire : from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1 , University of Toronto, (New York. 1923).
76. Collins: Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York: St. Martin's Press, 1983.
77. Crisp, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481639-,A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003).
78. Eugen Ewig. Die Merowinger und das Frankenreich, 5th updated edition, Stuttgart: Kohlhammer Verlag, 2006.
79. Geuenich, Dieter. "Chlodwigs Alemannenschlacht (en) und Taufe", pp. 423–37. In D. Geuenich, ed., Die Franken und die Alemannen bis zur "Schlacht bei Zülpich" (496497/). Berlin: de Gruyter, 1998.
80. Godefoid Kurth, Clovis, Tome 1, Paris, 1900.
81. Godefroid Kurth: Saint Clotilda, London, 1906.
82. Gorce, M.M, Clovis 465511-, Payot Press, Paris,1935.
83. Gordon,(C.d.) The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan,1960).
84. Heather , , (P .) , The Goths , (Blackwell . 1996 ).
85. Hodgkin , TH., Italy and her Invaders , vols .15- (Oxford . 1891).
86. Hoops, Johannes. Reallexikon der Germanischen Altertumskunde, Vol. 9, Berlin: de Gruyter, 1995.
87. Lewis Sergeant, The Franks from Their Origin as A Confedracr To the Establishment of The Kingdom of France And the German Empire, Paternoster Souare, London, 1898.
88. Ludwic Schmidt : "The Visigoths in Gaul" , 412 – 507 , Cambridge Medieval History, Vol .1 (Cambridge . 1911).
89. Lynn Thorndike, The History of Medieval Europe, U.S.A, 1928.

90. Mathisen, Ralph W. The First Franco-Visigoth War and the Prelude to the Battle of Vouillé, in Book: The Battle of Vouillé, 507 Ce Where France Began, Edited by: Ralph W. Mathisen, Danuta Shanzer, De Gruyter, Berlin, 2012.

91. Moore, W.G, The Penguin Encyclopedia of Places, London, 1971.

92. Moorhead , (J .) : Theoderic in Italy , (Oxford . 1992 ).

93. Oman (CH.) : The Dark Ages ,476 -918 , (London . 1928 ).

94. Perry, Walter C.: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London ,1957).

95. Pfister : Gaul under the Merovingian Franks ", in Cambridge Medierval History vol. II , Cambridge. 1913 .

96. Philip Van Ness, The Middle Ages, Part 1, Ginn Company Press U.S.A,1902.

97. Previté- Orton , C.W. Previte: The shorter Cambridge Medieval History , Vol .I , Cambridge, 1952.

98. Richard H. Lawson, Linguistic Transmission on the Frankish-Alemannic-Ostrogothic Frontier in the Sixth Century, Revue belge de Philologie et d'Histoire Year 1978.

99. Schmidt , L ., "The Visigoths in Gaul" , 412 – 507 , Cambridge Medieval History , vol .1, Cambridge . 1911,

100. Vida Alice Tyrrell, Merovingian Letters and Letter Writers, University of Toronto, Canada, 2012.

101. William W. Daly, "Clovis: How Barbaric, How Pagan?," Speculum Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994).

102. Wolfram, History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap Berkeley: University of California Press, 1997.

103. Wood , I .The Merovingians kingdoms , 450 – 751 , (London and Newyork . 1991).

104. Woodruff, Jane Ellen, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

**المصادر:**

7. اينهارد: سيرة شارلمان، ت عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر دمشق 1989.

8. بروكوبيوس القيصرى: الحروب القوطية، ت عفاف سيد صبره، جـ 2، القاهرة، 1986.

**المراجع العربية:**

1. ابراهيم على طرخان: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958.

2. إسحق عبيد: من آلارك الى جستنيان، دراسة فى حوليات العصور المظلمة، الطبعة الاولى،

القاهرة 1977.

3. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، جـ1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 1972.

4. سيد أحمد على الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، القاهرة 1991.

5. علية عبد السميع الجنزوري، جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1988.

6. محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية،"عصر جوستنيان"، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1989.

7. محمد مرسى الشيخ:

- الممالك الجرمانية في اوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (القاهرة 1975)،
- تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ط2000.

8. محمود سعيد عمران:

- المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، (بيروت 1980).
- معالم تاريخ اوروبا في العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية 1986.

9. محمود عبدالله مهدي عبد الحافظ: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى (492-770م) نورحوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق 2020.

10. محمود محمد الحويرى: رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة 1995.

11. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى اوربه، دار الفكر 1982.

12. وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الآفاق العربية، القاهرة 2013.

**المراجع المترجمة:**

1. كرستوفر دوسن، تكوين أوربا، ترجمة مصطفى زيادة وسعيد عاشور، القاهرة 1967.

2. موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967.

**الدوريات:**

1. فاطمة عبد اللطيف الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني.

**الرسائل العلمية:**

1. ايهاب صديق العربى: مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية البنات للأداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011.

2. بدران عبد الونيس محمد: البرجنديون في غالة (473-534م)، رسالة دكتوراه غير منشور بكلية الآداب جامعة المنيا 2019.

3. كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنصورة 2009م.

4. محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان(768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003.

5. نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان (768-814م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعه بنها 2005.

# سلالة شيشنق

## إعادة النظر في أصل الأسرة الثانية والعشرين المصرية بناء على أدلة لغوية ـ تاريخية جديدة

د. عبدالمنعم المحجوب
أستاذ سابق بمعهد الدراسات الشرقية - جامعة ياغيلونيان
رئيس مركز الدراسات الحضارية C.C.S

الاستلام: 4.4.2024 القبول: 1.5.2024

**المستخلص:**

يسعى هذا البحث إلى إعادة النظر في أصل سلالة الملك شيشنق الأول كما هو دارج لدى الباحثين في علم الدراسات المصرية، وإعادة تحليل ما يرتبط بملوك وأمراء الأسرة الثانية والعشرين من تسميات وألقاب، بالعودة إلى أدلة أثرية أيقونية ونقشية ونصيّة، كما يناقش فرضيات سابقة، منها فرضية سليم حسين (1952) في أصل بوييوواوا الزنجي، سلف شيشنق الأعلى، وكذلك فرضية التطابق بين الما والمشوش من خلال مثالين هما جيمس هنري بريستد (1906) وروبرت ريتنر (2009)، وينتقل من ثم إلى إحياء فرضية الأصل الآشوري، عن طريق تأثيث سيرة موازية تدعمها أدلة لغوية تاريخية جديدة، بالاعتماد على اللغات المصرية والسومرية والأكدية، والسجلات الملكية الكوشية، من ناحية، ودراسة المعطيات التاريخية على امتداد الفضاء الآفرآسيوي دراسةً مقارنة من ناحية أخرى. ويخلص البحث إلى أن شيشنق الأول مؤسس الأسرة 22 وأحفاده، مجهولي التاريخ في مصر قبل شيشنق الجد في الأسرة 21، وأن الدليل اللغوي يثبت أشوريّتهم، ولا صلة لهم بالمشوش من حيث الانتماء القبلي، وأن كلمة «مشوش» تحولت إلى اسم عام يطلق على الجنود الأغراب (المرتزقة)، وهم لم يكونوا جزءاً من التركيبة السكانية في ليبيا القديمة أو الصحراء الكبرى، بل كانوا جزءاً من شعوب البحر الذين وطّنهم الملوك المصريون في مصر واستخدموهم جنوداً وبنّائين.

**كلمات مفتاحية:** شيشنق، بوياواو، مشوش، ما، معت

**Summary:**

This research aims to reconsider the origin of the **22**nd dynasty as is prevalent in Egyptian studies, and to revive the hypothesis of Assyrian origin through a vita parallela that rereads ancient data and presents other considerations with the necessary additions based on the Egyptian, Sumerian, and Akkadian languages, Kushite royal records, and Afroasiatic traditions**.** Engaging with such diverse sources can lead to a richer understanding of historical narratives**.**

I discuss several hypotheses, such as the Negroid origin of the supreme ancestor Buyowawa by Saleem Hassan **(1952)**, and other basic hypotheses, such as the

relationship between the Ma and the Meshwesh, through two basic examples; Breasted **(1906)** and Ritner **(2009).** After linguistic, historical, and religious analyses, I conclude,that Shoshenq I and his descendants have no known history in Egypt before Shoshenq A **(21**st Dynasty**)**, while the linguistic evidence proves their Assyrian origin, with no connection to the tribe named Meshwesh, and that the word "Meshwesh" turned into a functional term given to foreign soldiers **(**mercenaries**)**, and they were not part of the tribal structure of ancient Libya or the Sahara Desert, but rather they were part of the Sea Peoples who were settled by the Egyptian kings to be used as soldiers and builders**.**

**Key words:** Shoshenq, Boyouwawa, Meshwesh, Ma, Maat

## تقديم:

يحيط بالفترة الانتقالية الثالثة في مصر غموض كبير، وخاصةً في ما يتعلق بالأسر 22، 23، 24، فعلماء المصريّات لم يسلّموا لفترة طويلة بأن هذه الأسرات ذات أصل ليبي، ومال أكثرهم إلى عدّها متمصّرة تماماً، بغض النظر عن أصلها، بينما ركّز بعضهم على ما صار يسمّى «الفوضى الليبيّة» تعبيراً عن تشظّي وعدم انتظام الفترة الانتقالية الثالثة التي سيطر فيها «مرتزقة ليبيون» على عرش مصر،[1]) أما الذين تشبثوا بفرضية الأصل الليبي المحض فلجؤوا إلى ما أمكنهم من شواهد تؤكّد أن ملوك تلك الأسرات إنما كانوا ينتمون إلى أسر ليبية توطّن أسلافها مصر، فكان منها الكهنة الكبار والقادة العسكريين ورؤساء القبائل، قبل أن يتولّوا حكم مصر على مدى عدة أسرات.

سوف نعيد طرح موضوعة الأصل هذه بإعادة التفكير في معطياتها الأساسية وما يرفدها من شواهد أثرية ومتون مصرية، مع عقد ما يتطلبه ذلك من مقارنات أساسية، إلى أن نخلص إلى ما يمكن أن نسميه سيرة موازية vita parallela تختلف بهذا القدر أو ذاك عمّا هو سائد في فرضية الأصل الليبي الذي مُيّز به الملك شيشنق وخلفاءه.

يشير روبرت ريتنر R. Ritner في كتاب خصّصه لنصوص ونقائش العصر الانتقالي الثالث بعنوان «الفوضى الليبية» The Libyan Anarchy إلى أن الاعتراف بالطابع الليبي الذي وسم هذا العصر قد كان على نحو تدريجي، فباحثو الأجيال الأولى من علماء المصريات اعتقدوا أنهم وجدوا في الأسماء غير المصرية للحكّام المعاصرين دليلاً على وجود سلالة رافدينية أو عيلامية، حيث رأوا في اسم أوسركون Osorkon تحويراً من اسم سرغون Sargon، وفي تاكيلوت تحويراً من تيغلاث Tiglath، وفي نملوت Nimlot تحويراً من نمرود Nimrod، كما اعتقدوا أن اسم شيشنق يعني «رجل من شوشان» Shushan (أي سوسة Susa)، وأن

(1) من بين الأعمال المبكرة التي تناولت أسر الفترة الانتقالية الثالثة مقال جين يويوت J. Yoyotte الذي نشره سنة في 1961 بعنوان «مقاطعات الدلتا في زمن الفوضى الليبية، دراسات في التاريخ السياسي» Les Principautés du Delta au temps de L'anar-chie Libyenne, Études d'histoire politique وتوالت المقالات والأبحاث التي تشير، عرضاً أو على نحو أساسي، إلى هذه الفترة، وتسبغ عليها طابعاً ليبياً محضاً، كان من بينها مقال أنتوني ليهي A. Leahy بعنوان «الحقبة الليبية في مصر» The Libyan Period in Egypt، سنة 1985، وفيه دعى إلى تسمية الفترة الانتقالية الثالثة باسم «الحقبة الليبية»، وقد تكلّل نداءه هذا بعقد مؤتمر دولي سنة 2007 في جامعة ليدن الهولندية تحت العنوان نفسه، أي «الحقبة الليبية في مصر»، ثم صدر كتاب ر. ريتنر R. Ritner «الفوضى الليبية» The Libyan Anarchy سنة 2009.

اسم إيويلوت (أوروت) Iuwelt (Aorot) تحوير من الاسم البابلي أردو Ardu. وهكذا لم يتم الإجماع على الهوية الليبية لهذه السلالة حتى عام 1908، وهو يخلص من ذلك إلى أنه إذا كان الأصل الليبي للأسر 22، 23، 24 (~ 945 إلى 712 ق.م.) قد تم الاعتراف به صراحةً فإن عناصر ليبية محتملة في الأسر الحاكمة من الأسرة 21 إلى الأسرة 26 كانت موجودة دائماً ولكنها لا تُذكر على الأغلب لاندماجها في أسر غير ليبية. مؤكداً أن «الروابط العرقية» التي ميّزت الأسرة 21 أصبحت واضحةً جليّة عن طريق نشر نقائش معبد خونسو Khonsu التي كشفت عن أسماء ليبية سمّي بها أطفال مؤسسي طيبة، وأن هذه الروابط ظهرت من الأسرة 22 حتى الأسرة 24 ، كما وُجدت كذلك في الأسرة 26 التي حُدّدت أصولها الليبية، ولكن هذه المسألة كانت عرضة للتجاهل بالنسبة إلى الباحثين، كما أنها كانت دائماً تحت تأثير نوع من «التعميمات الرسمية» التي تتمحور حول سلطة الملك على أرض مصر وسكانها، فلم تولَ إلا القليل من الاهتمام، وقد خصّص ريتنر لإثبات ذلك كتابه المشار إليه،[2] وهو شكل من إعادة التأثيث الشاملة لولا أن أسئلة الأصل التي أثيرت وتثار حول الأسر الليبية الحاكمة لا يبدو أنها قد انتهت حقاً.

هذا ،إذن، بحث تطبيقيّ نهدف من ورائه إلى إثبات أن ما يَدْرُج الباحثون والمؤرخون على عدّه «حقيقةً» كاملةً باتّةً قد لا يصمد أمام المراجعة وإعادة النظر بإعمال أدوات منهجية جديدة لم تُستخدم سابقاً، أو أدوات قديمة لم يُستوفَ العمل بها، وأن كل «حقيقة» تاريخية تقبل بقدر أو بآخر أن تكون موضع شكّ كلما توفّرت معطيات نقدها ونقضها، وما لم نقرأ ذلك جيداً ونفسح المجال أمام كل سؤال جديد فإننا لا نقوم سوى بمراكمة أوهام التاريخ والبناء عليها؛ وعلى الاختصار، فإن الدرس التاريخي في مجمله ينحو إلى المقاربات واستخلاص النتائج مما تتيحه الشواهد الأثرية الصريحة، وهي عملية مركّبة بالغة التعقيد لا تنتهي أحياناً، فلا يجب الركون إلى توافقات الباحثين وتواضعات الدارسين في بعض المسائل على نحو باتّ، أو الاطمئنان إلى صحتها يقيناً قطعياً، وإن كنّا نستطيع أن نستأنس بها في فهم المسارات العامة والسرديات الكبرى. وقائع التاريخ القديم لم تنته بعدُ، وبعضها لن ينتهي أبداً!

(2) ترجم ريتنر في «الفوضى الليبية» The Libyan Anarchy (2009) نقائش معبد خونسو الكبير (جنوب الكرنك) وسلاسلها النسابيّة (الجينالوجية)، ويعتمد بالدرجة الأولى على ما ورد في كتاب ك. أ. كيتشن K. A. Kitchen's الذي نشر عام 1973 والمعنون: الفترة الانتقالية الثالثة في مصر The Third Intermediate Period in Egypt ضمن هدف أساسي هو إعادة بناء التسلسل الزمني للأسرات 21 إلى 25، ووضع إطار تاريخي لما يقارب خمسة قرون من التاريخ المصري يثبت فيها أن هذه الفترة لم تكن «فوضوية» ومن الخطأ بالتالي اعتبارها فترة انتقالية.

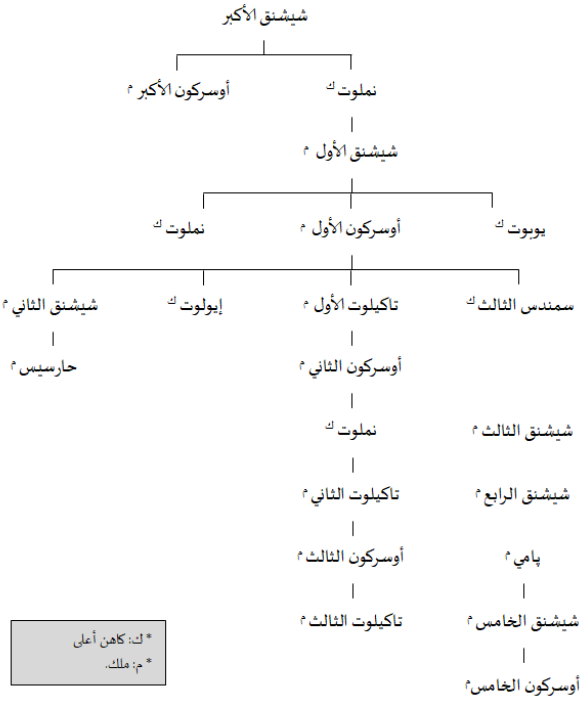


**تسلسل أبناء وأحفاد شيشنق الجد بين كهنة وملوك**

**فرضية ومعطيات:**

درج الكثير من الباحثين وقراء المتون المصرية في بداية القرن العشرين على ردّ شيشنق إلى أصل ليبي لأسباب واضحة سوف نناقشها في هذا البحث، حتى إنهم ألفوا الأمر بعد أن كان مثار جدل كبير، ثم صار خبراً يقيناً، أو في حكم اليقين، لا يأبه أحد منهم بالتفكير في إعادة بحث أسبابه وتفحّصها.

نُسبت الأسرة الثانية والعشرون إلى أصل أشوري أولاً، ثم إلى أصل ليبيّ، وأثارت الفرضية بشقيها جدلاً كبيراً بين الباحثين، على أن هذا الجدل لم ينته سوى سنة 1908 بعد عقود من الأخذ بالفرضية الأولى، ثم جرى الاتفاق على إقرار الفرضية الثانية، للأسباب أو الحجج الرئيسية التالية:

1. أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، بدءاً بشيشنق، ليست أسماء مصرية، وكذلك جدّ شيشنق الأول «بويوواوا»، ثم الذي يليه «ماواساتا» (ماواسن لا حقاً).

2. وُصِفَ ملوك الأسرة الثانية والعشرين بأنهم «زعماء المشوش». ومثلما نرى في انتقال التعبير عن الليبيين أو السكان الغربيين باسم قبيلة من القبائل (التحنو، التمحو، الليبو)، يبدو أن اسم المشوش في عهد الأسرة الحادية والعشرين وما يليها أصبح دالاً بدوره على جميع الليبيين.

3. اتفق الباحثون على أن لقب «زعيم مَ» (أو مَ) The chief of Ma / Me الذي يرد كثيراً في النصوص المصرية بدءاً بالأسرة الثانية والعشرين ليس سوى اختصار «زعيم المشوش» The chief of Mešweš، وينتهي استخدام هذا اللقب بنهاية سلالة شيشنق، ما يدلّ على أن هذه الأسرة ليبية الأصل.

4. لم نعد نرى بعد شيشنق نصوصاً مصرية تحتفي بتقتيل الليبيين الغزاة وذبحهم وبتر أعضائهم، كما كنا نرى في السابق، بدءاً من الملك نعرمر، ما يدلّ على أن شيشنق كان ليبيّ الأصل.

**الجد الأسطوري بوياواوا:**

لا دليل أمامنا يؤكد الأصل الليبي أو الصحراوي الذي نُسب إليه أسلاف شيشنق وخلفائه. أما الحديث عن «بوياواوا» كونه جدّ شيشنق الأعلى، فيُغفل نمطاً جينالوجياً مهماً كان سائداً في مصر القديمة استُخدم في انتساب الملوك إلى أسر وسلالات تبدأ بسلف موغل في القدم لا حقيقة تاريخية له في الغالب، وهو – كما سنرى – نمط معروف في تسلسل الأنساب الملكية يبدأ عادةً بالانتماء إلى أسلاف أسطوريين أو مؤلّهين، وينتهي بالتدرّج إلى الأبناء والأحفاد.

نُسب الجد الأعلى «بوياواوا» إلى التحنو تارةً، وإلى المشوش تارةً أخرى، وقد وطّنه الدارسون في سرت دون سند أثري أو مصدر مدوّن مهما كان ضئيلاً، ومن الشائع القول أن ابنه «مواساتا» انتقل إلى مصر فاستوطن أهناسيا، وفيها تزوّج وأنجب واستقرّت أسرته، ثم قيّض له القدر أن يترك من الأحفاد من صار منهم كاهناً أو قائداً أو ملكاً! لكن هذه الحكاية ليست سوى محض خيال أو هي مجرد وهم من أوهام التاريخ، فما يُعرف عن أسرة شيشنق الأول وخلفائه لا يتجاوز شيشنق الجد الذي عاش في الأسرة الواحدة والعشرين، أما قبل ذلك فلا يُعرف عنها شيئاً.

في سنة 1851 اكتشف أوغست مرييت A. Mariette (ت. 1881) لوحة حورباسن (باسن حور لاحقاً) التي تعدّ «أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين»،[3] لأنها سجّلت نَسَب الملك شيشنق الأول بدءاً من سلفه الأعلى بوياواوا، وفيها يسبق اسم بوياواوا كلمة «تحن» *thn*، وكان الألماني لودفيغ ستيرن L. Stern (ت. 1911) أول من اقترح سنة 1883 قراءة «تحن بوياواوا» بصيغة «الليبي بوياواوا»، ولأن بوياوا هو السلف الأول في نسب شيشنق، فقد عُدّ شيشنق ليبياً على نحو تلقائي، ثم عمد الباحثون إلى «تجنيس» سلالة الأسر 22، 23، 24 بأكملها على أنهم «ليبيون»، وقد اعتمد ستيرن في هذه الفرضية على دليل واحد هو كلمة «تحن» المضافة إلى اسم بوياواوا في لوحة حورباسن، ولكن قراءته كانت خاطئةً قوبلت بالرفض منذ البداية، حيث اعترض علماء المصريات معربين عن أن هذه الترجمة ليست سوى خطأ فادح، وكان رونوف (ت. 1897) الذي عُرف جيداً بترجمة «كتاب الموتى» أول من نبّه إلى هذا الخطأ في مقال له بعنوان «من كان الليبيون؟» نُشر سنة 1891، بدأه بالتشديد على ضرورة الانتباه إلى «الطريقة غير العلمية التي يُعامل بها مصطلح لا غبار عليه تماماً في سياقه الصحيح ثم يُقحم في أداء وظيفة لا تناسبه أبداً».[4] مشيراً إلى أننا لا نستطيع أن نفهم من كلمة «تحن» التي تسبق اسم بوياواوا معنى المجموعة العرقية «تحنو»، أو بلاد التحنو، أو نسبة

(3) سليم حسن، 1994، ص 83.

(4) Renouf, 1891, p. 599.

شخص ما إلى المجموعة أو البلاد، إلا إذا كانت ملحقة بمحدّد تمييزي يشير إلى ذلك، وهو سياق ثابت في النقوش المصرية لا يتغيّر، أما بغير هذا المحدِّد اللغوي فلا يمكن استنتاج أي دلالة جغرافية أو إثنية تُنسب إلى الاسم، بل يُكتفى بدلالتها اللغوية المباشرة.[5] أي إن بوياواوا اسم علم مفرد سبقته صفة تقديرية تمييزاً له كونه سلفاً أعلى، أما دلالة صفة تحن فهي «المشرق» أو «ذو الإشراق»، وهي الصفة التي فُسّر بها اسم تحنتيو Teḥentiu إلهة الإشراق والضياء. إن القول بأن بوياواوا كان من قبيلة التحنو «خطأ فادح» كما قال رونوف،[6] وقد قدّم بعد ذلك أمثلة واضحة، منها: إن رمسيس الثالث مثلاً كان يدعى تحن حع ، وقبله بوقت طويل كان أمنحوتب الثالث يدعى تحن خپرو وهذا «تماماً هو الشكل النحوي ذاته الذي يوجد عليه اسم سلف شيشنق».[7] ولكن ذلك لا يتيح بأي حال من الأحوال أن ننسبهما إلى الليبيين أو إلى التحنو! إلا أن «التجنيس» وتثبيت الهوية كان أكثر إغراء من تدقيقات رونوف، وهكذا انبثقت في علم المصريات مرحلة ليبية موضوعها الأسر 22، 23، 24، وعلى هذا المنوال وُلدت أسطورة «شيشنق الليبي» الذي لم يكن ليبياً، وسطعَ اسم هذا السلف المشرق (تحن) على عتمة التاريخ، فصنع عمقاً وهمياً قوبل في ما بعد بالترحاب، لأنه ساهم في ترتيب تسلسل الأسر الحاكمة، وتنوسي خطأ ستيرن.

يظهر تسلسل نسب شيشنق الجد في لوحة «باسن حور»[8] P³snḤr (حور باسن سابقاً) التي تعدّ «أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين»،[9] على النحو التالي: شيشنق بن باثوت بن نبنشي بن ماواساتا بن بوياواوا، ولا يبدو اسم السلف الأعلى «بوياواوا» مصرياً أو أشورياً أو ليبياً، وكذلك الاسم الذي يليه، أي ابنه ماواساتا (ماواسن لاحقاً)، كما لا يبدو أن لهما علاقة بأي من اللغات الأفروآسيوية التي تنتمي إليها هذه اللغات الثلاث، وقد أشار عميد الأثريين المصريين سليم حسن في نهاية خمسينيات القرن العشرين إلى أنهما أقرب إلى أن يكونا من أصل «زنجي». يقول: «أول ما يسترعي النظر في هذه الأسماء هو أن الاسمين الأولين ليسا من المسميات المصرية، ولا بد أنهما من أصل لوبي أو زنجي، وعلى أي حال، فهما ليسا من أصل سامي من حيث النطق والشكل، أما الاسمان الأخريان فهما مصريان في تركيبهما وشكلهما».[10] فإذا فكرنا في ما يمكن أن نسميه «فرضية زنجية» وفق سليم حسن، سوف نجد أن تصنيف الاسمين من حيث أنهما أقرب إلى يكونا من لغة زنجية، ويعني نيلو-صحراوية، قد يكون صحيحاً، ويتوافق ذلك مع تحليل بعض الباحثين الذين يميلون إلى جعل شيشنق أسود البشرة قادماً من جنوب مصر، وإذا عدنا باسم «بويو-واوا» إلى «واوا»، أو «واوات» W³w³.t، فإنه سيكون من الأفارقة الزنوج، وقد ذكر بريستد هذا الاسم ضمن سجلات الأسرة السادسة،[11] حيث تُذكر «تمح» Tmḥ (تمحو) التي تتوطّنها أقوام سوداء من بينها زنوج واوات Wawat

(5) Ibid.

(6) Ibid, p. 602.

(7) Ibid.

(8) عُثر على لوحة «باسن-حور» في منف بمدافن العجل أبيس (السربيوم) وهي «تؤرخ» لستة عشر جيلًا من ملوك الأسرة الثانية والعشرين. أقام هذه اللوحة قائد الجند والكاهن الأعظم بين كهنة الإله «حرشف» بمدينة أهناسيا المسمّى «باسن-حور» في السنة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الرابع؛ أي عند نهاية الأسرة الثانية والعشرين. وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر. انظر سليم حسن، 1952، ص83 - 85.

(9) سليم حسن، 1952، ص 83.

(10) م. ن. ص 85.

(11) Breasted 1906, IV, 142.

negroes (W3w3.t)، ومعهم أقوام سوداء أخرى: إرثت Irthet (الأصل الهيروغليفي يرثت Yrtt)، مازوي Mazoi («مزا» Md3)، يام Yam («يمام» Ym3m)، كاو Kau (كآو K33w ). هذا في ما يتفق مع الفرضية الزنجية، أما كونهما من أصل «لوبي» (أي ليبي قديم) فليس بين أيدينا ما يُثبت ذلك، دلالةً أو اشتقاقاً أو على ما جرت به أساليب التسمية بين الليبيين القدماء في شمال أفريقيا.

لقد ظهرت لوحة الأنساب في زمن الملك الرابع «أوسركون الثاني» (874- 850 ق.م)، أي بعد أكثر من مائة سنة من موت شيشنق، وكان الغرض الأساسي من اللوحة تخليدٌ جنائزي مكرّس للعجل أبيس، ويبدو أن الكاهن باسن-حور لم يترك الحدث يمضي دون أن يخلّد انتماءه الشخصي إلى سلالة شيشنق الملكية بدءاً بالسلف الأسطوري الأعلى «بوياواوا»، ولا ندري ما إذا كان هذا النَّسب قديمٌ يرقى إلى زمن شيشنق الأول نفسه، أم أنه يعود إلى زمن باسن-حور في عهد أوسركون الثاني، رابع ملوك الأسرة الثانية والعشرين! ما نعلمه أن هناك وثيقتان أخريان قريبتان من هذا السجلّ الجينالوجي، الأولى نشرها الأثري جورج دارسي (ت. 1938)، وأخرى لا تختلف عنها كثيراً، وهاتان الوثيقتان لا تضيفان شيئاً إلى لوحة باسن-حور التي تبدو أكثر تسلسلاً واكتمالاً.

من المفيد هنا أن ننتبه إلى أن العودة بالنّسب إلى سلف إلهي أو أسطوري أمر مألوف تماماً في مصر القديمة إذا اتّصل بالملوك، تمييزاً لهم وتقديساً، فهم من نسل الآلهة، لا من البشر الفانين، وكان من السائد أن يُخاطب الملك بلقب إله أو ابن إله (كان الملوك منذ الأسرة الأولى يتخذون لقب حور، أي إن الملك يجسّد الإله حور أو يرمز له، وكثير من أسماء الملوك تُظهر صلة الأبوة هذه، رمسيس (رع.مس.سو) مثلاً هو الذي أنجبه الإله رع، وأخناتون كان ابن الإله آتون، تقول المتون أنه «ابنه من جسده»، أي من جسد الإله نفسه، ...إلخ)، أو أن يؤلَّه أسلاف الملك إذا لم يكن هو نفسه مؤلَّهاً، أو يُنسَبون إلى أصل أسطوري قد يكون معروفاً أو غامضاً، لكنه يُحاط بالتقديس والتبجيل في الحالتين، ويُعبَّر عن هذه الصلة المتميزة بإله أو كائن أسطوري بصيغة جينالوجية واضحة لا يرقى إليها الشكّ تلخّصها كلمة «ابن». ويسري هذا تقريباً على أجداد شيشنق الأربعة الأوَل (بوياواوا، ماواسان، ثم نبنشي وباثوت)، وعنهم يقول سليم حسن: «لا بد من التنويه هنا بأن المصري كان في غالب الأحيان يستعمل كلمة والد أو ابن بمعناها الواسع، وعلى ذلك يجدر بنا أن نعد الأجداد الأُول الأربعة الذين ذكرهم باسن-حور في أول اللوحة بمثابة أجداد ينتسبون إلى الماضي البعيد؛ هذا إذا لم نعدّهم من الشخصيات الأسطورية، وعلى هذا الزعم يمكننا أن نضع بينهم وبين الأسماء التي تلي باثوت فاصلاً؛ لأن الأشخاص الذين ذُكروا بعده يعدّون شخصيات معروفة تمام المعرفة».[12]

نخلص مما تقدم إلى أننا لا نستطيع الذهاب إلى أبعد من شيشنق الجد إذا تتبعنا نسب شيشنق الحفيد (أي الملك)، أما ما قبله فيمكن أن ننسبه إلى الأسطورة، أو إلى «الأسطرة» بمعنًى أدق، أي إضفاء طابع أسطوري على أسلاف الأسرة وقدمائها المجهولين.

قد يتساءل بعضنا عن سبب إقحام اسمين مصريين (نبنشي وباثوت)، بعد اسمين غير مصريين في سلسلة أجداد شيشنق! لا أحد يملك الإجابة، ولكن بالإمكان وضع فرضيات مناسبة تعتمد على ما كان سائداً آنذاك من صور مجازية واستعارات، وقد يعوز الإثبات موضوعاتها،

(12) سليم حسن، م. ن. ص. 85.

لكنها لا تخالف الوقائع المعاشة أو تشي بما ينفيها في زمنها، فمثل هذه الأساليب الأدبية كانت سائدةً جداً وتحظى بقبول عام يزداد كلما زادت التورية غموضاً أو زادت الاستعارة إثارةً. وبالعودة إلى لوحة الكاهن باسن-حور، وميله إلى تأصيل نسبه عميقاً ضمن سلسلة الملوك، كان من المقبول تماماً بين المصريين أن يتّصل النَّسب على نحو غامض بقدر أكبر من القدم السحيق الذي يدل عليه اسما بوييواوا وماواسان، أما وجود نبنشي وباثوت ضمن هذه القائمة فهو تأكيد ضمنيّ يشير إلى أن أبا شيشنق وجدّه إنما هما مصريان حقاً، وإن ميّز أصلهما الغموض، أو ربما الرهبة، بالإنتماء إلى سلفين أكثر قدماً وبُعداً لا أحد يعرف عنهما شيئاً.

تسلسل نسب شيشنق في لوحة باسن-حور يبدأ إذن من ماض أسطوري سحيق لا يمكن إثباته، يمثله جدّان أسطوريان غامضان، أقرب إلى أن يكونا زنجيينْ، ثم ينتقل فجأة إلى جدّين مصريين، ثم يعود لينتقل إلى سلسلة من الأسماء لا يبدو أنها مصرية أو ليبية أو سودانية، أي إن الأجيال الأربعة الأولى في هذا السجل الجينالوجي قد تكون رمزيةً في الأساس، ولكن لنمضي في هذا البحث بأخذها على حرفيّتها، ونتساءل: إذا كان أمر الأجداد الأربعة الأوَل على هذا النحو، فما كانت أسماء شيشنق وخلفائه إذن؟ وما لقب «زعيم المشوش» (أو «زعيمُ م» wr n m) الذي رافق أسماء الملوك والأمراء؟ بالإضافة إلى إبطال الاحتفال بعيد «تقتيل الليبيين» في زمن الأسرة الثانية والعشرين؟

**العودة إلى أشور:**

نعيد التذكير بأن أصل شيشنق من حيث هو ليبيّ من المشوش، أصبح توجّهاً عاماً في علم المصريات والدراسات التاريخية المتصلة به، ويندر أن نجد من يشكّك فيه، وكان هذا الرأي قد رسخ منذ أن نشر إمانويل دو روجيه E. de Rougé سنة 1873 مقالاً عارض به فرضية «الأصل الآسيوي» أو الأشوري في جينالوجيا الأسرة الثانية والعشرين، ولكن الشواهد القديمة التي بُنيت عليها فرضية الأصل الأشوري، لم تنته تماماً، والسبب الرئيسي هو أننا لا نعثر على معنى اسم شيشنق في اللغتين الأفروآسيوتين المصرية أو الليبية القديمتين، أو الكوشية أيضاً، بل نجده واضحاً في الأشورية بمعنيين اثنين: (أ) اسم علم محدّد، و(ب) لفظ مركّب من مضاف ومضاف إليه يعني «لوتس (أو سوسن) الوادي».

معظم أسماء ملوك الأسرة «الليبية» الأولى ليست مصرية، ولكنها ليست ليبية أيضاً، وما لا يمكن العثور على معناه في اللغتين من هذه الأسماء نجده في اللغة الأشورية. لا شك في أن هناك الكثير مما يجمع هذه اللغات الثلاث وخاصة من حيث منشأ بنائها الأفروآسيوي، ولكن تقاليد التسمية وتعريف الأشخاص والسلالات والقبائل تظلّ متميّزة من إقليم إلى آخر، كما إن الكيان الذي تثير هذه المسألةُ صورتَه كيانٌ جغرافيٌ أكثر مما هو محض لغويّ؛ شرقاً (آشور) ووسطاً (مصر) وغرباً (ليبيا).

ثمة تشابهات مهمة سبق طرحها بين أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين وأسماء ملوك أشوريين، أشرنا منهم إلى:

- أوسركون الأول Osorkon I (اسمه المصري وسركن Wsrkn ، وسيركن Wsirkn)، الملك الثاني في الأسرة 22 (ت. سنة 887 ق.م.)، وهو اسم حمله أيضاً أوسركون الأكبر الملك الخامس في الأسرة 21 (ت. سنة 986 ق.م.)، ويناظر هذا الاسم سرغون الأكدي Sargon، واسمه الأشوري شَرُّكِن أو شَرُّكِين Šarru-kīn أي: الملك الحق، أو الملك حقاً، ثم درجت كتابته بصيغة توراتية

عبرية هي سرغون (سركون)، وقد توفي سرغون سنة 2279 ق.م.

- تاكيلوت الأول Takilot I (اسمه المصري ثكرت Ṯkrt ، ثكريوْت Ṯkrỉwt) الملك الثاني في الأسرة 22 (ت: 872 ق.م)، ويناظره في الأصل الأشوري تُكُلْت Tukulti، وهو تُكُلْت-أپل-إيشَرَّ Tukulti-apil-Ēšarra[13]، أي تُكُلْت ابن الإله أشور، ودرجت كتابته تيغلاث الأول Tiglath I، وقد توفي سنة 1076 ق.م.

- يرد أيضاً نملوت Nimlot أو Namlot (اسمه المصري نمرث Nmỉrṯ ، نمارتي (Nỉmỉrtỉ)، حيث نملوت الأول وهو والد شيشنق، ثم نملوت الثاني وهو ابنه، ويناظره اسم الشخصية الأسطورية نمرود Nimrod[14]. ولأن المصرية القديمة تخلو من حرف اللام، أُبدل بحرف الراء، كما في اسم تاكيلوت، فالأصل الأفروآسيوي في اسم نملوت مثل الأصل المصري هو نمروت (أو نمرود).

**شيشنق، الملك-السَّوْسَن:**

بقي اسم شيشنق استثناءً من هذه التشابهات، لأن الكثيرين يعتقدون أنه لم يرد في السجلات الأشورية، وقد أخطأ من ظن ذلك إذ نجده حرفياً بصيغة الاسم نفسها Šū-sa-an-qu (شُوسَنْقُ)[15]، وينقل بصيغة شُسَنْقُ šusanqu أو سُسنْقُ Susinqu ، وهو ابن سنحاريب بالتبنّي، وكان سنحاريب ثاني الملوك في سلالة سرغون الثاني (722- 609 ق.م)، ونفترض أن سنحاريب قد أطلق على ابنه هذا الاسم إما تشبيهاً له بالملك شيشنق، أو وصفاً له باللوتس أو زنبق الماء، وقد يجعلنا تكرّر بقية أسماء الأسرة الثانية والعشرين بين مصر وأشور نميل إلى الافتراض الأول، إلا أن لهذا الاسم معنى محدداً في الأكدية-الأشورية، كما سنرى، فهو أسبق من شيشنق الملك المصري بكل تأكيد.

فلنمض أولاً إلى تحليل اسم شيشنق في المصرية القديمة.

نلاحظ أن أسماء الملوك المصريين ذات معانٍ محدّدة، كما في الفصحى وغيرها من لغات الشرق الأدنى، أي إننا لا نعثر على اسم منها لا دلالة له، فأسماء الأعلام مفردات لغوية ترد بأصلها أو على الاشتقاق.

لقد درجت رومنة الاسم بصيغة ششَكْ[16] Shishak توافقاً مع الاسم التوراتي الذي ورد بصيغة شِيشَقْ שִׁישַׁק[17]. وظهر الكثير من البحوث التي تسعى إلى المقارنة بين شيشنق المصري وشيشق التوراتي، وتحاول ضبط التوافقات الزمنية بين سردية التوراة وسردية النصوص المصرية، وما زالت مثل هذه البحوث تُنشر حتى الآن وتنتهي إلى نتائج مختلفة، بسبب الاختلاف بين منهجين محدّدين سلفاً في قياس مراحل التأريخ يتناولان موضوعاً واحداً، يسعى الأول إلى إثبات التطابق بين المتخيل التوراتي والحدث التاريخي، ويسعى الثاني إلى تطويع المتخيّل التوراتي في تسلسل تاريخي لا يخلو بدوره من ثغرات، وتطغى عليه في

(13) Tallqvist 1914, p. 233.

(14) شخصية توراتية (تكوين 10: 8-12)، حكمت شنعار (جنوب الرافدين في جغرافيا التوراة)، وهي على الأرجح إعادة إنتاج دينية لشخصية سرغون الأكدي.

(15) Tallqvist 1914, p. 226.

(16) يرد الاسم بعدة صيغ، منها: Shishak، Shīshāk، Shīshāq، Shūshaq... إلخ.

(17) الملوك الأول 11: 40 ، 14: 25.

بعض الأحيان لغة الافتراض والتخمين.[18]

أورد بدج الاسم في معجمه بصيغة ش.ش.ق  [19] التي تتوافق مع صيغة التوراة Š.Š.K، وترد في صيغة أخرى شَشَقَ (أو شاشاقا) وهي صيغ يقرنها بدج مباشرة باسم شيشنق التوراتي بصيغة شِشَك أو شيشاك Šišak.[20]

يتكوّن اسم شيشنق من الحروف: ش.ش.ن.ق Š.Š.N.Q، وتنقله لنا الكتابة البربائية بصيغة: ، كما في السرخ التالي: ، ويُقرأ: mrỉ-ʾImn Ššnq مري.أمن. شيشنق (شيشنق محبوب آمون)[21]، ونستطيع قراءة الاسم بصيغ كثيرة عن طريق إعمال الحركات والصوائت الأساسية، ولكننا درجنا على تسميته «شيشنق» تفضيلاً، لا على قاعدة ما، وفي كل الأحوال فإننا لا نعثر على معنى الاسم كاملاً في المصرية القديمة، دون أن نعمد إلى تقسّط المعنى عن طريق تفكيكه مقطعياً، بالتركيز على ملفوظيّته لا على أسلوب كتابته، للوقوف على دلالته أو على ما يضمره من معان. لنقرأ الاسم مقطعياً إذن ثم نعود إلى مصدره الأكدي.

اعتمدنا في التحليل المقطعي التالي على معجم بدج،[22] بالإضافة إلى معجم شيكاغو الأشوري،[23] واستظهرنا المقاطع الرئيسية التي تكوّن اسم شيشنق، مثل: «ش.ش»، «ش.ش.ن»، «ش.ن»، «ق»، كما أغفلنا مقاطع أخرى غير ذات صلة.[24]

يبدأ الاسم بحرف ش مضاعفاً 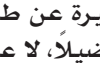 (ش.ش Š.š) على شكل بركة تعلوها أزهار وبراعم متفقٌ على أنها اللوتس في نشأته واكتمال نموّه.[25] قرئ هذا المقطع، وفق معجم بدج، «شا.شا» Š.Š، أو «شَشَ» šaša، أو «شْشَ» šeša. ويفيد المقطع «ش.ش» Š.Š عدة معان، وللكلمة أكثر من صيغة هيروغليفية: (وعاء)، (آلة إيقاعية، أو صنج!)، (أسرعَ، هَرعَ)، (ظبي)، (شَيْب). وغير ذلك من الصيغ، وهي ألفاظ لا تدلّ على شيء يرتبط بشيشنق الذي حفظت لنا النصوص المصرية سيرته.

أما كلمة شن šn وحدها فتفيد معنى الطيران والجثوم، كما تعني شنُ šnu (shenu) Ω الزمن اللانهائي، الأبدية والخلود. وإذا كُتبت بصيغ هيروغليفية أخرى فإنها تعني: محكمة، أو

(18) انظر مثلًا:
James, Peter; Peter G. van der Veen and Robert M. Porter, Solomon and Shishak: Current Perspectives from Archaeology, Epigraphy, History and Chronology: Proceedings of the Third BICANE Colloquium held at Sidney Sussex College, Cambridge 26-27 March 2011.

(19) Budge, 1920, vol. 2, p. 938.

(20) Ibid.

(21) أخذ شيشنق عدة ألقاب، من بينها ستف.ان.رع stp-n-Rʿ (الذي اصطفاه رع، أو مصطفى رع)، وهو لقب رمسيس الثاني، ثم رمسيس السابع، ثم التاسع، ثم العاشر، ثم الحادي عشر، ثم تكرّر مع أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، مثل أوسركون الأول، وثغلاث الثاني، وشيشنق الثالث، كما اتخذه الاسكندر الأكبر لقباً له في ما بعد، وكذلك فيليب وبطليموس الثالث. انظر: Budge 1920, II. 1268 .

(22) Budge, E. A. Wallis; An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, John Murray, Lodon, 1920.

(23) Brinkman, John A. Miguel Civil, Ignage J. Gelb and others; The Assyrian Dictionary. The Oriental Institute, Chicago, Illinois, 1992.

(24) من هذه المقاطع مثلًا «ش.ن.ق» šnq ولا يوجد في اللغة المصرية، و«نق» neq وقد استثنياه في هذه القراءة لأنه لا يفيد سوى معنى واحد لا صلة له باسم شيشنق هو الزنا. (انظر: Budge 1920, I, 395.).

(25) تعني الشين وحدها، أو شَ ša 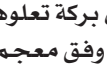 : مرج أو حديقة (Budge, 1920, vol. 2, p. 723)، وهذا مرتبط دون شك بـ ششن، أما شَيْ šai فهي حظ أو قدر أو مصير. ومنها شَوْ šau 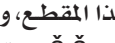 : إله الحظ أو المصير الطيب، وشاشَ šāša : تبجيل، تقديس (Budge 1920, II, p. 724).

بركة، أو فيضان، ... إلخ. وتعني شن šn بصيغة : قاتلَ، نازعَ، جادلَ.[26]

وبإضافة النون إلى «ش.ش» š.š نقرأ ششن ššn (ننطقها شَشَن šašan، أو شْشَن šešan، أو شْشَن šešen، أو غير ذلك بإعمال الصوائت القصيرة)، وششن ššn صيغة من سشن sšn، ويُرسم اللفظ زهرةَ لوتس  أو  ، ما يذكرنا بطريقة كتابة اسم شيشنق أي بتكرار الشين  المكونة من أزهار اللوتس وبراعمه، وتُكتب سسشن ssšn أو [27]، كما تُقرأ بصيغة أخرى هي: س.ن.ش.ن s.n.š.n  (كُتبت أيضاً: س.ش.ش.ن s.š.š.n ) بمعنى لوتس (أو زنبق الماء)[28]، وتناظرها الفصحى سوسن؛ العبرية: شوشن šōšan، الآرامية: شُشَنْتا šušantā، السريانية: شَوْشَنْتا šawšantā.[29]

وللوتس أشكال كثيرة في الهيروغليفية، تعتمد أساساً على لفظ الشين والسين، منها: سنشن s.n.š.n (senshen)[30]، سسشس s.š.s.š (seshsesh)، سشش s.š.š (seshesh)، سششن s.š.š.n (seshshen)[31]، سششن s.š.š.n (senshen)[32]. وجميع هذه الكلمات تعني «لوتس» (أو زنبق الماء)، والأساس في تكوّنها بناءٌ على الشين والسين.

لنحصر القراءة المقطعية في صيغة رئيسية هي ششن.ق š.š.n-q أي أن نجزّئ الاسم إلى مقطعين: «ششن» و«ق»، ويمكننا أن نقرأ الهيروغليف الأخير بصيغة «قء» «قا» qʒ .

إن القيمة الصوتية في القاف q مفردةً، وفق بدج، غير محدّدة الدلالة،[33] ولكن كلمة قا (قء) (تُكتب أيضاً: وكذلك ، وغيرها من الصيغ)، تفيد معنى: علا، سما، ارتفع، نما، طالَ؛ ومنه «قَأي» qʒy أو «قاي» qāy (qaȧ كما يكتبه بدج) أي: العالي، السامي، المرتفع، النامي، الطويل. وكما نلاحظ فإن اسم شيشنق بهذه القراءة، أي بأخذ اسمه على المقطعين: «ششن.قء» يعني: اللوتس (أو السوسن) العالي أو السامي أو النامي، وهي قراءة مقطعية نرى أنها تماثل معنى الاسم في اللغة الأكدية -الأشورية.

إن اسم اسم شُسَنْقُ šusanqu (أو سُسِنْقُ Susinqu) الأشوري (ابن سنحاريب بالتبني) لا يحتاج إلى إثبات، كما مرّ بنا، ولكننا أحببنا أن نعمّق هذه التسمية في المصرية القديمة بدلالة الأكدية لارتباط اللغتين وتواشجهما.[34] أما لغوياً فإن «شوشنق» الأشورية (شوشَنُ.ءنْق šūša-ʾanqi

(26) كما تعني بصيغة  : خطر، عداوة، وبصيغة : عدو، معادٍ. أما بصيغة فتعني: تكلّم، أخبر، ولعنَ، ألقى سحراً، بالإضافة إلى معان أخرى تتصل بالمرض الجسدي والعقلي. فإذا كانت بصيغة  ضمن صيغ عديدة أخرى، فإنها تعني: اخضرار النبات, ورق، فاكهة.

(27) Budge 1920, II, p. 623/ Faulkner, 1962, p. 304.

(28) Ibid, p. 608.

(29) كمال الدين (2008)، ص 223.

(30) Budge 1920, II, p. 608.

(31) Ibid, pp. 622-23.

(32) Ibid, p. 700.

(33) Budge 1920, vol. 1, p. cix.

(34) لي تطبيقات أخرى تعتمد على التحليل أو التفكيك المقطعي، كما في تعميق الصلة بين المصرية القديمة والسومرية مثلًا، وسأذكر منها المثال التالي (انظر: **ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية**، ط1، ص.272) لتأكيد صحّة هذا المنهج: المصرية «سدء. خمو» sd’.ḫmu اسم للخفاش مركب من كلمتين: سدء sd‘ : وتفيد السدّ والحجب والغلق. خمو ḫmu: وتفيد الجهل وعدم المعرفة، هكذا جرى تعريفه، ولكن «سدء.خمو» المصرية وهو اسم الخفاش في لميثولوجيا المصرية يمكن العثور على دلالته المباشرة في اللغة السومرية لا في اللغة المصرية، فالكلمة تتكون من مقطعين سومريين: sidu(g) : كهف، تجويف في الصخور، و ḫamun : طائر، أي: «طير الكهف»، أي الخفاش، وهي دلالة مباشرة لا نعثر عليها في المصرية القديمة التي استخدمة الكلمة بدلالة قريبة غير مباشرة. يمكن العودة إلى العشرات من مثل هذه الأمثلة التي تثبت أن هذا التواشج اللغوي إنماهو مظهر من مظاهر

nu unqi) حرفياً هي: لوتس الوادي، أو زنبق ماء الوادي. وكلمة شوشنُ šūšanu (شُوشَنْ šūšan بإسقاط الإعراب)، تناظر المصرية سُشَنْ s.š.n (لوتس) التي يمكن أن تقرأها سُشَنْ sošan ، أما تحريك السين البادئة بالصائت e (ε) في قراءة بدج، فهو اقتراحه لقراءة الكلمة، وقد اعتاد دائماً أن يضيف هذا الصائت إذا لم يتبيّن حركةً واضحة مقارنةً بالقبطية أو اللغات «السامية».

كما ذكرنا، فإن كلمة شوشن الأكدية–الأشورية تقابلها نظائر في الآرامية والعبرية والسريانية والفصحى، أما في الأكدية فإن تحورات لفظ شوشن تؤدي معان دالّة متقاربة، حيث «شُشَنُّ» šušannu و«سُسانُ» susānu معاً تعنيان: السائس (مدرّب الخيول)، كما تعنيان منصباً رفيعاً في إدارة الحُكم،[35] أي سياسيّ بالمعنى الحرفي؛ المعنيان من جذر واحد كما في الفصحى تماماً، أما الإبدال بين الشين والسين في الأكدية فهو من الدارجات اللفظية المألوفة.

ثمة معنى آخر دقيق جداً في كلمة شوشَنُ šūšanu الأكدية ذو صلة بقصة صعود شيشنق إلى سدّة الحكم، فهذه الكلمة في الأكدية تفيد معنى محدّداً: «لقب مخصّص لوكلاء الملك أو نوّابه»،[36] ما يشي مباشرةً بسيرة شيشنق والطريقة التي استولى بها على عرش مصر، فهو أساساً نائب أو وكيل الملك بسوسنس الثاني، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وصهره ذو النفوذ الذي أدار البلاد باسم الملك.

أما المقطع الثاني وفق هذا التحليل فهو ثابت الدلالة، ويعني: الوادي، ولعل اسم شيشنق في مجمله، إذا طابقناه مع الجغرافيا المصرية، إنما يعني «لوتس وادي النيل» أو «زنبق ماء النيل»، مثلما يعني أيضاً «نائب أو وكيل الملك على وادي [النيل]».

ملاحظة أخيرة هنا، وهي تتضمن لمحةً أنثروبولوجية، متصلة بأعراف الأسرة الثانية والعشرين، أو بما كان سائداً آنذاك من رؤى وتصورات اجتماعية ومعتقدية، ذلك أن زهرة اللوتس تبدو «أيقونةً» مفضّلة ذات صلة عميقة بسلالة شيشنق من حيث أصولهم الأشورية، قد لا نهتم الآن باستكناه أصولها وتحليلها، ولكننا نعرف حقاً أن «زهرة اللوتس في الثقافة الآشورية والفينيقية هي رمز البعث والولادة الجديدة وتولّد قوى الطبيعة»،[37] أفلم يكن التجدّد والديمومة سبباً كافياً لأن يرتبط شيشنق وأبناؤه باللوتس ذي المصدر الألوهي، فضلاً عن الدلالات المباشرة الأخرى كما أوضحنا؟

إن أفضل مثال على ذلك هو الوضع الذي جسّد عليه الملك يوبوت الأول[38] نفسه في هيئة الإله حور وهو يجلس على زهرة اللوتس، وقد قرئت هذه اللوحة بوصفها «إشارة إلى قصة الخلق وانبثاق الإله من المياه البدئية»،[39] ولكن هذه القراءة قد تكون عامةً أكثر مما يجب، أي إنها ذهبت بعيداً وأغفلت المعنى المباشر القريب؛ فكل ما أراد يوبوت أن يجسّده حقاً هو صورة صعوده من زهرة لوتس الوادي الأصلية، أي جدّه شيشنق، ويعني ذلك بلغة التورية الفنية:

التواصل الاجتماعي والمعتقدي عبر التاريخ بين الطرفين الأفرآسيويين الرئيسيين في مصر والعراق.

(35) Brinkman 1992, p. 378.

(36) Ibid, p. 379.

(37) Cooper 2012, p. 391.

(38) يوبوت الأول (829- 804 ق.م.) أو يُؤافتي Yw-w}-p-ty (يُكتب أحياناً Yw-p<-ty و Yw-w}-pt) وفق الكتابة الهيروغليفية، ويُنقل يؤيت Yewepet وإيؤيت Iuput في الدراسات التاريخية). كان وصياً على العرش لمدة خمس وعشرين سنة حتى اعتلى العرش شيشنق السادس Shoshenq VI (-804 798 ق.م) في طيبة؛ وهو غير يوبوت الذي اختاره شيشنق الأول كاهناً أعلى وقائداً لجيش الجنوب بينما اعتلى العرش شقيقه أوسركون الأصغر.

(39) Clayton 1994, p.185.

حقّه الشرعي أو الموروث في حكم مصر بوصفه نجل سلالة السلف العظيم ووريثه، وقد قدّم هذه الرغبة في صورة يفضّلها المصريون القدماء، أي نسبة كل فعل بشري إلى الآلهة أو الغيب، وهو تماماً ما عبّر عنه يوبوت بانبثاقه من ماء البدء (ماء الآلهة) ممثلاً بزهرة اللوتس.[40]

يوبوت ينبثق من زهرة اللوتس الأصلية، أي من جدّه الملك شيشنق

هذا إذن هو اسم شيشنق الأشوري، لا من حيث الدلالتين العَلَمية واللغوية المباشرتين فحسب، بل ومن حيث دلالاته الإضمارية أو الإشارية كذلك. إنه باختصار: سوسن الوادي (أو الملك السّوسن)، كما يضمر اسمه معان دالة، من بينها الوكيل، وذو المنصب الرفيع، والسائس أو ربّ الخيول، وسائس البشر. وإذا تركنا الملك جانباً والتفتنا إلى بيته يبرز أمامنا ملمح إضافيّ، ثانويّ ولكنه دالّ، حيث كانت الملكة أو الأميرة في أسرة شيشنق، وفي أسر أبنائه وأحفاده من بعده، تُنادى بلقب ملكي لم تعرفه المصرية القديمة، ولا الليبية آنذاك طبعاً، وهو كريمَت Karimat أو كريمُت Karimot بمعنى «الكريمة»، ونعتقد أنها صيغة مؤنثة من الأكدية karimmu التي تفيد النُّبل والعظمة والقوة. يقول بيتري عن ذلك: «كان هناك الكثير من البلبلة في تحديد الملكات والأميرات في الأسرة الثانية والعشرين بسبب تشابه أسمائهن إلى حد كبير، ولأنه لم يكن من المحتمل أن يكنّ قد حملن الاسم نفسه، فإن تكرار الكلمة يعني أنها كانت لقباً أو نعتاً ولم تكن اسماً». ويضيف: «هكذا فإن لقب الأميرة أو الملكة في أسرة شيشنق كان تماماً مثل الكلمة العربية التي تُطلق على الأميرة، أي الكريمة... أما كيف أصبح لقبٌ ساميّ مستخدماً

(40) وردت كلمة «شَنُ» Sha-Nu في معجم بدج (2: 721) بمعنى: The Celestial Ocean، أما قراءتنا هذه فتتجاوز المعنى اللغوي إلى أنثروبولوجية الدلالة، وكنتُ قد دعوتُ مراراً إلى النظر في النصوص أو الأيقونات أو الآثار إجمالاً بطريقة متوازية، إذ لا يكفي على الإطلاق أن نقرأ المادة الأثرية التي بين أيدينا من حيث تأريخها ونسبتها الجغرافية فحسب، بل يجب إجراء قراءات بينيّة تتيح لنا معرفة واستكناه مختلف الدلالات المرتبطة بها: تاريخياً، واجتماعياً، ومعتقدياً، واقتصادياً.

على نحو عادي في أسرة مصرية فهو أمرٌ واضح إذا أدركنا أصل اسم شيشنق[41]... ومن الطبيعي أنه قد احتفظ بلقب كان مألوفاً في موطنه فأطلقه على أميرات العائلة».[42]

لنختم هذ القسم بالقول أنه بغض النظر عن التدقيق في أصول الأسرة الثانية والعشرين، ليبيةً كانت أم أشوريةً، فإن هذه الأسرة كانت مصرية حقاً، بمعنى انصهارها الكامل في المجتمع المصري بتقاليده وأعرافه، ولم تكن مجرد وافدين متمصّرين Egyptnized كما يفضّل بعض الباحثين أن يقول، فهي قد انبثقت من المجتمع المصري نفسه، بوصفها جزءاً من تركيبته الأهلية المحلية، ولم تكن نتاج غزو أو تدخل خارجي مثل الكوشيين أو الهكسوس، أو غيرهم. ويبقى هذا الأمر مثيراً حقاً، دون أن تنهيه توافقات الباحثين تماماً. إن حِيَل التاريخ الواقعية تبدو أعمق وأكثر تأثيراً من الحلول التوافقية.

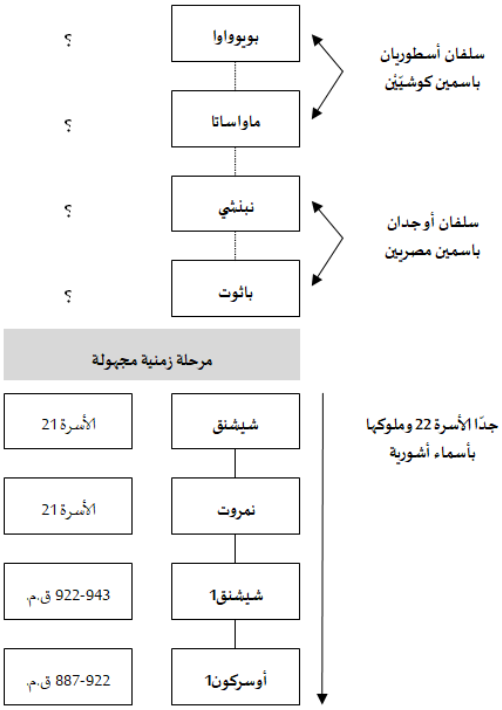


تداخل التسلسل الأسطوري والتاريخي في نسب الأسرة الثانية والعشرين

**حقيقة «م» و«المشوش»:**

النقطة الثانية التي رجّحت القول بالأصل الليبي في سيَر الملك شيشنق وأبنائه، هي العلامة «م» في عبارة «زعيم م» The chief of M، وقد قرئت على أنها اختصار من كلمة «مشوش»، فهل

(41) كان فلندرز بيتري من بين الباحثين الأوائل الذين ميزوا الأصل الأشوري في سلالة شيشنق، ولكنه اعتقد مثل الكثيرين أن اسمه يعني «رجل من سوسا» Susa، على غير ما ذهبنا إليه في تحليل الاسم.

(42) Petrie 1916, p. 70.

هي كذلك؟ إذا كانت هكذا فلماذا ترد «م» و«مشوش» مستقلّتين في سياق نقش واحد؟ ما هي هذه الـ«م» حقاً؟

لنذكّر أولاً أن علامة «م» هذه نُقلت مَ me في بعض الأحيان، ومَ ma في أحيان أخرى، أما في الأصل المصري فتُكتب «م» M و«ما» Mꜣ، و«مع» Mꜥ، كما في نقوش أبيدوس[43] أو كما في نقش پديس[44]: ور عا ن مع wr ꜥ n Mꜥ (زعيم مع العظيم). وقد احتار الباحثون في القرن التاسع عشر عندما قرؤوا عبارة «وُرْ ن ما» wr n Mꜣ أو «وُرْ ن مع» wr n Mꜥ التي ترد مراراً وتكراراً في النقوش المصرية، دون أن يقفوا على حقيقتها في بادئ الأمر، ثم تحمّس بريستد في بداية القرن العشرين، وحافظ عليها بصيغة Me قائلاً بكل ثقة أنها اختصار مشوش Meshwesh، وهكذا أصبح معنى «وُرْ ن ما» wr n mꜣ تلقائياً: «زعيم المشوش»، وقوبل هذا الاقتراح بترحاب عام، لأنه حلّ مشكلة عويصة تؤثّر على سلاسة قراءة النصوص المصرية. فهل كان اقتراحاً صائباً؟

يعود اللفظ إلى أزمنة أقدم من سلالة شيشنق، ونجده متكرراً في تراث الشرق الأدنى بدلالة معتقدية واضحة، بدءاً بالألواح السومرية والأكدية، أما في ارتباطه بشيشنق فإنه يرد أولاً في لوحة شيشنق الجد،[45] وكان كاهناً أعلى في الأسرة الحادية والعشرين، أي قبل اعتلاء حفيده عرش مصر، وتسرد اللوحة شكوى شيشنق الأكبر، جدّ الملك شيشنق الأول، بعد نهب ضريح ابنه نملوت، وكيف أنصفه ملك الآلهة (أمون-رع)، ثم عوقب الجناة، وهم القيّم على الضريح والكاتب والمفتش، وكلّ من نهب أو سرق شيئاً من محتويات الضريح والتّقدمات التي وُضعت على طاولة أوزيريس.

يبدأ النقش بذكر شيشنق الجد، ويصفه بأنه:

«زعيم الزعماء العظيم، شيشنق، المحق».[46]

ور عا ن ورو، شيشنق، ما-خرو

wr ꜥ n wr.w Šꜥnq mꜣʿ-ḫrw

The great chief of chiefs, Sheshonk, justified.

ويذكر شكواه، ثم يصف النقش نملوت بأنه كان:

«زعيم مع العظيم، نمرث المحق، ابن محت-ن-وسخت».[47]

ور عا ن مع نمرث ما-خرو سا محت.ن.وسخت

Wr ꜥ n Mꜥ Nmꜣrṯ mꜣʿ-ḫrw sꜣ Mḥt-n-wsḫt

(43) Ritner 2009, 167.

(44) Ibid, 389.

(45) لوحة من حجر الغرانيت الأحمر (120 × 150 سم)، عثر عليها أوغوست مريت جنوب البوابة الغربية لكوم السلطان بالعرابة (المصرية نفور Nfwr، اليونانية أبيدوس Abydos). انظر: Breasted 1906, Vol. 4, p. 325، ويمكن الاطلاع على نص اللوحة الكامل في Ritner 2009, 166-171

(46) تُرجمت ما-خرو mꜣʿ-ḫrw كما وردت لدى قراء المتون المصرية بالمظفّر triumphant، غير أنها عُدّلت إلى justified أي المُحق، وهكذا أثبتناها هنا. إذا عدنا إلى معجم بدج نجد أن 𓂋𓏏𓐍 (ضمن صيغ هيروغليفية أخرى) – وهو ينقلها maā-kheru – تعني صوت الحق أو كلمة الحق (كما في حساب الآلهة) لتأكيد البراءة، وصيغتها المؤنثة معت-خرو mꜣʿt-ḫrw (أو maāt-khreu كما يكتبها بدج، ص. 271)، وهي ترتبط بالظفر والبراءة معاً 𓂋𓏏𓐍𓎛𓂝 ، والأصل في الكلمة أنها تجمع بين «مع»، الحق والحقيقة، و«خرو»، الصوت والكلمة. من هنا فإن كلمة مُحِق تبدو أفضل ترجمة لها.

(47) يرد اسم محتنوسخت في النصوص المصرية بصيغة Mḥt-n-wsḫt وينقله بريستد: مهتنوسيخت Mehetnusekhet.

The great chief of Me, Namlot, justified, son of Mehetnusekhet. (48)

**ثم يعود النقش ليذكر الأب أيضاً ويصفه بأنه كان كذلك «شيشنق المحق، زعيم م العظيم، زعيم الزعماء».**

**شيشنق ما-خرو پا ور عا ن مع ور ن ورو**

Šš3nq m3ʿ-ḫrw p3 wr ʿ3 n Mʿ wr n wrw

Shoshenk, the justified, the great chief of Me, chief of chiefs.

**يوصف الأب (ششنق Ššnq)، وبعده الابن (نملوت Nmrt)، في هذ النقش الطويل بأنه «زعيم مع»، دون أن تُذكر كلمة «مشوش»، وهذه – في ما نعلم – أول مرّة يرد فيها هذا اللقب مرتبطاً بالأسرة الحادية والعشرين، مع الإشارة إلى وجود لقب أسبق، يعود إلى الأسرة العشرين، هو «زعيم ءم» The chief of 3M، ولكننا نغفله هنا بسبب غموض قراءته.(49)**

**كان شيشنق الجد ذا مكانة رفيعة ونفوذ كبير في عهد الملك بسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، ولم يتردّد الملك بعد هذه الشكوى في الأمر بإعدام المخرّبين، وتجديد الضريح وحمايته، واتّخذ شيشنق سادنيْن «أشوريين»، هما إخامون Iḫamon وإكبتاح Ekptah (50)، يقومان على خدمة الضريح بدلاً من سدنته السابقين الذين نتوقع أنهم كانوا من الأهالي أو من الأرقاء.**

**حسناً، لنقرأ نقشاً آخر بعيداً عن طقوس المعابد تدور أحداثه في «مدينة غير معروفة»،(51) يتحدث عن حاتي-حنكر H3-ty-ḫnkr (ينقل المؤرخون اسمه بصيغة هيتيهنكر Hetihenker)(52)، يبدو أنه كان حاكم مقاطعة من مقاطعات الدلتا الغربية، عاش في عهد شيشنق الرابع (798–785 ق.م)، ويوصف بأنه «زعيم م».**

**يتحدّث النقش عن رئيس قوافل الفرعون The chief caravaneer of Pharaoh، واسمه «واشاتيهات» w3šš3tiḥ3t(53) أهدى إلى معبد حتحور مساحة شاسعة من الأراضي، وكان كبير حجّاب المعبد يدعى «پاسعقا» P3sʿq3 (نقله بريستد Peseʿke)، ويقول پاسعقا هذا أنه يعمل برعاية سيده: «زعيم ليبيا (ر–ب) العظيم، زعيم «م» العظيم، حاتي-حنكر» H3-ty-ḫnkr ، حرفياً:**

The great chief of Libya (R-b), great chief of Me, Hetihenker.(54)

---

(48) Breasted 1906, Vol. 4, p. 329.

(49) ورد لقب «زعيم عم» في الأسرة العشرين، في نص يحتفي بانتصارات رمسيس الثالث، حرفياً: عبعتي زعيم عم ʿb‘ty is the chief of 3m، وقد رُجّح دون إثبات أن «عم» 3m في هذا النقش كانت في الأصل «أمْر» (عَمْر) أو «أمور» (عمور Amorʿ) تآكل حرفها الأخير واندثر من النقش. أما «عبتي» b‘ty فقد رأى بريستد أن قراءتها غير مؤكدة، مشيراً إلى أن الكلمة تظهر عدة مرات في نصوص رمسيس الثالث، وأنها تُطلق غالباً على الملك، ثم افترض أن هذه الكلمة صفة تعني «مقرّن»، فإما أن يكون الموصوف ملكاً ذا تاج مقرّن، وإما أن يكون نطيحاً (مات نطحاً بقرنين)، وبما أن النقش يتّصل بزعيم أجنبي، فإن الاحتمال الثاني هو الأرجح، ثم يعود ليؤكد أن الإشارة إلى «أمر» لا تعدو أن تكون مجرد تخمين، اعتماداً على الحرفين الأول والثاني M3، لأن الحرف الثالث غير مقروء. انظر: Breasted, 1906, Vol. 4, p. 21.

(50) Breasted 1906, Vol. 4, p. 330.

(51) Ibid, p. 392.

(52) Ibid, p. 390.

(53) نقله بريستد Weshtehet (1906)، ونقله ريتنر Washtihat (2009).

(54) Breasted 1906, Vol. 4, p. 393.

نقلَ بريستد اسم قبيلة «رب» Rb (ربأ Rbꜣ وربو Rbw كما في نصوص أخرى، أي ليبو) جاعلاً إياه اسم علم دالاً على «بلاد ليبيا»، بالرغم من أن اسم ليبيا لم يُعرف بهذا المعنى في ذلك الزمن بعد، بل كان يقتصر على تسمية قبيلة من القبائل التي تتوطّن غرب النيل، والحال أن بريستد قبل ذلك كان قد ذكر أن «مَ» Me أينما وردت إنما هي اختصار «مشوش»، فلا بد أن هذه الطريقة في نقل الأصل المصري أراحته من هذا الجانب دون شك، إذ بدلاً من أن يقول أن حاتي-حنكر هو زعيم الليبو، وأنه أيضاً – وفق نظريته في تفسير «مَ» – زعيم المشوش كذلك، فإنه يجعل «رب» هنا تعني ليبيا بأسرها، أي إن حاتي-حنكر هو «زعيم ليبيا»، فهو إذن «زعيم المشوش»، على قاعدة من يحكم الكل يحكم الجزء تبعاً، وهكذا يحلّ الإشكال بكل سهولة، وكنا سنأخذ بذلك لو أن العالم كان يعرف آنذاك «بلداً» يُدعى ليبيا، غير أنه لم يكن!

إن قراءة النقش كما جرت نقحرته عن النص الأصلي، تفيدنا بأن حاتي-حنكر كان زعيم «رب» العظيم، أي إن حاتي-حنكر ذا المنصب الرفيع هذا، كان زعيم قبيلة الليبو (مكتفين بأن دلالة رب هنا RB تقتصر على الليبو)، وأنه بالإضافة إلى ذلك كان زعيم «م»، فإذا كانت «م» اختصاراً من «مشوش»، فإنه زعيم الليبو والمشوش معاً، وزعامة أكثر من كيان قبلي في وقت واحد صيغة نادرة لم تُذكر إلا في أوقات الحروب التي تقتضي تحالف القبائل، فالأولى إذن أن نقرأ النقش بطريقة أخرى أكثر اتساقاً، أي أن يكون حاتي-حنكر، أو الأمير حنكر هذا، «زعيم الليبو»، وهو في الوقت نفسه زعيم شيء آخر يدعى «مِ»؛ سوف نرى! ولكن قبل ذلك ربما يحسن بنا أن نسأل: كيف أدرج بريستد فرضية الدمج بين «م» و«مشوش» وزرعها في عمق المصريّات فبدت كأنها حقيقة تامة لا تقبل الجدل؟

في ترجمة نقش يعود إلى عهد الملك فاما، أو پاما Pꜣmꜣ أو پاميو Pꜣmiw كما تذكره النصوص المصرية،[55] ترد العلامة «مَ» Me واسم «مشوش» معاً في السياق ذاته. يقول النقش:

زعيم «مَ» العظيم، پديس، المحق، ابن زعيم المشوش العظيم، تاكيلوت، المحق

ور عا نا معو پادياست ما-خرو سا ور عا ن نا معشواش ثكريوُت ما-خرو

wr ʿꜣ nꜣ Mʿ.w Pꜣdiꜣsṯ mꜣʿ-ḫrw sꜣ wr ʿꜣ n nꜣ Mʿšwꜣš Ṯkrỉwt mꜣʿ-ḫrw

Great Chief of the Ma, Padiese, the justified, son of the Great Chief of the Mesh-wesh, Takelot, the justified

أي إن پادياست (پديس) كان زعيم «مع» Mʿ، وهو ابن تاكيلوت الذي كان زعيم «المشوش». تُرى لماذا يرد الاسمان («م» و«مشوش») متتابعين على هذا الشكل؟ ولماذا لم يُكتفَ بتكرار أحدهما إذا كانا يؤديان المعنى نفسه؟ لكي يحلّ بريستد إشكال تتابع اللفظين فإنه يعلّق قائلاً: «يثبت هذا أن «مَ» Me هي اختصار «مشوش»، لأن تاكيلوت، والد پديس، يظهر بوصفه «رئيس مَ»، في اللوحة السابقة».[56]

ولكن ماذا يعني ذلك حقاً؟ حسناً، كان تاكيلوت في نقش آخر «زعيم مَ»، وهو في هذا النقش «زعيم المشوش»، فما الذي يحول دون أن يكون تكيلوت زعيم المشوش وزعيماً الـ«مَ» معاً؟ نعود إلى نص «اللوحة السابقة» الذي أورده بريستد وفسّر به هذا الدمج بين «مَ» و«مشوش»، فنجد:

(55) ينقله بريستد بصيغة پيمو Pemou. وتوجد عدة صيغ في كتابة اسمه، أشهرها Pamiu، ويفسّر عادةً بأنه القط، أي الملك القط.
(56) Breasted 1906, p. 390.

محبوبه الأفضل، رئيس «مع» العظيم، پديس المحق، ابن زعيم «مَ» العظيم، تاكيلوت المحق.

حس مرِف ور عا ن مع باداست ما-خرو سا ن ور عا ن مع ثكريوْت ما-خرو

ḥs-mr≠f wr ʕ n Mʿ Pʒdiʒšt mʒʿ-ḫrw sʒ n wr ʕ n Mʿ T̲kriwt mʒʿ-ḫrw

His beloved favorite, Great Chief of the Ma, Padiese, the justified, son of Great Chief of the Ma, Takelot, the justified[57]

إن هذا لا يعني شيئاً سوى أن الاب وابنه يشتركان في هذا اللقب، أي إنهما كانا زعيمين من زعماء «مَ»، ولا يعني إطلاقاً أن «مَ» و«مشوش» يؤديان المعنى نفسه، كما أعلن بريستد.

لقد أوضحت الأمثلة السابقة أن لقب «ور م» سابق على الأسرة الثانية والعشرين، كما في لوحة شيشنق الجد، وأن هذا اللقب قد يرد مع كلمة مشوش في نقش واحد، كما في لوحة حاتي-حنكر ولوحة تاكيلوت بن پديس، والغالب أنهما يعنيان شيئين مختلفين. سوف نمضي إلى تحليل عبارة «ور ن م» wr *n* m كما وردت في النصوص المصرية، لنرى ماذا تعني، مع الالتفات أولاً إلى كلمة «ور» التي قُصرت ترجمتها في الغالب على أنها تعني «زعيم»، وما إذا يحسن بنا أن نجّدد ترجمتها!

تتكون الجملة من «ور»، وأداة الإضافة «ن»، و«م». كلمة «وُرْ» التي درجنا على ترجمتها بصيغة «زعيم» ينقلها بعض علماء المصريات wr ، مثل بريستد، كما ينقلها بعضهم الآخر ur، مثل بدج.

تفيد «ور» في معجم بدج معنى العظمة والكثرة والضخامة، وتُكتب في أبسط صيغها البربائية أو ، فإذا ارتبطت بالإله في صيغة أو فهي الإله العظيم، وإذا ارتبطت بالإنسان في صيغة أو أو غير ذلك من الصيغ فهي الرجل المسن، أو النبيل، أو الأمير، أو السيد، أو القيّم على القضايا الكبرى العامة، ومؤنثها ورت ، أو . كما تعني المظفَر أو المنتصر إذا وردت بصيغة ، وتعني عموماً صفة النبالة بالنسبة إلى الرجل أو المرأة. ومنها ورعا (العظيم السّامي) صفةً للملك، وكذلك ورعات  (العظيمة السّامية) صفةً للملكة.[58] وكلمة وُر عامةً هي أقرب إلى الوجود الغيبي (الإلهي)، كما في «وُرُو» وتعني الآلهة، أو أرباب السموات، وكذلك الآلهة التي أنارت الظلام،[59] و«وُروي» أي: الإلهان العظيمان حورس وست، و«وُرت» أي: الإلهات الأربعة حاميات الموتى، وهي أيضاً لقب الإلهة نيث وآلهة أخرى.[60] وإذا أضيفَت «وُر» إلى «وُرت» بصيغة وُر-وُرت فإنها تكون لقباً للإلهة إيزيس والإلهة نفتيس.[61] وهناك العشرات من الأسماء الدالة على ارتباط الكلمة بالآلهة والإلهات، والأصل فيها معاني السمو والعظمة والارتفاع.

وتعني «ور» في معجم فالكنر صفة العظمة أساساً، وتدلّ على عظمة المكانة أو علو القدر أو زيادة الحجم أو طول العمر. ومؤنثتها وُرْت : علو المنزلة والأهمية، كما تعني بإضافة علامة تاج الجنوب عرش مصر العليا، وبإضافة تاج الشمال عرش مصر السفلى،

(57) انظر بريستد Breasted 1906, 387، وكذلك Ritner 2009, 390 ، مع بعض الاختلاف في ترجمة الأصل المصري ونقحرة الأسماء.

(58) انظر هذه المعاني وتعدّد صيغ الكتابة في: بدج (1920)، ج1، ص 170-171.

(59) Budge 1920, vol. 1, pp. 170-172.

(60) Ibid, p. 172.

(61) Ibid, p. 173.

أما بالإشارة إلى رجل ما بوصفه وُر  فذلك يعني أنه عظيم، أو رفيع المنزلة، أي عين من الأعيان، أو كبير من كبراء القوم، أو رأس طائفة، ويشار بها أيضاً إلى إله (أو آلهة) المكان أو البلد، كما يشار بها إلى حكّام البلاد الأجنبية وملوكها.[62] مع استخدام اللفظ في وصف المقام العالي إطلاقاً بكلمة عا-وُر a-wr-ꜥ وتعني حرفياً «الباب العظيم».[63] وهي الكلمة التي يقرؤها بدج بصيغة وُر-عا wr-ꜥa وتعني: الملك، وتُكتَب أيضاً ، ومؤنثها ورت-عات wrt-ꜥat أي الملكة.[64]

وكثيراً ما تتردّد كلمة وُر بمعنى العظمة والكبر في ألقاب الآلهة والكهنة، مثل:

- أست ورت مت نتر ꜣst wr-t-mut-neter «إيزيس العظيمة، أم الإله»،[65] أي أم حورس.

- وعب-وُر wꜥb-wr : الحرم العظيم، وهو لقب أوزيريس.[66]

ومن ألقاب الكهنة نجد لدى فالكنر:

- ور ماو wr-mꜣw : الكاهن الأكبر بين كهنة رع في معبد هليوبوليس، وتعني حرفياً: كبير الرائين، أي الذين يتلقون وحي الإله ويتحدثون به.

- ور خرپو حمو wr-ḫrpw-ḫmw : الكاهن الأكبر بين كهنة بتاح في ممفيس، وتعني حرفياً: كبير سادة (شيوخ) البنّائين (أو الحرفيين).

- ور ديو wr-diw : الكاهن الأكبر بين كهنة تحوت في معبد هرموبوليس، وتعني حرفياً: كبير الخمسة.

- ور حكاو wr-ḥkꜣw : الكاهن الساحر الذي يلبي رغبة الإله أو الملك، وتعني حرفياً: كبير السّحرة.[67]

كما نجد عند بدج أمثلة كثيرة عن ارتباط هذا اللقب بالكهنة، منها:

- ور-رع wr-Rꜥ لقب كاهنة معبد أوزيريس.

- ور-حعو wr-ḥꜥw : لقب الكاهن الأكبر في سايس.

- ور-حبَ wr-ḥba : لقب الكاهن الأكبر في مصر السفلى.

وكذلك: ور-م wr-m ، لقب أطلق على الكاهن الأعلى في أون (هليوبوليس). وتُكتب بصيغ أخرى عديدة، منها: .[68] وتعني حرفياً «عظيم م»، أو «القيّم على توطيد م»، وهي تناظر «ور م» موضوع نقاشنا تماماً.

نخلص من ذلك إلى إن وُر لا تقتصر على وصف الزعامة أو القيادة بمعنى الحُكم، بل إن هذه الدلالة تعدّ ثانوية إذا ارتبط الأمر بالكهنوت، ولا تُستخدم إلا من حيث تعبيرها عن عظمة

(62) Faulkner 1962, p. 78.
(63) Ibid, p. 107.
(64) Budge 1920, vol. 1, p. 171.
(65) Ibid, p. 81.
(66) Ibid, p. 156.
(67) Faulkner 1962, pp. 78-79.
(68) Budge 1920, vol. 1, p. 171.

الشأن، وهي بشكل عام أكثر اتصالاً بمعنى التبجيل أو الإشارة إلى رفعة الموصوف وعلو شأنه، دينياً ودنيوياً، أما إذا ارتبط اللقب بالكهنوت فهو حرفياً هو «السادن» Custodian أو القيّم على إقامة طقوس المعبد وحماية أسراره، وإنفاذ إرادة الآلهة ممثّلةً في الملك، ولا تختلف إرادة الآلهة مع إرادة الملوك في سيَر السّدنة والقَوَمَة كما حفظتها لنا النصوص المصرية، وإلا كان ذلك علامة على انفصال الدولة حيث يقوم الكهنة بأداء وضيفتهم مستقلين عن سلطة القصر، وهناك أمثلة تاريخية تؤكد ذلك.

كلمة «سادن» إذن – في معناها اللغوي المباشر من ناحية أولى، وفي ارتباطها بالكهنوت من ناحية أخرى- هي الأقرب في اللغة العربية[69] لترجمة «وُر» كلما ارتبطت بالكهنوت المصري، فالسادن هو الذي يستطيع أن يَسْدُنَ (يحجُب، يمنَع، يستُر، يقي، يحفَظ)، وبمراجعة الأمثلة الثلاثة الأخيرة، نجد أن «ور-رع» wr-Rʿ وهو لقب كاهنة معبد أوزيريس (أبو صير)، ليس سوى «سادن رع» حرفياً، وأن «ور-حعو» wr-ḥʿw، ليس سوى لقب أطلق على الكاهن الأكبر سادن معبد سايس، وأن «ور-حبَ» wr-ḥba، ليس سوى «سادن إله الفيض» سُمّي به الكاهن الأكبر في مصر السفلى. وكما ترى فمن غير المجدي هنا أن نترجم كلمة «ور» بالزعامة في مثل هذه الأمثلة، فالأصل فيها الكبر والسمو في وصف الكهنة لا غير.

لنأخذ مثالاً عن ذلك.

سوف نقرأ شذرات من نص يتكرر فيه لقب «ور ن مع» مرتين، وهو من نقوش معبد خونسو يخلّد تقليد عنخ-ن-خنسو ʿnḫ≠f-n-Ḫnsw ، نبيّ منو ḥm-nṯr Mnw ، منصباً رفيعاً في عهد تاكيلوت الثالث (ت. 759 ق.م.)، وفي النقش تُذكر صلة كانت مجهولة بين الأسرة الثانية والعشرين والأسرة الحادية والعشرين.[70]

نجد في هذا النص ألقاباً وصفات مثل: محبوب الإله *mrỉ-nṯr* ، نبيّ منو *ḥm-nṯr Mnw*، وهو في مجمله يتوجّه بالدعاء إلى الإله أمون-رع ملك الآلهة، *ỉmn-Rʿ ny-sw.t nṯr*، ويذكر حورس *Ḥr* وإيزيس *ỉsṯ* ، وفي الأثناء يذكر:

(1) كبير «مع»، الكبير في الأرض

ور عا نا معو عا قعح

*wr ʕ nỉ Mʿ.w ʕ qʿḥ*

(2) نامارتي (ناملوت) ذو كلمة الحق، كبير «مع»

نامارتي ماع-خرو پا ور عا نا معو

*Nỉmỉrtỉ mỉʿ-ḫrw pỉ wr ʕ nỉ Mỉ.w*

(3) ابنة نبي آمون [...]، نبي أمون-رع، ملك الآلهة

(69) السّادن في الفصحى هو «خادم الكعبة وبيت الأصنام»، جمعها سدنة، الفعل منها سدَن يسدُن، والأصل فيها الحجب والمنع والوقاء، والسادن ليس حاجباً فحسب، فـ«الحاجب يحجُب وإذنه لغيره، والسّادن يحجب وإذنه لنفسه» (ابن منظور: سدن)، والسادن الذي يحمي أو يقي ويحجب أو يمنع غير الكاهن الذي يكهُن أي يتحدث بالأحوال غيباً.

(70) للاطلاع على النص كاملًا: ريتنر 2009، 12-13، وجزئياً: كيتشن 1986، 323، 357، 534-535، 581. يعلق ريتنر على هذا النقش بقوله أن القيمة التاريخية التي يمثلها هذا النص لم تُعرف حتى عام 1977 عندما أظهر جين يويوت أن أسلاف عنخ-ن-خنسو كان من بينهم نملوت، والد شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، ومهتموسخت والدة نملوت وأوسركون الأكبر الذي صار خامس ملوك الأسرة الحادية والعشرين. انظر: Ritner 2009, 11 .

سات حم-نثر أمن [...] حم-نثر أمن-رع نيسوت نثرو

*sꜣ.t ḥm-nṯr ꜥImn [...] ḥm-nṯr ꜥImn-Rꜥ ny-sw.t nṯr*

(4) نبي الإلهة [...] حارسة ذخائر الأرضين

حم-نثر نثرت نبت [...] اوخ(؟) امي-را پر-حج ن نب تاوي

*ḥm-nṯr.t nb.t [...] ỉwḫ(?) ỉmy-rꜣ pr-ḥḏ n nb tꜣ.wy*

نلاحظ في اللقب الأول أن الاسم الذي يُنسَب إليه قد مُحي أو تلفَ من النقش، ويقترح ريتنر أنه الجد شيشنق، وترد *ꜥqḥ* في ترجمة ريتنر نقلاً عن كيتشن «زَعيم الإقليم» chief of the district، كما نراه كذلك لدى الباحثين عامةً. إذا نظرنا إلى بنية العبارة *wr ꜥ nꜣ Mꜥ.w ꜥqḥ*، نجد أن «مع» ترد بصيغ الجمع، أي السُّنن، أو شرائع كل الآلهة، وفي صيغة الجمع نوع من التبجيل ينعكس على ما بعدها أي «قمح» *qḥ* التي تؤدي أساساً معنى كتف أو ذراع، وتعني ركناً من الأرض، ولكنها تؤدي هنا معنى الأرض، أو الأركان الأربعة من العالم،[71] إشارةً إلى الاتجاهات الكردينالية الرئيسية، إعلاءً وتبجيلاً. وإذا نظرنا إلى هذا «الفيض» في التسميات الكهنوتية والدينية فإننا بالنتيجة لا نستطيع التفكير إطلاقاً في أن هذا النقش المعبدي كان يتعلق بقبيلة ليبية، أو غير ليبية، فقط لأن خلطاً وقع بين معنيي الزعامة والسدانة في كلمة «ور».

هذا في ما يتعلق بـ«ور»، ويمكننا قرءة الأمثلة السابقة مع إبدال كلمة زعيم بكلمة سادن أو كبير، حسب السياق، وسوف نكتشف أن جميع الألقاب المذكورة تؤدي معنى واضحاً متسقاً مع بقية النقش، حيث يكون للقب «ور» معنيين أساسيين: «كبير» (بمعنى رفعة الشأن) و«سادن» (بمعنى القدرة على الحجب والحماية والمنع)، أما ارتباطها بالرئاسة والزعامة فلا يكون إلا مع ذكر الجيوش أو القبائل، وعلى هذا النحو يكون لقب الكاهن الأكبر شيشنق الجد:

ور عا ن ورو، شيشنق، ما-خرو

wr ꜥ n wr.w Ššnq mꜣꜥ-ḫrw

أي: كبير السّدنة، شيشنق، المحق (حرفياً: ذو الكلمة الحق أو المتكلّم حقاً).

وهو: ششنق ما-خرو پا ور عا ن مع ور ن ورو

Ššnq mꜣꜥ-ḫrw pꜣ wr ꜥ n Mꜥ wr n wrw

أي: شيشنق المحق، سادن «مع» الكبير، كبير السّدنة.

وابنه نمرث (نملوت):

ور عا ن مع نمرث ما-خرو

Wr ꜥ n Mꜥ Nmꜣrṯ mꜣꜥ-ḫrw

أي: سادن «مع» الكبير، نمرث، المحق.

وفي نقش پديس:

ور عا نا معو پادياست ما-خرو سا ور عا ن نا معشواش ثكريوْت ما-خرو

(71) Budge 1920, II, 766

wr ꜥ n nꜣ Mꜥ.w Pꜣdiꜣšt mꜣꜥ-ḫrw sꜣ wr ꜥ n nꜣ Mꜥšwꜣš Ṯkriwt mꜣꜥ-ḫrw

أي: سادن «مع» الكبير، پديس المحق، ابن زعيم المشوش تاكيوت المحق.

وهما (الأب وابنه):

حس مرف ور عا ن مع باديست ما-خرو سا ن ور عا ن مع ثكريوْت ما-خرو

ḥs-mrɟf wr ꜥ n Mꜥ Pꜣdiꜣšt mꜣꜥ-ḫrw sꜣ n wr ꜥ n Mꜥ Ṯkriwt mꜣꜥ-ḫrw

أي: محبوبه الأفضل، سادن «مع» الكبير، پديس المحق، ابن سادن «مع» الكبير، تاكيلوت المحق

وفي نقش عنخ-ن-خنسو:

ور عا نا معو عا قعح

wr ꜥ nꜣ Mꜥ.w ꜥ qꜥḥ

أي: سادن «مع»، كبير الأرض

و: نامارتي ماع-خرو پا ور عا نا معو

Nꜣmꜣrtỉ mꜣꜥ-ḫrw pꜣ wr ꜥ nꜣ Mꜣ.w

أي: ناملوت ذو كلمة الحق، سادن «مع».

وهكذا، فإن كلمة «ور» إذا ارتبطت بكيان إلهي فهي السامي أو الأعلى supreme، مثل: أست ورت ʒast wr-t إيزيس السامية أو العليا، وإذا ارتبطت بألقاب الكهنة فهي السادن costodian عموماً، مثل: ور-رع wr-Rꜥ سادن رع، وهو لقب كاهنة معبد أوزيريس، وإذا ارتبطت بصفة أخرى تُنسب إلى الكاهن فهي الكبير great، مثل: ور خرپو حمو wr-ḫrpw-ḥmw أي كبير سادة (شيوخ) البنّائين، وهو لقب الكاهن الأكبر بين كهنة بتاح في ممفيس، ومثل: ور-م wr-m أي سادن م، وهو لقب أطلق على الكاهن الأكبر في أون (هليوبوليس). وإذا ارتبطت بقيادة الجيش أو رئاسة القبائل فهي الزعيم أو القائد أو الرئيس وقد ترتبط بكلمة عا ꜥ التي تعني الكبير وتشير مجازاً إلى الزعيم. مثل: ور عا ن نا معشواش wr ꜥ n nꜣ Mꜥšwꜣš أي زعيم المشوش الكبير.

فلننظر الآن في «م» M أو «ما» Mꜣ أو «مع» Mꜥ التي حُمّلت معنى «مشوش» دون أن يعاد النظر في تحليلها والتدقيق في دلالتها!

يظهر الاحتفاء بالتقليد الملكي الذي ورد في مثال عنخ-ن-خنسو السابق محاطاً بألقاب التبجيل وذكر الأنبياء والآلهة، حيث المشاعر الدينية تبدأ ثم تختتم به، فلا مجال في هذا النقش إطلاقاً –حسب موضوعه الرئيسي- للتفكير بأن «مع» تعني مشوش. إنما «مع» هي إرادة الآلهة في الكون بين البشر، وهذا ما سنبيّنه في الفقرات التالية.

إن القيمة الصوتية «م» M و«ما» Mꜣ، وفق بدج، تعني العطاء[72] وأبسط أشكالها في الكتابة البربائية هو ، تمثّلها كلمة «ما» أو «مأ» (maā) ، وتُقرأ أيضاً «مَعْ» ، وتعني: أعطى، وهبَ، قدّمَ، قرّبَ. والكلمة نفسها بصيغة ، أو بصيغة الجمع تعني: الشعائر أو طقوس منح القرابين والتقدمات، وهي بصيغة أخرى تعني حدوث شيء فعلي أو حقيقيّ، أو كون الشيء حقاً.

(72) Ibid, p. cvii.

هذه الكلمة تؤنّث بصيغة معت (maāt) فتعني الحق، الحقيقة، الصواب، العدل.[73] وذلك هو اسم الإلهة «مع» (Maā) Mꜥ المعروف بصيغة «معت» (Maāt) Mꜥt، كما إن Maāt هي الإلهة التي تفتح أفواه الموتى أثناء الحساب.[74] ومعت Maā-t هو لقب الإله تحوت، ويعني صائب الحكم أو المُحق، وهو بصيغ برباية أخرى: رجل الحقيقة، أو الصادق حقاً.

معت، عن بدج، ص483

الإلهة مع أو معت قرينة الإله تحوت التي كانت معه في قارب رع عندما انبثق إله الشمس أول مرة من عمق المياه الأولى، مياه البدء. رمزها ريشة النعامة على غطاء رأسها، أو قد تمسكها بيدها في بعض الأحيان، وعادة ما تُرسم معت واقفةً أو جالسةً تمسك الصولجان بيد ورمز الحياة باليد الأخرى، كما صُوّرت بجناحين أحياناً.[75]

يُنطق الرمز الهيروغليفي «مع» و«معت»، وتمثل قيمته الصوتية، وفق بدج، الحق والحقيقة والأمانة والاستقامة،[76] ويمكن أن يُقرأ ما، مأ m3 (مَ ma)، أي إن هذا المقطع يختصر اسم معت أو الذي يقول بدج أنه «أكثر وضوحاً، لأننا نعلم من جمل عديدة في نصوص كل العصور أنه يدل على «الشيء الذي يكون مستقيماً»، وربما يكون الاسم الذي أطلق على آلة من آلات الصنّاع لحفظ الاستقامة... تُستخدم للحفاظ على استقامة الأشياء، وبعد ذلك «مسطرة» تستخدم مع الحجارة، وأخيراً بشكل مجازي: قاعدة، أو قانون، أو لائحة، أو شريعة يحافظ بواسطتها البشر على جعل حياتهم وأفعالهم مستقيمة ومحكمة». ثم يضيف أن المصريين «استخدموا الكلمة بمعنييها المادي والمعنوي، فهي تعني العدل والصدق والحق والواقع والنقاء والاستقامة والأصالة والصلاح وعدم التردّد... إلخ».[77] وبهذه الكلمة يوصف

(73) Ibid, p. 270.
(74) Ibid, p. 271.
(75) بدج، 1998، ص 480.
(76) Budge 1920, I, p. cxxxiii.
(77) بدج، 1998، ص 481.

الرجل فيقال: «رجل معت» mꜥt أو «رجل مꜥ» mꜥ أو «رجل ما» mȝ بمعنى رجل نبيل، فاضل، أمين، وصارت معت إجمالاً تدلّ على الحقيقة الدائمة والنظام الذي لا يجب أن يُخترق، وهي قاعدة لم يشك المصريون قط في أنها بدأت منذ عصر أوزيريس، ومثنّى اسمها، معتي Maʿti 𓏏𓄿𓏏𓏏𓏏𓏏، يعني «معت، ربة الشمال والجنوب»، ويضمر معنى نظام الأرضيْن وشريعتهما.

لاسم معت طبيعة معنوية مجرّدة قد لا نعثر على شبيه لها في أسماء آلهة مصر الأخرى، وهي أقرب إلى أن تكون «مفهوماً أخلاقياً» في سلسلة من سرديات الآلهة المليئة بالحكايات والأمثلة، و«لقدرتها على الانتظام بمسار إله الشمس أُطلق على معت: ابنة رع، وعين رع، وسيدة السماء، وملكة الأرض، وربة العالم السفلي، وكانت بالطبع: سيدة الأرباب والربّات».[78] وعلى وجه العموم «لا توجد كلمة واحدة يمكن أن تشرح ما تتضمّنه كلمة معت من معان ومفاهيم».[79] ويتّصل اسمها بوجود البشر وهم على قيد الحياة، وبوجود أرواحهم بعد الحياة، وهم ملزمون في وجودهم الأول بمسطرة الاستقامة واتباع نظام الكون كما رسمته لهم الآلهة، وملزمون في وجودهم الثاني بمسطرة الحساب والرضوخ أمام أوامر الآلهة وهي ترسم عاقبتهم.

هذا عن تصاريف «م» في صلتها بالحق والعدل وعموم الخير، فلنمض مع بدج في تحليل هذه الكلمة، ثم نعود على بدء.

تعني م m 𓅱 بصيغتها هذه: موت، أما بالمد فترد «ما» mā 𓅱𓏏 كما تُقرأ «مي» mi، وتعني: رأى، دقّق، تمهّل.[80] وهي بالمد أيضاً ما maa 𓁹𓂝 تفيد الرؤية والتحقّق، ووجود ما هو مرئي منظور، ومنها ما maa 𓁹𓂝𓁹𓂝 بمعنى موقع الرؤية والرّصد (كما في برج المراقبة مثلاً)، فإذا وردت بصيغة 𓁹𓂝 فهي الرائي، أو الذي يتحدث باسم الوحي، أي صوت الإله، وإذا أُنّثت بصيغة مات maat 𓁹𓂝𓏏 فهي الرؤية في حد ذاتها، أو حاسة البصر، والرؤيا (بمعنى التوقّع والتنبؤ)، أما مء (مَ) (ma) mȝ بصيغة 𓄿𓏏 فتعني القراب أو الغمد (غمد السيف مثلاً)، وهي كلمة يحيلها بدج إلى بروغش Brugsch،[81] والمعنى عموماً هو الإحاطة والحفظ. وتفيد بصيغة 𓎛𓂝 معنى القتل أو الذبح. وضمن هذه الدلالة فإن مَ 𓀀𓂝 تعني الجنود، وهو معنى يشكّ فيه بدج، وتعني الحشد أو الجمهرة، أي تجمّع الناس، كما تعني بصيغة 𓀀𓂝𓀀𓂝 التجدّد والشباب والفتوّة، وهي بصيغة «مَ» ma 𓄿𓏏 الشبيه والمماثل، والتشابه والتماثل.[82]

من بين كل هذه المعاني نصل إلى الأكثر دلالة وارتباطاً بكلمة وُرِكما أوردناها سابقاً. فـ«مَ»، أو «ما» أو «مَعْ» 𓂝، 𓂝𓏏، من ناحية أخرى لا تعنى سوى مكان العبادة، أي معبد. وتُجمع على 𓉐𓉐𓉐 أو 𓉐𓉐𓉐 وغير ذلك من صيغ الكتابة.[83] والكلمة ذاتها بصيغة 𓉐𓂝 تعني حرم المعبد.[84] أما مؤنّثةً فهي بالمحصلة معت Mꜥt (الدارج كتابتها بصيغة Maat) إلهة الحق والعدل والتناغم

(78) م. ن. ص 482.
(79) أرموار، 2005، ص 118.

(80) Budge 1920, I, p. 279.
(81) Ibid, p. 268.
(82) Ibid, p. 269.
أما بصيغة مُ mu (𓅱 أو 𓅱𓏏أو غير ذلك من طرق الكتابة)، فتعني الماء، ماء بحيرة أو قناة أو بركة، ومُ العَلَمية Mu 𓅱 إله الماء وتجسيد مياه البدء السماوية. وكما ذكرنا فإن م m 𓅱 هي صيغة من صيغ الموت، وهو مِتْ (مِيت) mit أو مُتْ (مُوت) mut 𓅱𓏏 واللفظ ذاته بصيغة موت mu-t يعني الأم 𓅱𓏏 وأم الأم (الجدة) 𓅱𓏏 .
(83) Budge 1920, I, p. 269.
(84) Ibid, p. 272.

التي تنظّم الحياة في الكون وبين البشر.

بالعودة إلى ما ذكرناه أعلاه، فإن كلمة «وُر»، بالإضافة إلى صفة السمو والعظمة، كانت تدلّ على أرباب السموات وتُخصَّص للدلالة على عدد من الآلهة والإلهات. فإذا ربطنا ذلك بمعنى «م» كما قمنا بتحليلها الآن، فإن اللقب الذي درجت ترجمته بصيغة «زعماء م»، ليس في الحقيقة سوى «سدنة م» وهم بهذا المعنى «سادة المصير» أي القيّمون على إصحاح شريعة الآلهة، أي الحق والعدل وسنّة الإله (أو شريعة الملك، أو الإله/الملك) بين البشر. هذه هي «م» ولا علاقة لها بالـ«مشوش» أو بالليبيين.

فمن حَمَل لقب «كبير م (ما، مع)»؟ من هم هؤلاء السّدنة الكبار؟

هذه بعض الأسماء، نوردها بصيغتها البربائية، مع نقحرتها الدارجة في علم المصريات والدراسات التاريخية، وقد أعدنا كتابتها بما يطابق رسمها مع الأصل المصري.

- ماوسن M3wsn، وفق اسمه في النصوص المصرية، ويُنقل في علم المصريات بصيغة موسن Musen.
- فاثوت (پاثوت) P3-t̲wt ، ويُنقل اسمه بصيغة پيثوت Pethut.
- ششنق Ššnq ، ويُنقل اسمه بصيغ كثيرة.[85]
- نمرت (نمرات) Nmrt, Nmr3t، ويُنقل اسمه بصيغة ناملوت Namlot.
- تكرت Tkrt، وينقل اسمه بصيغة تاكيلوت Takilot.
- حاتي.حنكر Ḥ3ty-ḫnkr ، ويُنقل اسمه بصيغة هتيهينكر Hetihenker .
- أكانشا 3kʿ3nš ، ويُنقل اسمه بصيغة أكينيش Akenesh .
- ز.أمن.أفنخ Z3mn3fnḫ ويُنقل اسمه بصيغة زيمونفونيخ Zeamonefonekh .
- نسناقدي Nsn3qdy، (كما يرد: نسناعاي Nsn3ʿ3y)، ويُنقل اسمه بصيغة نيسنكيدي Nesnekedi.
- تافنختت T3fnḫtt ، ويُنقل اسمه بصيغة تيفناخت Tefnakhte .
- فاثنفي (پاثنفي) P3t̲nfy ، ويُنقل اسمه بصيغة پيثينف Pethenef .
- فاما (پاما) P3m3 أو (فاميوْ) پاميو P3miw، ويُنقل اسمه بصيغة پيمو Pemou.
- نخت.حر.نا.شنو Nḫt.Ḥrn3šnw ،ويُنقل اسمه بصيغة نختهرنيشينو Nekhtharneshenu.
- فنتي-بخنت Pnty-Bḫnt، ، ويُنقل اسمه بصيغة پنتيبخنت Pentibekhenet .

إننا إذا استثنينا الملوك (شيشنق ونملوت وتاكلوت)، نجد أن بقية الأسماء من الأمراء والكهنة لم يكونوا جميعاً من الزعماء أو من قادة الجموع والحشود، بل كانوا سدنةً كباراً (أي ورو wrw) قيّمين على استتباب الإرادة الملكية أو الدينية، أو «التشريعية» بشكل عام، أي النظام الذي تكون مرجعيته إرادة الملك أو الإله، وهما إرادتان لا تنفصلان في تراث مصر القديمة.

وكما أشرنا سابقاً فإن «مَ» me ذات حضور عميق في تراث الشرق الأدنى ومعتقداته، فلنقارن الآن بين «ور» wr و«م» me في المصرية القديمة والسومرية والأكدية:

(85) من هذه الصيغ: Shesgonk، Shesgonq، Shashanok ، Shashanoq ، Shashank، Shashanq ... إلخ.

تفيد وُرْ (WR أو UR) السومرية  الكثرة والغزارة والوقاء والحماية، وهي دلالة اللفظ نفسها في المصرية القديمة، كما تُكتب وتفيد المسح بالزيت، وتُطلق على سادن المعبد أو خادم الآلهة.[86]

أما مَ Me السومرية و«مُ» Mû الأكدية-الأشورية فنجدهما بمعنى: سنّة الخلْق، شريعة، قضاء الآلهة؛ إرادةٌ أو أمْرٌ (ملكيّ أو ديني أو قانوني).[87] كما في المصرية القديمة تماماً. وبدلالتها السومرية العامة فإن «م» أو «مَ» Me هي ألواح القدر التي كان الحفاظ عليها جزءاً شاقاً من الحكم ينال الملوك بإنجازه تبجيل رعاياهم وتقديسهم، ويشمل مجموع الأقدار والمصائر التي نظمتها الآلهة لتسيير وتيسير حياة البشر عبادةً وعملاً ومعاشاً، قرابة مائة تشريع أو أمر إلهي تنضوي جميعها تحت مسمّى «مَ»، وتتصل بالسلطتين الدينية والمدنية في سومر، مثل الحكم والإدارة والعبادة والكهنوت وتنظيم الجيوش والاقتصاد والمعاملات والأخلاق والبناء... إلخ.[88]

لنقرأ الآن هذا النقش من «لوحة بعنخي» التي يصفها بريستد بأنها «إحدى أكثر الوثائق الباقية توضيحاً وإفادةً في ما يتعلّق بالحالة السياسية الداخلية في مصر»:[89]

«جاء الملك يوبوت، وأكانشو[90] زعيم «مَ»، والأمير الوريث پديس، مع جميع أمراء أرض الشمال».[91]

يوضّح هذا الترتيب ثلاثة مناصب متدرجة بمعايير الحكم، الأعلى فالأدنى. هناك العرش أو الملك أولاً، ثم زعيم مَ، ثم الأمير.

1- العرش، يمثل السلطات السياسية والدينية والعسكرية، وقد يجمع الملك أحياناً صفة الكهنوت الأعلى بالإضافة إلى العرش، ولهذا السبب فإننا نرى بعض الملوك يلقّبون بأنهم زعماء مَ، بينما يكتفي آخرون بألقاب ملكية غير كهنوتية.

2- «مَ» (ما، مع) صفة كهنوتية أساساً، وغالباً ما ترتبط بسلطة عسكرية، أي القدرة على إنفاذ أمر الإله (أو الملك-الإله) بما يستوجب طاعة الجيوش، ولا تتصل السلطة الدينية بإدارة الدولة إلا عن طريق الملك في العاصمة، أو عن طريق حكام المقاطعات في غيرها من المدن، وقد يكون الكهنوت الأعلى في بعض الأحيان منافساً ينازع العرش سلطته إذا بسَط الكاهن سيطرته على الجيش والفرق المقاتلة، وعادة ما يكون مثل هذا الوضع مقدّمة تغيير سياسي في الدولة، أو سبب انقسام الدولة بين سلطتين (وُصف شيشنق الأول بالحكمة لأنه جعل ابنه يوبوت كاهناً أعلى بين كهنة آمون، وقائد جميع الجيوش، فجمع السلطين السياسية والدينية في أسرة وحدة، أي الإمارة الدنيوية وشريعة «مَ» الدينية).

3- الإمارة، أو وراثة العرش، وغالباً ما يكون الابن الأكبر وريث العرش بينما يصبح شقيقه كاهناً أعلى، وإن وُجد أكثر من شقيق فإنهم يتوزعون بين الكهانة العليا وقيادة الجيش وحكم المقاطعات، ويظلّ الجميع تحت إمرة العرش، مع تبجيل الكهنوت الأعلى، سواءً مثّله شخص

(86) المحجوب، 2016، ص 249. كما تعني السومرية وُرْ UR : أسد أو دمية أسد، وهو معنى نجده في المصرية القديمة أيضاً.
(87) م. ن. ص 127.
(88) Kramer 1963, p. 116.
(89) Breasted 1906, IV, p. 406.
(90) يرد الاسم في النصوص المصرية بصيغة أكانشو kꜣnšw وينقله بريستد Akenesh.
(91) Breasted 1906, IV, p. 436.

ينتمي إلى الأسرة الحاكمة كما يحدث غالباً، أو ينتمي إلى غيرها، وهي حالة نادرة في الأسرة الثانية والعشرين.

كما نرى، فإن هذا الترتيب ظل سائداً على امتداد الأسر 22، 23، 24، ثم أقرّه نقش بعنخي (بيا) الكوشي (الأسرة 25).

هكذا فإن عبارة «سدنة مَ» (ما، مع) Custodians of Me (Mɜ, Mʿ) التي قرئت خطأً بدلالة «زعماء المشوش» Chiefs of Meshwesh لا تعني في الحقيقة سوى كبار الأمناء القيّمين على استتباب شريعة «مَ» المجسّدة ضمناً في إلهة الحق والعدل وعموم الخير (معت)، أي السّدنة الكبار تحديداً، وهم الكهنة المبرّزون؛ خَدَمة الآلهة الذين لا سلطان بشريّ عليهم، سواء كانوا من الأمراء الذين يرتبطون بصلة دم بالملك أو الأسرة الحاكمة، أو كانوا من كهنة أمون-رع الذين يقدسون الإلهة معت ملكة الأرض وربّة الآلهة، ابنة رع، وعينه التي لا تغفل، ورفيقته في القارب السماوي، «قارب المليون عام».

ملاحظة أخرى تتصل بذلك؛ إذا كانت «مَ» تعني «مشوش»، أو هي اختصار منها، فلماذا نعثر أحياناً على عبارة «أرض المشوش»، دون أن نعثر على عبارة «أرض مَ» على الإطلاق؟ ولماذا اقتصر ذكر « مَ» بالأمانة أو السدانة، دون الأرض والتخوم؟ أعتقد أن السبب أصبح واضحاً. لأن «مَ» بكل بساطة ليست قوماً من الأقوام، أو جنساً من الأجناس، بل هي منصب كهنوتيّ محض. إننا نجد مثلاً أرض التمحو land of Temeh (Tmḥ)، أرض المشوش land of Meshwesh (Mšwš)، أرض الليبو land of Libyans (Rbu) ومن النادر ألا يُذكر شعب من الشعوب أو قوم من الأقوام، دون أن تُذكر أرضه أو تخومه، لكن الانتساب إلى الأرض أو البلاد لا يتّصل بـ«مَ» التي لا تعني موطن قوم من الأقوام أساساً بل شريعة الآلهة في الأرض بأسرها.

قد يسأل بعضهم: بافتراض أن «مَ» (أو ما، أو مع) التي تناظر مَعْ Mʿ أو معت Mʿt (أي الحق والعدل)، هي الأصل في لقب «ور ن مَ» (أو ما أو مع)، أي كبار السدنة والأمناء القيّمون على استتباب الحق والعدل، فما الصلة التي تجمع مصر بسومر ومن ثم أشور؟

لقد مرّ بنا أننا لا نستطيع فهم شيشنق إلا بالعودة إلى أشور، الأمر يتّصل كذلك بمعت التي نرى أنها صيغة مؤنثة من م M (مَ Ma أو معْ Mʿ أو ما Mɜ)، وهذه ليست سوى ألواح القدر في سومر ثم أكد التي عُرفت باسم مَ Me ومُ Mu.

كان بدج قد وصل إلى استنتاج يقول بأن المصريين والسومريين قد أخذوا معتقداتهم الأولى عن مصدر ثالث بالغ القدم معروف لهم، وهو ما جعل مجمَعي الآلهة في مصر وسومر متماثلين إلى حدّ كبير، ولا يمكن أن يكون ذلك محض مصادفة بينهما.[92] إننا لا نذهب هذا المذهب البعيد في تفسير التماثل السومري المصري، أي افتراض مصدر ثالث مجهول اقتبس السومريون والمصريون معتقداتهم عنه، بل نرى أن تصوّر نشأة أقدم الآلهة (الأزواج الأربعة الأولى في مصر، ومقابلاتها في سومر) كان تصوراً مشتركاً، أو متقارباً، أطلق عليه كل شعب ما وافقه من أسماء، فـ«نو» في مصر وقرينته «نوت» مثلاً، هما «أبزو» وقرينته «ممّو» في سومر، و«ححو» وقرينته «ححوت» في مصر، هما «لخمو» وقرينته «لاخامو» في سومر، وهكذا. ثم ابتكر كل شعب تصوراته وطوّر معتقداته، وبنى مَجْمعَ آلهةٍ تشعّبَ بتشعّب عقائده التي تقترب أحياناً وتتباين أحياناً أخرى.

(92) بدج، 1998، ص 331.

خلاصة القول في تحليل «ور ن م» *wr n m*: لا يوجد نص قاطع في النصوص المصرية يطابق بين «مشوش» و«مَ»، وإذا قمنا بمراجعة النصوص التي اعتمد عليها الباحثون لإثبات هذا التطابق نجد أنها غير واضحة تارة، ومبتورة تارة أخرى، أما ما يرد عن «مشوش» و«مَ» كلا على حدة، وإن جمعهما نقش واحد، أو كانتا في نقوش مختلفة، فهما من الوضوح كفايةً بما يجعلنا نميل إلى الأخذ بمعنى مختلف لكل منهما عن الأخرى، على ما حلّلناه وأثبتناه في هذا البحث.[93]

كلمة «مَ» إذن لا تعني سوى الحق والعدل، وعبارة «ور-ن-مَ» *wr n m* ليست سوى «سادن مَ»، أي المؤتمن على استتباب الحق والعدل والقيم على توطيد شريعة الآلهة، ولا صلة لها بقبيلة المشوش، مع التذكير بأن دلالة «مشوش» لم تعد تقتصر في اللغة المصرية على قبيلة وافدة من خارج مصر، بقدر ما صارت تعني: «الجند الأغراب» في جيش مصر أو ما يعرف بـ«المرتزقة» منذ أواسط عصر الأسرة الثامنة عشرة، وقد تركّز معنى الكلمة الثاني بعد توطينهم نهائياً في عهد رمسيس الثالث، ثم لم نعد نرى المشوش خارج مصر بعد ذلك. يتعلّق الأمر كذلك بالتسمية التوراتية «لوبيم» الذين يجعلهم العهد القديم جزءاً من جيش شيشنق في حربه على رحبعام، فاللوبيم (الليبيون) في التعريفات السلالية التوراتية من أبناء مصرايم (أي ذوو أصول مصرية)، أما بالنسبة إلى الجيش الملكي فهم فرقة من الأغراب (المرتزقة) من بين فرق أخرى.[94]

في هذا الصدد، من المعروف أن جدّ شيشنق الأعلى المسّمى «بوياواوا» يعود إلى قبيلة التحنو، وفق الدارج من تفسير نصّ لوحة «باسن-حور» المصرية، فلماذا إذن أخذ «أحفاده» لقب زعماء المشوش؟ هل كان التحنو جزءاً من المشوش؟ إن الوثائق والسجلات المصرية تفصل بينهما بوضوح، وتجعلهما كيانين قبليين مستقلين متعاقبين، ما يؤكّد أن اسم مشوش منذ ما قبل الأسرة 21 على الأقل، لم يعد يعني قبيلة صحراوية-ليبية، كما فُسّر اسمها في الشواهد القديمة، بقدر ما صار يدلّ على «الجنود الأغراب» أو «المرتزقة» في الجيش الملكي. إن انزياح الدلالات بمرور الزمن والتواتر ظاهرة معروفة في مصر القديمة، وقد احتفظ المصريون القدماء بما رسخ في الذاكرة العامة من صفات سلبية أُطلقت على قبيلة المشوش (بوصفهم

(93) مثال لذلك نستقيه مما كتبه تروي ليلاند سغريللو T. L. Sagrillo في بحث له عن الأصول الجغرافية للأسرة البوباستية والمواقع المحتملة التي أقام فيها شيشنق الأول بعد اعتلائه العرش ومكان دفنه، نشر عام 2009 ضمن مجموعة بحوث المؤتمر الذي عقدته جامعة ليدن في أكتوبر 2007، وصدرت بعنوان «الحقبة الليبية في مصر، دراسات تاريخية وثقافية». يقول سغريللو: نشأ شيشنق قبل أن يصبح ملكاً ضمن الجيش القبلي الليبي، ووصف بأنه «زعيم المشوش العظيم»، أما عندما ينقل هذا اللقب كما ورد في النصوص المصرية، فإنه يكتبه: «ور عا ن مـ<شوش>ـو» wr aA n m<SwS>w أي: w<šwš>m<n ʿ wr ، أي إن هناك ثلاث علامات هيروغليفية مفقودة من النص الأصلي، وهذا لا يعني بالضرورة أن w<---->m في الأصل تعني mšwš ، إذ حتى بافتراض أن الأصل كان w<---->m فلا طريقة لدينا لصوغ كلمة mšwš وإحلالها في النقش. قراءتنا لهذا النقش المبتور تعتمد على الاكتفاء بـ wr ʿa n w<---->m أي: كبير الـم، مع ترك الاحتمال مفتوحاً أمام الباحثين لسدّ الثغرة واقتراح علامتين أو ثلاث تنتهي بعلامة w. فشيشنق وفق هذا النص كان «كبير م»، وهي صفة كهنوتية عسكرية، كما إن هذا النقش يردّ بالإيجاب عن سؤال طرحه الكثيرون عما إذا كان شيشنق قد وُصف بأنه wr n m مع وصفه بأنه wr n wrw أم لا، قبل أن يثبت ذلك في حوليات الكرنك الكهنوتية بصيغة وُرْعَ مَ ششنق wr. ʿ n Mʿ Šiššiⁿ(n)q. انظر Kitner 2011, 51 و Kitchen 1986, 288.

(94) يرتبط اسم اللوبيين في التوراة بالكوشيين، وبالسكيّين أحياناً، أثناء ذكر حملة شيشنق على مملكة رحبعام: «ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكّيين وكوشيين» (أخبار 2/ 12 :3)، «ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشاً كثيراً بمركبات وفرسان كثيرة جداً». (أخبار 2/ 16: 8). وهي أسماء تدلّ على ثلاثة أجزاء من جيش شيشنق: فاللوبيون هم الجند الذين قدموا من صحراء غرب النيل، والكوشيون من جنوبها، والسكيّون محل خلاف بين شرّاح التوراة، منهم من جعلهم من أصل أفريقي، أو من البدو المصريين الذين توطّنوا غرب البحر الأحمر، أو من الجبليين المكتهفين (سكّان الكهوف) Troglodytes، أو من بدو شبه الجزيرة العربية، أو ربما من ليبيا! وكما نرى فجميعهم من الجند الأغراب أو المرتزقة الذين استخدمهم جيش مصر.

وافدين مسلّحين أو غزاة)، ثم صُرفت هذه الصفة للدلالة على الفرق الأجنبية التي استعان بها الجيش الملكي. وانزياح الدلالات هذا ظاهرة ليست نادرة في النصوص المصرية، ولعل أحد أشهر أمثلتها هو «الأقواس التسعة» التي كانت تعني في بداية عصر الأسرات «الأقوام الخاضعين أو الذين قهرتهم مصر»، أو «عالم بني الإنسان» عموماً، ثم أخذت معنى الأغراب أو «الأجانب في مصر»، ثم «مجموع الرعايا»،[95] مصريين أو أغراباً.

مَن هم المشوش إذن؟

عرف المصريون التحنو والتمحو منذ عصر ما قبل الأسرات، وحُدّدت مواطنهم إلى الغرب من مصر، وقد استمر ذكرهم حتى نهاية عهد رمسيس الثاني الذي بنى سلسلة من الحصون على امتداد ساحل مصر الشمالي، وهي حصون بُنيت على «أرض التمحو» كما تشير المصادر، وبمرور خمس سنوات من وفاة رمسيس، أشارت السجلات المصرية إلى أن «أرض التحنو» قد تعرضت للنهب من قبل «الشماليين الذين جاؤوا من جميع البلدان»، أي ما نعرفهم باسم شعوب البحر، وكان المشوش ضمن هذا التحالف الذي قاده الربو. وبعبارة أخرى فإن المشوش والربو – مع حلفاء آخرين – قاموا بغزو التحنو والتمحو «الليبيين» واستولوا على مواطنهم غرب الدلتا، واتخذوها معقلاً حربياً يغيرون منه على المدن المصرية، ويمكن القول أن التحنو والتمحو (الليبيين) قد صاروا مصريين تماماً منذ ذلك الوقت.

استمر ذكر الحليفين الأجنبيين، الربو والمشوش، في المصادر المصرية بعد رمسيس الثالث، مع تغيّر وصفهم والحديث عنهم عقب نجاحه في توطينهم في مصر، ومنذ ذلك الزمن لم تعد المصادر المصرية تذكر الربو والمشوش بوصفهم غزاةً جاؤوا من «بلدان أجنبية»، بل بوصفهم «مقيمين دائمين». لقد تغيّرت طريقة التعامل معهم تماماً لأنهم صاروا «مصريين» بمرور الوقت بعد أن قدموا من الشمال مع غزوات «شعوب البحر»، أما قبل ذلك فلا يوجد دليل أثري، نصيّ أو نقشيّ أو أيقونيّ، يشير إلى أن الربو Rbw والمشوش Mšwš كانوا في «ليبيا».

هذه – بإيجاز – سيرة المشوش في المصادر المصرية، ولا نجد بعد رمسيس الثالث (1218 – 1155 ق.م.) ما يدلّ على أن المشوش قوم أو شعب خارج مصر، بل ورد اسمهم بوصفهم جزءاً منها، وكانوا يسكنون أرضاً، أو تقسيماً إدارياً معيناً، ويعملون ضمن سياق اقتصادي عام، وصار جزءاً منهم – الشباب والرجال – نخبة في فرق الجيش المصري. لا شيء قبل هذا الزمن يشير في المصادر المصرية إلى موطن المشوش أو من أين جاؤوا، ولا شيء بعده يشير إلى غير مصر. إنهم مترحّلون في الأساس حاولوا دخول المدن والأرباض المصرية عنوةً ولكنهم جوبهوا ورُدّوا ثم جرى احتواؤهم تدريجياً، والأمر كذلك بالنسبة إلى الربو.

أما لماذا عُدّ المشوش ليبيين في علم المصريات، فالسبب بسيط، فادح البساطة: لأن المشوش ذُكروا مع الربو مراراً، ولأن الربو ليسوا سوى ليبيين، اعتماداً على المماثلة بين «ربو» و«ليبو»، فإن الباحثين لم يتوانوا عن جعل المشوش ليبيين بدورهم دون تردّد، هكذا فقط، دون أن يُعاد النظر في حقيقة المشوش والربو، وما إذا كانوا يتوطّنون غرب مصر أساساً بحيث يوصفون بالليبيين، أم أنهم ليسوا سوى جزء من «شعوب البحر» التي قدمت من الشمال وتوطنت هذا المكان!

إن اسم المشوش يرد في المصادر المصرية منذ عهد أمنحوتب الثالث (1290 – 1350 ق.م.)، لكن البحث التاريخي يعوزه أي دليل فعلي يُثبت أن المشوش قوم أو قبيلة من الأقوام أو القبائل

(95) م.ن. ص 129 – 131.

الليبية القديمة التي كانت تستوطّن غرب النيل، ويظل هذا السؤال الإثني-الجغرافي قائماً. أما من الناحية اللغوية فلا نستطيع التأكيد أن اسم مشوش Mšweš صيغة أقدم من التسمية الهيرودوتية Maxyse (Maxues) أو Machles، أو التسمية الهيكاتية Mazues. فالأولى صيغة جمع من ماكسي أو ماكسو، وكانوا يقولون – حسب هيرودوت – أنهم «أحفاد الطروادين»،[96] والثانية (ماخلس) جمع مَخْل في اللغة اليونانية، دلالةً على أبناء قبيلة بهذا الاسم، وتبدو الأخيرة (مازوس) أقرب إلى أن تكون صيغةً من اسم مازوي Mazoi، أو المازوي الزنوج Mazoi negroes وفق بريستد،[97] وهي مجموعة أفريقية ورد اسمها في سجلات الأسرة السادسة. وعلى الإجمال فإن وجود المشوش في شمال أفريقيا غرب النيل، أو إنهم من القبائل الليبية القديمة، أمر لا يمكن إثباته فعلياً من الناحية المنهجية، أما الاكتفاء بترديد ما تواضع الباحثون الأول (بروغش، بيتس، بريستد، بيتري،... إلخ)، والباحثون المتأخرون تبعاً، على سوقه دون دليل فلا يُثبت شيئاً سوى ترديد وهم من أوهام البحث يعتور مواد التاريخ القديم. يقول أوكنور عن ذلك: «لا يمكن إثبات التماثل بين المشوش والماكسوي Maxues بأي وسيلة ممكنة [أثرياً أو لغوياً]، وإنه لدليلٌ هشّ أن نكتفي بتوطين المشوش في الغرب» أي ليبيا القديمة أو غرب شمال أفريقيا.[98]

لم يرد شيء عن موطن المشوش في المصادر المصرية، أما وجود المشوش في شمال أفريقيا فيحيطه الغموض، لنقارن ذلك بالتحنو والتمحو مثلاً؛ بلاد التحنو 𓈖𓂋𓏏𓄿𓏏𓅱 أو بلاد التمحو 𓈖𓂋𓏏𓃀𓏏𓅱 تردان في النصوص المصرية مراراً، هما جزء من مصر فعلاً، ولكنهما في الوقت نفسه تبدوان مستقلتين عنها؛ الأمر يتعلّق بالطبع بمدى اقتراب القبائل الليبية القديمة من مصر وابتعادها عنها في سياق متّصل من التدافع الحضاري والاجتماعي. مثل هذه التفاصيل لم توجد قط عند الحديث عن المشوش المجهولين. إنهم يردون أولاً بوصفهم غزاةً مع «شعوب البحر»، ثم جنداً أغراباً أو مرتزقة، لكن المصادر المصرية لم توطّنهم أبداً خارج مصر، بعد عهد رمسيس الثالث كما أسلفنا، لأنهم صاروا جزءاً من مصر نفسها لا بلدَ آخرَ لهم، بالرغم من أنهم أغرابٌ وافدون من مكان ما. أما الإشارة النادرة إلى «أرض المشوش» في نقوش هابو المؤرخة بالعام الحادي عشر من عهد رمسيس الثالث فلا ترد إلا للحديث عن هزيمة المشوش في الموقع الذي كانوا يحتلّونه، ولا تعني موطنهم إطلاقاً؛ «خرّبت أرض المشوش بضربة واحدة. هلك الربو والسبد [كأن] نسلهم لم يكن»، وكان ذلك آخر انتصارات الملك على شعوب البحر، أي إنه تمكن من استعادة الأرض التي احتلها الغزاة واتخذوها معقلاً لهم.

عندما نقرأ تاريخ هيرودوت تمرّ هذه الملاحظة مروراً عابراً، حيث نجد المترجمين قد أبدلوا Maxues بـ مشوش وفق ما درج عليه الرأي العام في الدراسات التاريخية؛ بيتري وافق بريستد، بريستد حاكى بيتس، بيتس قلّد بروغش... وهكذا، أما الباحثون المتأخرون فقد وجدوا أنفسهم متفقين سلفاً على الأخذ بما سبقهم من آراء صارت جزءاً أصيلاً من معارفهم التي اتصلت روايتها بين الروّاد، فهي في حكم اليقين أو ما يشبهه! الأمر أعقد من ذلك وأكثر تداخلاً، إنه في الواقع لا يتصل بالبحث عن كيان المشوش مجهولي الأصل فحسب، بل بإعادة توطين الماكسي Maxues والمَخُل Machles على خريطة هيرودوت الأجناسية أيضاً. جزءٌ كبيرٌ من تاريخ

(96) هيرودوت، 4 : 191.

(97) Breasted 1906, IV, p. 142.

(98) O'Connor 1990, p. 35.

ليبيا القديم هو محض خرافات «علميّة» صارت كأنها أسسٌ عميقة بُتَّ فيها القولُ فلا تُراجَع ثانيةً!

خلاصة القول: أقدم دليل لدينا على وجود المشوش يعود إلى عهد أمنحوتب الثالث، على أنه يثبت وجودهم في مصر، دون أن يشير إلى ليبيا بأي من تسمياتها الكثيرة التي كانت سائدة في اللغة المصرية آنذاك، أو إلى أي مكان آخر. ما نعرفه جيداً هو أن المشوش قد وُوجهوا وهُزموا ثم أُسروا ووُطّنوا ثم وُظّفوا وجُنّدوا. نستطيع بعد ذلك أن نضع الفرضيات التي تكمل المشهد التاريخي الاجتماعي؛ كأن نقول أن المجموعة العرقية المسمّاة مشوش التحقت في زمن تال بمن سبق منها وتوطّنت في مصر، أو أن الأسْر والتوطين والتجنيد قد تكرّر مرة أو مرات أخرى... إلخ، على نسق الأدبيات المصرية القديمة في التكرار وديمومة الإشادة بالانتصارات والإنجازات، ولكنها تظل مجرد فرضيات تكميلية. أما ما تفيدنا به مواد المصادر المصرية تحديداً فهو أن المشوش حصلوا على أماكن محدّدة، أو أراض، مقابلَ خدماتهم العسكرية، وأن دورهم العسكري قد تطوّر تدريجياً، من نخبة عسكرية في الجَيش إلى أن صار اسم «مشوش» يدلّ على الفرقة (أو الفرق) الأجنبية أو ذات الأصول غير المصرية في الجيش الملكي.

إننا لا نعرف بالمحصلة من أين جاؤوا إلى مصر، وربما لن نعرف ذلك أبداً، ولكنهم وفق ما نستنتجه من الشواهد والمصادر المصرية لم يكونوا من سكان ليبيا أو جزءاً من تركيبتها القبلية الاجتماعية.

**

لعله من المناسب في الختام أن نشير إلى أن منهجيات البحث التاريخي لا تهدف إلى إثبات الهويات أو نقضها، فتلك المسألة على أهميتها في استظهار المشهد العام ومتابعة التحولات والتشكلات المورفولوجية في خرائط الأويكومين القديم إلا أنها تعَد عرضية من الناحية المنهجية، كما إنه – أي البحث التاريخي – لا يجب أن يستعين بيقين مسبق، أو صورة نمطية سائدة، وإن كان ذلك لصيقاً بالباحثين على عواهن مبتغاهم، كلٌ بما يتوخّى، بل يستجيب لدلالات ما يوجد من شواهد أثرية ووثائق أركيولوجية، أما استنتاجات البحث وخلاصاته فهي عرضة للتبدّل والتغيّر بما يعتمل من دلالات جديدة، أو بما يطرأ من تفسير جديد قد يصحّح بعض السياقات أو يعيد ترتيبها. إن «نفضَ» سجلّات التاريخ لا يغيّر شيئاً من سطوة التاريخ نفسه ما لم تسعفنا السيَر الموازية Vitae Parallelae التي نلجأ إليها لفكّ تضاعيف التاريخ وأحجياته، وفي كل الأحوال سوف يظل التاريخ القديم يتطلّع إلينا بعيون «يانوس» العديدة، كأنه يدرك أن وقائع الماضي لم تنته بعدُ، وأن بعضها لن ينتهي أبداً!

***

**مراجع:**

- آرموار، روبرت؛ آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ترجمة: مروة الفقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- بدج، والاس؛ آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة،
- سليم، حسن؛ مصر القديمة، (الجزءان 1، 9) ، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1952.
- المحجوب، عبدالمنعم؛ ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية، دار

تانيت، طرابلس-تونس، 2007.

- ـــــ ، المعجم السومري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.

- Breasted, James Henry; Ancient Records of Egypt, Historical documents, Parts I, IV, University of Chicago press, 1906.

- Brinkman, John A. Miguel Civil, Ignage J. Gelb and others; The Assyrian Dictionary. The Oriental Institute, Chicago, Illinois, 1992.

- Budge, E. A. Wallis; An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, John Murray, Lodon, 1920.

- Clayton, Peter A.; Chronicle of the Pharaohs, Thames & Hudson, London, 1994.

- Cooper, J.C. An Illustrated Encyclopaedia of Traditional Symbols, Thames and Hudson Ltd, 2012.

- Faulkner, Raymond O. A Concise Dictionary of Middle Egyptian. Griffith Institute, Oxford 1962.

- James, Peter; Peter G. van der Veen and Robert M. Porter, Solomon and Shishak: Current Perspectives from Archaeology, Epigraphy, History and Chronology: Proceedings of the Third BICANE Colloquium held at Sidney Sussex College, Cambridge 2627- March 2011.

- Kitchen, Kenneth A.; The Third Intermediate Period in Egypt (1100–650 B.C.). 2nd ed. Warminster: Aris & Phillips, 1986.

- Kramer, Samuel Noah; The Sumerians: Their History, Culture, and Character. Chicago: The University of Chicago Press, 1963

- O'Connor, David; The nature of Tjemhu (Libyan) society in the later New Kingdom. In: A.Leahy, Libya and Egypt, 29113-. London: SOAS centre of Near and Middle Eastern Studies and the Society for Libyan Studies, 1990.

- Petrie, Flinders; The Queenly Title, XXII nd Dynasty, in Ancient Egypt, Part 2, 1916.

- Renouf, Peter Le Page; Who Were the Libyans? in Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (PSBA), no. ci, June, 1891.

- Ritner, Robert K.; The Libyan Anarchy: Inscriptions from Egypt's third Intermediate Period. Ed. Edward Wente, Society of Biblical Literature, Atlanta, 2009.

- Tallqvist, Knut L. Assyrian Personal Names. Acta Societatis Scientiarum Fennicae, Tom. XLIII, No. 1. Helsingfors, 1914.

# مومياء الجغبوب بين النوايا الطيبة والشواهد التاريخية

إعداد:
د. الصديق ابريك بودوارة
أستاذ مساعد- الهيئة الليبية للبحث العلمي
فريحة يوسف المصراتي
أستاذ مساعد- كلية التاريخ والحضارة/ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية

الاستلام: 14.3.2024 القبول: 1.6.2024

**المستخلص:**

بمجرد أن تتوارد الأخبار عن اكتشاف ما، تصبح ردود الأفعال المباشرة والسريعة هي المرآة الأولى لمن يريد أن يعرف أكثر عن الحدَث، ومع تعدد وسائل الاعلام وتنوعها أصبحت ردود الأفعال هذه مرآة أولى وثانية وثالثة، وتراجعت أهمية أن يطالع المرء تفاصيل الحدث، وأن يعرف عنه الكثير عن طريق مرجع رصين معتمد موثوق بما يورده من أخبار، وما يستعرضه من شواهد. ولعل موضوع «مومياء الجغبوب» يمثل نموذجاً حياً لمثل هذه الاكتشافات التي خضعت منذ حدوثها (باستثناءات ضئيلة) إلى بعض ردود الأفعال المتسرعة المكتوبة بدوافع متعددة وأهداف متباينة، منها الصالح ومنها الطالح، حتى أن الحقيقة التاريخية تصبح في خطر قد يودي بها ليحل محلها ظنٌ أو اعتقادٌ يفتقر الى المصداقية ويبتعد عن الحياد. من هنا رأينا أن يكون هذا البحث المتواضع مجرد محاولة لاستعراض عناصر الحدث والوقوف على عوامل مصداقيته، وعناصر التوثق من استناده إلى حقائق تاريخية وشواهد آثارية ينبغي أن لا يرقى إليها الشك، بحكم أن التاريخ بدون شواهد هو مجرد حديث ساحات لا طائل من وراءه، ولا حظ له في البقاء. إن هناك مسافةً شاسعة بين الأمنيات الطيبة وبين الحدث التاريخي الموثق الصحيح، وما علينا لاجتياز هذه المسافة إلا أن نتمسك بسؤال المصداقية ومبدأ التيقن لكي لا نتوهم تاريخاً لم نبذل شيئاً من الجهد لكي نكشف عنه بعد.

**الكلمات المفتاحية:** الجغبوب - مومياء - تحنيط - الملفا.

**Summary:**

As soon as news comes out about a discovery, direct and rapid reactions become the first mirror for those who want to know more about the event. With the multiplicity and diversity of media outlets, these reactions have become a first, second, and third mirror, and the importance of one reading the details of the event and knowing a lot about it has declined. Through a solid, accredited reference that is reliable with the news it provides and the evidence it presents. Perhaps the subject of "The Mummy of Jaghbub" represents a living example of such discoveries, which since their occurrence have been subjected (with small exceptions) to some (and I will not say all of them) hasty reactions written with multiple motives and varying goals,

some good and some bad, to the point that the historical truth becomes in danger that may lead to death. It is replaced by a thought or belief that lacks credibility and is far from neutral. Hence, we saw that this modest research should be merely an attempt to review the elements of the event and determine the factors of its credibility, and the elements of documenting its reliance on historical facts and archaeological evidence that must be beyond doubt, given that history without evidence is merely a useless and useless arena talk. Of survival.

There is a vast distance between good wishes and the correct documented historical event, and all we have to do to cross this distance is to adhere to the question of credibility and the principle of certainty so as not to imagine a history that we have not yet made any effort to reveal.

**Keywords:** Jaghbub - Mummy – Mummification - Lake Almelva

**جود تشايلد وأوليفيرو:**

**كانت الإشارة الأولى لمومياء الجغبوب هي ما كتبه الانجليزي «جود تشايلد» [1]* في كتابه «دراسات ليبية» عن مومياء عُثر عليها في «الجغبوب»، لكن الملاحظ أنه لم يعط أهمية كبيرة لموضوع المومياء بقدر ما اهتم أكثر بالتقليل من أهمية جهود عالم آثار آخر هو «أوليفيرو»[2]* وتقديمه على أنه عصبي وأناني ومتعصب وسريع الغضب: ((من المؤكد أن «أوليفيرو» بدأت تلتصق به سمعة الأنانية والتعصب، وألمح البعض إلى أنه كان سيء الحظ، وأن «عينه تصيب بالسوء.»)) [3]**

**لكنه بعد ذلك ينتقل مسرعاً إلى صلب الموضوع ليصف مختصراً موضوع المومياء يستطيع القارئ المتمعن أن يلاحظ عليه عدة نقاط مهمة هي كالآتي:**

**1. لم يعر «جودتشايلد» لموضوع اكتشاف المومياء أهمية تذكر، بل أنه ذكر في معرض حديثه أنه شائع ومعروف أن هناك مومياوات مدفونة في تلك المنطقة:**

**((كان هدف أوليفيرو» أن يستخرج من القبور القديمة حول الجغبوب إحدى المومياوات**

---

(1) * **جود تشايلد:** ولد في 18. يوليو. 1918م، في بلدة "كروسميد إكستر" بانجلترا، قد ورث عن والده "جورج" موهبة الكتابة، وبدأ شغفه بالآثار مع وجود الكثير من الآثار الرومانية في بلدته، درس في مدرسة "كرانجلي" ثم انتقل إلى كلية "أوريل" في أكسفورد لدراسة التاريخ، ودرس اليونانية واللاتينية وتعمق فيهما، وبعد أن أدى الخدمة الوطنية عاد إلى عمله كباحث في أكسفورد، ثم تم تعيينه عام 1946 كضابط آثار في الإدارة العسكرية البريطانية في ليبيا. وكان مسؤولاً عن إجراء المزيد من الدراسات وصيانة المدن الساحلية التي أجرى فيها رجال الآثار الإيطاليون حفريات فيما بين الحربين العالميتين.

في عام 1948 ذهب إلى إيطاليا لتولي مهمة أمانة المدرسة البريطانية في روما، وقد وطد هذا المنصب علاقاته مع أهم رجالات الآثار الايطاليين، ثم تم تكليفه في عام 1953 بمنصب مراقب الآثار في برقة، وظل فيه حتى عام 1966، وكان يقيم باستمرار في شحات وأبولونيا، ويتجول بلا انقطاع في سائر مدن الاقليم ومواقعه الأثرية مشرفاً على الحفريات أو مقيماً لها، مدافعاً عن الآثار من غزو التغول المعماري الحديث، وقد حقق نجاحاً كبيراً في عمله، وكسب محبة كل الليبيين العاملين معه في هذا المجال. للمزيد: ر.ج. جودتشايلد، دراسات ليبية، منشورات مكتب جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة35، ترجمة عبد الحفيظ المبار، ليبيا،1999.

(2) * **أوليفيرو:** قدم إلى ساحة الآثار الليبية من أعمال الحفر الايطالية في كريت عام 1915، وكان متخصصاً في مجال دراسة النقوش الاغريقية، وقد سيطر فيما بعد بجهوده الكبيرة على مجال الحفريات في قورينا، وكان أول عمل كبير يقوم به هو دخول نفق نبع أبوللو الذي يبلغ طوله 200 باردة، وذلك لنسخ وتصوير النقوش القديمة التي اكتشفها هناك الأخوان بيشي قبل قرن، منجزاً مهمة في غاية الصعوبة والخطورة معاً عندما تمكن من تصويرها ونشرها في كتاب بعد ذلك. وتم تعيينه رئيساً لآثار المنطقة الشرقية (1921–1925). للمزيد: جودتشايلد، دراسات ليبية، مرجع سابق.

(3) جوتشايلد، مرجع سابق، ص496.

القديمة المعروفة هناك، والعودة بها إلى قورينى أو بنغازي لوضعها في المتحف)). [4]

من هذه الفقرة نستطيع أن نعرف من صاحب الكتاب أن موضوع وجود مومياوات في الجغبوب لم يكن سراُ، كما أنه استخدم صيغة الجمع عندما ذكر جملة ((مومياوات قديمة ومعروفة))، وهذا يضعنا على العتبة الأولى لتناول الموضوع بشكل عقلاني بعيداً عن التهويل والمزايدة . في فقرة أخرى نعثر على ما يفيد أن «جودتشايلد» وهو الخبير بالآثار المتمرس بالاكتشاف لم يشك للحظة واحدة في الأصل المصري لهذه المومياء، بل أنه بادر ومنذ البداية في الكتابة عنها على هذا الأساس في معرض حديثه ( شبه الساخر) عن ماكتبه مكتشف إيطالي يدعى «أرديتو ديسيو»[5] عن رحلة مثيرة للجدل، كانت هي بالذات رحلة «أوليفيرو» عائداً بالمومياء من الجغبوب إلى بنغازي: (( إن مواطن المناطق الشمالية ذا الدم البارد يمكن أن يسخر من هذه الخرافة المنتشرة في الجنوب ولكنه حتماً يتسلى بما كتبه «أرديتو ديسيو» المكتشف الايطالي المشهور عن ما حدث لقافلة عسكرية كانت تحمل رجل آثار ومومياء «مصرية» من الجغبوب إلى

(4) جود تشايلد، دراسات ليبية، مرجع سابق، ص497.

(5) **أرديتو ديسيو:** لم أعثر على مرجع موثق يمكن أن أعتمده في هذا البحث، ولكن معلومات كثيرة عبر الانترنيت تفيد بأنه جيولوجي إيطالي وصل إلى ليبيا في أوائل الثلاثينات وكان يبلغ وقتها 29 من العمر، بعد أن تخرج من جامعة ميلانو، وكلف عام 1938 بقيادة حملة استكشافية من مئة جمل توجهت نحو جبال تيبستي، وعاد بعدها ليرسم أول خارطة جيولوجية لليبيا، ثم أشرف على حفر آبار مياه جوفية شرق مصراتة، وهناك أبلغه أحد العمال أن الحفارة يعلق بها سائل أسود، عبأ منه زجاجتين أخذ أحدهما إلى إيطاليا ليتأكد هناك من الفحص أنه البترول. وهو أيضاً من اكتشف حوض سرت وتأكد من أنه يحتوي على ثروة نفطية هائلة. لكن مقالاً مترجماً للايطالي "ألبيرتو ألبوتزي" ترجمته "الليبية ناديا بك" ترد به تفاصيل مختلفة نوعاً، إلا أنها لا تخرج عن تأكيد الدور المحوري لأرديتو ديسيو في اكتشاف النفط، لكنها تعود بالعملية ذاتها إلى عام 1914م، حيث يقول إنه أثناء حفر بعض الآبار بحثًا عن المياه من قبل القوات الايطالية، تسربت كميات صغيرة من النفط = الخام في منطقة الواحات ومنطقة الجفرة، لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى لم يفسح المجال لتعميق البحث. وفي عام 1926 مع أول عمليات البحث في وادي بيانورا بادانا بايطاليا، ولدت شركة اجيب Azienda Generale Italiana Petroli "Agip" وفي عام 1927، من خلال سن ما يسمى "قانون التعدين" من قبل الحكومة الايطالية، أصبح ممكناً إجراء البحوث في باطن الأراضي التابعة للدولة الايطالية، وبالتالي ينطبق هذا القانون على أراضي المستعمرات الإيطالية ومنها ليبيا. وفي ليبيا، تحت إدارة الحاكم بيترو بادوليو، في عام 1929، تم تأسيس شركة أسسها بعض الإيطاليين المقيمين في طرابلس وحصلوا على تصريح لبدء أول عمليات البحث عن النفط. في هذه السنوات، ظهر عالم الجيولوجيا اردیتو دیزیو Ardito Desio، المولود عام 1897، مؤسس معهد الجيولوجيا بجامعة ميلانو.

وكانت رحلته الأولى إلى ليبيا في عام 1926. وبالانتقال على ظهر الإبل، قام بإجراء المسوحات اللازمة لنشر أول خريطة جغرافية وجيولوجية للبلاد. اكتشف احتياطيات مائية مهمة لازمة لتنفيذ مشاريع الاستعمار والتحول الزراعي.

في عام 1936 اكتشف رواسب المغنيسيوم والبوتاسيوم في واحة مرادة، مما سمح له بالتأكد من وجود الهيدروكربونات. ثم أبلغ موسوليني الذي طلب منه مواصلة الاستكشاف، وعمل منذ تلك اللحظة مع أجيب، وتم إعداد برنامج بحثي مدته ثلاث سنوات في منطقة الواحات حيث وجد الأمريكيون أكبر حقول الهيدروكربونات بعد استقلال ليبيا.

تم تنفيذ البرنامج في عام 1938، وتم حفر ثمانية عشر بئراً تم من خلالها استخراج أول لتر من الذهب الأسود ولكن النفط الذي عثر عليه "ديسيو" كان أعمق من ألفي متر، ومع تقنيات ذلك الوقت كان من الصعب استخراجه. علاوة على ذلك، لا يمكن لأحد أن يتوقع في ذلك الوقت أنه في تلك الأعماق يمكن أن يكون هناك تراكم للهيدروكربونات بالكميات التي تم اكتشافها لاحقاً.

أصر ديتسيو بالتعاون مع إيتالو بالبو، الذي أصبح مؤخرًا حاكم ليبيا، ان يتحصل على منصة حفر أكبر من الولايات المتحدة للنزول إلى أعماق أكبر في الأرض. لكن الحرب العالمية الثانية أوقفت العمليات مرة أخرى. للمزيد: ألبيرتو ألبوتزي، موقع بلد الطيوب، ترجمة ناديا بك. https://tieob.com/archives/55030

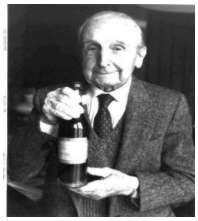

**العالم الجيولوجي والمكتشف الايطالي "أرديتو ديسيو" يحمل أول عينة من النفط المكتشف في ليبيا عام 1938م.**
**المصدر: : ألبيرتو ألبوتزي، موقع بلد الطيوب، ترجمة ناديا بك. https://tieob.com/archives/55030**

قوريني في خريف 1926 م. وكان رجل الآثار هو «أوليفيرو» نفسه.)) [6]إنه هنا يذكر وبسلاسة ودون تعقيد أن المومياء «مصرية»، ويمر بالموضوع مسرعاً لأنه كان يريد أن يكتب أكثر عن ما يشبه «لعنة الفراعنة»[7]* التي صاحبت رحلة أوليفيرو بالمومياء أكثر من اهتمامه بمناقشة تفاصيل المومياء ذاتها. إن «جودتشايلد» يمضي في وصف الرحلة حتى أثناء توجهها للجغبوب منطلقة من مدينة البيضاء، (دون اهتمام بحمولتها الأساسية التي ستعود بها من هناك )، بل أنه يورد تأكيداً عابراً للضابط المكلف بحماية القافلة باعتقاده الجازم أن المومياء «مصرية»:(( ولكن القافلة العسكرية التي نقلته من البيضاء إلى الجغبوب لاقت سلسلة من الحوادث المؤسفة التي لاعدد لها، ففي مطعم الضباط بالجغبوب التقى «ديسيو» مع الضابط المسؤول عن القافلة، الذي قال له بصراحة: إن ذلك الرجل ( يقصد أوليفيرو) عين حسودة تظن بالسوء، وإني لم أرافق أبداً قافلة مفجعة مثل تلك القافلة، ولا أتصور ما سيحدث لنا في طريق العودة، خاصة أن معنا في هذه الشاحنات هذه المومياء المصرية.))[8]

ويمضي «جودتشايلد» في ذكر ما كتبه «دييسو» عن متاعب القافلة مع لعنة المومياء وكأنه مهتم فقط بالنيل من شخصية صاحبها: ((وقد بدأت القصة برجل كُسرت ساقه أثناء تحميل المومياء في شاحنة، وسبّب ذلك الحادث أسوأ النذر بالشر، وقد رفض قائد الجغبوب السماح ببقاء المومياء ليلة في قلعته، وأسرع سائقوا السيارات إلى تعليق أدوات واقية من الأذى، مثل حدوات الخيل وقرون الخراف وما شابه ذلك.)) [9] لم يستثن «جودتشايلد» حتى التفاصيل الدقيقة، وكأنه يؤكد من جديد على أن «أوليفيرو» منحوس بطبيعته، وكأننا نقرأ هنا فصلاً عن «لعنة أوليفيرو» بدلاً عن لعنة الفراعنة: ((وفي الرحلة الطويلة في طريق العودة إلى الساحل حدثت كل مصيبة متوقعة، فقد غاصت المركبات في الرمال، وسقطت حمولاتها، وانكسر زمبرك الشاحنة التي كانت تحمل المومياء، وعندما حل الليل كانت القافلة بعيدة جداً عن المكان الذي تقصده، وفي الليل هبت رياح هوجاء حملت بعض خيامهم، وتلا ذلك عواصف رعدية مرعبة.))[10]

إن القافلة تصل في نهاية المطاف إلى وجهتها، لكن «جودتشايلد» لم يكلف نفسه حتى عناء تفحصها كرجل آثار محترف، ( مما يؤكد أن مسألة وجود مومياء في الجغبوب بالنسبة له ليست أمراً يستحق الفحص )، ويكتفي بذكر أنه قد تم التقاط صور لها وهي ملفوفة بقماشها ( حسب تعبيره )، وهذا تفصيل مهم سوف نتعرض له لاحقاً عند الحديث عن تقنيات التحنيط وأنواعه:(( وواصلت القافلة السير، ولكن المومياء وصلت إلى الساحل، بفضل مثابرة «أوليفيرو» ( المرة الأولى التي يذكر فيها «أوليفيرو» بخير ) ويضم أرشيف صور قوريني صورة التقطت لها

(6) جو دتشايلد، مرجع سابق، ص496.

(7) * **لعنة الفراعنة:** بدأت هذه السمعة المختلقة مع اكتشاف مقبرة "توت عنخ آمون"، الذي تم على يد الانجليزي "هوارد كارتر"، وبتمويل من اللورد "كارنارفون"، ففي أواخر نوفمبر 1922 تم فتح باب المقبرة وقد وجد كارتر رقيم خزفي في إحدى الغرف نقشت عليه عبارة تقول: إن الموت سوف يقضي بجناحيه على كل من يحاول أن يزعج هدوء الفرعون او يعبث بقبره.
ورغم أن الواضح من هذا التحذير أنه موجه للصوص المقابر الذي كانوا ينتشرون في ذلك الزمن، إلا أن هذا التحذير تحول إلى خرافة لاحقت كل المنقبين عن الآثار الفرعونية، وهي التي عرفت فيما بعد بلعنة الفراعنة: للمزيد: فيليب فاند نبرغ، لعنة الفراعنة. التفسير العلمي لظاهرة لعنة الفراعنة الغامضة، ترجمة خالد أسعد عيسى. أحمد غسان سبانو، منشورات دار قتيبة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2004.

(8) جودتشايلد، مرجع سابق، ص497.

(9) المرجع نفسه، ص497.

(10) المرجع نفسه، ص497.

وهي ملفوفة بقماشها حال وصولها.))[11]

إن الجدير بالملاحظة هنا هو اهتمام «جودتشايلد» بتفاصيل الرحلة أكثر من اهتمامه بالمومياء نفسها، حتى أنه لا يعطي أهمية تذكر لموضوع اختفاءها بعد ذلك، بل يضع لذلك احتمالين كل منهما أكثر لامبالاة بصلب الموضوع من الآخر:

(( .... ولكن ليس من المعروف ما حدث لها بعد ذلك (يقصد المومياء)، فلم تضّمن في قائمة محتويات المتحف قبل الحرب، ولا في قوائم الأشياء التي أجريت عن برقة أثناء الحرب (ربما يقصد «أجليت»)، ويكاد يبدو وكأنما رفضت المومياء الاقامة في مكان بعيد عن مكانها (يقصد مكان إقامتها) الذي وجدت راحتها فيه، ومن يدري؟ هل كانت المتاعب التي وصفها «ديسيو» بحيوية تسببت عن رجل الآثار جالب النحس، أم عن المومياء نفسها.))[12]

هاهو إذن يعود إلى النيل والسخرية من «أوليفيرو» في ختام ذكره لحدث المومياء، ثم يغادر الموضوع بسلاسة ويسر ومباشرة، وكأن الأمر لم يكن مهماً من الأساس: ((ولنعد الآن إلى قوريني، وإلى برنامج البعثة التي بدأت العمل هناك صيف 1925 .. الخ.)) [13] هكذا إذن كان تعامل «جودتشايلد» مع واقعة نقل المومياء، أو العثور عليها، دون تحليل أو محاولة إيجاد بنية تاريخية قد تفسر وجود المومياء هناك.

**مومياء الجغبوب في إيطاليا:**

لكننا نعثر على المزيد من المعلومات القيمة عند مصدر آخر هو «سافينو دي ليرنيا» صاحب فكرة «مشروع ترميم مومياء طفلة الجغبوب»، وهو باحث من جامعة روما «لاسابينزا»، وقد أدار المشروع تحت إشراف مصلحة الآثار بطرابلس، وتم تمويله من شركة «إيني» شمال افريقيا، وكان الانجاز الفني له بإشراف نفس الجامعة المذكورة بالتعاون مع شركة «نيكولا ريستاوري» للترميمات.[14] إن «سافينو» يقدم معلومات مميزة عن هذه المومياء عندما يقول إن تاريخها يعود إلى القرنين الثاني والثالث (120ـ 260 ميلادي)، وإن واحة الجغبوب قد تميزت تلك المرحلة الزمنية بوجود حضارات مختلفة كالرومان والمصريين وغيرهما من التقاليد الثقافية الأخرى الأقل تأثيراً، وإن التحنيط كان تقليداً حاضراً، وإن ممارسته كانت تتم في مصر منذ بداية عصر الأسر الحاكمة.[15]* ، ويضيف أيضاً أن التحاليل كشفت أن جسم المومياء يخص طفلة توفيت وهي في السابعة من العمر، وأن الوفاة يمكن أن تكون قد نتجت عن إصابة بالتهاب حاد، إذ يشير إلى ذلك كبر حجم الكبد، وإنه قد تم العثور على بعض المقتنيات التي وضعت في القبر كمتاع شخصي، وهي خاتم وقرطين من الفضة، وقلادة تتكون من 78 خرزة من الزجاج

(11) المرجع نفسه، ص497.

(12) المرجع نفسه، ص497.

(13) المرجع نفسه، ص497.

(14) ليبيا إيطاليا. علم الآثار المشترك، لجنة تحرير ليبية إيطالية، ترجمة سوسن بوغرارة، علي خالد سوداد، ريم الطاهر المغربي، ريم القطيط، ناديا بن عمران، طرابلس، 2021، ص152.

(15) تكتسب هذه المعلومة مصداقية لا غبار عليها عندما تؤكد المكتشفات الأثرية أنه في عصور ما قبل الاسرات كان الأمر مقتصراً على أن الطبيعة كانت تقوم بحفظ الأجساد المطمورة في الرمال، إذ أن الجثث كانت تُدفن ملفوفة بالكتان أو الجلد أو الحصير، في مقابر بسيطة جداً عبارة عن حفر بيضاوية أو مستديرة لكنها قريبة من سطح الأرض حتى يسهل تأثرها بعوامل الطقس الجاف وشدة الحرارة التي تمنع تحلل الأنسجة البشرية، وقد عرف المصريون هذه الظاهرة، وحاولوا بعد ذلك في عصر الأسرات تقليدها معملياً وهو ما أدى إلى ظهور التحنيط بشكله المنهجي المنظم. للمزيد:
صابر جبرة، التحنيط، منشورات مؤسسة هنداوي، الملكة المتحدة، 2017، ص152

الملون يحتمل أنها انفرطت بعد دفن الجثة مباشرة، كما أن الجثة قد تم نقلها إلى مختبرات «نيكولا ريستاوري» في مقاطعة «بيمونتي» في إيطاليا، حيث أجريت لها أعمال ترميم وتصميم خزانة للعرض[16] على أن المفاجيء في الموضوع هو ما ذكره عن تصنيع العديد من النسخ المماثلة لمومياء الجغبوب من أجل أن يتم الحفاظ على الأصل في بيئته ودرجة حرارته، حيث يختم تقريره بهذه الفقرة: (( فكانت النتيجة الإجمالية لذلك ( يقصد تصنيع النسخ المطابقة ) أنه أصبح من الممكن مشاهدة مومياء طفلة الجغبوب في القاعة المخصصة لها في المتحف الوطني في طرابلس، والتي تم افتتاحها في 2009م)). [17]

إن هذه المعلومة تجعلنا في وضعية احتمال قوي بأن المومياء الموجودة الآن في متحف طرابلس ماهي إلا نسخة عن الأصلية الموجودة في إيطاليا.

**مومياء سافينو ومومياء الهدار:**

في الواقع كانت هناك معلومات مهمة بدورها ذكرها الدكتور «خالد الهدار» في مدونته حيث يذكر أن «سافينو» قد ألقى خطاباً في يوم عودة المومياء إلى المتحف الوطني بطرابلس ويهمنا هنا أن نركز على خطاب «سافينو» في الحفل كما أورده «الهدار» في مدونته: ((وألقى مدير البعثة الليبية الايطالية في منطقة (أكاكوس ورمال الصحراء الوسطى) البروفسور « سافينو دى ليرنيا « من جامعة روما (لاسبينزا)، محاضرة في الحفل تناول فيها الخطوات التي تمت لنقل المومياء إلى روما، ومراحل تشريح المومياء. وأوضح بأن الخبراء الذين شاركوا في هذه العملية قاموا بعدة تحاليل على هذه المومياء من بينها أخذ عينات ميكروسكوبية عن العظام والنسيج كما تم إعداد عينات لإجراء تحاليل (DNA) حيث تبين من خلال هذه التحاليل أن المومياء تخص طفلة عمرها حوالي السبع سنوات. وأكد أن بعض المقتنيات الجنائزية الأخرى تم العثور عليها مع هذه المومياء تتمثل في خاتم وقرطين إضافة إلى بقايا عقد.))[18]

هنا يجدر بنا أن نلاحظ أن «سافينو» لم يتطرق أبداً إلى جزئية عمل نسخ للمومياء، وهو ما يزيد من الاحتمال الذي تطرقنا إليه سابقاً بأن تكون المومياء التي تم إحضارها إلى المتحف هي نسخة عن الأصلية التي ربما مازالت في إيطاليا، ولو كان الأمر غير ذلك فلماذا لم يذكر «سافينو» بكل وضوح أنه قد تم عمل نسخ عن المومياء ضمن ماذكره من معلومات حولها؟

إن «الهدار» يذكر لنا ايضاً قصة ما قبل اكتشاف المومياء، وسوف يكون مفيداً هنا أن نقتبس من معلومات «الهدار» ثم نعلق على ما يمكن التعليق عليه.

إن «الهدار يبدأ في سرد معلوماته قائلاً: (( لقد كانت اول اشارة لوجود مومياء في الجغبوب جاءت مما كتبه «ريتشارد جودتشايلد» (كان رئيسا لمراقبة اثار المنطقة الشرقية 1954-1967) في الكتاب الذي نشر بعد وفاته (دراسات ليبية) ويتحدث عن تاريخ الكشف الاثري، وقد تحدث فيه عن الايطالي «جاسبارو أوليفيريو» ( رئيس اثار المنطقة الشرقية 1921-1935 تقريباً) حيث أشار إلى أن «أوليفيريو» ارتحل الى الجغبوب عندما سمع عن وجود مومياء بها، وأنه نقلها عائداً بها الى شحات، إلا أن المومياء ضاعت ولم تنشر عليها أية معلومات، اذاً هذه أول مومياء يعثر عليها في الجغبوب، كما تنبغي الاشارة الى وجود رحالة وتجار في القرن السادس عشر تحصلوا

(16) المرجع نفسه، ص152.

(17) المرجع نفسه، ص153.

(18) https://khaledelhaddar.blogspot.com/2009/05/blog-post.html

على مومياء قالوا إن مصدرها الصحراء الغربية في مصر، ربما تكون مصدرها سيوة أو الجغبوب عندما شاعت أخبار في أوروبة أن المومياء مصدر لعلاج بعض الامراض، لذا رغب التجار في اقتناء المومياوات المصرية ونهبوا منها الكثير)).

**في هذا الجزء يمكن لنا أن نضع أيدينا على بعض النقاط المهمة كالآتي:**

1. ما ذكره الهدار عن وجود رحالة في القرن السادس عشر تحصلوا على مومياء مصدرها سيوة أو الجغبوب واستولوا عليها لبيعها نظراً لاستعمالها في العلاج، هي معلومة صحيحة تماماً، حيث أن الشواهد تؤكد أن أصل هذا الاعتقاد بنجاعة المومياء في العلاج بدأ من الأصل الأول لاسم المومياء حيث وصف «ديسقوريدس» اليوناني فوائد مادة اسمها **mumia** بأنها مادة قارية تطفو على سطح الأرض في بعض المواضع ( وهذه المادة هي القار «الأسفلت ) وقد أطلقت كلمة «موميا» مجازاً على الأجسام المحنطة لما يلحق بها من سواد شبيه بسواد القطران، ولاعتقاد البعض الخاطئ بأن هذه الأجسام إنما كانت تُغمس في القطران فيصبح لونها أسوداً، لذلك أصبح فيما بعد اسم مومياء يطلق على الجثث المحنطة، وقد لعبت هذه المومياوات دوراً مهماً في الطب في العصور اليونانية والرومانية، وكان الفرس يستعملون المومياء كدواء عام للأمراض النفسية، كما أن البطالمة كانوا يعتقدون أن أعضاء المومياوات المحنطة كان لها فوائد طبية كبيرة. واستعملت أعضاء الموتى المحنطة في الطب زمناً طويلاً مازالت بقاياه موجودة في ريف مصر إلى الآن، كما استعمل طبيب يهودي اسكندري عام 1200 م. المومياء كدواء ثم انتشرت بعد ذلك، كما أن فكرة استعمال المومياء كدواء انتشرت بعد ذلك في غرب أوربا حيث ذكرت الكثير من وصفات أطباء أوربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر فوائد باعتبارها عقاراً بالغ الأهمية، ويبدو أن هذا الأمر قد استفز بعض العلماء الذين استنكروا هذا الاعتقاد حيث سماها بعضهم « العقار البغيض»، ومما يؤكد عمليات البيع التي تحدث عنها «الهدار» هو ما ذكره بعض العلماء من أن اختفاء المومياوات من عالم العقاقير الطبية لم يكن لما وجه إليها من انتقادات علمية، وإنما كان سببه التجار اليهود الذين احترفوا بيع الأجسام المحنطة المغشوشة[19].

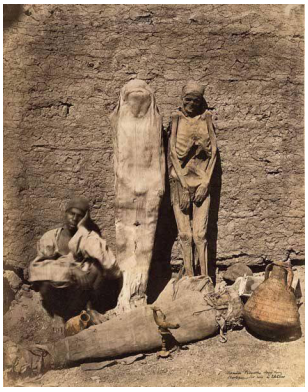

مومياوات للبيع في شوارع القاهرة عام 1875م.

(19) صابر جبرة، مرجع سابق، ص ص 12،11.

2. إشارة «الهدار» إلى أنها أول مومياء يعثر عليها في الجغبوب ربما يناقضها ما كتبه جودتشايلد في «دراسات ليبية عندما أشار وبالحرف الواحد: ((كان هدف أوليفيرو» أن يستخرج من القبور القديمة حول الجغبوب إحدى المومياوات القديمة المعروفة هناك والعودة بها إلى قوريني أو بنغازي لوضعها في المتحف)).[20]

هذه الإفادة تؤكد أن هناك الكثير من المومياوات التي كان يتم العثور عليها في تلك المنطقة، ولعل هذا كان يندرج ضمن النشاط الذي كان يقوم به تجار المومياوات في ذلك الوقت طمعاً في الحصول على مردود مادي من بيعها. وبالعودة إلى ما كتبه «الهدار» في مدونته ( التي أشرنا إلى موقعها الالكتروني في الهامش)، حول مومياء الجنوب وهو يسرد قصة العثور عليها باعتباره شاهداً على الحدث، يمكن لنا أن نركز على الفقرة التالية بالتحديد: ((أما قصة مومياء الجغبوب الحالية فقد بدأت القصة عندما توجه طلاب قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة قاريونس في منتصف تسعينيات القرن العشرين لتطبيق الدراسة الحقلية التي تخصهم في واحة الجغبوب، وعندما كانوا هناك يبدو أنهم تحصلوا على بعض اللقى الأثرية في بعض المقابر المنحوتة في الصخر، وانتشرت الاخبار بين الطلاب و الاساتذة و سمعنا نحن بها في قسم الاثار، كما أن مراقبة الاثار بشحات وصلتها هذه الاخبار، وهي كانت مهتمة بالجغبوب أيضاً، لان هذه المنطقة كانت تتبعها إدارياً وفنياً. واهتم قسم الاثار بمنطقة الجغبوب وتنادى مجموعة منه للذهاب الى هناك ومعاينة البقايا الأثرية في الجغبوب، ودعمت الجامعة هذه المجموعة وأمدتهم بسيارة طاوية نقلتهم إلى هناك، وفي الجغبوب وجدنا أن مراقبة آثار شحات تقوم بحفريات أو تنظيف لبعض المقابر المنحوتة في الصخر برئاسة مراقب الاثار ورئيس الشؤون الفنية بتلك المراقبة ورئيس مكتب آثار طبرق وغيرهم، وعند وصولنا كان آخر يوم في الحفريات التي تمخضت عن العثور على بعض اللقى وعلى ثلاث مومياوات اثنان منها لبالغين وأخرى لطفل وفقاً لحجمهما.

وأتذكر أنه في تلك الليلة اقترحت على فريق العمل أن يقوموا بتصوير تلك المومياوات عن طريق إشعة اكس التي سوف تظهر المومياء من الداخل، ولتنفيذ هذا الاقتراح توجه بعضنا مع رئيس مكتب اثار طبرق الذي حمل المومياء الصغيرة إلى العيادة الصحية في الجغبوب الذين وافقوا على تصويرها، وقد أظهرت الصور أن المومياء لطفلة ترتدي عقد في رقبتها وخاتم في يدها، هذا ما اتذكره عن اكتشاف هذه المومياء وما عمل لها من إجراءات سريعة أعطت نتائج سريعة عنها، كما أنها دفعتنا للبحث عن تاريخها حيث تأكد من خلال اللقى التي وجدت معها أنها ليست مومياء فرعونية قديمة، بل ربما ترجع لنهاية العصر الهلنيستي أو الروماني، ذلك لأن التحنيط استمر في مصر إلى العصر الروماني. وقد أفادنا قسم دوريات المكتبة المركزية بمراجع ساعدت في تأريخها، وقد انقطعت الصلة بها فيما بعد ولم أسمع إلا بعض الأخبار السلبية عنها غير متأكد منها لكي أسردها هنا)).[21]

إننا يمكن أيضاً أن نحاول من جديد استخلاص عدة ملاحظات هامة بهذا الخصوص من شهادة «الهدار» حول هذا الاكتشاف، وتتلخص ملاحظاتنا في الآتي:

1. من معلومات «الهدار» يتضح أن هناك ثلاث مومياوات وليس مومياء واحدة، إذ أنه يذكر أنه:

(20) جودتشايلد، مرجع سابق، ص497.

(21) https://khaledelhaddar.blogspot.com/2009/05/blog-post.html

((وعند وصولنا كان آخر يوم في الحفريات التي تمخضت عن العثور على بعض اللقى وعلى ثلاث مومياوات اثنان منها لبالغين وأخرى لطفل وفقاً لحجمهما.)) لكنه يركز بعد ذلك على مومياء واحدة هي مومياء الطفلة التي تمحور عليها الحديث لاحقاً، فهل كانت بقية المومياوات غير صالحة للبحث بحكم سوء الحالة، أم أنها تعرضت للسرقة، أم أن طريقة استخرجهما لم تكن سليمة بحيث أثرت على حالتهما؟ وعلى أي حال لا يذكر لنا الهدار شيئاً عن هذا، ربما بحكم أنه لم يتحصل على معلومات مؤكدة بالنسبة له، والذي يعرف الدكتور «خالد» جيداً يدرك أن هذه القيمة العلمية لا تذكر سوى المعلومات الموثوقة فقط ولا تلتفت إلى ما عداها.

2. يتطابق التقدير الزمني للمومياء الذي أجرته بعثة الجامعة مع التقدير الزمني الذي تم تحديده في إيطاليا، رغم الفارق في الامكانيات التقنية بين الجهتين، وهذه نقطة إيجابية تضاف إلى رصيد فريق العمل الليبي الذي كان حاضراً في ذلك الوقت.

**مومياء الجغبوب ومومياوات الملفا:**

إن البعثة الإيطالية في الجغبوب تقدم لنا شهادة بالغة الأهمية على أن هذه المنطقة مازالت تحتاج منا كمختصين المزيد من التنقيب سواءً أثرياً أو تاريخياً، وذلك عندما يتصدى الباحثان «فينيتشينزو ديركولي»، و«ماريا جيورجيا دي انطونيو» للكتابة عن أبحاثهما في منطقة الجغبوب، واللافت في تقريره هذا الترتيب

المنطقي للأحداث، وهو ترتيب لا يفتقر لدقة توالي التواريخ الخاصة بعمليات الحفر والاكتشاف، دون أن يهمل جزئية التكليف الأول الذي بموجبه انطلقت المهمة منذ يومها الأول. حسب التقرير فإن الحفريات التي أجريت عام 2001م. في موقع «غار سعيد» في «عين الحفرة (10 كلم على الحدود مع مصر)، كانت ضمن أعمال البعثة الأثرية لجامعة «كييتي» بالقرب من شحات، عندما طلبت مصلحة الآثار من «فينشينزو» التعاون في إجراء استطلاع وقائي (حفرية وقائية) في المناطق الصحراوية الجنوبية حيث كان مخططاً القيام بأعمال مرتبطة بإنتاج النفط، ومن هذا التعاون الايجابي (حسب التقرير) ظهر العرض في العمل في منطقة غير معروفة من الناحية الأثرية في ليبيا، ألا وهي «واحة الجغبوب».

يقول التقرير إن امتياز الحفر تم تحديده في فبراير 2002. ويصف واحة الجغبوب بأنها حوض يبلغ طوله 25 كلم، ينخفض إلى 29 متر تحت مستوى سطح البحر حيث تتناثر المستنقعات والمسطحات المائية والبرك. ويتطرق التقرير فجأة إلى المعلومات الأثرية الأولى التي وصفها بأنها ((غامضة ومختلطة)) حول وجود المومياوات التي قدمها المستكشفون والتجار في القرن السادس عشر، ثم إلى المعلومات الأثرية الأولى (التي تلت هذه المعلومات الغامضة) التي ترجع إلى «جاسبارو أوليفيرو» الذي عمل في شحات كمفتش ومدير بين عامي 1916 ـ 1933 (حسب التقرير)، وكذلك المسح الذي أجري في الخمسينات من قبل الانجليزي «رايت» والذي أدى إلى التعرف على مقبرة في «بحيرة الملفا»، والتي احتوت على العديد من المومياوات السليمة والمجزأة وبيض النعام والعديد من السلال والفخار من النوع النبطي، ويقول في تقريره إنه في عام 1996 أجرت مراقبة آثار شحات حملة تنقيب في مقبرة بحيرة الملفا، حيث سلط الضوء على ستة قبور تم حفظ اكتشافاتها في مخازن متحف شحات.[22]

(22) فينيتشينزو ديركولي"، و"ماريا جيورجيا دي انطونيو، "ليبيا إيطاليا. علم الآثار المشترك، مرجع سابق، ص156.

إن هذا التقرير يبدو وكأنه يعيد وصل ما انقطع بفعل مرور الزمن بين مومياء أوليفيرو وبين مومياوات أخرى تم اكتشافها لاحقاً، وفي نفس الحيز الجغرافي السابق، وإن امتد هذه المرة إلى بحيرة الملفا (التي تقع حسب التقرير أيضاً) على ارتفاع 112 متراً فوق مستوى سطح البحر على بعد حوالي 10 كلم من الحدود مع مصر، ويبدو أنها تحتوي على مقبرة كبيرة واعدة بالمزيد من الاكتشافات، إذ يذكر التقرير أن هذ المنطقة (التي وصفها بالجنائزية) تظهر على هيئة سلسلة من العتبات التي تعلو بعضها بعضاً وعلى جدرانها الجنوبية تفتح مئات القبور على شكل غرف حجرية مرتبة على عدة صفوف متوازية. ولاحظ التقرير أن نوع المدافن موحد بشكل كبير، ويتمثل في غرف رباعية الزوايا ذات مشكوات ضيقة مجوفة في الجزء العلوي من الجدران الجانبية، وفي بعض الأحيان أيضاً في الجانب الخلفي، ومن بين البقايا الخشبية العديدة يمكن استنتاج أن أبواب الاغلاق كانت مصنوعة من أبواب خشبية مطلية باللون الأحمر، وكان على غرف الدفن أن تستوعب بداخلها العديد من الأفراد، وكان لا بد من استيعاب الموتى في الفتحات التي في الجدران داخل الغرفة، ويصف التقرير هؤلاء الموتى بأنهم قد وضعوا على أسرة جنائزية خشبية، وأنهم كانوا محنطين، وكانوا ملفوفين بنسيج مثبت بشرائط من الألياف النباتية، لكنه يذكر أيضاً أن ((المومياء المحفوظة في شحات يبلغ طولها 133 سم))، ويتطرق إلى عادة لف المتوفي بإحكام في شرائط من الكتان أو القطن الأبيض، وأنه كان يُعطى اهتمام خاص بتغليف الجمجمة، حيث لوحظ في إحدى العينات جمجمة ملفوفة بشرائط متعددة الطبقات تشكل زخارف صليبية كما في الشكل الموضح:

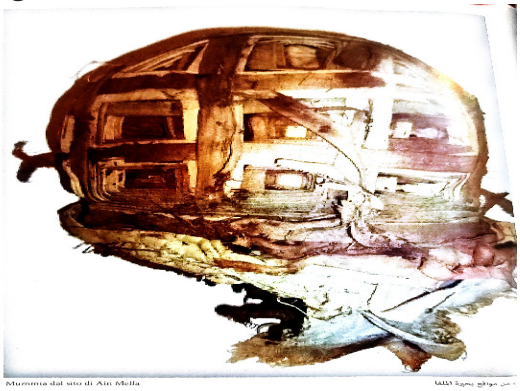


Scanned with AnyScanner

((جمجمة مومياء من موقع بحيرة الملفا))، المصدر: كتاب ليبيا . إيطاليا . علم الآثار المشترك. مرجع سابق، ص159.

ويبدو أن المكان كان منطقة استقرار سكني بامتياز بدليل أن الهضبة الواقعة أعلى بحيرة الملفا توجد بها مساحة واسعة بها العديد من بقايا الفخار، كما أن هناك إنشاءات مائية تشكلت بواسطة صهاريج وقنوات محفورة في الصخر، تدل على أنه كان هناك تجمع سكاني متصل بالمقبرة.

ويلاحظ الباحثان في تقريرهما أن الموقع الذي يقع على الحواف الشمالية لحوض البحيرة هو موقع يتمتع بحماية طبيعية تحت سيطرة ممر أطلق عليه جغرافياً ممر «ديفيدسون»،

وهو الممر الذي يضع واحات الجغبوب وسيوة على اتصال مباشر. ولعل هذا يوضح ما كان «جودتشايلد» متأكداً منه عندما أشار وبصورة تلقائية إلى أن المومياوات التي كان يتم العثور عليها هي مومياوات مصرية.

ويشير التقرير كذلك إلى موقع آخر مشابه هو «موقع «كثيب الرمل» حيث تم اكتشاف صهريجين محفورين في الصخر في الضفة الصخرية مغلقان بجبس أبيض، وعلى مسافة قصيرة منهما توجد بقايا برج مراقبة وقد لوحظ كثرة البقايا الفخارية وبقايا أواني مصنوعة من الفخار باستخدام المخرطة، وعلى المنحدرات الشرقية من كثيب الرمل هذا توجد مداخل لقبور عديدة من نفس النوع الموجود في بحيرة الملفا.[23] وهكذا يتم ترسيخ فكرة أن ما تم العثور عليه هو بقايا تجمع سكاني وثيق الصلة بواحة سيوة، ويحتفظ سكانه بعلاقات ثقافية عميقة مع جيرانهم هناك، ولعل ما يوحي به العثور على ساقيتين أثريتين متشابهتين، بالإضافة إلى منطقة سكنية ومقابر ملحقة بها يشير إلى أن فكرة نظام الاستقرار العقلي (حسب تعبير التقرير) قد نشأت حول المنخفض الكبير للجغبوب، حيث أن مياه الينابيع تسمح بإقامة الانسان وبإمكانية زراعة أنواع محدودة من المحاصيل، كما أن وجود مورد آخر للرزق وهو وجود الملح بوفرة على حواف البحيرات،[24] إن كل هذه دلائل مقنعة على تجمع سكاني مزدهر احتفظ بعلاقات وثيقة مع امتداده في مصر، لكن الأكثر إقناعاً هو ما أشار إليه التقرير من أن : (( وجود قبور في غرف السكن من نوع وشكل محدد رباعي الزوايا، مع مشكاوات على الجدران، ومن الناحية الاجتماعية يبدو أن أفراد المجتمع من الإناث يكرسون أنفسهم لممارسة أنشطة الغزل والنسيج، وينتجون السلال التي كانوا يستخدمونها، وقد اعتنوا بزيادة قيمة المصنوعات من خلال العناية بتزيينها وتجميلها، فيما يبدو الرجال أقل تميزاً في نشاطهم فربما كانوا يمارسون بشكل رئيسي نشاط الصيد بالقوس، وعلى ما يبدو فإن العنصر الأكثر إثارة ويشد الاهتمام بشكل أكبر هو تحنيط جثث الموتى.))[25]

ويختم التقرير معلوماته القيمة باستنتاج منطقي مفاده: ((إن التواصل الطبوغرافي بين بحيرة الملفا وسيوة، وبالتالي بقية البلاد المصرية هو عامل لا يمكن الاستهانة به، ومن المعقول أن نضع في الاعتبار أن القيم الرئيسية الثلاث للجغبوب كانت المياه والملح والموقع الذي يأتي على طول طريق الواحات التي تربط وادي النيل بالقرب من طيبة من خلال واحات الخارجة والداخلة والفرافرة عبر واحة سيوة وليبيا، وأن تواجد تلال الملح مع مصادر المياه الأساسية في الجغبوب كان دعوة لا تقاوم، وفرصة استثنائية للتجار الذين كان عليهم نقل سلعهم التجارية عبر القارة الافريقية.))[26]

إن هذا التقرير (الذي رغم أهميته لم ينل حظه الذي يستحقه من الدراسة والنشر، رغم ما ورد من معلومات أثرية) قدم لنا حقيقة تاريخية منطقية ومعقولة فيما يتعلق بوجود الكثير من المومياوات في موقع إضافي لم يسلط عليه الكثير من الضوء، كما قدم لنا تفسيراً نراه مقنعاً لوجود جثث محنطة في موقعين يقعان على خطوط التماس مع الدولة المصرية القديمة.

(23) المرجع نفسه، ص 156.
(24) المرجع نفسه، ص 156.
(25) المرجع نفسه، ص 156.
(26) المرجع نفسه، ص 156.

**الحقيقة التاريخية لمومياء الجغبوب:**

((ما يميز الباحث التاريخي أنه يتمتع بملكة النقد، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام ولا يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير البحث والدرس والاستقراء، فيأخذ الصدق أو أقرب ما يكون إليه، ويطرح جانباً ماليس كذلك، وإذا أعوزت المؤرخ ملكة النقد سقطت عنه صفته وأصبح مجرد شخص يحكي كل ما يبلغه على أنه حقيقة واقعة، وليس بهذا يُدرّس أو يُكتب التاريخ.))[27] إن هذه العبارات الحاسمة لحسن عثمان في كتابه القيم المشار إليه في الهامش تضع الحدود الواضحة والقاطعة لكل من يتصدى للكتابة عن حدث تاريخي مهما كانت خلفياته. ولعل هذا ما جعل الخوض في موضوع «مومياء الجغبوب» موضوع أمانة علمية ينبغي أن لا يُساء إليها بالتهويل والمبالغة، وأن لا يُنتقص منها بالازدراء وعدم الاهتمام. لهذا ينبغي الحرص ونحن نتناول موضوع مومياء الجغبوب. وينبغي أكثر أن نهتم بالتفاصيل التي أوردها الباحثون، فكل معلومة ولو كانت عابرة يمكن أن تفتح لنا باباً في منتهى الأهمية على حقيقة لا يمكن أو يجوز إغفالها أو التغاضي عنها.

إن العثور على مومياء محنطة في مكان ما هو حدث ينبغي أن نبتعد به عن التهويل واختلاق التاريخ، فيجب أولاً أن نضع التحنيط بحد ذاته في إطاره الفكري والعقائدي الذي كان سبباً في وجوده من الأساس، ويجب أن نبحث في حقيقة ما إذا كان هذا الاطار العقائدي والفكري موجوداً ومنتشراً في المنطقة التي وجدت بها المومياء أم لا، والإجابة عن علامة الاستفهام هذه سوف تسير بنا في الطريق الصحيح الذي يخبرنا إذا ما كانت المومياء المحنطة نتاج بيئة محلية أم أنها نتاج بيئة مجاورة كان له تأثير ثقافي ملحوظ يمتد خارج حيزه الجغرافي المعروف. وللمزيد من المعرفة في هذا المجال يجب أن نلاحظ أن التحنيط كان استجابة بشرية لفلسفة عميقة كانت تقوم على اعتقاد المصري القديم أن هناك نوعين من الموت هما الموت الأول والموت الثاني، فالموت الأول هو مفارقة الروح للجسد، أما الموت الثاني فهو تحلل الجسد وفناءه.[28]

إن المصري القديم رأى أنه بحلول الموت تغادر الروح الجسد إلى السماء، لكنها تعود من جديد إليه لتدله في رحلة العبور إلى العالم الآخر، وهكذا أصبح من الضروري أن تتعرف الروح على جسدها الذي كانت فيها، لكن تحلل الجثة وتفسخها كان يحول دون ذلك، وهذا بالتحديد هو الموت الثاني الذي كان يخشاه المصري القديم، والذي من أجله ابتكر التحنيط لكي يحافظ على الجسد سليماً حتى تتعرف عليه الروح.[29] هذا هو الإطار العام لفكرة التحنيط، وهو إطار ما كان له أن يتكون لولا عقيدة دينية تشكلت تراكمياً بفعل تراث من الأساطير المقدسة مثل

(27) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، منشورات دار المعارف، ط8، القاهرة،1964، ص19.
(28) أحمد صالح، التحنيط. فلسفة الخلود في مصر القديمة، منشورات جماعة حور الثقافية، ط1، القاهرة، 2000، ص18.
(29) المرجع نفسه، ص18.

**قصة «إيزيس و أوزيريس»[30]*، وقصة الإله «خنوم الفخراني»[31]*، وقصة «رع»[32]*، وقصة رتق السماء عن الأرض بواسطة الإله «شو»[33]*، حيث احتوت كل هذه الأساطير على جانب روحي كبير، تطور إلى عقيدة أثرت في طريقة معيشتهم وفي أسلوب استعدادهم لاستقبال الحياة الأخرى وفي عنايتهم بدفن موتاهم والحفاظ على أجسادهم حتى لا تفنى فيحل بهم الموت**

(30) * **أوزيريس وإيزيس:** ظهر في الوثائق المكتوبة منذ النصف الثاني للأسرة الخامسة، اسمه "أوزير"، وقد اشتق منه الاغريق اسمه الذي اشتهر به وهو "أوزيريس"، معنى اسمه "حدقة العين"، ويحتمل أنه كان ملكاً حقيقياً تم تأليهه بعد وفاته، والأسطورة التي نسجت حوله لم تركز على حياته الدنيوية كملك، وإنما تركزت على موته وبعثه من جديد بعد حادثة مقتله المأساوية التي أصبح بعدها ملكاً على عالم الموتى.
والغريب أنه لا توجد رواية كاملة وشاملة لقصة "أوزيريس" في النصوص الفرعونية، والمصدر الرئيسي لهذه الاسطورة هو ما كتبه المؤرخ الكلاسيكي "بلوتارخ" الذي جمع كل ما استطاع تجميعه من شذرات متفرقة عنها ووضعه في نص واحد.
أما "إيزيس" فهي "إيزت" بالمصرية القديمة، وتعني "مستقر"، أو "عرش"، ويبدو أن اسمها كان تجسيداً لعرش أوزيريس الملكي، واستطاعت أن تعيد جمع أشلاء زوجها بعد أن قتله "ست" بفعل مهارتها في أعمال السحر. للمزيد: ياروسلاف تشيرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، منشورات دار الشروق، ط1، 1996.

(31) * **خنوم الفخراني:** في الميثولوجيا المصرية القديمة أن الاله خنوم كان يشكل البشر على عجلة الفخراني الخاصة به، فيما كانت زوجته "حكات" بمنحه الحياة، وفي الصورة نلاحظ أنه يشكل كل بشري مع قرينه "الكا" وهو الذي تحدثنا عن في موضوع عقيدة التحنيط. للمزيد: ياروسلاف نشيرني، مرجع سابق.ص60

الإله «خنوم» يُشكل طفلا وقرينه (كا) ، بينما تقوم زوجته الإلهة «حكات» باعطائه الحياة (عنخ).

٦

(32) * **رع:** في الميثولوجيا المصرية أن "رع" هو ابن "نون" المحيط السماوي، قد ظهر أولًا في مدينة "أهناسيا"، وأنه انتصر على أعداءه بمساعدة "سخمت" وهي الهة أنثى على هيئة امرأة برأس لبوة، ثم بدأ في إعادة الخلق من جديد، وأنه حكم الأرض فترة طويلة من الزمن، وعندما أصبح طاعناً في السن طلب من ابنه "شو" أن يرفعه في الهواء. وكان كل ملك مصري يعتبر نفسه ابناً للاله "رع". وعلى الرغم من أن مركزه المنفرد كان قد بدأ في التراجع منذ نهايات الأسرة الخامسة، إلا أنه حافظ على مكانته المحورية في الديانة المصرية إلى نهاية الدولة تماماً وتم دمج العديد من الآلهة المصرية به بعد ذلك. ومن بأهمهم "أمون". للمزيد: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة. ج1، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الاهناسي، منشورات مكتبة الأسرة، ص ص 230– 231.

(33) **الاله شو:** في الميثولوجيا المصرية أنه ولد من فم الإله "أتوم"، معبود "هليوبولس، ويتصف "أتوم" بأنه بصفاته الرئيسية الثلاث، فهو "الموجود بذاته"، وهو "الأزلي القديم"، وهو "الأوحد المنفرد بذاته"، وعلى ذلك فهو سيد جميع الآلهة، ومن هذه السطوة للاله الوالد اكتسب الابن "شو" أهمية كبرى إذ أنه كان يجسد الهواء أو الأثير، ولم يكن الهواء الذي يتنفسه البشر إلا من بعض ظواهره، كما أنه كان "غير المرئي" الذي "لاتحيط به الأبصار"، على أن أعظم أعماله أنه قام بفصل السماء عن الأرض مالئاً الفراغ بينهما بوجوده. للمزيد: ياروسلاف نشيرني، مرجع سابق.ص51.

الإله « شو » يفصل السماء الإلهة « نوت » عن الأرض الإله « جب »

الثاني الذي كانوا يخشونه ويتجنبون حدوثه[34]. إن المصريين كانوا يعتقدون أن أرواحهم سوف تلتقي في الأبدية بأرواح الموتى، فكانوا يخاطبون الميت إن: ((اذهب إلى أبيك في السماء، واحكم معه على عرش أوزيريس إله الموتى))، ومن هذه الفكرة في خلود الروح نشأت فكرة التحنيط، وهي محاولة لبقاء الشخصية وأن يُخلق من جسد الميت أوزيريس آخر، فقد كانوا يعتقدون أن كل أرواح الموتى هي خالدة في عرش أوزيريس. وكان الجسم الانساني في معتقدهم يتكون من الهيكل المادي القابل للفناء (الجسد)، ومن عنصريين روحيين هما «الكا» و «البا»، و«الكا» هي ذلك الجزء الأثيري من الجسم وهي شديدة الشبه به وقد تلازم الجسم في المقبرة، لكنها رغم شبهها التام به أثيرة شفافة، ومن هنا تقدمت صناعة التحنيط تقدماً كبيراً حتى يحتفظ الجسم بشكله الأصلي عندما تلازمه الكا، وفي مناظر ولادة الملكة حتشبسوت في معبد الدير البحري نرى صورتين طبق الأصل، إحداهما الطفلة الملكية والأخرى هي الكا، وكذلك في ولادة الملك «أمنحوتب الثالث» يظهر الاله «حكاو» وهو يحمله مع قرينه ليقدمهما إلى الاله حورس الذي يقدمهما بدوره ’إلى الاله «آمون رع»

الإله « حكاو » يحمل الملك « امنحوتب الثالث » وقرينه عند ولادته وخلفه الإله « حابى » ممسكا برموز الحياة ، بعد ذلك يقدمهما الإله « حورس » إلى الإله « آمون رع »

الجسد وقرينه. المصدر: ياروسلاف تشيرني. مرجع سابق، ص68

وكانوا يصنعون تماثيل خاصة للكا يحفظونها في سراديب شبه مقفلة إلا من فتحة صغيرة يرفع من خلالها البخور، وتخرج منها الكا إذا ما فني الجسد، ولم تكن الكا خاصة بالانسان فقط، بل كانت لبقية الكائنات الكا الخاصة بها، أما «البا» فو ذلك الجزء الحي الذي يترك الجسد عند الوفاة محلقاً إلى السماء حيث الآلهة، لكنه لا يمكث طويلاً هناك إذ يشده الحنين إلى الجسد الأول المحفوظ في المقبرة فينزل إليه، لذلك جعلوا في المقابر كوة صغيرة تنفذ من خلاله، وكانوا يرمزون لها في نقوشهم بطائر له رأس انسان، يمسك في يده بمفتاح الحياة، وكانوا يرمزون له أحياناً بطائر هابط من السماء إلى كوة المقبرة أو يرمزون له بطائر وقد حط مسدل الجناحين فوق المومياء، ومما يفسر تلك العناية المفرطة بسلامة الجسد (بالاضافة إلى هدف تعرف «البا» على جسد الميت) أنهم كانوا يعتقدون أن الانسان بعد الوفاة قد أصبح مثل الاله أوزيريس، ويجب أن يهتم أهله بجسده مثلما اهتمت أيزيس بجسد أوزيريس، وكانوا

(34) صابر جبرة، مرجع سابق، ص8.

يهتمون جداً بالتحنيط وبقاء الشخصية الأوزيرية، وقد جاء في نصوص الأهرام في إحدى المقطوعات التي يتلوها الكاهن المختص بالملك بعد وفاته ما نصه: ((يا أوناس، لم تذهب إلى السماء ميتاً، وإنما ذهبت إليها حياً، لتجلس على عرش أوزيريس وصولجانك في يدك)).[35]

## الخاتمة:

كان يمكن أن نستطرد أكثر في موضوع التحنيط، وأن نطرح المزيد من علامات الاستفهام حول وجود التحنيط في دول أخرى وثقافات أخرى كاليمن والصين واليابان ومومياوات تينيريفي في اسبانيا (المعروفة باسم مومياوات جوانش)[36]، وكذلك مومياوات صقلية، وغيرها الكثير، وكان يمكن أيضاً أن نتعرض إلى مومياء أكاكوس مع ما تحمله من علامات استفهام كبيرة، لكننا لم نرد أن نبتعد عن صلب الموضوع المتعلق بمومياء الجغبوب، ولم نشأ أن نصرف النظر عن موضوع كبير ومهم، هو أن المصداقية في تناول الحدث التاريخي يجب أن لا تتأثر إلا بالشواهد التاريخية نفسها، لكي تحافظ على قيمتها وصدقها وموضوعيتها.

كما أن هناك نقطة أخرى بالغة الأهمية تتمثل في هذا الاهمال الكبير الذي نتعامل به مع منطقة غنية بالتراث التاريخي القديم مثل منطقة الجغبوب، وهذا التجاهل الذي تلاقيه تقارير مهمة وقيمة مثل التقارير التي أشرنا إليها في هذا البحث، وكان من الممكن أن تصبح هذه التقارير أرضية مناسبة للانطلاق في حفريات جديدة مثابرة للوصول إلى حقائق أكثر وللكشف على المزيد من الوقائع التاريخية المتعلقة بالمنطقة موضوع البحث بدلاً من تكرار الحديث عن الانجاز القديم بالعثور على مومياء الجغبوب في الوقت الذي تزخر فيه المنطقة بالمئات منها حتى الآن.

(35) صابر جبيرة، التحنيط، مرجع سابق، ص 8ـــ9.

(36) **مومياوات جوانش**: عثر عليها في كهف بإحدى جزر الكناري، وهي الأكثر شبهاً في العالم في تحنيطها بالطريقة المصرية حيث تم نزع الأحشاء الداخلية وتجفيف الجسد ثم حشو الفراغين الصدري والبطني بالنباتات. للمزيد:
أحمد صالح، التحنيط. فلسفة الخلود في مصر القديمة، مرجع سابق، ص94

**المصادر والمراجع:**


1. أحمد صالح، التحنيط. فلسفة الخلود في مصر القديمة، منشورات جماعة حور الثقافية، ط1، القاهرة، 2000، ص18.
2. جودتشايلد، دراسات ليبية، منشورات مكتب جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة35، ترجمة عبد الحفيظ الميار، ليبيا،1999.
3. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، منشورات دار المعارف، ط8، القاهرة،1964.
4. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة. ج1، في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الاهناسي، منشورات مكتبة الأسرة.
5. صابر جبرة، التحنيط، منشورات مؤسسة هنداوي، الملكة المتحدة،2017.
6. فيليب فاند نبرغ، لعنة الفراعنة. التفسير العلمي لظاهرة لعنة الفراعنة الغامضة، ترجمة خالد أسعد عيسى. أحمد غسان سبانو، منشورات دار قتيبة للطيع والنشر والتوزيع، ط1، 2004.
7. لجنة تحرير ليبية إيطالية «ليبيا إيطاليا. علم الآثار المشترك، ترجمة سوسن بوغرارة، علي خالد سوداد، ريم الطاهر المغربي، ريم القطيط، ناديا بن عمران، طرابلس،2021.
8. ياروسلاف تشيرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، منشورات دار الشروق، ط1، 1996.


**مواقع من الانترنيت:**


1. https//:tieob.com/archives55030/
2. https://khaledelhaddar.blogspot.com/200905//blog-post.html

# عبادة بني إسرائيل العجل في التوراة والقرآن

إعداد:
**ثريا محمد عمار امساهل**
أستاذ مساعد - قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية بالزاوية / جامعة الزاوية

**الاستلام:** 15.4.2024 **القبول:** 22.6.2024

**المستخلص:**

يقصد هذا البحث إلى إلقاء الضوء على قصة من قصص القرآن الكريم ودراستها، وحكايات التوراة بناءًعلى منهج المقارنة، والقصة التي يتناولها هذا البحث هي: عبادة بني إسرائيل للعجل، من خلال التركيز على الدراسة التحليلية لآيات وردت فيها قصة عبادة بني إسرائيل العجل، التي تظهر التناقضات التي وردت في الكتاب المقدس، حيث نجد التوراة تحوي أموراً تخالف العقيدة والشريعة، فالقرآن يشهد بمصداقية التوراة كونه كتاباً إلهيا قبل تحريفه، حيث نبين مواضع القصة في القرآن والتوراة التي تذكر فيها في موضع واحد، والتناقضات والأخطاء في ثناياها.

فالتوراة المحرفة في سفر الخروج عرضت قصة عبادة بني إسرائيل للعجل محرفة، ولا علاقة لها بالمضامين المتعلقة بالقصة حيث ألقت تبعية صناعة العجل على نبي الله هارون بعد خروج بني إسرائيل من مصر، حيث تركهم موسى-عليه السلام- وذهب إلى ميقات ربه، وغاب أربعين ليلة، حيث ذكرت القصة في التوراة واتفقت مع القرآن في اساسياتها واختلفت في التفاصيل، حيث إن القرآن لا يوافق كل ما ذكر من أحداث في القصص التوراتي وهو إثبات أن التوراة الحالية قد أصاب كثيراً من نصوصها التحريف والتبديل.

ويبين البحث كذلك أوجه التشابه بين القرآن والرواية التوراتية في عرض القصة، ثم نبين وجوه الاختلافات الكثيرة بينهما، ويعرض فيه الآيات القرآنية الخاصة بالقصة ونص التوراة ليظهر الفرق بينهما.

**الكلمات المفتاحية:** القصة، القرآن، التوراة.

**Summary:**

This research aims to shed light on a story from the Holy Qur'an and study it the stories of the Torah based on the comparative approach. The story that this research deals with is: the children of Israel's worship of the calf. by focusing on the analytical study of verses in which the story of the children of Israel's worship of the calf was mentioned. which shows the contradictions. Which were mentioned in the Holy Bible. where we find the Torah containing matters that contradict doctrine and Sharia. The Qur'an bears witness to the credibility of the Torah being a divine book before it was distorted. as we show

the locations of the story in the Qur'an and the Torah in which it is mentioned in one place، and the contradictions and errors within it.

The distorted Torah in the Book of Exodus presented the distorted story of the children of Israel's worship of the calf، and it has nothing to do with the contents related to the story، as it placed the responsibility of making the calf on God's Prophet Aaron after the children of Israel left Egypt، where Moses -u- left them and went to the appointed time of his Lord، and was absent for forty nights. The story was mentioned in the Torah and agreed with the Qur'an in its basics، but differed in the details، as the Qur'an does not agree with all the events mentioned in the biblical stories، which is proof that the current Torah has subjected many of its texts to distortion and alteration.

The research also shows the similarities between the Qur'an and the biblical narrative in presenting the story، then we show the many differences between them، and it presents the Qur'anic verses related to the story and the text of the Torah to show the difference between them.

**Keywords:** story، Quran، Torah.

**توطئة:**

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والحمد لله الذي هدانا إلى دينه القويم، وبين لنا شرائعه وأحكامه في كتابه الكريم، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين.

يذكر لنا القرآن الكريم حقائق عن قصة موسى-عليه السلام- مع بني إسرائيل في أكثر من موضع، فهي أكثر القصص تكراراً بجميع حوادثها، كقصته مع بقرة بني إسرائيل، وموسى-عليه السلام- والخضر، وموسى-عليه السلام- والعصا، وقصة عبادتهم العجل- موضوع البحث- مبينا هذه القصة وما فيها من عبر ومواعظ، خاصة ما تميز به بنو إسرائيل من التعنت والتمرد على أوامر الله تعالى ووصاياه، بعد أن منّ الله سبحانه عليهم بالنجاة من فرعون وجنده، ثم تحدث عن بني إسرائيل وحبهم لعبادة الأوثان والأصنام، وطلبهم من موسى رؤية الله جهرة ، وعبادتهم العجل الذي صنعه السامري من حلي نسائهم، فهو يذكر بعد مرور ما يقرب من ألفي عام قصة عبادتهم العجل، فجاءت الدراسة لمعالجة عنت بني إسرائيل، وافتتانهم بالعجل، وعقوبة الله تعالى لهم على ذلك، ولأن فتنة بني إسرائيل كانت بعد ما نجاهم الله من بطش فرعون، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾البقرة، آية (92).

وجاءت القصة كاملة في سورة طه، بتبرئة هارون من التهم الباطلة التي نسبت إليه، ويخبرنا الله تعالى أن من صنع العجل هو السامري، مما يؤكد لنا أن التوراة قد حُرفت، ويوضح لنا وجود كثير من الاختلافات في رواية القصة.

وقد بين لنا في موضع آخر جزاءهم بعبادتهم العجل في قوله تعالى:﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾البقرة، الآيات (54:51).

وجاءت الدراسة لإبراز دور القرآن الكريم في عنايته ودفاعه عن الرسل- عليهم السلام- كما توضح زيف اليهود وبطلانهم على مر العصور، وتاريخهم وإنكارهم الحقائق، وإظهار الطعون في كتبهم المحرفة التي تريد بث سمومها في هذا الدين الحنيف.

**الهدف من الدراسة:**

تقصد هذه الدراسة إلى توضيح حقيقة مهمة مفادها: أن التوراة الحالية محرفة، وتوضيح قصة العجل الواردة في القرآن، وما جاءت به التوراة، ومقارنة قصصه المتعلقة ببني إسرائيل مع مثيلاتها المذكورة في التوراة الحالية، حيث إن القرآن الكريم لا يوافق على كل ما ذكر من أحداث في القصص التوراتي؛ بل يقوم بتصحيح كثير من الأخطاء الواردة

فيها، وإثبات أن التوراة الحالية قد أصاب كثيراً من نصوصها التحريف بقصد أو بغير قصد، والدليل على ذلك أن الحقيقة التي أوردها القرآن لبعض الأحداث لا يمكن أن ينكرها إنسان، بينما تجعله نصوص التوراة في حيرة من أمره؛ لما فيها من تناقضات واختلافات.

**إشكالية الدراسة:**

يطرح هذا الموضوع إشكالية رئيسة تتعلق بورود قصة عبادة العجل في الكتاب المقدس، (العهد القديم)، وفي القرآن الكريم، ولكن يوجد اختلاف كما يوجد اتفاق في الكيفية والكمية السردية.

فمن خلال تتبع قصة بني إسرائيل وعبادة العجل والمقارنة بين أحداث الكتابين، تظهر بعض التساؤلات:

- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟
- كيف تم الكشف عن الدسائس والأكاذيب التي لحقت بقصة موسى-عليه السلام- مع قومه بعبادتهم العجل؟
- كيف نقارن معلومات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بغيرها مما ورد بالتوراة المحرفة والحكم عليها؟

وأما **خطته**، فهي: مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، المقدمة: في أهداف البحث ومنهجه وخطته، والتمهيد في تعريف التوراة، والمبحث الأول: في عبادة بني إسرائيل العجل في التوراة، وكان المبحث الثاني: في عبادة بني إسرائيل العجل في القرآن، والمبحث الثالث: أوجه اتفاق واختلاف القصة في التوراة والقرآن، وأما الخاتمة: فهي مخصصة للخلاصة والنتائج.

## تمهيد: في تعريف التوراة.

يحدث خلط بين التوراة التي أُنزلت على موسى-عليه السلام- وبين ما يسمى العهد القديم، حيث إن العهد القديم (تناخ Tenakh ) عبارة عن: مجموعة من الأسفار، جمعها اليهود عقب العودة من السبي البابلي.

ويطلق اسم **التوراة** أساساً على: الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وهي:

التكوين، والخروج، واللاويين والعدد، والتثنية، وكلمة التوراة تعني: الشريعة المكتوبة، وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله تجوُّزاً، وينقسم العهد القديم تقسيمات عدة، فاتباع مملكة اليهود يعترفون بثلاثة وعشرين سفراً، والسامريون يعترفون بالأسفار الخمسة الأولى فقط وبسفري يشوع والقضاة، والنصارى البروتستانت يعترفون بتسعة وثلاثين سفراً، أما الكاثوليك فيعترفون بستة وأربعين سفراً[1].

ويطلق لفظ التوراة: على الشريعة المكتوبة، كما يُطلق لفظ التلمود: على الشريعة الشفهية. وأما لفظ العهد القديم: فيضمن على مجموعة الأسفار التي كتبت قبل عهد المسيح-عليه السلام- التي تضم الأسفار التي جاء بها موسى-عليه السلام- وأنبياء بني إسرائيل وسميت كذلك -العهد القديم- للتمييز بينها وبين العهد الجديد (الإنجيل والرسائل)[2].

وقال الطاهر ابن عاشور:» هو اسمٌ عبرانيٌّ أصله (طورا) بمعنى الهدى، والظّاهر أنّه اسمٌ للألواح الّتي فيها الكلمات العشر الّتي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطّور؛ لأنّها أصل الشّريعة الّتي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى، واليهود يقولون (سفر طورا) فلمّا دخل هذا الاسم إلى العربيّة أدخلوا عليه لام التّعريف الّتي تدخل على الأوصاف والنّكرات لتصير أعلامًا بالغلبة: مثل العقبة»[3].

ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين معنى الميثاق الذي قطعه الرب مع بني إسرائيل على يد المسيح، أي: أنه

ميثاقٌ أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه فأولهما يمثل ميثاقا قديماً من عهد موسى-عليه السلام-، والآخر يمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى-عليه السلام-[4].

كما يطلق لفظ (الناموس) على أسفار العهد القديم، وأحياناً يقتصر اللفظ على أسفار الشريعة الخمسة التي يقولون: إن موسى-عليه السلام- كتبها، وقد ورد في إنجيل يوحنا:» أجابهم يسوع: أليس العهد الجديد مكتوباً في ناموسكم» وورد عن المسيح أنه قال: إني لم آت لأبدل الناموس. وكلمة ناموس المقصود بها: القانون أو الشريعة وهي تقابل كلمة توراة العبرية[5].

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام:

اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفرًا أطلق عليها اسم (العهد القديم)، ويعتبرونها أسفارًا مقدسة، أي: موصى بها، ويطلقون على خمسة منها إطلاقًا حقيقيًا اسم التوراة، أو كتب موسى؛ لأنها في زعمهم قد أنزلها الله على موسى عليه السلام وكتبها موسى بنفسه، وهذه الأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

**أما سفر التكوين:** فيقص تاريخ العالم، من تكوين السماوات والأرض- ومن ثم سمي سفر التكوين- إلى استقرار أولاد يعقوب في أرض مصر، مع تفصيل في قصة آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام- أحد أبناء نوح-عليه السلام- وهو الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل-، وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، وإجمال فيما عدا ذلك.

(1) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم"دراسة مقارنة"، (دار القلم، دمشق، ط1، 1990م)، ص 12.
(2) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، (دار القلم، دمشق، ط1410،1). ص111.
(3) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس،1984م)، 148/3.
(4) اليهودية واليهود، علي الوافي، (ط2004،4، مكتبة النهظة المصرية، مصر). ص 10.
(5) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم لمحمد البار، ص 111.

**أمّا سفر الخروج:** فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى-عليه السلام- ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل - ومن ثم سمي سفر الخروج- وتاريخهم في أثناء مرحلة التيه التي قضوها في صحراء سينا، واستغرقت أربعين عاماً كما حكاها لنا القرآن:﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾المائدة، آية (26)، وبجانب هذا يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات.

**أمّا سفر التثنية:** فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات.. الخ- وسمي التثنية؛ لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى-عليه السلام- من ربه وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

**أمّا سفر اللاويين:** فقد شغل معظمه بشؤون العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، واللاويين هم نسل لاوى أحد أبناء يعقوب ومنهم موسى وهارون-عليهما السلام- وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

**أمّا سفر العدد:** فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثيراً ما يمكن إحصاؤه من شئوونهم- ومن ثم سمي سفر العدد- وكذلك شغل بأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات[6].

## المبحث الأول: عبادة بني إسرائيل العجل في التوراة.

ذكرت قصة عبادة عجل بني إسرائيل في التوراة مرة واحدة كغيرها من القصص، وذلك في سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثتين من العدد(11 : 29)، تبدأ القصة بعد خروج بني إسرائيل من مصر، حيث تركهم موسى وذهب إلى ميقات ربه فوق جبل الطور، وغاب عنهم أربعين ليلة، حدث فيها ما لم يكن في الحسبان حيث عبد قومه عجلاً صنعه لهم رجل ضال اسمه السامري.

وفيما يلي نص التوراة المتعلق بهذه القصة:» العجل الذهبي:» وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي

(6) اليهودية، أحمد شلبي، (مكتبة النهظة المصرية، القاهرة، ط5، 1978،)، ص238، 239.

لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا»[7].

وتتابع التوراة باقي القصة بصلاة موسى:» فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِه، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُم بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ»[8]. موسى يكسر لوحي الوصايا:» فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ:«مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» فَقَالَ هَارُونُ: «لاَ يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ. فَقَالُوا لِي: اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،

لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ». وَلَمَّا رَأَى مُوسَى الشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرًّى لأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ، وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. وَقَالَ مُوسَى: «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً»[9].

## المبحث الثاني: عبادة بني إسرائيل العجل في القرآن.

تأتي القصة في القرآن في سياق سور متعددة، فقد ذُكر عجل بني إسرائيل في القرآن الكريم ثماني مرات، حيث جاءت موزعة بين عدد من السور منها أربع مرات في سورة البقرة في الآيات (51، 54، 92، 93)، ومرة واحدة في سورة النساء (الآية 153)، ومرتان في الأعراف في (الآيتين 148، 152)، ومرة في طه (الآية 88).

قال تعالى:﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا

(7) الكتاب المقدس، تصدره دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم (الاصدار الثاني، ط4، 1995م، العهد الجديد الاصدار الرابع 1993م، ط3،" جمعية الكتاب المقدس في لبنان)، الأصحاح الثاني والثلاثون (الفقرة 1: 10)، ص 109، 110.

(8) الأصحاح الثاني والثلاثون (الفقرة 11: 14)، ص 110.

(9) الأصحاح الثاني والثلاثون (الفقرة 15: 29)، ص 110، 111.

أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾البقرة، الآيات (51،54).

وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾البقرة، الآيات (92، 93).

وقال تعالى:﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾النساء، الآية (153).

وقال تعالى:﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاَ أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا

آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ

مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ﴾الأعراف، الآيات (141، 155).

وقال تعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ

يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُوْلاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾طه، الآيات (80- 97).

## المبحث الثالث: أوجه اتفاق واختلاف القصة في التّوراة والقرآن.

أثناء دراسة قصة بني أسرائيل وعبادة العجل كما ذكرها القرآن، وكما بينتها التوراة في نصوصها نلاحظ اتفاقاً كبيراً في الشخصيات التي ذكرها القرآن وذكرتها التوراة مع اختلاف في بعض الأدوار.

والواقع ما قصه علينا القرآن الكريم من عبادة بني إسرائيل للعجل هو حقيقة وجود اختلافات جوهرية في القصة القرآنية والقصة في سفر التكوين بالرغم من وجود تشابهات بينهما لكنها ليست جوهرية.

ومن هنا لابد من بيان بعض الاختلافات في قصص التوراة منها: أن هارون-عليه السلام- هو من صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل وهو الذي أمرهم بعبادته، حيث جاء فيها:» اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُم اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». وجاء في القرآن في سورة طه في ثلاثة مواضع، وإن هارون أراد منعهم من ذلك﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾، كما بينت التوراة أن الذهب كان من أقراط نساء بني إسرائيل وبناتهم وأبنائهم» انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَائْتُونِي بِهَا» والقرآن بين لنا أنه من الذهب الذي أخذه بنو إسرائيل من المصريين ليلة خروجهم من مصر، وهذا يبين تعصب بني إسرائيل للأوثان أكثر من محبتهم للذهب.

وكما هو واضح من هذا النص التوراتي أن بني إسرائيل طلبوا من هارون-عليه السلام- أن يصنع لهم آلهة وليس فقط إلها واحدا وذلك لكي تدبر لهم أمورهم كما كان يفعل لهم إله موسى-عليه السلام- من قبل؛ وذلك بعد أن ظنوا أن موسى-عليه السلام- لن يعود إليهم، يقول فضل حسن عباس:» وتتحدث الآيات مُفَصلة في شأن العجل الذي كان الحديث عنه مجملاً في سورة الأعراف﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ فصنع لهم من هذه الزينة عجلاً جسداً له خوار فقالوا حينما رأوه كذلك: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾، وفي هذا دلالة على تخلخل العقيدة في نفوسهم، وانعدام نورها، فكيف يصح في عقل عاقل أن يجعل العجل إلها لهم ولموسى كذلك، وأن يبادروا فيصفوا موسى-عليه السلام- بالنسيان، والقرآن يصور ذلك بلمحات سريعة خاطفة معبرة»[10].

(10) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، فضل حسن عباس (دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1407ه، 1987م)، ص 289، 290.

فعندما صعد موسى-عليه السلام- لميقات ربه أربعين يوماً وتأخر في النزول من الجبل، صنع قومه لأنفسهم من حليهم الذهبية صورة للإله على هيئة عجل وتعبدوا له، ويبدوا أنه كان مجوفاً، فإذا عبرته الريح صدر عنه ما يشبه الخوار، يقول عمر الأشقر:» لقد حدد لنا ربنا الوقت الذي اتخذ فيه بني إسرائيل العجل، وكان ذلك بعد ذهاب موسى-عليه السلام- لمقابلة ربه، ومكث هناك أربعين ليلة... وأخبرنا ربنا تبارك وتعالى أنهم صنعوا العجل من حليهم فكان يخرج منه صوت خوار، وقد بين الله أن هذا العجل الجسد لا يصلح لأن يكون إلهاً، فهو لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً»[11].

وأشارت آيات القرآن إلى أنّهم اتّخذوا ﴿عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾الأعراف: 148 وطه: 88، لكنّه لا يكلّمهم ولا يُرجع إليهم قولاً، قال تعالى:﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾طه، الآية84 ،90. وهذا ما لم يرد في التوراة.

ويصف لنا القرآن ما انحرف فيه بنو إسرائيل في سورة الأعراف بقوله تعالى:﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأعراف، الآية148، حيث تبين الآيات:» سخافة عقول عبدة العجل، ووبخهم على أنهم يعبدون ما لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، وأوضح هذا في سورة (طه) بقوله تعالى:﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً﴾»[12].

وفي سورة طه ترد قصة العجل مرة أخرى، ولكن مع إدخال السامري الذي لا يذكر لنا القرآن أي تفاصيل عنه، غير أنه هو الذي صنع العجل، وتنتهي القصة بإحراق العجل، وطحنه ونثر رماده وفتاته على الماء.

فبنو إسرائيل كما طلبوا من موسى-عليه السلام- رؤية الله جهرة طلبوا منه أن يكون لهم آلهة فقد طلبوا منه بعد نجاتهم من فرعون، وبعد أن رأوا المعجزات الباهرة التي أجراها الله سبحانه وتعالى لهم أن يصنع لهم إلهة كتلك التي كان يعبدها بعض أهل القرى التي مروا بها بعد خروجهم من مصر، قال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾الأعراف، الآية 138.

وفي هذا السياق يقول الطبري:» وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها، والعبر التي عاينوها على يدي نبيّ الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبينات! حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكُرَ معها البهائم، إذ مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول: يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله اجعل لنا» يا موسى «إلهًا»، يقول: مثالاً نعبده وصنماً نتخذُه إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها، ولا تنبغي العبادة لشيءٍ سوى الله الواحد القهار، وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم

(11) قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة، عمر سليمان الأشقر، (عمان، الأردن،2010)، ص 248.

(12) أضوء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ( دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع)، 2/ 391 ، 392.

تجهلون عظمة الله وواجَب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيءٍ سوى الله الذي له ملك السموات والأرض»[13].

وفي ذلك يقول الزمخشري:»وهذا آخر ما اختصّ الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم، ثم أتبعه اقتصاص نبأ بنى إسرائيل وما أحدثوه- بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر- من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة»[14].

فمن أوجه الاتفاق بين القرآن والتوراة في قصة العجل أمر موسى الشعب أن يرفعوا مشكلاتهم إلى هارون، إلى جانب قول الرب لموسى أذهب أنزل؛ لأنه قد فسد شعبك الذي اصعدته من مصر وزاغ سريعاً عن الطريق، جاء موافق لقوله تعالى:﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾طه، 85.

وكذلك رؤية موسى وهم يعبدون العجل ويرقصون أمامه فغضب غضباً شديداً». وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا، وهذا ما أكده القرآن في قوله تعالى:﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾الأعراف، 150.

ومعاتبة موسى لهارون وهذا ما أكده القرآن:﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾طه، 92، 39.

يقول محمد الطاهر ابن عاشور:» قل لهم إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم كما زعمتم يعني: التوراة فبئسما أمركم به هذا الإيمان إذ فعلتم ما فعلتم من الشنائع من قتل الأنبياء ومن الإشراك بالله في حين قيام التوراة فيكم، فكيف وأنتم اليوم لا تعرفون من الشريعة إلا قليلًا، وخاصة إذا كان هذا الإيمان بزعمهم يصدهم عن الإيمان بمحمد-ﷺ- «[15].

وقال أيضاً:» وإنَّما جعل هذا مما أمرهم به إيمانُهم مَعَ أنهم لَمْ يدعوا ذلك لأنهم لما فعلوه وهم يزعمون أنهم متصلبون في التمَسك بما أنزل إليهم حتى أنهم لا يخالفونه ...ولا يستمعون لكتاب جاء من بعده، فلا شك أن لسان حالهم ينادي بأنهم لا يفعلون فعلاً إلا وهو مأذون فيه من كتابهم، هذا وجه الملازمة، وأما كون هذه الأفعال مذمومة شنيعة فذلك معلوم بالبداهة فأنتج ذلك أنَّ إيمانهم بالتوراة يأمرهم بارتكاب الفظائع، وهذا ظاهر الكلام والمقصود منه القدْح في دعواهم الإيمان بالتوراة وإبطال ذلك بطريق يستنزل طائرهم ويرمي بهم في مهواة الاستسلام للحجة فأظهر إيمانَهم المقطوع بعدمه في مظهَر الممكن المفروض ليتوصل من ذلك إلى تبكيتهم وإفحامهم»[16].

(13) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بشار عوا معروف، عصام فارس (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1415 ه/ 1994م)،492/3.

(14) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418ه، 1998م) 498/2، 499.

(15) التحرير والتنوير، 612/1.

(16) م. ن، 612/1.

ويقول محمد الحاج: إن القوم الذين خرجوا مع سبدنا موسى-عليه السلام- لم يكونوا مؤمنين به كلهم:» ذلك لأنهم طلبوا منه أن يصنع مثل آلهة الشعوب التي مروا عليها في طريقهم ويذكر لنا القرآن الكريم أنهم عبدوا عجلاً من ذهب وحلي صنعه لهم السامري عندما ذهب موسى-عليه السلام- ليتم ميقات ربه، وتذكر التوراة الحالية رغم ما فيها من تزوير وتبديل وتحريف هذه الواقعة»[17].

كما أن التوراة تتهم نبياً من أنبياء الله وهو هارون-عليه السلام - بأنه وافق على الفور دون تردد على طلب كفار بني إسرائيل! وقام بصنع عجل من ذهب من حلي نسائهم وقاموا كذلك ببناء مذبح لهذا العجل وأمر اليهود بعبادته وتقديم الذبائح إليه وبالطبع لا بد أن يكون هارون-عليه السلام- ويقول البقاعي:» ولما دل على كذبهم في دعوى الإيمان بما فعلوا بعد موسى مما استحقوا به الخلود في النار أقام دليلاً آخر أقوى من كل ما تقدمَه، فإنَه لم يعهد إليهم في التوراة ما عهد إليهم في التوْحيد والبعد عن الإشراك وهو في النسَخ الموجودة بين أظهرهم الآن، وقد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في أيام موسى وبحضرة هارون -عليهما السلام- كما هو منصوص الآن فيما بين أيديهم منها»[18].

يقول الطاهر ابن عاشور:» ووقعت في كتاب الخروج من التوراة في الاصحاح الثاني والثلاثين زلة كبرى، إذ زعموا أن هارون صنع العجل لما قالوا: «قُم اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّا هذا موسى الرجل الذي أَصْعَدَنَا منْ أَرْض مصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ» وأحسب أن هذا من آثار تلاشي التوراة الأصلية بعد الأسر البابلي، وأن الذي أعاد كتابتها لم يحسن تحرير هذه القصة، ومما نقطع به أن هارون معصوم من ذلك لأنه رسول»[19].

فقد جاءت قصة الأسر البابلي في سفر التثنية الأصحاح 20 و21:» إِذَا خَرَجْتَ للْحَرْب عَلَى عَدُوّكَ وَرَأَيْتَ خَيْلاً وَمَرَاكبَ، قَوْمًا أَكْثَرَ منْكَ، فَلاَ تَخَفْ منْهُمْ، لأَنَّ مَعَكَ الرَّبَّ إِلهَكَ الَّذي أَصْعَدَكَ منْ أَرْض مصْرَ. وَعنْدَمَا تَقْرُبُونَ منَ الْحَرْب يَتَقَدَّمُ الْكَاهنُ وَيُخَاطبُ الشَّعْبَ وَيَقُولُ لَهُمْ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائيلُ: أَنْتُمْ قَرُبْتُمُ الْيَوْمَ منَ الْحَرْب عَلَى أَعْدَائكُمْ. لاَ تَضْعُفْ قُلُوبُكُمْ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعدُوا وَلاَ تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائرٌ مَعَكُمْ لكَيْ يُحَاربَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ ليُخَلِّصَكُمْ. ثُمَّ يُخَاطبُ الْعُرَفَاءُ الشَّعْبَ قَائلينَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذي بَنَى بَيْتًا جَديدًا وَلَمْ يُدَشِّنْهُ؟ ليَذْهَبْ وَيَرْجعْ إِلَى بَيْته لئَلاَّ يَمُوتَ في الْحَرْب فَيُدَشِّنَهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذي غَرَسَ كَرْمًا وَلَمْ يَبْتَكرْهُ؟ ليَذْهَبْ وَيَرْجعْ إِلَى بَيْته لئَلاَّ يَمُوتَ في الْحَرْب فَيَبْتَكرَهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذي خَطَبَ امْرَأَةً وَلَمْ يَأْخُذْهَا؟ ليَذْهَبْ وَيَرْجعْ إِلَى بَيْته لئَلاَّ يَمُوتَ في الْحَرْب فَيَأْخُذَهَا رَجُلٌ آخَرُ. ثُمَّ يَعُودُ الْعُرَفَاءُ يُخَاطبُونَ الشَّعْبَ وَيَقُولُونَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الْخَائفُ وَالضَّعيفُ الْقَلْب؟ ليَذْهَبْ وَيَرْجعْ إِلَى بَيْته لئَلاَّ تَذُوبَ قُلُوبُ إِخْوَته مثْلَ قَلْبه. وَعنْدَ فَرَاغ الْعُرَفَاء منْ مُخَاطَبَة الشَّعْب يُقيمُونَ رُؤَسَاءَ جُنُود عَلَى رَأْس الشَّعْب. حينَ تَقْرُبُ منْ مَدينَة لكَيْ تُحَاربَهَا اسْتَدْعهَا إِلَى الصُّلْح، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْح وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبَ الْمَوْجُود فيهَا يَكُونُ لَكَ للتَّسْخير وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالمْكَ، بَلْ عَملَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدكَ فَاضْربْ جَميعَ ذُكُورهَا بحَدّ السَّيْف»[20].

(17) البحث عن الحقيقة في معتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج (ط1، 1400ه، 1990م)، ص 65.

(18) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة)، 50/2.

(19) التحرير والتنوير، 281/16.

(20) الكتاب المقدس، سفر التثنية الأصحاح 20 و21.

ومن زاوية أخرى يقول ابن عاشور موضحاً التحريف الموجود في التوراة بأن الذي صنعه السامري، بينما يدعي اليهود في التوراة بأن من صنعه هارون لإرضاء بني إسرائيل:» ذكر في سورة طه أن صانع العجل رجل يقال له: السامري، وفي التوراة أن صانعه هارون، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه الواقع في التوراة بعد موسى، ولم يكن هارون صائغاً، ونسب الاتخاذ إلى قوم موسى كلهم على طريقة المجاز العقلي ... ومعنى اتخذوا صورة عجل، وهذا من مجاز الصورة، وهو شائع في الكلام»[21].

ويقول القاسمي يخبرنا الله تعالى عن:» ضلال مَن ضَل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حُلي القبط، الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلاً، جسداً لا روحَ فيه، وقد احتال بإدخال الريح فيه، حتى صار يسمع له خوار، أي صوت كصوت البقر، وإنما أضاف الصوت إليه، لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور»[22].

كما يرى ول ديورانت:» أن اليهود لم يتخلوا قط عن عبادة العجل ...؛ لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وأنهم ظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلهتهم، وإنا لنقرأ في سفر الخروج الاصحاح الثاني والثلاثين كيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي، وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن»[23].

كما نجد أن الآيات القرآنية توضح تعنيف موسى لهارون-عليهما السلام- عندما علم بعبادة بني إسرائيل للعجل:» فذكرت سورة الأعراف عنف موسى-عليه السلام- مع أخيه، وذكرت لنا الجانب العملي، أما سورة طه فلقد ذكرت الجانب القولي﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾، ويجيب هارون معتذراً معللاً عدم اتباعه لأخيه﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾»[24].

تم تأتي تفاصيل بقية النص التوراتي مختلفة تماماً عما ورد في الآيات القرآنية، فقد نصت صراحة التوراة على أنَّ موسى-عليه السلام- لمّا حمي غضبه طرح اللوحين من يديه وكسرهما:» وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ»، وجاء في القرآن: أنّه ألقى الألواح، لكنّها لم تتكسَّر، قال تعالى:﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾الأعراف، الآية 154، قال ابن عطية في تفسيره:» كان سبب إلقائه الألواح غضبه على قومه في عبادتهم العجل وغضبه على أخية في إهمال أمرهم»[25].

فالتوراة بينت أنهما لوحان، في حين ورد في القرآن﴿أَخَذَ الأَلْوَاحَ﴾ فلم يبين عددها كما ورد في التوراة، ولكنه جمع فيها أكثر من لوحين، جاء في كتاب البداية والنهاية: أن موسى لما حمَىَ

(21) التحرير والتنوير، 9/ 109، 110.

(22) تفسير القاسمي، المسمي محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، صحح: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376ه،1957)، 2856/7، 2857.

(23) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة: محمد بدران (بيروت، تونس)،338/2.

(24) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص 290.

(25) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون (مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط2، 1428ه، 2007م)، 52/4.

غضبه طرح اللوحين من يديه وكسرهما وجاء في القرآن أنه ألقى الألواح لكنها لم تكسر:» ولما رجع موسى إليهم ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ومعه الألواح المتضمنة التوراة ألقاها فيقال أنه كسرها، وهكذا هو عند أهل الكتاب، وإن الله أبدله غيرها، وليس في القرآن ما يدل على أنه ألقاها حين عاين ما عاين، وعند أهل الكتاب أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها ألواح متعددة»[26].

وبينت الآيات القرآنية أنه عندما تأخر موسى-عليه السلام- في الرجوع إليهم بعد لقاء ربه على جبل الطور، وكان قد وعدهم بالرجوع إليهم بعد ثلاثين ليلة، ولكن الله قد زاد عليها عشرة فأتمها سبحانه أربعين ليلة، كما جاء ذلك في قوله تعالى:﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾الأعراف، الآية 142.

يقول السعدي في تفسيره:» ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد الله تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها»[27].

ويقول محمد بيومي:» وهنا تتجه التوراة إلى منزلق خطر، حيث يذهب كتبتها في الضلال بعيداً، فيرون في سفر الخروج أن الذي صنع العجل وأغوى بني إسرائيل إنما هو هارون، وليس السامري، حيث اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار في غيبة موسى، ولست أدري كيف نسي كتبة التوراة أن هارون أخو موسى-عليه السلام-، ونبي ورسول من الله مع موسى -عليه السلام-، ونائب وخليفة لموسى-عليه السلام- في غيابه»[28].

ومن أوجه الاتفاق أنّ موسى-عليه السلام-أخذ العجل وأحرقه وطحنه وذرّاه في ماء:» ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ «، وهذا جاء موافقاً للقرآن: أنّه حرّقه ونسفه في اليمّ نسفاً قال تعالى:﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾طه، الآية95.

يقول عبد الوهاب النجار: النص التوراتي يتحدث عن نبي من أنبياء الله واصفاً له أنه من صَنَع العجل حيث:» يقول أهل الكتاب إن الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو أخو موسى حاشاه أن يكفر بعد الإيمان وهو نبي معصوم عن ذلك، ولكن هذا دأبهم مع أنبياء الله ينسبون إليهم النقائص، وما ينزه نفسه أحط الناس قدراً ويلصقون ذلك بهم»[29].

ويقول أيضاً واصفاً التوراة:» ولا يخفى أنها تخالف القرآن في كثير من المضامين، ولم تذكر جواب بني إسرائيل إذا أُمروا بالدخول إلى الأرض التي وعدوا بامتلاكها؟ ولأي شيء بقوا أربعين سنة؟ مع أن هذه الحوادث ابتدأت من الشهر الثالث لخروجهم... والذي يظهر من عبارة سفر

(26) البداية والنهاية، أبي الفداء الحافظ ابن كثير، (مكتبة المعارف، بيروت، 1410ه، 1990م)، 287/1.

(27) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز عقيل، محمد الصالح العثيمين، تح: عبد الرحمن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1423ه، 2002م)، ص302.

(28) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 1404ه،1988م)، 358/2/ 359.

(29) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3)، ص 224.

الخروج: أن ذهاب الشيوخ السبعين كان قبل عبادة العجل، وأما فإنه يذكر أنه ذهب لتلقي الألواح قبل عبادتهم العجل، وذهب مع الشيوخ بعد ذلك وهذا هو المعقول»[30].

حيث يوضح لنا القرآن الكريم: إن صناعة العجل وقعت بعد الميقات الذي طال أربعين ليلة بعد أن وعدهم بالرجوع إليهم بعد ثلاثين ليلة ولكن الله زاد عليها عشراً، قال تعالي:﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

ويقول فراس السواح متحدثاً عن وصفه للسامري:» وفي سورة طه ترد قصة العجل.. ولكن مع إدخال عنصر السامري، وهو رجل غامض لا يعطينا النص أي تفصيلات عنه، كان بين قوم موسى، وهو الذي صنع لهم العجل، وتنتهي القصة بإحراق العجل وطحنه ونثر رماده وفتاته على الماء»[31].

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾المائدة، الآيات 20،26.

يقول عبد الوهاب النجار:» كانت بساطتهم والفهم للوثنية مسهلة لرجل ماكر كان فيهم سماه القرآن(السامري) فجاءهم بعجل له خوار، وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى نسيه موسى هنا وذهب لملاقاته في الغيبة الطويلة»[32]، وأنَّ هارون أراد منعهم من ذلك فلم يستطع، قال تعالى:﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾الأعراف: 150.

وجاء في القرآن قولةُ السامري:﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾طه، الآية، 96.

جاء في المحرر الوجيز لأبن عطية:»أنَّ موسى-عليه السلام- اختار من قومه هذه العدة ليذهب بهم إلى موضع عبادة وابتهال ودعاء ليكون منه ومنهم اعتذار إلى الله عز وجل من خطأ بني إسرائيل في عبادة العجل، وطلب لكمال العَفْو عَمَّنْ بَقيَ منهم... وأنَّ اختيارهم كان بسبب قول بني إسرائيل: إنَّ موسى قتل هارون حين ذهب معه ولم يرجع، فاختار هؤلاء ليذْهَبوا فيكلمهم هارون بأنه مات بأجله، وقوله تعالى:﴿ لِميقاتنا﴾ يؤيد القول الأول وينافر هذا القول، لأنها تقتضي أن ذلك كان عن توقيت من الله عز وجل، وعدة في الوقت والموضع...واختلف العلماء في سبب الرجفَة التي حلّت بهم، فقيل: كانت عقوبة لهم على سكوتهم واغضائهم عن عبادة العجل، وقيل: كانت على عبادتهم العجل بأنفسهم وخفي ذلك عن موسى في وقت الاختيار حتى أعلمه الله، ...وقيل: كانت عقوبة لهم لأنهم لما دنوا وعلموا أن موسى يسمع كلام الله قالوا

(30) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص 226.

(31) القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، فراس السواح( دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 2016م)، ص 91 .

(32) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص 218.

له: «أرنا رَبكَ» فَأَخَذَتْهُمُ الرَجْفَةُ، ... وذلك أن موسى وهارون ذهبا إلى التعبد ...فمات هارون فدفنه موسى وجاء، فقالت بنو إسرائيل: أين هارون؟ فقال: مات، فقالوا: بل أنت قتلته لأنك حسدتنا على حسن خلُقه وعشْرَته، فاختار السبعين ليمضوا معه حتى يروا برهان ما قال لهم، فلما وصلوا قال له موسى: يا هارون أقتلت أم مت؟ فناداه من القبر: بل مت، فأخذت القوم الرجفة»[33].

وذكر الشنقيطي في أضواء البيان موقف نبي الله هارون من عبادة بني إسرائيل للعجل فقال:» إن بني إسرائيل لما فتنهم السامري وأضلهم بعبادة الْعجل، نصحهم نبي الله هارون... وأمرهم هارون باتباعه في توحيد الله تعالى، وأن يطيعوه في ذلك، فصارحوه بالتمرد، والعصيان، والديمومة على الكفر حتى يرجع موسى-عليه السلام- وهذا يدل على أنه بلغ معهم غاية جهده وطاقته، وأنهم استضعفوه، وتمردوا عليه، ولم يطيعوه، وقد أوضح هذا المعنى في قوله:﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فقوله عنهم في خطابهم له:﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾، يدل على استضعافهم له، وتمردهم عليه، المصرح به في سورة الأعراف»[34].

ولا يتوافق ما ذكره التوراة مع ما أثبته القرآن الكريم وهي تأكيده على نبوة هارون-عليه السلام- كما في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ طه، الآيات 25، 36، وقال تعالى:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ من رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِياً﴾ مريم آية 53، وقوله تعالى:﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾المؤمنون 45، وقوله-عز وجل-:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾الفرقان 35، وقوله سبحانه:﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ القصص، الآية 34.

فمن خلال النص التوراتي نلاحظ أن:» كاتبه كان غير مؤمن بسيدنا هارون-عليه السلام- رسولاً من رب العالمين فذكر أنه هو الذي صنع التمثال-حاشا لله والأنبياء من هاته الأباطيل-»[35].

ولقد نصت التوراة في مواضع كثيرة على أن هارون-عليه السلام- كان نبياً من الأنبياء، حيث نجد التوراة يناقض بعضه بعضاً، فقد جاء في الإصحاح السادس من سفر الخروج ما نصه:» هذَانِ هُمَا هَارُونُ وَمُوسَى اللَّذَانِ قَالَ الرَّبُّ لَهُمَا: «أَخْرِجَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»

بِحَسب أَجْنَادِهِمْ. هُمَا اللَّذَانِ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ فِي إِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ. هذَانِ هُمَا مُوسَى وَهَارُونُ»[36].

وجاء في الإصحاح السابع من سفر الخروج ما نصه:» وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا». فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا .فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ

(33) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 56/4، 57.
(34) أضوء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 623/4، 624.
(35) البحث عن الحقيقة في معتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج ص65.
(36) الإصحاح السادس من سفر الخروج (الفقرة 26، 27).

أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِد عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ ثَعَابِينَ. وَلكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» [37].

كذلك نجد بعض المستشرقين منهم سنان كلير تيسدال(Clair،Tisdall)) ينكر قصة العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل:»وذلك لأن القرآن ذكر أن صانعه هو السامري الذي ظن تسدال أنه من السامرة التي لم توجد إلا بعد موسى بأربعمائة سنة» [38].

ولتوضيح المفارقات والمغالطات التي وقع فيها المستشرقون القائلون باقتباس القرآن من العهد القديم والجديد وعن علاقة القصص القرآني بكل من اليهودية والنصرانية، مازال أعداء الإسلام يوجهون للقرآن الكريم سهامهم من خلال الطعن في قصصه حيث إن زعم تسدال:» جهل منه للمقصود الحقيقي بشخص السامري والقصة قد ذكرت في العهد القديم... ومع الخلاف لصانع العجل بين التوراة والقرآن إلا أنها قصة واحدة في المصدرين حيث نصت التوراة المحرفة زوراً وبهتاناً وكذباً أنه هارون حاشاه أن يكفر بالله نبي من أنبيائه» [39].

أما زعمه أن قصة عبادة العجل ليست موجودة في التوراة فهو زعم باطل حيث ذكرت القصة في سفر التكوين، وذكر لنا القرآن القصة كاملة وبرأ نبي الله هارون حيث:» رد الأمر لحقيقته بأن صانعه هو سامري موسى وليس سامري السامرة كما ظن تسدال مما جعله ينكر هذه القصة» [40].

إلى جانب إنكار تيسدال للقصة وعدم ورودها في التوراة على حسب زعمه حيث إن:» هذه القصة مما أخفاه بنو إسرائيل وذلك لأنه يمس شيوخهم ورؤساءهم، أما القرآن فقد وضح ما حصل منهم بأجلى صورة لما رأى وبين أن القوم قد ظلموا أنفسهم واقترفوا إثما كبيرا بعبادة العجل» [41].

وللرد على ما أورده (تيسدال) حول هذه القصة يقول محمد دروزه في دفع شبهة اقتباس القرآن من التوراة:» إن هناك أشياء كثيرة وردت في القرآن من هذه القصص ولم ترد في الأسفار المتداولة، ومنها ما ورد في القرآن والأسفار متغايراً في الجزئيات بل وفي الصور المهمة معاً... وليس في أسفار الخروج والعدد والتثنية التي فيها قصص موسى وفرعون وبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وحياتهم في سيناء ما في القرآن من خبر سحرة فرعون والتقاف الحية لحبالهم وعصيهم وسجودهم وإيمانهم، ومحاورتهم مع فرعون وجنوده حينما خرجوا لمطاردة بني إسرائيل... والقرآن يذكر أن الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو السامري في حين أن هذا السفر يذكر أنه هاورن» [42].

ويقول أيضا:» ونحن نعتقد أن ما ورد في القرآن، ولم يرد في الأسفار المتداولة، أو وردت فيها مبايناً لما ورد في أسفار أخرى كانت متداولة بين أيدي اليهود لم تصل إلينا، وهذه ظاهرة تثبتها

(37) الإصحاح السابع من سفر الخروج (الفقرة 8، 13).

(38) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره " دراسة ونقد"، عمر بن إبراهيم رضوان، بإشراف: مصطفى مسلم، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1992م). 352/1

(39) م. ن،353/1.

(40) م. ن، 356/1.

(41) م. ن،356/1.

(42) القرآن والمبشرون، محمد عزة دروزة، (المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط3، 1399، 1979م)، ص 39، 40.

الأسفار المتداولة التي ورد فيها أسماء أسفار عديدة ليست بين الأسفار المتداولة»[43].

ويقول جولد تسيهر مشككاً في أصل القرآن الكريم وأن مصدره التوراة، مدعياً أن قوله تعالى﴿:وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾البقرة، الآيات (54،51)، معناه، أي: فليقتل بعضكم بعضاً، أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهو مأخوذ من سفر الخروج:» أي: فَقَالَ لَهُمْ فَخِذِهِ وَمروا وَارْجِعُوا مِنْ بَاب إِلَى بَاب فِي الْمَحَلَة، وَاقْتُلُوا كُل وَاحِد أَخَاهُ وَكُل وَاحِد صَاحِبَهُ وَكُل وَاحِد قَرِيبَه» وهو زعم باطل كما هو واضح بين النصين، وقد تأثّر أكثر المستشرقين بما يدعيه «جولدتسيهر»[44]، ويبدو تأثره وأقرانه من المستشرقين في زعمهم بتأثر القرآن بالتوراة ... زاعمين أن هناك اقتباسات كثيرة من أسفار العهد القديم، ولكن لتوافق في بعض المشاهد بين القرآن والتوراة إنما مرده إلى أن مصدر الوحي واحد في الكتابين وهو الله تعالى؛ لا أن القرآن اقتبس من التوراة، ودليل نفي الاقتباس هو الاختلاف بينها في بعض المواضع.

لقد نهج المستشرقون منهجا يقوم على تحوير النصوص والآيات القرآنية وتحريفها تحريفاً مقصوداً وبدلوا كل الجهود الممكنة لإثبات وإبراز النقض والضعف فيه ما أمكنهم إلى ذلك سبيلا.

## الخاتمة:

ظهر من هذا البحث فرقٌ عند المقارنة بين أحداث القصة في القرآن الكريم والقصة في التوراة، حيث إن القرآن ذكر لنا حوادث قصة عبادة بني إسرائيل العجل، في سياق منسجم مع نبوة هارون، وطبائع بني إسرائيل وأن ما ذكرته التوراة مصادم لعصمة النبوة، فمن أبرز مفاصل الاختلاف السردي لقصة عبادة العجل هو: ادعاء التوراة بأن صانع العجل هارون، في حين يسند القرآن إخراج جسد العجل إلى السامري.

كما أن القرآن وهو يتحدث عن أثر عبادة العجل في شعور موسى-عليه السلام- بأن ألقى الألواح بصيغة الجمع بينما التوراة تذكر أنهما لوحان، كذلك إسناد صفة التكسير للألواح في التوراة التي يترتب عنها اعتقاد ضياع جزء منها، بينما لا يتعرض القرآن لوصف التكسير، قال تعالى:﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾الأعراف، الآية 154، دون ذكر وصف التكسير بل بفعل الأخذ مما يدل على سلامتها.

كما أن معاملة موسى لهارون-عليهما السلام- إثر هذه الحادثة مختلف في القرآن عنها في التوراة، حيث ورد في التوراة الحوار بينهما دون تعبير عن غضب موسى-عليه السلام- بالجر والتعنيف لهارون.

وبقيت أوجه اتفاق أخرى في مجمل مشاهد تختلف في بعض تفاصيلها بين التوراة والقرآن، ولكنها تتفق في مجمل مضامينها.

هذا كله يدل على أن القرآن لا يتلقى مع التوارة المحرفة، بل يصحح أغلاطها، أمّا الموافقة بين القرآن وبين التعاليم والحوادث التاريخية المذكورة في الكتب السابقة له فاشارة إلى

(43) م. ن، ص41.

(44) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير (مكتبة الحانجي، مصر، 1955م) ص 10.

مصدرها الواحد وهو الوحي الإلهي؛ لأن تلك الكتب في الأصل موحى بها إلى موسى وغيره من الأنبياء، أما الاختلاف بينها فهو دليل كون القرآن مصححاً لما حرف منها وليس متسقا مع أخبارها المناقضة للتاريخ وسنن الحياة.

## النتائج:

1. أظهرت التوراة اضطراباً في عرض مشاهد من قصة عبادة بني إسرائيل العجل، مع تشابه في سردية القرآن في بعض المواضع.
2. الإساءة المتكررة لما في نصوص التوراة للأنبياء ووصفهم بأوصاف لا تليق بمقام الألوهية والنبوة.
3. إن القرآن في قصصه يركز على مواطن العبرة والعظة، بينما تركز التوراة على السرد القصصي بعيداً عن العبر والعظات.
4. تصور هذه القصة في الكتابين فساد طبائع اليهود، وضعف إيمانهم بربهم الذي أنجاهم من عدوهم.
5. إن تعلق اليهود بعجل مصنوع من الحلي فيه دلالة على شدة جبهم للمال حتى صنعوا منه معبوداً من دون الله.

## المصادر والمراجع:


1) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم»دراسة مقارنة»، (دار القلم، دمشق، ط1، 1990م).

2) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، (دار القلم، دمشق، ط1،1410).

3) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس،1984م).

4) اليهودية واليهود، علي الوافي، (ط4،2004، مكتبة النهظة المصرية، مصر).

5) اليهودية، أحمد شلبي (مكتبة النهظة المصرية، القاهرة، ط5، 1978).

6) الكتاب المقدس، تصدره دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم (الاصدار الثاني، ط4، 1995م، العهد الجديد الاصدار الرابع 1993م، ط3،» جمعية الكتاب المقدس في لبنان)، الأصحاح الثاني والثلاثون (الفقرة 1: 10).

7) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، فضل حسن عباس (دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1407ه، 1987م).

8) قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة، عمر سليمان الأشقر، (عمان، الأردن،2010).

9) أضوء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع).

10) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بشار عوا معروف، عصام فارس (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1415 ه/ 1994م).

11) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418ه، 1998م).

12) البحث عن الحقيقة في معتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج (ط1، 1400ه، 1990م).

13) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة).

14) تفسير القاسمي، المسمي محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، صحح: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376ه،1957).

15) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة: محمد بدران (بيروت، تونس).

16) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون (مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط2، 1428ه، 2007م)

17) البداية والنهاية، أبى الفداء الحافظ ابن كثير، (مكتبة المعارف، بيروت، 1410ه، 1990م).

18) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز عقيل، محمد الصالح العثيمين، تح: عبد الرحمن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1423ه، 2002م).

19) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 1404ه،1988م).

20) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3).

21) القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، فراس السواح (دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 2016م).

22) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره « دراسة ونقد»، عمر بن إبراهيم رضوان، بإشراف: مصطفى مسلم، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1992م).

23) القرآن والمبشرون، محمد عزة دروزة، (المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط3، 1399، 1979م).

24) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير (مكتبة الحانجي، مصر، 1955م).

# الفيلم التسجيلي وإنتاج المعنى
## «دراسة تطبيقية في نماذج مختارة»

إعداد:
د. خالد الكندري
أستاذ مساعد - قسم التلفزيون - المعهد العالي للفنون المسرحية / دولة الكويت

الاستلام: 10.10.2024 16.11.2023

**المستخلص:**

يسعى هذا البحث للوصول إلى كيفية إنتاج المعني في الفيلم التسجيلي ، وذلك عبر التطبيق على نموذجين هما فيلم غفوة للمخرج محمد فودة ، وفيلم من أجل سما للمخرجة السورية وعد الخطيب، وذلك عبر المنهج الوصفي التحليلي، ومن خلال طرح سمات الفيلم التسجيلى وأساليب إنتاج المعنى ثم تحليل الأفلام توصل البحث إلى النتائج التالية : إن السينما التسجيلية تسعى إلى تسجيل الواقع لكنها في كل الأحوال لا تخلو من الرؤية الذاتية للمبدع، وذلك انطلاقًا من صناعة السينما ذاتها، حيث إن إعادة ترتيب الواقع الحقيقي هي عملية إبداع جديدة تغير فيه، ذلك التغيير يكون بحسب الخطاب أو المعنى المراد أن يصل إلى المتلقي، ومن هنا وجدنا أن كل مادة الفيلم التسجيلي مادة حقيقية سجلتها الكاميرا، إلا أن إعادة ترتيبها ينتج المعنى.

كما أن إنتاج المعنى في تلك النوعية من الأفلام اعتمد على مخاطبة الوجدان والمشاعر والأحاسيس أكثر من مخاطبة العقل. فهو يعرض المشكلة الإنسانية كما رأينها في النموذجين وكلاهما عن الطفل ومعاناته دون ذنب، فالأول في غفوة أصيب بسبب الفقر أما في سما، فالحرب هي المأساة، وكأن الحرب والفقر عدوان متشابهان. كما أن الفيلمان استخدما أساليب اللقطات وأنواعها للتأكيد على وجدان المتلقي، وهو ما تؤكده المؤثرات والموسيقى والتعليق.

**Summary:**

This research seeks to find out how meaning is produced in the documentary film, by applying it to two models: the film Ghafwa by director Mohamed Fouda, and the film For Sama by the Syrian director Waad Al-Khatib, through the descriptive and analytical approach, and by presenting the features of the documentary film and the methods of producing meaning and then analyzing Films The research reached the following results:

Documentary cinema seeks to record reality, but in all cases it is not devoid of the creator's personal vision, starting from the cinema industry itself, as rearranging real reality is a new process of creativity that changes it. That change is according to the discourse or meaning that is intended to reach the recipient. Hence, we found that all the material of the documentary film

is real material recorded by the camera, but rearranging it produces meaning.

Moreover, the production of meaning in these types of films relied on addressing the conscience, feelings, and feelings more than addressing the mind. It presents the human problem as we saw it in the two models, both of which are about the child and his suffering through no fault of his own. The first was injured during a nap due to poverty, while in Sama, war is the tragedy, as if war and poverty were similar enemies.

Both films also used shot styles and types to emphasize the recipient›s emotion, which is confirmed by the effects, music, and commentary.

## مقدمة:

### الفيلم التسجيلي:

إن تعريف الفيلم التسجيلي يكون عبر تأكيد صفته التسجيلية، وهي التي تجعله يختلف عن أنواع الأفلام الأخرى، خاصة الفيلم الروائي الذي يعتمد على قصة وسيناريو سابقين.

ويُعرف معجم الفن السينمائي الفيلم التسجيلي **Documentary Film** بأنه: «**نوع من الأفلام غير الروائية، لا يعتمد على القصة والخيال، بل يتخذ مادته من واقع الحياة، سواء كان ذلك بنقل الأحداث مباشرة، كما جرت في الواقع، أو عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع، بشكل قريب من الواقعة، على عكس الجريدة السينمائية، أو الأفلام الإخبارية التي تصور الحوادث الجارية كما وقعت**»[1].

ونرى أن ذلك التعريف يبدأ بطبيعة الفيلم كمحاكاة، وهو ما يذكرنا بالجدل حول مفهوم المحاكاة عند الإغريق سواء أفلاطون أو أرسطو أو غيرهما، فالفيلم يقوم في مادته على الواقع، لكنه في الوقت ذاته ينتمي إلى الفن، والفن اختيار ورؤية للمبدع من منظوره الشخصي، لذلك يؤكد التعريف على أن الواقع هو مادة الفيلم التسجيلي سعيًا لتسجيل وقائع حقيقية، لكن في الوقت ذاته لا ينفي عنه صفته ومميزاته الفنية.

ويسعى جرير سون في كتابه الشهير «السينما التسجيلية» إلى تحديد أكثر حينما يميز الأفلام التسجيلية عن الأخرى بقوله: «**إنها تلك الأفلام التي تصور عناصر طبيعية، وأن هذه العناصر الطبيعية هي أهم ما يميز هذه الأفلام عن غيرها**»[2].

وهي إشارة مبهمة أيضًا، وإن حددت أن الفيلم يصور الواقع. والواقع هو أحد مصادر الفن، لكن من الواضح أن المقصود بذلك هي الأماكن الطبيعية دون الديكورات المصنعة، وذلك حينما حددها بالعناصر الطبيعية. أي الموجودة بالواقع والتي لم يدخل عليها أي تغيير

غير أن ذلك التعريف يزيد الالتباس، بل وينفي وجود أفلام تسجيلية تستخدم أماكن أو عناصر غير طبيعية – وهو ما سنراه فيما بعد – كما أنه يرى في موضع آخر «**أن الفيلم التسجيلي ينتج «حيثما قامت الكاميرا بالتصوير في المناطق الحقيقية (سواء كان ما تصوره مواد خاصة بالجرائد السينمائية أو المجلات السينمائية أو أفلام المعرفة ذات الشكل الدرامي، أو التي تعتمد على الاستطراد، أو الأفلام التعليمية، أو الأفلام العلمية)، فإننا**

(1) مجدي وهبة: معجم الفن السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973 ص 107.

(2) فورست هاري: السينما التسجيلية عند جرير سون، ترجمة: صلاح التهامي، وزارة الارشاد القومى، القاهرة، ب ت، ص111.

**نعتبر هذه المواد جميعًا أفلامًا تسجيلية»**[3].

إذن حسب هذا الرأي يكون أي تسجيل تقوم به الكاميرا للواقع أو الحقيقة هو عملية إنتاج لفيلم تسجيلي، الأمر الذي يبعد شرط الدراما عن الفيلم التسجيلي، حتى إن مجرد تصوير لقطات لعرضها في نشرات الأخبار مثلاً يجعلها فيلمًا تسجيليًا، وهو أمر لا نتفق معه؛ لأن الفيلم حتى وإن كان يعتمد على مادة من الواقع يجب أن يشتمل على شكل من أشكال الدراما؛ حتى يكون هناك تشويقًا يساعد على استمرار المتلقي في المتابعة والمشاهدة، فنجاح الفيلم يعتمد على اعتبارين: «**الأول هو موضوع الفيلم ومدى وضوحه، فالموضوع في الفيلم التسجيلي هو نقطة البداية... والاعتبار الثاني هو طريقة المعالجة والعرض بالنسبة للموضوع**»[4].

إذن هناك معالجة للموضوع وليس مجرد عملية تسجيل للأحداث بشكل متتالي، ذلك التدخل في المادة المسجلة هو ما حدده تعريف معجم الفن السينمائي بعملية إعادة التكوين، وهو ما يُعرف في الفن خاصة في الحبكة الدرامية بالترتيب الهندسي، وليس الترتيب الزمني.

بينما هناك تعريف صدر عن الاتحاد الدولي للسينما التسجيلية عام 1948م وهو: «**كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة، يتم عرضه إما بوسائل التصوير المباشر، أو بإعادة بنائه بصدق وعند الضرورة، وذلك لتحفيز المشاهد إلى عمل شيء، أو لتوسيع مدارك المعرفة والقيم الإنسانية، أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد أو الثقافة أو العلاقات الإنسانية**»[5].

وعلى الرغم من أن هذا التعريف يضع كل ما تصوره الكاميرا في مصاف التسجيل - فإننا نرى أن مجرد التسجيل لا يُعطي للعملية صفة الفيلم إلا بعد أن تتم المعالجة – لكن أهم ما في التعريف هو تحديد وظيفة الفيلم، وهي التحفيز أو التعليم أو الفهم، ذلك ما يؤكده أيضًا معجم الفن السينمائي: «**هذا النوع من الأفلام يعتمد على فكرة رئيسية، وتكون له قيمة اجتماعية وثقافية ذات موضوع، وذات مضمون درامي، ومهمته أن يُقدم المعارف والمعلومات بطريقة مشوقة وفنية**»[6].

ولعل ذلك التعريف يؤكد على التدخل الإبداعي، وهو ما ينفي أن مجرد التسجيل يجعل المادة فلمية صالحة، لكنها في الحقيقة شأنها وشأن المادة المصورة في الأفلام الأخرى بأنواعها كافة، حيث تكون مرحلة المونتاج هي مرحلة إعداد المادة الفيلمية المسجلة والمصورة لعملية العرض، وهي ما ينطبق على الفيلم التسجيلي.

وهناك تعريف آخر يرى أن الفيلم التسجيلي «**نوع من الأفلام غير المرائية لا يعتمد على القصة والخيال، بل يتخذ مادته من واقع الحياة، سواء أكان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع، أم عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع بشكل قريب من الحقيقة الواقعية**»[7].

---

(3) المرجع السابق، ص 111.

(4) محمود سامي عطا الله: الفيلم التسجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام 1995م، ص 15.

(5) المرجع السابق، ص 9.

(6) مجدي وهبة: معجم الفن السينمائي، مرجع سابق، ص 107.

(7) . محمود سامي عطا الله: الفيلم التسجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مرجع سابق، عام 1995م، ص9.

وعلى الرغم من تشابه التعريف مع التعريفات السابقة، إلا أنه يحدد مادة الفيلم ومصدره بالواقع أو الحقائق، لكنه لا ينفي التعديل وهو ما يعني إعادة الترتيب، وبالتالي وجود حبكة تؤدي إلى تشويق ومتعة، فالمعلومات الجافة لن يتقبلها المشاهد.

ولعل ما يؤكد ذلك هو ما نراه في مراحل إنتاج الفيلم التسجيلي.

**مراحل إنتاج الفيلم التسجيلي:**

لا تختلف مراحل إنتاج الفيلم التسجيلي عن إنتاج أي نوع من الأفلام، فهناك مراحل ثلاث هي: «**مرحلة ما قبل الإنتاج – الإنتاج – ما بعد الإنتاج**»[8].

لكن الفيلم التسجيلي يختلف في مرحلة ما قبل الإنتاج بشكل خاص، فبينما الفيلم الروائي يبدأ بوجود سيناريو مُسبق، فإن الفيلم التسجيلي سواء أكان إخباريًا هدفه الإعلام عن شيء، أم كان توجيهيًا هدفه الإقناع بعمل شيء، فهو يتشابه في الغاية مع المحاضرة العلمية أو المقال والنشرة أو الكتاب العلمي، ومن ثم فإن أول خطوة لكتابة الفيلم التسجيلي على الورق هي ترتيب المعلومات التي تجمعت لدينا ترتيبًا منطقيًا يبين الحقائق والأفكار المختلفة. وتلك المرحلة تُحدد الصورة التي ستظهر، فذلك دور السيناريو الذي يأتي في المرحلة التالية، حيث تضاف الرؤية الفنية في عرض الأفكار حتى تبدو أكثر تشويقًا بقدر المستطاع[9].

ذلك ما يجعل مرحلة ما قبل الإنتاج تنقسم على مرحلتين: الأولى عملية التسجيل، وهي عملية إنتاجية بما يعني تعديلاً على مراحل الإنتاج، حيث تكون مرحلة التصوير التي يقوم بها الفيلم الروائي تأتي بعد مرحلة ما قبل الإنتاج، فإن التصوير في الفيلم التسجيلي يتم أولاً ؛ لأن تلك المادة هي التي يتم كتابة السيناريو لها، متخذًا اعتبارات فنية بالإضافة إلى أهداف الفيلم.

وبذلك تكون كتابة السيناريو هي المرحلة الثانية من مراحل الإنتاج.

**شاعرية الفيلم التسجيلي وإنتاج المعنى:**

إن الفيلم التسجيلي يستمد مادته من الواقع، وذلك أمر لا خلاف عليه، لكن ذلك الفيلم يقدم بأسلوب شاعري يحمل الكثير من الفن: «**فالسينما التسجيلية تتخذ مادتها من المدن والشوارع والأزقة والمصانع والأسواق، وهي بذلك تتولى خلق الشعر في ميدان لم يسبق لشاعر أن طرقه من قبل، حيث لا تبدو بسهولة أن الأهداف تتسق مع طبيعة الفن. وهي بذلك لا تحتاج إلى الذوق السليم فحسب، وإنما تحتاج أيضًا للإلهام الفني، أي أنها تحتاج إلى جهد شاق خلاق ينفذ إلى الأعماق كما يصدر عن تأثير عميق**»[10].

ذلك الأسلوب الشاعري هو أسلوب فني: «**فالأفلام الوثائقية تدور حول الحياة الواقعية، لكنها ليست حياة واقعية بل إنها ليست حتى نوافذ على الحياة الواقعية، إنها لوحات للحياة الواقعية تستخدم الواقع كمادة خام لها، ويعدها فنانون وتقنيون يتخذون قرارات لاحقة لها بشأن اختيار القصة ولمن ستروى والهدف منها**»[11].

(8) انظر المرجع السابق ص 12.

(9) محمود سامي عطا الله: الفيلم التسجيلي، مرجع سابق، ص 17.

(10) جرير سون: السينما التسجيلية، مرجع سابق، ص 122.

(11) باتريتشا أوفدرها يدي: الفيلم الوثائقي، ترجمة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، عام 2013م، ص ص 9، 10.

تلك التداخلات تجعل المعالجة تحمل أسلوباً شاعرياً سواء شعر الكلمة أو الموسيقى بإيقاعاتها أو حتى الفنون التشكيلية.

ففناني الفيلم التسجيلي: «**يتوسلواْ إلى أسلوب مكنهم من بناء مشاهد ممتعة، تتألف من مجموعة من اللقطات العادية، وهم يجيدون استخدام الإيقاع المتغير بين السرعة والبطء، كما يلجأون إلى استخدام المؤثرات الخاصة بشكل متكامل**»[12].

فكما يشير **فلاهيرتي** في بداية أعماله مؤكدًا على عملية البناء السيمفوني أي الموسيقي حيث يؤكد اهتمامه: «**بالشكل السيمفوني بتوزيع الحركة وهو ينظر إلى الفيلم باعتباره مجري الحركة المستمرة ولا يرضى بأن ينقسم هذا المجرى، بل لا بد من تداخل كافة الأحداث الفرعية مع المجرى الرئيسي، ويميل الشكل السيمفوني أيضًا إلى تنظيم مجرى الأحداث بما يتلاءم مع الحركات المختلفة، هذه هي الخاصية الأولى للشكل السيمفوني**»[13].

ذلك الشكل الموسيقي هو ما يتضافر مع الأسلوب الشعري خاصة وأن للشعر موسيقاه وخياله واستعارته وتشبيهاته البلاغية، والفيلم التسجيلي عند **فلاهيرتي** يعتمد على ذلك: «**كما في قصائد كارل ساندبرج... يقدم الشاعر موضوعه من خلال عرض أوجه نشاط عديدة متكاملة مع بعضها، ويعتمد ذلك الشكل على المعاني والذكريات التي يثيرها في النفس البشرية، وعلى الأجواء التي تخلقها فصول الحركة المختلفة**»[14].

إذن فالفيلم التسجيلي له موسيقاه وشعره ومعانيه، كما أن عناصر الصورة وتكويناتها الجمالية وزوايا الكاميرا وتركيب اللقطات في المونتاج كلها عناصر جمالية يدخل فيها أيضًا الإيقاع العام، وإيقاع تتابع اللقطات.

كل ذلك يؤدي إلى «**أن المشاهدين يصوغون معنى أي فيلم من خلال الجمع بين المعرفة والاهتمام بالعالم، وبين الشكل الذي يصور به المخرج هذا العالم**»[15].

وبذلك فإن الفيلم الوثائقي أو التسجيلي شأنه شأن أي نوع من أنواع الأفلام الدرامية، يقوم على موضوع هو الرسالة التي يرسلها سعياً إلى معنى عام يريده صانعواْ الفيلم، ثم يأتي دور المتلقي/ المشاهد، وهو الذي يفك شفرات الفيلم حتى لو كان تسجيلاً ليحقق بذلك المعنى للفيلم.

**فيلم «غفوة»:**

هو أحد أفلام مشروع «المائة قصة المصورة»، وهو القصة الثانية من هذه المائة صدر إنتاج **Pluto Frame** إخراج محمد فودة.

وهو فيلم تسجيلي أو وثائقي يعتمد على الواقع من خلال القصة الواقعية والتصوير في أماكن واقعية هي أماكن الأحداث، كذلك لا يستعين بممثلين بل الأشخاص ذاتها هي التي تتواجد في الفيلم، وإن كان تواجدهم عبر عملية السرد/ التعليق، ويستخدم في الفيلم نوعين من السرد الأول هو التعليق، والذي يقوم به الأب. والضوء والظل واللون والإيقاع والتعبير

(12) جرير سون: السينما التسجيلية، مرجع سابق، ص 122.
(13) المرجع السابق، ص 125.
(14) المرجع السابق، ص 125.
(15) باتريشا أوفدرها يدي: الفيلم الوثائقي، مرجع سابق، ص 10.

ومعطيات الصورة المختلفة والثاني هو السرد السينمائي عبر الصورة السينمائية باعتبارها لغة أساسية: حيث» **للصورة لغة يخاطب بها الفنان المتلقى والمشاهد من خلال أبجديتها الخاصة من التكوين**»[16].

حيث يبدأ الفيلم بثلاث شباب يحملون طوب المباني على عربة في موقع للبناء، ثم لقطة أخرى لأحد الأجهزة المستخدمة في خطط مواد البناء. ونلاحظ أن الصورة الأولى هي لقطة عامة تصور الشباب من الخلف حتى تعطي عمق المكان، ويظهر طبيعة المكان في العمق وهو موقع البناء، حيث لم تهتم الصورة بتحديد هوية الشباب، وذلك تأكيدًا على معنى الفيلم في العموم وبعيداً عن التركيز على المشكلة الخاصة.

أما اللقطة الثانية فيستخدم فيها اللقطة الكبيرة جدًا Very Close up shot/، حيث التأكيد والتركيز على الكف واليد التي تشغل الجهاز، ثم يلي ذلك لقطة لآلات متعددة للمصنع، وهي لقطة متوسطة يدخل فيها الشاب الذي يقف بسبب الصوت المزعج. وهنا يدخل شريط الصوت ليلعب دورًا دلاليًا عبر التناقض فبينما نسمع ضجيج الآلات يقف الشاب ليضع يده على أُذنه؛ لتتحول اللقطة إلى لقطة قريبة جدًا ترتكز على كف الشاب؛ لنجد سماعة الأُذن، وهو ما يعني أن الشاب مصاب، ويستخدم سماعات خاصة. لذلك يتداخل شريط الصوت مازجًا ما بين الصوت الطبيعي للآلات وبين الأصوات البشرية التي تُحدث ضجيجًا أيضًا، وبين الموسيقى التي تُعدُّ العنصر الفني الذي يدخل على المشهد، حيث نسمع أصواتًا بعيدة تنادي «يا أحمد» وهو لا يسمعها، ونلاحظ هنا أن المخرج يُقدم المشهد للمتلقي وكأنه من وجهة نظر الشاب؛ لأن الأصوات البشرية التي تنادي عليه غير واضحة، وهو ما ينقل للمتلقي/ المُشاهد طبيعة الشاب، وكأن المخرج أراد أن يضع المُشاهد مكان البطل.

**شريط الصوت:**

بعد أن قدم المخرج مقدمته التي تعرفنا فيها على الشاب محور الحدث عبر اللغة السينمائية، ينتقل إلى توضيح الموضوع عبر اللغة الكلامية، وهي التعليق. حيث يظهر الأب في لقطة قريبة يتحدث عن الابن ويبدو من أول جملة إحساس الندم:

«**الأب: كنت ضحيت بعمري كله ومطلعهوش يتبهدل وراء مني وأنا عارف إن ابني مش حيتكلم ومش هيسمع**»[17].

وبذلك يكون الحوار بداية لعملية التشويق، حيث تصبح هناك أسئلة تدور في ذهن المتلقي عن الشاب وقصته مع الأب، وماذا حدث له؟ خاصة وأن بداية حديث الأب تحمل الحسرة والندم. وهو ما يشير أيضًا إلى أن الفيلم يسرد بطريقة الفلاش باك، أو الاسترجاع. فالأحداث وقعت بالفعل، لكن الفيلم يعيد سردها. وبذلك يكون الفيلم قد أخذ أسلوب الريبورتاج الصحفي، وهي «**مراقبة عمليات وتصورات الواقع من أصلها ومنشئها وتكوينها وتطوراتها بحيث تحمل الكاميرا إلى المشاهدين صورة الحاضر وتخلق قوة تأثير الحضور الناجمة عن المشاركة أما**»[18]. في التلفزيون فيكون الريبورتاج هو» فن هدفه يجعلك ترى وتسمع وتحس بما

(16) - وحيد مخيمر: لغة الصورة، مجلة كاميرا، العدد 3، القاهرة، ديسمبر 2013، ص 16.
(17) الفيلم (غفوة)، 53 ثانية.
(18) عمر زيلن: البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1969ص 112.

رآه وسمعه وأحس به الصحفي نفسه»[19].

لذلك وبعد حديث الأب تتحول اللقطة إلى الشاب؛ لتظهر لقطة عامة للشاب معطيًا الكاميرا ظهره، لكن تبدو في عمق الصورة عدد من محارق الطوب الخاصة بالمصانع؛ ليعود شريط الصوت حيث يصبح ظهور الابن في الكادر بينما نسمع صوت الأب مكملاً حديثه: «**الأب: لكن هي الظروف اللي حطتني فكده.. المعيشة كانت ضيقة عليا، فعلشان كده أنا خدمته معايا على ظهر الفرن وهو برده اللي دفع الثمن. بس دفع الثمن غير مقصود**»[20].

ونلاحظ تقاطع الصورة حيث يلعب المونتاج دوره في إظهار وجهة نظر المخرج والمونتير، حيث الصورة تبدو كادر الشاب بينما نسمع صوت الاب، ثم تنتقل اللقطة إلى الأب ذاته بحضوره في الكادر؛ ليكمل كلامه.

وهكذا فإن تتابع الصور واللقطات وأسلوب تقطيعها تعبر عن معنى، ذلك الذي يشرك الأب في المسئولية فهو سبب إجبار الابن على العمل، وهو غير مؤهل له بسبب إعاقته السمعية والكلامية.

هنا يصبح للمونتاج دلالة واضحة: «لأن الانتقال من لقطة إلى القطة التي تليها يتحدد من خلال الإدراك البصري أو التوتر الذهني»[21]. أي أن عمليه التتابع ترتبط كليا بالمتلقي. ولأسلوب المخرج هو الذي يحدد طريق المتلقي في القراءة ومن ثم التفسير والوصول إلى المعنى.

ومع ذلك ففي الفيلم، فإن وجهة نظر المخرج أعمق من إلقاء المسئولية واللوم على الأب، وهو ما يظهر في استكمال الأب للحديث، فالمسئولية ترجع إلى المجتمع، فالأب دفع إلى ذلك السبيل وهو ليس مخيرًا، لذلك تنتقل اللقطة إلى الأب في لقطة متوسطة وكأنه يجيب على سؤال، لماذا ترك بلده وجاء إلى منطقة المصانع؟ والإجابة تؤكد - على ما ذكرناه من قبل – بأن الفيلم يأخذ من أسلوب المونتاج وسيلة وتقنية، لكنه يخفي السؤال ويقدم الإجابة:

«الأب: علشان مليش مكان أقعد فيه في البلد، أبويا ما سابليش حاجة، ما كانش حيلتي حاجة، أنا وأخواتي قاعدين في بيت واحد، متكركبين فوق بعض، فجيت تشوف أقل عيش هنا ونطلع بقي، حيث قعدت هنا في مصنع الطوب»[22].

وبذلك يظهر بعدًا اجتماعيًا في الموضوع يؤكد على أن الأب لم يكن لديه حرية اختيار. فقد سعى نحو رزقه ونحو تغيير وضعه بالعمل. ذلك ما يعني أن الفيلم اعتمد على صراع هام هو الصراع الاجتماعي صراع الإنسان مع واقعه.

لذلك تصبح لغة الصورة عبر المونتاج هي المعبرة عن ذلك حيث يتقاطع الحديث الذي يظهر فيه الأب مع لقطات العمل داخل المصنع، وهي لقطات تشير إلى دلالات صعوبة الحياة، وأن الأب يصارع الواقع الحالي لمعيشته، وقدر ابنه.

ولذلك يأخذنا الفيلم إلى ماضي الأب، فبعد أن سرد ماضيه في قريته، يعود ليسرد ما بعد نزوحه من قريته.

---

(19) المرجع السابق ص 112.

(20) الفيلم: 20: 1 دقيقة.

(21) ألبير يورجنسون – صوفى برونيه: المونتاج السينمائي، ترجمة مي التلمساني، إصدارات أكاديمية الفنون سينما 5، القاهرة 1996، ص 12.

(22) الفيلم: 23: 1 دقيقة.

«الأب: أول ما اشتغلت كنت باشتغل على حاجه اسمها السكينة.. كنا بنطلع نقطع على الطوب الأخضر. ونغطوه بالطوب الأحمر، ونرجع نليسه ونفرده بالحمر. كنت أنا شغال وأحمد بقى كان وهو صغير محطوط ورا مني في الكارتونة»[23].

وبالطبع يقوم المونتاج والصوت بالدور الأساسي، حيث يصبح الصوت السارد مسموع لكن المرئي هو عملية العمل وتصنيع الطوب وخلق بيئة المكان، حتى نصل إلى لقطة قريبة جدًا تركز على الكرتونة التي ظهرت من قبل أكثر من مرة دون أن نعرف معناها. وها هو شريط الصوت يظهر تفسيرًا لها.

لقد كان الابن طفلاً والأب الذي اضطرته ظروف الحياة قد حمل طفله ووضعه في الكرتونة أثناء العمل، وبالطبع سيكون السؤال عن الأم؟ وسرعان ما يأتي الجواب عبر الصوت السارد:

«**الأب: كنت أنا ووالدته.. إحنا الاثنين بنشتغل الشغلانة دي سواء**»[24].

ولتأكيد الإحساس بالمشكلة الاجتماعية وقسوة المجتمع وقسوة الحياة يستخدم المونتير تتابع صور متتالية عن العمل الشاق والكرتونة. ويتم تأكيد تلك القسوة عبر تداخل حوار السارد مع الصوت الآخر الصادر من المكان، وهو صوت بكاء الطفل، وبذلك تجمع اللقطات ما بين السارد في زمن حاضر وبين بكاء الطفل في زمن ماض، وهو ما تحمله نبرات صوت الأب من حسرة وحزن، الأمر الذي يؤدي إلي التعاطف مع الأبً ومأساته وهو ما يظهره الكادر السينمائي بالصورة المقربة للأب وهي صورة تتميز بأنها تظهر انفعالات وأحاسيس الشخصية

تلك الحسرة والألم التي يظهرها الكادر للأب تتأكد أيضًا بالكلام: «**الأب: لو كنت أعرف مكنتش طلعته على ظهر الفرن**»[25].

ولأن الفيلم اعتمد على أسلوب الريبورتاج، فإن المخرج يستخدم أسلوب اللوحات في التعليق، حيث تظهر لوحة مكتوب عليها أسباب إصابة الطفل أحمد بالصمم، وعدم القدرة على الحديث بشكل سليم، وطبيعي.

«**في عام 2004 وبسبب صوت المحرك الخاص بموقد الطوب، تم تشخيص حالة أحمد بفقدان السمع بالأذن اليسرى وضعف حاد في الأذن اليمنى، مما أدى إلى تأخر قواه العقلية وعدم القدرة على التحدث بالشكل الطبيعي**»[26].

**البناء الفيلمي:**

قام الفيلم على تسجيل لحظات واقعية بأصحابها الحقيقيين دون الاستعانة بممثلين، وقد تم التصوير في الأماكن الحقيقية، ومع ذلك فإن بناء الفيلم وسرده لم يأخذ خطًا متتاليًا؛ لأن أسلوب التتالي كان سيفقد الفيلم عناصر التشويق، فقد عمد المخرج في تخطيط سيناريو للأحداث يجعل هناك تشويقًا لذلك، استخدم تقنيات المزج ما بين الأزمنة وتداخل الأزمنة. حيث ذهب المخرج إلى موقع التصوير قبل بدأ مرحلة التصوير، ثم رسم السيناريو وحدد اللقطات التي يجب أن يركز عليها.

(23) الفيلم: 14 دقيقة.
(24) الفيلم: 55: 1 دقيقة.
(25) الفيلم: 58: 1 دقيقة.
(26) الفيلم: 06: 2 دقيقة.

الفيلم يبدأ من النهاية، فالابن كبير والأب يشعر بالحسرة، وهي نقطة درامية تشبه ما يُعرف بالدراما بنقطة الهجوم «نقطة الهجوم».

فالفيلم قصير ولذلك يجب البدء من نقطة أزمة، حيث تكون البداية قريبة من نقطة النهاية، كما يكون الموضوع مركز على موضوع واحد وشخصيات قليلة، وهو ما ينطبق على الفيلم.

لذلك بدأ الفيلم من أزمته حيث الشاب المصاب بالصمم. ولينتقل الزمن فيما بعد إلى الماضي حيث الشاب كان طفلاً يوضع في الكارتونة، الأمر الذي أدى إلى إصابته بالصمم، وتحوله إلى مأساة، ثم يعود الفيلم إلى الزمن الواقعي الحقيقي الآني. ذلك الزمن الحاضر ينقل المشاهد إلى واقع أحمد بعد معاناته حيث ما زال يسعى للعمل.

ويقدم الفيلم صورة للأب المقهور الذي يشعر بالندم، ولكن يقدم علاقته بالابن في أسلوب رقيق يصل إلى حد الرومانسية، حيث: « **كان مفهوم الرومانسية يضم تحت جناحيه كل ماهو غير واقعي أو مسرفاً في نزعته العاطفية أو الخيالية مبتعداً عن المعقولية الطبيعية**»[27].

فالعاطفة تحكم العلاقة بين الأب والابن، ونلحظ حب الابن له وسعيه إلى التخفيف عن والده – الذي يريد أن يشعره بوجوده وأهميته في الحياة من خلال العمل – لذلك نجد الابن دائمًا يردد له كلمات «أحبك – مش عاوزك تموت؛ لأني سأبكي.. سيبها على الله».

ولتأكيد إرادة أحمد تستمر اللقطات في إظهاره وهو يعمل في مصانع الطوب.

واستكمالاً للريبورتاج يقول الأب:

«**الأب: روحت بيه عند كل الدكاترة.. مفيش.. أكثر من رسم سمع، آه هو بيسمع بودنه اليمين شوية.. لكن الشمال مفيش خالص، طبعًا من كلام الدكتور قال إن ذهنه متأخر**»[28].

غير أن الفيلم يقدم تلك المعلومات عبر حوار في خلفية الصورة؛ لتصبح الصورة هي اللغة الأهم والأساسية، ونلاحظ أن الصورة تتناقض مع الحوار المسموع. فعبر تتالي اللقطات نجد أولاً الشاب ممسكًا بجهاز تليفون محمول يتواصل معه رجالاً في الخلاء وكأنه يأخذ قسط راحة، لكنه يعبر عن حالة الوحدة التي يلجأ إليها، لكنها وحدة وعزلة، لحظية فالشاب يشعر بعزلته.

لكن اللقطات المتتالية تظهره في أوقات العمل وأوقات الراحة والسمر مع الزملاء.

غير أن الذي يشعر بأزمة العزلة هو الأب:«**الأب: أنا شايف أن أحمد بالنسبة للشباب هو اللي بيروح.. هو شايف أن كل الناس أصحابه.. لكن حد ييجي يسأل عليه؟ لا.. دي أكتر حاجة بتوجعني**»[29]. فالأب هو الذي يشعر بمأساة ابنه ويشعر بعزلته وعدم اندماجه في المجتمع.

ويستمر تداخل الأزمنة والأسلوب الرومانسي، حينما نجد الابن يرغب في الخطوبة والزواج عبر بعض اللقطات الصامتة المعبرة بين الأب وابنه وعلاقتهما الرقيقة مع استمرار لقطات

(27) إبراهيم فتحى: مقدمة مارشال براون الرومانسية، موسوعة كامبريدج، ترجمة إبراهيم فتحى، لميش النقاش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016 ص 7.

(28) الفيلم: 26: 3 دقيقة.

(29) الفيلم: 14: 4 دقيقة.

العمل؛ ليتم التداخل بين زمن السرد وزمن الماضي وزمن العمل في الماضي القريب.

وليصبح طلب الأب في النهاية هو معاش لابنه من الدولة، هذا الطلب يؤكد حالة الندم والألم لدى الأب، ولينتهي الفيلم بلقطة عامة يسير فيها الاب مع الابن في مكان تكثر به أعمدة الكهرباء وتتبعها الكاميرا حتى يختفيان، وكأن اللقطة تؤكد على الأمل والرغبة في الحياة.

وبذلك يكون الفيلم قد اعتمد على الواقع، لكنه كما هو معروف في اتجاهات الفيلم التسجيلي أن هناك جانب فني؛ لذلك قام الفيلم ومخرجه وممثلوه بإعادة ترتيب ذلك الواقع للوصول إلى معنى عام، هذا المعنى هو ما تسعى إليه أي عملية فنية.

ذلك ما يؤكده من المخرج نفسه الذي يشرح مراحل إنتاج الفيلم، وهي المراحل المعروفة في السينما المراحل الثلاث: مرحلة ما قبل الإنتاج والإنتاج وما بعد الإنتاج

فمرحلة ما قبل التصوير التقى المخرج بالشاب أحمد ووالده وعرف القصة وقرر تقديمها، ثم استكشف مكان التصوير، ثم القيام بمرحلة تحديد الكادر واللقطات وهي المعروفة **Story Bord** وهي: « طريقة رسم المشاهد وتقطيعها من أجل تسلسلها سواء في أفلام التحريك أو الروائية أو المسلسل.

**فيلم «من أجل سما»:**

يقوم فيلم «من أجل سما» على وثائق حقيقية تم تصويرها أثناء حصار مدينة حلب السورية في الفترة التي شهدت ثورة داخلية أثناء ما سُمي بالربيع العربي، وقد أصبحت المدينة تُضرب بواسطة السلطة الحاكمة والغارات الروسية، والفيلم تصوير وإخراج وعد الخطيب.

«ويتناول الفيلم الوثائقي الذي يكشف أثار الحرب من منظور المرأة بصورة خاصة، قصة وعد الخطيب التي شهدت انتفاضة حلب في سوريا، كما تتحدث ابنتها عن تجربتها خلال تلك المرحلة المؤلمة»[30].

فالفيلم ينتمي إلى ما نسميه سينما الحقيقة، حيث يعتمد في مادته على مشاهد حقيقية كاملة، ولا يوجد به ممثلين، بل اعتمدت صانعته ومبدعته على ما قامت به من تصوير لمدة طويلة أثناء حصار القوات السورية والروسية لحلب.

«سما هي طفلة الفيلم الوثائقي» إلى سما» من إخراج السورية وعد الخطيب والبريطاني إدوارد واتس، تم تتويجه بجائزة أفضل فيلم وثائقي أوروبي من قبل هيئة منح جوائز السينما الأوروبية، ويركز الضوء على وجهة نظر شخصية على الحرب في سوريا ومعاناة السكان المدنيين تحت القصف»[31].

وهنا نتوقف عند طبيعة سينما الحقيقة باعتبارها سينما وثائقية أو تسجيلية تُقدم الواقع، لكن الحقيقة أن اللقطات والمشاهد ومادة الفيلم الصورية كلها فعلاً حقيقية، لكن الفيلم دائمًا يسعى إلى إنتاج المعنى حتى لو كان توثيقيًا حقيقيًا.

إن الأحداث زمنيًا تبدأ قبل ميلاد سما، بل وقبل زواج الأم نفسها، ذلك ما نجده بعد المقدمة الأولى والتي يليها تترات الفيلم حتى تبدأ الأحداث الماضية عبر صورة فوتوغرافية معها تعليق صوتي عن وعد.

(30) مقال: وعد الخطيب في فعالية أسبوع أفلام 15 تموز، إسطنبول، 2022/7/1م.
(31) شيان رياض: الفيلم الوثائقي "إلى سما" حول حرب سوريا، موقع قنطرة.

«وعد: هاي أنا وعد من عشر سنين كان عمري 18 سنة، السنة اللي تركت فيها بيت أهلي لأدرس في جامعة حلب.. أهلي قالوا لي انتبهي على حالك.. دائمًا كانوا يقولوا لي إنني جريئة.. وأحيانًا متهورة.. في حياتي ما فهمت شو قصدهون حتى صار عندي فقط»[32].

ونلاحظ أن الصور الفوتوغرافية تصور مراحل من حياة وعد التي تأخذنا بتعليقها إلى سما التي اعتبرتها محور الأحداث التي ستنتج المعنى، حيث يأخذنا الفيلم إلى لقطات حقيقية للغارات على كافة المواقع الميدانية المنازل والمستشفيات مصورة حالات الذعر التي تنتاب الصغار من أصوات المدافع والنيران. لكن الفيلم كما ذكرت لا يُقدم بنية تصاعدية دون تدخل، فهو يقدم زمنًا متأخرًا على زمن متقدم، الأمر الذي يجعل الترتيب الزمني ليس تصاعديًا، فهو يأخذنا مع سما، ثم يعود بنا إلى الخلف قبل ولادتها. وذلك الأسلوب الذي يمزج ما بين الزمن الفعلي للحدث الجديد وبين تداخل الزمن الماضي، هو أسلوب لاستخدام الفلاش باك؛ لتأكيد اللحظة الحاضرة المتناولة. وهدفها واضح، وهو مخاطبة عواطف المتلقي، وأبعد من ذلك كما ذكرنا، وهو المجتمع العالمي. لذلك تتوالى لقطات عن مأساة الغارات على الشعب الأعزل دون أن يتطرق إلى أساليب المقاومة، وهو ما يجعل الفيلم من وجهة نظر شخصية.

«وعد: النظام السوري وحلفاؤه محاصرين بحلب.. مدينتي.. ما توقعنا نهائيًا أن العالم رايح يخلي ها الشيء يصير.. لسه عم أصور هذا الشيء اللي مخلي معنى لوجودي.. عم يصبرني على كل الكوابيس اللي عم أعيشها»[33].

وبالطبع ومن أجل مزيد من التعاطف واستفزاز المجتمع الدولي يتم تقديم لقطات متتالية داخل المستشفى لأطفال مصابين بإصابات مختلفة، وكذلك مشاهد للهروب من السجون وتحطيمها، ومظاهرات عديدة أنكرها النظام، فكان كما يقول التعليق أن الطريقة الوحيدة هي التصوير بالموبايل.

**الفيلم الوثائقي والروائي:**

وعلى الرغم من أن الفيلم وثائقي يسعى إلى تصوير الحقيقة، لكنه في الوقت ذاته يحمل أسلوب الروائية، وهو ما نراه عبر الخط الدرامي، الإطار الذي سيؤكد على إنتاج المعنى.

فوعد في البداية كانت مراسلة صحفية أثناء الحصار، التقت بالطبيب حمزة الذي يعمل صامدًا لعلاج المصابين والمرضى.. وتتوثق العلاقة ويتزوجن، ثم ينجبان سما طفلتهما.

ومن هنا فإن عملية إعداد الفيلم في شكله النهائي عبر ترتيب أحداثه، واختيار لقطات معينة وأسلوب المونتاج، وكذلك الصوت والتعليق والمؤثرات الصوتية كل ذلك يتضافر مع المادة الحقيقية؛ ليقدمها عبر رؤية شخصية وذاتية لمبدعته؛ ولأن المخرجة لديها هدف ومعنى تريد توصيله إلى المتلقي، الذي يتخطى دور الفرد أو حتى دور الجماعة من الجمهور العادي، إلى المجتمع الدولي وساساته بحثًا عن المساندة من جهة ومعاداة النظام من جهة أخرى؛ لذلك قيل أن الفيلم «ليس لذوي القلوب الضعيفة، فذلك الفيلم الوثائقي مليء بمثل تلك اللحظات غير المريحة التي تحبس الأنفاس»[34].

(32) الفيلم الدقيقة 1.50.
(33) الفيلم الدقيقة 5.50.
(34) المرجع السابق.

تلك المشاهد التي تكثر في الفيلم، هي المشاهد التي اختارتها المصورة والمخرجة من أجل استدرار العاطفة وتصوير المعاناة؛ لتصل إلى هدفها في إنتاج المعنى.

يبدأ الفيلم بلوحة تحدد التاريخ وهو 19 نوفمبر 2019م ثم لقطة مكبرة على وجه طفلة نعرف أنها سما التي يناديها الأب والأم وهي تبتسم. ثم تبدأ الأحداث الدرامية الحقيقية التي تمزج ما بين أساليب الفيلم الوثائقي، وبين الفيلم الروائي.

حيث تبدأ الأحداث عقب عدة لقطات سريعة للطائرات وغارتها على مدينة حلب من خلال مشاهد خارجية، قد تكون مركبة، ثم مشاهد داخلية للبطلة المصورة المخرجة وعد الخطيب في منزلها.

وعندما تتوالى اللقطات ومعها التعليق بصوت وعد الخطيب نكتشف أن الفيلم يأخذ أسلوب الفلاش باك، حيث إنها حياة عادية. «لا يشرح الفيلم الخلفيات السياسية بالتفصيل، بل ينصب تركيزه أكثر على سما التي تمنحه عنوانه، ومع ذلك فإننا نحصل على شعور جيد حول ذلك البلد، وأبناء شعبه وإصرارهم على مواصلة حياتهم وعدم هزيمتهم بسهولة، البؤس والمعاناة في كل مكان، ولكن لا يزال الناس يتزوجون، ولا يزال الأطفال يولدون. ويفرح الناس عندما يرون في وقت ما فاكهة طازجة»[35].

ذلك الأسلوب هو الذي يجمع بين الروائية والوثائقية، حيث حضور السارد وهو وعد الشاهدة على الأحداث والتي تقدمها بنفسها، وفي الوقت نفسه فإنها تدخل عالمها الخاص مع العالم العام؛ لتصبح خطوط الفيلم أكثر درامية، والهدف إنتاج معنى الإصرار على الحياة، لذلك تُقدم المشاهد المتناقضة، فهناك مشاهد الدمار والدم والموت والغارات والمنازل المظلمة أو المتهدمة. وفي الوقت نفسه هناك مشاهد المظاهرات وهي تعبير عن المقاومة المستمرة، بل ومشاهد الحياة مثل (مشاهد الزواج وإقامة حفلة الزفاف في الخارج والداخل في مشاهد خارجية وداخلية» ثم تصوير حفل زفاف وعد على حمزة بلقطات مقربة حميمية يشعر المشاهد وكأنه وسط الحدث، وفيما بعد عندما تصبح وعد حاملاً، وتقول ذلك لأول مرة وهي واقفة أمام المرآة، فإنها تسمح للمشاهد بان يشاركها من جديد في تلك اللحظة الشخصية جدًا»[36].

ذلك الأسلوب يؤكد على المزج ما بين الخط الشخصي الدرامي الذي يمكن أن نعده خطًا روائيًا، وخط الفيلم التسجيلي الذي يُسجل أحداث حصار مدينة حلب.

ويمكن التأكيد على أن أسلوب خطي الفيلم هما طريقة تحقيق المعنى.

**إنتاج المعنى في فيلم سما:**

إن خطي الفيلم التسجيلية والروائية الذاتية يؤديان إلى البُعد كثيرًا عن تفاصيل سياسية، ويبعدان عن المتلقي الأسئلة التي تجعله يفكر في الوجه الآخر للحصار؛ ليظل المتلقي مع الرؤية الذاتية لوعد. لذلك كان التركيز على الرواية الإنسانية ومخاطبة العواطف والمشاعر؛ لذلك كانت سما على الرغم من صغرها هي المحور الأساسي، فهي تمثل المستقبل القادم. وهو ما تدركه صانعة الفيلم «تتعامل وعد الخطيب مع ذلك الوضع بطريقة مباشرة. فهي تصور ابنتها سما وتتساءل إن كانت ابنتها ستغفر لها. وكثيرًا ما تتحدث بصورتين، صوتها هي وصوت

(35) شيان رياض: موقع قنطرة، 2020م، مرجع سابق.
(36) المرجع السابق.

ابنتها سما، وتسأل نفسها: لماذا أنجبتني؟ الحرب مستمرة كل يوم منذ مجيئ إلى العالم»[37].

إن ذلك الصراع النفسي هو الذي تلعب عليه وعد الخطيب من أجل مخاطبة العاطفة لدى المتلقي الذي يتعاطف مع الطفلة البريئة التي وجدت نفسها في غمار حرب ليس لها ذنب فيها، لكن كل ذلك يظل دون الخوض في أسباب وتفاصيل تلك الحرب، وليصبح الفيلم توثيقًا لوقائع تم تصويرها، وعلى الرغم من حقيقتها فإنها تخفي جوانب أخرى لم يتطرق الفيلم إليها.

ولتأكيد مخاطبة الوجدان والمشاعر لدى المتلقي نجد ذلك في أكثر من مشهد منهم عندما «نشاهد طفلين صغيرين يبكيان حزنًا على أخيهما الذي أصيب بقذيفة، يجهشان بالبكاء ويقولان إنهما حذراه للتو من اللعب في الخارج، ثم يودعانه الوداع الأخير، ويقبلان جثمانه، فتدخل أمهما مذعورة أيضًا إلى المستشفى وتصر على إخراج ابنها الميت من المستشفى بنفسها»[38].

وهكذا وعبر استخدام أساليب التقابل والتناقض بين تقديم مشاهد الدراما والموت مقابل مشاهد الزواج والحياة والولادة يتم إنتاج المعنى وتوثيق الأحداث، ولكن بصورة أقرب إلى الروائية التي تستخدم الوثائق داخل الرواية.

## خاتمة:

ومن خلال النماذج التي اعتمدنا عليها يمكن التأكيد على أن السينما التسجيلية تسعى إلى تسجيل الواقع لكنها في كل الأحوال لا تخلو من الرؤية الذاتية للمبدع، وذلك انطلاقًا من صناعة السينما ذاتها، حيث إن إعادة ترتيب الواقع الحقيقي هي عملية إبداع جديدة تغير فيه، ذلك التغيير يكون بحسب الخطاب أو المعنى المراد أن يصل إلى المتلقي، ومن هنا وجدنا أن كل مادة الفيلم التسجيلي مادة حقيقية سجلتها الكاميرا، إلا أن إعادة ترتيبها ينتج المعنى.

كما أن إنتاج المعنى في تلك النوعية من الأفلام اعتمد على مخاطبة الوجدان والمشاعر والأحاسيس أكثر من مخاطبة العقل. فهو يعرض المشكلة الإنسانية كما رأينها في النموذجين وكلاهما عن الطفل ومعاناته دون ذنب، فالأول في غفوة أصيب بسبب الفقر أما في سما، فالحرب هي المأساة، وكأن الحرب والفقر عدوان متشابهان.

كما أن الفيلمان استخدما أساليب اللقطات وأنواعها للتأكيد على وجدان المتلقي، وهو ما تؤكده المؤثرات والموسيقا والتعليق.

(37) شيان رياض: موقع قنطرة، 2020م، مرجع سابق.
(38) المرجع السابق.

## المراجع:


### أولاً: المصادر:

1. فيلم غفوة https://www.youtube.com/watch?v=uA9Qoy8-mII
2. فيلم من أجل سما https://www.youtube.com/watch?v=WzOZKJz1JVc

### ثانياً: المراجع العربية:

1. إبراهيم فتحى: مقدمة مارشال براون الرومانسية، موسوعة كامبريدج، ترجمة إبراهيم فتحى، لميش النقاش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016
2. عمر زيلن: البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1969
3. محمود سامي عطا الله: الفيلم التسجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام 1995م.

### ثالثاً: المراجع المترجمة:

1. ألبير يورجنسون – صوفى برونيه: المونتاج السينمائي، ترجمة مي التلمساني، إصدارات أكاديمية الفنون سينما 5، القاهرة 1996
2. باتريتشا أوفدرهايدي: الفيلم الوثائقي، ترجمة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، عام 2013م.
3. فورست هاري: السينما التسجيلية عند جرير سون، ترجمة: صلاح التهامي، وزارة الارشاد القومى، القاهرة، ب ت.

### رابعاً: المعاجم:

1. مجدي وهبة: معجم الفن السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

### خامساً: الدوريات:

1. شيان رياض: الفيلم الوثائقي «إلى سما» حول حرب سوريا، موقع قنطرة.
2. وحيد مخيمر: لغة الصورة، مجلة كاميرا، العدد 3، القاهرة، ديسمبر 2013.
3. وعد الخطيب: في فعالية أسبوع الأفلام 15 تموز، إسطنبول، 2022/7/1م.

# دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التعليمية

## (دراسة ميدانية على عينة من العاملين في مؤسسات التعليم الخاص بمدينة البيضاء)

إعداد:

**د. المبروك عبدالجواد امبارك**

أستاذ مشارك، قسم إدارة الأعمال، كلية الاقتصاد، جامعة عمر المختار

**عبدالله محمد مروان**

طالب دراسات عليا، كلية الاقتصاد الإسلامي والإدارة، جامعة محمد بن علي السنوسي

**الاستلام:** 13.5.2024 **القبول:** 19.6.2024

**المستخلص:**

تهدف الدراسة إلى معرفة دور رأس المال الفكري (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات التعليمية الخاصة بمدينة البيضاء. تكون مجتمع الدراسة من جميع مؤسسات التعليم الخاص، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في معالجة البيانات المتحصل عليها من خلال توزيع استمارة استبيان تحتوي على 45 فقرة على عينة عشوائية مكونة من (63) مفردة. توصلت الدراسة إلى أن اتجاهات عينة الدراسة نحو رأس المال الفكري كانت إيجابية وذات مستوى عالٍ من الأهمية، وكذلك الأمر بالنسبة للميزة التنافسية. وقد تم اختبار فرضيات الدراسة بالاعتماد على برنامج التحليل الإحصائي، ومن أهم النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية بالمؤسسات التعليمية محل الدراسة، كما أظهرت النتائج وجود أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لأبعاد رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية بالمؤسسات التعليمية محل الدراسة. كما أوصت الدراسة بضرورة إعطاء المزيد من الاهتمام لمورد رأس المال الفكري لما له من دور في تحقيق مزايا تنافسية مستدامة.

**كلمات مفتاحية:** رأس المال الفكري، رأس المال البشري، رأس المال العلائقي، رأس المال الهيكلي، الميزة التنافسية.

**Abstract:**

The study aims to identify the role of intellectual capital (human, relational, and structural capital) in achieving competitive advantage in private educational institutions in Al-Bayda city. The study population consisted of all private education institutions. The descriptive-analytical method was used to process the data obtained by distributing a questionnaire containing 45 paragraphs to a random sample of (63) individuals. The study found that the study sample›s attitudes towards intellectual capital were positive and of high importance, as well as competitive advantage. The hypotheses of the study were tested by relying on the statistical analysis program, and

the most important results showed that there is a statistically significant relationship between intellectual capital and achieving competitive advantage in the educational institutions under study, and that there is a positive and statistically significant impact of the dimensions of intellectual capital on achieving competitive advantage in the educational institutions under study. Additionally, the study recommended that more attention should be paid to the intellectual capital resource, given its role in achieving sustainable competitive advantages.

**Key-words:** Intellectual capital, human capital, Relational capital, Structural capital, Competitive advantage, Al-Bayda city.

## المحول الأول: الإطار العام للدراسة:

### 1. المقدمة:

في بيئة الأعمال اليوم أصبحت الميزة التنافسية المستدامة هدفاً استراتيجياً تحاول جميع منظمات الأعمال الوصول إليه، ولكن المشكلة الرئيسية التي تواجهها هذه المنظمات هي الاستمرارية والبقاء في مجال الصناعة أو السوق الذي تختاره، ولهذا يجب عليها امتلاك العوامل التي تدعم ذلك، ومنها: الأهداف والموارد إلى جانب الخيارات الاستراتيجية الملاءمة والهامة لبقائها، ولذلك فإن خسارة أي منها يجعل فشل هذه المنظمات وزوالها أسرع وأكثر حتمية .

كما أشار عبد الرزاق (2020) إلى أن امتلاك المنظمة للميزة التنافسية يعد مؤشراً على قدرتها على مواجهة التغيرات البيئية في السوق وفحصها الدقيق لبيئتها الصناعية، ومن ثم قدرتها على مواجهة المنافسين، وإمكانية البقاء والاستمرارية بالتفوق عليهم.

لذلك، وفي ظل الاقتصاد التنافسي وعصر المعلومات، أصبح رأس المال الفكري هو رأس المال الحقيقي للمؤسسات، فهو الركيزة التي تلعب الدور الرئيسي في عملية الإبداع والتجديد، وتغير التفكير والتركيز في خلق القيمة من استخدام الموارد الطبيعية (المادية) إلى تنمية الأصول الفكرية (غير الملموسة)، ومن قانون تناقص الغلة المطبق على السلع الملموسة إلى قانون زيادة العائد فيما يتعلق بالمعرفة والأفكار .

وفي ذات السياق، أشار عايض وهادي (2019) إلى أن بيئة العمل المتغيرة باستمرار تتطلب ترابط رأس المال الفكري بأنواعه كافة، بطريقة فعالة من أجل تحقيق التميز ووضع استراتيجيات متكاملة لاستقطاب رأس المال البشري المتميز، والذي يعد عنصراً مهماً من عناصر رأس المال الفكري وتوظيفه وتدريبه والحفاظ عليه. كما تجدر الإشارة إلى أن الموارد البشرية هي القيمة السوقية التي تعزز القدرة التنافسية لأي منظمة، وبالتالي إن عملية تنمية الموارد البشرية والمشاركة فيها تؤدي إلى التميز في الأداء والمحافظة عليها، وتعزز القدرة التنافسية للمنظمة، مما يساهم في تحقيق الميزة التنافسية . وفي ظل التسابق المتزايد بين المنظمات لتحقيق الاستدامة للمزايا التنافسية، أصبح لزاماً على هذه المنظمات بذل جهود كبيرة في البحث عن مصادر حقيقية للميزة التنافسية المتنوعة والمتعددة .

في إطار ما سبق تأتي هذه الدراسة لتوضح أهمية رأس المال الفكري في تحقيق الميزة

التنافسية لمنظمات الأعمال بشكل عام، والمؤسسات التعليمية بشكل خاص. وبالتالي فالهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو معرفة دور رأس المال الفكري (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسات الخاصة بمدينة البيضاء. بالإضافة إلى ذلك تهدف الدراسة إلى استكشاف الوعي بأهمية رأس المال الفكري وأبعاد الميزة التنافسية في المؤسسات المستهدفة.

2. **مشكلة الدراسة:**

يمثّل رأس المال الفكري أحد أهم مصادر الميزة التنافسية للمؤسسة، ولكن على الرغم من هذه الحقيقة، كثيراً ما يعطي القادة الإداريين الأولوية لتنفيذ الأنظمة والتعليمات والجوانب المالية المتعلقة ببقائهم على حساب أصولهم الفكرية. لذا، فإن الغرض من هذه الدراسة هو تعزيز فهمنا للعلاقة بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية. وبالتالي، يمكن صياغة سؤال البحث الأساسي للدراسة على النحو التالي:

**ما دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في المدارس الخاصة بمدينة البيضاء؟**

ويتفرع منها التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما مستوى توافر متطلبات رأس المال الفكري في المدارس الخاصة قيد الدراسة؟
- ما مستوى توافر الميزة التنافسية في المدارس الخاصة قيد الدراسة؟
- ما طبيعة العلاقة بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية في المدارس الخاصة قيد الدراسة؟
- ما أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة؟

3. **أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على واقع رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم الخاصة محل الدراسة.
- التعرف على واقع الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم الخاصة محل الدراسة.
- معرفة طبيعة العلاقة بين رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية محل الدراسة.
- معرفة أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في قطاع التعليم الخاص بمدينة البيضاء.
- التوصل إلى بعض النتائج وتقديم بعض التوصيات والمقترحات التي ربما تساعد قطاع التعليم الخاص للحفاظ على رأس مالها الفكري، وسبل تنميته وتطويره لتحقيق الميزة التنافسية.

4. **أهمية الدراسة:**

تظهر أهمية الدراسة من خلال الفوائد التي يمكن تحقيقها على النحو التالي:

- تنبع أهمية الدراسة من تناولها لموضوع مهم ألا وهو رأس المال الفكري وربطه بتحقيق الميزة التنافسية في قطاع مهم في ليبيا ألا وهو القطاع التعليم الخاص.
- تحديد الأسلوب الأكثر فاعلية في إدارة رأس المال الفكري في المؤسسات التعليمية من أجل

تعزيز قدرتها التنافسية.

- إتاحة فرصة أكبر للمؤسسة التعليمية للوقوف على الصورة الحقيقية لرأس المال الفكري لها وتحديد الإيجابيات وتعزيزها وتشخيص السلبيات ومحاولة تصحيحها.

**5. فرضيات الدراسة:**

على ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها يمكن صياغة الفرضيات التالية:

- الفرضية الرئيسة الأولى: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين رأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) والميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.
- الفرضية الرئيسة الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية في المدارس الخاصة قيد الدراسة.

ولتحقيق هذه الفرضية تم وضع الفرضيات الفرعية التالية:

- الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.
- الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال العلائقي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.
- الفرضية الفرعية الثالثة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.

**6. حدود الدراسة:**

- الحدود الموضوعية: اقتصرت هذه الدراسة على دراسة دور رأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية بالمؤسسات التعليمية الخاصة.
- الحدود المكانية: اقتصرت هذه الدراسة على مدارس القطاع الخاص في نطاق مدينة البيضاء.
- الحدود الزمانية: هي الفترة الممتدة من ربيع 2023 إلى ربيع 2024.
- الحدود البشرية: المدراء ونواب المدراء والموظفين الإداريين العاملين في مدارس القطاع الخاص بمدينة البيضاء.

**7. نموذج الدراسة:**

على ضوء مشكلة الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها والأهمية التي تنطوي عليها، تم صياغة نموذج الدراسة المقترح لوصف العلاقة بين متغيرات الدراسة المتمثلة في (دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية لمؤسسات التعليم الخاص). كما هو موضح في الشكل رقم (1) على النحو التالي:

**شكل رقم (1) يوضح متغيرات الدراسة**

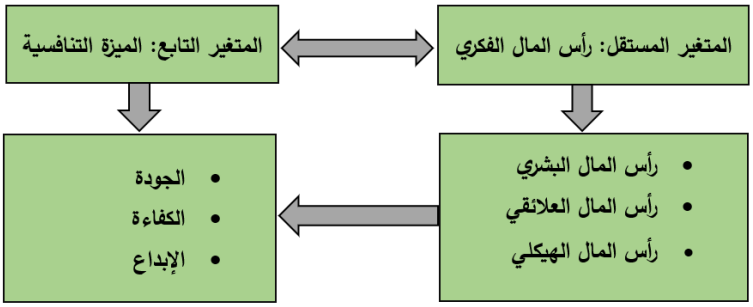


**8. هيكل الدراسة:**

انسجاماً مع الأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها، فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة محاور، وذلك كما يلي:

- **المحور الأول:** الإطار العام للدراسة، ويتضمن المشكلة البحثية والأهداف والأهمية والفروض، وحدود الدراسة ونموذجها.
- **المحور الثاني:** الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة، وتضمن: مفهوم رأس المال الفكري وأبعاده، ومفهوم الميزة التنافسية وأبعاده، وكذلك الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة.
- **المحور الثالث:** الدراسة الميدانية وتشمل: الإجراءات المنهجية المتبعة، وتحليل نتائج الدراسة الميدانية، واختبار فروض الدراسة، ومن ثم النتائج والتوصيات.

## المحور الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة:

### أولاً: الإطار النظري للدراسة:

**1. رأس المال الفكري المفهوم، والأبعاد:**

يعتبر مفهوم رأس المال الفكري ظاهرة حديثة نسبياً، حيث ظهر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. وهو يشير إلى الإنتاج الفكري والابتكار، والذي يعتبر الآن المصدر الأساسي لثروة مؤسسات الأعمال وأساس التميز وخلق القيمة والنجاح والميزة التنافسية. نستعرض في هذا الجزء بعض الأدبيات المتاحة حول رأس المال الفكري من أجل استكشاف معنى رأس المال الفكري ومكوناته بطريقة موجزة وواضحة.

**1.1 مفهوم رأس المال الفكري:**

هناك العديد من التعريفات لرأس المال الفكري، وكان[1] (Hamel & Heene 1994), من أوائل العلماء الذين أوضحوا أن رأس المال الفكري هو القدرة الفريدة التي تتفوق بها المنظمة على منافسيها لتحقيق التكامل في المهارات المختلفة التي يمتلكها الأفراد، والتي تساهم في

(1) Hamel, Gary & Heene, Aimé. (1994). *The Concept of Core Competence-Based Competition*. John Wiley: Chichester et al., pp11-33.

زيادة القيمة المقدمة للمشترين؛ فهي مصدر للميزة التنافسية. وقد عرّفه [2](Hunter, et.al) بأنه الميزة غير الملموسة التي قد تولد قيمة في المستقبل. وعرّفه[3] (Stewart, 1997) بأنه المعرفة الفكرية والمعلومات والممتلكات والخبرات – التي يمكن استخدامها لتكوين ثروة. كما عرفه[4] (Model & Ghosh, 2012) بأنه الأصول غير الملموسة أو العوامل التجارية غير الملموسة للشركة، والتي لها تأثير كبير على أدائها ونجاح أعمالها بشكل عام، على الرغم من أنها غير مدرجة بشكل صريح في السجل.

### 2.1 أبعاد رأس المال الفكري:

**أولاً: رأس المال البشري:** هو معرفة ومهارات وخبرات الموظفين. بعض هذه المعرفة خاص بالفرد وبعضها قد يكون عامًا. وهي القدرة على الابتكار والإبداع والدراية الفنية والخبرة السابقة والعمل الجماعي والقدرة على التعلم والتعليم ومرونة الموظفين وتحملهم للغموض والتحفيز والرضا والولاء والتدريب الرسمي[5].

**ثانياً: رأس المال العلائقي:** جميع الموارد المرتبطة بالعلاقات الخارجية للشركة – مع العملاء أو الموردين أو الشركاء، وهو جزء من رأس المال البشري والهيكلي الذي ينطوي على علاقات المنظمة مع أصحاب المصالح (المستثمرين، الدائنين، العملاء والموردين)، وكذلك تصوراتهم عن المنظمة، ويتمثل في: الصورة الذهنية للمنظمة، ولاء العملاء، ورضا العملاء، وروابط الموردين، والقدرة على التفاوض مع الكيانات المالية والأنشطة البيئية[6].

**ثالثاً: رأس المال الهيكلي:** المعرفة التي تبقى داخل المنظمة وتتكون من الإجراءات الهيكلية والإجراءات واللوائح والثقافات وقواعد البيانات: المرونة الهيكلية، وخدمة التوثيق، ومركز المعرفة، والاستخدام العام لتقنيات المعلومات والقدرة على التعلم الهيكلي[7].

### 2. الميزة التنافسية المفهوم والأبعاد:

تُعد المزايا التنافسية أحد أهم العناصر الاستراتيجية في توفير فرصة أساسية للمؤسسة لتوليد قيمة أكبر للمؤسسة ومساهميها مقارنةً بمنافسيها.

### 1.2 الميزة التنافسية المفهوم:

الميزة التنافسية: بأنها القدرة على انتاج السلع والخدمات بالنوعية الجيدة والسعر المناسب وفي الوقت المناسب، وهذا يعني تلبية حاجات المستهلكين بشكل أكثر كفاءة من المنشآت الأخرى[8].

---

(2) Hunter, L.; Webster, E. & Wyatt, A. (2005). "Measuring Intangible Capital: A Review of Current Practice", *Intellectual Property Research Institute of Australia*, Vol. 16, No. 4, pp.1-46.

(3) Stewart, T.A. (1997) *Intellectual Capital: The New Wealth of Organizations*. Doubleday/Currency, New York.

(4) Model, A. & Ghosh, S. K. (2012). "Intellectual Capital Efficiency and Firms Performance: Study on Malaysian Financial Sectors", *International Journal of Economics and Finance*, 1 (2), 206-212.

(5) Ting, I. W. K., Lean, H. H. (2009). Intellectual capital performance of financial institutions in Malaysia. *Journal of Intellectual capital*.599-588.

(6) Ting, I. W. K., Lean, H. H. ibid, pp590.

(7) Ting, I. W. K., Lean, H. H. ibid, pp591.

**(8)** قشقش، خالد أحمد. (2014) إدارة رأس المال الفكري وعلاقته في تعزيز الميزة التنافسية. رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

**2.2 أبعاد الميزة التنافسية:**

**أبعاد الميزة التنافسية المستخدمة في هذه الدراسة هي:**

**اولاً: الجودة:** يشير مفهوم الجودة إلى التميز والموثوقية في المنتجات. فالجودة العالية تمنح الشركة العديد من المزايا، منها السمعة الجيدة التي تتيح للشركة تقديم منتجات تتميز عن منافسيها بشكل ملحوظ، وبالتالي تخلق تجاوباً من العملاء، مما يمنح المؤسسة فرصة لزيادة أسعار منتجاتها. كما أنها تعني أيضًا القضاء على العيوب والأخطاء التي تحدث في عملية الإنتاج، وتقليل الهدر وزيادة الكفاءة وخفض هيكل التكلفة في المنظمة من أجل زيادة ربحيتها[9].

**ثانياً: الكفاءة:** تعني الكفاءة تقليل المدخلات وتعظيم المخرجات، فكلما استخدمت موارد قليلة لإنتاج مخرجات كثيرة مقارنة بغيرها دل ذلك على تحقيق الكفاءة مما يؤثر على حجم الموارد المتحصل عليها وبالتالي حجم الربح المتحقق[10].

**ثالثاً: الأبداع:** يعتبر الأبداع من أهم عوامل الميزة التنافسية. فهو يؤدي إلى منتجات جديدة تهدف إلى تلبية احتياجات العملاء بشكل أفضل من خلال تحسين الجودة أو تقليل التكلفة، فإذا كانت الشركة تسعى للحفاظ على الميزة التنافسية يجب أن يكون لديها التزام مستمر بالأبداع، لأن المنافسين يحاولون دائماً تقليد الابتكارات الناجحة[11].

**ثانياً: الدراسات السابقة:**

**دراسة** (Al-Mahdawi & Dendougui, 2024)[12] هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر رأس المال الفكري على الميزة التنافسية في منظمات الأعمال في مدينة الحسن الصناعية في المملكة الأردنية الهاشمية. تكون مجتمع الدراسة من مديري ورؤساء أقسام الموارد البشرية والعمليات الإنتاجية والمالية والتسويق وتكنولوجيا المعلومات في 137 منظمة أعمال مختلفة المجال في مدينة الحسن الصناعية في المملكة الأردنية الهاشمية. تم أخذ عينة عشوائية بنسبة 20% من هذه المنظمات وكانت عينة غير متناسقة. كانت نتائج هذه الدراسة أن درجة ممارسة رأس المال الفكري المتمثل في رأس المال البشري والهيكلي والعلائقي والتنافسي كانت متوسطة. كما أشارت النتائج بأنه لا يوجد تأثير لرأس المال البشري والهيكلي والعلائقي في تحقيق الميزة التنافسية. كما أوصت الدراسة بتعزيز رأس المال الفكري لما له من دور أساسي في تحقيق الميزة التنافسية.

**دراسة** (Almusaedi, 2023)[13] سعت الدراسة إلى تحديد أثر رأس المال الفكري في

(9) Hill, C. W. & Jones, G. R. (2010). *Strategic Management of an Integrated Approach*, 9thed., South-Western Cengage Learning, Mason, USA, pp. 74-77.

(10) Rahim, A. (2023) Intellectual Capital and Its Impact on Achieving Competitive Advantage Between Companies – Field Study in the Iraq Green Ranches Company. *International Journal of Studies in Business Management, Economics and Strategies*. Volume 02, Issue 09, Sep. pp 173-192.

(11) Hill, C. W. & Jones, G. R, Op.cit. pp. 74-77.

(12) Al-Mahdawi, K. H., Dendougui. S. (2024). The Role of Intellectual capital in achieving competitive advantage Field study at AL-Hassan Industrial City in the Hashemite Kingdom of Jordan. *Remittances Review*, 9 (1).

(13) Almusaedi, H. M. F. (2023). The Role of Intellectual Capital in Achieving Competitive Advantage (An Exploratory Study of The Opinions of a Sample of Workers in The Maysan Oil Company). *American*

تحقيق الميزة التنافسية (استطلاع آراء العاملين في شركة ميسان للنفط، فمن المعروف أن لكل شركة رأس مال فكري يحتوي على ثلاثة أبعاد أساسية (رأس المال البشري، رأس المال الخاص بالعملاء، رأس المال الهيكلي)، وبما أن الميزة التنافسية تتحدد في قدرة الشركة على تحقيق أهدافها، فإن ذلك يعتمد على قدرتها على إنتاج منتجات تلبي متطلبات العملاء, ونظراً لمحدودية الدراسات التي تناولت علاقة الارتباط والتأثير على رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية في الشركة، فقد سعت الدراسة إلى احتواء هذين المتغيرين في إطار شامل في محاولة لدراسة علاقة الارتباط والتأثير بينهما بشكل عام. توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها: هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية في الشركة محل الدراسة، كما توصلت إلى وجود تأثير معنوي بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية على مستوى الشركة محل الدراسة.

دراسة [14](Abuhashish & Almahirah, 2022) هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة حالة على شركة فارما العالمية في الأردن. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. تم اختيار عينة عشوائية نسبية من الموظفين العاملين في الإدارة العليا والإدارة الوسطى والإدارة الدنيا في شركة فارما إنترناشيونال في الأردن. بلغ عدد أفراد العينة (621) فرداً، بنسبة مئوية بلغت (91.1%). تم تطوير استبيان لجمع البيانات في هذه الدراسة. خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: تراوحت المتوسطات الحسابية لرأس المال الفكري في شركة فارما إنترناشيونال في الأردن بين (4.06) و(4.11) بمتوسط إجمالي (4.09) على مقياس ليكرت المكون من خمس نقاط، مما يدل على ارتفاع واقع رأس المال الفكري في شركة فارما إنترناشيونال في الأردن؛ مما يؤكد تحقيق الميزة التنافسية. كما أظهرت النتائج وجود تأثير دال إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية في شركة فارما إنترناشيونال في الأردن.

دراسة (بن موهوب وآخرون، 2021)[15] تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أثر الاستثمار في رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة الاقتصادية – وكالة مؤسسة موبيليس بالوادي – بأبعادها الثلاثة. تم جمع البيانات عن طريق استبيان تم طرحه على عينة عشوائية مكونة من 47 عاملاً. تم تحليل البيانات باستخدام برنامج (SPSS.25). خلصت الدراسة إلى أن المؤسسة محل الدراسة تهتم باستثمار رأس مالها الفكري بأبعاده المختلفة. كما خلصت الدراسة إلى وجود علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين الاستثمار في رأس المال البشري والميزة التنافسية للمؤسسة.

دراسة [16](Masadeh, 2021) هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور رأس المال

*Journal of Business Management, Economics and Banking*, 9, 44–53.

(14) Abuhashish, O. S., & Almahirah, M. S. Z. (2022). The Impact of Intellectual Capital on Achieving Competitive Advantage: A Case Study on Pharma International Company in Jordan. *Journal of Positive School Psychology*, 2879-2888.

(15) بن موهوب، سارة وتي، أحمد ومعول، ليلة. (2021). أثر الاستثمار في رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية دراسة ميدانية بشركة موبيليس وكالة الوادي. المجلة الجزائية للتنمية الاقتصادية. المجلد:8، العدد 2، ص ص 281-296.

(16) Masadeh, M. (2021). The Effect of Intellectual Capital on Achieving the Competitive Advantage of Jordanian Pharmaceutical Companies: A Case Study of Dar Al-Dawa Company. *International Journal of Innovation, Creativity and Change*, *15*(1), 130-150.

الفكري ومكوناته في تحقيق الميزة التنافسية لشركة دار الدعوة الأردنية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، وتم جمع البيانات الأولية باستخدام استبانة خصصت لجمع البيانات من عينة مكونة من (148) موظفاً في الإدارة العليا والوسطى (مدير، نائب مدير/ مساعد مدير، ورئيس قسم) في شركة دار الدواء. تم إجراء التحليل الوصفي والإحصائي من خلال استخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS. توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات منها أن هناك مستوى عالٍ من أبعاد رأس المال الفكري، وكذلك مستوى عالٍ من الميزة التنافسية في شركة دار الدواء، كما توصلت الدراسة إلى وجود أثر دال إحصائياً لرأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، الهيكلي، العلائقي) على الميزة التنافسية. كما تم تقديم بعض التوصيات لشركة دار الدواء في الأردن. التي تمحورت حول الاستمرارية لتطوير رأس مالها الفكري من أجل تحقيق ميزة تنافسية مستدامة في السوق.

**دراسة (أحمد وعبد القادر، 2019)**[17] كان الهدف منها هو تحديد دور رأس المال الفكري في تعزيز الميزة التنافسية لبنك الفلاحة والتنمية الريفية في أدرار. ولتحقيق هذه الغاية، تم فحص مدى توفر المكونات الثلاثة لرأس المال الفكري (البشري والهيكلي والعملاء) في بنك الفلاحة والتنمية الريفية بأدرار، وتألفت عينة الدراسة من 40 موظفاً. أشارت النتائج إلى وجود تفاوت في مكونات رأس المال الفكري في تعزيز الميزة التنافسية. كما أظهرت نتائج الدراسة أن رأس المال الهيكلي هو المكون الأكثر تأثيراً من المكونين الآخرين، يليه رأس مال العملاء. وأخيراً، كشفت الدراسة عن وجود علاقة بين توفر متطلبات رأس المال الفكري والميزة التنافسية لبنك الفلاحة والتنمية الريفية بأدرار بالجزائر.

**دراسة Alserhan, 2017)**[18] هدفت هذه الدراسة إلى تحديد دور رأس المال الفكري وعناصره (رأس المال البشري، رأس المال العلائقي، رأس المال الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية وأبعادها (الجودة، الكفاءة، الابتكار، الاستجابة) في الجامعات الأردنية الخاصة في إقليم الشمال (جامعة جدارا - جامعة إربد الوطنية، جامعة جرش، جامعة فيلادلفيا)، حيث بلغت عينة الدراسة (90) شخصاً من مجموع أفراد الدراسة (120). تم تصميم استبانة للتحقق من المفاهيم في الأطر النظرية لمتغير رأس المال الفكري المتغير المستقل وعلاقته بالمتغير التابع الميزة التنافسية. تم اختبار الفرضيات بالاعتماد على البرامج الإحصائي SPSS. أهم نتائج توصلت إليها الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين رأس المال الفكري بأبعاده الثلاثة وتحقيق الميزة التنافسية، كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن أبعاد رأس المال البشري والاجتماعي متوفران أكثر من رأس المال الهيكلي، ويسهمان بشكل أكبر في الميزة التنافسية من رأس المال الهيكلي.

**دراسة Altarawneh, 2017)**[19] هدفت هذه الدراسة إلى معرفة تأثير رأس المال الفكري

(17) أحمد، بلاوي وعبد القادر، مسعودي. (2019). دور رأس المال الفكري في تعزيز الميزة التنافسية دراسة حالة بنك الفلاحة والتنمية الريف –أدرار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر.

(18) Alserhan, H. F. (2017). The role of intellectual capital in achieving a competitive advantage: A field study on Jordanian Private Universities in the Northern Region. *International Journal of Academic Research in Economics and Management Sciences*, *6*(2), 33-42.

(19) Altarawneh, I. (2017). Effect of intellectual capital on competitive advantage in the Jordanian pharmaceutical companies. *European Journal of Business and Management*, *9* (5), 39-53.

(رأس المال البشري والعلائقي والهيكلي) على الميزة التنافسية في شركات الأدوية الأردنية. كما هدفت الدراسة إلى استكشاف الوعي بأهمية رأس المال الفكري وأبعاد الميزة التنافسية في الشركات المستهدفة. تم تطبيق استراتيجية المسح الشامل باستبيان ذاتي كوسيلة لجمع البيانات. بلغ العدد الإجمالي لجميع المديرين العامين ونواب المديرين ورؤساء الأقسام ورؤساء الشُعب في الشركات الثلاثة عشر 220 شخصاً تم استهدافهم جميعاً. تم إرجاع 207 استبيان. تم استخدام الاختبارات الإحصائية ضمن حزمة SPSS لتحليل البيانات. أظهرت النتائج وجود تأثير ذو دلالة إحصائية قوية لرأس المال الفكري (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في الميزة التنافسية في شركات الأدوية الأردنية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$). كما أوضحت نتائج الدراسة وعي إدارة هذه الشركات بأهمية إدارة رأس المال الفكري ومكوناته وتأثيره الخاص على الميزة التنافسية.

**دراسة (لويزة ورابح، 2016)**[20] ركزت هذه الدراسة على رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية من خلال اقتصاد قائم على المعرفة. وذلك من خلال تحديد دور رأس المال الفكري بأبعاده المتمثلة في (رأس المال البشري، الزبوني، الهيكلي) وتحقيق الميزة التنافسية المتمثلة في (الجودة، الكفاءة، الابتكار، والاستجابة) في الشركة محل الدراسة. وقد تم تطوير استبيان لجمع بيانات الدراسة. تم اختبار الفرضيات باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS. توصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج منها، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين المستقل (رأس المال) والتابع (الميزة التنافسية)، ووجود متطلبات رأس المال البشري والهيكلي بدرجة كبيرة من رأس المال العلائقي ويسهمان في تحقيق الميزة التنافسية أكثر منه. تم تقديم بعض التوصيات منها ضرورة التركيز على رأس المال الفكري وإدارته لأنه يمثل موردا استراتيجي هاماً لتحقيق التميز، وعنصر فعال للنجاح وخاصة في ظل التطور التكنولوجي الكبير الذي تشهده بيئة الأعمال.

**دراسة Taie, 2014)**[21] هدفت إلى اختبار أثر إدارة رأس المال الفكري على الميزة التنافسية التنظيمية في المستشفيات المصرية. كانت دراسة تحليلية قطعية عرضية. أجريت الدراسة في مستشفيين (مستشفى النزهة الدولي ومستشفى الدمرداش). تكون أفراد مجتمع الدراسة من ثلاثة مستويات إدارية إما ممرضين أو أطباء. بحيث كان (36) من مستشفى النزهة و(70) من مستشفى الدمرداش. خلصت الدراسة إلى أن متغيرات رأس المال الهيكلي والميزة التنافسية للدراسة كانت عالية ومرتفعة جداً في المتوسط. كما توصلت الدراسة أن رأس المال الفكري ارتبط ارتباطاً قوياً وإيجابياً بالميزة التنافسية، حيث كان رأس المال البشري ($R, 0.79$)، بينما كان ($R, 0.73$) في رأس المال الهيكلي و ($R, 0.88$)، في رأس المال العلائقي.

## المحور الثالث: الدراسة الميدانية:

### 1. منهجية الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة الأسلوب الوصفي التحليلي في جمع البيانات والمعلومات اللازمة

(20) لويزة، فرحاتي ورابح، خوني. (2016). دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل اقتصاد المعرفة: دراسة حالة شركة الاسمنت عين التوتة -باتنة- رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

(21) Taie, E. S. (2014). The effect of intellectual capital management on organizational competitive advantage in Egyptian hospitals. *International Journal of Business and Social Science*, *5*(2).

لإتمامها. وقد تم استخدام على المصدرين التاليين في جمع بيانات الدراسة:

- المصادر الثانوية: وتتمثل في المسح المكتبي والأدبيات الإدارية المتعلقة بموضوعي الدراسة (رأس المال الفكري والميزة التنافسية).
- المصادر الأولية: وتتمثل في البيانات التي تم جمعها عن طريق توزيع استمارة الاستبيان والتي من خلالها يتم الحصول على البيانات الأولية من المجتمع محل الدراسة وتحليليها لبيان مدلول النتائج الإحصائية.

2. **مجتمع وعينة الدراسة:**

مجتمع الدراسة «هو جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث»[22] . وقد تكون مجتمع الدراسة الحالية من جميع مؤسسات التعليم الخاص بمدينة البيضاء والبالغ عددها (73) مدرسة خاصة، وذلك حسب الكشف الصادر من قسم التعليم الحر بقطاع التربية والتعليم بمدينة البيضاء، وعينة الدراسة تمثلت في (63) مفردة، بحسب جدول[23] (Kreejcie & Morgan 1970) الإحصائي الخاص بتحديد حجم العينات من عدد مجتمع الدراسة، حيث تم توزيع (63) استمارة استبانة على عينة الدراسة بطريقة التسليم المباشر باليد، تم استردادها جميعاً بنسبة ردود بلغت 100%، وبعد فحص الاستمارات، تم استبعاد عدد (2) منها لعدم صلاحيتها للتحليل، وبهذا يكون عدد الاستمارات الصالحة للتحليل (61) استمارة استبانة، أي بنسبة (96%) من أجمالي الاستمارات الموزعة، واعتبرت هذه العينة كافية للتحليل الإحصائي واعتماد النتائج.

3. **أداة الدراسة:**

لتحقيق الغرض من الدراسة، فقد تم تطوير استمارة استبيان لجمع البيانات الأولية معتمد في ذلك على ما ورد في الدراسات السابقة والإطار النظري، وتناولت الدراسة متغيرين أساسيين هما رأس المال الفكري والميزة التنافسية، بالإضافة إلى بعض المتغيرات الشخصية، حيث تكونت الاستبانة المُعدة من (50) فقرة مقسمة على ثلاثة أجزاء، وذلك كما يلي:

- **الجزء الأول:** تكون من (5) فقرات للتعرف على المتغيرات الشخصية المتمثلة في الجنس، العمر، المؤهل العلمي، المسمى الوظيفي، سنوات الخدمة.
- **الجزء الثاني:** تكون من (33) فقرة متعلقة بتقييم مستوى رأس المال الفكري للمؤسسات التعليمية من خلال ثلاثة أبعاد (البشرية والعلائقية والهيكلية) حيث تكون البعد الأول (رأس المال البشري) من (14) فقرة، أما البعد الثاني (رأس المال العلائقي) فقد تكون من (11) فقرة، والبعد الثالث (رأس المال الهيكلي) قد تكون من (8) فقرات.
- **الجزء الثالث:** تكون من (12) فقرة متعلقة بقياس وتقييم متغير الميزة التنافسية لدى المؤسسات التعليمية من خلال ثلاثة أبعاد، البعد الأول (الجودة) وتكون من (4) فقرات، والبعد الثاني (الكفاءة) وتكون من (4) فقرات، أما البعد الثالث هو (الإبداع) وتكون من (4) فقرات. والجدول (1) يوضح بدائل الاستجابة لمقياس ليكرت الخماسي وطريقة احتساب النتائج.

(22) عبيدات، ذوقان وعدس، عبد الرحمن وعبدالحق، كايد. (2013) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه. دار الفكر الأردن.

(23) Krejcie، R.& Morgan، D. (1970). Determining Sample Size for research Activities، Educational and Psychological Measurement607-610 :،

جدول رقم (1) يوضح بدائل الاستجابة لمقياس ليكرت الخماسي

| الاستجابة | موافق بشدة | موافق | محايد | غير موافق | غير موافق بشدة |
|---|---|---|---|---|---|
| الدرجة | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |

4. ثبات أداة الدراسة وصدقها:

- الثبات (Reliability):

يُقصد بثبات الاستبانة أن يُعطي نفس النتيجة لو تم إعادة توزيعها أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط، أو بعبارة أخرى أن ثبات الاستبانة يعني الاستقرار في النتائج وعدم تغيير هذه النتائج بشكل كبير فيما لو تم إعادة توزيعها على أفراد العينة عدة مرات خلال فترة زمنية معينة[24]. وقد تحققت الدراسة من ثبات الاستبانة باستخدام طريقة الفا كرونباخ (Chronbach's Alpha) لاختبار معامل الثبات الداخلي، وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS ومعامل الثبات يأخذ قيماً تتراوح بين الصفر والواحد حيث كلما اقتربت قيمته من الواحد كان الثبات مرتفعاً والعكس صحيح[25]، والجدول (2) يبين مقدار ثبات الاستبانة لمقياس الدراسة.

جدول رقم (2) يوضح ثبات مقياس الدراسة

| المقياس | معامل الثبات | المقياس | معامل الثبات |
|---|---|---|---|
| رأس المال البشري | 0.959 | الجودة | 0.901 |
| رأس مال العلائقي | 0.923 | الكفاءة | 0.841 |
| رأس المال الهيكلي | 0.938 | الإبداع | 0.879 |
| رأس المال الفكري ككل | 0.976 | الميزة التنافسية ككل | 0.931 |
| المقياس ككل 0.972 | | | |

يلاحظ من الجدول رقم (2) بأن معامل الثبات ألفا كرونباخ لجميع أبعاد المقياس بلغ (0.972) وهي نسبة مرتفعة، وبلغ معامل الثبات لبعد رأس المال الفكري ككل (0.976) ولبعد الميزة التنافسية (0.931) وهي قيم مرتفعة مما يُشير إلى الثبات الكلي للاستبانة وقوة تماسكها الداخلي، وبالتالي فإنه يمكن القول إن أداة الدراسة تتمتع بدرجة ثبات عالية ويمكن استخدامها لأغراض هذه الدراسة.

- الصدق (Validity):

يُقصد بصدق الاستبانة أن تقيس أسئلة الاستبانة ما وُضعت لقياسه، وقد تم التأكد من صدق الاستبانة بطريقتين:

- **الاتساق الخارجي للاستبانة (صدق المُحكمين):** لمعرفة صدق أداة الدراسة تم عرض الاستبانة على أساتذة من أعضاء هيئة التدريس من ذوي الخبرة والاختصاص في موضوع

(24) جودة، محفوظ. (2008)، التحليل الإحصائي باستخدام SPSS، دار وائل للنشر، عمان: الأردن.
(25) يوسف، محمد أحمد محمد. (2022). أثر الإبداع الإداري في إدارة التغيير التنظيمي بالمؤسسات–دراسة تطبيقية على وزارة المالية والاقتصاد والاستثمار ولاية الخرطوم–. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، 6(10)، ص 35-55.

الدراسة، وقد طُلب من المحكمين إبداء الرأي حول وضوح صياغة كل عبارة من عبارات أداة الدراسة ومدى ملائمة كل عبارة للمقياس الذي ينتمي إليه، كما طلب من المُحكمين إسداء النصح بإدخال أي تعديلات على صياغة العبارات لتزداد وضوحاً أو إضافة أي عبارة جديدة لتزداد الاستبانة شمولاً أو حذف أي عبارة مُكررة أو غير ضرورية وهذا ما تم بالفعل.

- **صدق الاتساق الداخلي للاستبانة:** للتأكد من صدق الاتساق الداخلي تم استخدام طريقة الصدق الذاتي أو الإحصائي (Statistical Validity)، والجدول (3) يوضح معاملات الصدق للاستبانة بالنسبة لبعد رأس المال الفكري.

**جدول رقم (3) يوضح معاملات الصدق لمقياس الدراسة**

| المقياس | معاملات الصدق | المقياس | معاملات الصدق |
|---|---|---|---|
| رأس المال البشري | 0.964 | الجودة | 0.877 |
| رأس المال العلائقي | 0.926 | الكفاءة | 0.851 |
| رأس المال الهيكلي | 0.944 | الإبداع | 0.895 |

يلاحظ من الجدول رقم (3) بأن معامل الصدق لجميع أبعاد المقياس تجاوز 85% وهي نسبة مرتفعة، تشير إلى الثبات الكلي للاستبانة وقوة تماسكها الداخلي، وبالتالي فإنه يمكن القول إن أداة الدراسة تتمتع بدرجة صدق عالية ويمكن استخدامها لأغراض هذه الدراسة.

### 5. أساليب المعالجة الإحصائية المستخدمة:

تم في هذه الدراسة استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية من أجل التحقق من ثبات وصدق أداة الدراسة والتحليل الإحصائي لبيانات الدراسة، حيث تم ترميز وإدخال البيانات إلى الحاسوب باستخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS V25.0، لقد اعتمدت الدراسة على استخدام مقياس ليكرت الخماسي لتحديد درجة الموافقة والاختلاف حول قضية ما يكون من خلال إبداء الرأي المحدد بخمس خيارات، وتنحصر ردود الأفعال في مجموعة من الدرجات تبدأ بالرقم (1) الذي يشير إلى مستويات من عدم الموافقة بشدة حول الفقرة المطروحة، بينما تشير الدرجة (2) إلى عدم الموافقة، بينما تمثل الدرجة (3) القيمة الحيادية، وتشير الدرجة (4) إلى الموافقة على الفقرة، وأخيراً فإن الدرجة (5) تشير إلى الموافقة بشدة من قبل المبحوث على الفقرة المطروحة، ولتحديد مستوى الموافقة عن كل فقرة وكل بعد وكل محور ضمن أداة الدراسة (الاستبانة)، تم الاعتماد على استخدام قيمة الوسط الحسابي وقيمة الوزن النسبي، والجدول (4) يوضح مستويات الموافقة استناداً لخمسة مستويات (منخفض جداً، منخفض، متوسط، مرتفع، مرتفع جداً).

جدول رقم (4): يوضح المحك المعتمد في الدراسة

| فئات المتوسط الحسابي | الوزن النسبي | درجة الأهمية |
|---|---|---|
| 1 – أقل من 1.80 | 20% - أقل من 36% | منخفض جداً |
| من 1.80 – أقل من 2.60 | من 36% - أقل من 52% | منخفض |
| من 2.60 – أقل من 3.40 | من 52% - أقل من 68% | متوسط |
| من 3.40 – أقل من 4.20 | من 68% - أقل من 84% | مرتفع |
| من 4.20 – 5 | من 84% - 100% | مرتفع جداً |

## 6. تحليل بيانات الدراسة واختبار فرضياتها:

تم استخدام البرنامج التحليل الإحصائي (SPSS: Ver. 25) في تحليل بيانات هذه الدراسة، وذلك كالتالي:

- **الوصف الإحصائي لعينة الدراسة وفقًا للمتغيرات الشخصية:**

تكونت عينة الدراسة من مدراء ونواب مدراء والموظفين الإداريين بالمدارس الخاصة في مدينة البيضاء، والجدول (5) يوضح وصف عينة الدراسة:

جدول (5) يوضح خصائص عينة الدراسة

| المتغير | الفئات | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|
| النوع | ذكر | 47 | 77% |
| | أنثى | 14 | 23% |
| | المجموع | 61 | 100% |
| العمر | أقل من 30 سنة | 3 | 5% |
| | من 30 – أقل من 40 سنة | 13 | 21% |
| | من 40 – أقل من 50 سنة | 19 | 31% |
| | من 50 سنة فأكثر | 26 | 43% |
| | المجموع | 61 | 100% |
| المؤهل العلمي | أقل من الدرجة الجامعية | 14 | 23% |
| | الدرجة الجامعية | 38 | 62% |
| | ماجستير | 6 | 10% |
| | دكتوراه | 3 | 5% |
| | المجموع | 61 | 100% |

| المتغير | الفئات | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|
| المسمى الوظيفي | مدير | 33 | 54% |
| | نائب مدير | 20 | 33% |
| | موظف إداري | 8 | 13% |
| | المجموع | 61 | 100% |
| سنوات الخبرة | أقل من 5 سنوات | 3 | 5% |
| | من 5– أقل من 10 سنوات | 13 | 21% |
| | من 10– أقل من 15 سنة | 11 | 18% |
| | 15 سنه فأكثر | 34 | 56% |
| | المجموع | 61 | 100% |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

يتضح من الجدول رقم (5) أن عينة الدراسة توزعت بين الذكور والإناث وكانت النسبة الأعلى

لصالح الذكور بنسبة (77%)، بينما كانت الفئة العمرية الأعلى تكراراً بين أفراد عينة الدراسة لصالح الفئة العمرية (من 50 سنة فأكثر) بنسبة مئوية (43%) تليها الفئة العمرية (من 40 إلى أقل من 50 سنة) بنسبة (31%) وهذا يشير إلى الوظائف الإدارية العليا في المدارس الخاصة عينة الدراسة يفضل إسنادها لذوي الفئات العمرية الأكبر، تشير النتائج إلى أن النسبة الأكبر من المبحوثين يحملون مؤهل الدرجة الجامعية، وذلك بنسبة 62%، تليها شريحة أقل من الدرجة الجامعية بنسبة 23%، ثم حملة ماجستير بنسبة 10%، وأخيراً جاءت الشريحة حملة مؤهلات دكتوراه بنسبة 5% فقط، مما يعطي انطباعاً بأن معظم قوة العمل في المؤسسات التعليمية الخاصة من ذوي المؤهلات العلمية المناسبة الأمر الذي سوف ينعكس على درجة إدراكهم لموضوع الدراسة، كما يتضح أن المسمى الوظيفي السائد هو (مدير) بنسبة مئوية (54%) تليها (نائب مدير) بنسبة (33%)، كما يتضح أن افراد عينة الدراسة توزعوا على حسب سنوات الخبرة وكانت النسبة الأعلى لصالح الفئة (15 سنة فأكثر) بنسبة (56%) تليها الفئة (من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات) بنسبة مئوية (21%).

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة بمتغير رأس المال الفكري:

**جدول رقم (6) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع أبعاد رأس المال الفكري**

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الأهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | رأس المال البشري | 4.25 | 0.728 | 85% | مرتفعة جداً | 1 |
| 2 | رأس مال العلائقي | 4.05 | 0.726 | 81% | مرتفعة | 2 |
| 3 | رأس المال الهيكلي | 4.04 | 0.749 | 80.8% | مرتفعة | 3 |
| | رأس المال الفكري | 4.11 | 0.734 | 82.2% | مرتفعة | |

**المصدر: تم إعدادها استنادا إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

يتضح من الجدول (6) أن المتوسط الحسابي لمتغير رأس المال الفكري كان بقيمة (4.11) ووزن نسبي (82.2%) بدرجة أهمية مرتفعة، كما أن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد رأس الكال الفكري كانت متقاربة جداً ويتبين أن أعلى وزن نسبي كان (85%) بدرجة أهمية مرتفعة جداً لبعد رأس المال البشري يليه جاء بعد رأس مال العلائقي بوزن نسبي بلغ (81%) ثم جاء بعد رأس المال الهيكلي بوزن نسبي (80.8%) وهذا يشير إلى أن أبعاد رأس المال الفكري البشرية والعلاقية والهيكلية تتفاوت من حيث أهميتها بالنسبة لعينة الدراسة وأن التركيز الأكبر كان لرأس المال البشري على حساب باقي الأبعاد. وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات مثل دراسة (Abuhashish & Almahirah, 2022)، دراسة (Masadeh, 2021)؛ ولكنها اختلفت مع نتيجة دراسة (Al-Mahdawi & Dendougui, 2024).

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة ببعد رأس المال البشري:

جدول رقم (7) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبعد رأس المال البشري

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الاهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تعمل المؤسسة التعليمية على الاحتفاظ بالإداريين والمعلمين من ذوي المهارات والمعارف المتنوعة. | 4.55 | 0.813 | 91% | مرتفعة جداً | 1 |
| 2 | تتناسب مؤهلات العاملين بالمؤسسة التعليمية مع الوظائف الموكلة لهم. | 4.32 | 0.829 | 86.4% | مرتفعة جداً | 6 |
| 3 | تحرص إدارة المؤسسة التعليمية على مشاركة الإداريين والمعلمين في دورات تدريبية لزيادة معارفهم والعمل بجودة عالية. | 4.14 | 0.916 | 82.8% | مرتفعة | 11 |
| 4 | يمتلك الإداريين والمعلمين القدرة على الابداع في العمل والقيام بحل المشاكل بشكل فعال. | 4.18 | 0.838 | 83.6% | مرتفعة | 10 |
| 5 | تشجع إدارة المؤسسة التعليمية الإداريين والمعلمين على الإبداع والتطوير بشكل مستمر. | 4.27 | 1.02 | 85.4% | مرتفعة جداً | 7 |
| 6 | يمتلك الإداريين والمعلمين العاملين بالمؤسسة التعليمية خبر طويلة في مجال عملهم. | 4.20 | 0.859 | 84% | مرتفعة جداً | 9 |
| 7 | تركز إدارة المؤسسة التعليمية على الاستفادة من ذوي الخبرات العلمية والفنية وتوليهم مكانة خاصة. | 4.35 | 0.866 | 87% | مرتفعة جداً | 3 |
| 8 | تساعد الخبرة التي يمتلكها الإداريين والمعلمين على حل مشاكل العمل بالمؤسسة التعليمية. | 4.32 | 0.966 | 86.4% | مرتفعة جداً | 5 |
| 9 | يتوفر لدى الإداريين والمعلمين القدرة على تحمل مسؤوليات أكبر في العمل. | 4.22 | 0.397 | 84.4% | مرتفعة جداً | 8 |
| 10 | تكرس إدارة المؤسسة التعليمية أساليب العمل الجماعي وروح الفريق. | 4.33 | 0.954 | 86.6% | مرتفعة جداً | 4 |
| 11 | تستفيد إدارة المؤسسة التعليمية من عمل أفرادها كفريق عمل واحد. | 4.36 | 0.915 | 87.2% | مرتفعة جداً | 2 |
| 12 | يشارك الأفراد بآرائهم في فرق العمل المشتركة. | 4.14 | 0.901 | 82.8% | مرتفعة | 12 |
| 13 | يتعلم الإداريين والمعلمين من بعضهم البعض في مجالات وظائفهم المختلفة. | 4.05 | 0.919 | 81% | مرتفعة | 13 |
| 14 | يطرح موظفي المؤسسة التعليمية والمعلمين آراء جديدة باستمرار ويناقشوها في الاجتماعات. | 4.04 | 0.818 | 80.8% | مرتفعة | 14 |
| | رأس المال البشري ككل | 4.25 | 0.728 | 85% | مرتفعة جداً | |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

نلاحظ من الجدول (7) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (4.04 – 4.55)، مما يدل على أن الإجابات كانت متقاربة وباتجاه الموافقة، كما نلاحظ أن أعلى وزن نسبي كان (91%) للفقرة (تعمل المؤسسة التعليمية على الاحتفاظ بالإداريين والمعلمين من ذوي المهارات والمعارف المتنوعة) بدرجة أهمية مرتفعة جداً، تليها الفقرة (تستفيد إدارة المؤسسة التعليمية من عمل أفرادها كفريق عمل واحد) بوزن نسبي (87.2%) بدرجة أهمية مرتفعة جداً، وهذا يدل على اهتمام مدراء المدارس الخاصة بالإبقاء على الموظفين الإداريين الذين يشكلون رأس مال بشري مهم وكذلك خلق بيئة تعاونية بين طاقم المؤسسة التعليمية، وجاء في الترتيب الأخير الفقرة (يطرح موظفي المؤسسة التعليمية والمعلمين آراء جديدة باستمرار ويناقشوها في الاجتماعات) بوزن نسبي (80.8%) وبدرجة أهمية مرتفعة، كما أن جميع فقرات بعد رأس المال البشري كانت ما بين درجة أهمية مرتفعة ومرتفعة جداً، وهذا يدل على اهتمام عينة الدراسة برأس المال البشري من مدراء ونواب مدراء وموظفين إداريين والعمل على تطوير وتنمية مهاراتهم بما يحقق ذلك للمؤسسة التعليمية من ميزة تنافسية في سوق العمل، وكان المتوسط الحسابي لبعد رأس المال البشري ككل (4.25) وبانحراف معياري (0.728) وزن نسبي (85%)، وهي قيمة مرتفعة جداً، وهذا يعني أن رأس المال البشري يحظى بأهمية واهتمام حسب وجهة نظر عينة الدراسة.

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة ببعد رأس المال العلائقي:

جدول رقم (8) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبعد رأس المال العلائقي

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الاهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تهتم إدارة المؤسسة التعليمية برضا وولاء أولياء الأمور والحفاظ على العلاقة طيبة معهم. | 4.31 | 0.964 | 86.2% | مرتفعة جداً | 2 |
| 2 | تهتم إدارة المؤسسة التعليمية بمعرفة آراء ومقترحات أولياء الأمور والإصغاء لهم وحل مشاكلهم. | 4.20 | 1.00 | 84% | مرتفعة جداً | 3 |
| 3 | لدى إدارة المؤسسة التعليمية قاعدة بيانات متكاملة حول أولياء الأمور وتعمل على تحديثها باستمرار. | 4.08 | 0.947 | 81.6% | مرتفعة | 5 |
| 4 | تدرس إدارة المؤسسة التعليمية باهتمام الشكاوى والمشاكل المتعلقة بأولياء الأمور والطلبة وتسعى لحلها. | 4.35 | 0.882 | 87% | مرتفعة جداً | 1 |
| 5 | تعمل إدارة المؤسسة التعليمية على خلق قيمة مضافة لها من خلال التحالفات مع مؤسسات تعليمية أخرى. | 3.83 | 0.993 | 76.6% | مرتفعة | 10 |
| 6 | تولي إدارة المؤسسة التعليمية اهتماما بدراسة تغيرات البيئة التنافسية لتبقى مواكبة لتطوراتها. | 4.12 | 0.920 | 82.4% | مرتفعة | 4 |
| 7 | لدى المؤسسة التعليمية قنوات اتصال منوعة مع ذوي المصالح. | 3.75 | 1.00 | 75% | مرتفعة | 11 |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 8 | يتم استشارة خبراء ومستشارين من خارج المؤسسة التعليمية عند اتخاذ القرارات الاستراتيجية. | 3.86 | 1.06 | 77.2% | مرتفعة | 9 |
| 9 | معظم أولياء الأمور راضون عن مخرجات المؤسسة التعليمية. | 4.04 | 1.01 | 80.8% | مرتفعة | 6 |
| 10 | تستخدم المؤسسة التعليمية أحدث وسائل وأنظمة المعلومات لتقديم خدمات متكاملة للطلاب وأولياء الأمور. | 4.04 | 0.851 | 80.8% | مرتفعة | 8 |
| 11 | يجتمع موظفو ومعلمو المؤسسة التعليمية باستمرار لتحديد رغباتهم وحاجاتهم. | 4.01 | 0.957 | 80.2% | مرتفعة | 7 |
| | رأس مال العلائقي ككل | 4.05 | 0.726 | 81% | مرتفعة | |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

نلاحظ من الجدول (8) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (3.75 – 4.35)، كما يتضح أن أعلى وزن نسبي كان للفقرة (تدرس إدارة المؤسسة التعليمية باهتمام الشكاوى والمشاكل المتعلقة بأولياء الأمور والطلبة وتسعى لحلها) بقيمة (87%) وهي قيمة تحظى بأهمية مرتفعة جداً، تليها الفقرة (تهتم إدارة المؤسسة التعليمية برضا وولاء أولياء الأمور والحفاظ على العلاقة طيبة معهم) بوزن نسبي (86.2%) بدرجة أهمية مرتفعة جداً، وجاء في المرتبة الأخيرة الفقرة (لدى المؤسسة التعليمية قنوات اتصال منوعة مع ذوي المصالح) بوزن نسبي (75%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وكان المتوسط الحسابي لبعد رأس مال العلائقي ككل (4.05) وبانحراف معياري (0.726) ووزن نسبي (81%) وهي قيمة مرتفعة، وهذا يعني أن رأس مال العلائقي له أهمية كبيرة ودور هام في تحقيق الميزة التنافسية حسب وجهة نظر عينة الدراسة.

- **نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة ببعد رأس المال الهيكلي:**

**جدول رقم (9) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبعد رأس المال الهيكلي**

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الاهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | لدى المؤسسة التعليمة برامج تدريبية لتهيئة البديل المناسب لكل موقع (إداري-تعليمي). | 4.01 | 0.943 | 80.2% | مرتفعة | 5 |
| 2 | لدى المؤسسة التعليمية نظام حوافز ومكافآت متطور ويركز على جودة الأداء. | 4.18 | 0.752 | 83.6% | مرتفعة | 2 |
| 3 | ثقافة المؤسسة التعليمية مريحة وبعيدة عن البيروقراطية. | 4.06 | 0.865 | 81.2% | مرتفعة | 4 |
| 4 | تخصص المؤسسة التعليمية ميزانية كافية ومناسبة للبحث العلمي والتطوير. | 3.77 | 0.958 | 75.4% | مرتفعة | 8 |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 5 | تتابع إدارة المؤسسة لتعليمية أخر التطورات العلمية في مجال التعليم حول العالم. | 3.98 | 0.928 | 79.6% | مرتفعة | 6 |
| 6 | تدعم إدارة المؤسسة التعليمية الأفكار الجديدة التي يمكن تسجيلها كبراءة اختراع سواء من طاقم العمل والمعلمين والطلبة. | 3.93 | 0.926 | 78.6% | مرتفعة | 7 |
| 7 | تحرص المؤسسة التعليمية على تزويد العاملين والمعلمين بكافة التجهيزات الخاصة واللازمة لأداء عملهم . | 4.16 | 0.860 | 83.2% | مرتفعة | 3 |
| 8 | تقوم إدارة المؤسسة التعليمية باستمرار بمراجعة العمليات الإدارية لتقليل الأخطاء في العمل. | 4.21 | 0.925 | 84.2% | مرتفعة جداً | 1 |
| | **رأس المال الهيكلي ككل** | 4.04 | 0.749 | 80.8% | **مرتفعة** | |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

يتضح من الجدول (9) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (3.77 – 4.21)، وحصلت الفقرة (تقوم إدارة المؤسسة التعليمية باستمرار بمراجعة العمليات الإدارية لتقليل الأخطاء في العمل) على أعلى وزن نسبي (84.2%) وهي قيمة تحظى بأهمية مرتفعة جداً، تليها الفقرة (لدى المؤسسة التعليمية نظام حوافز ومكافآت متطور ويركز على جودة الأداء) بوزن نسبي (83.78%) بدرجة أهمية مرتفعة، أما أقل وزن نسبي بلغ (75.4%) كان للفقرة (تخصص المؤسسة التعليمية ميزانية كافية ومناسبة للبحث العلمي والتطوير) بدرجة أهمية مرتفعة، وهذا يشير إلى ضرورة أن تقوم المؤسسات التعليمية بتخصيص المزيد من الإمكانيات المادية لأغراض البحث العلمي لتحقيق ميزة تنافسية في سوق العمل، كما أن المتوسط الحسابي لبعد رأس المال الهيكلي ككل بلغ قيمة (4.04) وبانحراف معياري (0.749) ووزن نسبي (80.8%)، وهي قيمة مرتفعة تشير إلى الأهمية التي يحظى بها الاهتمام برأس المال الهيكلي ودوره في تحقيق الميزة التنافسية حسب وجهة نظر عينة الدراسة.

- **نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة بمتغير الميزة التنافسية:**

**جدول رقم (10) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع أبعاد الميزة التنافسية (الجودة – الكفاءة – الإبداع)**

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الأهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | الجودة | 4.08 | 0.783 | 81.6% | مرتفعة | 1 |
| 2 | الكفاءة | 3.98 | 0.734 | 79.6% | مرتفعة | 3 |
| 3 | الإبداع | 4.00 | 0.781 | 80% | مرتفعة | 2 |
| | **الميزة التنافسية** | 4.02 | 0.766 | 80.4% | **مرتفعة** | |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

يتضح من الجدول (10) أن المتوسط الحسابي لمتغير الميزة التنافسية كان بقيمة (4.02) ووزن نسبي (80.4%) بدرجة أهمية مرتفعة، كما أن المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد الميزة التنافسية كانت متقاربة جداً، ويتبين أن بعد الجودة كان في المرتبة الأولى بدرجة أهمية مرتفعة ووزن نسبي (81.6%)، تليه بعد الإبداع بوزن نسبي (80%)، ثم جاء في المرتبة الأخيرة بعد الكفاءة بوزن نسبي (79.6%)، وهذا يشير إلى أن أفراد عينة الدراسة يؤيدون ضرورة تبني مفاهيم الجودة والكفاءة والإبداع في مؤسساتهم التعليمية لما لها من أهمية في تحقيق الميزة التنافسية لمؤسساتهم. وقد اتفقت هذه النتيجة من نتائج دراسات مثل دراسة ((Masadeh, 2021، دراسة (Taie, 2014)؛ ولكنها اختلفت مع نتيجة دراسة (Altarawneh, 2017).

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة ببعد الجودة:

**جدول رقم (11) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات بعد الجودة**

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الأهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تقدم المؤسسة التعليمية خدمات تعليمية عالية الجودة تلبي رغبات وتطلعات أولياء الأمور. | 4.04 | 0.957 | 80.8% | مرتفعة | 4 |
| 2 | يوجد نظام معتمد في المؤسسة التعليمية لاختيار منتسبيها. | 4.14 | 0.832 | 82.8% | مرتفعة | 1 |
| 3 | تقوم المؤسسة التعليمية بتقييم الجودة من أجل تحسينها باستمرار. | 4.09 | 0.893 | 81.8% | مرتفعة | 2 |
| 4 | تطور المؤسسة التعليمية خدماتها اعتماداً على المواصفات التعليمية ومعايير الجودة العالمية. | 4.07 | 0.881 | 81.4% | مرتفعة | 3 |
| | **بعد الجودة ككل** | 4.08 | 0.783 | 81.6% | **مرتفعة** | |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

نلاحظ من الجدول رقم (11) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (4.04 – 4.14)، وقد حصلت الفقرة (يوجد نظام معتمد في المؤسسة التعليمية لاختيار منتسبيها) على أعلى وزن نسبي بقيمة (82.8%) وهي قيمة تحظى بأهمية مرتفعة، تليها الفقرة (تقوم المؤسسة التعليمية بتقييم الجودة من أجل تحسينها باستمرار) بوزن نسبي (81.8%) وبدرجة أهمية مرتفعة، ثم الفقرة (تطور المؤسسة التعليمية خدماتها اعتماداً على المواصفات التعليمية ومعايير الجودة العالمية) بوزن نسبي (81.4%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة وبوزن نسبي (80.8%) جاءت الفقرة (تقدم المؤسسة التعليمية خدمات تعليمية عالية الجودة تلبي رغبات وتطلعات أولياء الأمور) وبدرجة أهمية مرتفعة، كما أن المتوسط الحسابي لبعد الجودة ككل بلغ قيمة (4.08) وبانحراف معياري (0.783) ووزن نسبي (81.6%)، وهي قيمة مرتفعة مما يشير إلى اهتمام وحرص عينة الدراسة بتقديم خدمات ذات جودة عالية لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق الميزة التنافسية لمؤسساتهم التعليمية.

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة بمتغير الكفاءة:

جدول رقم (12) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الكفاءة

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الأهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تسعى إدارة المؤسسة التعليمية إلى خفض التكاليف مع الاحتفاظ بالجودة. | 3.77 | 1.01 | 75.4% | مرتفعة | 4 |
| 2 | تعتمد المؤسسة التعليمية على نظم معلومات إدارية تزيد من التكامل والتنسيق بين الإدارات في تنفيذ أعمالها. | 4.08 | 0.789 | 81.6% | مرتفعة | 2 |
| 3 | تتميز إدارة المؤسسة التعليمية بقدرة عالية على الاستجابة لحاجات كافة المتعاملين معها. | 4.14 | 0.822 | 82.8% | مرتفعة | 1 |
| 4 | تتبنى إدارة المؤسسة التعليمية التكنولوجيا الحديثة في إنجاز عملياتها التعليمية والإدارية المختلفة. | 3.96 | 0.928 | 79.2% | مرتفعة | 3 |
| | بعد الكفاءة ككل | 3.98 | 0.734 | 79.6% | مرتفعة | |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

نلاحظ من الجدول رقم (12) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (3.77 – 4.14)، وتبين أن الفقرة التي حصلت على أعلى وزن نسبي هي (تتميز إدارة المؤسسة التعليمية بقدرة عالية على الاستجابة لحاجات كافة المتعاملين معها) بوزن نسبي (82.8%) وبدرجة أهمية مرتفعة، تليها جاءت الفقرة (تعتمد المؤسسة التعليمية على نظم معلومات إدارية تزيد من التكامل والتنسيق بين الإدارات في تنفيذ أعمالها) بوزن نسبي (81.6%) وبدرجة أهمية مرتفعة، ثم جاءت الفقرة (تتبنى إدارة المؤسسة التعليمية التكنولوجيا الحديثة في إنجاز عملياتها التعليمية والإدارية المختلفة) بوزن نسبي (79.2%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة وبوزن نسبي بلغ (75.4%) وبدرجة أهمية مرتفعة جاءت الفقرة (تسعى إدارة المؤسسة التعليمية إلى خفض التكاليف مع الاحتفاظ بالجودة)، كما أن المتوسط الحسابي لبعد الكفاءة ككل بلغ قيمة (3.98) وبانحراف معياري (0.734) ووزن نسبي (79.6%)، وهي قيمة مرتفعة تشير إلى اتجاه افراد عينة الدراسة إلى تأييد أهمية الكفاءة في أداء العمل في مؤسسات التعليم الحر والاعتماد عليها كميزة تنافسية بها تميزها عن المؤسسات التعليمية الأخرى.

- نتائج التحليل الإحصائي المتعلقة بمتغير الإبداع:

**جدول رقم (13) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات متغير الإبداع**

| ت | الفقرة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | درجة الأهمية | الترتيب |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تهتم إدارة المؤسسة التعليمية بأفكار وابداعات أفرادها ومقترحاتهم. | 4.16 | 0.891 | 83.2% | مرتفعة | 1 |
| 2 | تهتم إدارة المؤسسة التعليمية بمتطلبات السوق بغية التعرف على رغبات أولياء الأمور غير المشبعة. | 3.81 | 0.946 | 76.2% | مرتفعة | 4 |
| 3 | تنتهج إدارة المؤسسة التعليمية سياسة التجديد والإبداع في خدماتها وأساليب العمل كجزء أساسي من ثقافتها التنظيمية. | 3.98 | 0.928 | 79.6% | مرتفعة | 3 |
| 4 | أفراد المؤسسة التعليمية لهم القدرة على خلق أفكار إبداعية جديدة تعزز مكانتها في السوق. | 4.04 | 0.882 | 80.8% | مرتفعة | 2 |
| | بعد الإبداع ككل | 4.00 | 0.781 | 80% | مرتفعة | |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

نلاحظ من الجدول رقم (13) أن المتوسطات الحسابية كانت بين (3.81 – 4.16)، وقد حصلت الفقرة (تهتم إدارة المؤسسة التعليمية بأفكار وابداعات أفرادها ومقترحاتهم) على أعلى وزن نسبي (83.2%) وبدرجة أهمية مرتفعة، تليها جاءت الفقرة (أفراد المؤسسة التعليمية لهم القدرة على خلق أفكار إبداعية جديدة تعزز مكانتها في السوق) بوزن نسبي (80.8%) وبدرجة أهمية مرتفعة، ثم جاءت الفقرة (تنتهج إدارة المؤسسة التعليمية سياسة التجديد والإبداع في خدماتها وأساليب العمل كجزء أساسي من ثقافتها التنظيمية) بوزن نسبي (79.6%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وقد جاءت في المرتبة الأخيرة وبوزن نسبي (76.2%) الفقرة (تهتم إدارة المؤسسة التعليمية بمتطلبات السوق بغية التعرف على رغبات أولياء الأمور غير المشبعة) وبدرجة أهمية مرتفعة، كما أن المتوسط الحسابي لبعد الإبداع ككل بلغ قيمة (4.00) وبانحراف معياري (0.781) ووزن نسبي (80%)، وهي قيمة مرتفعة تشير إلى اتجاه أفراد عينة الدراسة على تأييد ودعم منتسبي مؤسساتهم التعليمية على الإبداع وتشجيعهم عليه وذلك لما له من أهمية في خلق الميزة التنافسية وذلك حسب وجهة نظر أفراد عينة الدراسة.

- اختبار فرضيات الدراسة:

**a. الفرضية الرئيسة الأولى: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين رأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، والعلائقي، والهيكلي) والميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.**

وللتحقق من هذه الفرضية تم استخدام معامل ارتباط بيرسون، والجدول الآتي يوضح نتيجة الاختبار:

جدول رقم (14): يوضح العلاقة بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية

| البيان | معمل الارتباط | قيمة Sig | مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|
| رأس المال الفكري | 0.462** | 0.001 | دالة عند 0.05 |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

يتضح من الجدول رقم (14) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.001) بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية، وهي أقل من مستوى الدلالة الذي تبنته الدراسة، وهو (0.05) حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (0.462) وهي علاقة طردية موجبة أي أن كلما زاد رأس المال الفكري كلما زادت الميزة التنافسية، وبالتالي يتم رفض الفرضية الرئيسة الأولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على:

«توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين رأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، والعلائقي، والهيكلي) والميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.»

وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات مثل دراسة (Almusaedi, 2023)، (أحمد وعبد القادر، 2019)، دراسة (Alserhan, 2017)، دراسة (لويزة ورابح، 2016)، دراسة (Taie, 2014).

**b. الفرضية الرئيسة الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية في المدارس الخاصة قيد الدراسة.**

جدول رقم (15) يوضح نتائج تحليل الانحدار المتعدد لمعرفة أثر أبعاد رأس المال الفكري مجتمعه على الميزة التنافسية

| أبعاد رأس المال الفكري | β | الخطأ المعياري | معاملات معيارية (Beta) | T | | F | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | قيمة (t) | Sig. t | قيمة (f) | Sig. f |
| الثابت | 25.393 | 4.892 | | 5.191 | 0.000 | 10.701 | 0.000b |
| رأس المال البشري | 0.222 | 0.237 | 0.279 | 1.406 | 0.164 | | |
| رأس المال العلائقي | -0.471 | 0.158 | -0.462 | -1.984 | 0.050 | | |
| رأس المال الهيكلي | 0.948 | 0.264 | 0.698 | 3.588 | 0.001 | | |
| معامل الارتباط (R) 0.561 | | | معامل التحديد ($R^2$) 0.314 | | | | |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

تُشير معطيات الجدول رقم (15) وجود علاقة ارتباط قوية وموجبة حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (R) (0.561) عند مستوى معنوية (0.000)، وأن قيمة معامل التحديد ($R^2$) بلغت (0.314)، أي أن ما نسبته 31.4% من التباين في الميزة التنافسية يمكن تفسيره من خلال أبعاد رأس المال الفكري، وأما النسبة المتبقية فتفسرها عوامل أخرى لم تدخل في هذا النموذج. ويدعم ذلك معنوية هذا التأثير قيمة F البالغة (10.701) عند مستوى معنوية ((0.000b، وذلك كما بينتها نتائج تحليل الأبعاد مجتمعة، ومنه فإن الفرضية الرئيسية الثانية غير

محققة. مما يؤدي إلى رفضها وقبول الفرضية البديلة التي تنص على:

«يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الفكري بأبعاده (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية في المدارس الخاصة قيد الدراسة».

وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات مثل دراسة (Almusaedi, 2023)، دراسة (Abuhashish & Almahirah, 2022)، دراسة (بن موهوب وآخرون، 2021)، دراسة (Masadeh, 2021)، دراسة (Altarawneh, 2017)؛ ولكنها اختلفت مع نتيجة دراسة (Al-Mahdawi & Dendougui, 2024).

وللتعرف على تأثير أبعاد رأس المال الفكري على الميزة التنافسية في المدارس محل الدراسة على أساس كل بُعد منفرداً، استخدمت الدراسة تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة عن الفرضية الرئيسة الثانية وذلك على النحو التالي:

- **الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.**

**جدول رقم (16) يوضح تحليل اختبار الانحدار البسيط لمعرفة أثر رأس المال البشري على الميزة التنافسية**

| البعد | معاملات معيارية (Beta) | T | | F | | معامل الارتباط (R) | معامل التحديد ($R^2$) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | قيمة (t) | Sig. t | قيمة (f) | Sig. f | | |
| رأس المال البشري | 0.434 | 4.087 | 0.000 | 16.707 | 000[b]0. | 0.434 | 0.188 |

**المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.**

يتضح من نتائج الجدول رقم (16) وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعد رأس المال البشري على الميزة التنافسية، حيث بلغت قيمة T المحسوبة (4.087) بمستوى دلالة (0.000)، كما بلغ معامل الارتباط (R) بلغ (0.434) عند مستوى معنوية (0.001)، أما معامل التحديد ($R_2$) فقد بلغ (0.188) أي أن ما نسبته 18.8% من التباين في الميزة التنافسية يمكن تفسيره من خلال بعد رأس المال البشري بالمدارس محل الدراسة، وقد أكدت قيمة F المحسوبة معنوية هذا التأثير إذا بلغت قيمتها (16.707) عند مستوى معنوية (000b0.)، وهذا الأمر يستلزم رفض الفرضية الفرعية الأولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على:

«يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال البشري في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة».

- **الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال العلائقي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.**

جدول رقم (17) يوضح تحليل اختبار الانحدار البسيط لمعرفة أثر رأس المال العلائقي على الميزة التنافسية

| البعد | معاملات معيارية (Beta) | T | | F | | معامل الارتباط (R) | معامل التحديد ($R^2$) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | قيمة(t) | Sig. t | قيمة(f) | Sig. f | | |
| رأس المال العلائقي | 0.374 | 3.417 | 0.001 | 11.676 | 001[b]0. | 0.374 | 0.140 |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

يتضح من نتائج الجدول رقم (17) وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعد رأس المال العلائقي على الميزة التنافسية، حيث بلغت قيمة T المحسوبة (3.417) بمستوى دلالة (0.001)، كما بلغ معامل الارتباط (R) بلغ (0.374) عند مستوى معنوية (0.001)، أما معامل التحديد ($R_2$) فقد بلغ (0.140) أي أن ما نسبته 14% من التباين في الميزة التنافسية يمكن تفسيره من خلال بعد رأس المال العلائقي بالمدارس محل الدراسة، وقد أكدت قيمة F المحسوبة معنوية هذا التأثير إذا بلغت قيمتها (11.676) عند مستوى معنوية (001b0.)، وهذا الأمر يستلزم رفض الفرضية الفرعية الثانية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على:

«يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال العلائقي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة».

- الفرضية الفرعية الثالثة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة.

جدول رقم (18) يوضح تحليل اختبار الانحدار البسيط لمعرفة أثر رأس المال الهيكلي على الميزة التنافسية

| البعد | معاملات معيارية (Beta) | T | | F | | معامل الارتباط (R) | معامل التحديد ($R^2$) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | قيمة(t) | Sig. t | قيمة(f) | Sig. f | | |
| رأس المال الهيكلي | 0.524 | 5.225 | 0.000 | 27.296 | 000[b]0. | 0.524 | 0.275 |

المصدر: تم إعدادها استناداً إلى نتائج التحليل الإحصائي للدراسة.

يتضح من نتائج الجدول رقم (18) وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعد رأس المال البشري على الميزة التنافسية، حيث بلغت قيمة T المحسوبة (5.225) بمستوى دلالة (0.000)، كما بلغ معامل الارتباط (R) بلغ (0.524) عند مستوى معنوية (0.001)، أما معامل التحديد ($R_2$) فقد بلغ (0.275) أي أن ما نسبته 27.5% من التباين في الميزة التنافسية يمكن تفسيره من خلال بعد رأس المال الهيكلي بالمدارس محل الدراسة، وقد أكدت قيمة F المحسوبة معنوية هذا التأثير إذا بلغت قيمتها (27.296) عند مستوى معنوية (000b0.)، وهذا الأمر يستلزم رفض الفرضية الفرعية الثالثة وقبول الفرضية البديلة التي تنص على:

«يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لرأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية بالمدارس الخاصة قيد الدراسة».

## 7. النتائج والتوصيات:

- **نتائج الدراسة:**

**يمكن تلخيص ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فيما يأتي:**

- **أشارت النتائج إلى أن مستوى الاهتمام برأس المال الفكري بشكل عام لدى المؤسسات التعليمية الخاصة محل الدراسة كان ذو درجة أهمية مرتفعة، وبمتوسط حسابي عام (4.11) وانحراف معياري (0.734) ووزن نسبي (82.2%)، مما يدل ذلك إلى تمتع المؤسسات محل الدراسة بمستوى عالٍ من الاهتمام برأس المال الفكري لديها.**
- **بينت النتائج التحليل الإحصائي أن اتجاهات عينة الدراسة نحو أبعاد رأس المال الفكري الثلاث كانت إيجابية، حيث جاء بعد رأس المال البشري في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي عام (4.25) وانحراف معياري (0.728) ووزن نسبي (85%) وبدرجة أهمية مرتفعة جداً، تليه في الترتيب بعد رأس المال العلائقي بمتوسط حسابي عام (4.05) وانحراف معياري (0.726) ووزن نسبي (81%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وجاء في المرتبة الثالثة بعد رأس المال الهيكلي بمتوسط حسابي عام (4.04) وانحراف معياري (0.749) ووزن نسبي (80.8%) وبدرجة أهمية مرتفعة.**
- **أظهرت النتائج أن المؤسسات التعليمة الخاصة عينة الدراسة ترى أن مستوى الاهتمام بتطبيق الميزة التنافسية بشكل عام كان مرتفع وذلك بمتوسط حسابي بلغ (4.02) وانحراف معياري (0.766) وبوزن نسبي (80.4%)، مما يدل ذلك إلى وعي المؤسسات التعليمية محل الدراسة بأهمية وفكرة خلق الميزة التنافسية في أعمالها لتميزها عن غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى.**
- **بينت النتائج التحليل الإحصائي أن اتجاهات عينة الدراسة نحو تبني أبعاد الميزة التنافسية الثلاث كانت إيجابية، حيث جاء بعد الجودة في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي عام (4.08) وانحراف معياري (0.783) ووزن نسبي (81.6%) وبدرجة أهمية مرتفعة، تليه في الترتيب بعد الإبداع بمتوسط حسابي عام (4.00) وانحراف معياري (0.781) ووزن نسبي (80%) وبدرجة أهمية مرتفعة، وجاء في المرتبة الثالثة بعد الكفاءة بمتوسط حسابي عام (3.98) وانحراف معياري (0.734) ووزن نسبي (79.6%) وبدرجة أهمية مرتفعة.**
- **بينت نتائج الدراسة نفي الفرضية الرئيسة الأولى، وذلك اتضح من خلال استخدام معامل ارتباط بيرسون وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.001) بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية في المؤسسات التعليمية الخاصة محل الدراسة، حيث بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون (0.462).**
- **تبين من خلال نتائج الدراسة نفي الفرضية الرئيسة الثانية والفرضيات الفرعية الثلاث المتفرعة عنها، حيث اتضح من خلال استخدام أسلوب الانحدار البسيط والمتعدد وجود أثر إيجابي ذو لالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) لجميع أبعاد رأس المال الفكري (رأس المال البشري، العلائقي، الهيكلي) في تحقيق الميزة التنافسية بالمؤسسات التعليمية محل الدراسة.**

- **توصيات الدراسة:**

**من خلال النتائج التي تم التوصل إليها تم تقديم بعض التوصيات التي يمكن أن تسهم**

في تنمية وتطوير رأس المال الفكري في المؤسسات التعليمية محل الدراسة، وذلك على النحو التالي:

- ضرورة إدراك المؤسسات التعليمية لأهمية مورد رأس المال الفكري لغرض تنميته وإدارته بالشكل الصحيح واستخدامه لتحقيق مزايا تنافسية مستدامة.
- ضرورة التعامل مع رأس المال الفكري باعتباره أهم مورد استراتيجي تمتلكه المؤسسة، والمحافظة عليه باستمراره لأنه العنصر الفعال في نجاح المؤسسة، خاصة في ظل التطور التكنولوجي الهائل الذي تعرفه بيئة الأعمال.
- إعطاء أهمية كبيرة لمكونات رأس المال الفكري، ومنها رأس المال العلائقي من خلال تحسين العلاقات مع العملاء، ورأس المال البشري من خلال التدريب والتعليم المستمر، ورأس المال الهيكلي من خلال تحديث الهياكل التنظيمية والكفاءات.
- ضرورة التركيز على عملية خلق رأس المال الفكري من خلال إتاحة الفرصة للأفراد ذو الخبرة للتعبير عن آرائهم ومقترحاتهم حول تطوير وتحسين إجراءات العمل، وخلق بيئة إبداعية.
- ضرورة إعطاء أهمية كبيرة لتلبية احتياجات العملاء وسرعة الاستجابة لها.
- يجب على المؤسسات التعليمية تشجيع الإبداع والابتكار من خلال تجريب الأفكار المبتكرة التي يقدمها موظفيها ووضعها قيد التنفيذ.

- **دراسات مستقبلية:**

- يمكن إجراء دراسة مماثلة مع المقارنة بين القطاع العام والقطاع الخاص لتحقيق قدر أكبر من التنوع والدراسة المقارنة.
- يمكن إجراء دراسة حول أثر أنماط القيادة على كفاءة رأس المال الفكري في المؤسسة الاقتصادية.

## قائمة المراجع:

### أولاً: المراجع العربية:


1. أحمد، بلاوي وعبد القادر، مسعودي. (2019). دور رأس المال الفكري في تعزيز الميزة التنافسية دراسة حالة بنك الفلاحة والتنمية الريف -أدرار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر.
2. بن موهوب، سارة وتي، أحمد ومعول، ليله. (2021). أثر الاستثمار في رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية دراسة ميدانية بشركة موبيليس وكالة الوادي. المجلة الجزائية للتنمية الاقتصادية. المجلد:8، العدد 2، ص ص 281-296.
3. جودة، محفوظ. (2008)، التحليل الإحصائي باستخدام SPSS، دار وائل للنشر، عمان: الأردن.
4. رليد، عبد الكريم والعثماني، مصطفى. (2020)، رأس المال الفكري كآلية لتحسين جودة الخدمة التعليمية بمؤسسات التعليم العالي بالجزائر: دراسة حالة المركز الجامعي مرسلي عبد الله بتيبازة- مجلة دراسات العدد الاقتصادي، مج. 11، ع. 2، ص ص. 143-159.
5. الزبيدي، غني دحام تناي وأحمد، عبد محمود وحسين، وليد حسين. (2017) تحليل أبعاد رأس المال الفكري في المؤسسات التعليمية باستخدام تقنية (SWOT). مجلة جامعة بابل:

العلوم الصرفة والتطبيقية. مج. 25، ع. 1، ص ص. 215-238.

6. عايض، عبداللطيف مصلح وهادي، أحمد جابر. (2019) تأثير رأس المال الفكري على تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، المجلة الآداب العلمية، 12، (5)، (5)، 44-66.

7. عبدالرزاق، نور قصي. (2020). دور رأس المال الفكري في تحقيق الابداع التقني: (دراسة ميدانيه في شركة اسيا سيل للاتصالات النقال). المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، (16)، 97-116.

8. عبيدات، ذوقان وعدس، عبد الرحمن وعبدالحق، كايد. (2013) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه. دار الفكر الأردن.

9. عطا الله، بهجت صبري مصطفي (2017). دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للصناعة المالية الإسلامية: دراسة حالة البنوك الإسلامية في قطاع غزة. (أطروحة ماجستير). الجامعة الإسلامية، فلسطين (قطاع غزة).

10. قشقش، خالد أحمد. (2014) إدارة رأس المال الفكري وعلاقته في تعزيز الميزة التنافسية. رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

11. لويزة، فرحاتي ورابح، خوني. (2016). دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل اقتصاد المعرفة: دراسة حالة شركة الاسمنت عين التوتة -باتنة- رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

12. يوسف، محمد أحمد محمد. (2022). أثر الإبداع الإداري في إدارة التغيير التنظيمي بالمؤسسات-دراسة تطبيقية على وزارة المالية والاقتصاد والاستثمار ولاية الخرطوم-. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، 6(10)، ص ص 35-55.

**ثانياً: المراجع الأجنبية:**

1. Abuhashish, O. S., & Almahirah, M. S. Z. (2022). The Impact of Intellectual Capital on Achieving Competitive Advantage: A Case Study on Pharma International Company in Jordan. Journal of Positive School Psychology, 28792888-.

2. Al-Mahdawi, K. H., Dendougui. S. (2024). The Role of Intellectual capital in achieving competitive advantage Field study at AL-Hassan Industrial City in the Hashemite Kingdom of Jordan. Remittances Review, 9 (1).

3. Almusaedi, H. M. F. (2023). The Role of Intellectual Capital in Achieving Competitive Advantage (An Exploratory Study of The Opinions of a Sample of Workers in The Maysan Oil Company). American Journal of Business Management, Economics and Banking, 9, 44–53.

4. Alserhan, H. F. (2017). The role of intellectual capital in achieving a competitive advantage: A field study on Jordanian Private Universities in the Northern Region. International Journal of Academic Research in Economics and Management Sciences, 6(2), 3342-.

5. Altarawneh, I. (2017). Effect of intellectual capital on competitive advantage in the Jordanian pharmaceutical companies. European Journal of Business

and Management, 9 (5), 3953-.

6. Bouzidi, A & Delilah, b. (2021) The impact of intellectual capital on the application of total quality in economic institutions, Algeria.
7. Hamel, Gary & Heene, Aimé. (1994). The Concept of Core Competence-Based Competition. John Wiley: Chichester et al., pp. 1133-.
8. Hill, C. W. & Jones, G. R. (2010). Strategic Management of an Integrated Approach, 9thed., South-Western Cengage Learning, Mason, USA, pp. 7477-.
9. Hunter, L.; Webster, E. & Wyatt, A. (2005). "Measuring Intangible Capital: A Review of Current Practice", Intellectual Property Research Institute of Australia, Vol. 16, No. 4, pp.146-.
10. Krejcie، R.& Morgan، D. (1970). Determining Sample Size for research Activities، Educational and Psychological Measurement610-30:607 ،.
11. Masadeh, M. (2021). The Effect of Intellectual Capital on Achieving the Competitive Advantage of Jordanian Pharmaceutical Companies: A Case Study of Dar Al-Dawa Company. International Journal of Innovation, Creativity and Change, 15(1), 130150-.
12. Model, A. & Ghosh, S. K. (2012). "Intellectual Capital Efficiency and Firms Performance: Study on Malaysian Financial Sectors", International Journal of Economics and Finance, 1 (2), 206212-.
13. Rahim, A. (2023) Intellectual Capital and Its Impact on Achieving Competitive Advantage Between Companies – Field Study in the Iraq Green Ranches Company. International Journal of Studies in Business Management, Economics and Strategies. Volume 02, Issue 09, Sep. pp 173192-.
14. Stewart, T.A. (1997) Intellectual Capital: The New Wealth of Organizations. Doubleday/Currency, New York.
15. Taie, E. S. (2014). The effect of intellectual capital management on organizational competitive advantage in Egyptian hospitals. International Journal of Business and Social Science, 5(2).
16. Ting, I. W. K., Lean, H. H. (2009). Intellectual capital performance of financial institutions in Malaysia. Journal of Intellectual capital.588599-.

# Water supply systems in Cyrenaica during the Greek and Roman periods: Cyrene in context[1]

Dr: Mohamed Omar M Abdrbba

# أنظمة إمدادات المياه في اقليم قورينائية خلال الفترتين اليونانية والرومانية: مدينة قورينى في السياق

إعداد: د. محمد عمر عبدربه

ترجمة

د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم

أستاذ مشارك- قسم الآثار - كلية الآداب / جامعة عمر المختار

الاستلام: 15.4.2024 القبول: 21.5.2024

**المستخلص:**

تبحث هذه المقالة في أنظمة إمدادات المياه في قورينائية **Cyrenaica** خلال الفترتين اليونانية والرومانية. بدءًا ببعض المعلومات العامة عن أنظمة إمدادات المياه في مدن قورينائية الأخرى، حيث يتم وصف القنوات وصهاريج المياه التي قام الباحث بإجراء دراسة مسحيه حولها في قورينى (CAS) خلال عامي 2015 و2017. وتشرح المقالة كيف تم حفظ وايصال المياه إلى قورينى في العصور القديمة، كما يشمل البحث احاطة موسعة عن كيفية توزيع المياه داخل قورينى في العصر اليوناني ويتبع تطورها إلى العصر الروماني.

**أنظمة إمدادات المياه في قورينائية اليونانية الرومانية:**

خلال الفترة اليونانية، اعتمدت مدن إقليم قورينائية بشكل رئيسي من الينابيع الطبيعية والأمطار لتوفير حاجتها من المياه، خاصة خلال فصل الشتاء (Gregory 1916، 334). ويتم نقلها من الينابيع عبر قنوات مبنية أو منحوتة في الصخر لتغذي أماكن ومباني مختلفة داخل المدن. وهذا ما يفسر سبب تأسيس العديد من المدن بجوار موارد المياه الطبيعية أو بالقرب منها. على سبيل المثال، مدينة قورينى تعتمد على نبع أبولو (عين شحات) هي واحدة من الينابيع الرئيسية في إقليم قورينائية، حيث شكل مصدرا حيويًا بشكل خاص في حرم أبولو.

وباستثناء الينابيع الطبيعية لم يكن في اقليم قورينائية مصادر دائمة للمياه حيث لا توجد انهار، ومن المرجح أن إمدادات المياه في العصور القديمة كانت شحيحة وتعتمد إلى حد كبير على هطول الأمطار (Goodchild 1968b، 23). لذلك يمكن القول ان في قورينائية خلال الفترة اليونانية، كان يتم تجميع المياه وادارتها في المقام الأول لتلبية الاحتياجات الأساسية وهي: إمدادات جيدة ومنتظمة لمياه الشرب؛ وتغطية الاحتجاجات اللازمة لأنشطة التصنيع مثل إنتاج الفخار وزيت الزيتون والنبيذ ؛ ولبعض الشعائر الدينية.

(1) Libyan Studies 50 (2019), pp 99–105 ،The Society for Libyan Studies doi:10.1017/lis.2019.14

ولقد حظي نظام إمدادات المياه في قورينائية بالكثير من الاهتمام في عهد الإمبراطورية الرومانية (Gregory 1916، 322). ولقد تم إجراء العديد من الدراسات حول هذا الموضوع، لا سيما على قنوات برنيق Berenice، وهادريانوبوليس Hadrianopolis و بطوليمايس Ptolemais (Lloyd and Lewis 1977، 36; Jones and Little 1971b; Arthur 1973; Fadel 1997). فعلى سبيل المثال، في برنيق، كانت هناك قناة مائية ربما يعود تاريخها إلى الفترة الأوغسطانية وكانت تتكون من قناة ملاط مركزية ذات شكل حرف U مسطح محمولة بين جدارين متوازيين من الكتل المحفورة تقريبًا. كانت الأبعاد القصوى المحفوظة للقناة 20 × 20 سم، وكان معدل تفريغها اليومي 3،136،802 لترًا عند التدفق الكامل.

ربما تم إنشاء قناة هادريانوبوليس لخدمة هذه المدينة التي أسست حديثا. وهذه القناة كانت أصغر من قناة برنيق، بأبعاد 12 × 12 سم، على الرغم من أن كلاهما كانا متشابهين في البنية (Jones and Little 1971b، 53–9). اما بالنسبة كانت لبطوليمايس فالقناة فها كانت هي الأكبر من بين الثلاثة، بأبعاد قصوى للقناة تبلغ 35 × 40 سم. ومع ذلك، فإن تاريخ بنائه غير معروف بالضبط، على الرغم من أن الخزان الكبير الذي تصل إليه يعود إلى الفترة الرومانية المبكرة (Arthur 1973، 7–8; Lloyd and Lewis 1977، 36). بالإضافة إلى القنوات، اشارت بعض الدراسات والاستكشافات التي أجريت في برنيق وبطوليمايس لمنازل رومانية Roman townhouses تحتوي على صهريج - منحوت في الصخر- واحد على الأقل للمنازل الصغيرة، وأحيانًا اثنين في المنازل الكبيرة، تستخدم لجمع مياه الأمطار من الأسطح والساحات (Lloyd and Lewis 1977، 38; Ward-Perkins et al. 1986، 118).

## قنوات المياه وصهاريج المياه في قورينى وضواحيها:

### القنوات Aqueducts:

إلى الجنوب الشرقي من مدينة مركز مدينة قورينى توجد بقايا قناة رومانية مدمرة. والتي تمتد من جهة الجنوبية للمدينة وتحمل المياه إلى خزانات المدينة الضخمة قادمة من عدد من الصهاريج في المنطقة المعروفة باسم الصفصاف لمسافة تقدر بحوالي 9 كم جنوب شرق قورينى. يبلغ طول صهاريج صفصاف 350 مترًا وارتفاعها 5 أمتار وعرضها 5.50 مترًا، مع وجود فتحات في اعلاها للتهوية (الشكلان 1 و2). هذه الصهاريج تتسع الي أكثر من 10000 متر مكعب من الماء (فضل ،190،1997)، وكان يوفر حوالي 4.5 لتر يوميًا لمدة ثلاثة أشهر لـ 15000 شخص كما يقول Gregory (1916، 327). ولكن استوكي Stucchi يعتقد (1975، 484–5) بأن خزانات صفصاف ربما كانت تستخدم فقط لري وتزويد المنطقة المحيطة بالصفصاف نفسها، وليس لتوفير المياه لخزانات قورينى، الا ان فضل (1997، 190) شكك في رأي استوكي باستخدام مجموعة متنوعة من الأدلة، وذكر أن معظم المياه التي تجمعها هذه الصهاريج جاءت من منطقة تعرف باسم اكابيس Agabis (الآن القيقب)، وتقع على بعد حوالي 20 كم إلى الجنوب الشرقي من قورينى (الشكل 3 )؛ وأضاف أن هذه المنطقة ومحيطها تحتوي على موارد مائية مهمة، وأنه تم اختيارها لتزويد قورينى بسبب ارتفاع كمية المياه المتاحة من تجميعات المياه المجاورة، وخاصة خلال الشتاء.

**الشكل 1. صهاريج الصفصاف المعروفة (المؤلف).**

**الشكل 2. منظر عام لخزانات الصفصاف باتجاه الشمال الغربي (المؤلف).**

**الشكل 3. خريطة توضح موقع الصفصاف وأكابيس وبعض المواقع الأخرى حول قورينا (المؤلف).**

ساعدت المنحدرات الطبيعية في هذه المناطق على جمع المياه في خزانات صفصاف. تم نقل المياه من هذه الخزانات ومن عدد من الصهاريج التي تم حفرها في تل الحجر الجيري عن طريق القناة إلى مجمع صهاريج مماثل في قورينى، والتي تزود المدينة بعد ذلك، لا يزال من الممكن تتبع بقايا هذه القناة، التي تم قطعها إلى الصخور، في عدة أماكن في المنطقة الواقعة بين هذه الخزانات (الشكل 4)، في حين تم تدمير العديد من أجزاء القناة و/أو دفنها تحت المباني الحديثة، ولقد ساعد الموقع المرتفع لاكابيس وامكانية التدفق من الصفصاف على تدفق المياه إلى قورينى بواسطة الجاذبية.

**خزانات المياه:**

يمكن تصنيف صهاريج في إقليم قورنيائية إلى ثلاثة أنواع رئيسية. الأول عبارة عن مجموعة من الخزانات الرئيسية العامة ذات الأسطح المقنطرة (برميلي)، مثل صهاريج الصفصاف، ومن الأمثلة البارزة من هذا النوع في قورينى توجد الصهاريج الكبيرة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة. حيث تم بناء سبعة صهاريج مستطيلة في هذه المنطقة. تقع ستة منها بجانب بعضها البعض في محاذاة الشرق والغرب و واحد في يتجه من الشمال والجنوب ( Rekowska 2016، 132–33)، على الرغم من أنه لا يمكن رؤية سوى اثنتين منها بوضوح اليوم، وكلاهما مع أسطح مقنطرة براميلي (الشكل 5). لا تظهر الصهاريج الأخرى إلا من خلال أسس جدرانها (الشكل 6). تكشف الأجزاء الحالية من هذه الصهاريج البرملية وآثار الأجزاء المدمرة أن اطوال كل صهريج من الصهاريج السبعة كان حوالي 65.50 مترًا وعرض 7.20 م.

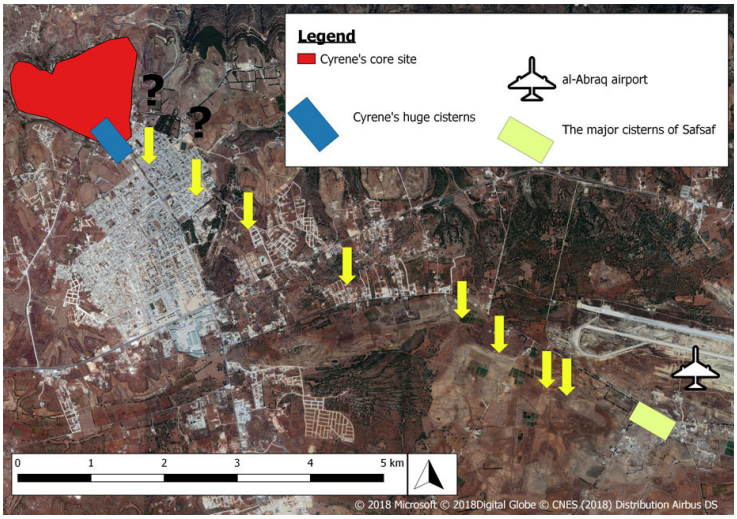


الشكل 4. مجرى القناة بين صهاريج الصفصاف والقيروان (المؤلف).

الشكل 5. منظر للخزانين الضخمين جنوب غرب قورينى، باتجاه الجنوب (المؤلف).

**الشكل 6. سبعة صهاريج كبيرة والمجمع الضخم جنوب شرق قورينى (المؤلف).**

تشير التقديرات إلى أن سعة هذه الصهاريج تبلغ 6.8 مليون لتر، وتوفر ما يقرب من 45.47 لترًا للفرد يوميًا لمدة ثلاثة أشهر إلى 18000 شخص (Gregory 1916, 327; Stucchi 1975, 484). ومع ذلك، لا يمكن تقدير كمية المياه المستخدمة لكل شخص بشكل دقيق، ولا يمكن اعتماد سعة القناة المائية لحساب تعداد سكان أي مدينة رومانية (Lloyd and Lewis 1977, 39; Duncan-Jones 1978, 51).

كانت هذه الصهاريج جزءًا من مجمع ضخم محاط بجدران. كان هذا المجمع شبه منحرف في مخططه وقياس جوانبه العرض: 120 م؛ E: 108 ؛ S: 175 م ؛ N: 180 م (الشكل 6). يبدو أن تخطيطه املته طبيعة الأرض والحاجة إلى تكييف هذا الهيكل مع أسوار المدينة، التي بنيت في القرن الثالث قبل الميلاد (Rekowska 2016, 133; Stucchi 1975, 137). يشير موقع هذا المجمع الضخم خارج أسوار المدينة إلى أنه كان عبارة عن ساحة للقوافل، حيث يمكن للتجار الزائرين أن يقيموا فيه بقوافلهم ويتجمعوا فيه قبل دخول البوابة الرئيسية للمدينة (Rekowska 2016, 133; Kenrick 2013, 153).

النوع الرئيسي الثاني من الخزانات الموجودة في قورينى هو نوع المنحوت في الصخر بدون شكل محدد يمكن تقسيمه إلى مجموعتين فرعيتين، غالبًا ما تم قطع المجموعة الفرعية الأولى عند مصب الوادي، وكان لها أسطح مسطحة مدعومة بأعمدة صخرية، وجدران داخلية مكسوة بطبقة من المواد المقاومة للماء (الشكل 7). عادة ما تكون هذه الصهاريج بعمق 3.50 × 2.80 م و 3.10 م، وعلى الرغم من أنها غير مرتبطة بالمباني العامة أو المنازل الخاصة إلا أنها تنتشر عبر الضواحي بشكل غير منتظم.

تتضمن المجموعة الفرعية الثانية من النوع الثاني صهاريج تحت الأرض ذات فتحات ضيقة نسبيًا، ربما تهدف إلى تقليل تبخر الماء (الشكل 8)، بحيث يتم حفر الصهاريج من هذا النوع إما في الوديان أو المنحدرات لجمع وتخزين مياه الأمطار، ارتبط بعضها بمباني مختلفة مثل المنازل الخاصة والقصور والمزارع المحصنة والكنائس لجمع المياه من أسطحها وساحاتها، كانت هذه الصهاريج عادة 3.50 × 1.80 م و 2.50 م في العمق، ومعظمها في الواقع لا يزال يستخدم من

قبل ملاك الأراضي الان لذات الغرض. النوع الثالث وهو في المساحات المفتوحة، ويكون لها عمق في الأرض ومستطيل الشكل بشكل عام (Cherstich 2009, 225). يعد الصهريج الموجود خلال مسح CAS [الذي قام الباحث بتوثيقه] في المنطقة المعروفة باسم الكتيبة مثالًا جيدًا على الصهريج المفتوح، أو النوع الرئيسي الثالث من الصهاريج (الشكل 9). وقياس هذا الصهريج 5.50 × 4.80 م وبعمق 3.00 م. كانت الجوانب الداخلية الأربعة لهذا الخزان عبارة عن طبقات مبنية من الألواح الحجرية مغطاة بطبقة سميكة من المواد المقاومة للماء. كما تم تنظيم الحدود الخارجية له، من خلال مسار واحد على الأقل من البلاطات، تم قطع عدة دراجات في الجنوب الغربي، وربما تم استخدامها لفحصه وتنظيفه، يبدو أن هذا النوع من الخزانات مرتبط بعدة أنواع مختلفة من المباني الخاصة والعامة، بما في ذلك المنازل والقصور أو المباني المحصنة والكنائس.

كانت صهاريج المياه هذه مفيدة بشكل خاص خلال فترة هطول الأمطار الغزيرة في فصل الشتاء، لجمع المياه من الوديان والينابيع، وكذلك من أسطح المباني المختلفة (Gregory 1916، 327). إذا تم تخزين كميات الهطول الشتوية، حيث يمكن استخدامها في الصيف، ولكن الكمية الإجمالية للمياه من جميع هذه الموارد لم تكن على الأرجح كافية لتوفير احتياجات الري بشكل واسع.

الشكل 7. منظر للنوع الأول من الصهريج المنحوت في الصخر، باتجاه الشمال (المؤلف).

المناقشة:

توزيع المياه في قورينى في الفترة اليونانية:

تم توصيل المياه بشكل أساسي إلى مدينة قورينى عبر القنوات المائية، والتي كانت وظيفتها هي دعم النوافير والحمامات العامة بالإضافة إلى توفير مياه الشرب. كما تم توفير المياه عن طريق الصهاريج والآبار في العديد من الأماكن في جميع أنحاء المدينة (الشكل 10). تم تزويد بعض المباني العامة بالمياه مباشرة من الينابيع الطبيعية، مثل نبع أبولو؛ حيث وفر المياه لمعظم المباني الواقعة داخل الحرم ابولو عن طريق القناة المحفورة في الصخر. وعلى

الرغم من وجود نبع أبولو والذي كان ميزة لقورينى، ولكن موقعه أسفل الجرف كان عيبًا، حيث لم يوفر المياه سوى مساحة محدودة، ولم يكن من الممكن نقل مياهه عبر القنوات إلى المناطق العليا من المدينة، كما أنها لم تكن وفيرة بما يكفي لتلبية احتياجات الأنشطة الكبيرة، مثل الزارعة وتربية الماشية. اعتمدت قورينى، خاصة في العصر اليوناني، بشكل أساسي على الينابيع الطبيعية القريبة. كانت مياه الأمطار مهمة أيضًا، حيث يتم تخزينها في صهاريج وأحواض مقطوعة فيأرض العديد من المباني. بالإضافة إلى نبع أبولو إلى الشمال من قورينى، يذكر ويلد بلونديل Weld-Blundell (1896, 127–7) أنه مصدر المياه الوحيدة في الحي كانت أربعة ينابيع: عين ليبويدا Lebueda ,، وعين بلغدير Bilghadir,، وعين القارة al Agara,، وعين اللجرين el Legrain. ويضيف أن هذه الينابيع الأربعة تقع تقريبًا إلى الشمال الغربي والجنوب الغربي من التل الغربي، وكانت تستخدم لتوفير المياه للقنوات والنوافير. ومع ذلك، كانت هذه الينابيع أيضًا أضعف من أن تلبي احتياجات الزراعة وتربية الماشية.

**إمدادات المياه الرومانية في قورينى:**

أوضح فيتروفيوس Vitruvius (1960, 3–1 .viii. 6) كيفية توزيع المياه عبر نظام القنوات المائية، حيث قال: أنه بمجرد وصول المياه إلى البلدة، يتم نقلها من الخزان المركزي بواسطة الأنابيب لتزويد ثلاثة أجزاء رئيسية من المدينة: الأحواض والنوافير والحمامات العامة والمنازل الخاصة. ومع ذلك، لم يتم العثور على دليل واضح يؤكد كيفية تقسيم المياه داخل مدن قورينائية (Lloyd and Lewis 1977, 37)، مع توسع قورينى عبر أراضيها الزراعية في الفترتين الهلنستية والرومانية، احتاجت المدينة إلى المزيد من المياه. وهكذا، بنى الرومان مجمعًا ضخمًا من خزانات التوزيع من أجل حبس مياه الأمطار والمياه التي يتم جلبها من مصادر بعيدة. يعد ما يسمى بساحة الصهاريج في بطليموس مثالًا بارزًا، حيث يبلغ حجمها حوالي 60 × 70 مترًا. في الواقع، استخدم الرومان كل مصدر متاح للمياه لتعزيز ازدهار المنطقة، ولهذا السبب اضطروا إلى توفير المياه ونقلها من أماكن بعيدة.

**الشكل 8. منظر للنوع الثاني من الخزان الصخري ذو الفتحة الضيقة (المؤلف).**

**الشكل 9. منظر لنوع الصهريج في المساحات المفتوحة، باتجاه الشمال الشرقي (المؤلف).**

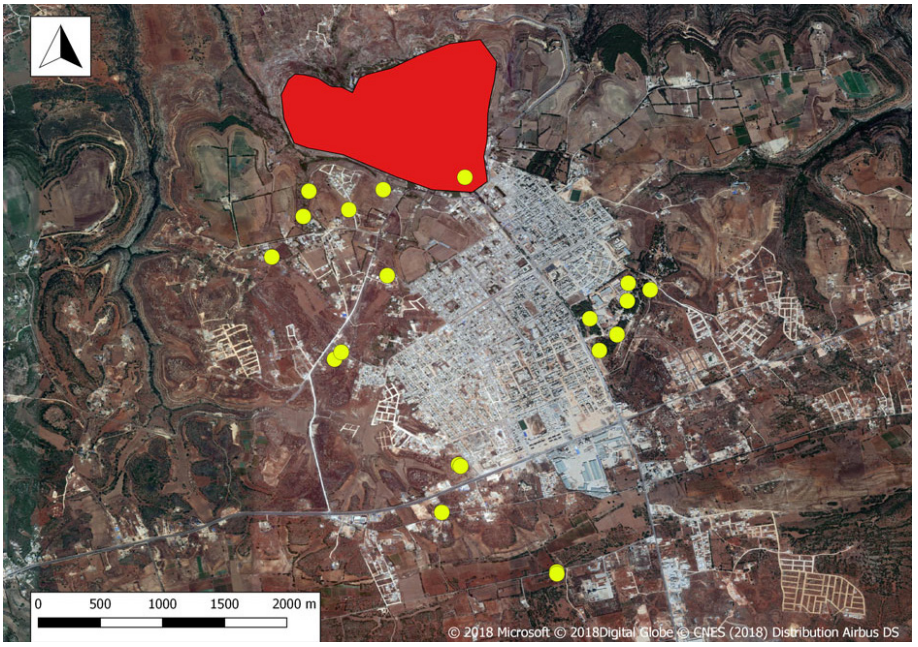


**الشكل 10. توزيع صهاريج المياه حول قورينا (المؤلف).**

في قورينى، بنى الرومان المجمعات الضخمة الواقعة جنوب شرق المدينة لحبس المياه التي يتم جلبها من مستوطنة الصفصاف. يُعتقد أن المجمع الضخم الذي كانت تقع فيه الصهاريج العامة السبعة المذكورة سابقًا ربما تكون غير مكتملة، وإذا كان الأمر كذلك فمن الممكن وجود المزيد من الصهاريج في الأصل؛ قد يفسر هذا سبب بقاء الجزء الشرقي من المجمع فارغًا بينما

تشغل سبع خزانات مستطيلة الجزء الغربي منه (Rekowska 2016, 133).

وهكذا تم بناء خزانات المياه تحت الأرض في أماكن مختلفة في كل من العصرين اليوناني والروماني من أجل جمع وحبس أكبر قدر ممكن من مياه الأمطار. حيث تم العثور على بعض الصهاريج داخل أو بالقرب من المباني الدينية، على سبيل المثال، الصهريج المكتشف داخل حرم ديميتر (Cherstich 2009, 225)، وربما استخدمت في الطقوس التي تتطلب استخدام المياه. عادة ما تحتوي بعض المباني، ولا سيما القصور والمزارع، على صهريج واحد أو صهريجين داخل أو خارج جدرانها لحبس المياه؛ على سبيل المثال، قصر الرعد Al-Raged، الذي كان يقع على بعد حوالي 2 كم جنوب قورينى، يحتوي على صهريجين (أحدهما صخري والآخر الساحة المفتوحة). في بعض الحالات، تم تغذية هذه بواسطة قناة خارجية مثل الخزان المرتبط بالمزرعة 2 في منطقة الكتيبة.

**التاريخ:**

بشكل عام، تعود قناة قورينى إلى العصر الروماني. ومع ذلك، لا يمكن بالضبط تحديد الإمبراطور الذي أمر ببنائها. المصدر الدقيق الوحيد لهذه المعلومات هو النقوش، والتي عادة ما تنقل معلومات عن الإمبراطور الذي امر ببناء أي مبان او منشآت ذات اهمية. على الرغم من اكتشاف بعض النقوش في قورينائية التي تسجل اسم إمبراطور الذي امر بالبناء، إلا أن معظمها مع الأسف لا تعطي تفاصيل كافية حول القناة التي تشير إليها النقوش ولا تحدد مكانها.

تم تأريخ النقش الذي تم العثور عليه في قورينائية خلال الحفريات الإيطالية قبل عام 1941 إلى عام 67 قبل الميلاد، ويشير بوضوح إلى بعض إصلاحات بومبيوس العظيم Pompey the Great (Gnaeus Pompeius Magnus, 106–48 BC) في قورينائية بعد انتصاره على القراصنة (Reynolds 1962, 99–100). وفقًا لهذا، كانت أحدى هذه الإصلاحات هو مساهمته في بناء قنوات المياه، لكنه لا يكشف بالضبط عن المكان الذي تم فيه هذا العمل، لان معظم التفاصيل قد فُقدت بسبب تلف النص. ومع ذلك، فإن الحقيقة الواضحة أن هذا النقش انه قد تم إعداده في مدينة قورينى. يخبرنا نقش آخر، يعود تاريخه إلى عام 109 م، أن تراجان Trajan أمر ببناء قنوات مائية جديدة في مدن قورينائية لخدمة الأنشطة الصناعية (Lloyd and Lewis 1977, 37)، ولكن لا توجد معلومات عن مكان بناء هذه القنوات. يخبرنا نقش ثالث يعود إلى عام 166 م أن ماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس Marcus Aurelius and Lucius Verus أمر سلطات المدينة في قورينى ببناء قنوات باستخدام الأموال العامة (SEG 1923, 18.740). هذا النقش له جهتين وهو منقوش على لوح رخامي جنائزي، ثم أعيد استخدامها كعتبة في المدخل الجنوبي الغربي للكاتدرائية. على الرغم من أن أحد الوجهين فقط حالة جيدة، اما الوجهة الاخر فقد تضرر بشدة وفقدت بقية المعلومات التي تضمنها، خاصة من منتصف النص (Reynolds 1959, 98–100). قد يرجح المرء أن الصهاريج والقنوات الواقعة إلى الجنوب الشرقي من قورينى اجريت عليه أعمال صيانة كبيرة في القرن الثاني الميلادي، ربما خلال عهد ماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس Marcus Aurelius and Lucius Verus. كان تاريخ البناء الأصلي على الأرجح في وقت سابق، حيث يبدو انه في القرن الثاني الميلادي متأخراً عن القناة الأولى في المدينة والصهاريج الضخمة. ومع ذلك، يظل هذا مجرد احتمال نظرًا

لعدم وجود أدلة أثرية قاطعة؛ ويحتاج هذا الجانب بالطبع للمزيد من الدراسة.

من الصعب أيضًا تأريخ الصهاريج الصغيرة في قورينى لأنها لا تحتوي على أي خصائص محددة يمكن أن تساعد في تأريخها، ولأنها تم قطعها واستخدامها في كل من العصرين اليوناني والروماني. ومع ذلك، وفقًا لستوكي Stucchi(1975, 484–7)، فإن النوع الرئيسي الثاني من الخزانات (النوع المنحوت في الصخر) يعود على الأرجح إلى القرن الثاني الميلادي، أو ربما بعد هذا التاريخ. يمكن تأريخ النوع الثالث من الخزانات (النوع في المساحات المفتوحة) إلى العصر الهلنستي بالمقارنة مع المقابر الهلنستية القريبة (Cherstich 2009, 226).

## References:


1. Arthur, C. 1973. Survey of the Roman aqueduct at Ptolemais. Libyan Studies 4: 7–8.
2. Cherstich, L. 2009. The Southern Necropolis of Cyrene. Unpublished DPhil thesis. University of Oxford.
3. Duncan-Jones, R. P. 1978. Aqueduct capacity and city population. Libyan Studies 9: 51–51.
4. Fadel, A. F. 1997. Water resources in the five cities of Cyrenaica through the inscriptions and archaeological remains. Inscriptions and Rock Arts in the Arabic World. The 13th conference on archaeology, 1–7 October 1995, Tripoli, Libya (in Arabic). Tunisia: 185–193.
5. Goodchild, R. G. 1968b. Graeco-Roman Cyrenaica. In Barr, F. T (ed.) Geology and Archaeology of Northern Cyrenaica, Libya. Petroleum Exploration Society of Libya, Tenth Annual Field Conference: 23–40.
6. Gregory, J. W. 1916. Cyrenaica. The Geographical Journal 47(5): 321–342.
7. Jones, G. D. B, and Little, J. H. 1971b. Hadrianopolis. Libya Antiqua 8: 53–67.
8. Kenrick, P. 2013. Libya Archaeological Guides, Cyrenaica. Silphium Press, London
9. Lloyd, J. A. and Lewis, P. R. 1977. Water supply and urban population in Roman Cyrenaica. Libyan Studies 8: 35–40.
10. Rekowska, M. 2016. In Pursuit of Ancient Cyrenaica, Two Hundred Years of Exploration set against the History of Archaeology in Europe (1706–1911), translated by A. Kijak. Oxuniprint, Oxford.
11. Reynolds, J. 1959. Four inscriptions from Roman Cyrene. Journal of Roman Studies 49 (1–2): 95–101.

12. Reynolds, J. M. 1962. Cyrenaica, Pompey and C. Cornelius Lentulus Marcellinus. Journal of Roman Studies 52 (1–2): 97–103.

13. Stucchi, S. 1975. Architettura Cirenaica. L'Erma di Bretschneider, Rome.

14. Supplementum Epigraphicum Graecum (SEG). 1923. "Inscriptions of Cirenaica", IX. Leiden.

15. Vitruvius. 1960. De Architectura. Translated by Morgan, M.H. NewYork. Dover Publications.

16. Ward-Perkins, J. B., Little, J. H. and Mattingly, D. J. 1986. Townhouses at Ptolemais: a summary report of survey and excavation work in 1971, 1978–1979. Libyan Studies 17: 109–153.

17. Weld-Blundell, H. 1896. A visit to Cyrene in 1895. Annual of the British School at Athens 2: 113–140.

# أثر أنماط القيادة الإدارية على نـجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة دراسة تطبيقية على المجتمع الليبي

إعداد
أ. حسام محمد عمر
أ.منصور عبدالونيس عبدالنبي بوكائش
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة طبرق

الاستلام: 12.2.2024 القبول: 13.5.2024

**المستخلص:**

استهدفت الدراسة الحالية تحديد أنماط القيادة الإدارية على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي، كما استهدفت تحديد واقع القيادة الإدارية داخل المنظمات أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة، والقيام بتوضيح عوامل نجاح المشاريع الصغيرة والمتوسطة بالتزامن مع اختيار نمط محدد من أنماط القيادة الإدارية (الأوتوقراطية- الديمقراطية- التحويلية) واستهدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين أنماط القيادة السائدة وفاعلية المنظمات المعاصرة في تحقيق أهدافها بكفاءة وتحقيق النجاح والاستمرارية، وقامت الدراسة بالاعتماد على المنهج الكمي، واستخدمت النموذج الوصفي وقامت الدراسة بتصميم استبانة لجمع البيانات الأولية، وتكون مجتمع الدراسة من العاملين بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة واستخدام عينة عشوائية لكبر مجتمع الدراسة، وبلغت حجم العينة 384 مبحوث، وتوصلت الدراسة إلى انتشار أنماط القيادة الإدارية الثلاث (الاوتوقراطية- الديمقراطية- التحويلية) في 72% من المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي، وأكثر أنماط القيادة الإدارية انتشارًا القيادة التحويلية وأقلها انتشارًا هو القائد الأوتوقراطي، ووجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي تعود إلى نمط القيادة المنتشرة في هذه المشروعات إذ أوصت الدراسة بأنه يجب نشر الوعي بأهمية وجود النمط القيادي الديمقراطي في المشروعات الصغيرة والمتوسطة، والقيام بتدريب الأجهزة الحكومية المسئولة عن المشروعات الصغيرة والمتوسطة لقيادات هذه المشروعات.

**الكلمات المفتاحية:** القيادة – المشروعات الصغيرة والمتوسطة – القيادة الأوتوقراطية – القيادة الديمقراطية – القيادة التحويلية.

**Abstract:**

The current study aimed to identify the patterns of administrative leadership on the success of small and medium enterprises in the Libyan society. The study also aimed to identify the reality of administrative leadership within the organizations of small and medium enterprises, and to clarify the success factors of small and medium enterprises in conjunction with the selection of a specific style of administrative leadership (autocracy - democracy - transformational). In

addition, it aimed to identify the relationship between the prevailing leadership styles and the effectiveness of contemporary organizations in achieving their goals efficiently and achieving success and continuity. The study relied on the quantitative approach, and used the descriptive model and the study designed a questionnaire to collect primary data. The study population consisted of workers in small and medium enterprises and it used a random sample because of the large study population, where the sample size reached 384 respondents. The study found the spread of the three administrative leadership styles (autocracy - democracy - transformational) in 72% of small and medium enterprises in Libyan society, and the most widespread and least prevalent types of administrative leadership is the autocratic leader. one of the main results of this study is the existence of statistically significant differences in the success factors of small and medium enterprises in Libyan society is due to the leadership style spread in these projects. The study recommended that awareness of the importance of the existence of the democratic leadership style in small and medium enterprises must be spread, and those government agencies, which responsible for small and medium enterprises must be trained for the leaders oftheseprojects.

## المبحث الأول: الإطار العام للبحث:

### 1- المقدمة:

**تبلغ المشاريع الصغيرة والمتوسطة أهمية بالغة في الاقتصادي المعاصر بشكل عام، والاقتصادي القومي بشكل خاص، حيث أنها تعتبر من أهم العناصر والمكونات المتعلقة بالنشاط الاقتصادي لعديد من دول العالم، فهي تعد المحرك الرئيسي للتنمية، والتطور الاقتصادي، وهذه المشروعات تقوم بتوفير بنية تحتية واسعة وقاعدة صناعية، وركيزة رئيسية لتحقيق التنمية، سواء تنمية اقتصادية أو تنمية اجتماعية[1] .**

**وفي بداية السبعينيات من القرن العشرين أخذت المشاريع الصغيرة والمتوسطة دورًا محوريًا في الاقتصاديات العالمية، وقد توصلت العديد من الأبحاث في كثير من الدول ومنظمات الأعمال الدولية الإقليمية إلى أن المشروعات الصغيرة والمتوسطة تساهم بشكل رئيسي في الاقتصاد الكلي للدول، وخاصة في ظل وجود عدد من الأزمات الاقتصادية والتي تؤثر على النمو الاقتصادي والاجتماعي، وفي إطار التطور التكنولوجي الذي ترتب عليه زيادة تغير التقنيات الإنتاجية المستخدمة، فأصبحت المصانع الكبيرة تقف عائق أمام مسايرة التقدم التكنولوجي بسبب تكلفتها العالية الأمر الذي ترتب عليه الاتجاه نحو إقامة مصانع أصغر حجمًا، وأقل تكلفة، وتتميز بالمرونة على التغير السريع من أجل إعادة تكيف الإنتاج وفق تغير احتياجات السوق[2] . ومن جانب آخر إن سيادة نظرية وفورات الحجم بين الاقتصاديين لما**

(1) ناصر طهار، زواوي فتيحة (2021) "القيادة الإدارية ودورها في تبني إدارة الابتكار بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة- دراسة حالة مؤسسة باتيميتال هياكل غرب" مجلة النمو الاقتصادي وريادة الأعمال JEGE معمل دراسات التنمية المكانية والريادية، مجلد 4، عدد 7، ص. ص: 81- 63.

(2) عبد الله العلي النعيم (2015) "المشروعات الصغيرة والمتوسطة والأسر المنتجة روافد للتنمية- جهود المملكة العربية السعودية في تعضيدها ومساعدتها" ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر في البلدان العربية" الواقع والتطلعات، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي- الكويت، ص. ص: 1- 16.

لها من مقدرة على إحداث تقليل للتكاليف وتحقيق التنافسية للمنظمات، مما ترتب عليه النظر إلى المشاريع الصغيرة والمتوسطة لقدرتها على توفير فرص عمل والإسهام في التقليل من حدة الفقر، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور دور المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الإسهام في إعادة الإعمار ساعد على بروز أهمية تلك المشاريع وخاصة بعد تعرض المنظمات الكبيرة لعدة أزمات مما يترتب عليه انخفاض فرص العمل في الدول الصناعية، وحدوث تغيير في الطلب على المنتجات الجديدة بسبب التغيرات التكنولوجية السريعة والمتلاحقة[3]. ومن هذا المنطلق أصبحت المشاريع الصغيرة والمتوسطة تتعرض في بيئتها التنافسية العديد من التحديات بسبب وجود حالة التعقد الشديد في بيئة الأعمال، وزيادة حدة المنافسة، وخاصة أن تحقيق الميزة التنافسية لهذه المشاريع له علاقة بمدى قدرتها على الإدارة الجيدة لمواكبة التنافس بين المنظمات الكبرى، وأن قدرة هذه المشاريع على البقاء والاستمرار في ظل المنافسة الشديدة والصعوبات الحالية لا يتحقق إلا بممارسة القيادة الإدارية لدورها في إدارة التغيير والتطوير حيث تمثل القيادة الإدارية هي مفتاح النجاح لأي منظمة، ومن دونها لا تستطيع هذه المنظمات البقاء والاستمرار، حيث أن القيادة الإدارية الناجحة هي الأكثر أهمية في تعزيز النجاح وتدعيمه[4].

وبناء على ذلك يتزايد اهتمام المنظمات الصغيرة والمتوسطة بالقيادة الإدارية والاعتماد على نمط يترتب عليه توجيه أنشطته المختلفة وتسخيرها من أجل تحقيق طرق إنتاج جديدة، أو القيام بتقديم منتجات جديدة تحقق معه تلبية لكافة رغبات المستهلكين بشكل كفء وفعال، حيث اعتماد المنظمات على نمط معين من أنماط القيادة الإدارية يساعد في عملية نجاح تلك المشروعات بالمقارنة مع المنافسين في سوق الأعمال، أي مرتبط بالكيفية التي يقوم بها القائد داخل المنظمة وبالصفات القيادية الناجحة والتي تتسم بها تلك القيادة[5].

**2- الدراسات السابقة:**

تمت دراسة العلاقة بين أنماط القيادة الإدارية ودورها في نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة، حيث أن المنظمات التي تتبنى نوع من أنواع القيادة الإدارية والذي يتميز بممارسات جيدة يترتب عليها تحقيق نجاح وتقوم لمشروعاتها قد تفوقت في الأداء بالمقارنة مع المنظمات ذات المستويات المنخفضة والتي تطبق أساليب إدارية تقليدية لا تستطيع مواكبة التغير الراهن في بيئة الأعمال، ومن ضمن هذه الدراسات:

دراسة (فرطاس أميرة، 2020) بعنوان «أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المؤسسات الاقتصادية العمومية» وهدفت هذه الدراسة إلى توضيح أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المنظمات الاقتصادية، وقد تم طرح هذا الموضوع نظرًا لأهميته في بيئة الأعمال لمختلف المنظمات، بالإضافة لتأثيراته، وانعكاساته على استمرارية المنظمة، وريادتها،

(3) البنك المركزي الأردني (2017) "دليل المشاريع الصغيرة والمتوسطة" مبادرة مشتركة بين البنك المركزي الأردني، وصندوق سند للدعم الفني، ص. ص: 1- 39.

(4) ألاء مصطفى خليل (2021) "عوامل نجاح وفشل المشاريع في المنظمات غير الربحية- دراسة حالة- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي" رسالة ماجستير في إدارة الأعمال التخصصي MBA، الجامعة الافتراضية السورية، وزارة التعليم العالي، سوريا، ص. ص: 1- 92.

(5) Samul, J (2020) "The Research Topics of leadership Bibliometric Analysis from 1923 to 2019" International of Education leadership and management, (8) 2, pp: 116- 143 doi:10,17583/ijelm, 2020.5036.

حيث أصبحت القيادة الإدارية تساهم بدور فعال في وصول المنظمات لجميع أهدافها من خلال الأداء الفعال المترتب على تعامل القائد الإداري مع كل الأفراد داخل المنظمة بما يتوافق مع طبيعته، وقامت الدراسة بالتوصل إلى أن القائد الإداري له دور كبير في رفع مستوى أداء العاملين إلى الأفضل ب الاعتماد على النمط الديمقراطي التشاركي، والنمط البيروقراطي التسلطي، وهما معًا يحققان الوصول إلى الأهداف المراد تحقيقها.

دراسة (Mai, N, et al, 2022) بعنوان «The impact of leadership traits and organization learning on business innovation»

وتقوم هذه الدراسة بالبحث في مدى الاختلاف في السمات الشخصية القيادة التي لها تأثير على الابتكار في مجال الأعمال سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد توصلت الدراسة إلى أن السمات الشخصية القيادية مثل التقييم الذاتي، والحاجة إلى إنجاز الأعمال والميل إلى المخاطر لها العديد من التأثيرات على عملية الابتكار في مجال الأعمال، وأوضحت الدراسة أن اكتساب المعرفة والتعلم التنظيمي لها دور وسيط بين سمات القيادة والابتكار في مجال الأعمال.

دراسة (Jones, 2020) بعنوان «Leadership structure and practices in organizations and the development of a new leadership sustainable mode»

وهذه الدراسة تناولت أن القيادة أصبحت محل اهتمام المنظمات، وقامت بتقديم تحليل للقيادة وخاصة فترة التسعينات، وتسليط الضوء على أهمية ضرورة تطوير نمط القيادة وخاصة في منظمات الأعمال في الوقت الحاضر، حيث أن المنظمات تقوم بالبحث عن طرق ووسائل مستدامة لممارسة الأعمال التجارية بنجاح سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

دراسة (Sacavem, 2019) بعنوان «An Integrative literature review on leadership models for innovative organization»

واستهدفت تلك الدراسة البحث والتحليل لنوع القيادة التي تكون أكثر فاعلية والأنسب للمبتكرين داخل المنظمات، حيث أن الابتكار من الأمور الهامة في تحقيق القدرة التنافسية للمنظمات، وأن عدم تواجد نمط قيادة يدعم الابتكار داخل المنظمات يترتب عليه فشل تلك العملية والتي لها تأثير على المنظمة ويمكن أن يتسبب في فشلها، وأوضحت الدراسة إلى أن النمط القيادي الأبوي، والنمط القيادي الديمقراطي هم الأكثر فاعلية في دعم الديمقراطية وتنفيذ العمليات المبتكرة في المنظمات ومساعدتها على النجاح.

دراسة (خليل، 2021) بعنوان «عوامل نجاح وفشل المشاريع في المنظمات غير الربحية» واستهدفت الدراسة إلى تحديد عوامل نجاح وفشل المشاريع في المنظمات غير الربحية، وتوضيح بعد التخطيط حيث يقدم أقصى استفادة من المشاريع المنفذة من قبل المنظمات، وقامت الدراسة بتحديد الفروق بين عوامل النجاح والفشل للمشاريع وفق حجم المشروع ومدة المشروع، وتوصلت إلى أن توجد بعض العوامل يترتب عليها تحقيق النجاح للمنظمات ومنها وجود فرق للمتابعة والتقييم، والقيام بتخطيط لموارد المشروع، وتوافر استراتيجية جيدة، وأظهرت الدراسة دور إدارة المخاطر وأهمية وجود موارد بشرية مدربة، وكل هذه الأمور يترتب

عليها تحقيق النجاح داخل المنظمات.

دراسة (سحيمي فايزة، 2020) بعنوان «دور القائد الاستراتيجي في تشييد المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تفسير دور القائد الاستراتيجي في تيسير المنظمة التي يعمل فيها، عن طريق توضيح العلاقة بين القيادة التحويلية والأداء الاستراتيجي في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتم قياس القيادة التحويلية عن طريق أبعادها (التأثير المثالي، والتحفيز الإلهامي، والاستشارة الفكرية، والاعتبارات الفردية، والتمكين) وأوضحت الدراسة قياس الأداء الاستراتيجي عن طريق أبعادها (المنظور المالي، ومنظور العملاء، ومنظور العمليات الداخلية، ومنظور التعلم والنمو) وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة موجبة بين القيادة التحويلية والأداء الاستراتيجي، وأوضحت أن القيادة التحويلية لها العديد من الفوائد والمتمثلة في القائد الاستراتيجي في إحداث توازن للعناصر الإدارية داخل المنظمات وعامل من عوامل النمو والاستقرار لها.

3- مشكلة الدراسة:

إن التطورات المتسارعة والتغيرات التي تواجه المنظمات اليوم سواء المنظمات الخدماتية أو المنظمات الإنتاجية تواجه عدد من التحديات في بيئتها، والتي يمكن أن تهدد بقاءها واستمرارية أنشطتها، هذا الأمر يلزم المنظمات بمواجهة مثل هذه التحديات[6] . هذا الأمر يتطلب من المنظمات توافر قدرات تستطيع بها تطوير حلول وأفكار وإيجاد آراء جديدة تسمح لها بالاستمرار وتحقيق النمو والتطور وتحسين أوضاعها وبناء على ذلك تقوم القيادة بتقديم عناصر عامة يمكن أن تستخدم من أجل تفعيل قدرة المنظمات على القيام بأداء دورها، وتحقيق الأهداف المرغوبة، وإن القيادة من العوامل الهامة والتي لها أثر كبير في تفعيل حركة المنظمة، وإيجاد نوع من التفاعل بهدف تحقيق الأهداف سواء الأهداف المتعلقة بها أو أهداف العاملين لديها[7]. وتقوم علاقات العمل بين القائد والموظفين بالإسهام في ترشيد سلوك العاملين والقيام بحشد الطاقات وعمل تنسيق لجهودهم، وتنظيم أمورهم وتوجيهها من أجل بقاء المنظمة واستمرارها وتحقيق النجاح لكافة مشاريعها عن طريق تحقيق أهدافها وبناء جسور من التفاهم والثقة والتعاون المشترك، في حين وجود سوء تفاهم بين القائد والمرؤوسين وتوتر العلاقات الذي يؤشر بالسلب على مستوى أداء العمل حيث أن نجاح المنظمات يتوقف على كفاءة وقدرة قيادتها، هذا الأمر يعود إلى الدور الكبير الذي يقوم به القائد داخل المنظمة عن طريق قيامه بتوجيه العاملين والقيام بالتأثير في سلوكهم[8] .

وقد تزايد الاهتمام العالمي وخاصة في السنوات العشرين الماضية بالقيادة الإدارية بوصفها ضرورة استراتيجية من أجل تحقيق تقدم المنظمات باختلاف طبيعتها وأنواعها حيث أن

(6) Yondon renchin M. (2023) "The impact of leadership styles on employee loyalty and engagement" European journal of business and management research, vol 8, issue 4, pp: 94- 100.

(7) AL- Shaikh H Y, AL-M aamari M AA, (2020) "The influence of transformational leadership behaviors on organizational innovation in Yemeni hospitals conceptual analysis" international journal of intellectual human resource management (IJIHRM), 1, (2), PP: 18- 24.

(8) حماش علي (2018) "الأساليب القيادية وعلاقتها بتعزيز أخلاقيات العمل لدى الموظفين- دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد لمين دباعين- سطيف ح" شهادة الماستر أكاديمي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- الجزائر، ص. ص: 1- 131.

توافر نمط قيادة إدارية يسهم بشكل كبير في التعامل مع التغيير، وخلق فرص كبيرة للميزة التنافسية المستدامة، ويجعل المنظمة تمتلك رؤية مشتركة في تأثيرات فروع المعرفة المختلفة، ومن هنا ظهرت الحاجة للقيام بتطوير عدد من القدرات المطلوبة ونتيجة لذلك برزت العديد من المداخل الإدارية الحديثة لتطوير المنظمة، والقيام باتباع مدخل مؤسسي متكامل في الربط بين القيادة الإدارية وعملية نجاحها في تنفيذ كافة أنشطتها[9] . وتعد القيادة الإدارية بأبعادها الشاملة مدخل لتطوير الآليات والسبل من أجل تحقيق نجاح للمشروعات الصغيرة والمتوسطة حيث تتمتع القيادة الإدارية بمداخلها الحديثة بالتفكير الاستراتيجية والابتكار، والقدرة على إحداث تكيف مطلوب مع الظروف البيئة الغير معروفة، وأيضا تتسم بالحكمة في عملية اتخاذ القرارات الرشيدة في الوقت المناسب اعتمادًا على فهم المتغيرات البيئية، والاستجابة لها على شكل فعال[10]. وتقوم المشاريع الصغيرة والمتوسطة بلعب دور هام في عملية التنمية سواء الاقتصادية أو الاجتماعية في دول العالم المتقدم أو النامي على حد سواء وذلك لدورها الكبير في حل كثير من المشاكل التنموية ومنها استيعاب العمالة الزائدة والتقليل من حدة البطالة ومعالجة مشكلة الفقر وتحقيق زيادة في الدخول الفردية، وبالتالي انعكاس إيجابي على الدولة، حيث تقوم المشروعات الصغيرة والمتوسطة فرص عمل واسعة نظرًا لأنها تحتاج لرأس مال صغير للاستثمار فيها أي تقوم بدور فعال في تعبئة المدخرات المحلية، والقيام بتوظيفها في عملية التنمية الاقتصادية[11]. وتقوم المشاريع الصغيرة والمتوسطة بعملية تنمية الأقاليم النائية أي تساعد على إقامة أنشطة إنتاجية في المناطق الريفية، وتحقيق عدالة في توزيع عوائد التنمية الاقتصادية عن طريق خلق توازن إقليمي للتنمية، وتشكل المشاريع الصغيرة نسبة 95% من إجمال المشروعات حول العالم، وتختلف نسبتها من دولة إلى أخرى، ومن أجل تحقيق النمو والاستمرارية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة يجب توافر نمط قيادة يعمل على تحقيق النجاح ومواجهة التحديات التي تقابل هذه المشروعات حيث أن الأنماط القيادية المتنوعة تختلف معها النتائج المترتب عليها على سبيل المثال توافر نمط قيادي ديمقراطي داخل المنظمات يترتب عليها تعاون إيجابي، بينما وجود نمط قيادي تسلطي ينتج جماعات سلبية غير متعاونة[12].

وبناء على ذلك فإن وجود نمط قيادي إداري داخل المنظمات والمتمثل في القائد وأخذه بالمراحل الحديثة في القيادة الإدارية يقوم بتحقيق تحسن في أداء المنظمة، ويحقق ازدهار اقتصادي وتعم الفائدة على الجميع، وعليه فتعمل العديد من المنظمات الاقتصادية على اختيار نمط قيادي يقوم بتحقيق هذا الازدهار، وتحقيق الاستمرار والتطوير في مجالها

(9) Munyeka W (2023) "Leadership, well- being, organizational commitment and quality of work life among hotel employees during covid- 19" social sciences and education research review, vol 10, issue 1, pp: 189- 202.

(10) إبراهيم بن حنش سعيد الزهراني (2018) "القيادة الاستراتيجية وأثرها في تطوير قدرات التعلم التنظيمي- دراسة ميدانية بجامعة أم القرى" المجلة الدولية للأبحاث التربوية، المجلد (42)، العدد (2)، ص. ص: 189- 240.

(11) عبد الله العلي النعيم (2015) "المشروعات الصغيرة والمتوسطة والأسر المنتجة روافد للتنمية- جهود المملكة العربية السعودية في تعضيدها ومساعدتها" ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر في البلدان العربية" الواقع والتطلعات، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي- الكويت، ص. ص: 1- 16.

(12) فراطس أميرة، وآخرون (2020) أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المؤسسات الاقتصادية العمومية الجزائرية- دراسة ميدانية بمؤسسة سونالغاز قالمة" شهادة ماستر، تخصص اتصال وعلاقات عامة، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 112.

والتي لا تتحقق إلا في وجود قيادة واعية تقوم بتحديد المشكلات والتحديات التي تتعرض لها المنظمة، والقيام بتقديم حلول بهدف تحقيق أهدافها وأهداف العاملين والمتعاملين وعليه تقوم المنظمات بتحسين أنماط القيادة حيث أنه من أهم المحددات التي يترتب عليها نجاح المنظمة[13]. وبذلك أصبح وعي المنظمات من أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة لأهمية القيادة الإدارية، ومدى الحاجة إليها في إدارة العمليات والأنشطة داخلها لتحقيق نجاحها، والدفع بطاقات العاملين نحو تحقيق النجاح والأهداف المطلوبة، وقيامها بتحديد المعوقات التي تقف حائلًا أمام نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة[14]. وتساهم الورقة الحالية في إثراء الأدبيات الإدارية خصوصًا في الجمهورية الليبية عن طريق الكشف عن أثر أنماط القيادة الإدارية على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.

ومما سبق، الدراسة الحالية تسعى إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي أهم أنماط القيادة الإدارية داخل المنظمات من أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة؟
- ما هي العلاقة بين القائد الإداري والموظفين داخل المنظمات من أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة؟
- ما هي انعكاسات أنماط القيادة الإدارية على الأداء العام للمنظمات من أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة؟
- ما هي عوامل نجاح المشروعات في المنظمات من أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة؟
- ما هو تأثير النمط القيادي المطبق في المنظمات على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة؟
- كيف ساهمت أساليب القيادة الإدارية في دعم العوامل التي لها تأثير مباشر في عملية نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة داخل المنظمات؟

**4- أهداف الدراسة:**

تسعة الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد أثر أنماط القيادة الإدارية على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.
2. تحديد واقع القيادة الإدارية في المنظمات داخل المجتمع الليبي.
3. تحديد واقع إدارة القيادة الإدارية داخل المنظمات أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.
4. توضيح عوامل نجاح المشاريع الصغيرة والمتوسطة بالتزامن مع اختيار نمط محدد من أنماط القيادة الإدارية.

(13) عالية بنت إبراهيم محمد طحطوح (2016) "تأثير أنماط القيادة الإدارية على سلوك المواطنة التنظيمية- دراسة تطبيقية على موظفات جامعة الملك عبد العزيز بجدة" رسالة ماجستير في الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، المملكة العربية السعودية، ص. ص: 1- 127.

(14) Gandolfi F, Stone S. (2018) " Leadership, Leadership Styles and Servant Leadership" Journal of Management Research, Vol 18, No 4, pp: 261- 269.

5. استعراض أنماط القيادة ومناقشة فعالية تطبيقها في التنظيمات الإدارية ومحاولة الوقوف على التحديات التي تواجه القيادة الإدارية.

6. محاولة التعرف على العلاقة بين أنماط القيادة السائد، وفاعلية المنظمات المعاصرة في تحقيق أهدافها بكفاءة وفعالية وتحقيق النجاح والاستمرارية.

7. تقديم بعض التوصيات التي تساعد القائد الإداريين في عملية اختيار النمط القيادي المناسب في الموقف المناسب مما يترتب عليه تعزيز الآثار الإيجابية ويقلل الآثار السلبية لكل نمط حتى تزداد فعالية تطبيقها في التنظيمات الإدارية مما يدعم عمليات نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة داخل المنظمات.

**5- أهمية الدراسة:**

1. تأتي أهمية هذه الدراسة في القيام بتوضيح أهم أنماط القيادة الإدارية وإلقاء الضوء على طبيعة هذه الأنماط لها تأثير إيجابي أو سلبي في عملية تحقيق نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة، مما ينعكس بالإيجاب على أداء الموظفين، ويترتب عليه زيادة الإنتاجية وتحقيق أهداف تلك المنظمات بشكل كفء وفعال.

2. تساهم هذه الدراسة في توضيح الآثار الإيجابية، والقيام بتعزيزها، وإدراك الطبيعة الموقفية للأنماط القيادية مما يسهم في المساعدة على تبني النمط القيادي المناسب، والإسهام في زيادة قدرة المنظمات على مواجهة التحديات المعاصرة.

3. القيام بلفت الانتباه بضرورة دراسة تأثير نمط القيادة الإدارية على نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

**6- فرضيات الدراسة:**

بناء على أسئلة الدراسة تسعى الدراسة الحالة إلى اختبار الفرضيات التالية:

6-1 **الفرضية البحثية الأولى:** توجد علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين أنماط القيادة الإدارية ونجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.

6-2 **الفرضية البحثية الثانية:** لا توجد علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين أنماط القيادة الإدارية ونجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.

**7- حدود الدراسة:**

7-1 **الحدود المكانية:** تمثل مجتمع البحث في العاملين في المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي، لذا قد أجريت الدراسة الميدانية على عينة من العاملين وذلك لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم حول موضوع البحث.

7-2 **الحدود الزمنية:** الحدود الزمنية التي تمت خلالها الدراسة الميدانية هي الفترة من بداية يناير 2023 وحتى نهاية شهر مارس 2023.

**8- التعريفات الإجرائية:**

8-1 **القيادة:** تعرف القيادة بأنها عملية اجتماعية تهدف إلى التأثير على أفعال الأفراد

وسلوكهم واتجاهاتهم نحو العمل من أجل تحقيق أهداف مشتركة مطلوبة[15].

8-2 **النمط القيادي:** يعرف بأنه السلوك المتكرر الذي يقوم به القائد عبر فترة زمنية طويلة عن طريق تعليمه، وتدريبه وخبراته، وهو النمط القيادي في سلوم القائد من خلال منظور المرؤوسين[16].

8-3 **القيادة الإدارية:** هو النشاط الذي يقوم بممارسته القائد الإداري في مجال إصدار الأوامر والقرارات، والإشراف الإداري على العاملين عن طريق استخدامه للسلطة الرسمية والتأثير بهدف تحقيق هدف معين[17].

8-4 **المشروع:** يعرف المشروع بأنه كيان يتم إنشاؤه وتكوينه من أجل تحقيق الأرباح، وأصحاب هذه المشروعات هم الذين يقومون باستثمار رؤوس الأموال، ويقومون بإجراء كافة الأمور القانونية لتسجيل المشروع ويعدوا كمشاركين في المنظمة[18].

8-5 **المشاريع الصغيرة والمتوسطة:** تختلف التعاريف المتعلقة بالمشاريع الصغيرة والمتوسطة من دولة إلى أخرى وذلك وفق إمكانياتها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية، وتقوم معظم الدول باستخدام معيار عدد العمال لأنه ثابت ولا يرتبط بتغيرات الأسعار.

وتعرف المشاريع المتوسطة بأنها المشاريع التي يعمل بها 15– 50 عامل وحجم استثمار مالي من 15.000 إلى 25000 دولار، والمشاريع الصغيرة هي التي يعمل بها أقل من 5 عمال، ورأس مال مستثمر أقل من 5000 دولار[19].

8-6 **القيادة الأوتوقراطية:** ويعرف بأنه نمط إداري يتميز بمركزية السلطة، ويقوم القائد بإتمام الأعمال عن طريق التهديد، وأسلوب الثواب والعقاب، ولا يقوم القائد بمشاركة المرؤوسين في اتخاذ القرارات، ولا عملية القيادة[20].

8-7 **القيادة الديمقراطية:** وهو نمط يقوم باتخاذ نوع من المسئولية عند المرؤوسين، وتقوم بمشاركتهم القرارات، والقائد الديمقراطي يقوم بمشاركة فريق العمل في السلطة، وأخذ رأيهم مما يترتب عليها رفع الروح المعنوية لهم، وزيادة الولاء للمنظمة، وهو من الأنماط القيادية الأكثر تفضيلًا لدى المرؤوسين[21].

---

(15) Verawa Ti. DM, Hartono. B (2020) "Effective Leadership from the perspective of Trait Theory and Behavior Theory" Journal Rekomen (Riset Ekonomi manajenen) Vol 4, No, pp: 13-23.

(16) فاتن باشا (2017) "اتجاه القادة الإداريين نحو المسئولية الاجتماعية للمنظمات- دراسة حالة مجتمع سونلغاز - بسكرة" أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر - بسكرة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ص. ص: 1- 453.

(17) Benming S, Agboola M, (2021) "Evolution of leadership Theory" BMJ Leader, 5, pp.: 3- 5.

(18) البنك المركزي الأردني (2017) "دليل المشاريع الصغيرة والمتوسطة" مبادرة مشتركة بين البنك المركزي الأردني، وصندوق سند للدعم الفني، ص. ص: 1- 39.

(19) سحيمي فايزة، الزين عبد المجيد (2020) "دور القائد الاستراتيجي في تسيير المشروعات الصغيرة والمتوسطة بولاية سيدي بلعباس بالجزائر" المجلة العربية للإدارة، مج 40، ع2، ص. ص: 43- 60.

(20) Hadziahmetovic N, et al (2023) "A Research Review of leadership styles" International Journal of A cadmic Research in Economics and Management Science, 12 (1), pp.: 188- 206.

(21) Balbuema S E. Peraz J E M, (2020) "Application of leadership Theories in Analyzing The EFFECTS of leadership styles on productivity in Philippine Higher Education Institutions" Asia pacific Journal of multidisciplinary Research, Volume 8, No 3, pp: 53- 62.

8-8 **القيادة التحويلية: تعرف بأنها مجموعة من القدرات والصفات التي تجعل من فرد ما صالحًا للقيادة الإدارية، ولها قدرة التأثير على الآخرين ويقبل المرؤوسين هذه القيادة الإدارية طواعية دون إلزام لاعتقادهم بدوره في تحقيق أهدافهم[22].**

## المبحث الثاني: المراجعة النظرية للبحث:

### 1- أدبيات القيادة الإدارية:

**تعددت تعريفات القيادة الإدارية لاختلاف مدارسها الإدارية، حيث يرى البعض أن القيادة الإدارية هي سلطة رسمية، والقائد يقوم بالتوجيه والتنسيق والرقابة على الأعمال الخاصة بالآخرين، وأنها عملية تأثير في الإدارة[23]. ويرى البعض أن القيادة الإدارية هي القيادة في التنظيمات الإدارية، وتقوم بالتأثير على العاملين، وتنشيط العمل في مجهود مشترك من أجل تحقيق أهداف التنظيم الإداري أي أنها القدرة على التأثير الشخصي عن طريق الاتصال مع الآخرين من أجل تحقيق هدف[24]. وتعد القيادة الإدارية عامل أساسي في تحديد مستوى النجاح أو الفشل في المنظمة عن طريق توضيح النمط القيادي الذي يمارس، وما له من انعكاسات على مختلف الأنشطة والعمليات، مما ترتب عليه ظهور العديد من النظريات والتي حاولت الوصول إلى أفضل نمط من أنماط القيادة أهمها نظرية السمات والتي اهتمت بالتركيز على سمات محددة يجب أن تتوافر في القائد الناجح، ثم ظهر الاتجاه السلوكي في القيادة، وسعى المعنيين في ذلك بتفسير السلوك القيادة بالاعتماد على الاهتمام بالعمل والاهتمام بالعلاقات مما ترتب عليه ظهور عدد من الأنماط القيادية، ثم ظهر الاتجاه الموقفي للقيادة حيث توصلت إلى أنه لا يوجد نمط قيادة يمكن تطبيقه في كل الظروف[25]. ثم ظهرت اتجاهات حديثة في القيادة مثل القيادة التحويلية، والقيادة التفاعلية والقيادة التبادلية، وحتى نستطيع فهم أنماط القيادة الإدارية يجب أن تعرف المفاهيم الإدارية التي قامت بالإسهام في توجيه أساليب الإدارة نحو الأخذ بأسلوب قيادي معين في مرحلة معينة من مراحل الفكر الإداري عن طريق التصورات والتفسيرات التي قام بتقديمها كتاب الإدارة، وهذه الافتراضات مرت بعدد من المراحل ومنها مرحلة المفاهيم التي انتشرت في الإدارة وفق النظريات الكلاسيكية، حيث وجهت أسلوب الإدارة على مدخل الشدة، ثم مرت لمرحلة تتمثل في بعض المفاهيم في ظل النظرية الحديثة، وما قدمته من افتراضات قامت بالتأثير على توجيه أسلوب الإدارة فيما يسمى مدخل اللين، وصولًا إلى مرحلة محاولات بعض المعنيين بعلم الإدارة للتوفيق بين المفاهيم للوصول إلى نظرية متكاملة مما يترتب عليه توجيه أسلوب الإدارة نحو الأسلوب الحازم العادل[26]. وقد**

(22) حسام الدين السيد محمد إبراهيم (2023) "القيادة الأبوية كمدخل لتطوير أداء مديري مدارس التعليم العام بجمهورية مصر العربية في ضوء بعض النماذج المعاصر: تصور مقترح" مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف الجزء الأول، ص. ص: 67- 760.

(23) AL Khajeh E H, (2018) " The impact of leadership Styles on organization Performance" Journal of Human Resources management Reasearch, Vol 2018, pp: 1- 10.

(24) Khan Z A, et al, (2016) " leadership Theories and Styles: A Literature Review" Journal of Resources Development and Management, An International peer- reviewed journal, Vol 16, pp: 1- 7.

(25) كدار علي حسين الغزاوي (2021) "تأثير القيادة الاستراتيجية في تعزيز الأداء العالي- دراسة استطلاعية تحليلية لآراء عينة من القيادات العليا في هيئة الحشد الشعبي" رسالة ماجستير في علوم إدارة الأعمال، قسم إدارة الأعمال، الدراسات العليا، برنامج الماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 148.

(26) عالية بنت إبراهيم محمد طحطوح (2016) "تأثير أنماط القيادة الإدارية على سلوك المواطنة التنظيمية- دراسة تطبيقية على موظفات جامعة الملك عبد العزيز بجدة" رسالة ماجستير في الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، المملكة العربية السعودية، ص. ص: 1- 127.

اتفق عدد من الباحثين أن من أهم مجالات الأنشطة الإنسانية هي مجال الإدارة حيث أن عملية إنجاز عملها يتطلب الكفاية في التعامل مع الآخرين من أجل تحقيق أهداف مشتركة، وتظهر في قدرة القيادة على قيامها بالتنسيق الفعال للموارد البشرية، وحيث إن الإدارة تقوم بالتخطيط، والإشراف، والإدارة أو القيادة الإدارية تقوم بالاستناد إلى مبادئ وقواعد أساسية يجب على القائد الإداري أن يلم بها من أجل الوصول إلى وضع قيادي يستطيع من خلاله التأثير في الآخرين [27](حلاق، 2020).

والمحور الأول القيادة التسلطية أو ما تعرف بالأوتوقراطية حيث يتمثل هذا النمط بأنه أسلوب مركزي أي يتسم بمركزية السلطة المطلقة للقائد، حيث أن القائد يقوم بأداء أعماله عن طريق القهر واستخدام أسلوب الثواب والعقاب، ولا يقوم بمشاركة مرؤوسيه في اتخاذ القرارات المتعلقة بأعمالهم، وهذا الأسلوب لا يكون القائد متسلط على الموظفين بل فعال في عملية الإقناع فيما يخص بقيامهم بالأعمال[28].

والمحور الثاني القيادة الديمقراطية وهذا الأسلوب من القيادة يهدف إلى خلق نوع من المسئولية لدى المرؤوسين، ويقوم بمشاركة العاملين في عملية اتخاذ القرار، حيث يقوم القائد الديمقراطي بإيجاد بيئة تشاركية في السلطة واتخاذ القرارات مما يترتب عليه رفع الروح المعنوية للعاملين وتحقيق زيادة في ولائهم والتزامهم بالإضافة إلى إحساسهم بقيمتهم داخل المنظمة، والنمط الديمقراطي في القيادة من أفضل أنماط القيادة الإدارية لدى المرؤوسين، ويقوم بتحقيق الفعالية في تحقيق الأهداف الخاصة بالمنظمة[29].

والمحور الثالث القيادة التحويلية وهي القيادة التي تتمتع بعدد من السمات والقدرات التي تجعل من فرد ما داخل منظمة، بهدف تحريك مجموعة من الأفراد إلى أتجاه محدد ومخطط عن طريق تحفيزهم على العمل باختيارهم وطواعية بدون أي التزام قانوني[30]. والقيادة التحويلية عبارة عن سلسلة من الأعمال يقوم بها القادة من أجل تحفيز المرؤوسين على إنجاز المهام المطلوبة منهم، ويقوم القائد التحويلي بإقناع المرؤوسين بأهمية وقيمة أعمالهم والقيام بدفع العاملين بتوظيف رغباتهم الفردية للمصلحة العامة، وتعد القيادة التحويلية لنقل رؤية وتوقعات عن مستويات أداء عالية، ونقل تصور مستقبلي متفائل وجذب اهتمام جميع المهتمين[31].

(27) بطرس حلاق (2020) "القيادة الإدارية" من منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، ص. ص: 1- 246.

(28) فراطس أميرة، وآخرون (2020) أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المؤسسات الاقتصادية العمومية الجزائرية- دراسة ميدانية بمؤسسة سونالغاز قالمة" شهادة ماستر، تخصص اتصال وعلاقات عامة، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 112.

(29) محمد مسلم حسن علي، عبد الله عالي القرفي (2017) "القيادة الخادمة لدى رؤساء ومشرفات الأقسام الأكاديمية بجامعة تبوك وعلاقتها بالالتزام التنظيمي لدى أعضاء هيئة التدريس" المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد (6) العدد (11)، ص. ص: 46- 63.

(30) AL- Shaikh H Y, AL-M aamari M AA, (2020) "The influence of transformational leadership behaviors on organizational innovation in Yemeni hospitals conceptual analysis" international journal of intellectual human resource management (IJIHRM), 1, (2), PP: 18- 24.

(31) Munyeka W (2023) "Leadership, well- being, organizational commitment and quality of work life among hotel employees during covid- 19" social sciences and education research review, vol 10, issue 1, pp: 189- 202.

**9- أدبيات نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة:**

**تعد المشروعات الصغيرة والمتوسطة طاقة إنتاجية تقوم بتوليد الدخل وطرفي العمل، وتقوم بزيادة الناتج القومي، وتمثل دور كبير في إحداث التنمية الاجتماعية التي تسعى إليها معظم دول العالم، عن طريق التقليل من معدلات الفقر والبطالة، وتقليل تكاليف الإنتاج ومرونة وكفاءة كبيرة في التعامل مع ظروف الأسواق بالمقارنة مع المشروعات الكبيرة بالإضافة إلى استخدامها مدخلات الإنتاج الوطنية، وجعلها تقوم بدور هام في سلاسل الإمداد العالمية، ودورًا بارزًا في الإنتاج والتوظيف وتعد عوامل نجاح المشروعات من الأمور الرئيسية[32] التي تؤدي إلى جذب انتباه المنظمات للتركيز على المستقبل الذي تسعى إليه، وتعرف بعوامل النجاح الرئيسية للمشروعات، وهي الأساس الذي يدعم بقاء العاملين في المشروع وتمتعهم بالرضا، بالإضافة إلى الاستقرار المالي وجعل المشروع قادر على المنافسة، ومصطلح عوامل النجاح من المفاهيم الحديثة وهو مفهوم إداري من الدرجة الأولى ويستعمل لأي عنصر يكون ضروري من أجل تحقيق النجاح للمشروعات، وينبغي أن تقوم إدارة المنظمات بتحديد عوامل نجاح المشروعات من أجل تجنب المخاطر والصعوبات والتي يترتب عليها فشل المشروع وأيضًا لأجل استغلال الفرص التي تؤدي لنجاح أعمالها، وعليه فإن عوامل نجاح المشروعات لها العديد من الخصائص[33]. وتقوم عملية تحديد مجالات عوامل نجاح المشروعات على مجموعة من الافتراضات وهي أن لكل هدف استراتيجي للمنظمة لع عوامل حرية وتختلف من حيث الطبيعة ودرجة الحرج، وأيضًا تختلف باختلاف الهدف، وإن كل قرار استراتيجي في المشروع يتزامن بحد أدنى بعامل نجاح واحد، وأن القرارات الاستراتيجية في المشروع هي التي تقوم بتحديد مجموعة عوامل نجاح المشروعات، بالإضافة إلى ضرورة المراقبة المستمرة لعوامل نجاح المشروعات[34].**

**وتعد أهم عوامل نجاح المشروعات هو القيام بتخطيط موارد المشروع حيث هو أهم النظم الحديثة في مجال تشغيل البيانات وتوفير المعلومات، ويهدف تخطيط الموارد إلى إيجاد نظام معلومات متكامل يضم جميع الأنشطة الداخلية، وأنه الحل الأفضل لتحقيق استمرارية التحسين، ويمنح أدوات فعالة لتلبية احتياجات المنظمات ومتطلبات السوق بشكل دقيق وسريع[35]. ومن جانب آخر فإن وجود الموارد البشرية المؤهلة والمدربة داخل المنظمة له دور كبير في عملية نجاح الأنشطة المرتبطة بالمشروعات داخلها حيث هي من تقوم بالابتكار والإبداع، وهي المسئولة عن وضع الاستراتيجيات والاستثمار في رأس المال[36]. وتعد إدارة المخاطر من أهم**

(32) عبد الله العلي النعيم (2015) "المشروعات الصغيرة والمتوسطة والأسر المنتجة روافد للتنمية- جهود المملكة العربية السعودية في تعضيدها ومساعدتها" ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر في البلدان العربية" الواقع والتطلعات، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي- الكويت، ص. ص: 1- 16.

(33) سحيمي فايزة، الزين عبد المجيد (2020) "دور القائد الاستراتيجي في تسيير المشروعات الصغيرة والمتوسطة بولاية سيدي بلعباس بالجزائر" المجلة العربية للإدارة، مج 40، ع2، ص. ص: 43- 60.

(34) عبد الله العلي النعيم (2015) "المشروعات الصغيرة والمتوسطة والأسر المنتجة روافد للتنمية- جهود المملكة العربية السعودية في تعضيدها ومساعدتها" ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر في البلدان العربية" الواقع والتطلعات، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي- الكويت، ص. ص: 1- 16.

(35) البنك المركزي الأردني (2017) "دليل المشاريع الصغيرة والمتوسطة" مبادرة مشتركة بين البنك المركزي الأردني، وصندوق سند للدعم الفني، ص. ص: 1- 39.

(36) فراطس أميرة، وآخرون (2020) أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المؤسسات الاقتصادية العمومية الجزائرية- دراسة ميدانية بمؤسسة سونالغاز قالمة" شهادة ماستر، تخصص اتصال وعلاقات عامة، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 112.

العوامل التي تساعد على إتمام المشروع بشكل ناجح، وإدارة المخاطر هي علمية نستطيع عن طريقها تحديد وتفسير المخاطر المحيطة بالمشروع، وتوضيح آليات الاستجابة لتلك المخاطر، ويكون هدفها إزالة المخاطر وتقليلها أو التحكم بها وضبطها، وتتضح في إدارة المشاريع آلية عمل إدارة المخاطر والتي تتم عن طريق تعريف وتحديد المخاطر هل هي مخاطر داخلية أم مخاطر خارجية، ثم عملية تقييم المخاطر ثم مرحلة تحديد مخرجات تقييم المخاطر وفيها قائمة بالفرص وقائمة بالتهديدات، ثم تأتي مرحلة المتابعة وهي القام بالجمع المنهجي للبيانات المتعلقة بمؤشرات محددة للمساعدة في معرفة المسار الصحيح نحو تحقيق النتائج المرجوة، والمتابعة تقوم بتوفير البيانات والمعلومات لإدارة المشروع عن أنشطة المشروع المنفذة مما يمكنهم من تحليل الموقف الحالي للمشروع ومقارنة ما تحقق فعلًا بما كان مخطط تنفيذه[37].

## المبحث الثالث: الإطار العملي للبحث:

### 1- منهجية الدراسة:

#### 1-1 فلسفة ومنهج الدراسة:

استخدم الباحث النموذج الوصفي مع المنهج الكمي لإجراء هذا البحث، واستخدام النموذج الوصفي من أجل الحفاظ على موضوعية النتائج، ويساعد النموذج الوصفي يساعد في فهم أنماط القيادة الإدارية وأثرها في نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة، باعتباره ظاهرة قابلة للقياس، وتم استخدام المنهج الكمي لهذه الدراسة لأنه يركز على الحصول على بيانات كمية وتقييمها باستخدام الأساليب الرياضية وخاصة الإحصاء، ووجد البحث أن الاستقصاء باستخدام الاستبانة مناسب حيث يقوم الباحث بطرح مجموعة من الأسئلة من أجل وصف خصائص مجموعة أو شرحها.

#### 1-2 تصميم قائمة الاستبانة:

تم تصميم قائمة الاستبانة على مقياس ليكرت خماسي الاتجاه وتضمنت مجموعة من العبارات تقيس اتجاهات أفراد العينة تجاه متغيرات الدراسة، وتكونت من عدة مقاييس لقياس آراء واتجاهات العينة تجاه متغيرات الدراسة وهي:

أنماط القيادة الإدارية، ومقياس أنماط القيادة الإدارية المتمثل في المحاور التالية (القيادة الأوتوقراطية (التسلطية)، القيادة الديمقراطية، والقيادة التحويلية)، ومقياس نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة (تواجد موارد بشرية مؤهلة- استراتيجية موجهة الأهداف- القدرة على إدارة المخاطر).

#### 1-3 مجتمع وعينة الدراسة الميدانية وجمع البيانات:

يتكون مجتمع الدراسة من العاملين بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة في ليبيا وهو مجتمع كبير جدا يصعب الوصول له بشكل عام خاصة في الوقت المحدد للدراسة وقدرات الباحث المادية لذلك قام الباحث بإجراء البحث باستخدام العينة العشوائية من خلال تصميم استبيان على الانترنت ونشره في مجتمع العاملين بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة واستخدم عينة عشوائية

(37) سحيمي فايزة، الزين عبد المجيد (2020) "دور القائد الاستراتيجي في تسيير المشروعات الصغيرة والمتوسطة بولاية سيدي بلعباس بالجزائر" المجلة العربية للإدارة، مج 40، ع2، ص. ص: 43- 60.

كجزء من المجتمع الكلي وتم حساب حجمها طبقا للمعايير الإحصائية وهذا المجتمع غير محدد حجمه بصورة دقيقة من وهو ما دفع الباحث الى استخدام حجم العينة بالطرق التالية[38]:

1- جدول(Krejcie & Morgan, 1970) ، لتحديد حجم العينة بناء على حجم المجتمع ودرجة الدقة وعند المجتمع أكبر من 100 الف ودرجة ثقة 95% فنجد ان حجم العينة حسب جداول384 مبحوث.

2- طريقة ريتشارد جيجر

$$n = \frac{\left(\frac{Z}{D}\right)^2 * (0.50)}{1 + \frac{1}{N}\left(\left(\frac{Z}{D}\right)^2 * (0.50)^2 - 1\right)} = 384$$

3- طريقة شمس الدين

$$n = \frac{n_0 * M}{n_0 + M - 1} = 384$$

حيث : n__0 : حجم العينة المبدئي = 294

Z : القيمة تحت المنحنى الطبيعى عند درجة ثقة 95% = 1.96

D : نسبة الخطأ المقبول = 0.05

σ^2 : تباين المجتمع الذى حجمه M أو N

P=1-P : احتمال ظهور الصفة = 0.50

n : حجم العينة المحسوب المقترح

وقد تم حساب حجم العينة بكل طريقة من الطرق السابقة وكانت 384 لذلك عمد الباحث الا يقل عدد المستجيبين عن 384 مستجيب فقام بنشر الاستبيان على نموذج جوجل وكان حجم الاستمارات التي تم استرجاعها 400 مفردة.

**4- تحليل ثبات مقاييس الدراسة:**

قام الباحث باستخدام برنامج SPSS للتحقق من مقاييس ثبات وصدق عبارات الاستبيان أى مدى وضوح الفقرات أو العبارات الواردة في مقاييس البحث، وإجراء أي تعديلات على هذه المقاييس، أو حذف بعض الفقرات الخاصة بأحد المقاييس، خاصة وإذا كانت قيمة ألفا كرونباخ أقل من (0.6) فيتم استخدام إجراء Scale if item deleted أو حذف الأسئلة الأقل ارتباطا الخاصة بمتغير ما، حتى تصل قيمة ألفا كرونباخ إلى (0.6) أو أكثر.

والجدول (1) يوضح مقاييس الثبات والصدق للاستبيان ومقاييسه فعند تطبيق اختبار ألفا كرونباخ على كامل عبارات الاستبيان وعددها 30 كانت (0.998) وكان معامل الصدق وهو الجذر التربيعي لمعامل الفا (0.999) وهو ما يعنى ارتفاع مقياس الثبات ومقياس الصدق لعبارات الاستبيان وقد تم تطبيقه على كافة المقاييس كما بالجدول وتبين أن هذه القيم تشير إلى أن درجة الثبات جيدة، وهي أعلى بكثير من الحد الأدنى المقبول لقبول الاعتمادية أو (الثبات)

(38) شمس الدين أحمد علي، إبراهيم محمد إبراهيم سيد أحمد، (2019). تقدير حجم العينة في البحث العلمي، مجلة جامعة شندي للعلوم التطبيقية، العدد (1) 2019: 47-49.

البالغ (0.60) (Field, 2009)، وتؤكد على صلاحية الاعتماد على هذه المقاييس؛ وتدل هذه النتائج أنه في حال أُعيدت الدراسة باستخدام نفس المقاييس، وفي ظل ظروف مشابهة فإن نسب الحصول على هذه النتائج ستكون مشابهة.

جدول رقم (1) قيم معاملات ألفا كرونباخ لمقاييس البحث

| المجال | العدد | معامل الثبات الفا كرونباخ | معامل الصدق |
|---|---|---|---|
| كل العبارات | 30 | 0.998 | 0.999 |
| أنماط القيادة الإدارية | 15 | 0.997 | 0.998 |
| القيادة الأوتوقراطية (التسلطية) | 5 | 0.989 | 0.994 |
| القيادة الديمقراطية (التشاركية) | 5 | 0.997 | 0.998 |
| القيادة التحويلية | 5 | 0.991 | 0.995 |
| نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة | 15 | 0.995 | 0.997 |
| تواجد موارد بشرية مؤهلة | 5 | 0.986 | 0.993 |
| استراتيجية موجهة الأهداف | 5 | 0.983 | 0.991 |
| القدرة على إدارة المخاطر | 5 | 0.988 | 0.994 |

**5- وصف عينة الدراسة:**

نلاحظ من الجدول (2) ارتفاع نسبة الذكور (79.5%) عن الاناث (20.5%)، وان الفئة العمرية من 30 الى 40 سنة تشكل أكثر من نصف العينة وأن البكالوريوس هو المؤهل الأكثر انتشارا بين افراد العينة (73.8%)، وأن الإداريين (48.8%) والمحاسبين (47.3%) يشكلان حوالى 95% من حجم العينة، وتنتشر التخصصات العلمية المختلفة بنسب متفاوتة حيث تبلغ نسبة المتخصصين في إدارة الأعمال (31.5%) والاقتصاد (11.3%) وعلوم الحاسب (11%) والعلوم المصرفية (22.5% )، وكذلك سنوات الخبرة حيث بلغت أكبر نسبة من أفراد العينة لذوى سنوات الخبرة أقل من خمس سنوات (41%) يليها العاملين ذوى سنوات الخبرة أكبر من 15 سنة (23%) وأقلها نسبة العاملين ذوى سنوات الخبرة من خمس الى عشر سنوات (17%).

جدول رقم (2) توزيع المبحوثين حسب البيانات الاساسية لعينة الدراسة

| المتغير | الوصف | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|
| النوع | ذكر | 318 | 79.5% |
| | أنثى | 82 | 20.5% |
| الفئة العمرية | اقل من 30 | 25 | 6.3% |
| | من 30 – 40 | 207 | 51.8% |
| | من 40-50 | 108 | 27% |
| | أكثر من 50 | 60 | 15% |
| المؤهل الدراسي | دبلوم فنى | 68 | 17% |
| | بكالوريوس | 295 | 73.8% |
| | ماجستير | 32 | 8% |
| | دكتوراه | 5 | 1.3% |
| المستوى الوظيفي | إداري | 195 | 48.8% |
| | رئيس قسم | 8 | 2% |
| | محاسب | 189 | 47.3% |
| | مدير موارد بشرية | 8 | 2% |
| تخصص علمي | إدارة أعمال | 126 | 31.5% |
| | اقتصاد | 45 | 11.3% |
| | علوم حاسب | 44 | 11% |
| | علوم مصرفية | 90 | 22.5% |
| | محاسبة | 95 | 23.8% |
| سنوات الخبرة | أقل من 5 سنوات | 164 | 41% |
| | من 5 – 10 سنوات | 68 | 17% |
| | من 10 – 15 سنة | 76 | 19% |
| | أكثر من 15 سنة | 92 | 23% |
| الإجمالي | | 400 | 100% |

## نتائج الدراسة (اختبار فرضيات الدراسة):

**1.6 الفرضية الأولي لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أنماط القيادة الإدارية وعوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.**

تم قياس نمط القيادة من خلال خمسة أسئلة معبرة عن كل نمط من أنماط القيادة في

المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي حيث يوجد ثلاثة أنماط للقيادة في المجتمع الليبي وهى القيادة الأوتوقراطية (التسلطية)، والقيادة الديمقراطية (التشاركية)، والقيادة التحويلية ، وذلك على مقياس ليكرت الخماسي لتحديد نمط القيادة السائد في المشروعات الصغيرة والمتوسطة من خلال تحديد القيمة الأكبر فيما بينهم، وقد تتساوى هذه المتوسطات معا فتنتشر أنماط القيادة بنفس الصورة أو قد يتساوى أي متوسطين معا لينتشر نمطين فقط منهما على حساب النمط الثالث والجدول التالى يوضح مدى انتشار كل نمط من الأنماط في المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي

وتم قياس عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي من خلال ثلاثة متغيرات هي تواجد موارد بشرية مؤهلة ،استراتيجية موجهة الأهداف، القدرة على إدارة المخاطر وتم قياس كل منها بخمسة أسئلة، ولتوضيح مدى وجود هذه العلاقة تم تحديد نمط القيادة المنتشر في المشروعات الصغيرة والمتوسطة بالمجتمع الليبي حيث ينتشر ثلاثة أنماط للقيادة وهى القيادة الأوتوقراطية (التسلطية)، والقيادة الديمقراطية (التشاركية)، والقيادة التحويلية وتم قياس كل منها بمجموعة من الأسئلة على مقياس ليكرت الخماسي وذلك لتحديد نمط القيادة السائد في المشروعات الصغيرة والمتوسطة من خلال تحديد القيمة الأكبر فيما بينهم، وقد تتساوى هذه المتوسطات معا فتنتشر أنماط القيادة بنفس الصورة أو قد يتساوى أي متوسطين معا لينتشر نمطين فقط منهما على حساب النمط الثالث والجدول التالى يوضح مدى انتشار كل نمط من الأنماط في المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.

جدول (3) مدى انتشار أنماط القيادة في المشروعات الصغيرة والمتوسطة بالمجتمع الليبي

| أنماط القيادة الإدارية | التكرار | النسبة |
|---|---|---|
| انتشار الانماط الثلاثة | 289 | 72.3% |
| القيادة الأوتوقراطية (التسلطية) | 9 | 2.3% |
| القيادة الديمقراطية (التشاركية) | 11 | 2.8% |
| القيادة التحويلية | 35 | 8.8% |
| قيادة ديموقراطية وتحويلية | 36 | 9.0% |
| قيادة اوتوقراطية وديموقراطية | 8 | 2.0% |
| قيادة اوتوقراطية وقيادة تحويلية | 12 | 3.0% |
| الإجمالي | 400 | 100.0 |

ويتضح من الجدول رقم 3 انتشار الأنماط الثلاثة للقيادة مجتمعة في المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي وبنسبة 72.3% وأن أكثر أنماط القيادة انتشارا بصورة منفردة هو نمط القيادة التحويلي وأقلها انتشارا هو النمط الاتوقراطى أو التسلطى بنسبة 2.3% ولتوضيح مدى وجود علاقة بين المتغير الأول وهو نمط القيادة المنتشر وبين كل من عوامل نجاح

المشروعات الصغيرة والمتوسطة كمقياس رئيسي ومقاييسه الفرعية تم تحديد معامل ارتباط بيرسون على برنامج SPSS بين متغيرات الدراسة والجدول التالي يوضح تلك العلاقات.

جدول (4) العلاقة بين نمط القيادة وعوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة

| المتغير | أنماط القيادة الإدارية | تواجد موارد بشرية مؤهلة | | القدرة على إدارة المخاطر | نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة |
|---|---|---|---|---|---|
| أنماط القيادة الإدارية | 1 | -0.252-** | -0.249-** | -0.248-** | -0.251-** |
| تواجد موارد بشرية مؤهلة | -0.252-** | 1 | 0.994** | 0.986** | 0.999** |
| استراتيجية موجهة الأهداف | -0.249-** | 0.994** | 1 | 0.973** | 0.995** |
| القدرة على إدارة المخاطر | -0.248-** | 0.986** | 0.973** | 1 | 0.991** |
| نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة | -0.251-** | 0.999** | 0.995** | 0.991** | 1 |

** مستوى الدلالة الإحصائية أقل من 0.01

ويتضح من الجدول (4) وجود ارتباط ذو دلالة إحصائية عالية جدا بين نمط القيادة وكافة مقاييس عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة ف المجتمع الليبي ولكنها ارتباطات ضعيفة حيث يرتبط نمط القيادة بالمقياس العام لعوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة بمعامل ارتباط قدره (0.251)، تواجد موارد بشرية مؤهلة بمعامل ارتباط قدره (0.252)، استراتيجية موجهة الأهداف بمعامل ارتباط قدره (0.249)، القدرة على إدارة المخاطر بمعامل ارتباط قدره (0.248)، وجميعها ارتباطات ذات دلالة إحصائية عالية.

6. 2 **الفرضية البحثية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية بين أنماط القيادة الإدارية على عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.**

للتعرف على وجود أثر لنمط القيادة الإدارية في المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي على عوامل نجاح هذه المشروعات قام الباحث باستخدام تحليل التباين على برنامج SPSS وكان احد مخرجات البرنامج جدول متوسطات المتغيرات لكل أنماط القيادة المنتشرة كما يلي:

جدول (5) متوسطات عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة حسب نمط القيادة المنتشر

| نمط القيادة | تواجد موارد بشرية مؤهلة | استراتيجية موجهة الأهداف | القدرة على إدارة المخاطر | نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة |
|---|---|---|---|---|
| انتشار الانماط الثلاثة | 4.268 | 4.297 | 4.284 | 4.283 |
| القيادة الأوتوقراطية (التسلطية) | 3.378 | 3.600 | 3.622 | 3.533 |
| القيادة الديمقراطية (التشاركية) | 4.200 | 4.309 | 4.073 | 4.194 |
| القيادة التحويلية | 3.589 | 3.611 | 3.526 | 3.575 |
| قيادة ديموقراطية وتحويلية | 4.211 | 4.233 | 4.189 | 4.211 |
| قيادة اوتوقراطية وديموقراطية | 3.825 | 4.000 | 4.000 | 3.942 |
| قيادة اوتوقراطية وقيادة تحويلية | 2.650 | 2.667 | 3.000 | 2.772 |
| المتوسط العام | 4.124 | 4.161 | 4.145 | 4.143 |

ويتضح من الجدول (5) اختلاف قيم متوسطات مقياس عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة ومقاييسه الفرعية ارتفاعا وانخفاضا حسب نمط القيادة المنتشر فعندما ينتشر نمط القيادة الاوتوقراطية والتحويلية تنخفض متوسطات المقاييس وعندما تنتشر الأنماط الثلاثة معا ترتفع متوسطات المقاييس كما يلاحظ ما يلي:

1. عند انتشار أنماط الثلاثة معا في أحد المشروعات الصغيرة والمتوسطة تكون متوسطات عوامل نجاح المشروعات اعلى مايمكن.
2. عند انتشار نمطين من أنماط القيادة تكون متوسطات نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في اعلى قيمة عند وجود نمطي القيادة الديمقراطية والتحويلية في حين تكون عند أقل قيمة عند انتشار نمطي القيادة اوتوقراطية والتحويلية
3. عند انتشار نمط القيادة الديموقراطى وحده في المشروعات الصغيرة والمتوسطة تكون عوامل نجاحها أعلى مايمكن
4. عند انتشار نمط القيادة الاوتوقراطي وحده في المشروعات الصغيرة والمتوسطة تكون عوامل نجاحها أعلى مايمكن
5. عند انتشار نمط القيادة التحويلي وحده في المشروعات الصغيرة والمتوسطة تكون عوامل نجاحها أعلى من المتوسط بقليل.

ويوضح ذلك الرسم البيانى التالى:

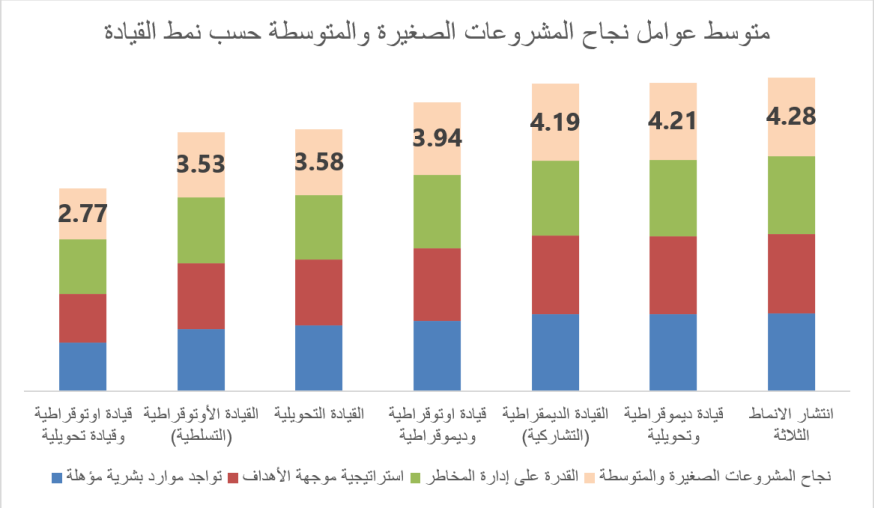


**شكل (1) متوسط عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة حسب نمط القيادة**

وللتعرف على مدى وجود دلالة إحصائية للاختلافات بين متوسطات عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة ترجع الى نمط القيادة فان جدول تحليل التباين يوضح نتائج هذا الاختبار.

**جدول (6) تحليل التباين لمقاييس نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة حسب نمط القيادة المنتشر**

| المتغير | | درجات الحرية | متوسطة مجموع المربعات | قيمة F | الدلالة |
|---|---|---|---|---|---|
| تواجد موارد بشرية مؤهلة | 48.147 | 6 | 8.025 | 11.425 | 0.000 |
| استراتيجية موجهة الأهداف | 46.173 | 6 | 7.696 | 11.204 | 0.000 |
| القدرة على إدارة المخاطر | 37.528 | 6 | 6.255 | 10.444 | 0.000 |
| نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة | 43.364 | 6 | 7.227 | 11.033 | 0.000 |

يتضح من الجدول (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية جدا بين متوسطات مقياس عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة والمقاييس الفرعية له، وذلك لان مستوى الدلالة الإحصائية (0.000)، وللتعرف على حجم هذا الأثر تم عمل حساب قيمة ايتا لحساب مربع ايتا والتي تستخدم احصائيا لقياس حجم الأثر وكانت النتائج كما بالجدول التالى:

جدول (7) حجم أثر نمط القيادة على عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة

| المتغير | ايتا | مربع ايتا | حجم الأثر |
|---|---|---|---|
| تواجد موارد بشرية مؤهلة | 0.385 | 0.149 | كبير |
| استراتيجية موجهة الأهداف | 0.382 | 0.146 | كبير |
| القدرة على إدارة المخاطر | 0.371 | 0.138 | متوسط |
| نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة | 0.380 | 0.144 | كبير |

يتضح من الجدول (7) وجود أثر كبير لنمط القيادة المنتشر على عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسط في كافة المقاييس لان قيمة مربع ايتا أكبر من 0.14 في تواجد موارد بشرية مؤهلة (0.149)، استراتيجية موجهة الأهداف (0.146)، نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة (0.144) فيما عدا القدرة على إدارة المخاطر فان حجم الأثر متوسط لأن قيمة مربع ايتا تقع بين 0.06، 0.14 وقدرها (0.138).

## 1- النتائج:

تشير هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، وهي كما يلي:

1. تنتشر أنماط القيادة الإدارية الثلاثة سويا في أكثر من 72% من المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.
2. أكثر أنماط القيادة الإدارية انتشارا بمفرده في المشروعات الصغيرة والمتوسطة هو نمط القيادة التحويلي وأقلها انتشارا هو القائد الاوتوقراطي.
3. توجد اختلافات ذات دلالة إحصائية فى عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي ترجع الى نمط القيادة المنتشر في هذه المشروعات.
4. يوجد أثر كبير لنمط القيادة الإدارية المستخدم على عوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجتمع الليبي.
5. أعلى متوسطات لعوامل نجاح المشروعات الصغيرة والمتوسطة كان عند وجود نمط القيادة الديموقراطية (التشاركية) يليها القيادة التحويلية واقل المتوسطات للقيادة الاوتوقراطية (المتسلطة).

## 2- التوصيات:

1. ضرورة وجود نمط قيادة ديمقراطى في المشروعات الصغيرة والمتوسطة لضمان توفر عوامل نجاحها، ويتم ذلك من خلال تدريب الأجهزة الحكومية المسئولة عن المشروعات الصغيرة والمتوسطة لقيادات هذه المشروعات وكذلك عند اختيارهم من الأساس.
2. ضرورة نشر الوعي بأهمية وجود النمط القيادة الديمقراطي في المشروعات الصغيرة والمتوسطة والعوائد المتوقعة من وجوده على كافة العاملين بما فيهم القيادات نفسها.

## قائمة المراجع:

### المراجع العربية:


105. إبراهيم بن حنش سعيد الزهراني (2018) «القيادة الاستراتيجية وأثرها في تطوير قدرات التعلم التنظيمي- دراسة ميدانية بجامعة أم القرى» المجلة الدولية للأبحاث التربوية، المجلد (42)، العدد (2)، ص. ص: 189- 240.

106. ألاء مصطفى خليل (2021) «عوامل نجاح وفشل المشاريع في المنظمات غير الربحية- دراسة حالة- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» رسالة ماجستير في إدارة الأعمال التخصصي MBA، الجامعة الافتراضية السورية، وزارة التعليم العالي، سوريا، ص. ص: 1- 92.

107. بطرس حلاق (2020) «القيادة الإدارية» من منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، ص. ص: 1- 246.

108. البنك المركزي الأردني (2017) «دليل المشاريع الصغيرة والمتوسطة» مبادرة مشتركة بين البنك المركزي الأردني، وصندوق سند للدعم الفني، ص. ص: 1- 39.

109. حسام الدين السيد محمد إبراهيم (2023) «القيادة الأبوية كمدخل لتطوير أداء مديري مدارس التعليم العام بجمهورية مصر العربية في ضوء بعض النماذج المعاصر: تصور مقترح» مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف الجزء الأول، ص. ص: 67- 760.

110. حماش علي (2018) «الأساليب القيادية وعلاقتها بتعزيز أخلاقيات العمل لدى الموظفين- دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد لمين دباعين- سطيف ح» شهادة الماستر أكاديمي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- الجزائر، ص. ص: 1- 131.

111. سحيمي فايزة، الزين عبد المجيد (2020) «دور القائد الاستراتيجي في تسيير المشروعات الصغيرة والمتوسطة بولاية سيدي بلعباس بالجزائر» المجلة العربية للإدارة، مج 40، ع2، ص. ص: 43- 60.

112. شمس الدين أحمد علي، إبراهيم محمد إبراهيم سيد أحمد، (2019). تقدير حجم العينة في البحث العلمي، مجلة جامعة شندي للعلوم التطبيقية، العدد (1) 2019: 47-49.

113. عالية بنت إبراهيم محمد طحطوح (2016) «تأثير أنماط القيادة الإدارية على سلوك المواطنة التنظيمية- دراسة تطبيقية على موظفات جامعة الملك عبد العزيز بجدة» رسالة ماجستير في الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، المملكة العربية السعودية، ص. ص: 1- 127.

114. عبد الله العلي النعيم (2015) «المشروعات الصغيرة والمتوسطة والأسر المنتجة روافد للتنمية- جهود المملكة العربية السعودية في تعضيدها ومساعدتها» ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر في البلدان العربية» الواقع والتطلعات، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي- الكويت، ص. ص: 1- 16.

115. فاتن باشا (2017) «اتجاه القادة الإداريين نحو المسئولية الاجتماعية للمنظمات- دراسة حالة مجتمع سونلفاز- بسكرة» أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر- بسكرة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ص. ص: 1- 453.

116. فراطس أميرة، وآخرون (2020) أثر أنماط القيادة الإدارية على الأداء الوظيفي في المؤسسات

الاقتصادية العمومية الجزائرية- دراسة ميدانية بمؤسسة سونالغاز قالمة» شهادة ماستر، تخصص اتصال وعلاقات عامة، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 112.

117. كدار علي حسين الغزاوي (2021) «تأثير القيادة الاستراتيجية في تعزيز الأداء العالي- دراسة استطلاعية تحليلية لآراء عينة من القيادات العليا في هيئة الحشد الشعبي» رسالة ماجستير في علوم إدارة الأعمال، قسم إدارة الأعمال، الدراسات العليا، برنامج الماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص. ص: 1- 148.

118. محمد علي عبد الحميد سعد (2021) «العلاقة بين الشفافية الإدارية وإدارة التغيير في المنظمات العامة- دراسة ميدانية على مديريات الخدمات بمحافظة الدقهلية» المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، ص. ص: 655- 704.

119. محمد مسلم حسن علي، عبد الله عالي القرفي (2017) «القيادة الخادمة لدى رؤساء ومشرفات الأقسام الأكاديمية بجامعة تبوك وعلاقتها بالالتزام التنظيمي لدى أعضاء هيئة التدريس» المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد (6) العدد (11)، ص. ص: 46- 63.

120. ناصر طهار، زواوي فتيحة (2021) «القيادة الإدارية ودورها في تبني إدارة الابتكار بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة- دراسة حالة مؤسسة باتيميتال هياكل غرب» مجلة النمو الاقتصادي وريادة الأعمال JEGE معمل دراسات التنمية المكانية والريادية، مجلد 4، عدد 7، ص. ص: 81- 63.

121. نهى عثمان عبد المجيد محمد أرباب (2022) «أثر القيادة التحويلية في أداء العاملين- دراسة حالة: شركة كوفتي للمواد الغذائية- الخرطوم» المجلة العربية للنشر العلمي، العدد خمسة وأربعون، ص. ص: 105- 129.

**المراجع الأجنبية:**

1. AL Khajeh E H, (2018) « The impact of leadership Styles on organization Performance» Journal of Human Resources management Research, Vol 2018, pp.: 1- 10.

2. AL- Shaikh H Y, AL-M aamari M AA, (2020) «The influence of transformational leadership behaviors on organizational innovation in Yemeni hospitals conceptual analysis» international journal of intellectual human resource management (IJIHRM), 1, (2), PP: 18- 24.

3. Balbuema S E. Peraz J E M, (2020) «Application of leadership Theories in Analyzing The EFFECTS of leadership styles on productivity in Philippine Higher Education Institutions» Asia pacific Journal of multidisciplinary Research, Volume 8, No 3, pp: 53- 62.

4. Benming S, Agboola M, (2021) «Evolution of leadership Theory» BMJ Leader, 5, pp.: 3- 5.

5. Gandolfi F, Stone S. (2018) «Leadership, Leadership Styles and Servant Leadership» Journal of Management Research, Vol 18, No 4, pp.: 261- 269.

6. Hadziahmetovic N, et al (2023) «A Research Review of leadership styles» International Journal of A cadmic Research in Economics and Management Science, 12 (1), pp: 188- 206.

7. Jones A, Shideh R, (2020) «Leadership structure and practices in organizations and the development of a new leadership sustainable mode» International Journal of Innovation, Creativity and Change, Volume 14, Issue 8, pp: 91- 102.

8. Khan Z A, et al, (2016) « leadership Theories and Styles: A Literature Review» Journal of Resources Development and Management, An International peer-reviewed journal, Vol 16, pp.: 1- 7.

9. Mai, N, KH, et al (2022) «The impact of leadership traits and organization learning on business innovation» Journal of Innovation and Knowledge 7, pp: 1- 9.

10. Munyeka W (2023) «Leadership, well- being, organizational commitment and quality of work life among hotel employees during covid- 19» social sciences and education research review, vol 10, issue 1, pp: 189- 202.

11. Sacavem A et al, (2019) «An Integrative literature review on leadership models for innovative organization» Journal of Review on Global Economics, Vol 8, pp: 1741- 1751.

12. Samul, J (2020) «The Research Topics of leadership Bibliometric Analysis from 1923 to 2019» International of Education leadership and management, (8) 2, pp.: 116- 143 doi: 10, 17583/ijelm, 2020.5036.

13. Verawa Ti. DM, Hartono. B (2020) «Effective Leadership from the perspective of Trait Theory and Behavior Theory» Journal Rekomen (Riset Ekonomi manajenen) Vol 4, No, pp: 1323-.

14. Yondon renchin M. (2023) «The impact of leadership styles on employee loyalty and engagement» European journal of business and management research, vol 8, issue 4, pp: 94- 100.

# نظام المقاصة الإلكترونية وأثرها على الأداء المالي

## دراسة تطبيقية على مصرف المتحد للتجارة والاستثمار للفترة من 2014م إلى 2021م

إعداد:

**العجيـــلي ســـاسي زميـــم**

أستاذ مساعد- كلية الاقتصاد العجيلات/ جامعة الزاوية

الاستلام: 1.5.2024 القبول: 15.6.2024

**المستخلص:**

هدفت الدراسة إلى التعرّف على أثر نظام المقاصة الإلكترونية وأثرها على الأداء المالي في مصرف المتحد للتجارة والاستثمار. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تمّ استخدام المنهج الوصفي التحليلي. ولقد تمّ استخدام برنامج الحزمة الإحصائية Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) في تحليل البيانات الأولية الواردة في التقارير المالية السنوية للمصرف محلّ الدراسة (المتحد للتجارة والاستثمار للفترة من 2014 إلى 2021م). وتمّ استخدام نموذج الانحدار الخطي البسيط لقياس أثر المتغير نظام المقاصة الإلكترونية على الأداء المالي، وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 5% بين نظام المقاصة الإلكترونية ومعدل العائد على حقوق المساهمين في النموذج الأول، ووجود أثر ذي دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 5% بين نظام المقاصة الإلكترونية ومعدل العائد على الأصول في النموذج الثاني. كما توصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات تمثلت في: العمل على تهيئة وبناء بُنية تقنية قوية وسليمة لضمان نجاح كافة العمليات الإلكترونية للمصرف، وتدريب وتأهيل الكوادر المتخصصة بهذه الأنظمة لتتعامل مع كل العراقيل التي يمكن أن يواجها المصرف بخصوص هذه الأنظمة الإلكترونية فيما يتعلق بأنظمة التشغيل وأنظمة الأمان والحفاظ على سرية بيانات الزبائن.

**الكلمات المفتاحية:** نظام المقاصة الإلكترونية، الأداء المالي، مصرف المتحد للتجارة والاستثمار.

**Abstract:**

The study aimed to identify the impact of the electronic clearing system and its impact on the financial performance of the United Bank for Trade and Investment. To achieve the objectives of this study, the descriptive analytical method was used. The Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) program was used to analyze the primary data contained in the annual reports of the bank under study (United Trade and Investment for the period from 2014 to 2021). A simple linear regression model was used to measure the effect of the variable, the electronic clearing system, on financial performance. The study found that there was no statistically significant effect at the 5% level of significance between the electronic clearing system and the rate of return on shareholders' equity in the first model, and the presence of a statistically significant effect at the 5% level of significance between the electronic clearing

system and the return on assets rate in the second model. The study also reached a number of recommendations, which were: working to prepare and build a strong and sound technical infrastructure to ensure the success of all of the bank's electronic operations, and training and qualifying cadres specialized in these systems to deal with all the obstacles that the bank may face regarding these electronic systems with regard to operating systems and security systems. Maintaining the confidentiality of customer data.

**Keywords:** electronic clearing system, financial erformance, United Bank for Trade and Inv estment.

## 1. المقدمة:

البيئة المصرفية هي بيئة سريعة التطور من حيث اعتمادها على الأنظمة التكنولوجية، والتي تعتمد بشكل متزايد على أنظمة المعلومات لتغطية جميع جوانب الأنشطة المصرفية، من أجل تحقيق الأهداف الرئيسية للمؤسسات المالية، والمتمثلة في الاستدامة، والتنمية، ومن ثمّ تعظيم ثروة الملاك، يتوجب على المصارف إنشاء قنوات للتفاعل مع العملاء، والتكيف مع التغييرات في أساليب العمل، والسعي والاهتمام بالحفاظ على التوازن مع العملاء، والانخراط المباشرة مع الجمهور وإجراء الأعمال التجارية من خلال التطبيقات المختلفة[1].

أصبحت المقاصة الإلكترونية من أهم سمات المنظمات الحديثة، وأصبحت أهميتها بارزة بشكل خاص بعد زيادة حجم المعاملات المصرفية والتجارية. ونظام المقاصة الإلكترونية هو حلقة الوصل بين المصارف والمصارف المركزية، وتتمّ تنفيذ عملية المقاصة اعتماداً على صور ومعلومات الصكوك المتداولة من خلال شبكة اتصالات آمنة[2].

ولمصرف ليبيا المركزي سلطة إصدار التعليمات المتعلقة بالإجراءات التشغيلية والتعليمات المتعلقة بقواعد النظام إجراءات تشغيل وتطبيق النظام المتعلق بالمقاصة الإلكترونية[3].

## 2. مشكلة الدراسة.

يعتبر القطاع المصرفي من أهم القطاعات المهمة في القطاع المالي الليبي، حيث أحدثت المصارف التجارية طفرة في الخدمات المصرفية الرقمية خلال السنوات الأخيرة، كنتيجة حتمية وضرورية للتوسع في أنماط جديدة في الخدمات المصرفية، وذلك بهدف تعزيز كفاءة القطاع المصرفي. وبالتالي يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

هل يوجد أثر ذي دلالة إحصائية لنظام المقاصة الإلكترونية على الأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار؟

## 3. هدف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي للمصرف

(1) على، شروق الهادي وخضير، أرادن حاتم، (2020)،"التحول الرقمي للعمليات المصرفية كأداة لتطوير الأداء المالي الاستراتيجي لمصرف بغداد نموذجاً"، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 126، ص 3.

(2) الحديدي، ابتهال، (2020)، "المقاصة المصرفية الإلكترونية دراسة مقارنة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، ص 3.

(3) مصرف ليبيا المركزي، (2016)، "نظام المقاصة الالكترونية للصكوك القواعد التنظيمية ودليل الإجراءات"، WWW.CBL.LY

المتحد للتجارة والاستثمار وأيضاً التحقق من أثر نظام المقاصة الإلكترونية على مستوى الأداء المالي للمصرف محلّ الدراسة، وبناء على ذلك تقديم التوصيات والمقترحات التي من شأنها تعزيز عمل نظام المقاصة الإلكترونية في تحسين مستويات الأداء المالي للمصرف المتحد للتجارة والاستثمار.

**4. أهمية الدراسة.**

تُستمد أهمية هذه الدراسة من أهمية المجال البحثي المتعلق بأثر نظام المقاصة الإلكترونية على الأداء المالي، كما تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها أحد قنوات عملية التحول الرقمي وأثره على مستويات الأداء المالي في القطاع المصرفي في ليبيا من المواضيع الحديثة ولم تلقَ الاهتمام الكبير من الدراسات سواء على الصعيد المحلي على ضوء البيانات التي توفرت للباحث وقت إجراء هذه الدراسة، مما قد تقدم مساهمة في هذا المجال، ويفتح آفاق مستقبلية لدراسة هذا الموضوع في قطاعات اقتصادية ومالية أخرى.

وأيضاً تستمد أهميتها من تزايد اهتمام المصرف المركزي الليبي بعملية التحول الرقمي في المصارف التجارية في ليبيا كمرتكز لتحقيق الشمول المالي، وأيضاً في ظل المنافسة المتزايدة من قبل شركات التكنولوجيا المالية التي اعتمدت بشكل كبير على التقنيات الرقمية في تقديم الخدمات المالية لتحسين مستويات أدائها المالي.

**5. الدراسات السابقة.**

**1.5 دراسة (البخاري،2021)[4] هدفت إلى الكشف عن واقع تطبيق المصارف الجزائرية للتقنيات المصرفية الحديثة مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والخدمات المصرفية الإلكترونية وشبكات المعلومات. واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي للفترة 2002-2020. توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أبرزها أنّ المصارف في الجزائر تستخدم تقنيات مختلفة لتحسين الأداء بشكل فعّال من خلال زيادة القدرة التنافسية وتعظيم الأرباح وزيادة السيولة وخفض تكاليف التشغيل. لكن هذا لا ينفي الصعوبات العديدة التي تواجه ميكنة القطاع المصرفي الجزائري، ولا سيما من خلال توفير بنية تحتية تكنولوجية حديثة وشبكة اتصالات كاملة تربط المصارف الجزائرية.**

**2.5 دراسة (علي وخضير، 2020)[5] هدفت هذه الدراسة إلى الكشف على طبيعة وتأثير التحول الرقمي للمصارف مقاساً بالمؤشرات التالية (نظام التسوية الآنية، الدفع الإلكتروني، المقاصة الإلكترونية) على الأداء المالي مقاساً بالمؤشرات: (الربحية، السيولة، كفاية رأس المال، معدل التوظيف الأموال) لمصرف بغداد. وتمّ استخدام الأساليب الإحصائية مثل: معامل ارتباط بيرسون لتحديد قوة واتجاه العلاقة بين المتغير المُستقل والمتغير التابع، ونموذج الانحدار البسيط لتحديد تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع. وأظهرت الدراسة مجموعة من النتائج من أبرزها عدم وجود ارتباط، وتأثيرات ذات دلالة إحصائية بين مؤشرات التحول الرقمي في مؤشرات الأداء المالي لمصرف بغداد.**

(4) بوخاري، فاطمة، (2021)، "التكنولوجيا البنكية ودورها في تفعيل أداء البنوك دراسة حالة الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 2002م إلى 2020م"، مجلة الدراسات المالية والمحاسبية والإدارية، المجلد 8، العدد 3، ديسمبر.

(5) علي، شروق الهادي وخضير، أرادن حاتم، (2020)،"التحول الرقمي للعمليات المصرفية كأداة لتطوير الأداء المالي الاستراتيجي لمصرف بغداد نموذجاً"، مرجع سابق.

3.5 دراسة (الخضر،2015)[6] بعنوان: تحديد تأثير تطبيق المقاصة الإلكترونية في إتمام العمليات المحاسبية وزيادة ربحية المصارف. ولتحقيق هدف هذه الدراسة استخدمت الباحثة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لتحليل بيانات الدراسة باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS). وتوصّلت الدراسة لعدّة نتائج من أبرزها أنّ وسائل الدفع الإلكترونية توفر مستوى عالٍ من الآمان والسرعة والدقة للزبائن، وأن إدخال المقاصة الإلكترونية في المصارف السودانيةً يساهم في تقليل تكاليف الزبائن وله تأثير إيجابي في زيادة ربحية المصارف.

4.5 هدفت دراسة ( أبو الحسن، 2010)[7] إلى ضرورة مواكبة التطور في الجهاز المصرفي السوداني. حيث تبلورت مشكلة هذه الدراسة في عدم قدرة المصارف على مواكبة هذا التطور في الصناعة المصرفية وافترضت هذه الدراسة أنّ استخدام التقنية في المصارف يحقق مبدأ السلامة المصرفية ويرفع من مقدرتها وكفاءتها ووسائل الدفع الإلكترونية تساهم في توفير الوقت والتكلفة وقلة المخاطر وتقليل العمالة الورقية وكانت من أهم نتائجها أنّ وسائل الدفع الإلكترونية تساهم في توفير قدر كبير من الآمان والدقة والسرعة للعملاء، ووصّت الدراسة بتعميم فكرة الدفع الإلكتروني على جميع المصارف السودانية.

5.5 هدفت دراسة (الحان، 2009)[8] إلى بيان أثر استخدام التكنولوجيا الإلكترونية في تحسين الخدمات المصرفية، ومخاطر تطبيق مشروع الصيرفة الإلكترونية في السودان. وتوصّلت الدراسة إلى أنّ استخدام التكنولوجيا يساعد على تحسين الخدمات المقدمة للعملاء، وتأهيل وتدريب مسؤولي المصارف على التكنولوجيا المصرفية، والتركيز على تطوير طرق الدفع الإلكتروني، والتركيز على أمن وسلامة المعلومات.

## 6. ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

جاءت هذه الدراسة استكمالاً للدراسات السابقة، وقد تميزت عن الدراسات السابقة بتناولها موضوع نظام المقاصة الإلكترونية وأثرها على الأداء المالي في البيئة الليبية، في حين تناولت الدراسات السابقة موضوع المقاصة الإلكترونية في بيئات لدول أخرى، كما تميزت بأنّها تقيس متغير المقاصة الإلكترونية كمياً أي قيمة الصكوك بالدينار عكس الدراسات السابقة التي استخدمت الاستبيان للحصول على بيانات حول نظام المقاصة الإلكترونية.

## 7. الإطار النظري للدراسة.

### 1.7 مفهوم نظام المقاصة الإلكترونية -أهداف - مُميزات.

#### 1.1.7 نظام المقاصة الإلكتروني للصكوك.

هو نظام إلكتروني لعملية التبادل بين المصارف حيث يعمل على تبادل صور وبيانات الصكوك، ويقوم النظام بمسح ضوئي للشيك الورقي المُقدم وإرسال نسخة من الشيك وبياناته إلكترونياً إلى المصرف الذي يقوم بالدفع مقابل رسوم لحساب المستفيد، باستخدام شبكة اتصال آمنة بين المصارف، يقوم النظام باحتساب صافي المركز المالي متعدد الأطراف للمشتركين بناءً على

(6) الخضر، ابتهاج فضل الله، (2015)، "أثر تطبيق نظام المقاصة الإلكترونية في زيادة الربحية البنوك دراسة ميدانية على بنك الإسلامي السوداني"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة شندي، السودان.

(7) أبوالحسن الأمين، زينب، (2010)، "وسائل الدفع المالي الالكتروني في السودان"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الامارات التقنية.

(8) الحان، فضل الله الخضر، (2009)، "استراتيجية بنك السودان في التعامل مع التقنية الالكترونية دراسة حالة بنك أم درمان الوطني"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم.

جميع الصكوك ويأخذ المركز المالي من خلال نظام التسوية الإجمالي الفوري في نهاية الجلسة، بشرط أن يكون حساب التسوية للمشتركين كافياً من حيث السيولة[9].

**2.1.7 أهداف المقاصة الإلكترونية.**

تنقسم أهداف المقاصة الإلكترونية في التالي:

**أولاً/** أهداف تختص بالعميل (الزبون) في الآتي:

أ. تحصيل قيمة الصك بسرعة في وقت وجيز.

ب. الدقة في تحصيل الصكوك بحيث يتمّ إرسال بيانات الصك وصورته عبر قارئ مغناطيسي وماسح ضوئي.

ج. إمكانية الرجوع إلى بيانات الصك وصورته بسرعة.

د. تشجيع العملاء للتوسع في استخدام الصكوك بدلاً من النقود.

**ثانياً/** أهداف تختصّ بالموظفين (العاملين) في القطاع المصرفي في الآتي:

أ. اكتساب مهارات جديدة.

ب. تبسيط الإجراءات المصرفية

**ثالثاً/** أهداف تختصّ بالمصرف:

أ. زيادة ولاء الزبائن والموظفين بالنسبة للمصرف.

ب. رفع كفاءة الأداء المصرفي.

ج. التقليل من درجة المخاطر العمليات بالنسبة للصكوك المفقودة والمُعادة أكثر من مرة.

د. إمكانية توثيق إجراءات العمل وإدارة الأموال بصورة أفضل وتوفير إحصائيات دقيقة على الصكوك الواردة والمُعادة عدداً وقيمة، وتسهيل عمليات حفظ الصكوك واسترجاعها.

**3.1.7 مُميزات نظام المقاصة الإلكترونية.**

من أهم مُميزات نظام المقاصة الإلكترونية ما يلي:

1. التأمين ضد الاختراق، بحيث لا يسمح بالدخول إلاّ للمستخدمين فقط، وبالتالي يقلل من إمكانية التلاعب والاحتيال.

2. استمرارية العمل لوجود نظام تأمين قائم على الأسس الدولية[10]. وفي هذا الصدد، واستناداً إلى الصلاحيات المُخوّلة لمصرف ليبيا المركزي للإشراف على نظام المدفوعات الوطني، ووفقاً للقانون رقم (1) لمصرف ليبيا المركزي لسنة 2005 والتعديل الصادر بتاريخ 2012/05/06م رقم (46) لسنة 2012م. ووفقاً للمادة (5) من القانون المشار إليه، يُخوّل لمصرف ليبيا المركزي الإشراف على نظام المدفوعات الوطني بما في ذلك نظام المقاصة بين المصارف الخاضعة لأحكام هذا القانون[11].

(9) مصرف ليبيا المركزي، (2016)، "نظام المقاصة الالكترونية للصكوك القواعد التنظيمية ودليل الإجراءات"، مرجع سابق، ص 14- 15.

(10) بنك السودان المركزي، (2005)، "مشروع المقاصة الالكترونية لإعادة تصميم إجراءات العمل"، مارس، ص 8.

(11) مصرف ليبيا المركزي، (2016)، "نظام المقاصة الالكترونية للصكوك القواعد التنظيمية ودليل الإجراءات"، مرجع سابق، ص 9.

**2.7 أنواع غرف المقاصة.**

**1.2.7 نظام المقاصة اليدوي: وهو أول طريقة يتمّ فيها تبادل الصكوك بين أعضاء غرف المقاصة بحيث يأتي مندوب كل مصرف بجميع الصكوك المودعة لديه من قبل زبائنه والتي تكون مسحوبة على المصارف الأخرى مرتبة حسب كل مصرف. هذه العملية تسمى (التقاص Clearing) أي تبادل الصكوك. من واقع هذه العملية يستطيع المصرف معرفة الموقف المالي الخاص به كنتيجة للجلسة وذلك بتحديد مجموع قيم الصكوك المُقدّمة من طرفه ومجموع قيم الصكوك المسحوبة عليه، وبالتالي يستطيع كل مصرف في نهاية الجلسة معرفة صافي نتيجة المقاصة إمّا أن تكون لصالحه (دائن) أو يكون لصالح الأخرين (مدين) وهذه العملية تسمى (التصفية Netting).**

**2.2.7 نظام المقاصة الآلي (Automated Clearing House ACH): يعتمد هذا النظام على تصنيف وترتيب الصكوك باستخدام آلات مبرمجة ومتصلة بجهاز كمبيوتر رئيسي مع مهمة استخراج التقارير مُماثلة لتلك التقارير المستخدمة في الأنظمة اليدوية والاحتفاظ بسجلات تاريخية لها. ويمكن لهذه الآلات أيضاً تصوير الشيكات وتخزين النسخ في ملفات إلكترونية.**

**3.2.7 نظام التبادل الإلكتروني لمعلومات الصكوك (Truncation): عرّف بنك التسويات الدولية النظام على أنّه استبدال ومعالجة المعاملات الدفع الورقية (مثل الشيكات) عن طريق تحويل جزئي أو بشكل كامل للمعاملات إلى معاملات وسجلات إلكترونية ومعالجتها وإرسالها بين المصارف، ويعتمد هذا النظام على نظام ACH، مع اختلاف أنّ معلومات الصكوك يتمّ إرسالها عن بُعد إلى غرفة المقاصة عبر شبكة اتصالات آمنه، وتحصل المصارف على نتائج جلسات المقاصة عبر شبكة الاتصالات الآمنة.**

**4.2.7 نظام المقاصة بالتصوير الضوئي (Check Imaging and Truncation System CITS): مع استمرار تطوير أنظمة المقاصة التي تقوم على استخدام واسع للتقنيات يأتي هذا النظام بإضافة تبادل صور الصكوك إلكترونياً بين الأطراف المعنية. ويُمكّن هذا النظام كافة الأعضاء من إرسال صور الصكوك وبياناتها لمركز المقاصة ومن ثمّ يستطيع كل عضو الاطلاع على الصكوك المسحوبة عليه من كافة الأعضاء. ويستطيع المصرف المسحوب عليه أن يقوم بكافة عمليات الإجازة للصكوك من خلال البيانات وصور الصكوك وبالتالي اتخاذ القرار المناسب بالرفض أو القبول. كما في الأنظمة السابقة فلابدّ من الحصول على التقارير الخاص بالجلسة. ويساهم هذا النظام بتسريع دورة التحصيل والاستغناء عن التبادل الورقي للصكوك ويوفر مركز أرشفة إلكترونية لصور وبيانات الصكوك[12].**

**3.7 الغاية من نظام المقاصة الإلكترونية.**

**الغاية من هذا النظام هو تمكين مدير مركز المقاصة الإلكترونية من الاستعلام عن صافي وضع المقاصة لدى كافة المصارف المشتركة في المقاصة الإلكترونية في نهاية كل جلسة والعمل على مراقبة حركات الصكوك الصادرة والواردة واسترجاع نتائج التقارير من قاعدة البيانات الرئيسية للصكوك المُقدمة[13].**

(12) أمانة مجلس محافظي المصارف المركزية والمؤسسات النقد العربية، (2008)، "مقاصة الصكوك في الدول العربية-اللجنة العربية لأنظمة الدفع والتسوية"، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، ص 13- 15.

(13) مصرف ليبيا المركزي، (2019)، "نظام الارشفة".

### 4.7 الأداء المالي في القطاع المصرفي.

يعتبر الأداء المالي أحد أهم الركائز الأساسية لعنصري الكفاءة والفعالية لأي مصرف، وبالتالي يُمكن الحُكم على مدى قدرة المصرف على الاستمرارية أو لا. وتعددت المقاييس التي استخدمت لقياس الأداء المالي، استخدمت بعض الدراسات مؤشرات تعكس السوق مثل (عائد السهم، العائد الإضافي للسهم، سعر السهم، القيمة السوقية للأصول إلى القيمة الدفترية للأصول).

واستخدم البعض الآخر مقاييس محاسبية مثل معدل العائد على الأصول (ROA)، معدل العائد على الملكي(ROE) [14]. المؤشرات المحاسبية تركز على الأرباح المحققة نتيجة السياسات الإدارية وتعطينا صورة تاريخية عن الأداء المالي للمصرف. بينما مؤشرات السوق تعطي للمستثمرين صورة مستقبلية لقدرة المصرف على توليد الأرباح. ويُعدّ مؤشر الربحية هدفاً أساسياً لجميع المصارف وغاية يتطلع إليها المستثمرون، ويهتم به الدائنون عند تعاملهم مع المصرف[15] وبالتالي تعمل المصارف التجارية على تحقيق هدفها المتمثل في تحقيق الربحية من خلال قرارين هما: قرار الاستثمار، وقرار التمويل.

القرار الاستثماري: هي سلسلة من القرارات حول كيفية استخدام المصارف التجارية للموارد المتاحة للحصول على أصولها المختلفة، وينعكس تأثير قرارات الاستثمار على الربحية من خلال التخصيص الأمثل للموارد المتاحة للمصرف. بينما قرار التمويل: يتعلق بكيفية حصول المصارف التجارية على مصادر الأموال اللازمة لتوفير الأموال لتمويل أصولها، وينعكس تأثير قرار التمويل على الربحية من خلال ترتيب مصادر الأموال من الودائع وحقوق الملكية والديون، بحيث يمكن لصاحب المشروع الحصول على أكبر عائد ممكن. لذلك يمكن القول إنّ الربحية هي الهدف الاستراتيجي لنمو المصرف واستمراره لأنّ الخسائر والفشل في تحقيق الأرباح سيؤدي في النهاية إلى تآكل حقوق الملكية، الأمر الذي سيؤدي إلى التصفية[16].

### 1.4.7 مراحل تقييم الأداء المالي للمصرف.

يتطلب تقييم الأداء المالي دراسة متكاملة للمصرف للحصول على المعلومات اللازمة.

- معلومات من خلال حصر أنواع الملاحظات الأولية والبيانات الإحصائية للمصرف من واقع الوثائق المحاسبية، والتي تعكس التنفيذ الفعلي لمختلف أنشطة المصرف.
- تحليل المعلومات عن طريق دراستها وتحليلها مالياً ومعرفة مدلولها وتفسيرها.
- استخلاص الأحكام وتنفيذ القرارات من عملية التحليل، وذلك بالتأكد من تطابق الأداء مع الخطة الموضوعة، وتسجيل الانحرافات والتعرف على أسبابها والعمل على وضع الحلول لها في المستقبل.

(14) زميم، العجيلي، (2011)، "المحددات الذاتية المؤثرة على ربحية المصارف التجارية الليبية"، رسالة ماجستير غير منشورة، الاكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ليبيا، ص 58.

(15) فخري، سامر محمد وقادر، أسو بهاء الدين، (2016)، "مؤشر الربحية المصرفية والعوامل المؤثرة فيه دراسة قياسية في عينة من المصارف التجارية العراقية"، مجلة جامعة كركوك للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد 6، العدد 2، ص 149.

(16) زميم، العجيلي، (2011)، "المحددات الذاتية المؤثرة على ربحية المصارف التجارية الليبية"، مرجع سابق، ص 58.

**5.7 واقع الربحية في المصرف المتحد للتجارة والاستثمار.**

**انعكس الأداء المالي الذي حقّقه المصرف من عام 2014 م إلى 2021 م، وتمّ جمع البيانات من التقرير المالي السنوي المنشور على موقع المصرف.**

**على الرغم من سياسة الحيطة والحذر التي اعتمدها المصرف في السنوات (2014، 2015، 2016) بسبب الظروف التي مرت بها الدولة في هذه السنوات، تمكّن المصرف من تحقيق نمو في معظم بنود ميزانيته بمتوسط معدل يزيد عن 17.1٪. سنوياً في بند الأصول، حيث زادتْ بمبلغ 454.5 مليون د.ل عام 2014م لتصل إلى مبلغ 687.9 مليون د.ل عام 2016م، ومن جانب الخصوم زادت ودائع العملاء من مبلغ 351.3 مليون د.ل عام 2014م لتصل في نهاية 2016م إلى مبلغ 582.2 مليون د.ل أي بنسبة 66%. أمّا بالنسبة لبند حقوق المساهمين، فقد بلغ معدل النمو خلال هذه الفترة 4.4٪ أي من 94.4 مليون د.ل عام 2014م إلى مبلغ 99.1 مليون د.ل بنهاية عام 2016م، بسبب انخفاض معظم الأرباح في 3 سنوات بمبلغ (68 مليون د.ل) لدعم محافظ التسهيلات الائتمانية.**

**وبحلول عام 2017م ونظراً للسمعة الطيبة في السوق الليبي، بلغت أصوله 812 مليون دينار ليبي بنهاية عام 2017. حيث ازدادت الخصوم الإيداعية إلى 695 مليون د.ل وبالنظر إلى قائمة الأرباح والخسائر، نجد أنّ الدخل التشغيلي نما إلى أكثر من 32 مليون د.ل في عام 2017م، وارتفع صافي الربح من 3.2 مليون د.ل في 2009م إلى 17.7 مليون د.ل في عام 2017 م، أي بزيادة تجاوزت 550٪.**

**وفي 2019م حقّق المصرف دخلاً تشغيلياً بلغ 34.6 مليون د.ل مقارنه بعام 2018م بمبلغ 36.2 مليون د.ل، أي بنسبة انخفاض 4٪. بالرغم من حدّة المنافسة بين القطاع المصرفي الامر الذي أدّى إلى انخفاض إيراد الرسوم والعمولات، وهو أكبر بند في الإيرادات بنسبة 3٪ في عام 2019 مقارنة بعام 2018.**

**أمّا بالنسبة لإيراد المرابحات فقد جاءت منخفضة عن عام 2018 بنسبة 12% نتيجة انخفاض حجم تحصيل الديون المتعثرة. وأيضاً ارتفاع المصاريف التشغيلية خلال عام 2019 بمبلغ 15.9 مليون د.ل مقابل 18.6 مليون د.ل عام 2018 بانخفاض قدرة 14%. وتمّ استرداد مبلغ قدرة 7.5 مليون د.ل في عام 2019 من مخصصات الديون المتعثرة مقارنة بمبلغ 19.2 مليون د.ل تمّ استردادها في عام 2018، مما أدّى إلى انخفاض إجمالي دخل المصرف من 55.4 مليون د.ل عام 2018 إلى 42.2 مليون د.ل عام 2019 بنسبة انخفاض 24%. وعلية أُظهرت النتائج أنّ صافي الأرباح بعد الضرائب قيمته 17.6 مليون د.ل عام 2019 مقابل أرباح في عام 2018 والبالغ 27.9 مليون د.ل. وسجلت حقوق المساهمين مبلغ 131.4 مليون د.ل في عام 2019 مقابل مبلغ 133.7 مليون د.ل في عام 2018 بعد قرار توزيع الأرباح عام 2018 خلال شهر 9 من عام 2019، ومع ذلك حافظ المصرف على مستوى حقوق المساهمين وكفاية رأس المال كما حقّق عائداً على متوسط حقوق المساهمين خلال عام بنسبة 13.2%.**

**وفي عام 2021 شهد الأداء المالي للمصرف نمواً إيجابياً نتيجة الاستقرار والتحسن الاقتصادي والهدوء الأمني سعى المصرف لجذب عملاء جدد سواء من قطاع الشركات وقطاع الأفراد وقد انعكس ذلك على التوسع في حجم التسهيلات الائتمانية الممنوحة من 56 مليون د.ل في عام 2020 إلى 136 مليون د.ل في عام 2021 بنسبة زيادة قدرها 143% ممّا نتج عنه زيادة**

في أرباح التمويل في عام 2021 بنسبة نمو قدرها 141%. كما شهد قطاع الأفراد توسعاً كبيراً في عدد الزبائن الجدد والحسابات الجديدة وبطاقات الفيزا الصادرة وانعكس هذا على حجم استخدام هذه البطاقات (الفيزا) من 64 مليون دولار عام 2020 إلى 646 مليون دولار عام 2021، هذا بالإضافة للتوسع في استخدام التطبيقات المصرفية المختلفة والفيزا المحلية. أمّا بالنسبة لقطاع الشركات شهد طفرة في الأداء حيث ارتفع حجم الاعتمادات المستندية في عام 2021 إلى 547 مليون دولار مقابل 352 مليون دولار في عام 2020 بزيادة قدرها 56%. وبهذا استطاع المصرف تحقيق أرباح تشغيلية قدرها 90 مليون د.ل عام 2021 بزيادة قدرها 221% عن عام 2020 البالغ 28 مليون د.ل، وحقّق المصرف رقم قياسي في صافي الأرباح بعد الضرائب في عام 2021 مبلغ وقدره 40 مليون د.ل مرتفعاً بنسبة 208% عن المحقّق في عام 2020 والبالغ 13 مليون د.ل.

وشهدت الأصول ارتفاعا بنسبة 22% عام 2021 بقيمة 1.377 مليون د.ل مقابل 1.129 مليون د.ل عام 2020، وترجع أسباب الزيادة لارتفاع الأرصدة لدى المصارف الأخرى هذا بالإضافة إلى ارتفاع محفظة المرابحات الإسلامية، وأيضاً مقابل ارتفاع في أرصدة الودائع من 977 مليون د.ل عام 2020 إلى 1125 مليون د.ل عام 2021 بنسبة 15%[17].

### 8. منهجية الدراسة.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وذلك من خلال الاستعانة بالكتب والدوريات ورسائل الماجستير ذات الصلة بموضوع الدراسة، فضلاً عن اعتماد المنهج التحليلي من خلال تطبيق النموذج الانحدار البسيط على عينة الدراسة بهدف دراسة أثر نظام المقاصة الإلكترونية على الأداء المالي للقطاع المصرفي.

### 1.8 مجتمع الدراسة.

يتمثل مجتمع الدراسة في دراسة حالة المصرف المتحد للتجارة والاستثمار وهو ضمن المصارف التجارية الليبية.

### 2.8 فرضية الدراسة.

تمّ صياغة فرضية الدراسة بالصيغة العدمية على النحو التالي:

$H_0$: لا يوجد أثر ذي دلالة إحصائية لنظام المقاصة الإلكترونية على الأداء المالي للمصرف المتحد للتجارة والاستثمار.

### 3.8 نموذج الدراسة:

النموذج المستخدم في الدراسة يُعرَف بنموذج الانحدار البسيط (Sample Regression Model) كونه يحتوي على متغير مستقل واحد وهو نظام المقاصة الإلكترونية، وأثره على الأداء المالي كمتغير تابع.

$$ROE_{it} = \alpha + \beta(ACH_{it}) + U_{it}$$

$$ROA_{it} = \alpha + \beta(ACH\ it) + U_{it}$$

(17) التقرير السنوي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار، 2021.

حيث:

$ROE_{it}$ ... أداء المالي للمصرف (معدل العائد على حقوق الملكية) i في السنة t.

$ROA_{it}$ ... الأداء المالي للمصرف (معدل العائد على الأصول) i في السنة t.

$ACH_{it}$ ... المقاصة الإلكترونية i في السنة t.

$\alpha$ ... المقطع الثابت لمعادلة الانحدار.

$\beta$ ... معامل الانحدار الخاص بالمتغير المستقل، وتعبّر عن مقدار التغير في المتغير التابع.

$U_{it}$ ... الخطأ العشوائي للنموذج.

## 4.8 قياس وتعريف بمتغيرات الدراسة.

### 1.4.8 المتغير التابع.

**معدّل العائد على حقوق المساهمين (Return on Equity (ROE.**

يقيس هذا المؤشر مدى كفاءة إدارة المصرف في استغلال أموال المساهمين وقدرة هذه الأموال على توليد الأرباح.

ويتمّ احتساب هذا المؤشر من خلال المعادلة التالية: $ROE = \frac{\text{صافي الدخل بعد الضرائب}}{\text{حقوق المساهمين}} \times 100$

**معدّل العائد على الأصول (Return on Assets (ROA.**

يقيس هذا المؤشر مدى قدرة المصرف على تحقيق الأرباح من خلال الاستثمار في موجوداته، كما يعكس كفاءة وفاعلية الإدارة في تشغيل الأصول، ويعطي الثقة بإدارتها للأموال وسلامة القرارات الاستثمارية والتشغيلية المتخذة.

ويتمّ احتساب هذا المؤشر من خلال المعادلة التالية: $ROA = \frac{\text{صافي الدخل بعد الضرائب}}{\text{إجمالي الأصول}} \times 100$

حيث تمّ استخدام هذه المقاييس في دراسة فخري وقادر، 2016.

### 2.4.8 المتغير المستقل.

**المقاصة الإلكترونية (Automated Clearing House ACH).**

هو نظام الإلكتروني يقوم بعملية تبادل صور وبيانات الصكوك، ويقوم النظام بعمل مسح ضوئي للصك الورقي المقدم وإرسال صورة الصك وبياناته إلكترونياً للمصرف الدافع لتحصيله لحساب المستفيد، وذلك باستخدام شبكة اتصالات آمنه بين المصارف.

وتمّ حساب هذا المتغير من خلال البيانات المنشورة في التقارير المالية السنوية المتعلقة بالمقاصة الإلكترونية بالقيمة (دينار) خلال فترة الدراسة للمصرف محلّ الدراسة. وتمّ استخدام هذا القياس دراسة (على وخضير،2020).

## 9. الجانب التطبيقي.

### 1.9 نبذة مختصرة على المصرف المتحد للتجارة والاستثمار.

المصرف المتحد للتجارة والاستثمار تأسس نتيجة اندماج ثلاثة مصارف أهلية هي مصرف العجيلات الأهلي، ومصرف زوارة الأهلي، ومصرف سهل الجفارة الأهلي وذلك بناء على قرار

محافظ مصرف ليبيا المركزي الصادر في 1/7/ 2007م، وبعد ثلاث سنوات أبرم مساهمو المصرف المتحد اتفاقية شراكة استراتيجية مع مجموعة البنك الأهلي المتحد بمملكة البحرين. حيث وزّع رأس المال بما نسبته 60% للجانب الليبي. و 40% للبنك الأهلي المتحد بحيث تمّ زيادة رأس المال من 33 مليون د.ل إلى 80 مليون د.ل وذلك بناء على الاتفاقية الموقعة في 8/ 3/ 2010م، ليتمّ رفع رأس المال من خلال إصدار أسهم مجانية في عام 2013م ليصل إلى 88 مليون د.ل و 96.8 مليون د.ل في عام 2014م ليتمّ رفعه مجدداً في عام 2019م ليصل إلى 100 مليون د.ل، يدار المصرف من قبل مجلس إدارة مكون من عشر أعضاء ست أعضاء يمثلون الجانب الليبي وأربع أعضاء يمثلون الشريك الاستراتيجي وقد أبرم مجلس الإدارة اتفاقية إدارة وتقديم الخدمات الفنية يقوم بموجبها البنك الأهلي المتحد بتولي الإدارة الفنية للمصرف المتحد وتقديم كافة الخدمات الفنية اللازمة لتطوير أعمال وأنشطة المصرف المتحد[18].

### 2.9 تمهيد لاختبار الفرضية الدراسة.

قبل اختبار فرضية الدراسة سيتمّ اختبار مدى توفر خاصية التوزيع الطبيعي في بيانات الدراسة، تمّ استخدام اختبار (Kolomogorov- Smirnov (K-S والتي أشارت نتائجه الموضحة بالجدول التالي أنّ جميع متغيرات الدراسة تتبع بياناتها التوزيع الطبيعي.

نتائج اختبار (K-S) لتوزيع الطبيعي لبيانات الخاصة بالمتغيرات الدراسة

| المتغير | الرمز | Prob | البيانات تتبع التوزيع الطبيعي |
|---|---|---|---|
| ROE | معدل العائد على حقوق المساهمين | 0.306 | √ |
| ROA | معدل العائد على الأصول | 0.410 | √ |
| ACH | المقاصة الإلكترونية | 0.294 | √ |

بناءً على نتائج اختبار التوزيع الطبيعي لمتغيرات الدراسة تمّ إجراء اختبار معامل ارتباط بيرسون الثنائي، لقياس قوة واتجاه العلاقة بين متغيرين يتحقق بهما شرط التوزيع الطبيعي، ومن خلال نتائج الاختبار الإحصائي المرافق لقيمة معامل الارتباط يمكن الإقرار أو عدم إقرار وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغيرات الدراسة.

مصفوفة قوة الارتباط بين متغيرات الدراسة.

| | ROE | ROA | ACH |
|---|---|---|---|
| ROE | 1 | 0.163 | -0.203 |
| ROA | | 1 | *0.620 |
| ACH | | | 1 |

* Correlation is Significant at the 0.05 Level

تبيّن من خلال مصفوفة معاملات الارتباط أنّ العلاقة بين متغيري نظام المقاصة الإلكترونية (ACH) ومعدل العائد على حقوق المساهمين (ROE) جاءت غير دالة إحصائياً، بينما جاءت العلاقة بين نظام المقاصة الإلكترونية (ACH) والأداء المالي مقاساً بـ (ROA) كانت علاقة موجبة وذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 5%، حيث كانت قيمة معامل الارتباط 0.620.

(18) التقرير السنوي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار، 2021، مرجع سابق.

**3.9 اختبار فرضية الدراسة.**

يتمّ في هذه المرحلة إجراء تحليل نموذج الانحدار الخطي البسيط Simple Linear Regression Model. للمتغيرات لاختبار أثر المتغير المستقل (ACH) في المتغيرين التابعين (ROE) و(ROA) عند مستوى الدلالة الإحصائية 5%. كل على حده.

**نتائج الانحدار البسيط بين (ROE) وبين المتغير(ACH).**

| المتغيرات الدراسة | الرمز | نموذج (ROE) بعد الضرائب | | |
|---|---|---|---|---|
| | | المعامل | قيمة t | Sing f |
| المقطع الثابت | α | .2090 | 1.313 | .2370 |
| المقاصة الإلكترونية | ACH | .2030 | 0.508 | .6300 |
| القوة التفسيرية | $R^2$ | 0.041 | | |
| القوة التفسيرية المعدلة | Adj-$R^2$ | 0.119 | | |
| معنوية النموذج الانحدار ككل | F | 0.258 | | |
| مستوى الدلالة | Sing f | 0.730 | | |

**النموذج الأول: ROE = α+ β(ACH)**

**لا يوجد أثر ذي دلالة إحصائية بين نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي مقاساً بـ (ROE) لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار.**

بعد عملية التحليل تبين لنا ووفقاً للجدول أعلاه أنّ قيمة $R^2$ المفسرة للعلاقة المفترضة بين المتغيرين بلغت 0.041، وهذا يعني أنّ متغير المقاصة الإلكترونية تفسر ما مقداره 4.1% من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع (الأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار) مقاسه بـ ROE . ونلاحظ أيضاً أنّ القوة التفسيرية المعدلة أي بعد استبعاد الخطأ العشوائي Adj- $R^2$ بلغت 0.119، وهذا يعني أنّ هذا المتغير يفسر ما مقداره 12% تقريباً من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع (الأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار) مقاسه بـ ROE.

أمّا بالنسبة لمعنوية النموذج ككل بلغت قيمة F تساوي 0.258 وغير دال إحصائياً عند مستوى معنوية 5%. وبالتالي فإنّه يتمّ قبول الفرضية العدمية، التي تنصّ بعدم وجود تأثير ذي دلالة إحصائية بين نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي مقاسه بـ (ROE). ويتمّ توضيح معادلة الانحدار البسيط للنموذج كالاتي: ROE = 0.209+ 0.203 ACH

**النموذج الثاني: ROA= α+ β(ACH)**

**لا يوجد أثر ذي دلالة إحصائية بين نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار مقاساً بـ (ROA).**

**نتائج الانحدار البسيط بين (ROA) وبين المتغير (ACH).**

| المتغيرات الدراسة | الرمز | نموذج (ROA) بعد الضرائب | | |
|---|---|---|---|---|
| | | المعامل | قيمة t | Sing f |
| المقطع الثابت | α | 0.039 | 3.318 | 0.016 |
| المقاصة الإلكترونية | ACH | 0.720 | 2.542 | 0.044 |
| القوة التفسيرية | $R^2$ | 0.519 | | |
| القوة التفسيرية المعدلة | Adj-$R^2$ | 0.438 | | |
| معنوية النموذج الانحدار ككل | F | 6.463 | | |
| مستوى الدلالة | Sing f | 0.044 | | |

وفقاً للجدول أعلاه تبيّن أنّ قيمة $R^2$ المفسرة للعلاقة بين المتغيرين بلغت 0.519، وهذا يعني أنّ متغير المقاصة الإلكترونية يفسر ما مقداره 52% من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع (الأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار) مقاسه بـ ROA. ونلاحظ أيضاً أنّ القوة التفسيرية المعدّلة أي بعد استبعاد الخطأ العشوائي Adj- $R^2$ بلغت .4380، وهذا يعني أنّ هذا متغير يفسر ما مقداره 44% تقريباً من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع (الأداء المالي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار) مقاسه بـ ROA.

أمّا بالنسبة لمعنوية النموذج ككل بلغت قيمة F تساوي 6.463 وذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 5%. وبالتالي فإنّه يتمّ رفض الفرضية العدمية التي تنصّ بعدم وجود تأثير ذي دلالة إحصائية بين نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي مقاسه بـ (ROA)، وقبول الفرضية البديلة التي تنصّ على وجود تأثير بين نظام المقاصة الإلكترونية والأداء المالي مقاساً بـ (ROA).

ويتمّ توضيح معادلة الانحدار البسيط للنموذج كالاتي: ROA = 0.039+ 0.720 ACH

بمعنى أنّه كلما ارتفع معدل استخدام نظام المقاصة الإلكترونية 1% كلما أدّى ذلك إلى ارتفاع في معدلات الأداء المالي المقاسة بمعدل العائد على الأصول بنسبة 72%.

## 4.9 النتائج والتوصيات.

من خلال اختبار الفرضية توصّلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أظهرت نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لبيانات الدراسة في النموذج الأول بأنّه لا يوجد تأثير ذي دلالة إحصائية للمتغير المقاصة الإلكترونية على معدلات العائد على حقوق المساهمين، ويرجع ذلك لضعف استخدام نظام المقاصة الإلكترونية بشكل خاص والتقنيات الإلكترونية المتنوعة بشكل عام وذلك لسوء البُنية التحتية المتعلقة بهذه الأنظمة الإلكترونية.

2. في حين أظهرت الدراسة وفقاً للنموذج الثاني تأثير موجب وذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 5% بين نظام المقاصة الإلكترونية ومعدل العائد على الأصول.

3. يسعى المصرف المتحد للتجارة والاستثمار إلى الاهتمام بشكل واسع بنظام المقاصة الإلكترونية في كل عملياته المصرفية من أجل تحسين معدلات الأداء المالي للمصرف.

**من خلال النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة توصي الدراسة بما يلي:**

**العمل على توفير كافة المستلزمات التي يحتاجها المصرف في إنجاح عملية نظام المقاصة الإلكترونية بشكل خاص، والأنظمة الإلكترونية المتنوعة بشكل عام المتمثلة في إيجاد بُنية تحتية تكنولوجية حديثة، وشبكة اتصالات كاملة تربط المصارف اللبيبة، والعمل على تدريب وتأهيل الموظفين بالخصوص التعامل مع هذه الأنظمة لمواجهة أي التعقيدات التي قد تواجها، والرفع من قدراتهم من حيث التشغيل وأنظمة الآمان والحفاظ على سرية بيانات الزبائن، وذلك لتحقيق مستويات عالية من الأداء المالي للمصرف، والحث على إجراء دراسات مستقبلية حول نظام المقاصة الإلكترونية، والأنظمة الإلكترونية الأخرى لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار بشكل خاص، وذلك للتعرف على أوجه الضعف والعمل على تداركه، ومواكبة التطور الإلكتروني والسعي نحو الأفضل.**

**المـــراجـــــع:**


**1. أبوالحسن الأمين، زينب، (2010)، «وسائل الدفع المالي الالكتروني في السودان»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الامارات التقنية.**

**2. أمانة مجلس محافظي المصارف المركزية والمؤسسات النقد العربية، (2008)، «مقاصة الصكوك في الدول العربية-اللجنة العربية لأنظمة الدفع والتسوية»، صندوق النقد العربي، أبو ظبي.**

**3. بنك السودان المركزي، (2005)، «مشروع المقاصة الالكترونية لإعادة تصميم إجراءات العمل»، مارس.**

**4. بوخاري، فاطمة، (2021)، «التكنولوجيا البنكية ودورها في تفعيل أداء البنوك دراسة حالة الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 2002م إلى 2020م»، مجلة الدراسات المالية والمحاسبية والإدارية، المجلد 8، العدد 3، ديسمبر.**

**5. التقرير السنوي لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار، 2021.**

**6. الحان، فضل الله الخضر، (2009)، «استراتيجية بنك السودان في التعامل مع التقنية الالكترونية دراسة حالة بنك أم درمان الوطني»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم.**

**7. الحديدي، ابتهال، (2020)، «المقاصة المصرفية الإلكترونية دراسة مقارنة»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط.**

**8. الخضر، ابتهاج فضل الله، (2015)، «أثر تطبيق نظام المقاصة الإلكترونية في زيادة الربحية البنوك دراسة ميدانية على بنك الإسلامي السوداني»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة شندي، السودان.**

**9. زميم، العجيلي ساسي، (2011)، «المحددات الذاتية المؤثرة على ربحية المصارف التجارية الليبية»، رسالة ماجستير غير منشورة، الاكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ليبيا.**

**10. على، شروق الهادي وخضير، أرادن حاتم، (2020)،»التحول الرقمي للعمليات المصرفية كأداة لتطوير الأداء المالي الاستراتيجي لمصرف بغداد نموذجاً»، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 126، نوفمبر.**

**11. فخري، سامر محمد وقادر، أسو بهاء الدين، (2016)، «مؤشر الربحية المصرفية والعوامل المؤثرة فيه دراسة قياسية في عينة من المصارف التجارية العراقية»، مجلة جامعة كركوك للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد 6، العدد 2.**

**12. القوائم المالية من 2014 إلى 2021 لمصرف المتحد للتجارة والاستثمار.**

**13. مصرف ليبيا المركزي، (2016)، «نظام المقاصة الالكترونية للصكوك القواعد التنظيمية ودليل الإجراءات»، LY.CBL.WWW**

**14. مصرف ليبيا المركزي، (2019)، «نظام الارشفة».**